الف ليلة وليلة

اعني

كتاب الف ليلة وليلة

يُدعى عموما

اسمار الليالي للعرب مما يتضمّن الفُكاهة ويورث الطرب

قد طبعهٔ كاملاً مكمّلا

وليم حي مكناطن سكرتر الدولة الانجريزية

للممالك الهندية

[illegible]

في اربع مجلدات

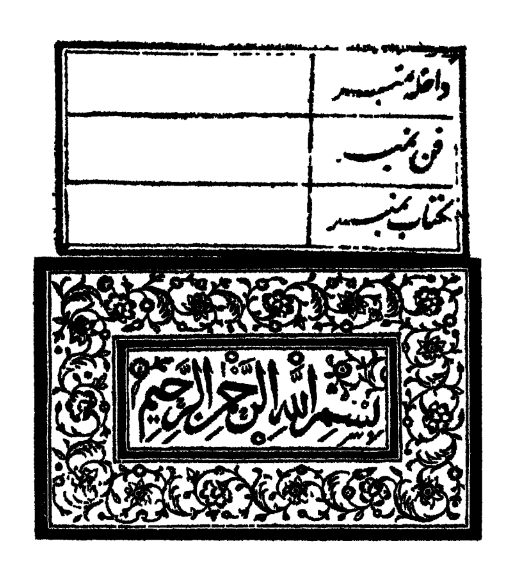
في لسانه الاصلي العربي منقولا من نسخة كُتبت بالديار المصرية

واوردها في الهند المرحوم ميجرطرنرمكان الذي طبع شاهنامه

قبل هذا الزمان في التاسعة بعد الثلثين من المائة

التاسعة عشر من السنين المسيحية

سنه ١٨٣٩



كتاب الف ليلة وليلة

حكاية الملك شهريار واخيه

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد صلّى الله عليه وسلّم صلوة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين وبعد فان سِيَر الاولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الانسان العِبَرَ التي حصلت لغيره فيعتبر ويطالعَ حديث الامم السالفة وما جرى لهم فيزدَجر فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة لقوم الآخرين فمن ذلك العبر الحكايات التي تسمى الفّ ليلة وليلةٌ وما فيها من الغرائب والامثال فقد حكي (والله اعلم بغيبه واحكم واعز واكرم والطف وارحم) انه كان فيما مضى وتقدم من الازمنة الخالية

في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك من ملوك بني ساسان
بجزائر الهند والصين صاحب جند واعوان وخدم وحشم وكان له ولدان
احدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الاكبر افرس من
الاصغر وقد ملك البلاد وحكم بالعدل في الرعيّة واحبّوه اهل بلاده
ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان اخوه الصغير اسمه الملك
شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزالا مستمرّين في بلادهما
وكل واحد في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة في غاية
البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة فعند ذلك اشتاق الملك
الكبير الى اخيه الصغير فامر وزيره ان يسافر الى عند اخيه ويحضره
فاجابه بالسمع والطاعة وسافر الى ان وصل بالسلامة ودخل الى عند اخيه
وبلّغه السلام واعلمه ان اخاه مشتاق اليه وقصده يزوره فاجابه بالسمع
والطاعة وتجهّز للسفر واخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه واعوانه
واقام وزيره حاكما في بلاده وخرج طالبا بلاد اخيه فلما كان في نصف
الليل تذكّر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة
في فراشه معانقة عبدا اسود من بعض العبيد فلما رأى هذا الامر اسودّت
الدنيا في وجهه وقال في نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وانا ما فارقت
المدينة فكيف حال هذه الملعونة لما اغيب عند اخي مدة ثم انه سحب
سيفه وضرب الاثنين وقتلهما في الفراش ورجع من وقته وساعته وامر
بالرحيل وسار الى ان وصل الى مدينة اخيه ففرح بقربه منه ثم ارسل
المبشرين الى اخيه بقدومه فخرج اليه ولاقاه وسلّم عليه وفرح به
غاية الفرح وزيّن له المدينة وجلس معه يتحدث وينشرح فتذكّر الملك
شاه زمان ما كان من امر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف
جسمه فلما رآه اخوه على هذه الحالة ظن في نفسه ان ذلك بسبب مفارقته

بلادهٖ ومُلكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثُمّ انه في بعض الايام قال له
يا اخي انّي آراك قد ضعف جسمك واصفرّ لونك فقال له يا اخي انا في
باطني جُرْحٌ ولم يُخبره بما رأى من زوجته فقال له اني اريد ان تسافر
معي الى الصيد والقَنَص لعلّ ان ينشرح خاطرك فابى ذلك فسافر اخوه
وحده الى الصيد وكان في قصر الملك شبابيك تُطِلّ على بستان اخيه فنظر
واذا بباب القصر انفتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة
اخيه تمشي بينهم وهي بديعة الحسن والجَمال حتى وصلوا الى فَسْقِيَّة
وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع العبيد واذا بامرأة الملك صاحت يا مسعود
فجاءها عبد اسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك الجواري فعلوا بهم
العبيد ولم يزالوا في بَوْسٍ وعِناقٍ ونَيك ورِحاقٍ حتى ولّى النهار فلما
رأى ذلك اخو الملك قال في نفسه والله ان بليّتي اخفّ من هذه البليّة و
قد انفكّ ما عنده من الغَيْر والغم وقال هذا اعظم مما جرى لي ولم يزل
في اكل وشرب وبعد هذا جاء اخوه من السفر فسلّما على بعضهما ونظر
الملك شهريار الى اخيه الملك شاه زمان راى رُدّ له لونه واحمرّ وجهه وصار
يأكل بشهيه بعد ما كان قليلّ الاكل فقال له اخوه الملك الكبير يا اخي
كنت أُراك مصفرّ اللون والوجه والآنّ قد رُدّ اليك لونك فاخبرني
بحالك فقال له امّا تغيرُّ لوني فاذكره لك واعفُ عني من اخباري لك بردّ
لوني فقال له اخبرني اوّلا بتغير لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا اخي
اِعْلَمْ انّي لما ارسلتَ وزيرك اليّ يطلبني للحضور بين يديك جهّزتُ
حالي وقد برزت بره مدينتي ثم اني تذكرت الخَرَزَة التي اعطيتها لك
في قصري فرجعت الى قصري فوجدت زوجتي معها عبد اسود وهو نائم
في فراشي فقتلتهما وجئت اليك وانا متفكر في هذا الامر فهذا سبب
تغير لوني وضعفي واما ردّ لوني فاعف عني ان اذكره لك فلما سمع

اخوه كلامه قال له اقسمت عليك بالله الّا ما اخبرتني عن ردّ لونك فاخبره
جميع ما رآه فقال شهريار لاخيه شاهزمان مرادي انظر بعيني فقال له اخوه
شاهزمان اِجْعَل انّك مسافر للصيد و القنص و اختفِ عندي و انت تشاهد
ذلك و تتحققه عَياناً فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر
و الخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه جلس في الخيام و قال
لغلمانه لا يدخل عليّ احد ثم انه تنكّر و خرج مختفيا الى القصر الذي
فيه اخوه و جلس في الشُبّاك المطل على البستان ساعة من الزمان الا
و الجواري و سيّدتهم دخلوا مع العبيد و فعلوا كما قال اخوه الى اذان
العصر قال فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من راسه و قال
لاخيه شاهزمان قم بنا نسافر على حالنا ولا لنا حاجة بالملك حتى ننظر
احداً جرى له مثلنا والا موتنا خير من حياتنا قال ثم انهما خرجا من
باب سرّ القصر مسافرين اياماً وليالي الى ان وصلا الى شجرة في وسط
مَرْجة و عينِ ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين و جلسا
يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد
هاج و صعد منه عمود اسود صاعد الى السماء وهو قاصد تلك
المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا و طلعا الى اعلى الشجرة وكانت عالية
ينظران ما ذا يكون الخبر واذا بجنّي طويل القامة عريض الهامة واسع
الصدر وعلى راسه صندوق فطلع الى البرّ واتى الى الشجرة التي هما فوقها
و جلس تحتها وفتح الصندوق واخرج منه عُلْبة ثم فتحها فخرجت منها
صبية بقامة هيفاء بَهيّة كانها شمس مضيئة كما قال و احسن الشاعر عطيّة

اَشْرَقتْ في الدجى فَلَاحَ النهارْ و استنارتْ من نورها الاسحارْ
من سَنَاهَا الشموس تشرق لمّا تتجلّى و تنجلي الاقمارْ

تسجد

تَشْهَدُ الْكَائِنَاتُ بَيْنَ يَدَيْهَا حُسْنَ تَبْدُو وَتَهْتِكُ الْاَسْتَارْ
وَاِذَا اَوْمَضَتْ بُرُوقُ حِمَاهَا اَهْطَلَتْ بِالْمَدَامِعِ الْاَمْطَارْ

قال فلما نظر اليها الجنّي قال يا ست الحرائر يا من قد اختطفتكِ ليلة عرسكِ اريد انام قليلا ثم ان الجنّيَ جعل راسه على رُكبة الصبية ونام فرفعت الصبية راسها الى اعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فشالت راسَ الجنّي من على رُكبتها ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من العفريت فقالا لها بالله عليكِ اُعفي عنا من هذا الامر فقالت لهما ان لم تَنزلا نبّهتُ عليكما العفريتَ يقتلكما شرّ قتلةٍ فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصَعا رَصعا عنيفا والا انبّه لكما العفريت فمن خوفه قال الملك شهريار لاخيه الملك شاه‌زمان يا اخي افعل ما امرتك به فقال لم افعل افعل انت قبلي واخذا يتغامزان على نيكها فقالت لهما ما لي اراكما تتغامزان فان لم تتقدّما وتفعلا نبّهت لكما العفريت فمن خوفهما من الجنّي استَفْفَاها الاثنانِ فلما فرغا قالت لهما اُفِيقا واخرجت لهما من جيبها كِيسا واخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعين خاتما فقالت لهما اَ تدرون ما هؤلاء فقالا لا ندري فقالت لهما اصحاب الخواتم كلهم ناكوني على قَرْن هذا العفريت فاَعطياني خاتميكما الاثنين الاخوين فاعطاها من ايديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم انه وضعني في علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة اقفال جليّ وجعلني في قاع البحر العجّاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم ان المرأة منا اذا ارادت شيًا لم يغلبها شيٌ كما قال بعضهم

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى النِّسَاءِ وَلَا تَثِقْ بِعُهُودِهِنْ
فَرِضَاؤُهُنَّ وَسُخْطُهُنَّ مُعَلَّقٌ بِفُرُوجِهِنْ
يُورِينَ وُدًّا كَاذِبًا وَالْغَدْرُ حَشْوُ ثِيَابِهِنْ
بِحَدِيثِ يُوسُفَ فَاعْتَبِرْ مُتَحَذِّرًا مِنْ بَعْضِ كَيْدِهِنْ
اَوَمَا تَرَى لِابِيكَ آدَمْ خُرُوجَهُ مِنْ اَجْلِهِنْ

وقال بعضهم

بِسْ جِرْمِي لِمَا تَشَأْتَ عَلَيْهِمَا قِفْ وَيْكَ اِنَّ الْمَلَامَ يَقْوِي الْمَلُومَا
اِنْ اَكُنْ عَاشِقًا فَلَمْ آتِ اِلَّا مَا اَتَتْهُ الرِّجَالُ قَبْلِي قَدِيمَا
اِنَّمَا يَكْثُرُ التَّعَجُّبُ مِمَّنْ كَانَ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ سَلِيمَا

فلما سمعا الملكان منها هذا الكلام تعجبا غاية العجب وقال بعضهما بعضاً اذا كان هذا عفريتاً وجرى له اعظم مما جرى علينا فهذا شيء لم يجر لاحد ثم انهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا الى مدينه الملك شهريار فدخل قصره ورمى عنق زوجته والجواري والعبيد وكان الملك شهريار كل ليلة يأخذ بنتا بكرا يأخذ وجهها ثم يقتلها مدة ثلث سنوات فضج الناس وهربوا ببناتهم ولم يبق في تلك المدينه بنتا تحمل الوطي ثم ان الملك امر الوزير ان يأتيه ببنت على جري عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو مغبون مقهور خائف على نفسه من الملك قال وكان وزير الملك له بنتان الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضيين قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لابيها مالي اراك مغبونا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم في المعنى

قُلْ لِمَنْ يَحْمِلُ هَمَّا   اِنَّ هَمًّا لَا يَدُوْمُ
مِثْلُ مَا تَفْنَى الْمَسَرَّةُ   هٰكَذَا تَفْنَى الْهُمُوْمُ

قال فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا ابتِ زوّجني هذا الملك فاما أنْ اعيشَ واما ان اكون فِديً لاولاد المسلمين و خِلاصهم من بين يديه فقال لها بالله عليك لا تخاطري بنفسك ابدا فقالت له لابد من ذلك فقال اخشى عليك ان يتم لك ما تم على الحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له و ما الذي جرى لهما

حكاية الثور مع الحمار

قال اعلمي يا ابنتي انه كان لبعض التجّار اموال ومواش وكان له زوجة واولاد وكان الله تعالى اعطاه معرفة لغات ألسن الحيوانات و الطيور وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده في داره حمار وثور فاتى يوما الثورُ الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفي مَعْلَفه شعير مغربل وتبين مغربل وهو راقد مستريح وفي بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له و يرجع على حاله فلما كان في بعض الايام سمع التاجر الثور و هو يقول للحمار هنيًا لك ذلك أنَا تعبانٌ وانت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدُمك وفي بعض الاوقات يركبك ويرجع وانا دائما لِلحرث و الطحين فقال له الحمار لمّا تخرج الى الغيط و يجعلون على رقبتك النِير فارقُدْ ولو ضربوك لا تقم و قم و ارقد و لمّا يرجعون بك و يوضعون لك الفول فلا تأكله كانك ضعيف وامتنع من الاكل و الشرب يوماً اويومين او ثلثة فتستريح من التعب و الجهد قال وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السوّاق الى الثور بعَشاه اكل منه شيًا يسير:

فاصبح السوّاق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فحزن عليه و قال
هذا سبب أنه ما قدر امس يشتغل ثم جاء الى التاجر و قال له يا مولاي
ان الثور مقصّر لم ياكل هذه الليلة العلف و لا ذاق منه شيأ و قد عرف
التاجر الامر فقال إمض وخذ الحمار وحرّثه مكانه اليوم كله قال فلما
رجع آخر النهار بعد ما حرثه اليوم كله شكره الثور على تفضلاته التي
أراحه من التعب في ذلك اليوم فلم يردّ عليه الحمار جوابا و ندم شدة
الندم فلما كان ثاني يوم جاء الزرّاع و اخذ الحمار و حرثه الى آخر النهار
فما رجع الحمار الا مسلوخ الرقبة ميتا من التعب فتامله الثور وشكره
و مدحه فقال له الحمار كنت قاعداً بطولي فما خلّاني فضولي ثم قال
اعلم اني لك ناصح و قد سمعت استاذنا يقول ان لم يقم الثور من
موضعه اعطوه للجزّار يذبحه و يعمل جلده نطعاً و انا خائف عليك
و قد نصحتك و السلام قال فلما سمع الثور كلام الحمار شكره و قال
بكرة أسرح معهم ثم ان الثور اكل علفه بتمامه حتى لحس المذود
بلسانه وكل ذلك وصاحبهم يسمع كلامهم فلما طلع النهار خرج التاجر
و زوجته الى دار البقر و جلسا فجاء السواق و اخذ الثور و خرج فلما
رأى الثور استاذه طرطر ذيله وضرط و برطع فضحك التاجر حتى انقلب
على قفاه فقالت له زوجته من اي شي تضحك فقال لها سرّ رأيته و سمعته
ولا اقدر ابوح به فاموت فقالت له لابد ان تخبرني به و بسبب ضحكك
ولو كنت تموت فقال لها ما اقدر ان أبوح به خوفا من الموت فقالت
له انت ما تضحك الا عليّ ثم انها لم تزل تلحّ عليه و تلحّ عليه الى ان غلبت
عليه وتحيّر فاحضر اولاده وارسل احضر القاضي والشهود واراد ان يوصي
و يبوح لها بالسرّ و يموت لانه كان يحبها محبة [illegible] وهي بنت عمه
و ام اولاده وكان قد عمّر معها مائة و [illegible]

جميع اهلها واهل جارته وقال لهم علي حكاية وانه متى قال لاحد على
سرّه مات فقال لها جميع من حضرهما بالله عليك اتركي هذا الامر
لئلا يموت زوجك ابو اولادك فقالت لهم ما ارجع عنه حتى يقول لي
وأدعه يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجّه الى دار
الدواب يتوضى و يرجع يقول لهم و يموت وكان عنده ديك و تحته
خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي و يسبّ
الديك و يقول له انت فرحان و استاذنا رايح يموت فقال الديك للكلب
وكيف ذلك الامر فاعاد الكلب على الديك القصة فقال الديك و الله
ان استاذنا قليل العقل ان لي خمسين زوجة ارضي هذه و اصالح هذه
و استاذنا ما له الا فرد زوجة ولا يعرف يسوس امره معها ما له ما ياخذ
لها من عيدان التوت ويدخل الى خزانة ويضربها حتى تموت او تتوب
و لا تعود تسأله عن شي قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب
الكلب قال الوزير لابنته شهرزاد افعل معك مثل ما فعل التاجر بزوجته
فقالت له و ما فعل قال دخل بها الى الخزانة ثم بعد ما قطع عليها من
عيدان التوت وخبّأهم داخل الخزانة دخل الخزانة وقال لها تعالي حتى
اقول لك داخل الخزانة و اموت ولا ينظرني احد فدخلت معه ثم انه
قفل باب الخزانة عليها ونزل عليها بالضرب الى ان اغمي عليها فقالت
له تبت ثم انها باست يديه و رجليه و تابت وخرجت معه و اياه و فرحوا
الجماعة و اهلها و قعدوا في اسرّ الاحوال الى الممات قال فلما سمعت ابنة
الوزير مقالة ابيها قالت له لابد من ذلك فجهّزها وطلع الى الملك شهريار
وكانت قد اوصت اختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهت عند الملك ارسلت
اطلبك اذا جئت الى عندي و رأيت الملك قضى حاجته مني فقولي لي
[illegible]

يكون فيه ان شاء اللّه تعالى الخلاصُ ثم ان اباها الوزيرَ طلع بها الى الملك
فلما رآه فرح وقال اتيتَ بحاجتي فقال نعم واراد ان يدخل عليها فبكت
فقال لها ما لكِ فقالت ايّها الملك انّ لي اختًا صغيرة واريد ان اودّعها
فارسل الملك اليها فجاءت الى اختها وعانقتها وجلست تحت السرير
فقام الملك واخذ بكارتها وجلسوا يتحدّثون فقالت لها اختها الصغيرة
باللّه عليك يا اختي حدّثينا حديثًا نقطع به سهرَ ليلتنا فقالت حُبًّا و
كرامةً إنْ اذن لي الملك المهذّب فلما سمع الملك ذلك وكان
قلقًا. فرح لسماع الحديث فاذن لها

حكاية التاجر والجنّي

الليلة الاولى قالت شهرزاد حكي ايها الملك السعيد انه كان [illegible]
بعض التجّار وكان كثيرَ المال والمعاملات في البلاد فركب يومًا وخرج
يطالب في بعض البلاد فطلع عليه الحرّ فجلس تحت شجرة وحطّ يده
في خرجه فاخرج كِسْرة وتمرة فاكل الكسرة والتمرة فلما فرغ من اكل
التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف مسلول
فدنا من التاجر وقال له قم حتى اقتلك مثل ما قتلتَ ولدي فقال له
التاجر كيف قتلتُ ولدك قال له لمّا اكلت التمرةَ ورميت نواتها جاءت
النواة في صدر ولدي وكان كما قضى فمات من ساعته فقال التاجر
انا لله وانا اليه راجعون لا حولَ ولا قوة الا بالله العلي العظيم ان كنت
[illegible] فما قتلته الّا خطأ [illegible] ان تعفو عني فقال الجني لا [illegible]
[illegible] ثم [illegible] وبطحه على الارض [illegible] وبكى التاجر
وقال [illegible] الله [illegible]

حكاية التاجر والجني) (قصه الشيخ الاول

اَلدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا اَمْنٌ وَذَا حَذَرُ ... وَالْعَيْشُ شَطْرَانِ ذَا صَفْوٌ وَذَا كَدَرُ

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا ... هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ اِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ

اَمَا تَرَى الرِّيحَ اِنْ هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا ... فَلَيْسَ تَعْصِفُ اِلَّا مَا هُوَ الشَّجَرُ

وَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ ... وَتَسْتَقِرُّ بِاَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ

فَاِنْ يَكُنْ عَبَثَتْ اَيْدِي الزَّمَانِ بِنَا ... وَنَالَنَا مِنْ تَمَادِي بُؤْسِهِ الضَّرَرُ

فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا ... وَلَيْسَ يُكْسَفُ اِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَكَمْ عَلَى الْاَرْضِ مِنْ خَضْرَا وَيَابِسَةٍ ... وَلَيْسَ يُرْجَمُ اِلَّا مَا لَهُ ثَمَرُ

اَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَاتِي بِهِ الْقَدَرُ

فلما فرغ التاجر من شعره قال له الجني اقصر كلامك والله لابد لي من ذلك فقال التاجر اعلم ايها العفريت اني علي دين ولي مال كثير واولاد وزوجة ورهون فدعني اروح الى بيتي واوصل كل ذي حق حقه واعود اليك على راس سنة ولك علي عهد الله وميثاقه اني اعود اليك تفعل بي ما تريد والله على ما اقول وكيل فاستوثق منه الجني واطلقه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته واوصل الحقوق الى اهلها واعلم زوجته واولاده واوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم انه قام وتوضأ واخذ كفنه تحت ابطه وودع اهله وجيرانه وجميع اقاربه وخرج رغما عن انفه فاقاموا عليه العياط والصراخ فمشى الى ان وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم راس السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما جرى له واذا قد اقبل عليه شيخ كبير ومعه غزالة مسلسلة فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وانت منفرد وهو ماوى الجان فاخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا اخي ما دينك الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت

بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس الى جانبه وقال والله يا اخي لا ابرح من عندك حتى انظر ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده فهم في الحديث واذا قد ادرك ذلك التاجر الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا قد اقبل عليهما شيخ ثان معه كلبان فسلم عليهما والكلبان اسودان من الكلاب السلوقية فسألهم بعد السلام عليهم واستخبرهم وقال لهم ما سبب جلوسكم في هذا المكان وهو ماوى الجان فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها فما استقر بهم الجلوس حتى اقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن جلوسهم في ذلك المكان فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها وليس في الاعادة افادة يا سادة فجلس عندهم واذا بغبرة قد اقبلت وزوبعة عظيمة من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة واذا به ذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فاتى اليهم وجذب ذلك التاجر بيده من بينهم وقال له قم حتى اقتلك مثل ماقتلت ولدي وحشاشة كبدي ثم انتحب ذلك التاجر وبكى وقامت الشيوخ الثلثة بالبكاء والعويل والنحيب فانتبل منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له ايها الجني وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة تهب لي ثلث دم هذا التاجر فقال نعم ايها الشيخ اذا حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال الشيخ اعلم ايها العفريت ان هذه الغزالة هي بنت عمي ولحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن واقمت معها نحو ثلثين سنة فلم أرزق منها بولد فاتخذت لي سرية فرزقت منها بولد ذكر كانه البدر اذا بدا بعيون وحواجب كاملة فكبر وانتشأ وصار ابن خمسة عشر سنة فعرضت لي سفرة الى بعض المدائن

فسافرت بمتجرٍ عظيم وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلّمت السحر والكهانة من صغرها فسحّرت ذلك الولد عجلًا وتلك الجارية امّه بقرة وسلّمتهم الى الراعي وجئت انا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وامّه فقالت لي امرأتك ماتت وابنك هرب ولم اعلم اين راح فجلست مدة سنةٍ وانا حزين القلب باكي العين الى ان جاء عيدُ اللّهِ الأكبر فارسلتُ للراعي وأمرتهُ ان يحضر لي بقرةٍ سمينة فحضر ببقرة سمينة وهي جاريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمّرتُ أذيالي واخذت السّكين بيدي واردت ان اذبحها فصاحت وولولت وبكت فتعجبت انا منه واخذتني الرافة فوقفت عنها وقلت للراعي ايتني بغيرها فصاحت ابنة عمي هذه اذبحها فما عندي احسن ولا اسمن منها فتقدمت اليها لاذبحها فصاحت فقمت وامرت ذلك الراعي بذبحها وسلخها فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمتُ على ذبحها حيث لا ينفعني الندم واعطيتها للراعي وقلت له ايتني بعجل سمين فاتاني بولدي فلما رآني ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرّغ عليّ وولول وبكى فاخذتني الرافة عليه فقلت للراعي ايتني ببقرة ودع هذا فصاحت عليّ بنت عمّي هذه الغزالة وقالت لابدّ لك من ذبح هذا العجل في هذا اليوم فانّه يوم شريف مبارك لا يذبح فيه الّا الشيءُ المليحُ وليس عندنا بين العجول أسمنُ منه ولا احسن منه فقلت لها انظري كيف كان حال البقرة التي ذبحت بامرك فها نحن طلعنا منها خائبين وما انتفعنا منها بشيءٍ اصلا وندمتُ غاية الندم على ذبحها والآن لا اقبل منك كلاماً في ذبح هذا العجل هذه المرةَ فقالت لي واللّه العظيم الرحمن الرحيم لابدّ لك من ذبحه في هذا اليوم الشريف وان لم تذبحه فما انت زوجي ولا انا زوجتك فلما سمعت منها هذا الكلام الصعب ولم اعلم بمقصدها تقدمتُ الى

العجل واخذت بيدي السكين فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما احسن حديثك واطيبه والذه واعذبه فقالت لها واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يأمر الوزير بشيء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب وانفض الديوان ودخل الملك شهريار الى قصره

فلما كانت الليلة الثانية قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختي اتمي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجني قالت حبا وكرامة ان اذن لي الملك فقال الملك احكي فقالت بلغني ايها الملك السعيد والولي الرشيد انه لما اراد ان يذبح العجل حن قلبه وقال للراعي ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والشيخ يحكي الى الجني والجني يتعجب من ذلك الكلام العجيب قال صاحب الغزالة يا سيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح العجل فانه سمين فلم يهون علي ان اذبحه وامرت الراعي ان يأخذه فاخذه وتوجه به ففي ثاني اليوم انا جالس واذا بالراعي مقبل الى عندي وقال يا سيدي اقول لك شيا تسر به ولي البشارة فقلت نعم فقال ايها التاجر ان لي بنتا وكانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كان بالامس واعطيتني العجل دخلت عليها فنظرت اليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت يا ابت نقص قدري عندك حتى انك تدخل علي الرجال الاجانب فقلت لها واين الرجال الاجانب ولما ذا بكيت وضحكت فقالت لي ان هذا العجل الذي معك ابن استاذنا وهو مسحور وقد

سحرته زوجة ابيه هو وامه فهذا سبب ضحكي واما سبب بكائي فمن اجل امه كيف ذبحها ابوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت اليك اعلمك فلما سمعت ايها الجني هذا الكلام من الراعي خرجت معه وانا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى ان اتيت الى داره فترحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم ان العجل جاء الي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي أحق ما تقوليه عن ذلك العجل قالت نعم يا سيدي انه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها ايتها الصبية ان انت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد ابيك من المواشي والاموال فتبسمت وقالت يا سيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين الاول ان تزوجني به والثاني ان اسحر من سحرته واحبسها والا فلست آمنة من مكرها فلما سمعت ايها الجني كلام بنت الراعي فقلت ولك فوق ما طلبت جميع ما تحت يد ابيك من الانعام والاموال واما بنت عمي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي اخذت طاسة وملأتها ماء ثم انها عزمت عليها ورشت به العجل وقالت له ان كنت عجلا وانت على خلقة الله تعالى دم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورا فعد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض وصار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احك علي ما صنعت بك بنت عمي وبأمك فحكى علي ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد بعث الله لك من خلصك وخلص حقك ثم اني ايها الجني زوجت ابنة الراعي به ثم انها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وقالت لي هذه صورة جميلة ليست بصورة وحشية يكره النظر اليها ثم ان بنت الراعي اقامت عندنا اياما ولياليا وليالي واياما حتى اختارها الله اليه وبعد ان توفيت سافر ابني الى بلاد الهند وهي بلاد هذا الرجل الذي جرى لك معه ما جرى فعند ذلك اخذت الغزالة بنت عمي

وسرتُ بها من بلد الى بلد أُبصر خبر ولدي حتى ساقتني المقادير الى هذا
المكان ورأيت التاجر جالسا يبكي وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث
عجيب وقد وهبتُ لك ثلث دمه فعند ذلك تقدّم الشيخ الثاني صاحب
الكلبين السلوقيين وقال للجني ان حكيتُ لك ما جرى لي مع اخوتي هذين
الكلبين ورايتها اغرب حكاية واعجب تهبُ لي ثلث ذنبه فقال له ان كانت
حكايتك اعجبُ واغربُ فلك ذلك فقال له الشيخ اعلم يا سيد ملوك الجان
ان هذين الكلبين اخوتي وانا ثالثهم ومات والدي وخلّف لنا ثلاثة آلاف
دينار ففتحت انا دكانا ابيع فيه واشتري وكذلك الاخوان كلٌّ واحد فتح دكاناً
فما قعدت كثيرا الا واخي الكبير احدُ هولاء الكلبين باع متاع دكانه
بالف دينار واشترى بضائع وسفرا وسافر فغاب عنّا سنة كاملة وانا يوما
في دكاني اذ وقف عليّ سائل فقلت يفتح الله فقال لي وقد بكى ما بقيت
تعرفني فحققته واذا به اخي فقمت ورحّبت به وطلعت به الى الدكان
فسألته عن حاله فاجابني لا تسأل لان المال مال والحال حال فقمت ادخلته
الحمام والبسته بذلة من ملابسي واطلعته عندي ثم كشفت حسابي وربح
دكاني فوجدت قد كسبت الف دينار وراس مالي الفي دينار فقسمته بين
اخي وبيني وقلت له احسب انك ما سافرت ولا تغربت فاخذها وهو
فرحان وفتح له دكانا وقمتُ اياماً وليالي ثم بعد ذلك قام اخي الثاني
وهو الكلب الآخر باع ما كان عنده وجميع ماله واراد السفر فمنعناه فلم
يمتنع فاشترى تجارة وسافر مع الاسفار وغاب عنّا سنة كاملة ثم انه اتاني
كما اتى اخوه الكبير فقلت له يا اخي أما نصحتك بان لا تسافر فبكى وقال يا
اخي هذا مقدورها انا فقير لم املك الدرهم الفرد عريان ما عليّ القميص
فاخذته ايها الجني وادخلته الحمام والبسته بذلة جديدة من ملابسي
ومشيت به الى دكاني واكلنا وشربنا وبعده قلت له يا اخي [illegible] حسابي

دكاني في كل راس سنة مرة والذي اراه زائدا هو بيني وبينك فيهت ايّها العفريت وعملتُ حساب دكاني فرأيت الفي دينار فحمدتُ الباري سبحانه وتعالى فاعطيت اخي الفاً وبقيَ معي الفٌ فقام اخي وفتح دكانًا وقعدنا جملةَ ايام ثم بعد مدة قاموا عليّ اخوتي و ارادوا ان اسافر و ايّاهم فلم افعل وقلت لهم ايش كسبتم انتم في سفركم حتى أكسِبَ انا فما سمعت منهم واقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري وهم يعرضون عليّ السفرَ كل سنة و انا لا ارضى حتى مضت لنا ستةُ سنين فانعمت لهم بالسفر و قلت لهم يا اخوتي ها انا مسافر معكم ولكن هاتوا لكَي ننظر ايشْ معكم من المال فلم اجد معهم شيًا بل ودروا كل شي لانهم كانوا متعكفين على الأكل و الشُرب والمَلَذّات فما كلمتُهم ولا قلت لهم شيًا بل قمت عملت حساب دكاني و خلّيت ما عندي من المال وكل ماكان عندي من البضائع فوجدت معي ستّةَ آلاف دينار ففرحت وقمت قسمتها نصفين وقلت لهم هذه ثلثة آلاف دينار لي ولكم لكي نتاجر بها وقمت دفنت الثلثة آلاف دينار الاخرى احتمالاً ان يجري عليّ ما جرى عليهم فاجيُ ابقى ثلثة آلاف دينار نفتح بها دكاكيننا و ارتضوا كلهم فاعطيتُ كلواحد الف دينار وبقي لي مثلهم الف دينار فتحوجنا البضائعُ الواجبة وجهّزنا للسفر و اكرينا مركباً وكَلفنا فيه حوايجنا و سافرنا اول يوم و ثاني يوم مدة شهر كامل فدخلنا مدينة ومعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير واردنا نسافر فوجدنا على شاطي البحر جارية عليها خلقةٌ مقطّعة فقبلتْ يدي وقالت يا سيدي هل فيك حسنة و معروف أجازيك عليهما قلت نعم اني أحِبُّ الحسنةَ والمعروف و ان لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوّجني و خذني بلادك فاني قد وهبت نفسي لك فافعلْ معي معروفا واما انا ممن يُفعل معه المعروف والحسنة واجازيك عليهما ولا يغرّنّك حالي فلما سمعت

كلامها حنّ لها قلبي لامرٍ يريده الله عزّ وجلّ فاخذتُها وكسوتها وفرشتُ لها في المركب فرشا حسنا واقبلتُ عليها واكرمتها وسافرنا وقد احبّها قلبي محبّة عظيمة وصرتُ لا افارقها ليلا ولا نهارا واشتغلتُ بها عن اخوتي فغاروا منّي وحسدوني على مالي وكثرة بضاعتي فسهرت عيونهم في المال جميعه فتحدّثوا في قتلي واخذِ مالي وقالوا نقتل اخانا ويصير المال جميعه لنا وزيّن لهم الشيطان اعمالهم وخلّوني وانا نائم بجانب زوجتي وحملوني وزوجتي ورمونا في البحر فلما استيقظتْ زوجتي وقد انتفضت فصارت عفريتةً وحملتني وطلعتني على جزيرة وغابت عنّي قليلا وعادت عند الصباح وقالت ها انا جاريتك انا التي حملتك ونجّيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم انّي جنّية رأيتك فحبّك قلبي للّه وانا مومنة بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلّم) فجئتك بالذي رأيتني فيه فتزوّجتَ بي وها انا قد نجّيتك من الغرق وقد غضبتُ على اخوتك ولابدّ ان اقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتُها على فعلها وقلت لها اما هلاك اخوتي فلا ثم حكيت لها على ما جرى لي معهم من اوّل الزمان الى آخره فلما عرفت قالت انا في هذه الليلة اطيرُ اليهم واُغرِق مركبهم واُهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلي فان المثل يقال يا محسن لمن اساء كفى المسيء فعلُه وهما اخوتي على كل حال قالت والله لابدّ لي من قتلهم فتدخّلت عليها ثم انها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحت الابواب واخرجت الذي خبّيته تحت الارض وفتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان العشاء رجعت الى بيتي فوجدتُ هذين الكلبين مربوطين في داري فلما رأوني قاموا اليّ وبكوا وتعلّقوا بي فلم اشعر الّا وزوجتي قالت هولاء اخوتك فقلت ومن فعل بهم هذا الفعل قالت انا ارسلت الى اختي ففعلت بهم ذلك

و ما يتخلّصوا الّا بعد عشر سنوات فجيت و انا سائر اليهم ... بعد اقامتهم عشر سنوات في هذه الحال فرأيت هذا الفتى فاخبرني بما جرى له فاردت ان لا ابرح حتى انظر ما يجري بينك و بينه و هذه قصتي فقال الجني انها حكاية عجيبة و قد وهبت لك ثلث دمه و جنايته قال الشيخ الثالث صاحب البغلة انا احكي لك حكاية اعجب من الاثنين و تهب لي باقي دمه وجنايته ايّها الجني قال نعم فقال الشيخ ايّها السلطان و رئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي فسافرت و غبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري و جيت اليها في الليل فرأيت عبدا اسود راقدا معها في الفراش وهم في كلام وغنج وضحك و بوس وهراش فلما رأتني عجلت وقامت اليّ بكوز فيه ماء فتكلمت عليه و رشّتني وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت في الحال كلبا فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم ازل اسير حتى وصلت الى دكان جزار فتقدمت و صرت آكل من العظام فلما رآني صاحب الدكان اخذني و دخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزّار غطّت وجهها منّي وقالت تجيء لنا برجل و تدخل به علينا فقال ابوها اين الرجل قالت هذا الكلب رجل سحرته امرأته و انا اقدر اخلّصه فلما سمع ابوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلّصيه فاخذت كوزا فيه ماء و تكلّمت عليه و رشّت عليّ منه قليلا وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فعدت الى صورتي الاولى فقبّلت يدها و قلت لها اريد ان تسحري زوجتي كما سحرتني فاعطتني قليلا من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة رشّ هذا الماء عليها و تكلم معها بكلام اردته فانها تصير بما انت طالب فاخذت الماء و دخلت الى زوجتي فوجدتها نائمة فرشّيت عليها الماء وقلت اخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة و هي هذه التي تنظرها بعينك ايّها السلطان و رئيس

ملوك الجان وقال لها صحيح فهزّت راسها وقالت بالاشارة يعني إي والله هذا حديثي وما جرى لي فلما فرغ من حديثه اهتزّ الجني من الطرب ووهب له ثلث دمه فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختي ما احلى حديثك واطيبه والذّه واعذبه فقالت واين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك والله لا اقتلها حتى اسمع بقيّة حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك محل حكمه وطلع العسكر والوزير واحتبك الديوان فحكم الملك وولّى وعزل ونهى وامر الى آخر النهار فانفضّ الديوان فدخل الملك شهريار الى قصره فلما اقبل الليل قضى حاجته من بنت الوزير

فلما كانت الليلة الثالثة قالت لها اختها دنيازاد يا اختي اتمّي لنا حديثك فقالت حبًّا وكرامة بلغني ايّها الملك السعيد ان الشيخ الثالث قال للجني حكاية اعجب من الحكايتين فتعجب الجني غاية العجب واهتزّ من الطرب وقال قد وهبت لك باقي جنايته واطلقته لكم فاقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنّوه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذا باعجب من حكاية الصيّاد

حكاية الصيّاد

قال وكيف ذلك قالت بلغني ايّها الملك السعيد انه كان رجلا صيّادا وكان طاعنًا في السن وله زوجة وثلثة اولاد وهو فقير الحال وكان من عادته انه يرمي شبكته كل يوم اربع مرّات لا غير ثم انه خرج يومًا من بعض الايام في وقت الظهر واتى الى شاطي البحر وحطّ مقطفه وطرح شبكته

و خاض في البحر و طرح شبكته و صبر الى ان استقرت في الماء فجمع خيطانها فوجدها ثقلت فجذبها فلم يقدر على ذلك فجاء بالطرف للبر و دق وتدا و ربطها و تعرى و غطس في الماء حول الشبكة و مازال يعالج حتى اطلعها ففرح وطلع ولبس ثيابه واتى الى الشبكة فوجد فيها حماراً ميتا و قد خرق الشبكة فلما رأى ذلك حزن و قال لا حول و لا قوة الاّ باللّه العليّ العظيم ثم ان الصياد قال ان هذا الرزق عجيب و انشد يقول

يَا خَائِضًا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَ الْهَلَكَهْ   اقْصِرْ عَنَاكَ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَهْ
اَ مَا تَرَى الْبَحْرَ وَ الصَّيَّادَ مُنْتَصِبًا   لِرِزْقِهِ وَ نُجُومُ اللَّيْلِ مُحْتَبِكَهْ
قَدْ خَاضَ فِي وَسْطِهِ وَ الْمَوْجُ يَلْطِمُهُ   وَ عَيْنُهُ لَمْ تَزَلْ فِي كَلْكَلِ الشَّبَكَهْ
حَتَّى اِذَا بَاتَ مَسْرُورًا بِلَيْلَتِهِ   بِالْحُوتِ قَدْ شَقَّ سَفُّودُ الرَّدَى حَنَكَهْ
ابْتَاعَهُ مِنْهُ مَنْ قَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ   سَالِمْ مِنَ الْبَرْدِ فِي خَيْرٍ مِنَ الْبَرَكَهْ
سُبْحَانَ رَبِّي يُعْطِي ذَا وَ يَحْرِمُ ذَا   هٰذَا يَصِيدُ وَ هٰذَا يَاكُلُ السَّمَكَهْ

ثم قال هَيًّا لا بد من كرامة ان شاء الله تعالى و انشد يقول

وَ اِذَا بُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَالْبَسْ لَهَا   صَبْرَ الْكَرِيمِ فَاِنَّ ذٰلِكَ اَحْزَمُ
لَا تَشْكُوَنَّ اِلَى الْعِبَادِ فَاِنَّمَا   تَشْكُوا الرَّحِيمَ اِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

ثم خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها و خاض البحر وقال بسم الله و طرحها و صبر عليها حتى استقرت فثقلت و رسخت اكثر من الاول فظن انه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل و غطس الى ان خلصها و عالج الى ان طلعها على البرّ فوجد فيها زيرا كبيرا و هو ملآن رمل وطين فلما رأى ذلك تأسف و انشد يقول

يَا حِرْفَةَ الدَّهْرِ كُفِّي إِنْ لَمْ تَكُفِّي فَعُفِّي
خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي وَجَدْتُ رِزْقِي تُوُفِّي
كَمْ جَاهِلٍ فِي الثُّرَيَّا وَعَالِمٍ فِي الثَّرَا مَخْفِي

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله تعالى وعاد الى البحر ثالث مرة و رمى الشبكة و صبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافا وقوارير وعظاما فاغتاظ جدا و بكى و انشد يقول

هُوَ الرِّزْقُ لَا حَلٌّ لَدَيْكَ وَلَا رَبْطٌ. وَلَا أَدَبٌ يُعْطِيكَ رِزْقًا وَلَا خَطٌّ
وَ لَا الْحَظُّ وَ الْأَرْزَاقُ إِلَّا مُقَسَّمٌ فَأَرْضٌ بِهَا خِصْبٌ وَأَرْضٌ بِهَا قَحْطٌ
تَحُطُّ صُرُوفُ الدَّهْرِ كُلَّ مُهَذَّبٍ وَتَرْفَعُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ لَهُ الْحَظُّ
فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الْحَيٰوةَ ذَمِيمَةٌ إِذَا انْحَطَّتِ الْبَازَاتُ وَارْتَفَعَ الْبَطُّ
فَلَا عَجَبًا إِنْ كُنْتَ عَايَنْتَ فَاضِلًا فَقِيرًا وَذَا نَقْصٍ بِدَوْلَتِهِ يَسْطُو
فَطَيْرٌ يَطُوفُ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَآخَرُ يُعْطَى الطَّيِّبَاتِ وَلَا يَخْطُو

ثم انه رفع راسه الى السماء و قال اللهمّ انك تعلم اني لم ارم شبكتي كل يوم الا اربع مرّات وقد رميت ثلاثا ولم يأتني شئ فارزقني اللهمّ في هذه المرة برزقي ثم انه سمّى اللّهَ و رمى الشبكة في البحر وصبر الى ان استقرت و جذبها فلم يُطِق جذبها و اذا بها اشتبكت في الارض فقال لا حول ولا قوة الّا باللّه ثم انشد

أُفٍّ لِلدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ كَذَا أَنَا فِيهَا فِي بَلَاءٍ وَأَذَى
إِنْ صَفَا عَيْشُ امْرِئٍ فِي صُبْحِهَا جَرَّعَتْهُ مُمْسِيًا كَأْسَ الرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ أَنْعَمُ الْعَالَمِ عَيْشًا قِيلَ ذَا

وتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها الى ان طلعت على البر ففتح
الشبكة فوجد فيها قمقم نحاس اصفر ملآن و فمه مختوم برصاص عليه
طبع خاتم سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام فلما رآه الصياد فرح
وقال هذا ابيعه في سوق النحاس فانه يساوي عشرة دنانير ذهب ثم انه
حركه فوجده ثقيلا و وجده مسدودا فقال في نفسه يا ترى ايش في هذا
القمقم افتحه و انظر ما فيه و بعده ابيعه ثم انه اخرج سكينا و عالج في
الرصاص الى ان فكه من القمقم و حطه الى جانب الارض وهزه لينكب ما
فيه فلم ينزل منه شيء فتعجب غاية العجب ثم انه خرج من القمقم دخان
صعد الى عنان السماء و مشى على وجه الارض و بعد ذلك تكامل
الدخان و اجتمع والتم و انتفض فصار عفريتا راسه في السحاب ورجلاه
في التراب براس كالقبة بايد كالمداري برجلين كالسواري بفم كالمغار
و اسنان كالحجارة و مناخير كالابريق و عينين كانهما سراجين اعبس
اغلس فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه و تشبكت اسنانه
و نشف ريقه و عمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا الله
سليمان نبي الله ثم قال العفريت يا نبي الله لا تقتلني فاني لا عدت
اخالف لك قولا و لا اعصي لك امرا فقال له الصياد ايها المارد تقول
سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة الف و ثمانمائة سنة و نحن
في آخر الزمان فما قصتك و ما حديثك و ما سبب دخولك في هذا
القمقم قال فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا الله ابشر يا صياد
فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة شر قتلة قال
الصياد تستاهل على هذه البشارة يا قيم العفاريت بزوال الستر عنك يا
بعيد لاي شيء تقتلني واي شيء يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم
ونجيتك من قرار البحر و طلعت بك الى البر فقال العفريت تمن علي

ايّ موتة نموت بها و انيّ قتلة تقتل بها فقال الصياد ما ذنبي و ما جزائي منك قال العفريت اسمع حكايتي يا صياد قال الصياد قل و اوجز في الكلام فانّ روحي وصلت الى اَلْفَمِ فقال اعلم يا صياد اني من الجنّ المارقين وقد عصيت سليمان بن داوُد عليهما السلام انا و صخرالجني فارسل لي وزيره آصف بن برخيا فاتى بي كرها وقادني وانا ذليل على رغم انفي واوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ منّي واعرض عليّ الايمان والدخول تحت طاعته فابيت فدعا بهذا القمقم وحبسني فيه و ختم عليّ بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وامر الجنّ فاحتملوني والقوني في وسط البحر فاقمت مأية عام وقلت في قلبي كل من خلصني اَغْنَيْتُه الى الابد فمرّت مأية عام ولم يخلصني احد ودخلت عليّ مأية اخرى فقلت كل من خلصني فتحت له كنوز الارض فما خلصني احد فمرّ عليّ اربعمأية عام اُخَر فقلت كل من خلصني اقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني احد فغضبت غضبا شديدا وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة قتلته و منّيته كيف يموت و ها انت قد خلصتني و منّيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا لِلّه العجبُ انا ما جئت اخلصك الا في هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلي يعف اللّه عن قتلك و لا تُهلِكني يُسلّط اللّه عليك من يُهلِكك فقال المارد لابد من قتلك فتمنّ عليّ ايّ موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني اكراماً لما اعتقتك فقال العفريت و انا ما اقتلك الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت اَصْنَعُ معك مليحا وتُقابِلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثلُ حيث قال هذا الشعر

فعلنـــا جميـلاً قابلـونا بضـدّه وهذا لعمري من فعال ...
ومن يفعل المعروف مع غير اهله يجازى كما جوزي مجير ام عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطل فلابدّ من موتك فقال الصياد هذا جنيّ وانا انسيّ وقد اعطاني الله عقلا كاملا وها انا ادبّر في هلاكه بحيلتي وبعقلي وهو يدبّر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت لابدّ من قتلي قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام اسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتزّ وقال له سل واوجز فقال له انت كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلّك فقال له العفريت وانت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا اصدقك ابدا حتى انظرك بعينيَ فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الرابعة قالت لها اختها اتمّي لنا حديثك ان كنت غير نايمة فقالت بلغني ايّها الملك السعيد ان الصياد قال للعفريت لا اصدّقك ابدا حتى انظرك بعينيَ ثم قد انتفض العفريت وصار دخانا على البحر واجتمع ودخل القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد اسرع واخذ سدادة الرصاص المختومة وطبعها على فم القمقم ونادى على العفريت وقال له تمنّ عليّ ايّ موتة تموتها والله لارمينّك في هذا البحر وابني لي هنا بيتا وكل من اتى هنا امنعه ان يصطاد واقول له هنا عفريت كل من طلع به يمنّيه كيف يموت وكيف يقتله فلما سمع العفريت كلام الصياد ورأى نفسه محبوسا واراد الخروج فلم يقدر ومنعه خاتم سليمان وعلم ان الصياد تحايل عليه فقال انا كنت امزح

معک فقال له الصياد تكذب يا احقر العفاريت و اقلها و اصغرها ثم ان الصياد اخرج القمقم الی جانب البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد اي اي و رقّق المارد كلامه و تخضّع وقال ما تريد تصنع بي يا صياد قال القيک في البحر ان كنت اقمت فيه الفا و ثمانماٰية سنة فانا اخلّيک تمكث فيه الی ان تقوم الساعة انا ما قلت لک ابقني يبقک اللّه و لا تقتلني يقتلک اللّه فابيت قولي وما اردت الّا ان تغدر بي فارماک اللّه في يدي فغدرت بک فقال العفريت افتح لي حتی احسن اليک فقال له الصياد تكذب يا ملعون انا مثلي و مثلک مثل وزير الملک يونان و الحكيم دوبان فقال العفريت و ما وزير الملک يونان و الحكيم دوبان و ما قصّتهما فقال الصياد اعلم ايّها العـــــــــفريت

حكاية وزير الملک يونان

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر و الاوان في مدينة الفرس و ارض رومان ملک يقال له يونان وكان ذو مال وجنود وهيبة و اعوان من سائر الاجناس وكان في جسده برص وقد اعيی الاطباء والحكماء فيه و شرب ادوية و سفوفا ودهانا فلم ينفعه من ذلک شي و ما احد من الاطباء قدر ان يبريه وكان قد دخل الی مدينة الملک يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم دوبان وكان قد قرأ الكتب اليونانية و الفارسية و الرومية و العربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعلم ناسيس حكمتها و قواعد امورها و منفعتها و مضرّتها و علم جميع النباتات و الحشائش و الاعشاب المضرّة و النافعة وعلم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبيّة و غيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة واقام بها اياما قلائل سمع خبر الملک و ما جری له في بدنه من البرص الذي ابتلاه اللّه به وقد عجزت عن مداواته الاطبا

واهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح لبس الحكيم افخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم واحسن ما به تكلم واعلمه بنفسه فقال ايّها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك وانّ كثيرا من الاطباء ما عرفوا الحيلة في ذهابه وها انا اداويك ايّها الملك ولا اسقيك دواءا ولا ادهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان ابرأتني اغنيك لولد الولد وانعم عليك وكلما تمنّيته فهو لك وتكون نديمي وحبيبي ثم انه اخلع عليه واحسن اليه وقال له تبرئني من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم ابرئك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له ايّها الحكيم الذي ذكرته لي يكون في اي الاوقات واي الايّام فاسرع يا ولدي قال له سمعا وطاعة يكون غدا ثم نزل الى المدينة واكرى له بيتا وحطّ فيه كتبه وادويته وعقاقيره ثم استخرج الادوية والعقاقير وجعله جوكانا وجوّفه وعمل له قبضة وصنع له اكرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك في اليوم الثاني ودخل عليه وقبّل الارض بين يديه وامره ان يركب الى الميدان وان يلعب بالاكرة والصولجان وكان معه الامراء والحجّاب والوزراء وارباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتى دخل عليه الحكيم دوبان وناوله الجوكان وقال له خذ هذا الجوكان واقبض عليه مثل هذه القبضة وسوّق في الميدان وتمطأ جيّدا واضرب الاكرة حتى يعرق كفّك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في جسدك فاذا فرغت وحاق الدواء فيك فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمّام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك اخذ الملك يونان الجوكان من الحكيم ومسّكه بيده وركب الجواد ورمى الاكرة بين يديه وساق

خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وقد قبض كفه على قبضة الجوكان ومازال يضرب الأكرة و يسوق خلفها و يضربها حتى عرق كفه و سائر بدنه و سرى الدواء من القبضة و عرف الحكيم دوبان ان الدواء سرى في جسده فامره بالرجوع الى قصره و دخول الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته و امر ان يخلوا له الحمام فاخلوه له وتسارعت اليه الفراشين و تسابقت المماليك وعبّوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسلا جيّدا ولبس ثيابه من داخل الحمام وخرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من امر الملك يونان و امّا ما كان من امر الحكيم دوبان فانه رجع الى داره وبات فلما اصبح الصباح طلع الى الملك واستاذن عليه فامره بالدخول فدخل وقبّل الارض بين يديه و اشار الى الملك بهذه الابيات و انشد مترنّما يقول

سمت الفضائل اذ دعيت لها ابا ... و اذا دعي يوما سواك لها ابى
يا صاحب الوجه الذي انواره ... تمحو من الخطب الجسيم غياهبا
مازال وجهك مشرقا متهللا ... اذ لم يزل وجه الزمان مقطبا
اوليتني من فضلك المنن التي ... فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
و رميت مالك بالندا في مهلك ... حتى بلغت من المعالي ماربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه و اعتنقه و اجلسه بجنبه و اخلع عليه الخلع السنية وكان الملك لما خرج من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيا من البرص وصار جسده نقيا مثل الفضة البيضاء ففرح الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما اصبح الصباح ودخل الي الديوان و جلس على سرير ملكه قامت اليه الحجّاب و اكابر الدولة و دخل عليه الحكيم دوبان فلما رآه قام اليه مسرعا و اجلسه بجانبه

و اذا بموائد الطعام الفاخرة وضعت فاكل صحبته و ما زال عنده ينادمه طول
نهاره فلما اقبل الليل اعطى الحكيم دوبان الفين دينارا غير الخلع و
الانعام و اركبه جواده فانصرف الى داره و الملك يونان يتعجب من صنعه
و يقول هذا داواني من ظاهر جسدي ولا دهنني بدهان فو الله ما هذه
الا حكمة بالغة فيجب لهذا الرجل الانعام و الاكرام واتخذه جليسا و انيسا
مدى الزمان و بات الملك يونان مسرورا فرحان بصحة جسمه و خلاصه
من مرضه فلما اصبح خرج الملك يونان و جلس على كرسيه و وقفت
ارباب دولته و جلست الامراء و الوزراء عن يمينه و يساره فعند ذلك طلب
الملك يونان الحكيم دوبان فدخل عليه و قبل الارض بين يديه فقام له
الملك و اجلسه بجانبه و اكل معه و حياه و اخلع عليه و اعطاه و لم يزل
يحدثه الى ان اقبل الليل فرسم له بخمس خلع و الف دينار ثم انصرف
الحكيم الى داره و هو شاكر من الملك فلما اصبح الصباح خرج الملك الى
الديوان و قد احدقت به الامراء و الوزراء و الحجاب قال الراوي و كان
للملك وزير بشع المنظر نحس لئيم بخيل حسود و هو يحب الحسد
فلما رأى الوزير الملك قرب الحكيم دوبان واعطاه هذا الانعام حسده
الوزير و اضمر له الشر كما قيل في المعنى ما خلا جسد من حسد و قالوا
الظلم كمين في النفس القوة تظهره و الضعف يخفيه ثم ان الوزير تقدم
الى الملك يونان و قبل الارض بين يديه و قال له يا ملك العصر
والاوان انت الذي نشأت في احسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فان
اخفيتها منك اكون ابن زنا فان امرتني ان ابديها ابديتها لك فقال
الملك و قد ازعجه كلام الوزير و ما نصيحتك فقال ايها الملك الجليل قالت
القدماء من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب و قد رأيت الملك
على غير صواب و قد انعم على عدوه و على من يطلب زوال ملكه و قد

احسن اليه واكرمه غاية الاكرام وقرّبه غاية القرب وانا اخشى على الملك فقال له الملك وقد انزعج وتغيّر لونه عمن تزعم والى من تشير قال له الوزير ان كنت نائما استيقظ فانا اشير الى الحكيم دوبان فقال الملك ويلك هذا صديقي وهو اعز الناس عندي لانه داواني بشيء قبضته بيدي وابرائي من مرضي الذي عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله في هذا الزمان ولا في الدنيا غربا ولا شرقا وانت تقول عنه هذا المقال وانا من اليوم ارتّب له الرواتب والجرايات واعمل له في كل شهر الف دينار ولو قاسمته في ملكي لكان قليلا وما اظنّ انك تقول ذلك الّا حسدا كما بلغني عن الملك السندباد فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة قالت لها اختها اتمي لنا حديثك ان كنت غير نائمة فقالت بلغني ايّها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره ايّها الوزير انت داخلك الحسد من اجل هذا الحكيم وتريد قتله وبعد ذلك اندم كما ندم الملك السندباد على قتل الباز فقال الوزير العفو يا ملك الزمان وكيف كان ذلك فقال الملك

حكاية الملك السندباد

حكي والله اعلم انه كان ملك من ملوك الفرس وكان يحبّ الفرح والتنزّه والصيد والقنص وكان مربّي باز لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان طول الليل شائله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وعامل له طاسة من الذهب معلّقة في رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بامير الرخّه يقول يا ملك الزمان هذا اوان الخروج للصيد فامر الملك بالخروج واخذ البازعلى يده وساروا الى ان وصلوا الى واد وضربوا حلقة الصيد واذا بغزالة وقعت في حلقة الصيد فقال الملك كل من

نطّت الغزالة فوق دماغه قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد و اذا بالغزالة
دخلت لبيت الملك وثبتت على رجليها و حطّت يديها على صدرها
كانها تبوس الارض للملك فطاطاء الملك للغزالة ففرّت من فوق دماغه
راحت للبرّ فظل الملك رأى العسكر يتغامزون عليه فقال يا وزير ما ذا يقول
العسكر فقال يقولون انك قلت كل من نطّت الغزالة فوق راسه يقتل
فقال الملك و حيات راسي لاتّبعها حتى اجي بها فطلع الملك تابع
الغزالة و لم يزل وراءها الى جبل من الجبال فارادت ان تعبر الغار
فسيّب الباز وراءها فصار يلطشها في عينيها الى ان اعماها و دوّخها
فسحب الملك دبّوساً و ضربها قلبها و نزل ذبحها و سلخها وعلّقها في
قربوس السرج وكانت ساعة قيالة وكانت الغابة مُقفِرة لم يوجد فيها
ماء فعطش الملك و عطش الحصان فدوّر الملك فرأى شجرة نازلا منها
ماء مثل السمن وكان الملك لابسَ كفوف من جلد السرادق فاخذ
الطاسة من رقبة الباز وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه و اذا
بالباز لطس الطاسة قلبها فاخذ الطاسة ثانيا واخذ النِفط النازلة حتى
ملأها وظن انّ الباز عطشان فوضعها قدامه فلطسها قلبها فانقبض
الملك من الباز وقام ثالث مرة وملاء الطاسة وقدّمها للحصان فقلبها
الباز بجناحه فقال الملك اللّه يخيبك يا ايشم الطيور احرمتني من الشرب
واحرمت نفسك واحرمت الحصان و ضرب الباز بالسيف رمى اجنحته
فصار الطير يقيم راسه و يقول بالاشارة انظر اللذي فوق الشجرة فقام
الملك عينهُ فرأى فوق الشجرة فرخ آفة وهذا سمّها فندم الملك على
قصّ اجنحة الباز وقام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة الى ان وصل
الى الوِطَاق بمتاعه فاعطى الغزالة الى الطبّاخ وقال له خذ شوّها و جلس
الملك على الكرسي و البا زُ على يده فشَهِق البازمات فصرخ الملك حزنا

وآسفا على قتل الباز وكونه خلّصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلامَ الملك يونان قال له ايّها الملك العظيم الشان وما الذي فعله من الضرورة ولا رأيتُ منه سوءا وانما افعل هذا شفقة عليك ولاجل ان تعلم صحة ذلك والّا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك قال الملك يونان وكيف كان ذلك

حكاية الوزير المحتال

فقال الوزير اعلم ايها الملك ان وزيرا كان لبعض الملوك وكان له ولد مولع بالصيد والقنص وكان معه وزير لابيه قد امَره ابوه الملكُ ان يكون معه اينما توجه وقد كان يوما من بعض الايام خرج الولد الى الصيد والقنص وخرج معه وزير ابيه فساروا جميعا فنظروا الى وحشي كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحشي فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحشي في البرّية لا يعرف اين يروح ولا اين يسير واذا بجارية على راس الطريق وهي تبكي فقال لها ابن الملك من انت قالت انا بنت ملك من ملوك الهند وكنت في البرّية فادركني النعاس فوقعت من على الدابّة ولم اعلم بنفسي فصرت منقطعة حائرةً فلما سمع ابن الملك كلامها رثى لحالها وحملها على ظهر دابّته واردفها وسار حتى مرّ بخرابة فقالت له الجارية يا سيدي اريد ان ازيل ضرورة فانزلها الى الخرابة فعوّقت فاستبطأها فدخل خلفها وهو لا يعلم بها فاذا هي غولة وهي تقول لاولادها يا اولادي قد اتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ايتينا به يا امّنا حتى نرعاه في بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم ايقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولة

فرأته كالخائف الوجل و هو يرتعد فقالت له ما بالك خائف فقال ان لي عدوًّا و انا خائف منه فقالت الغولة انك تقول انا ابن ملك قال لها نعم قالت له ما لك لا تدفع لعدوّك شيًا من المال ترضيه به فقال لها انه لا يرضى بمال الّا بالروح و انا خائف منه و انا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم استعن بالله فانه يكفيك شرّه و شرّ ما تخاف منه فرفع ابن الملك راسه الى السماء و قال يا من يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء اللهمّ انصرني على عدوّي و اصرفه عنّي انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه و انصرف ابن الملك الى ابيه و حدّثه بحديث الوزير فادعى الملك بالوزير و قتله و انت ايّها الملك متى امنت لهذا الحكيم قتلك شرّ القتلات الذي قد احسنت اليه و قرّبته منك يعمل على هلاكك ا ما ترى انه ابراك من المرض من ظاهر الجسد بشيٍّ مسكته بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشيٍّ تمسكه ايضا فقال الملك يونان صدقت يا وزير و قد يكون كما ذكرت ايّها الوزير الناصح و ان هذا الحكيم اتى جاسوسا في طلب هلاكي و ان يكن ابرأني بشيٍّ مسكته بيدي يقدر ان يهلكني بشيٍّ اشمّه ثم ان الملك يونان قال لوزيره ايّها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل خلفه في هذا الوقت وَ اطلُبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفي شرّه و تستريح منه و اغدر به قبل ان يغدر بك فقال الملك يونان صدقتَ ايّها الوزير ثم ان الملك ارسل الى الحكيم فحضر و هو فرحان و لا يعلم ما قدّره الرحمٰن كما قال بعضهم في المعنى

يَا خَائِفًا مِنْ دَهْرِهِ كُنْ آمِناً سَلِّمْ أُمُورَكَ لِلَّذِي مَدَّ الثَّرَا

اِنَّ المُقَدَّرَ كَائِنٌ يَا سَيِّدِيْ ‌ ‌ ‌ ‌ فَلَكَ الاَمَانُ مِنَ الَّذِيْ مَا قُدِّرَا

فلما دخل الحكيم على الملك انشد يـــقـــول

اِذَا لَمْ اَقُمْ فِيْ بَعْضِ حَقِّكَ بِالشُّكْرِ ‌ ‌ ‌ ‌ فَقُلْ لِيْ لِمَنْ اَعْدَدتُ نَظْمِيَ اَوْ نَثْرِيْ

لَقَدْ جُدتَ لِيْ قَبْلَ السُّؤَالِ بِاَنْعُمٍ ‌ ‌ ‌ ‌ اَتَتْنِيْ بِلَا مَطْلٍ لَدَيْكَ وَلَا عُذْرِ

فَمَا لِيَ لَا اُعْطِيْ ثَنَاءَكَ حَقَّهُ ‌ ‌ ‌ ‌ وَاُثْنِيْ عَلَى جَدْوَاكَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ

سَاَذْكُرُ مَا اَوْلَيْتَنِيْ مِنْ صَنَائِعٍ ‌ ‌ ‌ ‌ يَخِفُّ بِهَا هَمِّيْ وَاِنْ اَثْقَلَتْ ظَهْرِيْ

و ايضا في المعنى

كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضَا ‌ ‌ ‌ ‌ وَكِلِ الْاُمُوْرَ عَلَى الْقَضَا

وَابْشِرْ بِخَيْرٍ عَاجِلٍ ‌ ‌ ‌ ‌ تَنْسَى بِهِ مَا قَدْ مَضَى

فَلَرُبَّ اَمْرٍ مُتْعِبٍ ‌ ‌ ‌ ‌ لَكَ فِيْ عَوَاقِبِهِ رِضَا

اَللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ‌ ‌ ‌ ‌ فَلَا تَكُنْ مُتَعَرِّضَا

و قال ايضا في المعنى

سَلِّمْ اُمُوْرَكَ لِلَّطِيْفِ الْعَالِمِ ‌ ‌ ‌ ‌ وَاَرِحْ فُؤَادَكَ مِنْ جَمِيْعِ الْعَالَمِ

وَاعْلَمْ بِاَنَّ الْاَمْرَ لَيْسَ كَمَا تَشَا ‌ ‌ ‌ ‌ بَلْ مَا يَشَاءُ اللّٰهُ اَحْكَمُ حَاكِمِ

و قال ايضا فى المعنى

طِبْ وَانْشَرِحْ وَانْسَ الْهُمُوْمَ جَمِيْعَهَا ‌ ‌ ‌ ‌ اِنَّ الْهُمُوْمَ تُزِيْلُ لُبَّ الْحَازِمِ

لَا يَنْفَعُ التَّدْبِيْرُ عَبْدًا عَاجِزًا ‌ ‌ ‌ ‌ فَاتْرُكْهُ تَسْلَمْ فِيْ نَعِيْمٍ دَائِمِ

فقال الملك للحكيم دوبان ا تعلم لما ذا احضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الّا اللّٰه تعالى فقال له الملك احضرتك لاقتلك و اعدم

روحك فتعجب الحكيم دوبان من تلك المقالة غاية العجب و قال ايّها الملك لما ذا تقتلني و ايّ ذنب بدا منّي فقال له الملك قد قيل لي انّك جاسوس و قد اتيت تقتلني و ها انا اقتلك قبل ان تقتلني ثم ان الملك صاح على السياف و قال له اضرب رقبة هذا الغدّار و ارحنا من شرّه فقال الحكيم للملك ابقني يبقك الله و لا تقتلني يقتلك الله ثم انه كرّر عليه القول مثل ما قلت لك ايّها العفريت و انت لا تدعني الاّ تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم دوبان انيّ لا آمن الاّ ان اقتلك فانك ابرأتني بشيءٍ مسكته بيدي فلا آمن ان تقتلني بشيءٍ اشمّه او غير ذلك فقال الحكيم ايّها الملك هذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لابدّ من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله لا محالة بكى و تأسف على ما صنع من الجميل مع غير اهله كما قال في المعنى

إنَّ مَيْمُونَةَ لَا عَقْلَ لَهَا ثِقَةْ وَ أَبُوهَا مِنْ ذَوِي الْعَقْلِ خُلِقْ
مَا مَشَى فِي يَابِسٍ أَوْ زَلَقْ مِنْ غَيْرِ تَدْبِيْرٍ الَّا زَلِقْ

و بعد ذلك تقدّم السيّاف و عصب عينيه و اشهر سيفه و قال اذن و الحكيم يبكي و يقول للملك ابقني يبقك الله و لا تقتلني يقتلك الله و انشد يقول

نَصَحْتُ فَلَمْ أُفْلِحْ وَ خَانُوا فَأَفْلَحُوا وَ أَوْرَثَنِي نُصْحِي لِدَارِ هَوَانِ
فَإِنْ عِشْتُ لَمْ أَنْصَحْ وَ إِنْ مِتُّ فَالْعَنُوا ذَوِي النُّصْحِ مِنْ بَعْدِي بِكُلِّ لِسَانِ

ثم ان الحكيم قال للملك هذا جزائي منك تجاريني مجازاة

التمساح فقال الملك و ما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني
ان اقولها و انا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يبقك الله ثم ان
الحكيم بكى بكاءا شديدا فقام بعض خواص الملك و قال ايّها الملك
هَبْ لي دمَ هذا الحكيم لانّنا ما رأيناه فعل معك ذنبا و ما رأيناه
الّا ابرأك من مرضك الذي اعيى الاطبّاء و الحكماءُ فقال لهم الملك
لم تعرفوا سببَ قتلي هذا الحكيمَ و ذلك لانّي ان ابقيته فانا هالك
لا محالة و من ابرأني من المرض الذي كان بي بشيٍ مسكته بيدي
فيمكن ان يقتلني بشيٍ اشمّه فانا اخاف ان يقتلني و ياخذ علىّ
البِرطيلَ لانه جاسوس و ما جاء الا ليقتلني فلابدّ من قتله و بعد
ذلك آمن على نفسي فقال الحكيم ابقني يُبقك الله و لا تقتلني
يقتلك الله فلما تحقق الحكيم ايّها العفريت ان الملك قاتله لا محالة
قال له ايّها الملك ان كان و لابدّ من قتلي فامهلني ان انزل الى
داري و اوصي اهلي و جيراني يدفنوني و ابرئُ نفسي و اَهَبُ كتب
الطب و عندي كتاب خاص الخاص اهديه لك هدية تدّخره في
خزانتك فقال الملك للحكيم و ما في ذلك الكتاب قال فيه شيٍ لا
يحصى و اقلّ ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت راسي و فتحت ثلث
ورقات و تقرأ ثلثة اسطر من الصفحة التي على يسارك فان الراس
يكلمك و يجاوبك بجميع ما سألته عنه فتعجب الملك غاية العجب
و اهتزّ من الطرب و قال له ايّها الحكيم اذا قطعت راسك تُكلّمني
قال نعم ايّها الملك فقال الملك هذا امر عجيب ثم ان الملك
ارسله في الترسيم فنزل الحكيم الى داره و قضى اشغاله في ذلك
اليوم و في اليوم الثاني طلع الحكيم الى الديوان و طلعت الامراء و
الوزراء و الحجّاب و النوّاب و ارباب الدولة جميعا و صار الديوان

كزهر البستان و اذا بالحكيم طلع للديوان و وقف قدام الملك في الترسيم و معه كتاب عتيق و مُكْحُلة فيها ذَرور و جلسْ و قال ايتوني بطبق فاتوه بطبق و كبّ فيه الذرور و فرشه و قال ايّها الملك خذ هذا الكتاب و لا تفتحه حتى تقطع راسي فاذا قطعته فاجعله في ذلك الطبق و امر بكبسه على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فانّ دمه ينقطع ثم افتح الكتاب ثم انّ الملك امر بضرب رقبته فاخذ الكتاب منه و قام السيّاف و ضرب رقبته فطاح الراس في وسط الطبق و كبسه على الذرور فانقطع دمه ففتح الحكيم دوبان عينيه و قال افتح الكتاب ايّها الملك ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحطّ اصبعه في فمه و عمل ريقه و فتح اول ورقة و الثانية و الثالثة و الورق ما ينفتح الّا بجهد ففتح الملك ستّة اوراق و نظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك ايّها الحكيم ما فيه شيٌ مكتوب فقال الحكيم افتح زيادة على ذلك ففتح ثلثة اخر فما كان الا قليل من الزمان الّا و الدواء حاق فيه لوقته و ساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك تزعزع الملك و صاح و قال حاق فيّ الدواء و انشد الحكيم دوبان يقول

تَحَكَّمُوا وَ اسْتَطَالُوا فِيْ تَحَكُّمِهِمْ ... وَعَنْ قَلِيلٍ كَانَّ الْحُكْمَ لَمْ يَكُنِ
لَوْ اَنْصَفُوا اُنْصِفُوا لٰكِنْ بَغَوْا فَبَغَى ... عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِالْاَحْزَانِ وَالْمِحَنِ
وَاَصْبَحُوا وَ لِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُهُمْ ... هٰذَا بِذَاكَ وَلَا عَتْبٌ عَلَى الزَّمَنِ

قال فلما فرغ راس الحكيم كلامه سقط الملك من وقته ميّتا فاعلم ايّها العفريت انه لو ابقى الملكُ يونان الحكيم دوبان لابقاه اللّٰه و لٰكن ابى و طلب قتله فقتله اللّٰه و انت ايّها العفريت لو ابقيتني

لابقاك الله فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة قالت لها اختها دنيازاد اتمي لنا حديثك فقالت ان اذن لي الملك فقال لها قولي قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصياد قال للعفريت لو ابقيتني كنت ابقيتك لكن ما اردت الا قتلي فها انا اقتلك بحبسك في هذا القمقم و القيك في هذا البحر فصرخ المارد و قال بالله عليك ايها الصياد لا تفعل و ابقني انت و لا تواخذني بعملي فاذا كنت انا مُسيأً كن انتَ محسنا و في الامثال السايرة يا مُحسنُ لمن اسَاء كفى المسئ فعله و لا تعمل كما عَلِمتْ اُمامةُ مع عَاتِكَة فقال الصياد و ما عملت امامة مع عاتكة فقال العفريت ما هذا وقت حديث و انا في هذا السجن حتى تطلقني و انا احدثك به فقال الصياد خل عنك هذا الكلام لا بد من القائكً في البحر و لا سبيل الى اخراجك ابدا فاني كنت اتدخل عليك و اتضرع اليك و انت لا تريد الا قتلي بغير ذنب استوجبه منك و لا فعلت معك سوأً ابدا و اني ما فعلت معك الا خيرا لكوني اخرجتك من السجن فلما فعلت معي ذلك علمت انك ردي الفعل و اعلم اني اذا رميتك في هذا البحر لاجل كل من طلعك يرميك ثاني مرة اُخبره بما جرى لي معك و احذره و نقيم في هذا البحر الى اخر الزمان حتى تهلك قال له العفريت اطلقني فهذا وقت المروة و انا اعاهدك لم اعص عليك ابدا و انفعك بشيٍ يغنيك قال فاخذ عليه الصياد العهدَ انه اذا اطلقه لا يوذيه الا انه يعمل معه الجميل فلما استوثق منه و حلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد القمقم فتصاعد الدخان حتى خرج و تكامل فصار عفريتا سويا فرفص القمقم رماه في البحر فلما راه الصياد رمى القمقم في

البحرْ ايقن بالهلاك و شرشر في ثيابه و قال هذه ليست علامة خير ثم انه قوّي قلبه و قال ايها العفريت قال الله تعالى و اُوْفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا و انت قد عاهدتني و حلفت انك لم تغدرني يغدرك الله فانه غيور يمهل و لا يهمل و انا قلت لك مثل ما قال الحكيم دوبان للملك يونان ابقني يبقك الله فضحك العفريت و مشى قدامه و قال ايها الصياد اتبعني فمشى الصياد وراءه و هو لم يصدق بالنجاة و مشى الى ان خرجوا الى ظاهر المدينة و طلع الى جبل و نزل الى بريّة متّسعة و اذا هما ببركة ماء فنزل في وسطها و قال للصياد اتبعني فتبعه الى وسط البركة فوقف العفريت و امر الصياد ان يطرح الشبكة و يصطاد فنظر الصياد الى البركة فرأى فيها السمك الملونَ الابيضَ و الاحمرَ و الازرقَ و الاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه اخرج شبكته و طرحها و جذبها فوجد فيها اربع سمكاتٍ كلّ بلونٍ فلما رأهم الصياد فرح فقال له العفريت ادخُلْ بهم الى السلطان و قدّمهم اليه فانه يعطيك ما يغنيك و بالله اقبل عذري فانني في هذا الوقت لم اعرف طريقا و انا في هذا البحر مدة الف و ثمانماية عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا في هذه الساعة و لا تصطاد من هذه البركة الا مرة واحدة كل يوم و ودعه و قال له لا توحّشني الله ثم دق الارض برجله فانشقت الارض و بلعته و مضى الصياد الى المدينة و هو متعجب مما جرى له مع العفريت و كيف كان ثم اخذ السمك و دخل الى منزله و اخذ ماجورا ثم ملأه ماءا و حط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور في الماء و حمل الماجور فوق راسه و قصد به قصر الملك كما امره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك و قدم له السمك فتعجب الملك غاية

العجب من ذلك السمك الذي قدمه الصياد و لا راي في عمره
صفته و لا شكله فقال الملك اعطوا هذه السمك للجارية الطباخة
قال وكانت هذه الجارية اهداها له ملك الروم منذ ثلثة ايام و هو
لم يجربها في طبيخ فامر الوزير ان تَقْلِيهم فقال لها يا جارية
الملك يقول لك ما نَبْتَليكِ يا دمعتي الا لشدتي فَرِّجينا اليومَ على
صنعتك و حسن طبيخك و ان السلطان اتى له واحد بهدية و رجع
الوزير بعد ما اوصاها و امره ان يَعطي الصياد اربعمائة دينار فاعطاه
الوزيرُ اياها فاخذها في حَجْره و راح يجري الى بيته و هو يقع و
يقوم و يعثر و يظن ان ذلك مناما ثم اشترى لعياله ما يحتاجون
اليه و دخل على زوجته و هو فرحان مسرور هذا ما كان من امر
الصياد و امّا ما كان من امر الجارية فانها اخذت السمك و نظفتها
و نصبت الطاجنَ ثم انها ارخت السمك فما هو الا استوي وجهه و
قلبته على الوجه الثاني و اذا بحائْط المطبخ قد انشق و خرجت منه
صبية مليحة القد اسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف و هي
لابسة كوفية حرير بهُدَّاب ازرق و في اذنيها حَلَق و في معاصمها
زوج اساور و في اصابعها خواتم بالفصوص الجواهر الثمينة و في
يدها قضيب من الخَيْزُران فغرزت القضيبَ في الطاجن و قالت يا
سمك انت على العهد مقيم فلما رأت الجاريه ذلك غُشيَ عليها و
الصبية اعادت القول ثانيا و ثالثا و السمك شالوا روُسَهم من الطاجن
و قالوا بلسان فصيح نعم نعم ثم انشد يـــــــــفــــــــول

اِنْ عُدتِّ عُدْنَا وَاِنْ وَافَيْتِ وَافَيْنَا وَاِنْ هَجَرْتِي فَانَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

فعند ذلك اَقْلَبت الصبية الطاجن و خرجت من موضع ما اتت و

التحم الحائط كما كان ثم افاقت الجارية من غشوتها فرأت الاربع سمكات محروقين مثل الفحم الاسود فقالت من اول غزوانه انكسرت عصاته و وقعت على الارض مَغْشياً عليها و فيما هي على هذا الحال اذ جاء الوزير فراها الدرديبس لا تعرف السبت من الخميس فحركها برجله فافاقت و بكت و اعلمت الوزير بالقصه و بالذي جرى فتعجب الوزير و قال ما هذا الا امر عجيب ثم انه ارسل خلف الصياد فاتوا به فصرخ عليه الوزير و قال له ايها الصياد جيْ لنا باربع سمكات مثل الذي جئت بها فخرج الصياد الى البركة و طرح الشبكة جذبها و اذا باربع سمكات مثلهم فاخذهم و جابهم الى الوزير فدخل بهم الوزير الى الجاربة و قال لها قومي اقليهم قدامي حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية و اصلحنهم و علقت الطاجن و طرحتهم فيه فما استقر السمك في الطاجن الا و الحائط قد انشق و الصبية ظهرت و هي في هيئتها الاولى و في يدها القضيب فغرزته في الطاجن و قالت يا سمك يا سمك انتم على العهد القديم مقيم و اذا بالسمك الجميع قد شالوا رؤسهم و قالوا هذا البيت السابق وهو

اِنْ عُدتِّ عُدْنَا وَاِنْ وَافَيْتِ وَافَيْنَا وَاِنْ هَجَرْتُمْ فَاِنَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما تكلم السمك و قلبت الصبية الطاجن بالقضيب و خرجت من موضع ما جاءت و التحم الحائط فعند ذلك قام الوزير و قال هذا امر لا يجب اخفاؤه على الملك ثم انه تقدم الى الملك و اخبره بالقصة و بما شاهده قداهه فقال الملك لا بد اني انظر بعيني فارسل

خلف الصياد و امره ان ياتي باربع سمكات مثل الأول ثم انه رسم
عليه ثلثة ثم ان الصياد نزل و اتى له بالسمك في الحال فامر
الملك ان يعطوه اربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير و قال
له قم انت و اقل السمك هنا قدامي فقال الوزير سمعا و طاعة
فاحضر الطاجن و هيأ السمك و ركب الطاجن على النار و رمى فيه
السمك و اذا بالحائط قد انشق و خرج منه عبد اسود كانه طود
من الاطواد او من بقية قوم عاد و في يده فرع من شجرة خضراء و
قال بكلام مزعج يا سمك يا سمك انتم على العهد القديم مقيمين
و السمك شالوا روسهم من الطاجن و قالوا نعم نعم نحن على العهد

اِنْ عُدتْ عُدْنَا وَإِنْ وَافَيْتَ وَافَيْنَا وَإِنْ هَجَرْتُمْ فَإِنَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

و اقبل العبد على الطاجن و قلبه بالغصن الذي في يده و خرج
من موضع ما اتى فنظر الوزير و الملك الى السمك فرأوه صار مثل
الفحم فاندهل الملك و قال هذا امر لا يمكن السكوت عنه و ان
هذا السمك له شان فامر الملك باحضار الصياد فلما حضر قال له
الملك ويلك من اين هذا السمك فقال له من بركة بين اربع
جبال تحت هذا الجبل الذي بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى
الصياد و قال مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف
ساعة فتعجب السلطان و امر بخروج العسكر و ركوب الجيش من
وقته و الصياد معه قدامه يلعن العفريت الى ان طلعوا الجبل و نزلوا
الى برية متسعة لم يروها مدة عمرهم و السلطان و جميع العسكر
يتعجبون فنظروا تلك البرية و البركة في وسطها بين اربع جبال و
السمك فيها اربعة الوان احمر و ابيض و اصفر و ازرق فوقف الملك

و تعجب و قال للعسكر و لمن حضر هل احد منكم رأى هذه البركة فقالوا ابدا يا ملك الزمان مدة عمرنا فسألوا من الطاعنين في السن فقالوا عمرنا ما رأينا هذه البركة في هذا المكان فقال الملك و الله لا ادخل مدينتي و لا اجلس على تخت ملكي حتى اعرف امر هذه البركة و هذا السمك ثم امر الناس بالنزول حول هذه الجبال ثم دعى بالوزير و كان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فحضر بين يديه فقال له اني احببت ان اعمل شيأ و اخبرك به و خطر ببالي ان اتفرد بنفسي في هذه الليلة و ابحث عن خبر هذه البركة و هذا السمك فاجلس انت على باب خيمتي و قل للامراء و الوزراء و الحجاب و النواب و كل من سأل عني ان السلطان متوعّك و امرني ان لا أُعطي احدا دُستورا بالدخول عليه و لا تعلم احدا بقصدي فما قدر الوزير ان يخالفه ثم ان الملك غير حُليته و تقلد بسيفه و تسلق من على واحد من الجبال و مشى بقية ليلة الى الصباح ثم مشى يومه كله و قد اشتد عليه الحر بمشيه يومه و ليلته ثم مشى الليلة الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعيد ففرح و قال لعلّي اجد من يخبرني بقضية البركة و السمك فتقرب فوجد قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد و بابه فردة مفتوحة و فردة مغلوقة ففرح الملك و وقف على الباب و دق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا و ثالثا فلم يسمع جوابا فدق دقا مزعجا فلم يجبه احد فقال لا شك انه خال فشجع نفسه و دخل من باب القصر الى دهليز و صرخ و قال يا اهل القصر رجل غريب و عابر سبيل هل عندكم شيٌ من الزاد و اعاد القول ثانيا و ثالثا فلم يسمع جوابا فقوى نفسه و ثبّت جَنانه و دخل من الدهليز الى وسط القصر فلم

يجد فيه احدا غير انه مفروش بالحرير و الاقطاع المكوكبة و الستائر المرخاة و في وسط القصر رحبة و اربعة اواوين و مصطبة و ايوان قبال ايوان و شاذروان و فسقية عليها اربع سباع من الذهب الاحمر تلقي الماء من افواهها كالدر و الجوهر و دائر القصر طيور و على القصر شبكة من الذهب تمنعهم من الطلوع و لم ير احدا فتعجب الملك و تاسف لكونه لم ير احدا يستخبر منه عن تلك البركة و البركة و السمك و الجبال و القصر ثم جلس بين الابواب يتفكر و اذا هو بانين من كبد حزين و هو يترنم و يقول شعر

أَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْكِ وَقَدْ ظَهَرْ   وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَرْ
يَا دَهْرُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَرْ   هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَرْ
مَا تَرْحَمُونَ عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ فِي   شَرْعِ الْهَوَى وَغَنِيَّ قَوْمٍ افْتَقَرْ
كُنَّا نَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْكُمُ   لَكِنْ إِذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ
مَا حِيلَةُ الرَّامِي إِذَا الْتَقَتِ الْعِدَا   فَأَرَادَ يَرْمِي السَّهْمَ فَانْقَطَعَ الْوَتَرْ
وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَى الْفَتَى   أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَضَا وَمِنَ الْقَدَرْ

فلما سمع السلطان الانين نهض قائما و تبع الحس فوجد سترا مرخى على باب مجلس فشال الستر فرأى خلفه شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع و هو شاب مليح بقد رجيح و لسان فصيح و جبين ازهر و خد احمر و شامة على كرسي خده كترس عنبر كما قال الشاعر

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ   نُمْسِي الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ   كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

ففرح الملك حين رآه و سلم عليه و الصبي جالس و عليه قباء حرير بطرائز من الذهب المصري و فوق راسه تاج مكلل بالجواهر و لكنه عليه اثر الحزن فسلم عليه الملك فرد عليه با حسن سلام و قال يا سيدي انت اعز من القيام و لي المعذرة فقال الملك قد عذرتك ايها الفتى و انا ضيف عندك و اتيتك في حاجة مهمة اريد تخبرني عن هذه البركة و عن هذا السمك و عن هذا القصر و عن سبب وحدتك فيه و سبب بكاك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خدوده و بكى بكاء شديدا حتى غرق صدره ثم انشد يـــــــــــقـــــــــــــول

قُولُوا لِمَنْ نَاوَمَ الْاَيَّامُ لَهُ رَامَتْ كَمْ اَقْعَدَتْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ كَمْ قَامَتْ
اِنْ كُنْتَ نِمْتَ فَعَيْنُ اللهِ مَا نَامَتْ لِمَنْ صَفَا الْوَقْتُ وَ الدُّنْيَا لِمَنْ دَامَتْ

ثم تنفس تنفس الصعداء و انـــــــــــشـــــــــــــد

سَلِّمِ الْاَمْرَ اِلَى رَبِّ الْبَشَرْ وَ اتْرُكِ الْهَمَّ وَ دَعْ عَنْكَ الْفِكَرْ
لَا تَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَ قَدَرْ

فتعجب الملك و قال له ما يبكيك ايها الشاب فقال كيف لا ابكي و هذه حالتي و مد يده الى اذياله فرفعها و اذا هو نصفه التحتاني حجر الى قدميه و من سرته الى شعر راسه بشر فلما رأى الملك الشاب بهذه الحالة حزن حزنا عظيما و تأسف و تاوه و قال يا فتى لقد زدتني هما على همي كنت اطلب السمك و خبره و صرت الآن اسأل عن خبره و خبرك فلا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم عجل علي يا فتى ببث الحديث فقال اعطني سمعك و

بصرك فقال الملك ان سمعي و بصري حاضر فقال الشاب ان لهذا السمك و لي امر عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الملك وكيف ذلك فقال يا سيدي اعلم ان والدي كان ملك هذه المدينة وكان اسمه محمود صاحب الجزائر السود و هو في هذه الجبال الاربعة فاقام في الملك سبعين عاما ثم تُوُفِّيَ والدي و تسلطنت بعده و تزوجت بابنة عمي و كانت تحبني محبة عظيمة بحيث اني اذا غبت عنها لا تاكل و لا تشرب حتى تراني عندها فقعدتْ في صحبتي خمس سنين الى يوم من بعض الايام راحتْ الى الحمام فامرت الطباخ ان يسرع لنا في شيءٍ و يجهز لنا عشاءا و طعاما ثم دخلت هذا القصر و نمت موضع ما ندام و امرت جاريتين ان تجلس عندي واحدة على راسي و الثانية عند رجلاي و قد تشوشت لغيابها و لم ياخذني نوم غير ان عيني مغمضة و نفسي يقظانة فسمعت الجارية التي عند راسي تقول للتي عند رجلاي يا مسعودة مسكين سيدنا و مسكين شبابه و يا خَسارتَه مع ستنا الملعونة القحبة فقالت لها نعم لعن الله النساء الخائنات الزانيات ولكن مثل سيدنا و شبابه لا يصلح لهذه العاهرة كل ليلة تنام برا فقالت التى عند راسي سيدنا انم مطعوم ام يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك هو سيدنا عنده علم او هي تخليه في اختياره اَلاَ تعمل له في قدح الشراب الذي تشربه كل ليلة قبل المنام و تضع فيه البنج فينام و لم يشعر بما يجري و لم يعلم اين تذهب و لا اين تروح فبعد ما تسقيه الشراب تلبس اثوابها و تعطرت و تخرج من عنده تغيب الى الفجر و تاتي اليه و تُبَخِّر على انفه بشيْ فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجواري صار الضياء في وجهي

ظلاما و ما صدقت ان الليل اقبل فجاءت بنت عمي من الحمام فمدينا السماط وَاكلنا و جلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعت بالشراب الذي اشربه عند المنام فناولتني الكاس فاهرقتها و جعلت اني اشربه مثل عادتي و دلقته في جيبي و رقدت في الوقت و الساعة و صرت أُخطر كاني نائم و اذا هي قالت نم ليلتك لا تقم ابدا و الله كرهتك وكرهت صورتك و ملّت نفسي من عشرتك و لا ادري متى يقبض الله روحك ثم قامت و لبست افخر ثيابها و تبخرت و اخذت سيفي و تقلدت به و فتحت ابواب القصر و خرجت فقمت و تبعتها حتى خرجت من القصر و شقت في اسواق المدينة الى ان انتهت الى باب المدينه فتكلمت بكلام لا افهمه فتساقطت الاقفال و انفتح الباب و خرجت و انا خلفها و هي لا تشعر حتى انتهت الى بين الكيمان و اتت الى خُصٍ فيه قبة مبنية بطوب و لها باب فدخلت و تسلقت انا على سطح القبة و اشرفت عليهم و اذا ببنت عمي قد دخلت على عبد اسود له شفة كالغطا و شفة كالبوطا و شفة تلقط الرمل على الحصا و هو مبتلىً و راقد على قش قَصَب لابسٌ هِدمة و شراميط خلقة فقبلت الارض بين يديه فشال ذلك العبد راسه اليها و قال لها ويلكي ايش كان تعادك الى هذه الساعة كانوا عندنا بنوا اعمامنا السودان و شربوا الشراب و صار كل واحد بصبيته و انا ما رضيت اشرب من شانك فقالت يا سيدي وحبيبي و قرة عيني ما تعلم اني متزوجة بابن عمي و انا اكره صورته و ابغض صحبته و لولا اني اخشى على خاطرك ما كنت تركت الشمس تطلع الا و مدينته خراب يزعق فيها البوم و الغراب و ياويها الثعالب و الذباب و انقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبي يا

ملعونة و انا احلف و حق فتوة السودان و لا تطلي مروّتنا مروة البيضان من هذا اليوم ان بقيتي تقعدي الى هذا الوقت لا اصاحبك و لا الزق جسدي على جسدك يا ملعونة تلعبي فيا شفف لكف لحن على شهوتك يا منتنة يا كلبة يا اخس البضيان قال فلما سمعت كلامه و انا انظر و ارى و اسمع ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاما و ما عرفت روحي في اي موضع انا و بنت عمي واقفة تبكي عليه و تنذلل له و تقول للعبد يا حبيبي و ثمرة فؤادي اذا غضبت علي من يبقيني و اذا طردتني من يؤويني يا حبيبي يا نور عيني و مازالت تبكي و تتضرع له حتى رضي عليها فرحت و قامت و قلعت ثيابها و لباسها و قالت يا سيدي ما عندك ما تأكل جاريتك فقال لها إكشفي اللقن تحته عظام فيران مطبوخة فكليها و قومي لهذه القُوارة فيها بقية مزار فاشربيها فقامت و اكلت و شربت و غسلت يديها و فمها و جاءت رقدت مع العبد على قش القصب و تعرت و دخلت معه تحت الهدُمة و الشراميط فلما نظرت الى هذه الفعال التي فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من على القبة و دخلت و اخذت السيف الذي جاءت به بنت عمي و سحبت و هممت ان اقتل الاتنين فضربت العبد اولا على رقبته فظننت انه قد قضي عليه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة قالت بلغني ايها الملك السعيد

ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لاجل ان اقطع راسه لم اقطع الوريدين بل قطعت الحلقوم و الجلد و اللحم فظننت اني قتلته فشخر شخيراً عاليا فتحركت بنت عمي فرجعت الى خلفي و

رديت السيف الى موضعه و اتيت الى المدينة و دخلت القصر و رقدت في فراشي الى الصباح و اذا بنت عمي جاءت و نبهتني و اذا بها قطعت شعرها و لبست ثياب الحزن و قالت يا ابن عمي لا تعارضني فيما افعل فانه بلغني ان والدتي توفيت و ان والدي قتل في الجهاد و اخوتي احدهم مات ملسوعا و الآخر مات مُرتديا فيحق لي ان ابكي و احزنَ فلما سمعت كلامها سكتت عنها و قلت اِفعلي ما بدَآ لك فاني لم اخالفك فقعدت في حزن و بكىً و عديد سنة كاملة من الحول الى الحول و بعد السنة قالت لي اريد ان تبني لي في قصرك مدفنا مثل القبة و افرده للحزن و اسميه بيت الاحزان فقلت لها اِفعَلي ما بدَآ لك فبنت لها بيتا للحزن و بنت في وسطه قبة و مدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد و انزلته فيه و هو بقي لا ينفعها ابدا بنافعة لكن يشرب الشراب و من يوم جرحته ما تكلم لان اجله ما فرغ و صارت كل يوم تاتيه بُكرة و عشيا تنزل الى القبة و تبكي و تعدد عليه و تسقيه الشراب و المساليق بكرة و عشيه و لم تزل على هذا الحال الى ثاني سنة و انا اُطوِّل روحي عليها و لا التفت اليها الى يوم من الايام دخلت عليها على غفلة منها فوجدتها تبكي و تقول لمَا تغيبت عن ناظري يا نزهة خاطري حدثني يا روحي كلمني يا حبيبي و انشدت تقول شعر

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي فِي الْهَوَى اِنْ سَلَوْتُمْ	فُؤَادِي وَ قَلْبِي لَا يُحِبُّ سِوَاكُمْ
خُذُوا عَظْمِي وَ الرُّوح اَيْنَ سِرْتُمْ	وَ اَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِي حِذَاكُمْ
وَ نَادُوا بِاسْمِي عِنْدَ قَبْرِي يُجِيبُكُمْ	اَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ اِصْغَا نِدَاكُمْ

ثم انشدت وهي تقول شعر

فَيَوْمُ الْاَمَانِي يَوْمُ فَوْزِي بِقُرْبِكُمْ وَيَوْمُ الْمَنَايَا يَوْمُ اِعْرَاضِكُمْ عَنِّي
اِذَا بِتُّ مَرْعُوبًا اُهَدَّدُ بِالرَّدَى فَوَصْلُكُمُ عِنْدِي اَلَذُّ مِنَ الْاَمْنِ

ثم قلت و انشدت

لَوْ اَنَّنِي اَصْبَحْتُ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ وَكَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا وَمُلْكُ الْاَكَاسِرَةِ
لَمَا سَوِيَتْ عِنْدِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ اِذَا لَمْ تَكُنْ عَيْنِي لِشَخْصِكَ نَاظِرَةْ

قال صاحب الحديث فلما فرغت من كلامها و بكائها قلت لها يا بنت عمي يكفيكي من الحزن فما يغنيكي من البكاء ما بقي ينفع قالت لا تتعرض لي فيما اعمله و ان اعترضت لي قتلت نفسي فسكتت عنها و سلمت اليها حالها فلم تزل في حزن و بكاء و تعديد سنة اخرى و بعد السنة الثالثة دخلت يوما من الايام و انا مغتاظ لحادث عرض لي و قد طال بي هذا العناء الشديد فوجدتها نحو الضريح داخل القبة و هي تقول يا سيدي لا اسمع منك و لا كلمة و احدة يا سيدي لما لا ترد عليّ جوابا ثم انشدت تقول

يَا قَبْرُ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ اَمْ زَالَ مِنْكَ ضِيَاكَ الْمَنْظَرِ النَّضِرُ
يَا قَبْرُ مَا اَنْتَ لِي اَرْضٌ وَلَا فَلَكٌ فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

فلما سمعت كلامها و شعرها ازددت غيظا على غيظي و قلت اواه الى كم ذا الحزن و انشدت اقول

يَا قَبْرُ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَسَاخِمُهُ اَمْ زَالَ مِنْكَ ضِيَاكَ الْمَنْظَرِ الْقَذَرُ
يَا قَبْرُ مَا اَنْتَ لَا حَوْضٌ وَلَا قِدْرٌ فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الْفَحْمُ وَالْكَدَرُ

فلما سمعت كلامي وثبت قايمة و قالت ويلك يا كلب انت الذي
فعلت معي هذا الفعل و جرحت معشوق قلبي و اوجعتني و شبابه
و له ثلث سنين لا هو ميت و لا هو حي فقلت لها يا اقذر القحبات
و اوسخ المنيوكات العشاقات العبيد المبرطلات نعم انا فعلت ذلك
ثم اني اخذت سيفي و جردته في كفي و صوبت عليها لاقتلها فلما
سعمت كلامي و رأتني مصمما على قتلها ضحكت و قالت تعساً يا
كلب هيهات ان يرجع ما فات او تجيء الاموات لقد امكنني الله
بمن فعل بي هذا و كانت في قلبي منه نار لا تطفى و لهيب لا
يخفى ثم وقفت على قدميها و تكلمت بكلام لا افهمه و قالت اخرج
بسحري نصفك حجر و نصفك بشر ثم اني صرت كما ترى و بقيت لا
اقوم و لا اقعد و لا انا ميت و لا انا حي فلما صرت هكذا سحرت
المدينة و ما فيها من الاسواق و الغيطان و كانت مدينتنا اربعة
صنوف مسلمين و نصارى و يهودَ و مجوس فسحرتهم سمكا فالابيض
المسلمون و الاحمر المجوس و الازرق النصارى و الاصفر اليهود و
سحرت الجزايرَ الاربع اربعة جبال محيطة بالبركة ثم انها كل يوم
تضربني و تعذبني بالسوط ماية ضربة حتى يسيل دمي و تنهري
اكنافي ثم تلبسني ثوب شعر صفة اللباس على نصفي الفوقاني و
تلبسني هذه الثياب الفاخرة من فوق ثم ان الشاب بكى و انشد
يـــــقـــــول

صَبرًا لِحُكْمِكَ يَا الٰهِي وَ الْقَضَا ‏ أَنَا صَابِرٌ اِنْ كَانَ فِيهِ لَكَ الرِّضَا
جَارُوا عَلَيْنَا وَ اعْتَدَوْا وَ تَجَبَّرُوْا ‏ فَلَعَلَّنِي الْفِرْدَوْسَ اَنْ نَتَعَوَّضَا
قَدْ ضِقْتُ بِالْاَمْرِ الَّذِي قَدْ نَالَنِي ‏ فَوَسِيلَتِي بِالْمُصْطَفَى وَ الْمُرْتَضَى

قال فعند ذلك التفت الملك الى الشاب و قال ايها الشاب زدتني همًّا على همي بعد ان فرجت عني غمي و لكن يا فتى اين هي و اين المدفن الذي فيه العبد المجروح فقال الشاب ان العبد في القبة في مدفنه راقد و هي في ذلك المجلس الذي يحاذي الباب تجيء مرة في كل يوم عند ما تطلع الشمس فاول ما تجيء تاتي اليَّ و تجردني من اثوابي و تضربني بالسوط مايه جلدة و انا ابكي و اصيح و لا لي حركة ادفعها عن نفسي ثم بعد ان تعاقبني تنزل الى العبد بالشراب و المسلوقة تسقيه و غدا من باكر تجي قال الملك و الله يا فتى لافعلن معك معروفا اذكر به و يورخونه الى آخر الزمان ثم جلس الملك يتحدث معه الى ان اقبل الليل و ناما فقام الملك في وقت السحر و تجرد من اثوابه و سل سيفه و نهض الى المحل الذي فيه العبد فنظر الى الشمع و القناديل و البخورات و الادهان و سار يقصد العبد حتى اتاه و ضربه ضربة فقتله و حمله على ظهره و رماه في بير كانت في القصر ثم نزل و التف باثواب العبد و رقد داخل الضريح و السيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة اتت الملعونة الساحرة فاول ما دخلت جردت ابن عمها من ثيابه و اخذت سوطا و ضربته فقال اواه يكفيني ما انا فيه يا بنت عمي ارحميني [illegible] [illegible] كنت انت رحمتني و ابقيت لي معشوقي و [illegible] [illegible] [illegible] الثياب من جنوبه ثم البسته اللباس الشعراني و [illegible] [illegible] ثم نزلت الى العبد و معها قدح الشراب و طاسة مسلوقة و نزلت في القبة و بكت و ولولت و قالت يا سيدي كلمني يا [illegible] حادثني و

ابشلت [illegible] [illegible] [illegible]

حَتّى مَتى هَذَا الصُّدُودُ وَذَا الْجَفَا ‌ اَ وَ مَا جَرى مِنْ اَدْمُعِي مَاقَدْ كَفَا
فَلَكَمْ تُطِيلُ الْهَجْرَ لِي مُتَعَمِّدًا ‌ اِنْ كَانَ قَصْدُكَ حَاسِدِي فَقَدِ اشْتَفى

ثم انها بكت و قالت يا سيدي كلمني و حدثني و الملك خفض صوته و عقد لسانه و تكلم بكلام السودان و قال اواه اواه لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح و غشي عليها ثم انها استفاقت و قالت يا سيدي هو صحيح و الملك اضعف صوته و قال يا ملعونة انتي تستاهلي من يكلمك و يحدثك قالت ما سببه قال سببه انك بطول النهار تعاقبي زوجك و هو يستغيث و احرمني النوم من العشا الى الصباح و يتضرع و يدعو علي و عليكي و قد انلمني و اضرني و لولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذي منعني عن جوابك فقالت عن اذنك اخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه و ريحينا فقالت سمعا و طاعة و قامت و خرجت من القبة الى القصر و اخذت طاسة و ملأتها ماءا و تكلمت عليها بكلام فغَلَت الطاسة و بقبقت و صارت تغلي كما يغلي القدر على النار و طرشته بها و قالت بحق ما تلوته و قلته ان كنت صرت هكذا بسحري و مكري فاخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى و اذا بالشاب انتفض و قام على قدميه و فرح بخلاصه و قال اشهد ان لا اله الا الله و اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قالت له اخرج و لا ترجع الى هنا و الا قتلتك و صرخت في وجهه فخرج من بين يديها و عادت الى القبة و نزلت و قالت يا سيدي اخرج لي حتى انظر الى صورتك الجميلة فقال لها الملك بكلام ضعيف ايش عملتي ارحتيني من الفرع و لم ترحتيني من الاصل فقالت يا حبيبي

يا سويدي ما هو الاصل قال ويلا لك يا ملعونة اهل هذه المدينة و الاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل تشيل السمك رؤسها و تستغيث و تدعوا عليّ و عليكي فهو سبب منع عافيتي فروحي خلصيهم عاجلا و تعالي خذي بيدي و اقيميني فقد توجهت لي العافية فلما سمعت كلام الملك وهي تظنه العبد و هي فرحانة فقالت يا سيدي على راسي و عيني بسم الله ثم نهضت و قامت و هي مسرورة تجري و خرجت الى البركة و اخذت من مائها قليلا فادرك شهرزاد الصباح فسكنت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة قالت بلغني ايها الملك السعيد

ان الصبية الساحرة لما اخذت من ماء البركة و تكلمت عليه بكلام لا يفهم تراقصت السمك و شالت رؤسها و قامت فى الحال و انفك عن اهل المدينة السحر و صارت المدينة عامرة و البياعون تبيع و نشتري و صار كل واحد في صناعته ورجعت الجزاير كما كانت ثم ان الصبية الساحرة جاءت الى الملك فى الحال و قالت له يا حبيبي ناولني يدك الكريمة و قم فقال الملك بكلام خفي تعربي مني فدنت حتى الصقت و الملك سل سيفه في يده و ضربها في صدرها فخرج السيف يلمع من ظهرها ثم ضربها شقها نصفين و رميها على الارض شطرين و خرج فوجد الشاب المسحور واقفا في انتظاره فهناه بالسلامة و قبل يده و شكره فقال له الملك انت تقعد في مدينتك او تجيء معي الى مدينتي فقال الشاب يا ملك الزمان ا تدري ما بينك و بين مدينتك فقال الملك يومان و نصف فعند ذلك قال له الشاب ايها الملك ان كنت نائما استيقظ ان بينك و بين مدينتك سنة كاملة للمجدّ المسافر و ما اتيت في يومين و نصف الا لان المدينة كانت

مسحورة و انا ايها الملك لا افارقك لحظة عين ففرح الملك ثم قال الحمد لله الذي من علي بك و انت ولدي لاني طول عمري لم ارزق ولدا ثم تعانقا و فرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر و امر الملك الذي كان مسحورا ارباب دولته ان يتجهزوا للسفر و يهيوا اسبابه و جميع ما يحتاج اليه الحال فشرعوا بالتجهيز مدة عشرة ايام و خرج هو و السلطان و قلبه ملتهب على مدينته كيف يغيب عنها ثم انهم سافروا و معه خمسين مملوكا و هدايا عظيمة و ما زالوا مسافرين ليلا و نهارا سنة كاملة و كتب الله لهم بالسلامة حتى وصلوا الى المدينه و ارسلوا اعلموا الوزير بوصول السلطان و سلامته فخرج الوزير و العساكر بعد ما قطعوا الاياس من الملك فاقبل العسكر و قبلوا الارض بين يديه و هنوه بالسلامة فدخل و جلس على الكرسي فاقبل الوزير عليه فاعلمه بكل ما جرى على الشاب فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هناه بالسلامة و استقر الحال فانعم السلطان على ناس كثير و قال الملك للوزير عليّ بالصياد الذي كان اتانا بالسمك فارسل الى الصياد الذي كان سببا لخلاص اهل المدينة فاحضر و اخلع عليه و سأله عن حاله و هل له اولاد فاخبره ان له بنتين و ولد فارسل الملك احضرهم و تزوج ببنت و اعطى الشاب البنت الاخرى و جعل الولد خازندار ثم قلد الوزير و ارسله سلطانا الى مدينة الشاب التي هي الجزاير السود و ارسل معه خمسين مملوكا الذين جاوا معه و اعطاه من الخلع لساير الامراء فقبل الوزير يديه و خرج و سافر في وقته و ساعته و استقر السلطان و الشاب و الصياد قد صار اغنى اهل زمانه و اولاده صارت زوجات الملوك الى ان اتاهم الممات و ما هذا باعجب مما جرى للحمال

حكاية الحمال و الثلث بنات

فانه كان رجل من الحمالين في مدينة بغداد و كان عزبا فبينما هو
في بعض الايام واقف في السوق متكيا على قفصه اذ وقفت عليه
امراة ملتفة بازار مَوْصِلي بحرير بخف مزركش بحاشية قصب و بشريط
لاعب فوقفت و شالت شعريتها فبان من تحتها عيون سود بهدب
اجفان ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف فالتفتت الى الحمال و قالت بكلام
عذب فصيح هاتِ قفصك و اتبعني فما صدق الحمال في الكلام حتى
اخذ القفص و اسرع و قال يا نهار السعادة يا نهار التوفيق و تبعها
الى ان وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصراني
فاعطته دينارا و اخذت منه مروقة زيتونية فحطتها في القفص و قالت
شل و اتبعني فقال الحمال هذا و الله نهار مبارك و نهار سعيد
بالقبول فشال القفص و تبعها فوقفت على دكان فكهاني و اشترت منه
تفاحا شاميا و سفرجلا عثمانيا و خوخا عمانيا و ياسمينا و نوفرا شاميا
و خيارا اقلاميا و ليمونا مرابيا و نارنجا سلطانيا و مرسينا و ريحانيا و
تمرحنا و اقحوانا و شقائق النعمان و بنفسجا و جلنارا و نسرينا و
حطت الجميع في قفص الحمال و قالت شل فشال و تبعها فوقفت على
الجزار و قالت له اقطع عشرة ارطال لحم فقطع لها و اعطته الثمن
و لفته في قرطاس موز و جعلته في القفص و قالت شل يا حمال فشال
و تبعها فاتت الصبية و وقفت على النقلي و اخذت منه قلب فستق
ما يصلح للمنقل و زبيب تهامي و قلب لوز و قالت للحمال شل و
اتبعني فشال القفص و تبعها الى ان وقفت على دكان الحلواني و
اشترت طبقا و عبت فيه من جميع ما عنده من [illegible]

بالمسك محشية و صابونية و اقراص ليمونيه وميمونيه و امشاط زينب
و اصابع و لقيمات القاضي و اخذت من جميع اصناف الحلاوة في
طبق و حطته في القفص فقال لها الحمال كنتي اعلميني لاتيت معي
الكريش تحمل عليه هذه الخوشكات فتبسمت و ضربت بيدها على
قفاه و قالت له اَسرِع في مشيك و خل عنك الكلام الكثير و اجرك
حاصل ان شاء الله تعالى ثم وقفت على العطار و اخذت منه عشرة
امواه ماء ورد و ماء زهر و ماء نوفر و ماء خلاف و اخذت ابلوجيين
سكر و اخذت قزيز ماء ورد ممسك و حصا لبان ذكر و عودا و عنبرا
و مسكا و اخذت شمعا اسكندرانيا و حطت الجميع في القفص و
قالت شل قفصك و اتبعني فشال القفص و تبعها به الى ان اتت الى
دار مليحة و قدامها رحبة فسيحة عالية البنيان مشيدة الاركان بابها
بدرفتين من الآبنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية
على الباب و ادارت النقاب عن وجهها و دقت دقا لطيفا و الحمال
واقف وراءها و هو لم يزل يتفكر في حسنها و جمالها و اذا بالباب قد
انفتح و تشرعت الدرفتين فنظر الحمال الى من فتح لها الباب و اذا
بها خماسية القد بارزة النهد ذات حسن و جمال و بهاء و كمال و
قد و اعتدال بجبين ازهر و خد احمر و عيون تحاكي المها و الغزلان
و حواجب مثل قوس هلال شعبان و خدود مثل شقايق النعمان و
فم كخاتم سليمان و شفيهات حمر كالمرجان و سنينات كاللؤلؤ المنضد
و الاقحوان و عنق كانه للغزلان و صدر كانه شاذروان و نهدين كانهما
فحلي رمان و بطن مدبج و سرة تسع اوقية من دهن البان كما قال

أُنظُرْ اِلى شَمسِ القُصُورِ وَبَدْرِهَا وَ اِلى خزامتها وبهجة زهرها
لَمْ تَلْقِ عَينُكَ اَبيضًا فِي اَسْوَدٍ جَمَعَ الجَمَالَ كَوَجهِهَا مَعْ شَعْرِهَا
مُحمرّةَ الوَجنَاتِ يُخْبِرُ حُسْنُهَا عَنْ اسْمِهَا اِنْ لَمْ يُحط بخُبْرِهَا
وَ تَمَايَلَتْ فَضَحِكْتُ مِنْ اَرْدَافِهَا عَجَبًا وَ لَكِنِّي بَكَيْتُ لِخَصْرِهَا

قال فلما نظر الحمال اليها سلب عقله و لبه وكاد القفص ان يقع من على راسه ثم قال ما رأيت عمري ابرك من هذا النهار فقالت الصبيه البوابة الخوشكاشة ادخلي من الباب وحطي عن هذا الحمال المسكين فدخلت الخوشكاشة و وراءها البوابة و الحمال و مشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مهندسية مليحة ذات تراكيب و عقودات وكشك و سدلات و خرسانات و خزاين عليها ستور مرخيات و في وسط القاعة بركة كبيرة ملانة ماءا و فيها شختور و في صدر القاعة سرير من العرعر مرصع بالجوهر مرخى عليه ناموسية اطلس احمر ازرارها لؤلؤ قدر البندق و اكبر و برزت من داخلها صبية بطلعة مضية و بهجة [illegible] و اخلاق فيلسوفيه بخلقة قمرية و عيون بابلية و قسي حواجب [illegible] و قامة الفية و نكهت عنبريه و شفيفات عقيقية سكرية و [illegible] نورة الشمس المضية و هي كانها بعض الكواكب العلوية او [illegible] من الذهب مبنية او عروسة مجليه او لبة عربية كما قال فيها الشاعر [illegible]

كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ لُؤلُؤٍ مُنَضَّدٍ اَوْ بَرَدٍ اَوْ اَقَاحٍ
وَ طُرَّةٍ كَاللَّيْلِ مَسْبُولَةٍ وَبَهْجَةٍ تُخْجِلُ ضَوْءَ الصَّبَاحِ

قال فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير و خطرت [illegible] الى ان [illegible] في وسط القاعة عند اخواتها [illegible]

هذا المسكين الحمال فجاءت الخوشكاشة من قدام و البوابة من خلف و ساعدتهم الثالثة و حطوا القفص عن الحمال و افرغوا ما في القفص و وضعوا كل شيء في محله و اعطوا الحمال دينارين و قالوا له توجه يا حمال فنظر الى الصبايا و ما هم فيه من الحسن و الطبايع الحسان فما نظر احسن منهم و ما عندهم رجال و نظر ما عندهم من الشراب و الفواكه و المشمومات و غير ذلك فتعجب غاية العجب و توقف عن الخروج فقالت له الصبية ما لك لِمَ لا تروح انت كانك استقليت الاجرة ثم التفتت الى اختها و قالت لها اعطيه دينارا آخر فقال الحمال و الله يا ستي ما استقليت الاجرة و اجرتي ما تساوي درهمين و انما اشتغل قلبي و سري بكم و كيف انتم وحدكم ما عندكم رجال و لا احد يونسكم و انتم تعرفون ان المائدة لا تقف الا على اربعة و ما لكم رابع و ما يطيب لعب النساء الا بالرجال كما قيل شـــعـــر

أَ مَا تَرَى أَرْبَعًا لِلَّهْوِ قد جُمِعَتْ جُنْكٌ وَ عُودٌ وَ قَانُونٌ وَ مِزْمَارُ
وَ وَافَقَتْهَا مِنَ الْمَشْمُومِ أَرْبَعَةٌ وَرْدٌ وَ آسٌ وَ مَنْثُورٌ وَ نُوَّارُ
وَ لَيْسَ يَحْسُنُ ذَا إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ خَمْرٌ وَ رَوْضٌ وَ مَعْشُوقٌ وَ دِينَارُ

و انتم ثلثة و تحتاجون الى رابع و يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا و للاسرار كاتما فلما سمعوا كلامه اعجبهم و ضحكوا عليه و قالوا و من لنا بذلك و نحن بنات نخاف نودع السر لمن لا يحمله و قد قرأنا في بعض الاخبار ما قاله ابن النمام شـــعـــر

صُنِ السِّرَّ عَنْ كُلِّ مُسْتَخْبِرٍ فَإِنَّ الْمُضَيِّعَ لِلسِّرِّ ... فَمَنْ أَوْدَعَ السِّرَّ قَدْ ضَيَّعَهْ

وَصَدْرُكَ بِسِرِّكَ اِنْ لَمْ يَسَعْ فَكَيْفَ يَسَعْ صَدْرُ مُسْتَوْدَعِهْ

و فيه قال ابونراس واحد ... ... اد

مَنْ اَطْلَعَ النَّاسَ عَلَى سِرِّهِ اِسْتَوْجَبَ الْكَيَّةَ فِي جَبْهَتِهْ

فقال الحمال فلما سمع كلامهم و حيائكم الي رجل عاقل امين فرأت الكتب و طالعت التواريخ اظهر الجميل و اخفي القبيح و الشاعر ... في كلامه وان... ... ... ل

مَا يَكْتُمُ السِّرَّ اِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومْ
اَلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَالْبَابُ مَخْتُومْ

فلما سمعوا البنات الشعر و النظام و ما ابداه قلن له انت تعلم انا غرسنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجازينا ... ... ما ندعك تجلس عندنا و نصير نديمنا و تشرف على وجوهنا الصباح الملاح حتى توزن جملة من المال ا ما سمعت صاحب المثل و قد قال ... بلا حبه ما تساوي حبه فقالت البوابة معك شيء ... انت شيء ما معك شيء روح بلا شيء فقالت الخونكاسة ... كفوا عنه و الله ما قصر اليوم معنا و لو كان غيره ما ... و مهما جاء عليه انا اوزنه عنه ففرح الحمال و قبل الارض و ... صاحبة السرير و الله ما ندعك تجلس عندنا الا بشرط ... ان لا تسال عما لا يعنيه و ان تفاضل يضرب فقال الحمال ... على الراس و العين و ها انا بلا لسان فقامت ... و ... ... و ... ... في روضة ... ... عانت

الجرة و احضرت ما يحتاجون اليه ثم قدّمت المدام و جلست هي و اختاها و جلس الحمال بينهن و هو يظن انه في المنام ثم قدمت بالطِيَة المدام و ملأت اول قدح و شربته و الثاني و الثالث ثم ملأت و ناولت اختها الاخرى ثم ملأت و ناولت الحمال و قالـــــــت

اِشْرَبْ هَنِيًّا مُمَتَّعًا بِالْعَوَافِيْ ‌ ‌ اِنَّ هَذَا الشُّرْبَ لِلدَّاءِ شَافِيْ

فاخذ الكاس بيده و خدم و شكر و انشد يقول شـــــعـــــر

مَا تُشْرَبُ الْكَاسُ اِلَّا مَعْ اَخِيْ ثِقَةٍ ‌ ‌ وَ طَاهِرِ الْاَصْلِ مَنْسُوبًا اِلَى السَّلَفِ
فَالرَّاحُ كَالرِّيحِ اِنْ هَبَّتْ عَلَى عَطِرٍ ‌ ‌ طَابَتْ وَتُنْتِنُ اِنْ مَرَّتْ عَلَى الْجِيَفِ

ثم قـــــــــــــال

لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ اِلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَاٍ ‌ ‌ يَحْكِيكَ فِيْ رِقَّةِ الْمَعْنَى وَ يَحْكِيهَا

ثم انه بعد انشاده قبل ايديهم و شرب و سكر و تمايل و انشد يقول شـــــــــعـــــــــــر

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ ‌ ‌ شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعُنْقُودِ
فَاسْقِنِيهَا فِدًى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِيْ ‌ ‌ مِنْ غَزَالٍ وَ طَارِفِيْ وَ تَلِيدِيْ

ثم ملأت القدح و ناولتها لاختها الوسطى فاخذتها من يدها و شكرتها و شربت ثم ملأت و ناولت لصاحبة السرير و ملأت كاسا اخرى و ناولتها الحمال فقبل الارض بين يديها و شكر و شرب و انشد يقول شـــــــعـــــــر

هَاتِهَا بِاللّٰهِ هَاتِ مِنْ كُؤُسٍ مُتْرَعَاتِ
وَاسْقِنِي مِنْهَا بِكَاس اِنَّهَا مَاءُ الْحَيٰوةِ

ثم تقدم الى صاحبة المحل و قال يا ستي انا عبدك و مملوكك و خدامك و انشد يقول

عَلَى الْبَابِ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ وَاقِفٌ بِجُودِكَ وَالْاِحْسَانِ مَا زَالَ مُعْتَرِفْ
اَ يَدْخُلُ يَا ذَاتَ الْمَحَاسِنِ كَيْ يَرىٰ جَمَالَكَ اِنِّيْ وَ الْهَوىٰ غَيْرُ مُنْصَرِفْ

فقالت له طب نفسا و اشرب هنيا و عافية تجري مجاري الصحة فاخذ الكاس و قبل يدها و ترنم و انشد يقول

نَاوَلْتُهَا شِبْهَ خَدَّيْهَا مُعَتَّقَةً صِرْفاً كَاَنَّ سَنَاهَا ضَوْءُ مِقْبَاسِ
فَقَبَّلَتْهَا وَ قَالَتْ وَ هْيَ ضَاحِكَةٌ فَكَيْفَ تَسْقِي خُدُودَ النَّاسِ لِلنَّاسِ
قُلْتُ اشْرَبِي فَهْيَ مِنْ دَمْعِي وَ حُمْرَتُهَا دَمِي وَ طَابِخُهَا فِي الْكَاسِ اَنْفَاسِي

فقالت مجيبة عليه شعر

اِنْ كُنْتَ يَا صَاحِ مِنْ اَجْلِي بَكَيْتَ دَمًا هَاتِ اسْقِنِيهَا عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ

قال فاخذت الصبية القدح و شربته و نزلت عند اختها و ما زالوا يشربون و الحمال في وسطهم و هم في رقص و ضحك و غناء و اشعار و موشحات و صار الحمال معهم في هراش و بوس و عض و فرك و جس و لمس و خراع و هذه تلقمه و هذه تلكمه و هذه تلطمه و هذه بالمشموم تنشده و هو معهم في الذ عيش كانه قاعد في الجنة بين حور العين و لم يزالوا كذلك حتى لعبت الخمرة في رؤسهم و

عقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة و تجردت من اثوابها
و صارت عريانة و ارخت شعرها عليها سترا و ارمت نفسها في البحرة
و لعبت في الماء و بطبطت و تفلت و اخذت الماء في فمها و مجت
على الحمال ثم غسلت اعضاها و بين افخاذها ثم طلعت من الماء و
رمت روحها في حجر الحمال و قالت له يا سيدي يا حبيبي ايش اسم
هذا و اشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت إيهِ أَ ما تستحي
و مسكته من رقبته و صارت تصكه فقال فرجك فصكته ثانيا على قفاه
وقالت وا اى وا قبيح ما تستحي فقال كسك فقالت إِيْهِ انت ما تستحي
على عرضك ثم لكمته بيدها و ضربته فقال الحمال زنبورك فنزلت عليه
الكبرى بالضرب و قالت له لا تقل كذا فصار الحمال كلما قال باسم
زادوه ضربا و لم يكن الا ان ذاب قفاه من الصك و جعلوه اضحوكة
بينهم الى ان قال و ما اسمه عندكن فقالت حبق الجَسور فقال
الحمال الحمد لله على السلامة طيب يا حبق الجَسور ثم انهم دوروا
الكاس و الطاس و قامت الثانية و خلعت ثيابها و رمت نفسها في
حجر الحمال و اومت الى حِرِها و قالت يا نور عيني ما اسم هذا قال
فرجك قالت أَ ما يقبح عليك و صكته ضربة رنت بها القاعة فقالت له
يوه يوه أَ ما تستحي فقال حبق الجسور فقالت لا و الضرب و الصك
على قفاه و هو يقول رحمك كسك فرجك ندولك و هن يقلن لا
لا فقال حبق الجسور فالثلثة ضحكوا حتى قلبوا على قفاهم و نزلوا
سكا في رقبته و قلن لا ما هو اسمه كذا قال يا اخوتي ما اسمه قلن
السمسم المقشور ثم لبست الجارية قماشها و جلسوا يتنادمون و
الحمال يتاوه من رقبته و اكتافه فدارت الكاس بينهم ساعة ثم قامت
الكبيرة ملبستهم و تجردت من ثيابها فمسكت الحمال قمه بيدها و

مرجها و قال في سبيل الله رقبتي و اكتافي ثم تعرت الصبية و القت
نفسها في البركة ثم غطست و لعبت و اغتسلت فنظر الحمال اليها
عريانة كانها فلقة قمر بوجه كالبدر اذا بدر و الصبح اذا اسفر و نظر
الى قدها و نهدها و الى تلك الارداف الثقال التي تترجرج و هي
عريانة كما خلقها ربها فقال اه اه و انشد يخاطبها

إِنْ قِسْتُ قَدَّكِ بِالْغُصْنِ الرَّطِيبِ فَقَدْ حَمَّلْتُ قَلْبِيَ أَوْزَاراً وَ عُدْوَاناً
فَالْغُصْنُ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاهُ مُكْتَسِيًا وَأَنْتِ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاكِ عُرْيَانَا

فلما سمعت الصبية الابيات طلعت من البركة و جاءت و قعدت
في حجره و اشارت الى هنها و قالت يا سويدي ايش اسم هذا قال
حبق الجسور قالت دة دة قال سمسم المقشور قالت اوه قال رحمك قالت
يو يوما تستحي و سكته في قفاه و صار كلما قال لها اسمه كذا تسكه و
تقول لا لا الى ان قال يا اخوتي و ما اسمه فقالت خان ابومنصور
فقال الحمد لله على السلامة ها ها يا خان ابومنصور و قامت
الصبية و لبست ثيابها و عادوا الى ما كانوا عليه فدارت الكاس بينهم
ساعة. ثم قام الحمال و خلع ثيابه و نزل في البحرة و رأوه عائما في
الماء و غسل تحت لحيته و ابطه مثل ما غسلن ثم طلع و رمى نفسه
في حجر است و رمى ذراعيه في حجر البوابة و رمى رجليه و سيقانه
في حجر الخشكاشة ثم اومى الى ذكره و قال يا ستاتي ما اسم هذا
فضحكوا الكل على كلامه حتى انقلبوا على قفاهم و قالت الواحدة
زبك قال لا و اخذ من كل واحدة عضة قالوا ايرك قال لا و اخذ من
كل واحدة حضنا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
فلما كانت الليلة العاشرة قالت لها اختها دنيازاد انعمي لنا

حديثك قالت حبا و كرامة بلغني ايها الملك السعيد ان البنات
مازالوا يقولون للحمال زبك ايرك خازوقك و هو يبوس و يعض و
يعنق الى ان اشتفى قلبه منهن و هم يتضاحكون الى ان قالوا له يا
اخينا ما اسمه قال ما تعرفون ما اسمه قلن لا قال هذا البغل
الكسور يرعي حَبَق الجسور و يَسفّ السمسم المقشور و يبات في خان
ابومنصور فضحكوا حتى انقلبوا على قفاهم و عادوا الى منادمتهم و
لم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل عليهم فقالوا للحمال بسم الله
يا سيدي قم و البس زرموجتك و توجه و اورينا عرض اكتافك .
فقال الحمال و الله خروج الروح اهون من خروجي من عندكم
دعونا نصل الليل بالنهار و غداةً كل منا يروح الى حال سبيله
فقالت الخشكاشة بحياتي عليكم دعوه يبات عندنا نضحك عليه فمن بقي
يعيش حتى نجتمع على مثل هذا فانه خليع ظريف فقالوا ما تبات
عندنا الا بشرط أن تدخل تحت الحكم و مهما رأيت لاتسأل عنه و لا
عن سببه فقال نعم فقالوا قم و اقرأ الكتابة الذي على الباب فقام
الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب من يتكلم فيما لا يعنيه
يسمع ما لا يرضيه فقال الحمال اشهدوا على اني لا اتكلم فيما لا
يعنيني ثم قامت الخوشكاشة و جهزت لهم ماكولا فاكلوا ثم اوقدوا
الشموع و القناديل و غرسوا في الشموع العنبر و العود و قعدوا
على الشراب بمذاكرة الاحباب و قد غيروا ذلك المقام بغيرة و صفوا
فاكهة طرية و كذلك المشروب و لا زالوا في اكل و شرب و منادمة و
نقل و ضحك و خداع ساعة من الزمان و اذا هم بالباب يدق فلم
ينخرم نظامهم و اذا بواحدة منهم انفردت على الباب ثم عادت و
قالت قد كمل صفانا في هذه الليلة قالوا و ما ذلك قالت على الباب

ثلثة اعجام قرندلية محلوقين الذقون و الروس والحواجب و هم
الثلثة عور بالعين الشمال و هذا من اعجب الاتفاق و هم كما قد
حضروا من السفر الآن و حالة السفر ظاهرة عليهم و قد وصلوا الى
بغداد و هذا اول دخولهم بلدنا و اما سبب دق الباب فانهم لم
يجدوا موضعا يباتوا فيه فقالوا عسى صاحب هذه الدار يعطينا مفتاح
الاسطبل او خرابة نبات فيها الليلة فقد ادركهم المسا و هم غرباء
ما يعرفون احدا يلتجئون اليه و يا اخوتي لكل واحد منهم شكل و
صورة مضحكة فلم تزل تتلطف بهم حتى قالوا لها دعيهم يدخلوا و
أشرطي عليهم لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم
نفرحت و راحت ثم عادت و معها الثلثة عور محلّقين الذقون و
الشوارب فسلموا و خدموا و تاخروا فقاموا لهم البنات و رحبوا و هنأوا
بالسلامة و قعدوهم فنظروا القرندلية الى محل ظريف و مقام نظيف
منظوم بخضرة و شموع توقد و بخور تصاعد و نقل و فواكه و مدام
و ثلث بنات ابكار فقالوا جميعهم و الله طيب ثم التفتوا الى الحمال
فوجدوه جذلان تعبان سكران فلما عاينوه ظنوا انه منهم و قالوا هو
قرندلي مثلنا و هو غريب او عرب فلما سمع الحمال هذه الكلام
قام و حملق عينيه لهم و قال لهم اقعدوا بلا فضول ا ما قرأتم ما
على الباب و ما بالفقراء انتم كما وردتم علينا تطلقوا لسانكم فينا
قالوا نحن نقول نستغفر الله يا فقير راسنا بين يديك فضحكوا البنات
و قاموا اصلحوا بين القرندلية و الحمال و قدموا للقرندلية الاكل
فاكلوا ثم جلسوا يتنادمون و البوابة تسقيهم و دار الكاس بينهم فقال
الحمال للقرندلية و انتم يا اخواننا ما معكم حكاية او نادرة تحكوها لنا
فدبت عندهم الحرارة و طلبوا آلات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا

و عودا و جنكا اعجميا فقاموا القرندلية فاصلحوا الآلات و اخذ واحد منهم الدف و الآخر العود و الآخر الجنك و ضربوا بها و غنوا و البنات صرخت حتى صار لهم حس عال فهم كذلك و اذا بالباب يطرق فقامت البوابة تبصر خبر الباب قالت شهرزاد ايها الملك وكان السبب لدق الباب ان تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد يتفرج و يسمع ما يتجدد من الاخبار هو و جعفر وزيرة و مسرور سياف نقمته وكان من عادته يتنكر في صفة التجار فلما نزل تلك الليلة و شق المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا الآلات و الغنا فقال الخليفة لجعفر اشتهي ان ندخل الى هذه الدار و نسمع هذه الاصوات و نرى اصحابها فقال جعفر يا امير المؤمنين هولاء قوم قد دخل السكر فيهم و نخشى ان يصيبنا منهم شر فقال لابد من دخولي واريدك ان تحتال حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا و طاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب فتقدم جعفر و قبل الارض و قال يا ستي نحن ناس تجار من طبريه و لنا في بغداد عشرة ايام و بعنا تجارتنا و نحن نازلين في خان التجار وعزم علينا تاجر في هذه الليلة فدخلنا عنده و قدم لنا طعاما فاكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة فاذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل و نحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيه فلعل من صدقاتكم ان تدخلونا هذه الليلة عندكم نبات و لكم الثواب فنظرت البوابة اليهم وهم متقمشين كالتجار و عليهم الحشمة فدخلت لاخوتها و قالت بحديث جعفر و تأسفوا عليهم و قالوا لها دعيهم يدخلون فردت و فتحت لهم الباب فقالوا لها ندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة و جعفر و مسرور فلما راوهم البنات قاموا لهم و اجلسوهم و خدموهم و قالوا

مرحبا و اهلا بالضيوف و لنا عليكم شرط فقالوا و ما هو قالوا لا تتكلموا فيما لا يعنيكم تسمعوا ما لا يرضيكم فقالوا نعم ثم انهم جلسوا للشراب و المنادمة فنظر الخليفة الى الثلثة القرندلية فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب من ذلك و نظر الى البنات و ما هم فيه من الحسن و الجمال فتحير و تعجب و اخذوا في المنادمة و الحديث فقالوا للخليفة اشرب فقال انا عازم على الحج فقامت البوابة و قدمت شفرة مزركشة و اقعدت عليها باطية صينية و قلبت فيها ماء خلاف و ادخلت فيها جمعة ثلج و ابلوج سكر فشكرها الخليفة و قال في نفسه و الله لاجزيها في غداة غد على فعلها من الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت الست و خدمتهم و اخذت بيد الخشكاشة و قالت يا اختي قومي نقضي دَيننا فقالت الاختان نعم فعند ذلك قامت البوابة قدامهم و ذلك بعد ان عزلت المقام و رمت القشور و غيرت البخور و عزلت وسط القاعة و اطلعت القرندلية الى جانب الايوان على صفة و اخذت الخليفة و جعفرا و مسرورا الى جانب القصر على صفة و صرخت على الحمال و قالت ما قل مودتك انت ما انت غريب انت من اهل الدار فقام الحمال و شد وسطه و قال ما تريدي فقالت قف مكانك ثم قامت الخشكاشة و نصبت في وسط القاعه كرسيا و فتحت خوشكانة و قالت للحمال ساعدني فرأى كلبتين سودا في رقابهم جنازير فقالت للحمال خذهم فاخذهم الحمال و خرج بهم الى وسط القاعة فقامت الصبية صاحبة المنزل و شمرت عن معصمها و اخذت سوطا و قالت للحمال قدم كلبة منهم فقدمها و جرها في الجنزير و الكلبة تبكي و تحركت راسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على راسها و الكلبة تصرخ و لا زالت تضربها

حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها و ضمت الكلبة لصدرها و مسحت دموع الكلبة بيدها و باست راسها ثم قالت للحمال خذيها و هات الثانية فجابها و فعلت بها مثل ما فعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة و ضاق صدره و عيي صبره ليعرف خبر هذين الكلبين فغمز جعفر فالتفت له و قال بالاشارة اسكت ثم التفتت الصبية للبوابة فقالت لها قومي اقضي ما عليكي فقالت نعم ثم انها قامت و صعدت على السرير و هو من العرعر مصفح بصفائح الذهب و الفضة ثم قالت للبوابة و الخشكاشة هاتوا ما عندكم فقامت و جلست على كرسي بجانبها و اما الخشكاشة فانها دخلت مخدعا و خرجت و معها كيس اطلس بشراريط خضر و بشمستين ذهب و وقفت قدام الصبية صاحبة المنزل و نفضت الكيس فاخرجت منه عود غناء فاصلحت اوتاره و شدت ملاويه و اصلحته اصلاحا جيدا وانشدت تقول هذه الابيات

أَنْتُمْ مُرَادِي وَ قَصْدِي   وَ وَصْلُكُمْ يَا أَحِبَّتِي
فِيهِ النَّعِيمُ الدَّائِمْ   وَ الْبُعْدُ عَنْكُمْ نَارْ
بِكُمْ جُنُونِي وَ فِيكُمْ   تَوَلُّهِي طُولَ الزَّمَانْ
وَمَا عَلَيَّ إِذَا مَا   أَحْبَبْتُكُمْ مِنْ عَارْ
تَهَتَّكَتْ أَسْتَارِي   لَمَّا انْشَغَفْتُ بِحُبِّكُمْ
وَ الْحُبُّ مَازَالَ يَهْتِكُ   وَ يَفْضَحُ الْأَسْتَارْ
ثَوْبُ الضَّنَا قَدْ لَبِسْتُهُ   فَبَانَ عُذْرِي وَ انْفَضَحْ
مِنْ أَجْلِ ذَا فِي غَرَامِي   قَلْبِي بِكُمْ يَحْتَارْ
جَرَتْ دُمُوعِي تَجْرِي   فَبَانَ سِرِّي وَ اشْتَهَرْ

لَـمَّـا فَشَـتْ أَسْرَارِي بِدَمْـعِـيَ الْمِـهْـدَارْ
دَاوُوا شَدَائِدَ أَمْرَاضِي وَ أَنْـتُـمُ الدَّاءُ وَ الدَّوَا
وَ مَنْ دَوَاهُ مَعْكُمْ دَامَـتْ بِهِ الْإِضْـرَارْ
فَيَا جُفُونَكَ ضَنَى لِي قَـتْـلِي بِسَيْفِ صَبَابَتِي
وَكَمْ بِسَـيْـفِ الْمَحَبَّةِ قَدْ مَاتَتِ الْأَخْيَـارْ
لَا أَنْتَهِي عَـنْ غَرَامِي وَ لَا أَمِيلُ لِسَلْـوَتِـي
فَالْحُـبُّ طِـبِّـي شَرْعِي زَيْنِي فِي السِّرِّ وَ الْإِجْهَارْ
يَا سَعْـدَ عَيْنٍ تَمَلَّتْ مِـنْـكُمْ وَ فَازَتْ بِالنَّظَرْ
نَـعَـمْ وَ قَدْ صَارَ قَلْبِي مُولِـهًـا مُخْـتَـارْ

قال فلما سمعت الصبية ذلك القصيد الرباعي قالت اه اه اه ثم شقت اثوابها و وقعت على الارض مغشيا عليها فرأي الخليفة ضرب المقارع و الكسارات فتعجب غاية العجب فقامت البوابة و رشت الماء عليها و اتت لها ببدلة سنية و البستها فلما عاينوا الجماعة ذلك تكدر خاطرهم و لم يعلموا القصة و لا الخبر فعند ذلك قال الخليفة لجعفر ما نظر الى هذه الصبية وكيف عليها و هذا الضرب فانا لا اقدر اسكت الا ان وقفت على حقيقة الحال و خبر هذه الصبية و خبر الكلبتين السود فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا اننا لم نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قالت بالله يا اختي اوفيني و اتيني فقالت الخوشكاشة حبا و كرامة و اخذت العود و اسندته الى نهديها وجسته باناملها و انشدت تـــــعـــــــول

إِنْ شَكَوْنَا بُعْدًا فَما ذَا نَقُـولُ أَوْ بَلَغْـنَـا شَوْقًا فَأَيْنَ السَّبِيلُ

أَوْ بَعَثْنَا رُسْلًا تُتَرْجِمُ عَنَّا مَا يُؤَدِّي شَكْوَى الْمُحِبِّ رَسُولُ
أَوْ صَبَرْنَا فَمَا بَقِي الْمُحِبُّ بَعْدَ فَقْدِ الْاَحْبَابِ اِلَّا قَلِيلُ
لَيْسَ اِلَّا تَأَسُّفًا ثُمَّ حُزْنًا وَ دُمُوعًا عَلَى الْخُدُودِ تَسِيلُ
أَيُّهَا الْغَائِبِينَ عَنْ شَخْصِ عَيْنِي وَ هُمْ فِي الْفُؤَادِ مِنِّي حُلُولُ
أَ تَرَاكُمْ فَهَلْ عَلِمْتُمْ بِعَهْدِي فَهْوَ طُولُ الْمَاءِ لَيْسَ يَطُولُ
أَمْ تَنَاسَيْتُمْ عَلَى الْعَبْدِ صَبًّا يَشْتَفِي فِيكُمُ الْبُكَا وَ النُّحُولُ
آهِ اِنْ ضَمَّنَا وَ اِيَّاكُمُ الْحَشْرُ فَلِي مَعَكُمْ عِتَابٌ يَطُولُ

قال فلما سمعت القصيدة الثانية صرخت و قالت و الله طيب و حطت يدها و شقت اثوابها كما فعلت الاولى ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فقامت الخشكاشة و البستها بدلة ثانية بعد ان رشت عليها الماء فقامت و جلست ثم قالت لاختها الخشكاشة زيديني و اوفي ديني فما بقي غير هذا الصوت فاحضرت الخشكاشة العود و انشدت تقول هذه الابيات شـــــعـــــر

حَتَّى مَتَى هٰذَا الصُّدُودُ وَ ذَا الْجَفَا أَ فَمَا جَرَى مِنْ اَدْمُعِي مَا قَدْ كَفَا
وَ لَكَمْ تُطِيلُ الْهَجْرَ لِي مُتَعَمِّدًا اِنْ كَانَ قَصْدُكَ حَاسِدِي فَقَدِ اشْتَفَى
لَوْ اَنْصَفَ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ لِعَاشِقٍ مَا بَاتَ سَهْرًا فِي هَوَاهَا مُدْنِفَا
رِفْقًا عَلَيَّ فَقَدْ اَضَرَّ بِيَ الْجَفَا يَا مَالِكِي مَا آنَ اَنْ تَتَعَطَّفَا
فَلِمَنْ اُبِيحُ صَبَابَتِي يَا قَاتِلِي يَا خَيْبَةَ الشَّاكِي اِذَا قَلَّ الْوَفَا
وَ يَزِيدُ وَجْدِي فِيكُمُ وَ عَبْرَتِي وَ يَطُولُ اَيَّامُ الصُّدُودِ فَيَخْلُفَا
يَا مُسْلِمِينَ خُذُوا بِثَارِ مُتَيَّمٍ اَلِفَ السُّهَادَ وَ رَبْعُ صَبْرِهِ قَدْ عَفَا
أَ يَحِلُّ فِي شَرْعِ الْهَوَى يَا مُنْيَتِي بُعْدِي وَ غَيْرِي بِالْوِصَالِ مُشَرَّفَا
وَ لِاَيِّ دَعَةٍ بِالْجِوَارِ تَلَذُّذًا كَمْ جَهْدَ مَنْ اَهْوَاهُ اَنْ يَتَكَلَّفَا

قال فلما سمعت الصبية الثالثة قصيدتها صرخت وحطت يدها في اثوابها و شقتها الى الذيل و وقعت على الارض مغشيا عليها تالث مرة فبان ضرب المقارع فقالت القرندلية ليتنا لما دخلنا هذه الدار و كنا نمنا على الكيمان فقد تعكر مقامنا بشيء يقطع القلب فالتفت الخليفة اليهم و قال لهم لِمَ ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة ما انتم من هذا البيت قالوا لا و لا راينا هذا الموضع الا في هذه الساعة فتعجب و قال فيكون الرجل الذي عندكم يعرف خبرهم ثم غمز الحمال و سألوه عن الاحوال فقال الحمال و الله العظيم كلنا بالهوى سوي و انا نشوا ببغداد و عمري ما دخلت هذه الدار الا في هذا النهار و كان قعادي عندهم عجب فقالوا و الله حسبنا انك منهم و الآن نراك نظيرنا ثم ان الخليفة قال نحن سبعة رجال و هم ثلثة نساء ليس لهم رابع فاسألوهم عن حالهم فان لم يجيبونا طوعا اجابونا كرها و اتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا راي دعوهم فنحن ضيوف عندهم و شرطوا علينا شرطا و قد قبلنا شرطهم كما علمتم فالاولى سُكاتنا عن هذا الامر و قد بقي من الليل القليل وكل منا يمضي الى حال سبيله ثم غمز الخليفه و قال له ما بقي الا ساعة و في غد نحضرهم بين يديك و تسألهم عن قصتهم فرفع الخليفة راسه و صرخ مغضبا و قال ما بقي لي صبر عن خبرهم فدع القرندلية يسألوهم فقال جعفر ما هذا براي فتفاوضوا في الكلام وكثر بينهم القال و القيل فيمن يسألهم قبل قالوا الحمال فقالت لهم الصبية يا جماعه لاي شيء تفوشوا فقام الحمال لصاحبة البيت و قال لها يا ستي ان هولاء الجماعة يحبون ان تحدثيهم بخبر الكلبتين و ما قصتهم و كيف انت تعاقبيهم و تعودي تبكي و تبوسهم و اخبرهم عن اختك

و ضربها بالمقارع مثل الرجال و هذا سوالهم لك و السلام فقالت الصبية صاحبة المكان للضيوف صحيح ما يقول عنكم فقالوا الجميع نعم الا جعفر فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت و الله لقد اذيتمولي يا ضيوفنا الاذية البالغة و تقدم لنا اننا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه و ما كفاكم اننا ادخلناكم منزلنا و اطعمناكم زادنا و ما لكم ذنب الذنب لمن اوصلكم الينا ثم شمرت عن معصمها و ضربت الارض ثلث ضربات و قالت عجلوا و اذا بباب خُرِستانة قد فتح و خرج منه سبع عبيد و بايديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هولاء الكثيرين الكلام و اربطوا بعضهم ببعض ففعلوا و قالوا ايها المخدرة ارسمي لنا بضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى اسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال يا ستر الله يا ستي لا تقتليني بذنب غيري و الجميع اخطوا و دخلوا في الذنب الا انا و الله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هولاء الفرندلية الذين لو دخلوا مدينة عامرة اخربوها ثم يقول شعر

مَا اَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّمَا مِنْ غَيْرِ ذِيْ نَاصِرِ
بِحُرْمَةِ الْوُدِّ الَّذِيْ بَيْنَنَا لَا تُفْسِدِ الْاَوَّلَ بِالْآخِرِ

فلما فرغ الحمال من شعره ضحكت الصبية و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية لما ضحكت من غيظها اقبلت على الجماعة و قالت اخبروني بخبركم فما بقي من اعماركم الا ساعة و لو لا انتم عزيزين او اكابر قومكم او حكاما لما كنتم تجاريتم فقال الخليفة ويلك

يا جعفر اخبرها بنا و الا قتلنا غلطا و حسن لها القول قبل ان يحل
بنا المكروه فقال جعفر من بعض ما تستاهل فزعق عليه الخليفة و
قال الهذل له وقت و الجد له وقت هذا و الصبية اقبلت على
القرندلية و قالت لهم انتم اخوة قالوا لا و الله ما نحن الا فقراء و
اعجام فقالت لواحد منهم انت ولدت اعور قال لا و الله انا قد
جرى لي حديث عجيب و امر غريب لما قلعت عيني و لي حكاية
لو كتبت بالابر على آماق البصر لصارت عبرة لمن اعتبر قال و سألت
الثاني و الثالث فقالوا مثل الاول و قالوا و الله يا مولاتنا كل واحد
منا من بلد و ابن ملك و حاكم على بلاد و عباد فالتفتت الصبية
لهم و قالت كل واحد منكم يحكي علي حكايته و ما سبب مجيئه
الى عندنا يملّس على راسه و يروح الى حال سبيله فاول ما تقدم
الحمال فقال يا ستي انا رجل حمال حملتني هذه المحوشكاشة و جاءت
بي من بيت النباذ الى دكان الجزار و من دكان الجزار الى الفاكهاني
و من عنده الى النقلي و من النقلي الى الحلواني و العطار و منه
الى هنا و جرى لي معكم ما جرى و هذا حديثي و السلام فضحك
الصبية و قالت له ملس على راسك و رح فقال و الله ما اروح حتى
اسمع حديث رفقائي فتقدم القرندلي الاول و قال لها يا ستي اعلمي
ان سبب حلق ذقني و قلع عيني ان والدي كان ملك و له اخ و
كان اخوه ملك في مدينة اخرى و اتفق ان امي ولدتني و ولد
ابن عمي في يوم واحد و مضت سنين و اعوام و ايام حتى كبرنا
وكنت ازور عمي في كل قليل و اقعد عنده اشهرا عديدة فاكرمني
ابن عمي غاية الاكرام و ذبح لي الاغنام و روق لي المدام و جلسنا
للشراب فلما تحكم الشراب منا قال لي ابن عمي يا ابن عمي لي

اليك حاجة مهمة و اريد ان لا تخالفني فيما اريد ان افعله فقلت
له حبا و كرامة فاستوثق مني بالايمان العظام و نهض من وقته و
ساعته و غاب قليلا و عاد و خلفه امراة متّزرة مطيبة و عليها من
الحلل ما يساوي مبلغا عظيما فالتفت الي و المراة خلفه و قال خذ
هذه المراة و اسبقني على الجبانة الفلانية و وصفها لي فعرفتها و
قال لي ادخل بها الى التربة و انتظر لي هناك فلم يمكنني المخالفة
و لم اقدر ارد سواله لاجل اليمين الذي حلفته فاخذت المراة و سرت
الى ان دخلت التربة انا و اياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن
عمي و معه طاسة فيها ماء و كيس فيه جبس و قدوم ثم انه اخذ
القدوم و جاء الى قبر في وسط التربة ففكه و نقل احجاره الى ناحية
التربة ثم بحث بالقدوم في ارض القبر ثم انكشف عن طابق حديد
قدر الباب الصغير في الارض فشاله فبان من تحته سلم معقود ثم
التفت الى المراة و قال لها دونك و ما تختاري فنزلت المراة من
ذلك السلم فالتفت الي و قال يا ابن عمي تمام المعروف اذا نزلت
انا في ذلك الموضع رد الطابق و رد عليه التراب كما كان على
الطابق و هذا تمام المعروف و هذا الجبس الذي في الكيس و هذا
الماء الذي في الطاسة اعجن به الجبس و لبس القبر كما كان اولا
في دائر الاحجار حتى لا يراها احد و يقول هذا فتح جديد و بطنه
عتيق لان لي سنة كاملة و انا اعمل فيه و ما يعلم بي الا الله و
هذه حاجتي اليك ثم قال لي لا اوحش الله منك يا ابن عمي ثم
نزل في السلم فلما غاب عن عيني قمت و رديت الطابق و فعلت
ما امرني به و بقي القبر كما كان و انا في خمار سكران و رجعت الى
قصر عمي و كان عمي في الصيد و القنص فنمت تلك الليلة فلما

اصبح الصباح تفكرت الليلة الماضية و ما جرى فيها على ابن عمي و ندمت حيث لا ينفع الندم على ما فعلت معه و طاوعته فظننت انه كان مناما فاخذت اسأل عن ابن عمي فما كان احد يجيبني عنه فخرجت الى المقابر و الجبانة و فتشت على التربة فلم اعرفها و لم ازل ادور تربة تربة و قبرا قبرا حتى اقبل الليل و لم اهتد عليها فرجعت الى القصر و لم اكل و لم اشرب و قد اشتغل خاطري بابن عمي بحيث لا اعلم له حالا فاغتميت غما شديدا فنمت ليلتي و بت مهموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة و انا افكتر فيما فعله ابن عمي و ندمت على سماعي منه و قد درت في الترب جميعا فلم اعرف تلك التربة و ذلك الابر فندمت على ذلك و دمت على هذا الحال سبعة ايام فلم اعرف لها طريقا فزاد بي الوسواس حتى كدت ان اجن فلم اجد فرجا دون ان سافرت و رجعت الى ابي فساعة وصولي الى مدينة ابي نهض جماعة على باب المدينة وكتفوني فتعجبت كل العجب و انا ابن سلطان المدينة و هم خدم ابي و غلماني فلحقني منهم خوف زائد فقلت في نفسي يا ترى ما جرى على والدي و اسأل الذين مسكوني عن سبب ذلك فلم يردوا على جوابا فبعد حين قال لي بعضهم و كان خادما عندي ان اباك قد غدر به الزمان و خامر عليه العساكر و قتله الوزير و قعد مكانه و نحن نترقب لك بامره فاخذوني و انا غائب عن الدنيا من هذه الاخبار التي سمعتها عن ابي فلما تمثلت بين يديه و كان بيني و بين الوزير عداوة قديمة و سبب تلك العداوة كنت مولعا بضرب قوس البندق و اذا انا يوما من الايام واقف على سطح قصري و اذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير و كان واقفا فاردت ان اضرب

الطير و اذا بالبندقة اخطأت و حطت في عين الوزير قلعتها بالقضاء و القدر كما قيل في بعض الامثال الماضية شعر

مَشَيْنَاهَا خُطاً كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَ مَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطاً مَشَاهَا
وَ مَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

قال القرندلي فلما انقلعت عين الوزير لم يقدر يتكلم لان والدي كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بيني و بينه فلما وقفت قدامه و انا مكتف امر بضرب عنقي فقلت له باي ذنب تقتلني فقال اي ذنب اعظم من هذا و اشار الى عينه المقلوعة فقلت له هذا فعلته خطأً فقال ان كنت فعلته خطأً فانا افعله عمدا ثم قال قدموه فقدموني بين يديه فمد اصبعه في عيني اليمنى قلعها فصرت من ذلك الوقت اعور كما تروني ثم كتفني و حطني في صندوق و قال للسياف تسلم هذا و اشهر حسامك و خذه و اذهب به الى بر المدينه و اقتله و دع الوحوش و الطيور تاكله فخرج بي السياف و سار حتى خرج من المدينة الى وسط البرية و اخرجني من الصندوق و انا مكتف اليدين مغلول الرجلين و اراد ان يعصب عيني و يقتلني بعد ذلك فبكيت بكاءا شديدا حتى ابكيته و نظرت اليه و انشدت اقول هذا الابيات شعر

حَسِبْتُكُمْ دِرْعاً حَصِينًا لِتَمْنَعُوا سِهَامَ الْعِدَا عَنِّي فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا
وَكُنْتُ أَرَجِّيكُمْ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ إِذَا أَعْوَزَتْ أَيْدِي الْيَمِينِ شِمَالَهَا
دَعُوا قِصَّةَ الْعُذَّالِ عَنِّي بِمَعْزِلٍ وَ خَلُّوا الْعِدَا يَرْمُوا عَلَيَّ نِبَالَهَا
إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَحْرِسُونِي مِنَ الْعِدَا فَكُونُوا سُكُوتًا لَا عَلَيَّ وَ لَا لِيَا

و قال ايضا شعر

وَاِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمْ دُرُوعًا فَكَانُوهَا وَلٰكِنْ لِلْاَعَادِيْ
وَخِلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا وَلٰكِنْ فِيْ فُؤَادِيْ

فلما سمع السياف شعري وكان سياف ابي و لي عليه الاحسان قال يا سيدي كيف افعل و انا عبد مامور ثم قال لي فز بعمرك و لا تعد الى هذه الارض فتهلك و تهلكني معك كما قال بعضهم شعر

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا اِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلِّي الدَّارَ تَنْعِي مَنْ بَنَاهَا
فَاِنَّكَ وَاجِدٌ اَرْضًا بِاَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يَعِيشُ بِدَارِ ذُلٍّ وَاَرْضُ اللّٰهِ وَاسِعَةٌ فَلَاهَا
وَلَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِيْ مُهِمٍّ فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ خَلَاهَا
وَمَا غَلُظَتْ رِقَابُ الْاُسْدِ حَتَّى بِاَنْفُسِهَا تَوَلَّتْ مِنْ عَنَاهَا

فقبلت يديه و ما صدقت بالنجاة و هان علي قلع عيني بنجاتي من القتل و سافرت حتى وصلت الى مدينة عمي فدخلت عليه و اعلمته بما جرى على والدي و بما جرى لي من قلع عيني فبكي بكاءا شديدا و قال لعد زدتني هما على همي و غما على غمي فان ابن عمك قد عدم و لا اعلم ما جرى عليه منذ ايام و لم يخبرني احد بخبره و بكي حتى اغمي عليه فحزنت عليه حزنا شديدا فاراد ان يحط على عيني دواء فراها صارت جوزة فارغة فقال يا ولدي بعينك و لا بروحك قال و لم يمكنني السكوت على ابن عمي الذي هو ولده فاعلمته بالذي جرى كله ففرح عمي بالذي قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه و قال قم ارني التربة فقلت و الله يا عمي لم اعرف مكانها لاني رحت بعد ذلك مرارا و فتشت عليها فلم اعرف مكانها

ثم اتيت انا وعمي الى الجبانة و نظرت يمينا و شمالا فعرفتها ففرحت انا وعمي فرحا شديدا و دخلت انا و اياه التربة و شلنا التراب و رفعنا الطابق و نزلت انا و عمي قدر خمسين درجة فلما وصلنا الى اخر سلم و اذا بدخان طلع علينا حتى غشى ابصارنا فقال عمي كلمة لا يخجل قائلها لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم ثم مشينا و اذا نحن بقاعة ملآنة دقيقا و من الحبوب و الماكول و غير ذلك و رأينا في وسط القاعة بشخانة مرخاة على سرير فنظر عمي الى السرير فوجد ابنه و المرأة التي قد نزلت معه صارا فحما اسود و هما متعانقين كانهما القيا في جب من نار فلما نظر عمي ذلك بزق في وجهه و قال تستاهل يا خنزير هذا عذاب الدنيا و بقي عذاب الآخرة اشد و اقوى و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القرندلي قال للصبية و الجماعة يسمعون و جعفر و الخليفة ثم ان القرندلي قال ان عمي ضرب ولده بالزربون و هو راقد فحم سود فتعجبت من فعله و حزنت على ابن عمي وكيف صار هو و الصبية فحما اسود فقلت بالله يا عمي زوّل عن قلبك غصة لقد اشتغل سري و خاطري و اغتميت بما قد جرى على ولدك وكيف بقي فحما اسود هو و الصبية وما كفاهم ما هم فيه ضربته بالزربون فقال يا ابن اخي هذا ولدي من صغره مولع بحب اخته وكنت انهاه عنها و اقول دول صغار فلما كبرا و وقع بينهما القبيح و سمعت بذلك و لم اصدق فمسكته و زجرته زجرا بليغا و قالوا له الخدام الحذر من هذه الفعال القبيحة التي ما فعلها احد قبلك و لا بعدك و تبقي بين الملوك بالمعيرة والنقصان الى اخر الزمان و تشيع اخبارنا مع الركبان

و اياك انْ تصدر منك هذه الفعال فاني اسخط عليك و اقتلك وحجبته عنها و حجبتها عنه و كانت الملعونة تحبه محبة عظيمة و قد تحكم الشيطان و زين لهما اعمالهما فلما راني حجبته فعل هذه المكان الذي تحت الارض و سواه و نقل فيه المأكول كما تراه و استغفلنى لما خرجت الى الصيد اتى هذا المكان فغار عليه الحق و عليها و احرقهما و عذاب الآخرة اشد و اقوى ثم بكى و بكيت معه و نظر الي و قال انت ولدي عوض عنه و تفكرت ساعة في الدنيا و حوادثها و كيف قتل الوزير والدي و جلس مكانه و قلع عيني و ما تم على ولد عمي من الحوادث الغريبة ثم بكيت و بكى عمي معي ثم اننا صعدنا و ردينا الطابق و التراب و عملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا حس طبول و بوقات و كوسات و رمح ابطال و زمجر رجال و قعقعة اللجم وصهيل خيل انطبقت الدنيا بالعُجاج و الغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا و لم تعرف الخبر فسألنا عن الخبر فقيل ان الوزير الذي اخذ مملكة ابيك جهز العساكر و جمع الجيوش و استخدم العربان و جانا بعساكر كعدد الرمال لا يحصى لهم عدد و لا يقوى لهم احد و قد هجموا المدينة على غفلة و اهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه المدينة فضل عمي و هربت انا بجانب المدينه و قلت انا متى وقعت في يده تقتلك و تجددت علي الاحزان و تذكرت الحوادث التي حدثت لابي و عمي وكيف العمل فان ظهرت عرفوني اهل المدينة و عسكر ابي فيكون قتلي و هلاكي فما وجدت شيأ انجو به الا حلق ذقني و شواربى فحلقتها و غيرت اثوابي و خرجت من المدينة و قصدت هذه المدينة لعل احدا يوصلنى الى امير المومنين و

و خليفة رب العالمين حتى احكي له و ابث قصتي و ما جرى لي
فوصلت هذه المدينة الليلة فوقفت حائرًا اين امضي و اذا بهذا
القرندلي واقف فسلمت عليه و قلت له غريب فقال و انا غريب
فبينما نحن كذلك و اذا برفيقنا هذا الثالث جاء الينا و سلم علينا و
قال لنا غريب فقلنا له و نحن غرباء فمشينا و قد هجم علينا الظلام
فساقنا القدر الى عندكم و هذا سبب حلق ذقني و شواربي و قلع
عيني فقالت الصبية ملس على راسك و رح فقال لها لا اروح حتى
اسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر و الله ما
رأيت و لا سمعت مثل الذي جرى لهذا القرندلي ثم تقدم القرندلي
الثاني و قبل الارض وقال يا ستي انا ما ولدت اعور و لي حكاية
عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر و هي
اني كنت ملك ابن ملك و قرأت القرآن على سبع روايات و قرأت
الكتب و عرضتها على مشايخ العلم و قرأت علم النجوم و كلام
الشعراء و اجتهدت في سائر العلوم حتى فقت اهل زماني و فاق
خطي على سائر الكتبة و شاع ذكري في سائر الاقاليم و البلدان و
عند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فارسل الى ابي يطلبني و
ارسل لابي هدايا و تحفا تصلح للملوك فجهزني ابي في ستة مراكب
و سرنا في البحر مدة شهر كامل فوصلنا الى البر و اخرجنا خيلا
كانت معنا في المركب و شدينا عشرة جمال هدايا و مشينا قليلا و
اذا انا بغبار قد علا و ثار حتى سد الاقطار و بعد ساعة من النهار
انكشف الغبار و بان من تحته خمسون فارسا ليوث عوابس بحديد
لوابس فتاملناهم و اذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا و نحن نفر
قليل و معنا عشرة اجمال هدايا لملك الهند دهموا علينا و قدموا

السنان بين ايدينا فاشرنا اليهم بالاصابع و قلنا لهم نحن رسل ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا في ارضه و لا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض الغلمان و هرب الباقون و هربت انا بعد ان انجرحت جرحا بليغة و اشتغلت عني العرب بالمال و الهدايا التي كانت معنا فصرت لا ادري اين اذهب وكنت عزيزا فصرت ذليلا و سرت الى ان اتيت راس الجبل فاويت الى مغارة الى ان طلع النهار و لم ازل كذلک حتى وصلت الى مدينة امينة حصينة وَلّى عنها الشتاء ببرده و اقبل عليها الربيع بورده و أُطلعت ازهارها و تدفقت انهارها وتغردت اطيارها كما قال فيها الشاعر حيث و صـفـهـا

مَدِينَةٌ مَا بِهَا لِسَاكِنِهَا مُرَوّعٌ وَ الْأَمَانُ صَاحِبُهَا
كَأَنَّهَا جُنَّةٌ مُزَخْرَفَةٌ لِأَهْلِهَا قَدْ بَدَتْ عَجَائِبُهَا

قال ففرحت بوصولي اليها و قد تعبت من المشي و علاني الهم و الاصفرار فتغيرت حالتي و لا ادري اين اسلک فاجتزت خياطا في دكان فسلمت عليه فرد عليّ السلام و رحب بي و ابنسط معي و آنسني و سألني عن سبب غربتي فاخبرته بما جرى لي من اوله الى آخره فاغتم لاجلي و قال يا فتى لا تظهر ما عندک فاني اخاف عليک من ملک هذه المدينة و انه اكبر اعداء ابيک و له عنده ثار ثم احضر لي ماكولا و مشروبا فاكلت و اكل معي و تحادثت معه في الليل و افرد لي محلا الى جانب حانوته و اتاني بما احتاج اليه من فراش و لحاف فاقمت عنده ثلثة ايام فقال لي ما تعرف صنعة تكتسب منها فقلت له اني فقيه عالم كاتب حاسب خطاط فقال صنعتک كاسدة في بلادنا و ما في مدينتنا من يعرف علما و لا كتابة غير الكسب ...

و الله لا ادري شيأ غير الذي ذكرته لك فقال شُد وسطك و خذ فاسا و حبلا و احطتب من البرية حطبا تتقوت به الى ان يفرج الله عنك و لا تعرفهم بنفسك يقتلوك ثم اشترى لي فاسا و حبلا و سلمني الى بعض الحطابين و اوصاهم علي فخرجت معهم و احتطبت نهاري كله فاتيت بحمل على راسي فبعته بنصف دينار فاكلت ببعضه و ابقيت بعضه و دمت على هذا الحال مدة سنة فبعد السنة اتيت يوما على عادتي الى البرية و استفرقت فيها فوجدت غُوطة اشجار فيها حطب كثير فدخلت الغوطة فوجدت اصل شجرة غليظة فحفرت حولها و ازلت التراب عنها فعثرت الفاس في حلقة نحاس فنظفت التراب و اذا هي في طابق خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى اسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا من احسن البنيان مشيدة الاركان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي عن القلب كل هم و غم و بليه كلامها يشفي الكروب و يترك العاقل اللبيب مسلوب خماسية القد قاعدة النهد ناعمة الخد مشرقة اللون مليحة الكون و قد اشرق وجهها في ليل الذوائب و لمع ثغرها على صفحات الترائب كما قال فيها الشاعر

دُعْجِيَّةُ الفَرْعَيْنِ مَهْضُومَةُ الحَشَا كَثِيبِيَّةُ الأَرْدَافِ بَانِيَّةُ القَدِّ

و ايضا

أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعَتْ قَطُّ اِذَا اِلاَّ عَلَى مُهْجَتِي وَ سَفْكِ دَمِي
ضَوْءُ جَبِينٍ وَ لَيْلُ طُرَّتِهِ وَ وَرْدُ خَدٍّ وَ ضَوْءُ جِسْمِ

فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما ابدع فيها من الحسن و

الجمال فنظرت اليّ وقالت لي انت من تكون انسي ام جني فقلت
لها انسي فقالت و من اوصلك الى هذا المكان الذي لي فيه خمسة
و عشرين سنة ما رأيت فيه انسيا ابدا فقلت و قد وجدت لكلامها
عذوبة و قد اخذ بمجامع قلبي يا سيدتي انا بي منازلي للذهاب
همي و غمي و حكيت لها ما جرى لي من الاول الى الآخر فصعب
عليها حالي و بكت و قالت انا الاخرى اعلمك بقصتي اعلم اني بنت
ملك افيتاموس صاحب جزيرة الابنوس وكان قد زوجني بابن عمي
فليلة زفاني اختطفني عفريت اسمه جرجيس بن رجموس ابن خالة
ابليس فطار بي ونزل في هذا المكان و نقل فيه كل ما احتاج اليه من
الحلل و الحلي و القماش و المتاع و الطعام و الشراب و غير ذلك
و في كل عشرة ايام ياتيني مرة ينام هنا ليلة ثم يروح لحال سبيله
لانه قد اخذني بغير رضىً من اهله و عاهد بي اذا عرض لي حاجة
ليلا او نهارا ان المس بيدي هذين السطرين المكتوبين على القبه
فما اشيل يدي الا و اراه عندي وله اليوم اربعة ايام و بقي له ستة
ايام حتى ياتي فهل لك ان تقيم عندي خمسة ايام و تنصرف قبل
مجيه بيوم فقلت نعم يا حبذا ان صحت الاحلام ففرحت و نهضت
على اقدامها فمسكتني من يدي و ادخلتني من باب مقنطر و انتهت
بي الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته قلعت ثيابي و قلعت ثيابها
فغسلت و خرجت فجلست على مرتبة و اجلستني الى جانبها و اتت
بسكر ممسك و سقتني ثم قدمت لي ماكولا فاكلنا و تحادثنا ثم قالت
لي نم و استرح فانك تعبان فنمت يا سيدتي و قد نسيت ما
جرى لي و شكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت
لها و جلسنا نتحادث ساعة فقالت و الله كنت ضيقة الصدر و انا فيت

الارض وحدي و لم اجد من يحدثني خمسة و عشرين سنة فالحمد
لله الذي ارسلك لي ثم قالت يا فتى هل لك في الشراب فقلت
افعلي فعمدت الى خرستان و اخرجت شرابا عتيقا مختوما و نصبت
خضرة فاخذت وانشدت تقول شـــــــعـــــــر

لَوْ عَلِمْنَا قُدُومَكُمْ لَنَشَرْنَا مُهْجَةَ الْقَلْبِ اَوْ سَوَادَ الْعُيُونِ
وَ فَرَشْنَا خُدُودَنَا لِلِقَاكُمْ لِيَكُوْنَ الْمَسِيرُ فَوقَ الْجُفُونِ

فلما فرغت من شعرها شكرتها و قد تمكنت محبتها و قد ذهب
همي و غمي و جلسنا في منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما
رأيت مثلها في عمري و اصبحنا نصل السرور بالسرور الى وسط النهار
فسكرت سكراً حتى غبت عن الوجود فقمت اتمائل يمينا و شمالا و
قلت لها يا مليحة قومي اطلعك من تحت الارض و اريحك من
هذا الجني فضحكت و قالت اقنع و اسكت ففي كل عشرة ايام يوم
للعفريت و تسعة ايام لك فقلت و قد غلب علي السكر انا الساعة
أكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب و دعي العفريت يجيءُ
حتى اقتله فاني معوّد بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي اصفرت
لونها و قالت لي بالله لا تفعل و انـــــــشـــــــدت

اِنَّ شَيْأً هَلَاكُ نَفْسِكَ فِيْهِ يَنْبَغِي اَنْ تَصُونَ نَفْسَكَ عَنْهُ

ثم انشدت تقول شـــــــعـــــــر

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلاً بِحِيْلَةٍ سَابِقًا عِنَاقُ
اِصْبِرْ فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ وَ آخِرُ الصُّحْبَةِ الْفِرَاقُ

فلما فرغت من شعرها [illegible]

قويا و ادرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر قالت بلغني ايها الملک
السعيد ان القرندلي الثاني قال للصبية يا سيدتي لما رفصت القبة
رفصا قويا الا و الاقطار قد اظلمت و ارعدت و ابرقت و هزهزت
الارض و اطبقت الدنيا فطار الكسر من راسي و قلت لها ما الخبر
قالت العفريت قد وصل الينا ما حذرتک من هذا والله لقد آذيتني
انج بنفسک و اطلع من المكان الذي جئت منه فمن شدة خوفي
نسيت مركوبي و فاسي فلما طلعت درجيتن و التفت لانظر و اذا
بالارض قد انشقت و طلع منها عفريت ذو منظر بشع و قال ما هذه
الزعجة التي ازعجتني بها ما مصيبتک فقالت ما اصابني شيٌ غير ان
صدري ضاق فاردت ان اشرب شرابا يشرح صدري فاستعلمت قليلا
و اردت ان اقضي شغلا فثقلت عليّ راسي فوقعت على القبة فقال لها
العفريت تكذبي يا قحبة و نظر في القصر يمينا و شمالا فرأى المركوب
و الفاس فقال لها ما هذا الا لِبس الانس من جاء الى عندک
فقالت ما نظرت هذا الا الساعة كانهما تعلقا معک فقال العفريت
هذا كلام محال ما يبطل علي باكورة ثم انه عراها وشبحها بين اربع
سُكک و جعل يعاقبها و يقررها فما كان و لا هان عليّ ان اسمع
بكاها فطلعت من السلم و انا من الخوف ارجف فلما وصلت الى
اعلا الموضع و رديت الطابق كما كان و سترته بالتراب و ندمت
على ما فعلت غاية الندم و تذكرت الصبية و حسنها وكيف يعاقبها
هذا الملعون وكيف لها خمسة و عشرون سنة و ما جرى لها بسببي
و افتكرت ابي و مملكة و كيف صرت حطابا و بعد ان صفا الوقت
رجع تكدر عيشي فبكيت وقلت هذا البيت شـــــعـــــر

إِذَا مَا أَتَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرًا

ثم مشيت الى ان اتيت رفيقي الخياط فلقيته من اجلي على مقالي النار و هو لي في الانتظار فقال الي بت البارحة قلبي عندك و خفت عليك من وحش و غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته علي و دخلت خلوتي و جعلت اتفكر فيما جرى لي و لمت نفسي على كثرة فضولي و رفصي هذه القبة و انا في هذا الحساب و اذا بصديقي الخياط دخل علي و قال لي يا فتى برا شيخ عجمي يطلبك و معه فاسك و مركوب رجلك قد جاء بهما الى الخياطين و قال لهم انا خرجت وقت اذان الموذن الى صلوة الفجر فعثرت بهما و لم اعلم لمن هما دلوني على صاحبهما فدلوه الخياطين عليك و قد عرفوا فاسك وهو قاعد في دكاني فاخرج اليه و اشكره و خذ فاسك و ترجيلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر اوني و تغير كوني فبينما انا كذلك و اذا بارض خلوتي انشقت و طلع منها العجمي و اذا هو العفريت و قد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشئ فاخذ الفاس و الترجيل و قال لها ان كنتُ جرجيس من ذرية ابليس فانا اجئ بصاحب هذا الفاس و الترجيل ثم جاء في هذه الحيلة الى الحطابين و دخل علي و لم يمهلني بل اختطفني و طار و علا بي و نزل و غاص في الارض و انا لا اعلم بنفسي ثم طلع بي القصر الذي كنت فيه فرأيت الصبية عريانة مشبوحة و الدم يسيل من اجنابها فذرفت عيناي بالدمع فاخذها العفريت و قال لها يا كورة ا ما هذا هو عشيقك فنظرت الي و قالت له لا اعرف هذا و لا رأيته الا في هذه الساعة فقال لها العفريت و هذه العقوبة و لم تقري فقالت ما رأيته عمري

و ما يحل من الله ان اكذب عليه فقال لها العفريت ان كنتي لم تعرفيه خذي هذا السيف و اضربي عنقه فاخذت السيف و جاءتني و وقفت على راسي فاشرت لها بحاجبي و دمعي يجري على وجنتي ففهمت اشارتي و غمزتني و قالت فعلتَ بنا كل هذا فاشرت لها ان هذا وقت العفو و لسان حالي يقول

يُتَرْجِمُ طَرْفِي عَنْ لِسَانِي فَتَعْلَمُوا وَيُبْدِي الْهَوَى مَا فِي ضَمِيرِي أَكْتُمُ
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَالدُّمُوعُ سَوَاجِمُ خَرِسْتُ وَطَرْفِي عَنْكُمُ يَتَكَلَّمُ
تُشِيرُ فَأَدْرِي مَا تَقُولُ بِطَرْفِهَا وَأُومِي إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ فَتَفْهَمُ
حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الْحَوَائِجَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ

قال فلما فرغت من الشعر يا سيدتي رمت الصبية السيف من يدها و قالت كيف اضرب عنق من لا اعرفه و لا اساء علي ما يحل هذا في ديني و تاخرت فقال العفريت ما يهون عليكي قتل محبوبك كونه نام معك ليلة تقاسي هذه العقوبة و لا تقري عليه و بعد هذا لا يحن على الجنس الا الجنس ثم التفت الي العفريت و قال يا انسي و انت ما تعرف هذه فقلت و من تكون هذه و ما رأيتها قط الا في هذه الساعة قال فخذ هذا السيف و اضرب عنقها و انا اطلقك تروح و لا اتكد عليك و اني اتحقق انك لا تعرفها ابدا فقلت نعم و اخذت السيف و تقدمت بنشاط و رفعت يدي فقالت لي بحاجبها اي ما قصرت معك ا هكذا تقابلني ففهمت ما قالت و اشرت اليها بعيني اني ساقديك بروحي فكتب لسان حالنا حيث يقول

كَمْ عَاشِقٍ حَدَّثَ بِأَجْفَانِهِ مَعْشُوقَهُ بِالَّذِي أَضْمَرَا
أَوْحَى إِلَيْهِ لَحْظُهُ بِالْعَيْنِ أَنِّي عَلِمْتُ الَّذِي قَدْ جَرَى

فَمَا أَحْسَنَ اللَّحْظَ فِي وَجْهِهِ وَمَا أَرْشَقَ الطَّرْفَ إِذْ عَبَرَا
فَهٰذَا بِأَجْفَانِهِ كَاتِبٌ وَذَاكَ بِمُقْلَتِهِ قَدْ قَرَا

قال فهملت عيناي بالدموع و رميت السيف من يدي و قلت ايها العفريت الشديد و البطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل و دين ما استحلت ضرب عنقي فكيف يحل لي ان اضرب عنقها و لم ارها عمري فلا افعل ذلك ابدا و لو سقيت كاس الموت والردى فقال العفريت انتما تعرفا صنيعة بينكما انا اريكما عاقبة فعالكما فاخذ العفريت السيف و ضرب يد الصبية قطعها ثم ضرب الثانية قطعها فقطع اربعتها باربع ضربات و انا انظر و ايقنت بالموت و قد اشارت الي بعينها كالمودع ثم ان العفريت قال لها زنيتي بعينك و ضربها طير راسها ثم التفت الي و قال يا انسي نحن في شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها و هذه الصبية خطفتها ليلة عرسها و هي بنت اثنى عشر سنة و لم تعرف احدا غيري و كنت اجئ عندها في كل عشرة ايام ليلة واحدة و كنت اجيها في زي رجل عجمي فلما تحققت انها خانتني قتلتها و اما انت فلم اتحقق انك خنتني فيها و لٰكن لابد اني ما اخليك في عافية فتمن على ففرحت يا سيدتي غاية الفرح و قلت و ما اتمناه عليك قال تمن على اي صورة اسحرك فيها اما صورة كلب او حمار او قرد فقلت و قد طمعت انه يعفو عني و الله ان عفوت عني يعف الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يوذك و تضرعت غاية التضرع و بقيت بين يديه و قلت له انا مظلوم فقال لا تطل علي الكلام ما يبعد علي قتلك و لٰكن اخيرك فقلت ايها العفريت ان العفو عني هو اليق بك فاعف عني كما عفا المحسود عن الحاسد

فقال العفريت و كيف كان ذلك فقلت زعموا ايها العفريت انه كان رجلان في المدينة ساكنين في بيتين بحائط واحد ملصقين و كان واحدهما يحسد الآخر و يصيبه بعينه و يبالغ في اذيته و كل وقت يحسده و زاد به حسده حتى انه قلل في طعامه و لذيذ منامه والمحسود لا يزداد الا خيرا و كلما تغلب فيه زاد و نما و ذكا فبلغ المحسود حسده جاره له و اذيته له فرحل من جواره و ابعد عن ارضه و قال و الله لاهجرنّ الدنيا لاجله و سكن في مدينة اخرى و اشترى له فيها ارضا و كان في تلك الارض بئر ساقية قديمة و عمر له بها زاوية و اشترى له كل ما يحتاج اليها و عبد الله تعالى فيها و اخلص عبادته و جاءته الفقراء و المساكين من كل جانب و شاع خبره في تلك المدينة ثم اتصل خبره بجاره الحاسد له بما وصل اليه من الخير و صاروا ايقصدون اليه اكابر المدينة فدخل الزاوية فتلقاه الجار المحسود بالرحب و السعة و اكرمه غاية الاكرام فقال له الحاسد لي معك كلام و هو سبب سفري اليك و اريد ابشر لك فقم و امش معي في زاويتك فقام المحسود و اخذ بيد الحاسد و تمشوا الى آخر الزاوية فقال الحاسد قل لفقرائك يدخلون الى خلواتهم فانا ما اقول لك الا سرا بحيث لا احد يسمعنا فقال المحسود لفقرائه ادخلوا الى خلواتكم ففعلوا كما امرهم به و مشى به قليلا الى ان وصل به الى البئر القديم فدفع الحاسد المحسودَ فالقاه في البئر و لم يعلم به احد و خرج و راح في سبيله و ظن انه قتله و كان البئر مسكونا من الجن فالتقوه قليلا قليلا و اقعدوه على الصخرة و قال بعضهم لبعض تعرفون من هذا قالوا لا قال قائل منهم هذا الرجل المحسود الذي هرب من حاسده و سكن مدينتنا و انشأ هذه الزاوية

و آنسنا بذكره و قراءته و قد هافرله الحاسد حتى اجتمع به و تحيل
عليه حتى رماه عندكم و قد اتصل خبره في هذه الليلة الى سلطان
هذه المدينة وعزم على زيارته في غداة لاجل بنته فقال بعضهم و
ما الذي بابنته قال بها جنون و قد تولع بها جنون ميمون بن
دمدم و لو عرف دواءها لكان ابرأها و دواءها اهون ما يكون قال
بعضهم و ما دواءها قال القط الاسود الذي عنده في الزاوية في آخر
ذنبه نقطة بيضاء بقدر الدرهم يأخذ منها سبع شعرات من
الشعر الابيض فيبخرها بها فيروح المارد من على راسها و لا يعود
اليها ابدا و تبري لوقتها ايها العفريت هذا كله جرى و المحسود
يسمع فلما اصبح الصباح و طلع الفجر و لاح جاء الفقراء الى الشيخ
فوجدوه طالعا من البئر فعظم في اعينهم و لم يكن للمحسود دواء
الا القط الاسود فاخذ من النقطة البيضاء التي في ذنبه سبع
شعرات و شالهم معه و ما طلعت الشمس الا و الملك قد جاء في
عسكره فتدخل هو و اكابر دولته و امر بقية عسكره بالوقوف فلما دخل
الملك على المحسود رحب به و قربه و قال له اكاشفك على ما جئته
به قال نعم قالَ انك جئت تزورني و في نفسك تسئلني عن ابنتك
فقال الملك نعم ايها الشيخ الصالح فقال المحسود ارسل من يأتي
بها و ارجو انشاً الله تعالى تبرأً في هذه الساعة ففرح الملك و
ارسل خلف ابنته و جاوًا بها و هي مكتفة مغللة فاجلسها المحسود
و ستر عليها سترا و اخرج الشعر و بخرها به فصاح الذي كان على
راسها و مضى عنها و عقلت البنت على نفسها و سترت وجهها
فقالت ما هذه الاحوال و من جابني الى هذا المكان و فرح السلطان
فرحا ما عليه من مزيد و قبل عينيها و قبل يدى الشيخ المحسود ثم

انه التفت الى اكابر دولته و قال ما ذا تقولون ما يستأهل من شفا ابنتي قالوا يتزوج بها قال صدقتم ثم زوجه بها و صار المحسود صهر الملك و بعد قليل مات الوزير فقال من نعمل وزيرا فقالوا صهرك فعملوا المحسود وزيراً و بعد قليل مات السطان قالوا من نعمل ملكا قالوا الوزير فعملوا الوزير سلطانا و صار ملكا حاكما ففي يوم من الايام ركب مركبه و كان الحاسد مارا في طريقه و اذا بالمحسود بدست مملكته بين امرائه و وزرائه و ارباب دولته فوقعت عينه على حاسده فالتفت الى بعض وزرائه فقال ايتني بذلك الرجل و لا ترجفه فغاب و اتاه بالحاسد جاره فقال اعطوه الف مثقال من خزانتي و عبوا له عشرين حملا من المتجر و ارسلوا معه حارسا يوصله الى بلده ثم انه ودعه و انصرف عنه و لا عاقبه على ما فعل به انظر ايها العفريت الى عفو المحسود الى الحاسد و كيف حسده في البداية ثم اذاه و سافر له ثم بلغ به الى ان رماه في البئر و اراد قتله و لم يقابله على اذاه بل صفح عنه و عفا له ثم بكيت ايتها السيدة بين يديه البكاء الشديد الذي ما عليه من مزيد و انشدت

وَهَبِ الجُنَاةَ فَلَمْ تَزَلْ اَهْلُ النُّهى ... يَهَبُوْنَ لِلْجَانِيْنَ مَا يَجْنُوْنَهُ
فَلَقَدْ حَوَيْتُ عَلَى الذُّنُوْبِ بِاَسْرِهَا ... فَاحْوِ مِنَ الصَّفْحِ الْجَمِيْلِ فُنُوْنَهُ
فَمَنِ ابْتَغى عَفْوَ الَّذِيْ هُوَ فَوْقَهُ ... فَلْيَعْفُ عَنْ ذَنْبِ الَّذِيْ هُوَ دُوْنَهُ

فقال العفريت اما ان اقتلك و اما العفو عنك فلا و لا بد ان اسحرك ثم اقتلع بي من الارض و طار بي الى الجو حتى نظرت الى الدنيا تحتي كانها قصعة في وسط الماء ثم حطني على جبل و اخذ

قليلا من التراب و همهم عليه وعزم وطرشني به و قال اخرج من
هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن مایة
سنة فلما رايت نفسي في هذه الصورة القبيحة بكيت على نفسي
وصبرت على جور الزمان و علمت ان الزمان ليس لاحد و قد
انحدرت من على الجبل الى اسفل فوجدت برا متسعا فسافرت مدة
الشهر فانتهى بي السير الى شاطي البحر المالح فوقفت ساعة واذا انا
بمركب في وسط البحر و قد طاب ريحه وهو طالب البر فاختفيت خلف
صخرة على جانب البر و صبرت الى ان اتى المركب فنزلت فيه
فقال واحد من الركاب اخرجوا هذا المشوم عنا فقال الرئس نقتله و
قال الآخر اقتله بهذا السيف فمسكت ذيل الرئس و بكيت و سالت
دموعي فحن على الرئس و قال يا تجار هذا القرد قد استجار بي و
قد آجرته و هو في ذمامي فلا احد يعكر عليه ولا يشوش عليه ثم
ان الرئس صار يحسن الي و مهما تكلم به افهمه و اقضي حوائجه كلها
و اخدمه في المركب فحبني ثم ان المركب طاب له الريح مدة خمسين
يوما فرسينا على مدينة عظيمة و فيها عالم عظيم لا يحصى عددهم
الا الله فساعة وصولنا وقف مركبنا و اذا قد جاءت لنا مماليك من
جهة ملك المدينة فطلعوا الى مركبنا و هنوا التجار بالسلامة و قالوا
ملكنا يهنيكم بالسلامة و قد ارسل اليكم هذا الدرج الورق و كل واحد
منكم يكتب فيه سطراً واحدا فان الملك كان له وزير خطاط و قد
مات و اقسم السلطان و حلف الايمان العظام بان لا يوزر الا من
يكتب مثل خطه ثم ناول التجار درج ورق طوله عشرة اذرع في عرض
ذراع فكتب كل من كان يعرف الكتابة الى آخرهم فقمت و انا في
صورة القرد و خطفت الدرج من ايديهم فخافوا اني اقطعه فنهروني

فاشرت اليهم اني اكتب فاشار لهم الرئس خلوه يكتب و ان لخبط طردناه عنا و ان احسن الكتابة اتخذته ولدا فاني ما رأيت قردا افهم منه ثم اني مسكت القلم و استمديت من الدواة حبرا وكتبت بقلم الرقاعي هذين البيتين شعر

لَقَدْ كَتَبَ الدَّهْرُ فَضْلَ الْكِرَامِ وَ فَضْلُكَ لِلْآنِ لَا يُكْتَتَبْ
فَلَا أَيْتَمَ اللهُ مِنْكَ الْوَرى لِأَنَّكَ لِلْفَضْلِ أُمٌّ وَ أَبْ

وكتبت بقلم الريحان شعر

لَهُ قَلَمٌ عَمَّ الْأَقَالِيمَ نَفْعُهُ وَ عَمَّ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ مَنَافِعُ
فَمَا نِيلَ مِصْرٍ مِثْلَ نَائِلِكَ الَّذِي يَمُدُّ اِلَى الْأَمْصَارِ خَمْسٌ أَصَابِعُ

وكتبت بقلم الثلث شعر

وَ مَا مِنْ كَاتِبٍ اِلَّا سَيَفْنَى وَ يَبْقَى الدَّهْرَ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ اِنْ تَرَاهُ

وكتبت بقلم النسخ

وَ لَمَّا نُبِينَا بِالْفِرَاقِ وَ حَكَّمَتْ فِينَا بِذَاكَ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
غُدْنَا لِأَفْوَاهِ الْمَحَابِرِ نَشْتَكِي أَلَمَ الْفِرَاقِ بِأَلْسُنِ الْأَقْلَامِ

وكتبت بقلم الطومار

اِنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَدُومُ لِوَاحِدٍ اِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ ذَا فَأَيْنَ الْأَوَّلُ
اِغْرِسْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ غَرَائِسًا فَاِذَا عُزِلْتَ فَاِنَّهَا لَا تُعْزَلُ

وكتبت بقلم المحقق شعر

اِذَا فَتَحْتَ دَوَاةَ الْعِزِّ وَالنِّعَمِ فَاجْعَلْ مِدَادَكَ مِنْ جُوْدٍ وَمِنْ كَرَمِ
وَاُكْتُبْ بِخَيْرٍ اِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَقَدْ نُسِبْتَ بِهَذَا النَّسَبِ وَالْقَلَمِ

ثم ناولتهم الدرج وكتبوا كل واحد سطرا ثم اخذوه وطلعوا به الى الملك فلما نظر الملك الى الدرج فلم يعجبه خط احد الا خطي فقال للجماعة توجهوا الى صاحب هذا الخط واركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة والبسوه بُدلة سنية واحضروه الى عندي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب الملك منهم وقال يا ملاعين اقول لكم على امر تضحكون علي فقالوا ايها الملك ان لضحكنا سببا فقال وما هو فقالوا ايها الملك انت تامرنا اننا نحضر لك الذي كتب هذا الخط والحال ان الذي كتبه قرد وليس هو آدمي وهو مع رئس المركب فقال ا حقا ما تقولون قالوا ايوا وحق نعمتك فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال اريد ان اشتري هذا القرد من الرئس ثم بعث رسولا الى المركب ومعه البغلة والبدلة والنوبة وقال لابد ان تلبسوه هذه البدلة وتركبوه البغلة وتجيئو به في المركب وتاتوا به فساروا الى المركب واخذوني من الرئس والبسوني البدلة واركبوني البغلة فاندهش الخلائق وانقلبت المدينة لاجلي وصاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك ولاقاني قبلت الارض بين يديه ثلث مرات ثم امرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجبت الخلائق الحاضرين من ادبي وكان اكثرهم تعجبا الملك ثم امر الملك الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا انا وحضرة الملك والطواشي ومملوك صغير ثم امر الملك فقدموا سفرة الطعام وفيها ما هش وطار وتناكح في الاوكار من القطا والسماني وسائر اصناف الطيور فاشار الملك الي ان اكل معه فقمت

و قبلت الارض بين يديه و جلست اكلت معه و قد انشالت السفرة فغسلت يدي سبع مرات و اخذت الدواة و القلم و كتبت اقول هذه الابيات شعر

عُجْ بِالعَرَارِيجِ فِي رَبْعِ السَّكَارِيجِ وَابْكِ لِفَقْدِ الْقَلاَيَا وَ الطَّيَاهِيجِ
وَ انْدُبْ بَنَاتَ الْقَطَا مَا زِلْتَ انْدُبُهَا مَعَ الْفِرَاخِ الْمُطَجَّنِ وَ الطَّبَاهِيجِ
يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلى لَوْنَيْنِ مِنْ سَمَكٍ عَلى رَغِيفٍ مِنَ الْخُبْزِ الْمَعَارِيجِ
لِلّهِ دَرُّ الشَّوا مَا كَانَ اَطْيَبَهُ وَالدُّهْنُ يَغْمِسُ فِي خَلِّ الْمَكَارِيجِ
مَا هَزَّنِي الْجُوعُ اِلاَّ بِتُّ مُعْتَكِفًا عَلَى الْهَرِيْسَةِ فِي ضَوْءِ الدَّمَالِيجِ
نَبَّهْتُهُ عِنْدَ اَكْلٍ فِي فُكَاهَتِهِ عَلَى الْمَوَائِدِ اَصْنَافَ الدَّيَابِيجِ
يَا نَفْسِ صَبْرًا فَاِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ اِنْ ضَاقَ يَوْمًا اَتَانَا بِالتَّفَارِيجِ

ثم قمت و جلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته و قرأه فتعجب و قال يا للعجب قرد و يكون عنده هذه الفصاحة و الخط و الله ان هذا من اعجب العجب ثم قدم للملك مشروب خاص في زجاج فشرب الملك ثم ناولني فقبلت الارض و شربت وكتبت عليه

اَحْرَقُونِي بِالنَّارِ يَسْتَنْطِقُوْنِي وَجَدُونِي عَلَى الْبَلاَءِ صَبُوْرَا
لِاَجْلِ هٰذَا حَمَلْتُ فَوْقَ الْاَيَادِي وَ لَثِمْتُ مِنَ الْمِلاَحِ الثُّغُوْرَا

و ايضا

هَتَفَ الصُّبْحُ بِالدُّجى فَاسْقِنِيهَا خَمْرَةً تَتْرُكَ الْحَلِيْمَ سَفِيْهَا
لَسْتُ اَدْرِي لِرِقَّةٍ وَصَفَاءٍ هِيَ فِي كَاسِهَا اَمِ الْكَاسُ فِيهَا

قال فقرأ الملك الشعر فتحسر و قال لوكان هذا الادب في انسان لفاق اهل عصره و زمانه ثم قدم الملك رقعة شطرنج و قال هل لك

ان تلعب معي فاشرت براسي نعم .و تقدمت و وضعت الشطرنج و لعبت معه مرتين و انا اغلبه فحار عقل الملك ثمّ و اخذت الدواة و القلم وكتبت على الرقعة هذين البيتين

جَيْشَانِ يَقْتَتِلَانِ طُوْلَ نَهَارِهِمْ وَ قِتَالُهُمْ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ زَائِدْ
حَتَّى اِذَا جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْهِمُ نَامَا جَمِيْعًا فِيْ فِرَاشٍ وَاحِدْ

قال فلما قرأ الملك هذين البيتين عجب و طرب و لحقه الانبهار و قال لخادمه امض الى ستك ست الحسن و قل لها كلمي الملك حتى تجيء تتفرج على هذا القرد العجيب فغاب الطواشي و عاد و معه الست فلما نظرت الي غطت وجهها و قالت يا ابي كيف طاب على قلبك ان ترسل خلفي تفرجني على الرجال فقال يا ست الحسن ما عندي سوى المملوك الصغير و المُقدّم الذي رباكي و انا ابوكي فمن من تغطي وجهك فقالت ان هذا القرد شاب ابن ملك و ابوه اسمه اتيماروس صاحب جزائر ابنوس و هو مسحور سحره العفريت جرجيس الذي هو من ذرية ابليس و قتل زوجته بنت ملك افتاموس و هذا الذي تزعم انه قرد هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته و نظر الي و قال احق ما تقول عنك فقلت براسي نعم و بكيت فقال لها الملك من اين عرفتي انه مسحور فقالت يا ابت كان عندي و انا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة فعلمتني السحر و صناعته و قد حفظته و اتقنته و حفظت منه مائة و سبعين بابا من ابوابه اقل باب فيه اخلي حجارة مدينتك خلف جبل قاف و اجعلها لجة بحر و اجعل اهلها سمكا في وسطها فقال ابوها يا بنتي بحياتي خلصي لنا هذا الشاب حتى اجعله وزيري لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا و كرامة

ثم اخذت بيدها سكينا و عملت دائرة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القرندلي قال للصبية يا ستي ثم ان بنت الملك اخذت بيدها سكينا مكتوب عليها بالاسماء العبرانية و خطت بها دائرة وسط القصر وكتبت عليها اسماء و طلسمات و عزمت و قرأت بكلام يفهم وكلام لا يفهم فبعد ساعة اظلمت علينا الدنيا و اذا بالعفريت قد تدلى علينا في صفته و هيئته له ايد كالمداري و ارجل كالسواري و عينين مثل شعل النار ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا اهلا بك و لا سهلا فانقلب العفريت في صورة اسد و قال لها يا خائنة نقضت العهد و اليمين ا ما تحالفنا بان لا احد منا يتعرض للآخر فقالت له يا لعين و مثلك له عندي يمين فقال العفريت خذي ما جاك ثم فتح الاسد فمه و هجم على الصبية فاسرعت و اخذت شعرة من شعرها و هزتها بيدها و همهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا و ضربت به ذلك الاسد فصار نصفين و انقلبت راسه عقربا فانقلبت الصبية صارت حية عظيمة و همت على هذا اللعين و هو في صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلبت العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا و صارت وراء العقاب و طلبته ساعة زمانية فانقلبت العقاب قطا اسود فانقلبت الصبية ذيبا ابلق فتقاتلا في القصر ساعة زمانية فراى القط نفسه مغلوبا فانقلب و صار رمانة حمرة كبيرة و قعدت الرمانة في وسط فسقية القصر فجاء اليها الذيب فارتفعت في الهواء و وقعت على بلاط القصر فانكسرت و انتشر الحب كل حبة وحدها و امتلأت ارض القصر حب رمان فانتفض الذيب و صار ديكا و النغط

ذلك الحب حتى لم يترك و لا حبة فبالامر المقدر تدارت حبة في
جانب الفسقية فصار الديک يصيح و يرفرف باجنحته و يشير الينا
بمنقاره و نحن لا نفهم ما يقول و صرخ علينا صرخة تخيل لنا ان
القصر قد انقلب علينا و دار في ارض القصر كله فرای الحبة التي
تدارت في جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها و اذا بالحبة زرقت
في وسط الماء الذي في الفسقية صارت سمكة و غارت في قعر الماء
فانقلب الديک حوتا كبيرا و نزل خلفها و غاب ساعة و اذا قد سمعنا
صراخا علا و عياطا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت و هو شعلة
نار يفتح فمه يخرج منه نار و من عينيه و انفه نار و دخان و
خرجت الصبية و هي جمرة نار عظيمة فتقاتلا هي و اياه ساعة حتى
انعقدت عليهما النيران و انحبس الدخان في القصر فخفينا و اردنا ان
نغطس في الماء و خفنا على انفسنا من الحريق و الهلاک فقال الملک
لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله و انا اليه راجعون
يا ليتنا ما كلفناها بذلک في خلاص هذا القرد حتى اننا اتعبناها
هذا التعب العظيم مع هذا العفريت الملعون الذي ما تقدر عليه
كل هذه العفاريت الموجودين في الدنيا و يا ليتنا ما عرفنا هذا
القرد لا بارک الله فيه و لا في ساعته قصدنا ان نعمل معه جميلا
لوجه الله تعالى و نخلصه من السحر فابتلينا بتعب القلب و انا يا
ستي مربوط اللسان لم اقدر انكلم معه بشئ ثم ما شعرنا الا و العفريت
قد صرخ من تحت النيران و صار عندنا في الايوان و نفخ في
وجوهنا بالنار فلحقته الصبية و نفخت فی وجهه فاصابنا الشرار منها و
منه فاما شرارها فلم يوذنا و اما شرارة فلحقني في عيني شرارة
فاتلفتها و انا في صورة القرد و لحق الملک شرارة منه في وجهه

بقية حكاية القرندلي الثاني

احرقت نصف وجهه و ذقنه و حنكه التحتاني و اوقعت صف اسنانه التحتانية و وقعت شرارة في صدر الطواشي فاحترق و مات من وقته و ساعته فايقنا بالهلاک و ايسنا من الحيوة فبينما نحن کذلک و اذا بقائل يقول الله اکبر الله اکبر فتح و نصر و خذل من کفر بدين محمد القمر و اذا بها ببنت الملک قد احرقت العفريت و اذا به قد صار کوم رماد و جاءت الصبية الينا و قالت الحقوني بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتکلمت عليها بکلام لا نفهمه ثم طرشتني بالماء و قالت اخلص بحق الحق و بحق اسم الله الاعظم الى صورتک الاولى قال فانتفضتُ فاذا انا بشر کما کنت و لکن راحت عيني فقالت الصبية النار النار يا والدي ما بقيت اعيش و ما انا معودة بقتال الجن و لو کان من الانس تقتله من زمان و ما تعبت الا وقت فرط الرمانة و لقط حبها و نسيت الحبة التي فيها روح الجني فلو لقطتها لمات من ساعته و لکن ما علمت بالقضا و القدر فاذا هو قد اتى و جرى لي معه حرب شديد تحت الارض و في الهواء و الماء و کلما افتح عليه بابا يفتح علي بابا الى ان فتح علي باب النار و قليل من يفتح عليه باب النار و هو ينجو منه و انما ساعدني عليه القدر حتى حرقته قبلي و کنت اعهد منه بدين الاسلام و اما انا ميتة فخليفتي الله عليکم ثم انها استغاثت و لم تزل تستغيث من النار فاذا شرار اسود قد طلع الى صدرها و طلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بکت و قالت اشهد ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها و اذا بها کوم رماد الى جانب کوم العفريت فحزنا عليها و تمنيت لو کنت مکانها و لا ارى ذلک الوجه المليح الذي يعمل في هذا الخير يصير رمادا لکن حکم الله لا يرد فلما

راى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته و لطم على وجهه
و شق اثوابه و فعلتُ كما فعل و بكينا عليها فجاواْ الحجاب و ارباب
الدولة فوجدوا السلطان في حالة العدم و كومين رمادا فتعجبوا و
داروا حول الملك ساعة فلما افاق اخبرهم بما جرى لابنته مع
العفريت فعظمت مصيبتهم و صرخ النساء و الجواري و اقاموا العزاء
سبعة ايام و قام الملك و امران يبني على رماد ابنته قبة عظيمة و
اوقدوا فيها الشموع و القناديل و اما رماد العفريت فانهم ذرّوه في
الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا اشرف منه على الموت
و مدّة مرضه شهر و اتت اليه العافية و نبتت لحيته فطلبني و قال
لي يا فتى قد قضينا زماننا في اهنى عيش آمنين من نوائب الزمان
حتى اقبلت علينا يا ليتنا ما كنا رأيناك و لا رأينا يوم طلعتك
القبيحة فاحنّا صرنا في حالة العدم بسببك الاول عدمت ابنتي التي
كانت تساوي مائة رجل و الثاني جرى لي من الحريق ما جرى و
عدمت اضراسي و مات خادمي و قبل ذلك و بعده ما رأينا منك
شيًا بل الكل من الله عليك و علينا و الحمد لله و انت الذي
خلصتك ابنتي و اهلكت نفسها فاخرج يا ولدي من بلدي وكفى ما
جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا و عليك فاخرج بسلام و ان
عدت رأيتك قتلتك و صرخ عليّ فخرجت يا سيدي من عنده و
ما اصدق بالنجاة و لا ادري اين اتوجه و خطر على قلبي ما جرى
لي و كيف يخلوني في الطريق و سلامتي منهم و مشيت شهرا و
دخلت في المدينة غريبا و اجتماعي بالخياط و اجتماعي بالصبية تحت
الارض و خلاصي من العفريت بعد ان كان عازما على قتلي و ما
عبر قلبي من المبتدأ و المنتهى فحمدت الله و قات بعيني و لا

بروحي و دخلت الحمام قبل ان اخرج من المدينة و حلقت ذقني و لبست مسحا اسود و حجيت على راسي يا سيدتي و في كل يوم ابكي و اتفكر المصائب التي جرت علي وقلع عيني وكل ما افتكر ما جرى لي ابكي و انشد و اقول هذه الابيات

تَحَيَّرْتُ وَالرَّحْمٰنِ لَا شَكَّ فِي اَمْرِيْ وَحَاطَتْ بِيَ الْاَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لَا اَدْرِيْ
سَاَصْبِرُ حَتَّى يَعْجِزَ الصَّبْرُ مِنْ صَبْرِيْ وَ اَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللّٰهُ مِنْ اَمْرِيْ
سَاَصْبِرُ مَغْلُوبًا وَ لَمْ اَتَوَجَّعْ كَمَا يَصْبِرُ الظَّمْآنُ فِي الْوَادِي الْحَرّ
سَاَصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ الصَّبْرُ اَنَّنِي صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ اَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ
وَ لَا شَيَّ مِثْلَ الصَّبْرِ مُرٌّ وَ اِنَّمَا اَمَرُّ مِنَ الْاَمْرَيْنِ اِنْ خَانَنِي صَبْرِيْ
سَرَائِرُ سِرِّيْ تَرْجَمَانُ سَرِيْرَتِيْ اِذَا كَانَ سِرُّ السِّرِّ سِرُّكَ فِي سِرِّيْ
وَ لَوْ اَنَّ مَا بِيْ لِلْجِبَالِ لَهُدِّمَتْ وَ بِالنَّارِ اَطْفَاهَا وَ بِالرِّيْحِ لَمْ تَسْرِيْ
وَ مَنْ قَالَ اِنَّ الدَّهْرَ فِيْهِ حَلَاوَةٌ فَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ اَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

ثم سافرت الاقطار و وردت الامصار و قصدت دار السلام بغداد لعلي اتوصل الى امير المومنين و اخبره بما جرى لي فوصلت بغداد هذه الليلة فوجدت اخي هذا الاول واقفا حائرا فقلت السلام عليك و تحدثت معه و اذا باخينا الثالث قد اقبل علينا و قال السلام عليكم انا رجل غريب فقلنا له و نحن غرباء و قد وصلنا هذه الليلة المباركة فتمشينا نحن الثلاثة و ما فينا احد يعرف حكاية احد فساقتنا المقادير الى هذا الباب و دخلنا اليكم و هذا سبب حلق ذقني و شواربي و قلع عيني فقالت ان حكايتك غريبة ملس على راسك و اخرج الى حال سبيلك فقال لا اخرج حتى اسمع حديث رُفقتي فتقدم القرندلي الثالث و قال ايها الست الجليلة ما قصتي مثل قصتهم بل قصتي

اعجب و اغرب و هي سبب لحلق ذقني و قلع عيني ان هولاء جاءهم
القضا و القدر و انا جلبت القضاء بيدي و الهم لروحي و ذلك اني
كنت ملكا ابن ملك و مات والدي و اخذت الملك من بعده و
حكمت و عدلت و احسنت للرعية و كان لي محبة في السفر في
المركب في البحر و كانت مدينتي على البحر و البحر متسع و حولنا
جزائر كثيرة عظيمة في وسط البحر و كان لي في البحر خمسون مركبا
للمتجر و خمسون مركبا اصغر للفُرجة و مائة و خمسون قطعة معدة
للحرب و الجهاد فاردت ان اتفرج على الجزائر فنزلت في عشرة
مراكب و اخذت معي زاد شهر كامل و سافرت عشرين يوما فلما
كانت ليلة من الليالي هبت علينا رياح مختلفة و هاج البحر علينا
هيجات عظيمة و تلاطمت الامواج فايسنا من الحيوة و نزلت علينا
ظلمة شديدة و قلت ليس المخاطر بمحمود و لو سلم فدعونا الله
تعالى و ابتهلنا اليه و لا زالت الارياح تختلف و الامواج تلتطم الى
ان انفجر الفجر فهدت الريح و صفا البحر و بعده اشرقت الشمس
ثم اننا اشرفنا على جزيرة و طلعنا على البر و طبخنا شيئا نأكله
فاكلنا ثم اخذنا راحة يومين و سافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا
المياه و على الرئس و استغرب الرئس البحر فقلنا للناظور أكشف
البحر و اطلع البطية فطلع للساري ثم نظر الناظور و قال للرئس
يا رئس رأيت عن يميني سمك على وجه الماء و نظرت الى وسط
البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح ساعة اسود و ساعة ابيض فلما
سمع الرئس كلام الناظور ضرب عمامته في الارض و نتف لحيته
و قال للناس ابشروا بهلاكنا نحن الجميع و لم يسلم منا احد و
شرع يبكي و نحن الجميع نبكي على انفسنا فقلت ايها الرئس

اخبرنا بما راى الناظور فقال يا سيدي اعلم اننا تهنا في يوم هاجت علينا الارياح و لا هدي الريح الا بكرة النهار و اتمنا يومين و تهنا في البحر و لنا تائهين احدى عشر يوما من تلك الليلة و لا لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدين و آخر النهار غدا نصل الى جبل حجر اسود و هو يسمى حجر المغناطيس و تجرنا المياه غصبا الى تحته فتنفخ المركب و يروح كل مسمار في المركب الى الجبل و يلتصق اليه لان الله تعالى ركب في حجر المغناطيس سرا و هو ان جميع الحديد يذهب اليه و في ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة على ذلك الجبل و مما يلي البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة اعمدة و فوق القبة فارس و فرس من النحاس و في يد ذلك الفارس رمح من النحاس معلق في صدره لوح من رصاص منقوش عليه اسماء و طلاسم فقال لي ايها الملك ما يهلك الناس الا الراكب على هذه الفرس و ما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من على تلك الفرس ثم انه يا سيدتي بكى الرئس بكاء شديدا فتحققنا اننا هالكين لا محالة و كل منا ودع صاحبه و وصى احتمالا ان يسلم فلم ننم تلك الليلة فلما جاء الصباح قربنا الى ذلك الجبل و ساقتنا المياه غصبا اليه فلما صارت المراكب تحته انفتحت و طلعت المسامير و كل حديد فيها طلب حجر المغناطيس و اشتبك فيه و عند آخر النهار درنا حوله فمنا من غرق و منا من نجا و أكثرنا غرق و الذين سلموا لم يعلموا بعضهم بعضا و انما توهتهم الامواج و اختلاف الرياح و اما انا يا سيدتي فنجاني الله تعالى لما يريد من شقاوتي و عذابي و بلوتي فطلعت على لوح من الالواح فضربته الريح فالتصق الى الجبل

تنفسخ

انفسخت

فاسبت طريقا متطرقا الى اعلاه كهيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت
الله تعالى و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر قالت بلغني ايها الملك

السعيد ان القرندلي الثالث قال للصبية و الجماعة مكتفون و العبيد
واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم اني سميت الله و دعوته و
ابتهلت اليه و تعلقت في النقر الذي فى الجبل و قد تسلقت فى
الجبل قليلا فاذن الله ان تسكت الريح في تلك الساعة و اعانني
على الطلوع فسلمت و طلعت على الجبل فلم يكن لي درب الا
القبة و فرحت بسلامتي غاية الفرح فدخلت القبة و توضأت و
صليت ركعتين شكرا لله على سلامتي ثم اني نمت تحت القبة
فسمعت في منامي قائلا يقول يا ابن خضيب اذا انتبهت من منامك
احفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس و ثلثة نشابات من رصاص
منقوشات عليها طلسمات فخذ القوس و النشاب و ارم الفارس الذي
على القبة و ارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس
يقع فى البحر و القوس يقع عندك فخذ القوس و ادفنه في موضع
القوس فاذا فعلت ذلك يطفو البحر و يعلو حتى يساوى الجبل و
يطلع عليه زورق فيه شخص نحاس غير الذي رميته يجيئ اليك و في
يده مقداف فاركب معه و لا تسم الله تعالى فانه يقذف و يسافر بك
مدة عشرة ايام الى ان يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك
تجد من يوصلك الى بلدك فهذا يتم لك اذا لم تسم الله ثم
استيقظت من نومي و قمت بنشاط و فعلت مثلما قال الهاتف و ضربت
الفارس ارميته نوقع فى البحر و وقع القوس عندي فاخذت القوس
و دفنته فهاج البحر و علا حتى ساوى الجبل و ساواني فلم البث

غير ساعة حتى رأيت زورقا في وسط البحر قاصدا الي فحمدت الله تعالى فلما وصل الي الزورق فوجدت فيه شخصا من النحاس في صدره لوحا من الرصاص منقوش باسماء و طلسمات فطلعت فى الزورق و انا ساكت و لا انكلم فقذف الشخص اول يوم و الثاني و الثالث الى تمام العشرة ايام فنظرت و رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ٠ و من شدة فرحي ذكرت الله و سميت و هللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني الزورق فى البحر ثم رجع و انقلب فى البحر فكنت اعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل فكُلّت سواعدي وكلت أكتافي و تعبت بقيت فى الهَلكات ثم تشهدت و ايقنت بالموت فهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني و قذفتني قذفة صرت فوق البر بما يريد الله فطلعت البر و عصرت ثيابي و نشّفتها و نشرتها على الارض و بت فلما اصبحت لبست اثوابي و قمت انظر اين امشي فوجدت غوطة فجئتها و درت حولها فوجدت الموضع الذي انا فيه جزيرة صغيرة و البحر محيط بها فقلت كلما اخلص من بلية اقع في اعظم منها فبينما انا متفكر في امري وانا اتمنى الموت و اذا نظرت من بعيد مركبا فيه ناس قاصدا الى الجزيرة التي انا فيها فقمت و قعدت على شجرة و اذا بالمركب قد التصق و طلع الى البر منه عشرة عبيد و معهم مساحي و مشوا الى ان وصلوا الى وسط الجزيرة فحفروا في الارض وكشفوا عن طابق فشالوا الطابق و فتحوا بابه ثم عادوا الى المركب و نقلوا منها خبزا و دقيقا و سمنا و عسلا و اغناما و آلات ما يحتاج الساكن و العبيد طالعين نازلين الى المركب و هم يحولون من المركب و ينزلون الى ان نقلوا جميع ما فى المركب الى الحفرة ثم بعد ذلك طلع العبيد و

حكاية البرندلي الثالث .

معهم ثياب احسن ما يكون و في وسطهم شيخ كبير قد ابقى ما بقي وعركه الدهر و استبقى كانه مفني ملقى في خرقة زرقة تمر فيها الارياح غربا وشرقا كما قال فيه الشاعـــــــــــــــــــــر

قد ارعش الدهر اي رعش و الدهر ذو قوة و بطش
قد كنت امشي و لست اعيى و اليوم اعيى و لست امشي

و يد الشيخ في يد صبي وهو قد افرغ في قالب الجمال و البهاء و الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال و هو كالقضيب الرطيب يسحر كل قلب بجماله و يسلب كل لب بدلاله كما قال فيه الشاعر حيث يـــــــــــقـــــــــــول

جيء بالحسن كي يقايسه فنكس الحسن راسه خجلا
فقيل ياحسن هل رأيت كذا فقال اما كذا رأيت فلا

فيا سيدتي لم يزالوا ماشين حتى اتوا الى الطابق و نزلوا الجميع فى الطابق و غابوا ساعة او اكثر ثم طلعوا العبيد و الشيخ و لم يطلع الصبي معهم ثم ردوا باب الطابق كما كان و نزلوا فى المركب وغابوا عن عيني فلما توجهوا قمت و نزلت من على الشجرة و مشيت الى موضع الردم و نبشت التراب و نقلته و طولت روحي حتى شلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب وسع فلقة حجر الطاحون فشلتها فبان من تحتها سلم حجر عقد فتعجبت لذلك و نزلت فى السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت بنيانا نظيفا مفروشا بانواع البسط و الحرير و الصبي جالس على مرتبة عالية متكئ على مدورة في يده مروحة و بين يديه مشموم و رياحين و هو وحده فلما رآني اصفر

لونه فسلمت عليه و قلت له طمن روحك و هد روعك لا باس عليك انا انسي مثلك ابن ملك ساقتني المقادير اليك اؤنسك على وحدتك فما قصتك و ما حكايتك حتى سكنت تحت الارض وحدك فلما تحقق اني من جنسه فرح و رد لونه و قربني اليه و قال يا اخي قصتي عجيبة و ذلك ان والدي تاجر جوهري له تجارة و عبيد و مماليك تجار يسافرون له فى المراكب بالتجارات الى اقصى البلاد و لهم جمالات و اموال متسعة و لم يرزق ولدا قط فرأى في منامه انه يرزق ولدا في عمرة قصر فاصبح والدي في صريخ و بكاء فلما كانت الليلة القابلة علقت والدتي بي فارخ تاريخ حبلها و انقضت ايامها فولدتني ففرح والدي و اولم الولائم و اطعم الفقراء و المساكين لكونه رزق بي في آخر عمرة فجمع المنجمين و اهل التقاويم و حكماء الزمان و اصحاب التواريخ و المواليد فكشفوا الى ميلادي و قالوا له ولدك يعيش خمسة عشر سنة و عليه قطع فيها ان سلم منها عاش زمانا طويلا و سبب موته ان في بحر الهلكات جبل المغناطيس عليه فارس و فرس من نحاس و الفارس في صدرة لوح من رصاص متى وقع الفارس من على فرسه بعد خمسين يوما يموت ولدك و قاتله هو الذي يرمى الفارس ملك اسمه عجيب بن خضيب فاغتم ابي غما شديدا ثم انه رباني و احسن تربيتى الى ان بلغت خمسة عشر سنة و من مدة عشرة ايام جاء لابي الخبر ان الفارس وقع فى البحر و الذي رماة اسمه عجيب بن الملك خصيب فخاف على ابي من القتل فنقلني الى هذا المكان و هذة قصتي و سبب وحدتي فلما سمعت قصته تعجبت و قلت في نفسي انا الذي عملت هذا كله و انا و الله لا اقتله ابدا ثم قلت يا مولاي كفيت الداء و الردى و ان شاء الله

تعالى لا ترى هما و لا غما. و لا تشويشا. و انا اقعد عندك و اخدمك و ارجع الى حال سبيلي بعد ان اونسك في هذه الايام توصلني الى بعض المماليك اسافر معهم الى بلادي و جلست احدثه الى الليل فقمت و اوقدت شمعة كبيرة و عمرت القناديل و جلسنا بعد ان مدينا شيئا من الاكل فاكلنا و قمت مديت شيئا من الحلاوة فتحلينا وجلسنا نحدث بعضنا حتى ذهب من الليل اكثره فنام فغطيته و قمت انا نمت فلما اصبحت قمت و سخنت قليلا من الماء و نبهته برفق فاستيقظ فاتيته بالماء المسخن فغسل وجهه و قال جزيت خيرا يا فتى و الله متى سلمت من الذي انا فيه و من الذي اسمه عجيب بن خصيب خليت ابي يكافئك و اما اذا مت فالسلام مني عليك فقلت له لا كان يوما يصيبك فيه شر و جعل الله يومي قبل يومك ثم قدمت شيئا من الاكل فاكلنا و عملت له بخورا قطاب و صنعت له منقلة و لعبت انا و اياه ثم اكلنا شيئا من الحلاوة و لعبنا الى الليل فقمت اوقدت المصابيح و قدمت شيئا من الاكل و قعدت احدثه الى ان بقي شيء قليل من الليل فنام و غطيته و نمت و لم ازل يا سيدتي اياما و ليالي و بقي له في قلبي محبة و سلوت همي و قلت في نفسي كذب المنجمون و الله لا اقتله و لم ازل اخدمه و انادمه و احادثه الى تسعة و ثلثين يوما و ليلة الاربعين فرح الصبي و قال يا اخي الحمد لله الذي نجاني من الموت و هذا ببركتك و بركة قدومك و اسال الله ان يردك الى بلدك و لكن يا اخي اريد ان تسخن لي ماء اغتسل واغسل جسدي فقلت حبا و كرامة و سخنت له ماء بكثرة و دخلت به عليه و غسلت جسده غسلا جيدا بدقاق و دلكته و خدمته و غيرت له اثوابه و

فرشت تحته فرشا عاليا فجاء الصبي و استلقى عليه و نام من الاستحمام
و قال يا اخي اقطع لنا بطيخة و ذوب بها سكرنبات فدخلت الخزانة
فلقيت بطيخة مليحة و وجدتها في طبق فكلمته و قلت يا سيدي
ما عندك سكين فقال ها هي فوق رأسي على هذه الصفة العالية
فقمت و انا مستعجل فاخذت السكين و مسكتها من نصالها و رجعت
الى خلفي فعثرت رجلي و انبطحت على الصبي و السكين في يدي
فاسرعت السكين بماكتب في الازل وانغرزت في قلب الصبي فمات
من ساعته فلما قضى نحبه و علمت اني قتلته صرخت صرخة عظيمة
و لطمت على وجهي و شقيت اثوابي و قلت انا لله و انا اليه راجعون
يا مسلمون هذا الصبي بقي له من القطع الذي خبروا به المنجمون
و الحكماء الى الاربعين يوما ليلة واحدة وكان اجل هذا المليح على
يدي فيا ليتني من قبل لم اقطع هذه البطيخة ما هذا الا مصائب و
غصص و لكن ليقضي الله امرا كان مفعولا و ادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر قال بلغني ايها الملك

السعيد ان عجيب قال للصبية فلما تيقنت اني قتلته قمت و طلعت
من السلم و رديت التراب و نظرت بعيني الى البحر فرأيت المركب
تشق البحر طالبة البر فخفت و قلت الساعة يجيئون يصيبون ولدهم
مقتولا فيعرفون اني قتلته فيقتلوني لامحالة فعمدت الى شجرة عالية
وطلعتها و استترت باوراقها فما استقريت فوق الشجرة الا و قد طلع
العبيد وطلع معهم الشيخ الكبير ابو الصبي فجاؤا الى الموضع و
ازالوا التراب فوجدوا الطابق فنزلوا فوجدوا الصبي نائما و وجهه يضئ
من اثر الحمام و هو لابس ثيابا نظافا و السكين مغروزة في صدره

فصرخوا و بكوا و لطموا على وجوههم و دعوا بالويل و الثبور و غشي على الشيخ ساعة طويلة ثم ان العبيد ظنوا ان الشيخ بعد ولده لا يعيش و لفوا الصبي في اثوابه و ارخوا عليه ملاءة من الحرير و طلعوا الى المركب و طلع الشيخ خلفهم فنظر ولده ممدودا فوقع على الارض و اخذ التراب على رأسه و لطم وجهه و نتف لحيته و تفكر في قتل ولده فزاد بكاؤه و غشي فطلع عبد منهم فجاء بمقطع حرير و مدوا الشيخ على المقعد و جلسوا عند رأسه هذا كله و انا في الشجرة فوق رؤسهم انظر ما يجرى وقد شاب قلبي قبل ان يشيب رأسي بما قاسيت من الهموم و الاحزان و انشدت اقـــــــــول

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم امر تساء به صباحا فتأتيك المسرة بالعشى
وكم يسر اتى من بعد عسر ففرج كربة القلب الشجى

يا سيدتي و لم يزل الشيخ في غشوته الى ان قرب المغرب ثم استفاق و نظر الى ولده و ما جرى له و الذي خاف منه وقع فيه و لطم و جهه و رأسه و انشد هذه الابـــــــيـــــــات

القلب من فرقة الاحباب منصدع اما دموعي من الآماق تنهمل
شط المرام بهم بعدا فوا اسفي ما حيلتي فيهم ما القول ما العمل
فليتني ما كنت نظر تهم ابدا ما حيلتي سادتي ضاقت بي السبل
كيف السلو بسلوان و قد لعبت نار الهوي بفؤادي و هي تشتعل
يا ليت لويممت ذات المنون بهم بيني و بينهم ما ليس ينفصل
سألتك الله يا واشي فكن مهلا فجمع شملي بهم مازال مشتمل

ما كان احسننا و الدار تجمعنا و نحن في غبطة و العيش متصل
حتى رمينا بسهم البين فرقنا من ذا الذي لسهام البين يحتمل
اذ صابنا في هزيز القوم صايبة فريد عصر غدا بالحسن مكتمل
انشدته و لسان الحال يسبقني يا ليت يا ولدي ما قد اتى الاجل
كيف السبيل الى لقياك من عجل نفديك يا ولدي بالروح لو قبل
ان قلت شمس فان الشمس غاربة او قلت بدر فان البدر قد افل
لهفي عليك من الايام يا اسفي ما عنك بد فمن ذا عنك يشتغل
ابوك اضحى به شوقا اليك و ما حل الممات بكم ضاقت بي الحيل
عين الحواسد فينا اليوم قد وقعت يلقون ما صنعوا يا بئس ما فعلوا

ثم شهق شهقة فارقت روحه جسده فصرخوا العبيد وا سيداه و اخذوا التراب على روٴسهم و زادوا فى البكاء و طلعوا لسيدهم فى المركب الى جانب ولده و ارخوا قلع المركب فغابوا عن عيني فنزلت من فوق الشجرة و نزلت الطابق و تفكرت الشاب فرأيت بعض حوائجه فانشدت اقول شعرا

ارى آثارهم فاذوب شوقا وا سكب في مواطنهم دموعي
و اسأل من قضى بالبعد عنهم يمن علي يوما بالرجوع

ثم اني يا سيدتي خرجت من الطابق و كنت بالنهار اطوف فى الجزيرة و بالليل انزل القاعة فاقمت على ذلك شهرا و انا انظر الى طرف الجزيرة التي من ناحية الغرب و هو كل ما مر يوم من الايام ينشف البحر الى ان قل الماء من جهة الغرب و انقطع تيارة فلما كمل الشهر نشف البحر من تلك الناحية ففرحت و ايقنت

بالسلامة و قمت خضت ما بقي من البحر و طلعت الى البر الوسيل فلقيت كيمان رمل تغوص رجل الجمل فيها الى الركب فقويت روحي و قطعت الرمل و اذا انا بنار تلوح من بعيد وهي تشتعل اشتعالا قويا فقصدتها لعلي اجد فرجا و انشدت اقول شعرا

عسى و لعل الدهر يلوي عنانه و يأتي بخير و الزمان غيور
ويسعف آمالي و يقضي حوائجي و تحدث من بعد الامور امور

ثم اني قصدت النار فلما قربت اليها و اذا بقصر بابه من النحاس الاصفر فلما اشرقت عليه الشمس اضاء من بعيد يرى كأنه نار ففرحت برؤيته و جلست مقابلا بابه فلم يستقر لي الجلوس حتى اقبل عشرة شباب لابسين الاثواب المفتخرة و معهم شيخ كبير الا ان الشباب عور بالعين اليمنى فتعجبت بصفتهم و اتفاقهم في عورهم فلما رأوني سلموا علي و سألوني عن حالي و قصتي فحكيت لهم على ما جرى لي و ما تم لي من المصائب فتعجبوا لحديثي و اخذوني و اطلعوني القصر فرأيت في دائر القصر عشرة تخوت و كل تخت فراشه و لحافه ازرق و في وسط تلك التخوت تخت صغير و هو مثلهم كلما عليه ازرق فلما دخلنا طلع كل شاب على تخته و طلع الشيخ على ذلك التخت الصغير الذي في وسط التخوت و قال يا فتى اجلس في هذا القصر و لا تسأل عن احوالنا و لا عن عَوَر اعيننا ثم قام الشيخ و قدم لكل واحد طعاما في اناء و شرابا في اناء و قدم لي كذلك و بعد ذلك جلسوا يسألوني عن احوالي و ماجرى لي و انا اخبرهم الى ان ذهب أكثر الليل فقال الشباب ايها الشيخ ما تقدم لنا راتبنا فقد جاء وقته فقال حبا وكرامة ثم قام و دخل الى مخدع فى القصر

و غاب و عاد و على راسه عشرة اطباق كل واحد مغطى بغطاء ازرق
فقدم لكل شاب طبقا ثم اوقد عشرة شموع و اغرز على كل طبق شمعة
ثم كشف الاغطية فبان من تحتها فى الاطباق رماد و دق فحم و سواد
القدر فشمر الجميع عن سواعدهم و بكوا و انتحبوا وسخموا وجوههم و
خبطوا اثوابهم و لطموا على وجوههم و دقوا على صدورهم و صاروا
يقولون كنا قاعدين بطولنا ما خلانا فضولنا و لم يزالوا على هذا الى
قرب الصبح فقام الشيخ و سخن لهم ماء فغسلوا وجوههم و لبسوا اثوابا
غير الاول فلما رأيت ذلك يا ستاه ذهب عقلي و حار فكري و اشتعل سري
و نسيت ما جرى علي و لم استطع السكوت دون اني كلمتهم و سألتهم
و قلت لهم ايش اوجب هذا بعد انشراحنا و تعبنا و انتم بحمد الله
تعالى فيكم عقل تام و هذه الافعال لا يفعلها غير المجانين فاسألكم
باعز الاشياء عليكم الا ما قلتم بي خبركم و سبب قلع اعينكم و سخامة
وجوهكم بالرماد و السواد فالتفتوا و قالوا لي يا فتى لا يغرك شبابك
و اعدل عن سؤالك ثم قاموا و قمت معهم فقدم الشيخ شيئا من الماكول
فبعد ما اكلنا و انشالت الاواني قعدوا يتحدثون الى ان اقبل الليل
فقام الشيخ و اوقد الشموع و القناديل و قدم لنا الاكل و الشرب
فلما فرغنا قعدنا للمحادثة و المنادمة الى نصف الليل فقال الشباب
للشيخ هات لنا راتبنا فقد جاء وقت النوم فقام الشيخ و اتى
بالاطباق و فيهم الرمل الاسود ففعلوا مثل ما فعلوا اول ليلة و انا
قاعد عندهم على هذا الحال مدة شهر و هم كل ليلة يسخمون
وجوههم بالرماد و يغسلون وجوههم و يغيرون اثوابهم و انا اتعجب
من ذلك و ازداد وسواسي بحيث اني امتنعت من الاكل و الشرب
فقلت لهم ايها الفتيان ان لم تزيلوا همي و تخبروني عن سبب

تسخيم وجوهكم فقالوا كتمان سرنا اصلح فبقيت متحيرا في امورهم
و انا امتنع من الاكل و الشرب فقلت لهم لا بدان تخبروني ما
سبب ذلك فقالوا هذا فيه مشقة عليك لانك تبقى مثلنا فقال لابد
من ذلك و الا دعوني اسافر من عندكم الى اهلي و استريح من
نظري من هذه الاحوال و المثل يقول بعادي عنكم اجمل و احسن
عين لا تنظر قلب لا يحزن فعمدوا الى كبش ذبحوه و سلخوه و
قالوا لي خذ هذا الجلد معك و ادخل في هذا الجلد و خيطه
عليك فانه يأتيك طير اسمه الرخ و يشيلك و يحطك على جبل
فشق الجلد و تخرج منه فيخاف منك الطير فيروح و يخليك
فامش نصف نهار تلقي قدامك قصرا غريب الصفة فادخل فيه و قد
بلغت مُناك فدخولنا الى القصر هو سبب سخامة وجوهنا و قلع
عيوننا و اما نحن اذا حكينا لك يطول شرحنا فان كل واحد منا
جرت له حكاية في قلع عينه اليمنى ففرحت بذلك ثم فعلوا بي ما
قالوا و حملني الطير و حط بي على الجبل فخرجت من الجلد و
مشيت حتى دخلت القصر و اذا فيه اربعون جارية كالاقمار لا يشبع من
ينظر اليهم فلما رأوني قالوا كلهم اهلا و سهلا بك و مرحبا يا مولانا
و نحن لنا شهر في انتظارك فالحمد لله الذي اتانا لما يستحقنا و
نستحقه ثم انهم اجلسوني على مرتبة عالية و قالوا انت اليوم سيدنا
و الحاكم علينا و نحن جوارك و تحت طاعتك فأمر فينا بحكمك
فعجبت من احوالهن ثم اتوني بطعام فاكلت انا و اياهم و قدموا
لي الشراب و اجتمعن حولي وقاموا خمسة فرشوا حصيرة و رحبوا
حولها من المشموم و الفواكه و النقل اشياء كثيرة و احضروا اليه
المدام فجلسنا للشراب و اخذوا عودا و غنوا عليه و دارت الكؤس

و الطاسات بيننا فدخل علي من الفرح ما انساني هموم الدنيا جميعها و قلت هذا هو العيش ولازلت معهم حتى اتى وقت المنام فقالوا خذ معك ما تختار منا تنام عندك فاخذت واحدة منهن مليحة الوجه كحيلة الطرف دعجة الشعر فليجة الثغر كاملة الفنون بحاجب مقرون كأنها خُوطان او قضيب ريحان تُدهش و تحير الخاطر كما قال فيها الشاعــــــــــــــــــــــر

نشبه بالغصن الرطيب جهالــة و حاشا معاينها نشبه بالظبـي

من اين للظبي العزيز قوامهـا و مشربها المعسول طابت مشربا

واعينها النجل القواتل في الهوى سبين القتيل المستهام المعذبا

صبوت اليها صبوة جاهليـة ولا عجب للمدنف الصب ان صبا

و انشدتها قول القائــــــــــــــــــــــــل

عيني لغير جمالكم لا تنـظـر و سواكم في خاطري لا يخطـر

و جميع فكري في هواكم سادتي و علي محبتكم اموت و احشـر

فقمت و نمت ليلة معها ما رأيت احسن منها فلما اصبحت دخلن بي الحمام فغسلوني و البسوني من افخر الثياب و قدموا لنا الاكل فاكلنا و الشراب فشربنا و دارت الكؤس بيننا الى الليل ثم اخترت منهن واحدة مليحة الاوصاف لينة الاعطاف كما قال فيها الشاعر حيث يــــــــــــــقــــــــــــــول

رأيت في صدرها حقان قد ختما بمسكة تمنـع العشاق ضمهمـا

تحرسهما بسهام من لواحظـهـا من يعتديها اصابته بسهمهما

فنمت عندها باجمل ليلة الى الصباح و بالاختصار يا سيدتاه اقمت عندهن في ارغد عيش مدة سنة كاملة و في رأس السنة قلن لي ليتنا ماعرفناك فان سمعت منا كان فيه صلاح حالك و صاروا يبكون فتعجبت و قلت لهم ما الخبر فقالوا اننا نحن بنات ملوك و نحن مجتمعين هنا مدة سنين نغيب اربعين يوما و نقعد سنة نأكل و نشرب و نلذ و نطرب ثم نغيب و هذا دابنا و نخشى انك تخالفنا بعد ان نغيب عنك فيما نامرك به فها نحن نسلم اليك مفاتيح القصر و فيه اربعون خزانة فانت تفتح هذه التسعة و ثلثين بابا و الحذر ان تفتح الباب الاربعين فتفارقنا فقلت لهم لا افتحه ان كان فيه مفارقتكم ثم تقدمت منهن واحدة و عانقتني و بكت و قالت شعر

لئن جمعنا بعد التنائي تقرب تبسم وجه الدهر بعد قطوبه
و ان كُحلت عيناي منكم بنظرة غفرت للدهري سالفات ذنوبه

ايضا وانشدت

و لما تدانت للفراق و قلبها حليفان يوما للصبابة و الوجدا
بكت لؤلوءا رطبا و فاضت مدامعي عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

فلما رأيت بكاها قلت و الله لا افتحه ابدا و ودعتها و خرجوا ثم طاروا فقعدت فى القصر وحدي و لما قرب المساء فتحت الخزانة الاولى و دخلتها فوجدت فيها بيتا كأنه الجنة و فيه بستان اشجاره مخضرة و ثماره يانعة و اطياره صادحة و مياهه متدفقة فارتاح لها خاطري و تمشيت بين الاشجار و شممت روائح الازهار و سمعت غناء الاطيار و هي تسبح الواحد القهار و رأيت لون التفاح بين احمرار و

اصفرار كما قال الـــــــــــشـــــــــــاعـــر

تفاحة جمعت لونين خلقتها خد الحبيب و لون الهائم الوجل

ثم نظرت الى السفرجل و استروحت عرفه المزري برائحة المسك و العنبر و هو كما قال الشاعر و اخبر شـــــعـــــر

حاز السفرجل لذات السوى فغدا على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما و نشر المسك رائحة و التبر لونا و شكل البدر تدويرا

ثم نظرت الى بُرقُوق يروق العين حسنه كأنه ياقوت مغلوق ثم خرجت من ذلك المكان و اغلقت باب الخزانة كما كان و لما كان الغد فتحت خزانة اخرى و دخلتها فوجدت فيها ميدانا كبيرا و فيه نخل كبير و نهر جار و اشجار الورد و الياسمين و البردقوش و النسرين و النرجس و المنثور مفروشة بحافته و قد هبت الرياح على تلك الرياحين فانتشر ذلك الطيب يمينا و شمالا و حصل لي من ذلك الحبور التام ثم خرجت من ذلك المكان و اغلقت باب الخزانة كما كان ثم فتحت باب الخزانة الثالثة فرأيت فيه قاعة كبيرة مفروشة بالرخام الملون و المعادن المثمنة و الاحجار الفاخرة و فيها اقفاص من الصندل و العود فيها طيور تغني مثل الهزار و المطوق و الشحرور و القمري و النوبي المغرد فطاب قلبي من ذلك و انفرج همي و نمت في ذلك المكان الى الصباح ثم فتحت باب الخزانة الرابعة فوجدت فيها بيتا كبيرا و في ذلك البيت اربعين خزانة مفتحة الابواب فدخلت فيهم فرأيت من اللؤلؤ و الياقوت و الزبرجد و الزمرد و الجواهر النفيسة ما لا يوصف بلسان فاندهش عقلي من ذلك و قلت هذه الاشياء اظن انها لا توجد في خزانة

ملك من الملوك و انشرح حينئذ خاطري و زال همي فقلت
انا الآن ملك عصري و هذه الاموال من فضل الله ملكي و
اربعون جارية تحت يدي و ما عندهم احد غيري و لم ازل
اتفرج من موضع الى موضع حتى مضت تسعة و ثلثون يوما و
قد فتحت في هذه المدة الخزائن كلها الا الخزانة التي منعوني
عن فتح بابها فبقي خاطري يا سيدتي مشتغلا بتلك الخزانة التي
هي تمام اربعين و حكم علي الشيطان لاجل شقاوتي بان افتحها
فلم اجد صبرا عن ذلك و لم يبق من الميعاد الا يوم واحد فقمت
الى الخزانة المذكورة و فتحت بابها و دخلت فوجدت فيها رائحة ذكية
لم استروح مثلها و خامرت عقلي تلك الرائحة فوقعت مغشيا على
مقدار ساعة ثم قويت قلبي و دخلت الخزانة فرأيت ارضها مفروشة
بالزعفران و قناديل من ذهب ومشموما يضوع نشرُ المسك و العنبر
منها وهي تتقد نورا و رأيت مبخرتين عظيمتين كل واحدة منهما
مملوة من العود و العنبر و المعسل و قد تعطر المكان من عرفهما و
نظرت يا سيدتي جوادا ادهم كسواد الليل اذا اظلم و قدامه مَعلف
من البلار الابيض فيه سمسم مقشور و مَعلف آخر مثله فيه ماء ورد
ممسك و الجواد مشدود ملجم و سرجه من الذهب الاحمر فلما
رأيته تعجبت منه و قلت في نفسي ان هذا لابد له من شان عظيم
و اضلني الشيطان فاخرجته و ركبته فلم يبرح من مكانه فرفسته
فلم يتحرك فاخذت المقرعة و ضربته بها فلما احس بالضربة
صهل صراخا بصوت كالرعد القاصف و فتح له جناحين فطار بي و
غاب عن الابصار في جو السماء ساعة ثم حطني على سطح و
انزلني و نشني بذيله على وجهي قلع عيني اليمنى و سيلها على

خلفي و ذهب عني فنزلت من على السطح فوجدت العشرة شباب العور فقالوا لي لا مرحبا بك و لا اهلا فقلت لهم ها انا قد صرت واحدا مثلكم و اشتهي تعطوني طبقة السواد اسخم بها وجهي و تقبلوني اجلس عندكم فقالوا و الله لا تجلس عندنا واخرج من هنا فلما طردوني و ضاق لي الامر و افتكرت على ماجرى على ناصيتي خرجت من عندهم حزين القلب باكي العين و قلت خفيفة كنت قاعدا بطولي فما خلاني فضولي فحلقت ذقني و شواربي و طفت في بلاد الله وكتب الله لي السلامة حتى و صلت الى بغداد في مساء هذه الليلة فاجد هؤلاء الاثنين الواقفين حائرين فسلمت عليهم و قلت انا غريب فقالوا و نحن ايضا غرباء و اتفقنا نحن الثلثة القرندلية عور من اليمين و هذا يا سيدتي سبب حلق ذقني و قلع عيني فقالت له ملس على رأسك و رح فقال و الله لا اروح حتى اسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة و جعفر و مسرور و قالت لهم احكوا لي على خبركم فتقدم جعفر و حكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت و هبتكم لبعضكم فخرجوا الى ان صاروا في الزقاق فقال الخليفة للقرندلية يا جماعة اين انتم قاصدين الآن و الفجر ما لاح فقالوا و الله يا سيدنا لاندري الى اين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا و باتوا عندنا و قال لجعفر خذهم و احضرهم لي غدا نورخ ما جرى فامتثل جعفر ما امره له الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره و لم يعتره منام في تلك الليلة فلما اصبح الصباح جلس على كرسي المملكة و التفت الى جعفر بعد ان طلع ارباب الدولة و قال ائتني بالثلثة صبايا و الكلبتين و القرندلية فنهض جعفر و احضرهم بين يديه

فادخل الصبايا تحت الاستار و التفت لهم جعفر و قال لهم قد عفونا عنكم بما اسلفتم من الاحسان الينا و لم تعرفونا فها انا اعرفكم انتم بين يدي الخامس من بني العباس الهارون الرشيد اخ موسي الهادي بن المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور بن محمد اخ السفاح بن محمد فلا تخبروه الا حقا فلما سمعت الصبايا كلام جعفر عن لسان امير المؤمنين تقدمت الكبيرة و قالت يا امير المؤمنين لي حديث لو كتب بالابر على آماق البصر لصار عبرة لمن اعتبر و نصيحة لمن ينتصح و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد انها لما تقدمت بين يدي امير المؤمنين قالت لي حديث عجيب و هو ان هاتين الكلبتين السود اخواتي و نحن كنا ثلث اخوات شقائق من ام و اب و ان هاتين البنتين الواحدة التي عليها اثر الضرب و الاخرى الخوشكاشة من ام اخرى فلما مات و الدنا اخذ كل حصته من الميراث و بعد ايام تُوفّيَتْ و الدتي و خلفت لنا ثلثة آلاف دينا فاخذت كل بنت ميراثها الف دينار وكنت انا اصغرهم سنا فتجهزو اخواني و تزوجت كل واحدة برجل و قعدوا مدة ثم ان كل واحد عبى متجرا و اخذ كل واحد من زوجته الف ديار و سافروا مع بعض رموني فغابوا خمس سنين و ضيع ازواجهم المال و انكسروا و تركوه في بلاد الناس فبعد خمس سنين جاءتني الكبيرة في صفة شحاذة و عليه ثياب مشرمطة و ازار وسخ قديم و هي في انجس الاحوال فلما رأيته ذهلت عنها و لم اعرفها ثم اني لما عرفتها قلت لها ما هذا الحا فقالت يا اختنا ما بقي الكلام يفيد و جرى القلم بما حكم فارسلتها الى

الحمام و السبتها بدلة و قلت لها يا اختي انت عوض ابي و امي و الارث الذي نابني معكم قد جعل الله فيه البركة و انا ازكي عليه واحوالي جليلة و انا و انتم سواء وأحسنت لها غاية الاحسان فقعدت عندي مدة سنة كاملة و قد اشتغل خاطرنا على اختنا الاخرى فما كان قليلا الا و جاءت بزي انجس ما جاءت به الاخت الكبيرة فعملت معها اكثر ما عملت مع الاولى و بقي لهما مال من مالي ثم انهما بعد مدة قالتالي يا اختاه انا نريد الزواج اذ ليس لنا صبر على القعود بلا زوج فقلت لهم يا عيوني ما بقي في ازدواج خير و الآن الرجل الجيد عزيز الوجود و لم ار فيما ذكرتم صلاحا و انتم جربتم الزواج فلم يقبلوا كلامي و تزوجوا بغير رضائي فجهزتهم من مالي و سترتهم و مضوا مع ازواجهم فقعدوا مدة يسيرة و لعبوا عليهم ازواجهم و اخذوا ما كان معهم و سافروا و تركوهم فجاؤا عندي و هم خزايا و اعتذروا و قالوالا تواخذينا فانت اصغرمنا سنا و اكمل عقلا و مابقينا نذكر الا زواج ابدا فاتخذينا جواري عندك ناكل لقمتنا فقلت مرحبا بكم يا اخواتي ما عندي اعز منكم و قبلتهم و زدتهم اكراما و لم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فاردت ان اجهز لي مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرا و حملت فيها البضائع و المتاجر و ما نحتاج اليه في المركب و قلت يا اخواتي هل لكم ان تقعدوا فى المنزل حتى اسافر و ارجع او تأتوا معي فقالوا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فاخذ تهما و كنت قسمت مالي نصفين اخذت النصف و النصف الثاني اودعته وقلت ربما يصيب المركب شيءٌ و يكون فى العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيئا ينفعنا و سافرنا اياما و ليالي فتاهت بنا المركب و غفل الرئيس عن الطريق و دخل المركب بحرا غير البحر الذي نريده

و لم نعلم ذلك مدة و طابت لنا الريح عشرة ايام و بعد عشرة طلع
الناطور ينظر فقال البشارة و نزل و هو فرحان و قال رأيت شبه
مدينة و هي مثل الحمامة ففرحنا و ما مرت علينا ساعة من
النهار الا و قد لاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للرئيس ما اسم
هذه المدينة التي اشرفنا عليها فقال و الله لا اعلم و لا رأيتها قط
و لا سلكت عمري هذا البحر و لكن جاء الامر بسلامة فما بقي
الا ان تدخلوا هذه المدينة و انظروا بضائعكم فان حصل لكم بيع
بيعوا و تسوقوا مهما كان فيها و ان لم يحصل لكم بيع نرتاح
يومين و نتزود و نسافر فدخلنا المدينة و طلع الرئيس اليها و
غاب ساعة و اتى الينا و قال قوموا اطلعوا الى المدينة و تعجبوا
في صنع الله في خلقه و استعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فلما
انيت الباب رأيت اناسا بايديهم عصيّ على باب المدينة فدنوت
منهم و اذا هم مسخوطين و قد صاروا احجارا فدخلنا المدينة
فوجدنا كل من فيها مسخوطا احجارا سودا لا فيها ديار و لا نافخ
نار فاندهشنا من ذلك فشقينا الاسواق فوجدنا البضائع باقية و
الذهب و الفضة باقية على حالها ففرحنا و قلنا لعل ان يكون لهذا
شان فتفرقنا في شوارع المدينة و كل واحد اشتغل عن رفيقه
بالكسب و المال و القماش و اما انا فطلعت الى القلعة فوجدتها
محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاواني من الذهب و
الفضة فعند ذلك رأيت الملك جالسا و عنده حجابه و نوابه و وزراؤه
و عليه من الملابس شيء يحير فيه الفكر فلما قدمت الى الملك
وجدته جالسا على كرسي مرصع بالدر و الجوهر عليه بدلة من الذهب
و فيه كل جوهرة تضيء مثل النجمة و واقف حوله خمسون مملوكا

لابسين انواع الحرير و في ايديهم السيوف مجردة فلما نظرت ذلك دهش عقلي ثم مشيت و دخلت قاعة الحريم فوجدت في حيطانها ستائر من الحرير منقوشة بقضبان الذهب و وجدت الملكة نائمة و عليها بدلة من اللؤلؤ الرطب و على رأسها تاج مكلل بانواع الفصوص و في عنقها قلائد و عقود و جميع ما عليها من الملبوس و المصاغ على حاله وهي ممسوخة حجرا اسود و وجدت بابا مفتوحا فصعدت اليه و هو مكان بسبع درج فوجدته موضع مرخم مفروش بالبسط المذهبة و وجدت فيه سريرا من العرعر مرصع بالدر والجوهر و رمانتين من الزمرد و عليه بشخانة مرخية منظومة باللؤلؤ و نظرت نورا خارجا من باب البشخانة فطلعت فوقه فوجدت جوهرة قدر بيضة الاوزة في صدر البشخانة على كرسي صغير و هو يوقد كالشمعة و نورها ساطع و مفروش على ذلك السرير من انواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت ذلك تعجبت و رأيت في ذلك المكان شموعا موقدة فقلت لابد ان احدا اوقد هذه الشموع ثم اني مشيت و دخلت الى موضع غيره و صرت افتش و ادور في الاماكن و نسيت نفسي مما لحقني من العجب من تلك الاحوال و غرقت في فكري الى ان دخل الليل فاردت الخروج فلم اعرف الباب و تهت فعدت الى البشخانة التي فيها الشمع موقود و جلست على السرير و تغطيت بلحاف بعد ان قرأت شيئا من القرآن و اردت النوم فلم استطع و لحقني القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن لكنه ضعيف الصوت ففرحت و تبعت الصوت الى ان جئت الى مخدع فرأيت بابه مردودا ففتحت الباب و نظرت المكان فاذا هو معبد و محراب و فيه قناديل معلقة موقودة و شمعدان وفيه سجادة مفروشة

وعليها شابٌ جالس حسن المنظر و قدامه ختمة مكرمة وهو يقرأ فتعجبت كيف هو سالم دون اهل المدينة فدخلت و سلمت عليه فرفع بصره و رد علي السلام فعلت له اسألك بحق ما تلوته من كتاب الله الا ما اجبتني عن سؤالي و الشاب ينظر الي و يتبسم وقال ايتها الامة اخبريني انت عن سبب دخولك هذا المكان و انا اخبرك بما جرى علي وعلى اهل هذه المدينة و سبب خلاصي فاخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم اني سألته عن خبر اهل هذه المدينة فقال امهليني يا اختي ثم طبق الختمة و شالها في كيس اطلس و اجلسني الى جانبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر اذا بدر حسن الاوصاف لين الاعطاف حسن المنظر كأنه قالب سكر معتدل القوام كما قيل فيه هذه الابيات

رصد المنجم ليلة فبدا له   قد المليح يلوح في برديه
و اقامه زحلُ السوادَ بشعره   وحباه لون المسك في صدغيه
و جرى من المريخ حمرة خده   والقوس يرمي النبل من جفنيه
و عطارد اعطاه فرط ذكائه   و ابى السها نظر الوشاة اليه
فبقي المنجم حائرا لما رأى   و البدر باس الارض بين يديه

و قد البسه الله تعالى حلة الكمال و طرزها من عذاره بالبهاء و الجمال كما قال فيه الشاعر

قسما بنشوة جفنه و بخصره   و باسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومُرهَف لحظه   و بياض غرته و اسود شعره
وبحاجب منع الكرى عن ناظري   وسطا على بنهيه و بامره
و بورد خديه و آس عذاره   وعقيق مبسمه و لؤلؤ ثغره

و بجيده و بحسن قامته التي قد اطلعت رمانها فی صدره
و بردفه المرتج في حركاته و سكونه و برقة في خصره
و حرير ملمسه و خفة روحه و بما حواه من الجمال باسره
و بجود راحته و صدق لسانه و بطيب مولده و عالي قدره
ماالمسك ان عرفوه الاعرفه والريح عنبر نشرها من نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه مما حكته قلامة من ظفره

فنظرت له نظرة اعقبتني الف حسرة و تعلق قلبي بمحبته فقلت له يا مولاي اخبرني عن ما سألتك فقال سمعا و طاعة اعلمي يا امة الله ان هذه المدينة مدينة والدي و هو الملك الذي نظرتيه علي الكرسي و هو حجر اسود مسخوطا عليه و اما الملكة التي قد نظرتيها فی البشخانة فهي امي و جميع اهلها مجوس يعبدون النار دون الملك الجبار وكان يقسمون بالنار و النور و الظل و الحرور و الفلك الذي يدور وكان ابي ليس له ولد و رزق بي في آخر عمره فرباني حتی نشأت و قد سبقت لي السعادة و كان عندنا عجوز طاعنة فی السن مسلمة تؤمن بالله و رسوله في الباطن و توافق اهلي فی الظاهر و كان ابي يعتقد فيها بما يري عليها من الامانة و العفة و كان يكرمها و يزيد في اكرامها وكان يعتقد انها في دينه فلماكبرت سلمني ابي اليها و قال خذيه ربيه و علميه احوال ديننا و احسني تربيته و قومي بخدمته فاخذتني العجوز و علمتنی دين الاسلام من الوضوء و فرائض الوضوء و الصلوة و حفظتني القرآن و قالت لا تعبد سوی الله تعالی فلما تممت ذلک قالت لي يا ولدي اكتم هذا الامر عن ابيک و لا تعلمه به لئلا يقتلک فكتمته عنه و لم ازل علی هذا الحال مدة

ايام ثلاثة و قد ماتت العجوز و زاد اهل المدينة في كفرهم و عتوهم و ضلالهم فبينما هم على ما هم فيه اذ سمعوا مناديا ينادي با على صوته مثل الرعد القاصف سمعه القريب و البعيد يقول يا اهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النيران و اعبدوا الله الملك الرحمن فحصل عند اهل المدينة فزع و اجتمعوا عند ابي و هو ملك المدينة و قالوا له ما هذا الصوت المزعج الذي سمعناه فادهشنا من شدة فزعه فقال لهم لا يهولنكم الصوت و لا يخوفكم. و لا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول ابي و لم يزالوا مكبين على عبادة النار و زادوا في طغيانهم الى مدة سنة لميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوه و ثالثا على ثلث سنين في كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت و السخط من السماء بعد طلوع الفجر فسخطوا احجارا سودا و دوابهم و انعامهم و لم يسلم من اهل هذه المدينة غيري و من يوم جرت هذه الحركة و انا على هذه الحالة في صلوة و صيام و تلاوة قرآن و قد عيل صبري من الوحدة و ما عندي من يونسني فعند ذلك قلت له و قد سلب لبي يا هذا الشاب هل لك ان تروح معي الى مدينة بغداد و تنظر الى العلماء و الفقهاء و تزداد علما و فهما و فقها و اعلم ان الجارية التي قدامك سيدة قومها و حاكمة على رجال و خدم و غلمان و عندي مركب موثوق بالمتجر و قد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان سببا في اطلاعنا على هذه الامور و كان النصيب في اجتماعنا و لم ازل احسن له التوجه و الاطفه و اتحايل عليه حتى قبل و انعم به و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر قالت بلغني ايها الملك
السعيد ان الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى قال لي
نعم فبت تلك الليلة تحت رجليه و انا لا اصدق ما انا فيه من
الفرح فلما اصبح الصباح قمنا و دخلنا الى الخزائن و اخذنا ما خف حمله
و غلا ثمنه و نزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد و الرئيس و
هم يفتشون علي فلما راوني فرحوا و اخبرتهم بما رأيت و حكيت لهم
على قصة الشاب و سبب سخط هذه المدينة و ما جرا لهم فتعجبوا
من ذلك ولما راوني اخواتي هاتين الكلبتين و معي ذلك الشاب
حسدوني عليه و صاروا في غيظ و اضمروا المكر ثم طلعنا المركب
فرحين و نحن طائرين من الفرح بالكسب و اما فرحي اكثر كان بالشاب
و اقمنا ننتظر الريح فطاب لنا الريح فا فردنا القلوع و سافرنا فقعدت
اخواتي عندنا و صرنا نتحدث فقالتا لي يا اختنا ما تصعين مع
هذا الشاب الحسن فقلت لهم قصدي اتخذه بعلا ثم التفت اليه
و اقبلت عليه و قلت يا سيدي قصدي اقول لك شيئا لاتخالفني فيه
و هو انه اذا وصلنا الى بغداد مدينتنا فانا اقدم نفسي لك جارية
برسم الحرم و تكون لي بعلا و اكون انا لك اهلا فقال سمعا و
طاعة و التفت الى اخواتي و قلت لهم يكفيني هذا الشاب و كل من
كسب شيئا فهوله فقلن لي نِعْم ما فعلت لكنهم اضمروالي الشر و لم
نزل سائرين و طاب لنا الريح حتى خرجنا من بحر الخوف و دخلنا
الامان و سافرنا اياما قلائل الى ان قربنا من مدينة البصرة و لاحت لنا
اسوارها فادركنا المساء فلما اخذنا النوم قامت اخواتي و حملوني بفراشي
و رموني فى البحر و كذلك فعلوا بالشاب و كان لا يحسن العوم
فغرق و كتبه الله من الشهداء و اما انا ليتني كنت غرقت معه و لكن

قدر الله اني كنت من السالمين فلما استقربت في البحر رزقني الله بقطعة خشب فركبتها و ضربتني الامواج الى ان رمتني على ساحل جزيرة فلم ازل امشي في الجزيرة باقي ليلتي و لما اصبح الصباح رأيت طريقا مشى على قدر قدم ابن آدم متصلة من الجزيرة الى البر و قد طلعت الشمس فنشفت اثوابي في الشمس و اكلت من ثمار الجزيرة و شربت من مائها و سرت في الطريق و لم ازل سائرة الى ان قربت من البر و قد بقي بيني و بين المدينة ساعتين و اذا انا بحية عامدة علي و هي في غلظ النخلة تسعى سعيا مسرعا و قد اقبلت نحوي فرأيتها تاخذ يمينا و شمالا حتى وصلت عندي فاذا بلسانها قد تدلى على الارض مقدار شبر و تجرف التراب بطولها و خلفها ثعبان طاردها و هو طويل رقيق طول رمح و هي هاربة منه و تلتفت يمينا و شمالا و قد قبض ذنبها و سالت دمعها و قد تدلى لسانها من شدة الهرب فاخذتني الشفقة عليها فعمدت الى حجر و القيته على رأس الثعبان فمات من وقته ففتحت الحية جناحين و طارت في الجو حتى غابت من عيني و جلست اتعجب من ذلك و قد تعبت و لحقني النعاس فنمت موضعي ساعة فلما افقت وجدت تحت رجلي جارية ومعها كلبتان و هي تكبس رجلي فاستحييت منها و تعدت جالسا و قلت لها يا اختي من تكوني فقالت ما اسرع ما نسيتِني انا الذي عملتِ معي الجميل و زرعتِ المعروف و قتلتِ عدوي فانا الحية التي خلصتِني من الثعبان فاني جنية و هذا الثعبان جني و هو عدوي و ما نجاني منه الا بكِ فلما نجيتِني منه طرت في الريح و رحت الى المركب التي رموك منها اخوانك فنقلت جميع ما فيها الى بيتك و غرقتها و اما اخوانك فجعلتهما كلبتين سودا فاني عرفت

جميع ما جرى لك معهم و اما الشاب فانه غرق ثم حملتني و
الكلبتين و رمتنا فوق سطح داري فرأيت جميع ما كان فى المركب من
الاموال في وسط بيتي و لم يضع منه شئ ثم ان الحية قالت لي و
حق النقش الذي على خاتم سيدنا سليمان عليه السلام اذا لم تضربي
كل واحدة منهن كل يوم ثلثمائة سوط جئت و جعلتك مثلهما
فقلت سمعا و طاعة فلم ازل يا امير المؤمنين اضربهما ذلك الضرب
و اشفق عليهما و هما يعرفان ان ما لي ذنب في ضربهما و يقبلان
عذري و هذه قصتي و حكايتي قال صاحب الحكاية فتعجب الخليفة
من ذلك ثم قال للصبية الثانية و انت ما سبب الضرب الذي على
جسدك فقالت يا امير المومنين اني كان لي والد فتوفي و خلف
مالا كثيرا فاقمت بعده مدة يسيرة و تزوجت برجل اسعد اهل زمانه
فاقمت معه سنة و مات فورثت منه ثمانين الف دينار ذهب و هي
حصتي بالفريضة الشرعية و فقت في السعادة و شاع خبري فعملت
عشر بدلات كل بدلة بالف دينار فبينما انا جالسة في يوم من
الايام اذ دخلت علي عجوز بخد مشموط و حاجب ممعوط و عيون
مفجرة و اسنان مكسرة و وجه انمش و لحظ اعمش و رأس مجصص
و شعر اشهب و جسم اجرب و قد مائل و لون حائل و مخاط سائل
كما قال فيها القائل شـــعـــر

عجـوز النحس لا يرحـم صِباها و لا يغفـرلها يوما تمـوت
تقود من السياسة الف بغـل اذا نفـروا بخيط العنكـبـوت

فلما دخلت العجوز سلمت علي و باست الارض بين يدي و قالت لي
عندي بنت يتيمة و الليلة عملت عرسها و جلاها و نحن غرباء في

هذه المدينة ولا نعرف احدا من اهلها و قد انكسرت قلوبنا فارجعي الاجر و الثواب بانك تحضري جلاها حتى تسمعوا استات مدينتنا بانك حضرتي فيحضرن فتكوني جبرة خاطرها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى و بكت و قبلت رجلي و جعلت تقول هذه الابيات

حضوركم لنا شرف و نحن بذلك نعترف
فان غبتم عنا فلا عوض لنا و لا خلف

فاخذتني الرحمة و الرأفة فقلت سمعا و طاعة و قلت لها انا اعمل معها شيء مع مشيئة الله تعالى و ما اجليها الا بحللي و مصاغي و تراكبي ففرحت العجوز و طأطأت على رجلي تقبلهم و قالت الله يجازيك خيرا و يجبر قلبك مثل ما جبرت قلبي و لكن سيدتي لا تكلفي خدمتك من هذا الوقت و لكن تجهزي للعشاء حتى اجيء آخذك و باست يدي و ذهبت فقمت عدلت نفسي و حالي و اذا بالعجوز قد اقبلت و قالت يا سيدتي ان سنات البلد قد حضرن و اخبرتهم بحضورك ففرحوا و هم في انتظارك منطلعين قدومك و تازرت فقمت و اخذت جواري معي و سرت حتى اتينا الى زقاق مكنوس مرشوش هب فيه النسيم و راق فقدمنا الى باب مقنطر بقبة من الرخام شديدة البنيان على باب القصر قد قام من التراب و تعلق بالسحاب مكتوب على الباب هذه الابيات شعر

انا دار بنيت للافراح طول دهري للبسط و الانشراح
و بوسطي فسقية تتدفق بمياه تزيل بالاتراح
و عليها من الشقيق زهور و رد آس و نرجس و اقاح

فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا و دخلنا فوجدنا دهليزا

مفروشا بالبسط و معلق فيه قناديل موقودة و شموع مصفوفة فيها الجواهر و المعادن فمشينا من الدهليز الى ان دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلق فيها القناديل موقودة و الشموع صفين و في صدر القاعة سرير من العرعر مرصع بالدر و الجوهر و عليه بشخانة اطلس مزرر و لم نشعر حتى خرجت صبية من البشخانة فنظرت اليها يا امير المؤمنين فاذا هي أكمل من البدر اذا بدر بجبين ازهر كالصبح اذا اسفر كما قال الشاعر حيث يـــــــــــقـــــــــــول

انت على القصرات القيصريات خود من الخفرات الكسرويات
تبدو دلائل خديها موردة ياحسن تلك الخدود العندمبات
هيفاء فاترة الالحاظ ناعسة حازت من الحسن انواع الملاحات
كأن طرتها من فوق غرتها ليل الهموم علي صبح المسرات

فنزلت الصبية من البشخانة و قالت لي مرحبا و اهلا و سهلا بالاخت العزيزة الجليلة و الف مرحبا ثم انشدت تقول هذه الابـــيـــات

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم
وانشدت بلسان الحال قائلة اهلا و سهلا باهل الجود و الكرم

ثم جلست و قالت لي يا اختي ان لي اخا و قد رآك في بعض الافراح و المواسم و هو شاب احسن مني و قد حبك قلبه حبا شديدا لانك حزت من الحسن و الجمال اوفى نصيب و سمع انك سيدة قومك و هو ايضا سيد قومه فاراد ان يصل حبله بحبلك و اعطي هذه الحيلة لاجل اجتماعي بك و يريد يتزوج بك بسنة الله ورسوله و ما في الحلال من عيب قالت فلما سمعت كلامها و رأيت نفسي

قد تجوت في الدار قلت للصبية سمعا و طاعة فقرصت و صفقت على يديها و فتحت بابا و خرج منه شاب مليح الشباب نعي الاثواب بقد و اعتدال و حسن و جمال و بهاء وكمال و رخيم الدلال بحاجب كقوس نبال و عيون تختلس القلوب بالسحر الحلال كما قال فيه بعض واصفيه شعر

له وجه كوجه الهلال و آثار السعادة كاللآلي

و ايضا لله در قائله شعر

تبارك بحسن تبارك الله جل الذي صاغه و سواه
قد حاز كل الجمال منفردا كل الورى في جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته اشهدان لا مليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبي له و حببته فجلس بجانبي و تحدثت معه ساعة ثم صفقت الصبية ثاني مرة و اذا بخرستان قد انفتح و خرج منه قاض و معه اربع شهود فسلموا و جلسوا وكتبت الكتاب على الشاب و انصرفوا فالتفت الشاب الي و قال لي ليلة مباركة ثم قال يا سيدتي اشرط عليك شرطا فقلت يا سيدي و ما الشرط فقام و احضر لي مصحفا و قال احلفي انك لاتنظري احدا غيري و لا تميلي اليه فحلفت على ذلك ففرح فرحا شديدا. و عانقني فاخذت محبته مجامع قلبي و قدموا لنا السماط فاكلنا وشربنا حتى اكتفينا ودخل علينا فاخذني و دخل الى الفراش ولم يزل في بوس و عناق الى الصباح و لم يزل على هذه الحالة مدة شهر و نحن في هنأ و سرور و بعد الشهر استاذنته في اني اسير الى السوق و اشتري بعض قماش فاذن لي في الرواح فتزيرت و اخذت العجوز معي و جارية و نزلت الى السوق فجلست على دكان شاب تاجر

تعرفه العجوز و قالت لي هذا ولد صغير مات ابوه وخلف له مالا
كثيرا وعنده متجر عظيم و ما طلبتِه تجده و ما عند احد في السوق
احسن من قماشه ثم قالت له هات اعز ما عندك من القماش لهذه
الصبية فقال سمعا و طاعة فشكرت فيه العجوز فقلت ما لنا حاجة
بشكرك فيه و مرادنا ناخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فاخرجَ لنا
ماطلبناه و اخرجنا له الدراهم فابى ان ياخذ شيئا و قال هذه
ضيافتكم اليوم عندي فقالت العجوز ان لم تاخذ الدراهم والا اعطيه
قماشه فقال والله لا آخذ منك شيئا و الجميع هدية من عندي في
بوسة واحدة فانها عندي احسن من جميع ما في دكاني فقالت العجوز
ما الذي يفيدك من البوسة ثم قالت يا بنتي سمعتِ ما قال هذا
الشاب و ما يصيبك اذا اخذ منك بوسة و تاخذي ما تطلبيه فقلت
لها انت ما تعرفي اني حالفة فقالت خليه يبوسك و انت ساكتة و
لا عليكِ شيء و تاخذي هذه الدراهم ولا زالت تحسن لي هذا
الامر حتى ادخلت راسي الجراب و رضيت بذلك ثم اني غطيت
عيني و داريت بطرف ازاري من الناس و حط فمه تحت ازاري على
خدي فلما باسني عضني عضة قوية تطع من خدي اللحمة فغشي
علي ثم اخذتني العجوز في حضنها فلما افقت وجدت الدكان مقفولة
و العجوز تظهر لي الحزن و تقول دفع الله ماكان اعظم ثم قالت لي
قومي بنا الى البيت و شدي روحك لئلا تنفضحي فاذا وصلتِ الى
البيت ارقدي و تُضاعفي روحك مريضة و ارمي عليك الغطا و انا
اجيء لك بدواء تداوي به هذه العضة فتبرىء سريعا فبعد ساعة قمت
من مكاني و انا في غاية الفكر و اشتد بي الخوف و مشيت قليلا قليلا
حتى وصلت البيت وصرت في حالة المرض فلما دخل الليل و اذا

بزوجي دخل و قال ما الذي اصابك يا سيدتي في هذه الخرجة فقلت له ما انا طيبة وجع في راسي فنظر الي فاوقد شمعة و قرب مني و قال ما هذا الجرح الذي في خدك و هو في المكان الناعم فقلت اني لما استاذنتك و خرجت في هذا النهار اشتري القماش زاحمني جمل حطب فشرمط نقابي و جرح خدي كماترى فان المكان ضيق في هذه المدينة فقال غدا اروح للحاكم و اقول له يشنق كل حطاب في المدينة فقلت بالله عليك لا تحتمل خطيئة احد فاني ركبت حمارا فعثر بي فنزلت على الارض فصادفني عود خدش خدي و جرحني فقال غدا اطلع لجعفر البرمكي و احكي له الحكاية فيقتل كل حمار في هذه المدينة فقلت انت تضيع الناس كلهم بسببي و هذا الذي جرى لي بقضاء الله و قدرة فقال لابد من ذلك و لح علي بالكلام و نهض قائما فنفرت منه و اغلظت كلامي عليه فعند ذلك يا امير المؤمنين علم بحالي و قال خنتي اليمين و صاح صيحة عظيمة فانفتح الباب و طلع منه سبع عبيد سود و امرهم فسحبوني من فرشي و رموني وسط الدار و امر عبدا منهم ان يمسكني من اكتافي و يجلس على راسي و امر الثاني ان يجلس على ركبتي و يمسك رجلي و جاء الثالث و في يده سيف فقال له يا سيدي اضربها بالسيف اقسمها نصفين و كل واحد ياخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة يأكلها السمك و هذا جزاء من يخون الايمان و المودة و اشتد غضبه و انشد يقول هذه الابيات

ان كان لي فيمن احب مشاركا   منعت الهوى روحي ولوا تلفه وجدي
و قلت لها يا نفس موتي كريمة   فلا خير في حب يكون على ضد

ثم قال للعبد اضربها يا سعد فلما تحقق العبد جلس علي و قال يا
سيدتي اذكري الشهادة و ما كان لک من الحوائج اخبرينابه فان هذا
آخر حيوتک فقلت له يا عبد الخير تمهل علي قليلا حتى اوصيک
فرفعت راسي ونظرت الى حالي وكيف صرت في الذل بعد العز فجرت
عبرتي و بكيت بكاءا شديدا فنظر الي بعين الغضب و انشد يقول

قل لمن مل وصلنا و جفانا و ارتضى في الهوى خليلا سوانا
بسنا منک قبل بسک منا الذي كان بيننا قد كفانا

فلما سمعته يا امير المؤمنين بكيت و نظرت اليه و انشدت اقول
هذه الابيات شعر

اقمتم فراقي في الهوى و قعدتم و اسهرتم جفني القريح و نمتم
و الفيتم بين السهاد و ناظري فلا القلب يسلاكم ولا الدمع يكتم
و عاهدتموني انكم تحسنوا الوفا فلما تملكتم فوادي غدرتم
عشقتكم طفلا فلم ادر ما الهوى فلا تقتلوني انني متعلم
سالتكموا بالله ان مت فاكتبوا على لوح قبري ان هذا متيم
لعل شجيا عارفا لوعة الهوى يمر على قلب المحب فيرحم

فلما فرغت من شعري بكيت فلما سمع الشعر و نظر الى بكائي ازداد
غيظا على غيظه و انشد يقول

تركت حبيب القلب لا عن ملالة و لكن جنى ذنبا يؤدي الى الترک
اراد شريكا فى المحبة بيننا و إيمان قلبي لا يميل الى الشرک

فلما فرغ من شعره بكيت و تضرعت له و قلت في نفسي اخدعيه

بالكلام لعله يعتقني من القتل و لو كان ياخذ جميع ما املك ثم شكوت اليه ما اجده و انشدت اقول هذه الابيات

و حقك لو انصفتني ما قتلتني ولكن حكم البين ما فيه منصف
و حملتني ثقل الغرام وانني لاعجز عن حمل القميص و اضعف
و ما عجبي اتلاف روحي وانما عجبت لجسمي بعدكم كيف يعرف

فلما فرغت من شعري بكيت فنظرلي و نهرني و شتمني و انشد يقول هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا و اظهرتم الهجران ما هكذا كنا
ساتركم من حيث ما قد تركتموا و نصبر عنكم حق صبركم عنا
و نشغل عنكم مثل شغلتم بغيرنا و نجعل قطع الوصل منكم ولا منا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد و قال له وسّطها و ريحنا منها فليس لنا فيها فائدة فبينما نحن يا امير المومنين نتشاجر بالاشعار و قد تحققت بالموت و ايست من الحيوة و سلمت امري لله تعالى و اذا بالعجوز دخلت و رمت نفسها على اقدام الشاب و باستهم و بكت و قالت يا ولدي بحق تربيتي لك و خدمتي تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك و انت شاب صغير اخاف عليك ان تدخل في اثمها و قد قيل كل قاتل مقتول و ايش هذه الوسخة اتركها عنك و عن بالك و قلبك ثم بكت و لم تزل تلح عليه حتى رضي و قال عفوت عنها لكن لابد ان اعمل اثرا يصير عليها بقية عمرها ثم امر العبيد فجذبوني و مدوني بعد ما جردوني من اثوابي و جلست العبيد عليّ و قام الغلام و احضر قضيبا من

سنرجبل و نزل به على جسدي بالضرب و لم يزل يضربني على ظهري و اجنابي حتى غبت عن الوجود من شدة الضرب و قد ايست من حيوتي فامر العبيد انه اذا دخل الليل يحملوني و ياخذوا العجوز معهم تدلهم على البيت و يرموني في بيتي الذي كنت فيه سابقا ففعلوا ما امرهم به سيدهم و رموني في بيتي و راحوا و لازلت انا في غشوتي الا و الصباح قد لاح فلاطفتُ حالي فى المراهم و الادوية و داويت جسمي و بقيت اضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى و رقدت ضعيفه طريحة الفراش اداوي روحي اربعة اشهر حتى استفقت و شفيت و جئت الى الدار التي جرى لي فيها ذلك الامر فوجدتها خرابا و الزقاق مهدودا من اوله الى آخره و صارت الدار كيمانا و لم اعلم خبرها فجئت الى اختي هذه التي من ابي فوجدت عندها هاتين الكلبتين السود فسلمت عليها و اخبرتها بخبري و جميع حديثي فقالت لي يا اختي من ذا الذي من نكبات الزمان سلم الحمد لله الذي جاء الامر بسلامة و جعلت تـــــقـــــول

و ما الدهر الا هكذا فاصطبر له اذا رزيت بمال او فراق حبيب

ثم اخبرتني بخبرها و ما جرى لها مع اخواتها و ما قد صاروا اليه فقعدت انا و هي لا نذكر خبر الزواج على السنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الخوشكاشة في كل يوم تخرج تشتري لنا ما نحتاج اليه من المصالح في يومنا و ليلتنا و صرنا على هذه الحالة الى هذه الليله التي مضت فخرجت اختنا تشتري لنا شيئا على جري عادتها فوقع لنا ما وقع بمجيء الحمال و هؤلاء الثلثة القرندلية فتحادثنا معهم و ادخلناهم عندنا و اكرمناهم و لم يذهب من الليل برهة حتى

اجتمعنا بثلثة تجار محتشمين من الموصل و حكونا حكايتهم و تحادثنا معهم و كنا شرطنا عليهم شرطا فخالفونا فيه فالنا قابلناهم على مخالفتهم و استخبرناهم عما جرى لهم فحكوا لنا حكايتهم و ما جرى لهم فعفونا عنهم و انفصلوا عنا و ما نشعر اليوم حتى حضرنا بين يديك و هذه حكايتنا فتعجب الخليفة منها و جعل لها تاريخا في خزانته و ادرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر قالت بلغني ايها الملک السعيد ان الخليفة امر ان نكتب هذه القصة في الدواوين و يجعلوها في خزانة الملک ثم انه قال للصبية الاولى هل عندک خبر من العفريتة التي سحرت اخواتک قالت يا امير المؤمنين انها اعطتني شيأ من شعرها و قالت متى اردتِ حضوري فاحرقي من هذا الشعر شعرة فاحضر اليکِ عاجلا و لو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضري لي الشعر فاحضرته الصبية فاخذه الخليفة و حرقه فلما ظهرت رائحته اهتز القصر و سمعوا دويا و قرقعة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليک يا خليفة الله فقال و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية زرعت معي جميلا و لا اقدر اكافيها عليه و هي انقذتني من الموت و قتلت عدوي و رأيت ما فعلتْ معها اخواتها فما رأيت الا اني انتقم منهم و اسحرهم كلابا بعد ان اردت قتلهم فخشيت ان يصعب عليها و الآن ان اردت خلاصهم يا امير المؤمنين اخلصهم كرامة لک و لها فاني من المسلمين فقال اها خلصيهم و بعد ذلک نشرع في امر الصبية المضروبة و نفحص عن حالها فاذا ظهرلي صدقها اخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا امير المؤمنين ها انا اخلصهم و ادلک على من فعل بهذه

الصبية و ظلمها و اخذ مالها و هو اقرب الناس اليك ثم ان العفريتة
اخذت طاسة من الماء و عزمت عليها وتكلمت بكلام لا افهم و رشت
وجه الكلبتين و قالت لهم عودوا الى صورتكم الاولى البشرية فعادوا
الى صورتهم التي كانوا عليها ثم قالت العفريتة يا امير المؤمنين
ان الذي ضرب الصبية ولدك الامين اخو المامون فانه كان يسمع
بحسنها و جمالها و نصب عليها حيلة و تزوجها بالحلال و هو ماله
ذنب في ضربها فانه اشترط عليها و حلفها ايمانا عظيمة ان لا تفعل
شيئا و قد خانت اليمين فاراد قتلها فخاف الله تعالى فضربها هذا
الضرب و اعادها الى مكانها و هذه قصة البنت الثانية والله اعلم
فلما سمع الخليفة ذلك من كلام العفريتة و علم ضرب الصبية
تعجب كل العجب و قال سبحان الله العلي العظيم الذي منّ
عليّ بهذا و تخلص البنتين من السحر و العذاب و منّ عليّ بخبر
هذه الصبية و الله لاعملن عملا يكتب بعدي ثم احضر ولده الامين
بين يديه و سأله عن قصة الصبية الاولى فاخبره على وجه الحق ثم
احضر القضاة و الشهود و احضر القرندلية الثلثة و احضر الصبية
الاولى و اخواتها اللتين كانتا مسحورتين و زوج الثلث للثلثة
القرندلية الذين اخبروا انهم كانوا ملوكا و عملهم حجابا عنده و
اعطاهم ما يحتاجون اليه و اجرى لهم جرايات و انزلهم في قصر
بغداد و رد الصبية المضروبة لولده الامين و جدد كتابه و اعطاها مالا
كثيرا و امر ان تبنى الدار احسن ما كانت و اما الخليفة فقد تزوج
بالمشكاشة ورقد في تلك الليلة معها فلما اصبح افرد لها بيتا وجوارى
لخدمتها و رتب لها رواتب و جعل لها بيتا بسراريه فتعجب الناس
من كرم الخليفة و سماحة نفسه وحكمته ثم امر الخليفة ان يؤرخوا

قصص هؤلاء جميعهم قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختاه و الله
هذه قصة جميلة لطيفة لا يسمع مثلها قط و لكن احكي لي قصة
اخري لنقضي ما بقي من سهر ليلتنا هذا قالت حبا وكرامة ان اذن
لي الملك فقال الملك قصي قصتك و اعجلي فقالت زعموا يا ملك
الزمان و صاحب العصر و الاوان ان الخليفة هارون الرشيد احضر ليلة
من الليالي وزيره جعفرا و قال له اريد ان انزل المدينة و
نسأل العامة عن احوال الحكام المتولين وكل من شكوا منه عزلناه
و من شكروا منه اوليناه فقال جعفر سمعا و طاعة فلما نزل
الخليفة و جعفر و مسرور و شقوا فى المدينة و مشوا فى الاسواق و
الشوارع فاجتازوا على زقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة و قفة و
في يده عصا و هو ماش على مهله ينشد و يقول

يقولون لي انت بين الورى بعلمك كالليلة المقمرة
فقلت دعوني من اقوالكم فلا علم الا مع المقدرة
فلو رهنوني و علمي معي و كل الدفا ترو المحبرة
على قوت يوم فرد الرهان وارموا الى الغصة المحقرة
فا ما الفقير و حال الفقير و عيش الفقير فما اكدره
و فى الصيف يعجز عن قوته و فى البرد يدفي على المجمرة
تقوم عليه كلاب الطريق وكل لئيم بذا ينهره
اذا ما شكى حاله لامرئ فما في البرية من يعذره
اذا كان هذا حيوة الفقير فاصلح ما كان فى المقبرة

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير و انظر

هذا الشعر فانه يدل على احتياجه ثم الخليفة تقدم اليه و قال له
ياشيخ ما صنعتك فقال يا سيدي انا صياد و عندي عيلة و خرجت من
بيتي من نصف النهار الى هذا الوقت لم يقسم الله شيئًا اقوت به
عيالي و قد كرهت نفسي و تمنيت الموت فقال الخليفة هل لك ان
ترجع معنا البحر و تقف على شاطئ الدجلة و ترمي شبكتك على بختي
و مهما طلع اشتريه منك بمائة دينار ففرح لما سمع هذا الكلام و
قال على رأسي ارجع معكم ثم ان الصياد رجع معهم الى البحر و رمى
شبكته و صبر عليها ثم انه جذب الخيط و جر الشبكة اليه فطلع
في الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه
فوجده ثقيلا فاعطى للصياد مائة دينار و انصرف و حمل الصندوق
مسرور مع الخليفة و طلعوا به الى القصر و اوقدوا الشموع و الصندوق
بين يدي الخليفة فتقدم جعفر و مسرور وكسروا الصندوق فوجدوا
فيه قفة خوص مخيطة بخيط صوف احمر فقطعوا القفة فرأوا فيها فردة
بساط فشالوا الفردة فوجدوا ازارا و وجدوا فيه صبية كأنها سبيكة فضة
مقتولة مقطعة فلما نظرها الخليفة تاسف و جرت دموعه على خده
و التفت الى جعفر و قال يا كلب الوزرا تقتل القتلى في زمني و يرمونهم
في البحر و يصيرون متعلقين بذمتي يوم القيامة و الله لابد ان
آخذ حق هذه الصبية ممن قتلها و لا قتلنه شرقتلة وقال لجعفر و
حق اتصال نسبي با لخليفة من بني العباس ان لم تاتني بالذي قتل
هذه لا نصفها منه شنقتك على باب قصري و اربعين من بني عمك
و اغتاظ الخليفة غيظا شديدا فخرج جعفر من بين يديه و قال له
امهلني ثلثة ايام قال امهلتك فنزل جعفر المدينة و هو حزين
و قال في نفسه من اين اعرف من قتل هذه الصبية حتى الي احضره

للخليفة و ان احضرت له غيره يصير متعلقا في ذمتي و لا ادري ما
اصنع ثم ان جعفرا جلس في بيته ثلثة ايام و في اليوم الرابع ارسل
الخليفة وراءه بعض الحجاب يطلبه فطلع اليه فقال الخليفة له اين
قاتل الصبية قال جعفر يا امير المؤمنين انا كنت عريف القتلى حتى
اعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة و امر بشنقه تحت قصره و امر مناديا
ينادي في شوارع بغداد من اراد الفرجة على شنق جعفر البرمكي
وزير الخليفة و شنق اربعين برمكيا من اولاد عمه على باب قصر
الخليفة فليخرج يتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات يتفرجون
على شنق جعفر و اولاد عمه و لم يعلموا سبب شنقهم و نصبوا
الخشب و اوقفوهم تحته لاجل الشنق و صاروا ينتظرون الاذن من
الخليفة و كانت الاشارة هكذا و صار الخلق يتباكون على جعفر و
اولاد عمه فبينما هم كذلك و اذا بشاب حسن الوجه نقي الاثواب
بوجه اقمر و طرف احور و جبين ازهر و خد احمر و عذار اخضر
و شامة كأنه قرص عنبر و مازال يُفسّح الناسَ الى ان وقف بين يدي
جعفر فقال له سلامتك من هذه الوقفة يا سيد الامراء و كهف الفقراء
الذي قتل القتيلة التي وجدتموها في الصندوق انا فاشنقني عنها و خذ
حقها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب و ما ابداه من الخطاب فرح
بخلاص نفسه و حزن على الشاب فبينما هم في الكلام و اذا بشيخ كبير
طاعن في السن يفسح الناس و يشق بين الخلائق الى ان وصل الى
جعفر و الشاب فسلم عليهما فقال ايها الوزير و السيد الخطير لا تصدق
كلام هذا الشاب فيما يقول فانه ما قتل الصبية الا انا فخذ حقها
مني او اطالبك بين يدي الله تعالى ان لم تفعل فقال الشاب ايها
الوزير هذا شيخ كبير خرفان لا يدري ما يقول و انا الذي قتلتها فخذ

حقها مني فقال الشيخ يا ولدي انت صغير تشتهي الدنيا و انا كبير
شبعت من الدنيا و انا افديك بروحي و افدي الوزير و بني عمه و
ما قتل الصبية الا انا فبالله عليك عجل بشنقي فلا حيوة لي بعدها
فلما نظر الوزير الى ذلك تعجب و اخذ الشاب و الشيخ و طلع بهما الى
الخليفة و قبل الارض و قال يا امير المؤمنين قد احضرنا قاتل الصبية
فقال الخليفة اين هو فقال ان هذا الشاب يقول انه هو القاتل و
هذا الشيخ يكذبه و يقول هو القاتل و ها هما بين يديك فنظر
الخليفة الى الشيخ و الشاب و قال من فيكم قتل هذه الصبية فقال
الشاب انا و قال الشيخ ما قتلها الا انا فقال الخليفة لجعفر خذ
الاثنين و اشنقهما فقال جعفر اذا كان احدهما قتل فشنق الثاني
ظلم فقال الشاب و حق من رفع السماء و بسط الارض انا الذي
قتلت الصبية و ادى امارة قتلتها و وصف ما وجده الخليفة فتحقق
عند الخليفة ان الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة من
قصتهما و قال ما سبب قتلك لهذه الصبية بغير حق وايش سبب اقرارك
بالقتل من غير ضرب و مجيئك بنفسك في هذا و تقول خذوا حقها
مني فقال الشاب اعلم يا امير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتي و
بنت عمي و هذا الشيخ ابوها و هو عمي و تزوجت بها و هي بكر
فرزقني الله منها ثلثة اولاد ذكور و كانت تحبني و تخدمني و
لم ار عليها سوءا و كنت انا ايضا احبها حبا عظيما الى ان كان اول
هذا الشهر فمرضت مرضا شديدا فاحضرت لها الاطباء فتوجهت لها
العافية قليلا قليلا فاردت ان ادخلها الحمام فقالت اني اريد شيئا قبل
دخول الحمام فقد اشتهيته فقلت لها سمعا و طاعة و ما هو فقالت
اني اشتهى تفاحة اشمها و اعض منها عضة فدخلت من ساعتي

المدينة و فتشت على التفاح فلم اجده و لو كانت الواحدة بدينار
لاشتريتها فشق عليّ ذلك وطلعت الى البيت و قلت لها يابنت عمي
والله مالقيت شيئا فتشوشت و هي ضعيفة و زاد عليها الضعف تلك
الليلة كثيرا فبت وانا متفكر فلما اصبح الصباح خرجت من بيتي و
درت على البساتين واحدا واحدا فلم اجده فيها فصادفني خولي كبير
فسألته عن التفاح فقال يا ولدي هذا شيٌ قل ان يوجد و هو معدوم
ولا يوجد الا في بستان امير المؤمنين الذي في البصرة و هو عند
الخولي يدخره للخليفة فجئت الى البيت و قد حملتني محبتي لها
و مودتي على ان سافرت و هيأت لي نفسي و سافرت خمسة عشر
يوما ليلا و نهارا في الذهاب والاياب و جئت لها ثلث تفاحات
اشتريتهم من خولي البصرة بثلثة دنانير و دخلت و ناولتهم لها فلم
تفرح بهم و تركتهم عن جانبها وكان قد زاد بها الضعف والحمى
و لم تزل في ضعفها الى ان مضى لها عشرة ايام وبعد ذلك عوفيت
فخرجت من البيت وذهبت الى دكاني و جلست في بيعي وشرائي
فبينما انا جالس وسط النهار واذا بعبد اسود فائت علي و في يده
تفاحة من تلك التفا حات الثلث يلعب بها فقلت له يا عبدالخير
من اين اخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك و قال اخذتها
من حبيبتي و انا كنت غائبا و جئت فوجدتها ضعيفة و عندها
ثلث تفاحات قالت لي ان زوجي القرنان سافر من شانهم البصرة
اشتراهم بثلثة دنانير فاخذت منهم هذه التفاحة فلما سمعت يا
امير المؤمنين كلام العبد اسودت الدنيا في وجهي و قمت فقفلت
دكاني و جئت الى البيت و انا عادم العقل من شدة الغيظ و نظرت
الى التفاح فلم اجد الاثنتين فقلت لها اين الثالثة فقالت لا ادري

و لا اعرف فتحققت قول العبد فقمت و اخذت سكينا و جئت من خلفها و ما كلمتها حتى ركبت على صدرها و نحرتها بالسكين و قطعت رأسها و حطيتها فى القفة بسرعة و غطيتها بالازار و خيطتها و حطيت عليها شقة من البساط و انزلتها الصندوق و قفلته و حملتها على بغلتي و رميتها فى الدجلة بيدي فبالله عليك يا امير المؤمنين عجل بشنقي فاني خائف من مطالبتها لي يوم القيمة فاني لما رميتها في بحر الدجلة و لم يعلم بها احد رجعت الى البيت وجدت ولدى الكبير يبكي و لم يكن له علم بما فعلتُ في امه فقلت له ما يبكيك يا ولدى فقال اني اخذت تفاحة من التفاح الذي عند امي و نزلت بها الى الزقاق العب مع اخوتي و اذا بعبد اسود طويل خطفها مني وقال لي هذه جاءتك من اين فقلت له هذه سافر لها ابي و جاء بها من البصرة من اجل امي و هي ضعيفة و اشترى ثلث تفاحات بثلثة دنانير ثم اخذها و لم يلتفت الي فعدت له القول ثانيا و ثالثا و لم يلتفت الي و ضربني وراح بها فخفت من امي تضربني من شان التفاحة فغبت انا و اخوتي من خوفها الى ظاهر المدينة و قد امسى المسأ علينا و انا خائف منها فبالله يا ابي لا تقل لها شيئا تزداد ضعفا على ضعفها فلما سمعت كلام الولد علمت ان العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي و تحققت انها قتلت ظلما ثم اني بكيت بكاء شديدا و اذا بهذا الشيخ و هو عمي والدها قد اقبل فاخبرته بما كان فجلس بجانبي و بكى و لم نزل نبكي الى نصف الليل و اقمنا العزا خمسة ايام لهذا اليوم و نحن نتأسف على قتلها ظلما وكل ذلك كان من تحت رأس العبد و هذا سبب قتلها فبحرمة اجدادك عجل بقتلي فلا حيوة لي

بعدها و خلدتها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب و قال
والله لا اشنق الا العبد الملعون و لَاَ عْمل عملا يشفى العليل
ويرضى الملك الجليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العشرون قالت بلغني ايها الملك السعيد

ان الخليفة حلف انه لا يشنق الا العبد فان الشاب معذور ثم ان
الخليفة التفت الى جعفر و قال له احضر لي هذا العبد الملعون
الذي جرت منه هذه القضية و ان لم تحضره فانت عوضه فنزل
جعفر يبكي و يقول حضر لي موتتين و لا كل مرة تسلم الجرة و
ليس في هذا الامر حيلة و الذي سلمني فى الاول يسلمني فى الثاني
و الله ما بقيت اخرج من بيتي ثلثة ايام والحق يفعل ما يشاء ثم انام
في بيته ثلثة ايام و في اليوم الرابع احضر القضاة و الشهود و ودع اولاده
و هو يبكي و اذا برسول الخليفة اتى اليه و قال له ان امير المؤمنين
في اشد ما يكون من الغضب و ارسل بطلبك و حلف انه لا يمر
هذا النهار الا و انت مشنوق فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى و بكوا
اولاده و عبيده مع كل من فى الدار فلما فرغ من التوديع تقدم
الى بنته الصغيرة ليودعها و كان يحبها اكثر من اولاده جميعا
فضمها الى صدره و باسها و بكى على فراقها فوجد في جيبها شيئا
مكببا فقال لها ما الذي في جيبكِ فقالت له يا ابت تفاحة مكتوب
عليها اسم مولانا الخليفة جاء بها عبدنا ريحان و لها معي اربعة ايام
و ما اعطا هالي حتى اخذ مني دينارين فلما سمع جعفر بذلك
العبد و التفاحة فرح و حط يده في جيب ابنته و اخرج التفاحة
فعرفها وقال يا قريب الفرج ثم انه امر باحضار العبد فحضر فقال له
و يلك ريحان من اين لك هذه التفاحة فقال العبد و الله ياسيدي

ان كان الكذب انجا فالصدق انجا و انجا هذه التفاحة ما سرقتها لا من قصرک و لا من قصر الحضرة و لا من بستان امير المؤمنين و انما هذه من مدة خمسة ايام مشيت فدخلت الى بعض ازقة المدينة فنظرت صغاراً يلعبون و مع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه و ضربته فبكى و قال يا فتى هذه لامي وهي مريضة وقد اشتهت على ابي التفاحة فسافر الى البصرة وجاء لها ثلث تفاحات بثلثة دنانير فسرقتُ منهم واحدة العب بها ثم بكى فلم التفت اليه و اخذتُها و جئت هنا فاخذ تها ستي الصغيرة بدينارين ذهب و هذه حكايتي فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون ان الفتنة و قتل الصبية من عبده و حزن لنسبة العبد له و فرح لخلاص نفسه ثم انشد يقول شـــــــعـــــــرا

اِذَا جَاءَ الْمُصِيبَةُ بِيْ غُلَام ... فَتَجْعَلْهُ لِنَفْسِکَ مِنْ فِدَاهَا
فَاِنَّکَ وَاجِدٌ خَدَمًا كَثِيْرًا ... وَ نَفْسُکَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

ثم انه مسک بيد العبد و طلع به للخليفة و حكى له قصته من اولها الى آخرها فتعجب الخليفة كل العجب و ضحک حتى انقلب و امران تورخ هذه الحكاية و تجعل سيرا بين الناس فقال لا تعجب يا امير المؤمنين من هذه القصة فماهي اعجب من حديث الوزير نورالدين علي المـــــــصـــــــري

حكاية الوزير نور الدين واخيه

و شمس الدين محمد اخيه فقال الخليفة هات و ما التي اعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا امير المؤمنين لا احدثک الا بشرط

ان تعتق عبدي من القتل فقال ان كان اعجب مما اتفق لنا وهبت دمه لك و ان لم يكن با عجب قتلت عبدك فقال جعفر اعلم يا امير المؤمنين انه كان في سالف الزمان بارض مصر سلطان صاحب عدل و امان يحب الفقراء و يجالس العلماء و له وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولد ان كانهما قمران لم يُر مثلهما في الحسن والجمال وكان اسم الكبير شمس الدين محمد و اسم الصغير نور الدين علي وكان الصغير اميز من الكبير في الصباحة والملاحة حتى ان في بعض البلدان تسامعوا به فسافروا الى بلاده لاجل رؤية جماله فاتفق ان والدهم مات فحزن عليه السلطان و اقبل على الولدين و قربهما و اخلع عليهما و قال لهما انتم في مرتبة ابيكم فلا تكدر واخواطركم ففرحوا و قبلوا الارض بين يديه و عملوا العزا لابيهم الى اتمام شهر ثم دخلوا في الوزارة وصار الحكم بايديهما كما كان بيد ابيهما وكان اذا اراد السلطان السفر يسافر واحد منهما فاتفق في ليلة من الليالي وكانت سفر الكبير مع السلطان فبينما هم يتحدثون اذ قال الكبير للصغير يا اخي قصدي ان اتزوج انا وانت في ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا اخي ما تريد فاني موافقك على ماتقول فاتفقوا على ذلك ثم ان الكبير قال لاخيه ان قدر الله و خطبنا بنتين و دخلنا في ليلة واحدة و وضعتا في يوم واحد وا راد الله وجاءت زوجتك بصبي وجاءت زوجتي ببنت نزوجهما لبعضهما و يصيرا اولاد عم فقال نور الدين يا اخي ما تاخذ من ولدي في مهر بنتك فقال آخذ من ولدك لبنتي ثلثة آلاف دينار وثلث بساتين وثلث ضياع وان كتب الشاب بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا الخبر

بالشرط على ولدي اما تعلم اننا اخوة و نحن الاثنان بفضل الله وزراء ونحن في مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدي من غير مهر وان كان لابد من مهر فتجعل شيئا معلوما ليظهر للناس ذلك تعلم ان الذكر افضل من الانثى و ولدي ذكر و نذكربه بخلاف ابنتك فقال و مالها فقال لا نذكربها بين الامراء و لكن انت تريد ان تفعل معي كما فعل بعضهم قيل ان بعض الناس قدم على بعض اصحابه فقصده في حاجة فقال بسم الله نقضي حاجتك و لكن غدا فانشد في الجواب شعرا

اِذَا كَانَ فِى الْحَاجَاتِ مَهْلاً اِلى غَدٍ   فَذَاكَ يَكُوْنُ طَرْدًا لِمَنْ كَانَ عَارِفًا

فقال له شمس الدين اراك تقصر وتعمل بنتك افضل من ابني لاشك انك ناقص عقل و لالك اخلاق تذكر شركة الوزارة وانا ما ادخلتك معي في الوزارة الا شفقة عليك و تبقى تساعدني و تكون لي معينا ولا اكسر بخاطرك و حينما هذا القول قولك والله لا ازوج بنتي لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام اخيه اغتاظ وقال و انا ما بقيت ازوج ابني ابنتك فقال شمس الدين انا لا ارضاه لها بعلا و لولا اني في السفر لكنت عملت معك العبر و لكن لما ارجع من سفري فرج اريك ماتقتضي مروتي فلما سمع نور الدين من اخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا و غاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد في ناحية فلما اصبح الصباح برز السلطان للسفر و غدا في الجيزة و قصد الاهرام و صحبه الوزير شمس الدين و اما ما كان من امر اخيه نور الدين فبات تلك الليلة في اشد ما يكون من الغيظ فلما اصبح الصباح قام و صلى الصبح و عمد الى خزانته

واخذ منها خرجا صغيرا و ملأه ذهبا و تذكر قول اخيه و حقارته
عنده فانشد و جعل يقول هذه الابيات

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عِزٍّ وَ لَا أَدَبٍ سِوَى الْعَنَا فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَالْبَدْرُ لَوْلَا أُفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ
وَالْأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا افْتَرَسَتْ وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَالتِّبْرُ كَالتُّرْبِ مُلْقًى فِي مَعَادِنِهِ وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ وَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا زَادَ فِي الذَّهَبِ

فلما فرغ من شعره امر بعض غلمانه ان يشد له بغلة النوبة
بسرجها المضرب وهي بغلة زرزورية عالية الظهر كأنها قبة مبنية
سرجها ذهب و ركابانها هندية عليها عباءة كسروية و هي كأنها عروسة
مجلية و امره ان يجعل عليها بساطا حريرا و سجادة و جعل الخرج
من تحت السجادة ثم قال للغلام و العبيد قصدي اتفرج خارج
المدينة واروح نواحي القليوبية و ابات ثلث ليال فلا احد
منكم يتبعني فان عندي ضيق صدر واسرع وركب البغلة واخذ
معه شيئا قليلا من الزاد و خرج من مصر و استقبل البر فما جاء
عليه الظهر حتى دخل على مدينة بلبيس فنزل عن بغلته و استراح
و ريّح البغلة واخذ شيئا من الزاد فاكله و اخذ من بلبيس ما يأكله
و ما يعلفه على بغلته و استقبل البر فما جاء عليه الليل حتى دخل
بلدا يقال لها السعديه فبات بها واخرج شيئا اكله وحط الخرج تحت
راسه وفرش البساط و نام في مكان البرية و الغيظ غالب عليه ثم انه

بات في ذلك المكان فلما اصبح الصباح ركب و سار يسوق البغلة الى
ان وصل الى مدينة حلب فنزل في بعض الخانات و اقام ثلثة ايام
حتى استراح وريح البغلة و شم الهواء ثم عزم على السفر و ركب بغلته
و خرج مسافرا لا يدري اين يذهب ولم يزل سائرا الى ان اقبل على
مدينة البصرة ولم يشعر بذلك حتى نزل الى الخان ثم نزل الخرج
عن البغلة و فرش السجادة و اعطى البغلة بعدتها للبواب يسيّرها
فاخذها و سيّرها فاتفق ان وزير البصرة جالس في شباك قصره
فنظر الى البغلة و نظر ما عليها من العدة المثمنة فظنها بغلة موكب
ومركوب وزراء او ملوك فتفكر في ذلك و حار عقله و قال لبعض
غلمانه ائتني بهذا البواب فذهب الغلام و اتى بالبواب للوزير فتقدم
البواب و باس الارض وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من يكن
صاحب هذه البغلة و ما صفاته فقال البواب يا سيدي صاحب هذه البغلة
شاب صغير ظريف الشمائل عليه هيبة ووقار من اولاد التجار فلما
سمع الوزير كلام البواب قام على حيله وركب و سار الى الخان
و دخل على الشاب فلما راى نور الدين الوزيرَ قادم عليه قام على
حيله و لاقاه و سلم عليه فرحب به الوزير و نزل من على جواده و
احتضنه و اجلسه عنده و قال له يا ولدي من اين اقبلت وماذا تريد
فقال نور الدين يا مولاي اني قدمت من مدينة مصر و كنت
ابن وزير فيها و قد انتقل ابي الى رحمة الله تعالى و اخبره
بما جرى له من المبتدا الى المنتهى قال و قد عزمت على نفسي
اني لا اعود ابدا حتى اشق جميع المدن و البلدان فلما سمع
الوزير كلامه قال له ولدي لاتطاوع النفس فترميك في الهلاك فان
البلاد خراب و انا اخاف عليك من عوانب الزمان ثم انه حمل

خرجه على بغلته و اخذ البساط و السجادة و اخذ نور الدين معه الى
بيته و انزله في مكان ظريف و اكرمه و احسن اليه و حبه حبا شديدا
و قال له يا ولدي انا بقيت رجلا كبيرا و لم يكن لي ولد ذكر و قد
رزقني الله بنتا تعادلك في الحسن ومنعت عنها خُطّاب كثير و قد وقع
حبك في قلبي فهل لك ان تقبل ابنتي جارية لخدمتك و تكون
لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع بك الى سلطان البصرة واقول له انه
ولد اخي و اوصلك الى ان اجعلك وزيره مكاني والزم انا بيتي
فاني بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة اطرق
برأسه و قال سمعا و طاعة ففرح الوزير و امر غلمانه ان يضعوا له
طعاما و ان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة التي ترسم فيها اعراس الامراء
ثم جمع اصحابه و دعا اكابر الدولة و تجار البصرة فحضروا بين يديه
فقال لهم اني كان لي اخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين
و انا كما تعلمون رزقني الله بنتا و كان اخي اوصاني اني ازوج بنتي
لاحد اولاده فاجبته لذلك فلما استحق الزواج ارسل اليّ احد اولاده
و هو هذا الشاب الحاضر فلما جاءني جئت ان اكتب كتابه على بنتي
و يدخل بها عندي و هو اولى من الغريب و بعد ذلك ان شاء يقعد
عندي و ان شاء للسفر اسيّر هو و زوجته الى ابيه فقالوا جميعا
نِعْمَ ما رأيت و نظروا الى الشاب فلما رأوه اعجبهم فاحضر الوزير
الشهود و القضاة وكتبوا الكتاب و اطلقوا البخور و شربوا السكر و رشوا
الماء ورد و انصرفوا و اما الوزير فامر غلمانه ان يأخذوا نور الدين
و يدخلوا به الحمام و اعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه و ارسل
له المناشف و الطاسات و مجامر البخور و ما يحتاج اليه فلما خرج
ولبس البدلة صار كالبدر اذا بدر ليلة اربعة عشر فلما خرج من

الحمام ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل
عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يديه ورحب به وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون قالت بلغني ايها الملك
السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على
زوجتك وفي غد اطلع بك الى السلطان وارجو لك من الله كل خير
فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من امر
نور الدين واما ماكان من امر اخيه فانه غاب مع السلطان مدة
في السفر ورجع فلم يجد اخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت
مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال انا رائح ناحية القليوبية
اغيب يوما او يومين فان صدري ضاق ولا احد يتبعني ومن يوم
خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش شمس الدين على
فراق اخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال في نفسه ما هو الا مما نهرته
في تلك الليلة اخذ على خاطره وخرج مسافرا فلا بد ان ارسل خلفه
ثم طلع واعلم السلطان وكتب بطاقات وارسل البريد الى نوابه في
جميع البلاد ونور الدين في مدة العشرين يوما التي غابوها قطع بلادا
بعيدة ففتشوا ولم يقعوا له على خبر فرجعوا وايس شمس الدين من
اخيه وقال لقد فرطت في اخي بكلامي له على زواج الاولاد قل ذلك
ان يكون وما كان ذلك الا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد
مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه ودخل
بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول
نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى
ينفذ حكمه في خلقه وكان كما قالاه وحملوا النساء منهما وقد وضعت

زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى في مصر احسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لا يرى في زمانه احسن منه كما قال فيه الشاعر

شعر

وَ مُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ تَغْدُو الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

وقال آخر شعرا

اِنْ جِيءْ بِالْحُسْنِ كَيْ يُقَاسَ بِهِ يَنْكُسُ الْحُسْنُ رَأْسَهُ خَجَلَا
اَوْ قِيلَ يَا حُسْنُ هَلْ رَأَيْتَ كَذَا فَقَالَ اَمَّا كَذَا رَأَيْتُ فَلَا

فسماه بدر الدين حسن و فرح به جده و زير البصرة و صنع الولائم و عمل اسمطا تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة اخذ معه نور الدين و طلع به الى السلطان فلما اقبل قدامه قبل الارض بين يديه وكان فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان وانشد يقول شعرا

دَامَتْ لَكَ الْاِنْعَامُ يَاسَيِّدِي وَدُمْتَ مَا دَامَ الدُّجَا وَالْفَجْرُ
يَا مَنْ اِذَا مَا ذُكِرَتْ هِمَّتُهُ رَقَصَ الزَّمَانُ وَصَفَّقَ الدَّهْرُ

فقام لهما السلطان و شكر نور الدين على ما قال و قال لوزيره من هذا الشاب فقال له الوزير قصته من اولها الى آخرها و قال له هذا ابن اخي فقال له وكيف يكون ابن اخيك و لم نسمع به فقال يا مولانا السلطان انه كان لي اخ وزير بالديار المصرية و قد مات و خلف ولدين فالكبير جلس مكان والده و زيرا و هذا ولده الصغير جاء عندي وحلفت اني لا ازوج بنتي الا له فلما جاء زوّجته بها وهو شاب و انا

بقيت شيخا كبيرا وقلّ سمعي وعجز تدبيري والقصد من مولانا السلطان ان يجعله في مرتبتي فانه ابن اخي وزوج ابنتي وهو اهل للوزارة لانه صاحب رأي وتدبير فنظر السلطان اليه فلاق بخاطره فانعم عليه بما اراده الوزير وقلده فى الوزارة وامرله بخلعة عظيمة وامرله السلطان ببغلة من خاص مركوبه وعين له الرواتب والجوامك فقبّل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهم في غاية الفرح وقالوا هذا بكعب المولود حسن ثم ان نور الدين توجه ثاني يوم عند الملك وقبل الارض

وانشد يقول

سَعَادَاتٌ تُجَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ ... وَاِقْبَالٌ عَلَى كَيْدِ الْحَسُودِ
فَمَا زَالَتْ لَكَ الْاَيَّامُ بِيضٌ ... وَاَيَّامُ الَّذِي عَادَاكَ سُودُ

فامره السلطان بالجلوس في مرتبة الوزارة فجلس وتعاطى امور خدمته ونظر بين الناس في امورهم واحكامهم كما جرت عادة الوزراء وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من امره وعقله وتدبيره وتصريفه فحبه وقربه اليه ولما انصرف الديوان نزل نور الدين الى بيته وحكي لصهره ما وقع ففرح ولم يزل نور الدين فى الوزارة حتى انه لا يفارق السلطان لافي ليل ولا في نهار وزادله الجوامك والجرايات الى ان اتسع له الحال وصار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وصارله عبيد ومماليك وعمّر املاكا كثيرة ودواليب وبساتين وصار عمر ولده حسن اربع سنين فتوفي الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة وواراه فى التراب ثم اشتغل نور الدين بتربية ولده فلما اشتد وصار له من العمر سبع سنين

احضر له فقيها يقرئه في بيته و اوصاه بتعليمه وادبه و حسن تربيته فقرأه و حفظه فوائد في العلم و عاد القرآن في مدة سنوات وما زال حسن يزداد جمالا وقدا و اعتدالا

كما قيل شعر

قَمَرٌ تَكَامَلَ فِي سَمَاءِ جَمَالِهِ ... وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ مِنْ شَقَائِقِ خَدِّهِ
مَلَكَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ فَكَأَنَّمَا ... حُسْنُ الْبَرِيَّةِ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِهِ

وقد رباه الفقيه في قصر ابيه ومن حين نشأ لم يخرج من قصر الوزارة ففي يوم من بعض الايام اخذه والده الوزير نور الدين والبسه بدلة من افخر ملبوسه و ركبه بغلة من خيار بغاله و طلع به الى السلطان و دخل به عليه فنظر الملك بدر الدين حسن ابن الوزير نور الدين فاعجبه و حبه و اما اهل المملكة لما مر عليهم اول مرة وهو طالع مع ابيه الى الملك فانبهتوا من حسنه و جلسوا في طريقه ينتظرون عودة عليهم ليتفرجوا عليه وعلى حسنه و جماله و قده و اعتداله كما قيل فيه هذه الا بيات شعر

رَصَدَ الْمُنَجِّمُ لَيْلَةً فَبَدَا لَهُ ... قَدُّ الْمَلِيحِ يَتِيهُ فِي بُرْدَيْهِ
وَتَأَمَّلَ الْجَوْزَاءُ إِذْ نَثَرَتْ لَهُ ... حُسْنُ الْجَمَالِ يَلُوحُ مِنْ عِطْفَيْهِ
وَأَتَى لَهُ زُحَلُ السَّوَادَ بِشَعْرِهِ ... وَحَبَاهُ لَوْنُ الْمِسْكِ فِي صُدْغَيْهِ
أَهْدَى لَهُ الْمِرِّيخُ حُمْرَةَ خَدِّهِ ... وَالقَوْسُ يَرْمِي النَّبْلَ مِنْ جَفْنَيْهِ
وَعُطَارِدٌ أَعْطَاهُ فَرْطَ ذَكَائِهِ ... وَأَبَا السُّهَا نَظَرَ الْوُشَاةِ إِلَيْهِ
فَبَقِي الْمُنَجِّمُ حَائِراً مِمَّا رَأَى ... وَسَعَى وَبَاسَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ

فلما رآه السلطان انعم عليه و حبه و قال لابيه يا وزير لازم ولا بد انك دائما تحضره معك فقال السمع و الطاعة و عاد الوزير بولده الى منزله و مازال كل يوم يطلع به الى السلطان الى ان بلغ الولد من العمر خمسة عشر سنة فضعف و الده نور الدين الوزير فاحضر ولده وقال يا ولدي اعلم ان الدنيا دار فناء و الآخرة دار بقاء و اريد ان اوصيك بعض وصايا فافهم ما اقول لك و اصغ ذهنك اليه و صار يوصيه على حسن عشرة الناس و التدبير ثم ان نور الدين تذكر اخاه و اوطانه و بلاده فبكى على فرقة الاحباب و مسح دموعه و انشد يقول شعرا

إِنْ شَكَوْنَا بُعْدًا فَمَا ذَا نَقُولُ ... أَوْ بَلَغْنَا شَوْقًا فَكَيْفَ السَّبِيلُ

أَوْ بَعَثْنَا رَسُولًا يَتَرْجِمُ عَنَّا ... مَا يُؤَدِّي شَكْوَى الْمُحِبِّ رَسُولُ

أَوْ صَبَرْنَا فَمَا بَقِي لِمُحِبٍّ ... بَعْدَ فَقْدِ الْأَحْبَابِ إِلَّا قَلِيلُ

لَيْسَ الْآنَ إِلَّا تَأَسُّفًا وَ حَنِينًا ... وَ دُمُوعًا عَلَى الْخَدِّ تَسِيلُ

أَيَا غَائِبِينَ عَنْ شَخْصِ عَيْنِي ... وَ طَرْفِي وَ هُمْ فِي فُؤَادِي حُلُولُ

أَتَرَاكُمْ أَنْتُمْ أَنَّ عَهْدِي ... عَلَى طُولِ الصُّدُودِ لَا يَحُولُ

أَمْ تَنَاسَيْتُمْ عَلَى الْبُعْدِ صَبًّا ... شَفَى فِيكُمُ الْبُكَاءُ وَ النُّحُولُ

إِنَّا وَ إِنْ ضَمَّنَا وَ إِيَّاكُمُ الْحَيُّ ... لِي مَعَكُمْ هُنَاكَ عِتَابٌ يَطُولُ

فلما فرغ من انشاده و بكائه التفت الى ولده وقال له اعلم قبل ما اوصيك ان لك عم و هو وزير بمصر فارقته وخرجت على غير رضاه و القصد انك تأخذ درجا و تكتب فيه ما اقول لك فاخذ بدر الدين حسن درجا من الورق و صار يكتب فيه كما قال ابوه فاملاه ماجرى له من الاول الى الآخر وكتب له تاريخ زواجه و دخوله على بنت الوزير و تاريخ وصوله الى البصرة و اجتماعه بوزيرها وان عمره دون

الاربعين من يوم النزاع و هذا كتابي اليه والله خليفتي من بعد ذلك عليه ثم طواها و ختمها وقال يا ولدي حسن احفظ الوصية فان الرقعة فيها اصلك و حسبك و نسبك فان اصابك شيٌ من الامور فاعمد الى مصر واسأل على عمك و استدل عليه و اعلمه اني مت غريبا مشتاقا فاخذ بدر الدين حسن الرقعة و طواها و خيطها بين البطانة و الظهارة و لف عليها شاشه و هو يبكي على ابيه و على فراقه وهو صغير وقال نور الدين اني اوصيك بخمسة وصايا اولها ان لاتعاشر احدا تسلم من شره فان السلامة في العزلة ولا تخالطه ولا تباشره فاني سمعت الشاعر يـــــقـــــول

مَا فِي زَمَانِكَ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَلَا صَدِيقٌ اِذَا جَارَ الزَّمَانُ وَفِي
فَعِشْ فَرِيدًا وَلَا تَرْكُنْ اِلى اَحَدٍ فَقَدْ نَصَحْتُكَ فِيمَا قُلْتُهُ وَكَفِى

الثانية يا ولدي لاتجور على احد بجور عليك الدهر فالدهر يوم لك و يوم عليك الدنيا قرض بوفاء ولقد سمعت الشا عــر يقــول

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِاَمْرٍ تُرِيدُهُ وَكُنْ رَاحِما لِلنَّاسِ تُدْعَى بِرَاحِمِ
فَمَا مِنْ يَدٍ اِلَّا يَدُ اللّٰهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٍ اِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

الوصية الثالثة الزم الصمت واشتغل بعيبك عن عيوب الناس فقد قيل من لزم الصمت نجا و سمعت الشاعر يقول شـــعـــرا

الصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ فَاِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِهْذَارًا
فَلَئِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِكَ مَرَّةً فَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

الرابعة يا ولدي احذرك من شرب الخمر فان الخمر رأس كل فتنة

والخمر مذهب العقول الحذر الحذر من شرب الخمر لاني سمعت الشاعر يقول

تَرَكْتُ النَّبِيذَ وَ شُرَّابَهُ ... وَصِرْتُ خَدِيناً لِمَنْ عَابَهُ
شَرَابٌ يُضِلُّ سَبِيلَ الْهُدَى ... وَ يَفْتَحُ لِلشَّرِّ اَبْوَابَهُ

والخامسة يا ولدي صن مالك يصونك احفظ مالك يحفظك ولا تفرط في مالك تحتاج الى اقل الناس صن الدراهم فهي المراهم لاني سمعت بعضهم يقول

اِنْ قَلَّ مَالِي فَلَا خِلٌّ يُصَاحِبُنِي ... وَاِنْ زَادَ مَالِي فَكُلُّ النَّاسِ خُلَّانِي
فَكَمْ صَدِيقٍ لِبَذْلِ الْمَالِ صَاحَبَنِي ... وَصَاحِبِي عِنْدَ فَقْدِ الْمَالِ خَلَّانِي

و مازال نور الدين يوصي بدر الدين حسن حتى طلعت روحه و اقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان و جميع الأمراء ودفنوه ولم يزل بدر الدين على والده في حزن مدة شهرين وهو لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان فاغتاظ السلطان عليه فاقام مكانه بعض الحجاب واجلسه وزيرا وامره ان يختم على اماكن نور الدين وعلى ماله وعمارته واملاكه فنزل الوزير الجديد يختم عليه ويقبض على ولده بدر الدين حسن ويطلع به الى السلطان يعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير المتوفى فلما سمع بهذه القضية ساق جواده واتى مسرعا الى بدر الدين حسن فوجده جالسا على باب داره وهو منكس الرأس حزين منكسر القلب فترجل له المملوك وقبلت يده وقال له ياسيدي و ابن سيدي العجل العجل قبل حلول الاجل

فار تجف حسن وقال ما الخبر قال السلطان غضب عليك ورسم بالحوطة عليك والبلاء يجيءُ من خلفي اليك ففز بنفسك فقال له هل في الامر شيءٌ حتى ادخل الى بيتي اصحب شيئًا من الدنيا استعين به على الغربة فقال المملوك يا سيدي قم الآن وخل عنك الدار فنهض وهو يقول شعرا

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا انْ خِفْتَ ضَيْمًا ... وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَانَّكَ وَاجِدٌ اَرْضًا بِأَرْضٍ ... وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
وَلَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ ... فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا
وَمَا غُلِظَتْ رِقَابُ الاُسْدِ حَتَّى ... بِاَنْفُسِهَا تَوَلَّتْ مَا عَنَاهَا

فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج يمشي الى ان صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان ارسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى يختم على ماله واما كنه ويقبض على ولده بدر الدين حسن ويطلع به الى السلطان ليقتله فاسف الناس على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج على رأسه ولم يعلم اين يذهب ولم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير على تربة والده فدخل المقبرة ومشى بين القبور الى ان جلس الى قبر ابيه وارخى ذيل فرجيته من فوق راسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوبا عليها هذه الابيات

يَا مَنْ لَهُ وَجْهٌ مُشْرِقٌ ... يَحْكِي الكَوَاكِبَ وَالنَّدَا
لَازَالَ عِزُّكَ دَائِمًا ... وَعُلُوُّ مَجْدِكَ سَرْمَدَا

فبينما هو عند تربة ابيه اذ قدم عليه يهودي كانه صير في ومعه خرج فيه ذهب كثير فتقدم اليهودي الى حسن البصري وقال له

يا سيدي مالي اراك متغيرا فقال له اني كنت نائما في هذه الساعة فرايت ابي يعاتبني على عدم زيارتي له فقمت وانا مرعوب وخفت ان يفوت النهار ولم اَزُرْهُ فيكون صعبا عليَّ فقال له اليهودي يا سيدي اباك كان ارسل مراكب للتجارة و قدم منها البعض ومرادي اشتري منك وسق اول مركب قدم بهذا الالف دينار ذهب و اخرج اليهودي كيسا ملآن من الذهب و عد منه الف دينار واعطاها الى حسن بن الوزير فقال اليهودي اكتب لي ورقة و اختمها فاخذ حسن بن الوزير ورقة وكتب فيها كاتبُها حسن بن الوزير باع لاسحاق اليهودي جميع وسق اول مركب ابيه يدخل بالف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فاخذ اليهودي الورقة وصار حسن يبكي و يذكر ما كان فيه من العز و ينشد و يقول شعرا

مَا بِالدَّارِ مُذْ غِبْتُم يَا سَادَتِي دَارُ ... كَلَّا وَلَا الْجَارُ مُذْ غِبْتُمْ لَنَا جَارُ
وَلَا الْاَنِيسُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ اَعْهَدُهُ ... بِهَا اَنِيسِي وَلَا الْاَقْمَارُ اَقْمَارُ
غِبتم فَاَوْحَشْتُمُ الدُّنيا بِبُعْدِكُمُ ... وَاَظْلَمَتْ بَعْدَكُمْ رَحْبًا وَاَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا ... يُعْرَا مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ اَوْكَارُ
قَدْ قَلَّ صَبْرِي وَاَضْنَى بُعْدُكُمْ جَسَدِي ... وَكَمْ تَهَتَّكَ يَوْمَ الْبَيْنِ اَسْتَارُ
تُرَى نَعُودُ لَيَالِينَا الَّتِي سَلَفَتْ ... كَمَا عَهِدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

ثم بكى بكاء شديدا فدخل عليه الليل و اسند رأسه على قبر ابيه فادركه النوم و لم يزل نائما حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر و نام على ظهره و صار وجهه يلمع في القمر وكانت المقبرة عامرة من الجانّ المؤمنين فخرجت جنية فنظرت حسنًا نائما فلما راته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كأنّه من ولدان

الجنة ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلم عليها فقالت له من اين انت قادم فقال من هنا فقالت له هل لك ان تروح معي حتى تنظر الى حُسن هذا الشاب النائم فى التربة فقال لها نعم فساروا حتى نزلوا على القبر فقالت هل رايت في عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا اختي ان اردتِ ان احدثكِ بما رايتُ قالت وما هو فقال لها اني رايت مثل هذا الشاب في اقليم مصر وهي بنت الوزير شمس الدين وعمرها قريب من عشرين سنة ولها حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال فلما جاوزت هذا السن سمع بها السلطان بمصر فاحضر الوزير اباها وقال له اعلم ايها الوزير انه بلغني ان لك بنتا وانا اريد اخطبها منك فقال له الوزير يا مولانا السلطان اقبل عذري وارحم عبرتي فانك تعرف ان اخي نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم اين هو وكان شريكي فى الوزارة واصل خروجه غضبان لاني جلست واياه وحدثته على سبب الزواج والاولاد فكان سببا لغيظه وانا حالف لازوج بنتي الا لابن اخي من يوم ولدتها امها نحو ثمانية عشر سنة ومن مدة قريبة سمعت ان اخي تزوج بنت الوزير بتاع البصرة وجاءمنها ولد ولا ازوج بنتي الا له كرامة لاخي وارخت زواجي وحمل زوجتي وولادة هذه البنت وهى على اسم ابن عمها والبنات لمولانا السلطان كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا وقال مثلي من يخطب من مثلك بنتا تمنّها وتحتج بحجة باردة وحيوة رأسي لا ازوجها الا لاقل خدمي رغما عن انفك وكان عند الملك سائس احدب بحَدَبة من قدام وحَدَبة من وراءه فامر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت

الوزير بالقهر و امران يدخل عليها في هذه الليلة و يعمل له زفة
و قد تركته و هو بين مماليك السلطان و هم و اقدون الشموع حوله
و يتمسخرون عليه على باب الحمام و اما بنت الوزير جالسة تبكي
بين الدايات و المواشط و هي اشبه الناس بهذا الشاب و قد رسموا
على ابيها حتى انه لايحضرها و ما رايت يا اختي او حش من هذا
الاحدب و اما الصبية فهي احسن من هذا الشاب و ادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام الـــــــــمـــــــــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون قلت بلغني ايها الملك
السعيد ان الجني لما حكي للجنية ان الملك كتب كتابها على
السائس الاحدب وهي في غاية الحزن و لم اجد شبيها في الجمال
الا هذا الشاب قلت له الجنية تكذب فان هذا الشاب احسن اهل
زمانه فردها العفريت و قال و الله يا اختي ان الصبية احسن من
هذا و لكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما اخوات
و اولاد عم ياخسارتها مع هذا الاحدب فقالت له ياخي دعنا ندخل
تحته و نحمله و نروح به الى الصبية التي تقول عنها و ننظر من
هو احسن فيهما فقال العفريت سمعا و طاعة هذا كلام صواب ولا
هناك احسن من هذا الراي الذي تقوليه انا احمله ثم انه حمله
و طاربه الى الجو و صارت العفريته في ركابه تحاذيه الى ان نزل
به الى مدينة مصر وحطه على مصطبة و نبهه فاستيقظ من النوم
فلم يجد نفسه على قبر ابيه في ارض البصرة فنظر يمينا و شمالا لايجد
نفسه الافي مدينة غير مدينة البصرة فاراد ان يعيط فوكزه العفريت
وكان العفريت قد اتى له بحلة فاخرة و البسه اياها و او قد له شمعة
و قال له اعلم اني جبتك و انا رائح اعمل معك شيئا لله فخذ هذه

الشمعة و امش الى ذلك الحمام واختلط بالناس و لا تزال تمشي معهم الى ان تصل الى قاعة العروسة فاسبق و ادخل القاعة و لم تخش احدا و انت مثل ما دخلت فقف فوق يمين العريس الاحدب وكل ماجاءك المواشط و المغاني و الدايات حط يدك في جيبك تجده ملآن ذهب فاكمش و ارم لهم و لاتتوهم انك لاتدخل يدك الاتجده ملآن ذهب فنقّط كل من اتى اليك بالحفنة ولا تخش من شيٍ وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك بل هذا بامر الله فلما سمع بدرالدين حسن من العفريت هذا الكلام قال يا تري ايش تكون هذه الصبية و ما سبب الاحسان ثم مشي و اوقد الشمعة وجاء الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل بدرالدين حسن بين الناس و هو على تلك الحالة و الصورة الحسنة وكان عليه كما ذكرنا الطُّربوش والشاش والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا في الزينة وكلما و قفت المغاني و الناس ينقط و يحط يده في جيبه يلقاه ملآن ذهب فيكمش ويرمي في الطار الذي في المغنية فيملأ الطار دنانير فاخترمت عقول المغاني و تعجب الناس من حسنه و جماله و لم يزالوا على هذا الحال حتى و صلوا لبيت الوزير فردت الحجاب الناس ومعوهم فقالت المغاني والله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه عمّرنا باحسانه ولا نجلي العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح و اجلسوه فوق عين العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقودة ضاربة لثام و هُن صفوف يمينا و شما لا من تحت المنصة الى صدر الايوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظرت النساء بدرالدين حسن و ما عليه من الحسن و الجمال

ووجهه يضيء كأنه الهلال فملن جميع النساء اليه فقالت المغاني للنساء الحاضرات اعلمن ان هذا المليح مانقّطنا الا بالذهب الاحمر الا .. في خدمته و اطعنه فيما يقول قال فازد حمت النساء عليه بالشمع و نظرن الى جماله و حسدنه على حسنه و صارت كل واحدة منهن تودان تكون في حضنه ساعةاو سنة فارخين ماكان على وجوههن لما غاب عنهن الالباب و قلن هنيئاً لمن كان له او عليه ذلك الشاب ثم دعون على ذلك السائس الاحدب و من كان له سببا في زواجه هذه المليحة و صرن كلما دعون لبدرالدين حسن دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغاني ضربن بالدفوف و زعقن بالمواصل و اقبلت المواشط و بنت الوزير بينهن و قد طيبوها و عطروها و حسنوا شعرها و بخروها والبسوها الحلي و الحلل من لباس الملوك الاكاسرة و من جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الا حمر و فيه صور الوحوش والطيور و هو مسبول عليها من فوق حوائجها و تقلدوها بعقد يمني يساوي الالوف و قد حوى كل فص جوهر ماحاز مثله تبّع ولا قيصر و العروسة كانها البدر اذا بدا في الليلة ار بعة عشر و لما اقبلت كانت كانها حورية فسبحان من خلقها بهية و احدقوا بها النساء فصرن كالنجوم و هو بينهن كالقمر اذا انجلا عند الغيم و كان بدرالدين حسن البصري جالسا و الناس ناظرون اليه فخطرت العروسة و اقبلت و تمايلت فقام اليها السائس الا حدب ليقبلها فاعرضت عنه و انفتلت حتى صارت قدام حسن بن عمها فضحكت الناس فلما رأوها مالت الى نحوحسن بدرالدين ضجت الناس و صرخت المغاني فحط يده في جيبه وكمش و رمى في طيران المغاني فرحوا و قالوا كنا نشتهي ان تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كلهم

احدقوا به وبقي السائس الا حدب وحده كانه قرد وكلما اوقدوا له الشمعة فلا يقدر ولا بقي له صوت وصار قاعدا في الظلام وينظر في نفسه واما بدر الدين حسن فانه صار قدامه شموع في ايدي الناس فلما نظر حسن الى العريس وحده في الظلام ونظر في نفسه وهؤلاء الناس محدقين به وهذه الشموع الموقودة تحير وتعجب فلما راى بدر الدين حسن ابنت عمه فرح واستبشر وقد نظر الى وجهها وقد اشرق بالنور وازهر لاسيما وعليها تلك البدلة الاطلس الاحمر فجلوها المواشط اول خلعة واخذ حسن الطلعة فتعاجبت وتمايلت من الدلال واذهلت عقول النساء والرجال فكانت كما قال فيها الشاعر المفضال شعرا

وَشَمْسٍ فِي قَضِيبٍ فِي كَثِيبٍ ... تَبَدَّتْ فِي قَمِيصٍ جُلَّنَارِ
سَقَتْنِي رِيقُ خَمْرَتِهَا وَجَادَتْ ... بِوَجْنَتِهَا فَأَطْفَتْ جُلَّ نَارِ

وغيروا تلك البدلة والبسوها ثوبا ازرق فطلعت كالبدر اذا اشرق ذات شعر فاحم وخدنا عم وثغر باسم ونهد قائم وهي رابية الاطرف والمعاصم وجلوها الخلعه الثانية وكانت كما قال فيها اصحاب الهمم العالية شعر

أَقْبَلَتْ فِي غِلَالَةٍ زُرْقَةٍ ... لَازَوَرْدِيَّةٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ
فَتَأَمَّلْتُ فِي الغِلَالَةِ مِنْهَا ... قَمَرُ الصَّيْفِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ

قال ثم غيروا تلك البدلة ببدلة غيرها ولثموها بفاضل شعرها وارخوا ذوائبها السود الطوال فاشبه سوادها وطولها ما اعتكر من الليالي ورمت القلوب بسهام الحدق النافثة وجلوها الخلعه الثالثه كما

قال فيها القائل شعر

وَمُلَثَّمٍ بِالشَّعْرِ مِنْ فَوْقِ وَجْنَتِهِ هَدَتْ فِتْنَةً شَبَّهْتُهَا بِغَمَاتِ
فَقُلْتُ سَتَرْتَ الصُّبْحَ بِاللَّيْلِ قَالَ لَا لَكِنْ سَتَرْتُ الْبَدْرَ بِالظُّلُمَاتِ

و جلوها الخلعة الرابعة فاقبلت كالشمس الطالعة و تمايلت من الدلال و تلفتت كتلفتة الغزلان و رشقت القلوب من اجفانها بنبال كما قال فيها الواصف شعر

وَشَمْسُ حُسْنٍ بَدَتْ لِلنَّاسِ تَنْظُرُهَا تَزْهُو بِحُسْنِ دَلَالٍ زَانَهُ خَفَرُ
مُذْ وَاجَهَتْ بِمُحَيَّاهَا وَمَبْسَمِهَا شَمْسَ النَّهَارِ غَدَتْ بِالْغَيْمِ تَسْتَتِرُ

قال و طلعت فى الخلعة الخامسة كالصبية الانيسة كانها قضيب بان او غزال عطشان و قد دبت عقاربها و ابدت عجائبها و هزت اردافها و اشهرت سوالفها كما قال فيها واصفها شعر

تَبَدَّتْ كَبَدْرِ التِّمِّ فِي لَيْلَةِ السَّعْدِ مُنَعَّمَةُ الْأَطْرَافِ مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ
لَهَا مُقْلَةٌ تُسْبِي الْأَنَامَ بِحُسْنِهَا وَقَدْ حَكَتِ الْيَاقُوتَ فِي حُمْرَةِ الْخَدِّ
تَحَدَّرَ فَوْقَ الرِّدْفِ أَسْوَدُ شَعْرِهَا فَإِيَّاكَ وَالْحَيَّاتِ مِنْ شَعْرِهَا الْجَعْدِ
وَقَدْ لَانَتِ الْأَعْطَافُ مِنْهَا وَقَلْبُهَا عَلَى لِينِهَا أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَتُرْسِلُ سَهْمَ اللَّحْظِ مِنْ فَوْقِ حَاجِبٍ يُصِيبُ وَلَا يُخْطِي وَإِنْ كَانَ مِنْ بُعْدِ
إِذَا مَا اعْتَنَقْنَا وَالْتَزَمْتُ وِشَاحَهَا يَدَا يَمْنَعُنِي عَنْ ضَمِّهَا ذَلِكَ النَّهْدِ
فَيَا حُسْنَهَا قَدْ فَاقَ كُلَّ مَلَاحَةٍ وَيَا قَدَّهَا أَزْرَيْتَ بِالْغُصْنِ الْمَلْدِ

قال وجلوها الخلعة السادسه في خلعة خضراء فازرت بقوامها الصعدة السمراء وفاقت بجمالها ملاح الآفاق وازهرت باشراق وجهها على بدر الاشراق

و نالت من الجمال اما نيها و سبت الغصون بلينها و تثنيها وفتت الكبود بحسن معانيها كما قال فيها بعض واصفيها شعــــــــر

وَجَارِيَةٍ قَدْ أَدَبَتْهَا الشُّطَارَة ۞ تَرَى الشَّمْسَ مِنْ خَدِّهَا مُسْتَعَارَة
أَتَتْ فِي قَمِيصٍ لَهَا أَخْضَـرٍ ۞ كَمَا سَتَرَ الْوَرَقُ بِالْجُلَّنَارَة
فَقُلْنَا لَهَا مَا اسْمُ ذَاكَ اللِّبَاس ۞ فَقَالَتْ كَلَامًا مَلِيحَ الْعِبَارَة
شَقَقْنَا مَرَارَ قَوْمٍ بِهِ ۞ فَنَحْنُ نُسَمِّيهِ شَقَّ الْمَرَارَة

وجلوها في الخلعة السابعة بين معصفر و مزعفر كما قال فيها بعض واصفيهـــــــا

وَتَمِيسُ بَيْنَ مُزَعْفَرٍ وَمُعَصْفَرٍ ۞ وَمُعَنْبَرٍ وَمُمَسَّكٍ وَمُصَنْدَلِ
هَيْفَاءُ إِنْ قَالَ الشَّبَابُ لَهَا انْهَضِي ۞ قَالَتْ رَوَادِفُهَا اقْعُدِي وَتَمَهَّلِي
وَإِذَا سَأَلْتُ الْوَصْلَ قَالَ جَمَالُهَا ۞ جُودِي وَقَالَ دَلَالُهَا لَا تَفْعَلِي

و اما العروسة فانها لما فتحت عينها قالت اللهم اجعل هذا بعلي و ارحني من هذا السائس الاحدب وصاروا يجلوا العروسة الى آخر السبع خلع على بدرالدين حسن البصري و السائس الاحدب جالس وحده فلما فرغوا من ذلك اذنوا للناس بالانصرف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والاولاد و لم يبق الا بدرالدين حسن و السائس الاحدب ثم ان المواشط ادخلوا العروسة ليغيروا ما عليها من الحلي والحلل و يجعلوها للعريس فعند ذلك تقدم السائس الاحدب الى بدرالدين حسن و قال يا سيدي آنستنا الليلة و غمرتنا باحسانك فما تقوم تروح فقال بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يا بدرالدين فاذا خرج

الاحدب الى بيت الراحة ادخل انت ولا تتوقف واجلس في البشخانة فاذا اقبلت العروسة فقل لها انا زوجك والملك انما عمل هذه الحيلة خوفا عليك من العين وهذا الذي رايتِه سائس من سيا سنا ثم اقبِلْ عليها واكشفْ وجهها فنحن لحقتنا الغيرة من هذا الامر فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسائس خارج ودخل بيت الراحة وقعد على الكرسي وطلع له العفريت من الحوض الذي فيه الماء في صفة فأر وقال زيق فقال الاحدب ما حالك فكبر الفأر حتى صار قطا وقال ميا ميا وكبر حتى صار كلبا وقال هوه هوه فلما نظر السائس ذلك فزع وقال اخسأ يا مشوم والكلب كبر وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق فانزعج فقال الحقوني يا اهل البيت واذا بالحمار كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن ادم وقال ويلك يا احدب يا انتن والسائس لحقته البطن وقعد على الملاقي باثوابه واشتبكت اسنانه بعضها ببعض فقال له العفريت قد ضاقت عليك الدنيا وما وجدت تتزوج الا بمعشوقتي فسكت فقال له رد الجواب والا اسكنتك التراب فقال والله مالي ذنب الا انهم غصبوني وما عرفت ان لها عشاق جواميس ولكن انا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت اقسم عليك ان خرجت هذا الوقت من هذا الموضع او تكلمت قبل ان تطلع الشمس قتلتك فاذا طلعت الشمس اخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت ابدا ثم ان العفريت مسك السائس الاحدب وقلب رأسه في الملاقي وجعله الى تحت وجعل رجليه الى فوق وقال له اخليك هنا انا حارسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب واما ما كان من قصة بدر الدين حسن البصري فانه خلى الاحدب والعفريت

يتخاصمان و دخل البيت و جلس في وسط البشخانة و اذا بالعروسة اقبلت و معها عجوز فوقفت في باب البيت و قالت يا ابا القوام قم خذ و داعة الله ثم ولت العجوز و دخلت العروسة في داخل البشخانة وكان اسمها ست الحسن و قلبها مكسور و قالت والله ما امكّنه من نفسي ولو قتل روحي فلما دخلتْ الى داخل البشخانة نظرت بدرالدين فقالت حبيبي الى هذا الوقت قاعد لقد قلت في نفسي لك و للسائس الاحدب شركة فيَّ فقال بدر الدين حسن و ايش اوصل السائس اليك و اين له ان يكون شريكي فيك فقالت و مَنْ زوجي انت او هو قال بدر الدين ياست الحسن نحن ما عملنا هذا الا مسخرة لضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغاني و اهلك يجلوكِ عليَّ وان اباك اكتراه بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين و قدراح فلما سمعت ست الحسن من بدرالدين ذلك الكلام تبسمت و فرحت و ضحكت ضحكا لطيفا و قالت و الله لقد اطفأت ناري فبالله خذني الى عندك و ضمني الى حضنك وكانت من غير لباس وكشفت ثوبها الى رقبتها فبان كسها و ردفها فلما نظر بدر الدين ذلك تحركت فيه الشهوة فقام و حل لباسه ثم الكيس الذهب الذي كان اخذه من اليهودي الذي كان فيه الالف دينار لفه في سرواله وحطه تحت ذيل الطّراحة وقلع شاشه وعلقها على الكرسي وبقي بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدرالدين وعانقها واخذ رجليها في وسطه ثم حط الذخيرة فانطلق المدفع هدم البرج فوجدها درّة ما ثُقِبت ومطية لغيرها ما رُكِبَتْ فزال بكارتها و تملّى بشبابها ثم سله منها و ردمه فلما فرغ اعاده خمسة عشر مرة فعلقت منه فلما فرغ بدرالدين

وضع يده تحت راسها وكذلك الاخري ثم انهما تعانقا وناما
متعانقين كما قال فيهما الشاعر هذه الابيات

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ كَلَامَ الْحَاسِدِ ... لَيْسَ الْحَسُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَنْ يَخْلُقَ الرَّحْمٰنُ اَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَا ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ
وَاِذَا تَأَلَّفَتِ الْقُلُوبُ مَعَ الْهَوَى ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
وَاِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... نِعْمَ الصَّدِيقُ وَعِشْ بِذَاكَ الْوَاحِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى اَهْلَ الْهَوَى ... هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ

هذا ما كان من امر بدر الدين حسن وست الحسن بنت عمه واما
ما كان من امر العفريت فانه قال للعفريتة قومي وادخلي تحت الشاب
ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح لان الوقت قريب فعند ذلك
تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم واخذته وطارت
به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس وما زالت العفريتة
طايرة به والعفريت يحاذيها فادركهم الصباح في اثناء الطريق
وصاح المؤذنون بحي على الفلاح فاذن الله ملايكته ان ترمي
العفريت بشهب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فنزلت ببدر الدين
في موضع ما اخذت الشهب العفريت ولم تتعد به خوفا عليه وكان
بالامر المقدر قد وصلوا دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من
ابوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت ابواب المدينة وخرج
الناس فنظروا شابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس وهو
مما قاسى من السهر غرقان في النوم فلما راوه الناس قالوا يا بخت من
كان هذا عنده الليلة ويا ليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر

مسكين اولاد الناس هذه الساعة خرج من الخمارة لبعض شغله فقوي عليه السكر فتاه عن المكان الذي كان قاصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلوقا فنام هنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهواء هَبّ على بدر الدين رفع ذيله الى بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وافخاذ مثل البلور فقال الناس والله طيب فانتبه بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال انا فين يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم وما حكايتي معكم فقالوا نحن رايناك عند اذان الصبح ملقى نائما ولا نعلم من امر غير هذا فاين كنت نائما هذه الليلة فقال بدر الدين حسن والله يا جماعة كنت نائما هذه الليلة في مصر فقال واحد انت تاكل حشيش وقال بعضهم انت مجنون تكون بائتا في مصر وتصبح نائما في مدينة دمشق فقال لهم والله يا جماعة الخير لم اكذب عليكم ابدا وانا كنت البارحة بالليل في ديار مصر وفي النهار امس كنت بالبصرة فقال واحد طيب وقال الآخر هذا الشاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدثت الناس بعضهم مع بعض وقالوا يا خسارة شبابه والله ما في جنونه شك ابدا ثم انهم قالوا له دبر بالك وارجع لعقلك فقال بدر الدين حسن كنت البارحة عرس في ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورايت هذا الذي تقول في المنام فتوهم حسن في نفسه وقال لهم والله ما هذا منام ولا رايته في الاحلام الا اني رحت وقد جلوا العروسة قد امي وكان الثالث الا حدب قاعدا والله يا اخي ما هذا منام ولو كان مناما اين كان الكيس الذهب معي واين شاشي وثيابي ولباسي ثم قام ودخل المدينة وشق شوارعها واسواقها فازدحمت الناس عليه وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك

الطباخ رجلا شاطرا يعني حراميا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان اهل دمشق كلهم يخافون منه ومن شدة بأسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر طباخ الى بدر الدين حسن و نظر الى حسنه و جماله وقعت في قلبه محبة فقال له من اين انت يافتى فا حك لي حكايتك فانك صرت عندي اعز من روحي فحكى له ما جرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدي بدر الدين اعلم ان هذا امر عجيب و حديث غريب و لكن يا ولدي اكتم ما معك حتى يفرج الله مابك و اقعد عندي في هذا المكان و ان مالي ولد واتخذك ولدي فقال له بدر الدين نعم ياعم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق و اشترى لبدر الدين اقمشة مفتخرة و البسها له و توجه و اياه الى القاضي و اشهر على نفسه انه ولده و قد اشتهر بدر الدين حسن في مدينة دمشق انه ولد الطباخ و قعد عنده فى الدكان يقبض الدراهم و قد استقر حا له عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من امر بدر الدين حسن و ما جري له و اما ما كان من امرست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد بدرالدين حسن فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة و اذا بابيها قد دخل و هو مهموم مما جري عليه من السلطان و كيف غصبه وزوج ابنته غصبا لاحد غلمانه و هو قطعة سائس احدب و قال فى نفسه اقتل هذه البنت ان كانت مكّنت هذا الملعون من نفسها فمشى الى ان وصل الى البشخانة ووقف على بابها و قال ياست الحسن فقالت له لبّيك ياسيدي ثم انها خرجت وهي تتمايل من الفرح و قبلت الارض وزاد وجهها نورا و جمالا بعناقها ذلك الغزال فلما نظرها

ابوها و هي بتلك الحالة قال لها يا ملعونة انت فرحانة بهذا السائس فلما سمعت ست الحسن كلام و الدها تبسمت و قالت بالله يكفي ما جرى امس و الناس يضحكون علي و يعايروني بهذا السائس الذي ما يجيء في قلامة ظفر زوجي و الله ما بت طول عمري ليلة احسن من ليلة البارحة فلا تهزأبي و تذكرلي ذلك الاحدب فلما سمع و الدها كلامها امتزج بالغضب و ازرقت عيناه و قال لها ويلك ايش هذا الكلام الذي تقوليه السائس الا حدب بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لعن الله اباه و لا تعمل مزاح فما كان السائس الا مكري بعشرة دنانير و اخذ اجرته و راح وجئت انا و دخلت البشخانة فنظرت زوجي قاعدا بعد ما جلوني عليه المغاني و نقط بالذهب الاحمر حتى اغنى الفقرا الحاضرين و قدبت في حضن زوجي الخفيف صاحب العيون السود و الحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام و قال لها يا فاجرة ما هذا الذي تقوليه اين عقلك فقالت له يا ابت لقد فتتت كبدي فبسك تتثاقل عَلَيَّ فهذا زوجي الذي اخذ وجهي قد دخل الى بيت الراحة واني قد علقت منه فقام والدها و هو متعجب و دخل الى بيت الخلاء فوجد السائس الاحدب راسه مغروزة في الملاقي ورجليه الى فوق فبهت فيه الوزير وقال ما هذا الا هو الاحدب فقال له يا احدب فقال تغوم تغوم فظن الاحدب انه مايكلمه الا العفريت فعيط عليه الوزير وقال تكلم و الا قطعت راسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتني في هذا المكان ما رفعت راسي فبالله عليك ارفق بي فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فانا ابو العروسة ما انا عفريت فقال بسك فانت رايح تاخذ روحي فرُحْ الى حال سبيلك قبل ان

يانيك الذي فعل معي هذه الفعال فانتم ما جبتم تزوجوني الا بمعشوقة الجواميس و معشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها و لعن من كان السبب فيها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السائس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة و يقول لعن الله من كان السبب فقال له الوزير قم و اخرج من هذا المكان فقال له انا مجنون اروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس اخرج و رح الى حال سبيلك فطلعت الشمس ام لا فاني لا اقدر اطلع من موضعي الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال الوزير من اتى بك الى هذا المكان فقال اني جئت البارحة الى هنا لاقضي حاجتي و ازيل ضرورتي واذا بفارة طلع من وسط الماء و عيط وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة و قال لي كلام دخل في اذني فخلاني و راح لعن الله العروسة ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير و اخرجه من المرحاض فخرج و هو يجري وما صدق ان الشمس طلعت و طلع الى السلطان و اعلمه بما اتفق له مع العفريت و اما الوزير ابو العروسة فانه دخل البيت و هو حائر العقل في امر ابنته فقال يا بنتي اكشفي لي خبرك فقالت ان العريس الذي كنت انجلي عليه البارحة بات عندي و اخذ و جهي و علقت منه وان كنت لم تصدقني هذا شاشه بلفته على الكرسي و لباسه تحت الفرش وفيه شيء ملفوف و لم اعرف ما هو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل البشخانة فوجد شاش بدر الدين حسن بن اخيه ففي الحال اخذه في يده و قلبه و قال هذه عمامة وزراً لانها موصلية ثم نظر الى حرز

مخيط في طربوشه فاخذه و فتقه و اخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه الالف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي و اسم بدرالدين حسن بن نورالدين على المصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما افاق و علم مضمون القصة تعجب و قال لا اله الا الله القادر على كل شيءٍ وقال يا بنتي تعرفين من الذي اخذ و جهك قالت لا قال انه ابن اخي وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القصة ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبة و مكتوب فيها تاريخ بخط اخيه نورالدين المصري ابو بدرالدين حسن فلما نظر خط اخيه انشد وقال هذه الا بيـــات

أَرى آثارَهُمْ فَــاَذُوبُ شَــوْقًا وَأَسْكُبُ فِي مَوَاطِنِـهِـمْ دُمُوعِي
وَأَسْأَلُ مَنْ بِفُرقَتِـهِـمْ رَمَانِي يَـمُـنُّ عَلَيَّ يَوْماً بِالـرُّجُوعِ

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة و تاريخ دخوله و تاريخ مولد بدرالدين حسن و تاريخ عمرة الى حين وفاته فتعجب و اهتز من الطرب و قابل ما جرى لاخيه على ما جرى له فوجده سواء بسواء وزواجه و زواج الآخر متوافقين تاريخا و الدخول و ولادة بدرالدين وبنته ست الحسن ايضا موافقاً فاخذ الورقة وطلع بها الى السلطان واعلمه بما جرى من اول الامر الى آخره فتعجب الملك و امر ان يؤرخ هذا الامر في الحال ثم اقام الوزير ينتظر ابن اخيه ذلك اليوم فما اتى وثاني يوم و ثالث يوم الى سبعة ايام فما وقع له على خبر فقال و الله لاعملن عملا ما سبقني اليه احد فاخذ دواة و قلما وكتب في ورقة صورة نصب

البيت جميعه وان الخشخانة موضع كذا والستارة الفلانية موضع كذا وجميع ما في البيت ثم طوى الكتاب وامر بشيل الحوائج واخذ الشاش والطربوش واخذ الفرجية والكيس وشالهم عنده وقفلهم بقفل من حديد وختم عليه الى ان يصل ابن اخيه حسن البصري واما بنت الوزير فتمت اشهرها وولدت ولدا مثل القمر شبيه والده في الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى الدايات وسموه عجيبا فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين اعطاه لفقيه ووصاه ان يربيه ويقرئه ويحسن تربيته فقام في المكتب اربع سنوات فصار يقاتل اهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلي انا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون للعريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف غدا لما يجيء اعلمكم شيئا تقولوه له فيتوب عن المجيء للمكتب وذلك انه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم بعضا والله ما يلعب معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم امه وابيه ومن لم يعرف اسم امه وابيه فهو ابن حرام فلم يلعب معنا فلما اصبح الصباح اتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحاطت به الاولاد فقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا الا من يقول لنا على اسم امه وابيه فقالوا والله طيب فقال واحد منهم اسمي ماجد وامي علويه وابي عز الدين وقال الآخر مثل قوله والآخر كذلك الى ان جاء الدور الى عجيب فقال انا اسمي عجيب وامي ست الحسن وابي شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو ابوك فقال لهم عجيب الوزير ابي حقيق فعند ذلك ضحكت عليه الأولاد وصفقوا عليه وقالوا ما يعرف له اب قم من عندنا فلا يلعب معنا الا من يعرف

اسم ابيه وفي الحال تفرقت الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره
والخنق بالبكاء فقال له العريف نعرف جدك الوزير ابو امك ست
الحسن لا ابوك واما ابوك فلا تعرفه انت ولا نحن لان السلطان كان
زوجها للاحدب السائس وجاءت الجن ناموا عندها ولا لك اب
يعرف ولا بقيت انت تقيس صغار المكتب دون ان تعرف لك
ابا والابقيت بينهم ولد زنا الاتري ان ابن البياع يعرف بابيه
وانت جدك وزير مصر واما ابوك فلا نعرفه ونحن نقول مالك
اب فاصح لعقلك فلما سمع من العريف والاولاد هذا الكلام و
تعييرهم له قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وشكى
لها وهو يبكي ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت امه كلامه وبكاءه
التهب قلبها بالنار عليه وقالت يا ولدي ما الذي ابكاك فاحك لي
قصتك فحكى لها عجيب ما سمعه من الاولاد ومن العريف فمن
هو يا والدتي ابي قالت له ابوك وزير مصر فقال لها لا تكذبي عليّ
فان الوزير اباك انت لا انا فمن هو ابي فان لم تخبريني بالصحيح
والا قتلت روحي بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر ابيه بكت
لذكر ولد عمها وتذكرت جلاها على بدر الدين حسن البصري
وماجري لها معه وانشدت تقول هذه الابيات

أَقَامُوا الْوَجْدَ فِي قَلْبِي وَسَارُوا ... وَقَدْ شَطَّتْ بِمَنْ أَهْوَى الدِّيَارُ
وَبَانَ تَجَلُّدِي مِنْ حَيْثُ بَانُوا ... وَفَارَقَنِي وَعَزَّ الِاصْطِبَارُ
وَقَدْ سَارُوا سُرَى عَنِّي سُرُورِي ... وَقَدْ عُلِمَ الْقَرَارُ فَلَا قَرَارُ
وَأَجْرَوْا بِالْفِرَاقِ دُمُوعَ عَيْنِي ... فَأَدْمُعُهَا بِبُعْدِهِمُ غِزَارُ
إِذَا مَا اشْتَقْتُ يَوْمًا أَنْ أَرَاهُمْ ... وَطَالَ بِهِمْ حَنِينٌ وَانْتِظَارُ

أُمَثِّلُ شَخْصَهُمْ فِي وَسْطِ قَلْبِي غَرَامٌ وَ اشْتِيَاقٌ وَ افْتِكَارُ
أَيَا مَنْ ذِكْرُهُمْ أَضْحَى دِثَارِي كَمَا حُبًّا لَهُمْ هُوَلِي شِعَارُ
أَحِبَّتُنَا إِلَى كَمْ ذَا التَّمَادِي وَكَمْ هٰذَا التَّبَاعُدُ وَ النِّفَارُ

ثم بكت و صرخت و كذلك ولدها واذا بالوزير دخل عليهما فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه و قال ما يبكيكما فاخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر اخاه و ما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم ما في باطن الامر ففي الحال قام الوزير و مشى حتى طلع الى الديوان و دخل على الملك و اخبره بالقصة و طلب منه الاذن بالسفر الى الشرق و يعبر مدينة البصرة و يسأل عن ابن اخيه وطلب من السلطان ان يكتب له مراسيم لسائر البلاد ايّ موضع و جد فيه ابن اخيه يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فَرَقَّ له قلبه وكتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك الوزير و دعي للسلطان و ودعه و في الحال نزل وتجهز للسفر و اخذ مايحتاج اليه وبنته وولدها عجيب وسافر اول يوم و ثاني يوم و ثالث يوم الى ان وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات اشجار و انهار كما قال فيها الشاعر

مِنْ بَعْدِ يَوْمِي فِي دِمِشْقَ وَلَيْلَتِي حَلَفَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا لَا يَغْلَطُ
بِتْنَا وَ جِنْحُ اللَّيْلِ فِي غَفَلَاتِهِ وَالصُّبْحُ مُبْتَسِمٌ بِفَرْعٍ أَشْمَطُ
وَالطَّلُّ فِي تِلْكَ الغُصُونِ كَأَنَّهُ دُرٌّ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَ الغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرِّيحُ تَكْتُبُ وَالغَمَامُ يُنَقِّطُ

فنزل الوزير في ميدان الحصى و نصب خيامه و قال لغلمانه ناخذ

الراحة هنا يومين فدخلت الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا
يبيع و هذا يشتري و هذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني
امية الذي ما في الدنيا مثله وخرج عجيب هو و خادمه و دخلوا
المدينة يتفرجون والخادم يمشي خلف عجيب بشبوت لو ضرب به
جمل ما ثار فلما نظر اهل دمشق الى عجيب و قده و اعتداله
و بهائه و جماله وهو غلام بديع الجمال رخيم الدلال الطف
من نسيم الشمال و احلى من الماء الزلال للظمآن والذ من
العافيه لصاحب السقام تبعه جم غفير تجري وراءه وتسبقه
و تقعدوا في الطريق حتى يجيء عليهم و ينظروه الى ان كان بالامر
المقدر وقف العبد على دكان ابيه بدر الدين حسن وكان قد طلع
ذقنه و تكامل عقله في مدة الاثني عشر سنة وكان قد مات الطباخ
و اخذ بدر الدين حسن ماله و دكانه لانه اعترف عند القضاة والشهود
انه ولده فلما كان ذلك اليوم وقف ولده والخادم عليه فنظر الى ولده
عجيب فوجده في غاية الحسن فخفق فؤاده وحن الدم الى الدم و
تعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلي وهاجت فيه المحبة الالهية
فنادى ولده عجيب وقال يا سيدي يا من ملك قلبي و فؤادي وحن
اليه كبدي هل لك ان تدخل عندي و تجبر قلبي وتاكل من طعامي
ثم دمعت عيناه بالدموع من غير اختياره و افتكر ما كان فيه و ما هو
فيه تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام ابيه حن قلبه له و نظر
الى الخادم و قال له ان هذا الطباخ حن قلبي له وكانه قد فارق
ولدا له فادخل بنا عنده لنجبر قلبه و نأكل ضيافته لعل بفعلنا
معه يجمع الله شملنا بابينا فلما سمع الخادم كلام عجيب قال والله
طيب تبقي اولاد الوزير و تاكل في دكان الطباخ انا احجب الناس

منك بهذه العصا خوفا من ان ينظروا اليک فما آمن ان تدخل
الى الدكان ابدا فلما سمع بدرالدين حسن كلام الخادم تعجب و
التفت الى الخادم و دموعه سالت علي خدوده فقال عجيب للخادم ان
قلبي احبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلک
التفت ابو عجيب للخادم و قال له يا كبير لايش ماتجبر خاطري و
تدخل عندي يا من كانه قسطل اسود و قلبه ابيض يا من قال فيه
بعض و اصفيه فضحک الخادم و قال ايش قلت فبالله قل و اوجز ففي
الحال انشد بدرالدين حسن وجعل يقول هذه الابيـــــــــات

لَوْلَا تَأَدُّبُهُ وَ حُسْـنُ ثِقَـاتِـهِ مَاكَانَ فِي دَارِ الْمُلُوكِ مُحَكَّمَا
وَعَلَى الْحَرِيمِ فَيَالَهُ مِنْ خَادِمٍ مِنْ حُسْنِهِ خَدَمَتْهُ أَمْلَاكُ السَّمَا

فتعجب الخادم من هذا الكلام واخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف
بدرالدين حسن زبدية حب رمان عالية و كانت بلوز و سكر فاكلوا
سواء فقال لهم بدرالدين حسن آنستمونا فكلوا هنيئاً مريئاً ثم ان عجيبا
قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال بدرالدين
حسن يا ولدي على صغر سنک بليت بفرقة الاحباب فقال عجيب
نعم يا عم احترق قلبي بفراق الاحباب و هو والدي و قد خرجت انا
و جدي نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملي و بكى بكاء
شديدا فبكى والده لفراقه و بكاءه و تذكر فرقة الاحباب و بعده عن
والده ووالدته فحزن له الخادم و اكلوا جميعا الى ان اكتفوا ثم بعد
ذلک قاموا خرجوا من دكان بدرالدين حسن فحس ان روحه فارقت
جسده و راحت معهم فما قدر يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان
و تبعهم و هو لايعلم انه ولده و اسرع في مشيه حتى لحقهم قبل

ان يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشي و قال له مالك فقال بدرالدين حسن لما نزلتم من عندي حسيت ان روحي راحت معكم ولي حاجة في المدينة خارج الباب فاردت ان ارافقكم حتى اقضي حاجتي وارجع فغضب الطواشي و قال لعجيب كنت خائفا من هذا اكلنا لقمة كانت ميشومة و صار علينا مكرمة وهاهو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فلقي الطباخ خلفه فاغتاظ و احمر وجهه ثم قال للخادم دعه يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا و عرفنا انه تبعنا نطرده فاطرق راسه و مشى والخادم وراءه فتبعهم بدرالدين حسن الى ميدان الحصى وقربوا من الخيام فالتفتوا وراوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي ان يخبر جده فامتزج بالغضب لئلا يقول انه دخل دكان الطباخ و ان الطباخ تبعه فالتفت ووجد عينه في عينه وهو بقي جسد بلا روح فنظر عجيب ان عينه عين خائن اويكون ولدزنا فازداد غضبا فاخذ حجرا و ضرب به والده فوقع بدرالدين حسن مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب والخادم الى الخيام واما بدرالدين حسن فانه لما افاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته و عصب راسه ولام نفسه وقال انا ظالم الصبي غلقت دكاني وتبعته حتى ظن اني خائن فرجع الى دكانه وباع طعامه وصار يتشوق لوالدته التي في البصرة ويبكي عليها وانشد يقول

لَاتَسْأَلِ الدَّهْرَ انْصَافًا فَتَظْلِمَهُ ۞ وَلَا تَلُمْهُ فَلَمْ يُخْلَقْ لِإِنْصَافِ
خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَابْقِ الْهَمَّ نَاحِيَةً ۞ لَا بُدَّ مِنْ كَدَرٍ فِيهِ وَمِنْ صَافِ

ثم ان بدرالدين حسن استمر يبيع في طعامه و اما الوزير عمه فانه

اقام في دمشق ثلثة ايام ثم رحل طالب حمص فدخل اليها وفتش في طريقه اينما حل وجهه في سيرة الى ان وصل الى ديار بكر وما ردين والموصل ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخل بها فلما استقر بها المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه واكرم منزله وساله عن سبب مجيئه فاخبره بقصته وان اخاه الوزير نور الدين علي فترحم عليه السلطان وقال له ايها الصاحب كان وزيري وكنت احبه كثيرا من مدة خمسة عشر سنة ومات وخلف ولدا وما اقام بعد موته الا شهرا واحدا ولقدناه ولم نطلع له على خبر غيران امه عندنا لانها بنت وزيري الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان ام ابن اخيه طيبة فرح وقال ياملك اني اريدان اجتمع بها ففي الحال اذن له ودخل اليها في دار اخيه نور الدين فجال ببصره في نواحيها وقبل اعتابها وافتكر اخاه نور الدين علي وكيف مات غريبا فبكى وانشد يقول

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذَا الجِدَارِ وَذَا الجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... وَلٰكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة وباب مقوصر معقود بالحجر الصوان مجزع بانواع الرخام من سائر الالوان فمشى في نواحي الدار ونظرها وجال بطرفه فيها فوجد اسم اخيه نور الدين مكتوبا عليها بماء الذهب فاتى الى الاسم وقبله وبكى وتذكر فرقته فانشد يقول هذه الابيات

أَسْتَخْبِرُ الشَّمْسَ عَنْكُمْ كُلَّمَا طَلَعَتْ ... وَأَسْأَلُ البَرْقَ عَنْكُمْ كُلَّمَا لَمَعَا
أَبِيتُ وَالشَّوْقُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي ... فِي رَاحَتَيْهِ وَلَا أَشْكُوا لَهُ وَجَعَا

أَحْبَابُنَا إِنْ يَكُنْ طَالَ ٱلْمَدَا فَكَذَا   فِرَاقُكُمْ قَدْ قَطَعْنَا بَعْدَكُمْ قِطَعَا
فَلَوْ تَمنُّوا عَلَى طَرْفِي بِرُؤْيَتِكُمْ   لَكَانَ أَحْسَنَ إِذْ مَا بَيْنَنَا جُمِعَا
لَا تَحْسِبُوا إِنَّنِي بِالْغَيْرِ مُشْتَغِلٌ   إِنَّ ٱلْفُؤَادَ لِحُبِّ ٱلْغَيْرِ مَا وَسِعَا

ثم انه صار يمشي الى ان جاء الى قاعة زوجة اخيه ام بدر الدين حسن المصري وكانت في مدة غيبة ولدها لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها السنين عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا لاتنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الوزير الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر وتقول

بِاللهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ   وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ ٱلْمَنْظِرُ ٱلنَّضِرُ
يَاقَبْرُ مَا أَنْتَ لَا رَوْضٌ وَلَا فَلَكٌ   فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ ٱلْغُصْنُ وَٱلْقَمَرُ

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم واعلمها انه اخو زوجها ثم اخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها بدر الدين حسن بات عند ابنته ليلة كاملة من مدة عشر سنين وفقد عند الصباح وان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وانه حي ورأت سلفها فعند ذلك قامت له ووقعت على اقدامه وقبلتها وانشدت تقول شعرا

لِلّٰهِ دَرُّ مُبَشِّرِي بِقُدُومِهِمْ   فَلَقَدْ أَتَى بِأَطَايِبِ ٱلْمَسْمُوعِ
لَوْ كَانَ يَقْنَعُ بِالْخَلِيعِ وَهَبْتُهُ   قَلْبًا تَقَطَّعَ سَاعَةَ ٱلتَّوْدِيعِ

ثم ان الوزير ارسل خلف عجيب يحضره فلما حضر قامت جدته و اعتنقته و بكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله يجمع شملنا و شملك بولدك ابن اخي فقالت سمعا و طاعة ثم قامت من وقتها و جمعت مصالحهـــا و ذخائرها و جوارها و في الحـــال تجهزت و طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة و ودعه فبعث معه هدايا و تحف الى سلطان مصر و سافر من وقته الى ان وصل الى مدينة دمشق فنزل في القانون و ضرب الخيام و قال لمن معه نقيم بها جمعة الى ان نشتري للسلطان هدايا و تحف و قد خرج عجيب فقال للطواشي يا لايق اني اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى السوق و نعبر دمشق و ننظر ما جرى لذلك الطباخ الذي كنا قد اكلنا طعامه و شججنا رأسه و هو قد كان احسن الينا و نحن اسأناه فقال الطواشي سمعا و طاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي و حركته القرابة لوالده و في الحال دخلوا الى المدينة وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى دكان الطباخ فوجدوه واقفا في الدكان و كان الوقت قريب العصر وقد وافق الامر انه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظر عجيب اليه حن له و نظر الى اثر الضربة بالحجر في جبينه فقال له السلام عليك يا هذا اعلم ان خاطري عندك فلما نظر اليه بدر الدين تعلقلت احشاؤه وخفق فؤاده و اطرق برأسه الى الارض و اراد ان يدير لسانه في فمه فما قدر ثم انه رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا و انشد يقول هذه الا بـــــــــيـــــــــات

تَمَنَّيْتُ مَنْ اَهْوَى فَلَمَّا رَاَيْتُهُ ذُهِلْتُ فَلَمْ اَمْلِكْ لِسَانًا وَلَا طَرْفًا

وَ أطرقت إجلالاً لهُ وَ مهَابَةً   وَحاولتُ أن أخفي الذي بي فلَم يَخفى
وَ قد كان عندي لِلعتاب دفاترٌ   فلمّا التقينا ما نطقتُ وَلا حرفاً

ثم قال لهم اجبروا قلبي و كلوا من طعامي فوالله ما نظرت اليك الا خفق قلبي وما كنت تبعتك الاوانا في غير عقلي فقال عجيب والله انت محب لنا و نحن اكلنا عندك لقمة لزمتنا عقبها واردت تهتكنا ونحن لانا كل لك اكلا الا بشرط ان تحلف انك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا و الا لانعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون جمعة حتى ياخذ جدي هديا للملك فقال بدرالدين لكم ذلك فدخل عجيب والخادم الدكان فقدم لهم زبدية حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح بدرالدين و اكل معهم وهو باهت في وجهه وقد تعلق قلبه و جوارحه معه فقال له عجيب اعلم اني ما قلت انك عاشق ثقيل فحسبك تطيل النظر الى وجهي فلما سمع بدرالدين كلام ولده انشد يقـــــــول

لَكَ في القُلُوبِ سَرِيرَةٌ لَا تَظْهَرُ   مَطْوِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ لَا تَنْشُرُ
يَاَفاضِحَ القَمرِ المنيرِ بِحُسْنِهِ   وَجَمالِهِ يُحكي الصَّبَاحُ الْمُسْفِرُ
فِي نُورِ وَجْهِكَ مَآرِبٌ لَاتَنقضِي   وَ مَعَاهِدٌ أَبَدًا تَزِيدُ وَ تَكْثُرُ
أَأَذُوبُ مِنْ حَرقٍ وَوجهك جَنَّتِي   وَأمُوتُ مِنْ ظَمَأٍ وَرِيقُكَ كَوْثَرُ

فصار بدرالدين يُلقم عجيبا ساعة ويلقم الطوا شي ساعة فاكلوا حتى اكتفوا و قاموا فقام حسن البصري وكب على ايديهما الماء وحل فُوطة حرير من وسطه مسح ايديهم فيها ورش عليها الماورد من قمقم كان عنده وخرج من الدكان و عاد بِقُلَّة شربات ممزوجة بالماورد الممسك

و قدمها بين ايديهم و قال انموا احسانكم فاخذ عجيب و شرب و ناول الخادم و تنا ولوا حتى امتلأت بطونهم و شبعوا شبعا بخلاف عادتهم ثم انصرفوا و اسرعوا في مشيهم حتى و صلوا الى خيامهم و دخل عجيب على جدته ام والدة بدرالدين حسن فقبلته و افتكرت ولدها بدرالدين حسن فتنهدت و بكت ثم انها قالت شعر

قَدْ كُنتُ أَرْجُو بِأَنَّ الشَّمْلَ يَجْتَمِعُ مَا كَانَ لِي فِي حَيوتِي بَعْدَكُمْ طَمَعُ
أَقْسَمْتُ مَا فِي فُؤَادِي غَيْرُ حُبِّكُمُ وَاللّٰهُ رَبِّي عَلَى الْأَسْرَارِ مُطَّلِعُ

ثم قالت لعجيب يا ولدي اين كنت قال في مدينة دمشق فعند ذلك قامت و قدمت له زبدية طعام حب رمان و كان قليل الحلاوة و قالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم في نفسه و الله مالنا نفس ناكل و جلس الخادم و اما عجيب فلما جلس كانت بطنه ملآنة مما اكل و شرب فاخذ لقمة و غمسها في حب الرمان و اكل فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعان فقال أُفُوهْ ايش هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدي تعيب على طبيخي و انا طبخته ولا يحسن احد الطبخ مثلي الا والدك بدرالدين حسن فقالت عجيب و الله ياستي ان طبيخك هذا وحش نحن في هذه الساعة راينا في المدينة طباخا طبخ حب رمان رائحته ينفتح لها القلب و اما طعامه فانه يشتهي ان يوكل و اما طعامك عنده فلا يساوي كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا و نظرت الى الخادم و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت للخادم وقالت له ويلك انت افسدت ولدي لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشي وانكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله الا دخلنا واكلنا وهوا حسن من طعامك فقامت جدته و اخبرت اخوزوجها واغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لِمَ دخلت بولدي دكان الطباخ فخاف الخادم و قال ما دخلنا فقال عجيب دخلنا واكلنا من حب الرمان حتى شبعنا و اسقانا الطباخ اقسما بثلج و سكر فازداد غضب الوزير على الخادم و سأله فانكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد و كل قدامنا فعند ذلك قدم الخادم و اراد ان ياكل فلم يقدر و رمى اللقمة و قال يا سيدي اني شبعان من البارحة فعرف الوزير انه اكل عند الطباخ فامر العبيد ان يطرحوه فطرحوه و نزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث و قال يا سيدي لا تضربني و انا اقول لك الصحيح فتبطّل عنه الضرب و قال له انطق بالحق فقال له اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فحط لنا منه و الله ما اكلت عمري مثله ولا ذقت اوحش من هذا الذي قدامنا فغضبت ام بدرالدين حسن وقالت لابد ان تروح لهذا الطباخ وتجيب لنا زبدية حب رمان من الذي عنده و تريه لسيدك حتى يقول ايهما احسن و اطيب فقال الخادم نعم ففى الحال اعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنّا على طعامك في بيت سيدنا لان عندهم حب رمان فهات لنا بهذا النصف دينار واجعل بالك فقد اكلنا الضرب الموجع على

طبيخك فضحك بدر الدين حسن وقال والله هذا الطعام ما يحسنه احد الا انا ووالدتي وهي الآن في بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية واخذها وختمها بالمسك والماورد فاخذ الخادم واسرع بها حتى وصل اليهم فاخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودة طبخها فعرفت طبّاخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير ثم رش عليها الماورد وبعد ساعة افاقت وقالت ان كان ولدي في الدنيا فما طبخ هذا حب الرمان الا هو وهو ولدي بدر الدين حسن لاشك فيه ولا محالة لان هذا طعام وما احد يطبخه غيره الا انا لاني علّمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه على رُويه ابن اخي اترى تجمع الايام شملنا به وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وخرج على الرجال الذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلا دكان الطباخ واهدموه وكتفوه بعمامته وجرّوه غصبا الى عندي من غير اذية تحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق واطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعهم على راسه بعد تقليبهم وقال له واين هو غريمك قال رجل طباخ ففي الحال امرحجابه ان يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوه مهدوما وكل شيء فيه مكسور لانه لما توجه الى دار السعادة فعلوا جماعته ما امرهم به فقعدوا منتظرين مجئ الوزير من دار السعادة وبدر الدين حسن يقول يأترى ايش راوا في حب الرمان حتى صار الى هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد اذن له في اخذ غريمه ويسافر به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فاحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر بدر الدين حسن الى عمه بكي بكاء شديدا وقال يا مولاي

ما ذنبي عندكم فقال له انت الذي طبخت حب الرمان قال نعم فانتم
وجدتم فيه شيٌ يوجب ضرب الرقبة فقال الوزير احسن و اقل جزائك
فقال له يا سيدي ماتعرّفني بذنبي فقال له الوزير نعم في هذه
الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان و قال هاتوا الجمال و اخذوا
بدرالدين حسن معهم و ادخلوه في صندوق و قفل عليه و ساروا
و لم يزالوا سائرين الى الليل فحطوا واكلوا شيئا من الطعام و اخرجوا
بدرالدين اطعموه وعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك الى ان و صلوا
الى قمرة فاخرجوا بدرالدين حسن من الصندوق و قال له الوزير
انت الذي طبخت حب الرمان قال نعم يا سيدي فقال الوزير قيدوه
فقيدوه و عادوا به الى الصندوق و ساروا الى ان وصلوا مصر و قد نزلوا
في الزيدانية فامر باخراج بدرالدين حسن من الصندوق و امر
باحضار نجار و قال له اصنع لهذا لعبة خشب فقال بدرالدين حسن
وما تصنع بها فقال اشنقك عليها و اسمرك على اللعبة ثم ادور بك
المدينة كلها فقال على اي شيٌ تفعل لي ذلك فقال الوزير على
نحس طبيخك حب الرمان كيف طبخته و هو عاوز فلفل فقال له ولكونه
عاوز فلفل تصنع معي هذا كله وما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني
اكلة واحدة فقال الوزير عاوز فلفل وما جزاؤك الا القتل فتعجب بدرالدين
و حزن على روحه فقال له الوزير فيما تفكر فقال له في العقول العشروية
التي مثل عقلك فانه لو كان عندك عقل ماكنت فعلت معي هذه
الفعال فقال له الوزير يجب علينا ان نوذيك حتى لا تعود لمثله
فقال بدرالدين حسن ان الذي فعلته معي اقل شيٌ فيه اذيتي فقال
له لابد من شنقك كل هذا والنجار يصلح الخشب و هو ينظر ولم
يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل فاخذه عمه و رماه في الصندوق

وقال في هذا يكون الامر وصبر عليه حتى عرف انه نام فقام و حمل الصندوق و ركب وحطه قدامه و دخل المدينة وسار الى ان دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله الذي جمع شملك بابن عمك قومي افرشي البيت مثل نصبته ليلة الجلاء فقاموا او قدوا الشموع و قد اخرج الوزير الورقة المصورة التي كان صورها بنصبة البيت و وضعوا كل شئ مكانه حتى ان الرائي اذا راي ذلك لايشك في انها ليلة الجلاء بعينها ثم امر الوزير ان يحطوا شاش بدرالدين حسن في مكانه كما كان حطه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة ثم ان الوزير امرا بنته ان تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء في الخلوة وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولي له ابطات علي في عبورك بيت الخلاء و دعيه يبات عندك وتحدثين معه الى النهار نكشف له هذا التاريخ ثم ان الوزير اخرج بدرالدين من الصندوق بعد ان فك القيد من رجليه و قلعه ما عليه و صار بقميص النوم و هو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعلم فبالامر المقدر انقلب بدرالدين تنبه فوجد نفسه في دهليز نور فقال في نفسه انا في اضغاث احلام ثم قام بدرالدين تمشى قليلا الى باب ثان و نظر واذا هو في البيت الذي انجلت فيه عليه العروسة المشخانه و الكرسي ونظر عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا و يوخر اخرى و قال انا نائم ام يقظان وصار يمسح جبينه و يقول و هو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التي انجلت علي فانا فين فاني كنت في صندوق فبينما هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت ذيل البشخانة و قالت له يا سيدي ما تدخل فانك ابطات في بيت الخلاء فلما سمع كلامها و نظر الى وجهها ضحك و قال انني في اضغاث احلام ثم

دخل و تنهد و تفكر فيما جرى له و تحير في امره و اشكلت عليه
قضيته لما راى شاشه و سرواله و الكيس اللي فيه الالف دينار فقال
الله اعلم اني في اضغاث احلام فعند ذلك قالت له ست الحسن
مالك تتعجب و تبهت و قالت ما كنتَ كذا اول الليل فضحک و قال
كم لي غائب عنک فقالت له سلامتک اسم الله حو اليک انت خرجت
تقضي لک شغلا و ترجع فانت عدم عقلک فلما سمع بدرالدين ذلک
ضحک وقال صدقت ولکن لما خرجت من عندک نسيت روحي على بيت
الماء و حلمت اني كنت طباخا في دمشق و اقمت بها عشر سنين
وكاني جاء ني صغير وهو من اولاد الاكابر ومعه خادم ثم ان بدرالدين
حسن مس بيده على جبينه فراى الضرب عليه فقال و الله ياستي كانه
حق لانه ضربني على جبيني فشجه فكانه في اليقظة ثم قال كانه من ساعة
ماتعانقت انا وانت ونمنا فكاني رايته في المنام و رايت كاني سافرت
الى دمشق بلا طربوش و لاسروال وعملت طباخا ثم بهت ساعة و قال
و الله كاني رايت اني طبخت حب رمان و فلفله قليل و الله ما كاني
الا نمت في بيت الماء و رايت هذا كله في المنام فقالت له ست
الحسن بالله عليک و ايش رايت زيادة على ذلک فحكى لها فعند
ذلک قال بدرالدين حسن و الله لولا اني تنبهت لكانوا سمروني
على لعبة خشب فقالت له على ايش فقال على قلة فلفل حب الرمان و
كانهم خربوا دكاني وكسروا مواعيني وحطوني في صندوق و جاؤا
بالنجار يصنع لي خشبة لانهم ارادوا شنقي فالحمد لله اللي جرى لي
ذلک كله في المنام و لا كان في اليقظة فضحكت ست الحسن و ضمته
الى صدرها و ضمها الى صدره ثم تفكر ثم قال والله ما كانه الا في
اليقظة فانا ما عرفت ايش القضية ثم انه نام و هو متحير في امره

حَبِيبٌ كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِيهِ تَوَالَتْ عَبْرَتِي وَعَلَا نَحِيبِي
لَهُ خَالٌ حَكَى حُسْنًا وَلَوْنًا سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْ حَبَّ الْقُلُوبِ

فاستحسن الملك البيتين و قال له هات غيرهما لله ابوك ولا فض فوك فانشد شعر

وَنُقْطَةِ خَالٍ شَبَّهُوهَا بِحَبَّةٍ مِنَ الْمِسْكِ لَا تَعْجَبْ لِقَوْلِ الَّذِي شَبَّهْ
بَلِ اعْجَبْ لِوَجْهٍ قَدْ حَوَى الْحُسْنَ كُلَّهُ وَمَا فَاتَهُ مِنْهُ الْجَمِيعُ وَلَا حَبَّهْ

... الملك طربا و قال له زدني بارك الله في عمرك فانشد شعر

يَا مَنْ حَكَى أُخْدُلُ عَلَى خَدِّهِ نُقْطَةَ مِسْكٍ فَوْقَ مَا قُوتَهْ
أَنْعِمْ بِوَصْلِي أَلَّا تَكُنْ قَاسِيًا يَا مُنْيَةَ الْقَلْبِ وَيَا قُوتَهْ

فقال له الملك احسنت يا حسن واجدت كل الا جادة بين لنا كم للفظ الخال من معنى في اللغة فقال له ايد الله الملك ثمانية و خمسون معنى و قيل خمسون فقال له صدقت ثم قال له الك علم بتفصيل الحسن قال نعم الصباحة في الوجه الوضاءة في البشرة الجمال في الانف الحلاوة في العينين الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال الحسن في الشَعَرِ و قد جمع هذا كله الشهاب الحجازي في ابيات من بحر الرجز وهي هذه شعر

صَبَاحَةٌ لِلْوَجْهِ قُلْ وَالْبَشَرَهْ لَهَا وَضَاءَةٌ فَكُنْ ذَا تَبْصِرَهْ
وَبِالْجَمَالِ الْأَنْفُ حَقًّا يُوصَفُ وَبِالْحَلَاوَةِ الْعُيُونُ تُعْرَفُ
نَعَمْ وَقَالُوا لِلْفَمِ الْمَلَاحَهْ فَافْهَمْهُ عَنِّي لَا عَدِمْتَ الرَّاحَهْ

وَ الظَّرفُ فِي اللِّسانِ وَ الرَّشَاقَهْ لِلْعَقْلِ وَ الشَّمائِلُ اللَّبَاقَهْ
ثُمَّ كَمالُ الحُسنِ قَالُوا فِي الشَّعَرْ فَاصْغِ إِلى نَظْمِي وَكُن مِمَّن عَذَرْ

فسر السلطان بكلامه و استأنس به ثم قال له ما معنى قولهم في المثل شريح ادهى من الثعلب فقال اعلم ايها الملك ايدك الله تعالى ان شريحا خرج ايام الطاعون الى النجف وكان اذا قام يصلي يجيئ ثعلب فيقف تجاهه و يحاكيه فيشغله عن صلوته فلما طال ذلك عليه نزع يوما قميصه فجعله على قصبة و اخرج كمّيه و جعل عمامته عليها وشد وسطها و نصبها في محل صلوته فاقبل الثعلب على عادته فوقف بازائه و اتاه شريح من خلفه فاخذه فقيل ما قيل فلما سمع السلطان ما كشف عنه حسن البصري قال لعمه شمس الدين ان ابن اخيك هذا كامل في فن الادب ولا اظن ان مثله يوجد في مصر فقام حسن البصري وقبل الارض بين يديه و قعد قعود المملوك بين يدي مولاه ثم ان السلطان لما اطلع على حقيقة ماتحصل لحسن البصري من العلوم الادبية فرح فرحا عظيما و خلع عليه خلعة فاخرة و قلده امرا يستعين به على ما يصلح حاله ثم قام حسن البصري و قبل الارض بين يديه و دعاله بالعز الدائم واستاذنه للذهاب مع عمه الوزير شمس الدين فاذن له فخرج و اتى هو و عمه الى البيت فقدم لهما الطعام فاكلا ما يسر الله لهما ثم دخل حسن البصري بعد الفراغ من الطعام مجلس امرأته ست الحسن واخبرها بما اتفق له في حضرة السلطان فقالت له لابد من ان يجعلك نديما له و يوفر لك الصلات و الهبات و انت بفضل الله كالنير الاعظم تسطع انوار كما لك حيثما كنت في برا و بحر فقال لها اريد ان

اقول قصيدة في مدحه لتزداد محبتي في قلبه قالت له اصبت فيما نويت فجود الفكرة و تأنّق فيما تقول وما اراه الا مقبلا بلا شك بالقبول ثم انفرد حسن البصري ناحية و نمق ابياتا رشيقة المباني حسنة المعاني وهي هذه شعر

لِيْ هُمَامٌ نَدَسَمَا أَوْجَ الْعُلى ۞ وَهُوَ فِيْ نَهْجِ الْكِرَامِ الْغُرِّ سَالِكْ
أَمَّنَ الْأَقْطَارَ طُرًّا عَدْلُهُ ۞ وَعَلى أَعْدَائِهِ سَدَّ الْمَسَالِكْ
ضَيْغَمٌ شَهْمٌ تَقِيٌّ إِنْ تَقُلْ ۞ مَلِكٌ أَوْ مَلَكٌ فَهْوَ كَذٰلِكْ
يَرْجِعُ الْعَافِي غَنِيًّا إِنْ نَرُمْ ۞ وَصْفَهُ تَعْجِزُ عَنْهُ فِي مَقَالِكْ
هُوَ صُبْحٌ مُسْفِرٌ يَوْمَ الْعَطَا ۞ وَهُوَ فِيْ يَوْمِ الْوَغى كَاللَّيْلِ حَالِكْ
قَلَّدَ الْأَعْنَاقَ مِنَّا جُودُهُ ۞ وَهُوَ بِالْإِحْسَانِ لِلْأَحْرَارِ مَالِكْ
طَوَّلَ اللّٰهُ لَنَا فِيْ عُمْرِهِ ۞ وَوَقَاهُ شَرَّ أَحْدَاثِ الْمَهَالِكْ

فلما فرغ من تحريرها ارسل بها الى حضرة السلطان صحبة عبد من عبيد عمه الوزير شمس الدين فاطلع عليها الملك و سر خاطره بها و قرأها للحاضرين بين يديه فاثنوا عليه ثناء عظيما ثم استدعاه الى مجلسه فحضر فقال له الملك انت من هذا اليوم نديمي وقد عينت لك في كل شهر الف درهم مع ما قلدتك به سابقا فقام حسن البصري و قبل الارض بين يديه ثلث مرات و دعا له بدوام العز و طول البقاء ثم ان حسن البصري علا قدره و طار صيته في البلدان و بقي في اجمل حال و ارغد عيش مع عمه و اهله الى ان ادركته الوفاة فلما سمع الخليفة هرون الرشيد من لسان جعفر تعجب و قال ينبغي ان نكتب هذه الاحاديث بماء الذهب ثم اطلق العبد وامر بان يعين للشاب في كل شهر ما يطيب به عيشه ووهب سرّية

من عنده و صار ممن ينادمه و ما هذا با عجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودي و الشاهد وا لنصراني و ما وقع لهم قال الملك و كيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان و سالف العصر والاوان في مدينة الصين رجل خياط مبسوط الا تامل بحب اللهو و الطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الاحيان يتفرجون على التفرجات فخرجوا يوما من اول النهار ورجعوا آخره الى منزلهم عند المساء فوجدوا في طريقهم رجلا احدب رويته تضحك المغبون وتزيل الهم عن المحزون فعند ذلك تقدم الخياط و زوجته يتفرجون عليه ثم انهم عزموا عليه ان يروح معهم الى بيتهم لينادمهم تلك الليلة فاجابهم و مشى معهم الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد اقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا و ليمونا و عقيدا يحلو به واتى و حط السمك قدام الاحدب واكلوا فاخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة و لقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الا دفعة واحدة في فرد نفس ولا امهلك حتى تمضغها فبلعها وكانت فيها شوكة قوية فانشبكت في حلقه مع انقضاء اجله فمات و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما لقمت الاحدب جزلة السمك مع انقضاء اجله مات لساعته فقال الخياط لاحول ولاقوة الا بالله مسكين جاء موته الا هكذا على ايدينا فقالت المرأة و ما هذا التواني اماسمعت قول القـــــائـــــل

مَالِيْ أُسَلِّيْ نَفْسِيْ بِا لْمُحَالِ الى   لَمْ اَلْتَقِيْ مِنْ حَبِيْبٍ يَحْمِلَ اَحْزَانِيْ

كَيْفَ الْجُلُوسُ عَلَى نَارٍ وَلَا خَمِدَتْ   اِنَّ الْجُلُوسَ عَلَى النِيْرَانِ خُسْرَانُ

فقال لها زوجها وما افعله قالت له قم و احمله في حضنك وانشر عليه فوطه حرير واخرج انا قد امك و انت و رائي في هذه الليلة و قل هذا ولدي و هذه امه رايحين به الى الطبيب يراه فلما سمع الخياط هذا الكلام قام وحمل الا حدب في حضنه و زوجته تقول يا ولدي سلامتك ايش يوجعك وهذا الجُدَري كان لك في اي مكان فكل من رآهم يقول معهم طفل طرحان ولم يزالوا سائرين و هم يسألون عن منزل الطبيب فدلو هم الى بيت طبيب يهودي فقرعوا الباب فنزلت لهم جارية سوداء وفتحت الباب و نظرت و اذا بانسان حامل صغير و امرأة معه فقالت الجارية ماخبرك فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا ينظره الطبيب فخذي هذا الربع دينار و اعطيه لسيدك و خليه ينزل يرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية و دخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها اترك الاحدب هنا و خلّنا نفوز بانفسنا فاوقفه الخياط و اسنده الى الحائط وخرج هو و زوجته و اما الجارية فد خلت لليهودي و قالت له ان على الباب رجل معه واحد ضعيف ومعهم حرمة وقد اعطوني ربع دينار لك تنزل تشوفه و تصف لهم ما يوافقه فلما راى اليهودي الربع دينار فرح و قام عاجلا و نزل في الظلام فاول ما حط رجله عثر بالاحدب و هو ميت فقال يا للعزير يا لموسى والعشر كلمات يا لهارون و يوشع بن نون كاني عثرت في هذا المريض فوقع الى اسفل فمات فكيف اخرج بقتيل من بيتي فحمله وطلع به البيت و اعلم زوجته بذلك فقالت له وما قعودك ان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت ارواحنا انا وانت

فطالع به السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم وكان جاره رجلا شاهدا مشرفا على مطبخ السلطان وهو كثير ما يأتي بالدهن الى بيته وتأكل القطط والفيران وان طاب طرف ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح و يجرونه وقد آذوه كثيرا في جميع ما يأتي به فطلع اليهودي و زوجته وهم حاملين الاحدب وانزلوه بيديه ورجليه الى الارض وخلوه ملاصقا للحائط وانزلوه وانصرفوا ومالحقوا ينزلون الاحدب الا و الشاهد جاء الى البيت و فتحه وطلع ومعه شمعة موقودة فطلع في البيت فوجد ابن آدم واقفا في الزاوية تحت الباد هنج فقال له الشاهد واه والله طيب ان الذي يسرق حوائجنا ما هو الا ابن آدم فالتفت اليه وقال له هذا اللحم والدهن تاخذه انت وانا احسبه من القطط والكلاب وانا قتلت قطط الحارة وكلابها ودخلت في خطيئتهم وانت تنزل من السطوح ثم اخذ مطرقة عظيمة وهمز بها وصار عنده وضربه على صدره فوجده مات فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن والليّة وكيف فرغت منية هذا الرجل على يدي ثم نظر اليه فاذا هو احدب فقال مايكفى انك احدب حتى تصير حراميا وتسرق اللحم والدهن ياستار استرني بسترك الجميل ثم حمله على اكتافه ونزل به من بيته آخر الليل وما زال به الى اول السوق فاوقفه بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وراح واذا بنصراني سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان التسبيح قريب فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجلس يبول قباله فلاحت منه التفاتة واذا بواحد واقف وكان النصراني خطفوا عمامته في اول تلك الليلة فلما راى الاحدب قائما اعتقد انه يريد يخطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على

رقبته فوقع علي الارض و صرخ النصراني علي خفير السوق و نزل علي
الاحدب من شدة سكرة و بقي يلكمه و يخنقه خنقا فجاء الخفير
فرجد النصراني بارك علي المسلم و هو يلكمه فقال له الخفير ما لهذا
فقال له النصراني هذا اراد ان يخطف عما متي فقال له الخفير قم عنه
فقام فتقدم اليه فوجده ميتا فقال الخفير و الله طيب نصراني يقتل
مسلما ثم مسك الخفير النصراني وكتفه و جاء به الي بيت الوالي
و النصراني يقول في نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا و ما
اسرع ما مات من لكمة واحدة فراحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان
السمسار والاحدب والنصراني باتوا في بيت الوالي الي الصباح واصبح
الوالي طلع فامر بشنق القاتل و امر المشاعلي ان ينادي عليه و
نصب للنصراني خشبة واوقفه تحتها وجاء المشاعلي رمى في رقبة النصراني
الحبل و اراد ان يعلقه و اذا بالشاهد قد شق بين الناس فراى النصراني و
هو رائح يشنق ففسح الناس وقال للمشاعلي لا تفعل انا الذي قتلته فقال
له الوالي لاي شيء قتلته قال اني طلعت الليلة بيتي فرايته نزل من
الباد هنج و سرق رحلي فضربته بمطرقة علي صدره فمات فحملته
وجئت الي السوق واوقفته في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال الشاهد
ما كفاني اني قتلت مسلما حتي اقتل نصرانيا فلا تشنق غيري فلما
سمع الوالي كلام الشاهد اطلق النصراني السمسار وقال للمشاعلي
اشنق هذا باعترافه فاخذ الحبل من رقبة النصراني و وضعه في رقبة
الشاهد واوقفه تحت الخشبة و اراد ان يعلقه واذا باليهودي الطبيب قد
شق الناس و صرخ علي الناس و علي المشاعلي وقال له لا تفعل ما
قتله الا انا في هذه الليلة كنت في بيتي و اذا برجل وامراة دقوا
البـاب و معهم هذا الاحدب ضعيف فدفعوا للجارية ربع دينار

فا علمتني و اعطتني اياه و اما الرجل و المراة فادخلاه في البيت
و وضعاه علي السلم و ذهبا فنزلت لا نظره و انا في الظلام فعثرت
فيه فوقع من فوق السلم لا سفل فمات من وقته فحملته انا وزوجتي
ثم طلعنا به الى السطح و دا زالشاهد هذا بجوار داري فارخينا هذا
الاحدب في الباد هنج بتاع الشاهد و هو ميت فلما طلع هذا الشاهد
و جده في بيته فاعتقد انه حرامي فضربه بمطرقة فوقع علي الارض
فاعتقد انه قتله فما كفاني قتلت مسلما بغير علمي و آخذ في ذمتي
مسلما آخر بعلمي فلما سمع الوالي كلام اليهودي قال للمشاعلي
اطلق الشاهد و اشنق اليهودي فاخذه المشاعلي و حط الحبل في
رقبته و اذا بالخياط شق الناس و قال للمشاعلي لاتفعل ما قتله الا انا
و ذلك اني كنت بالنهار اتفرج وجئت العشاء فلقيت هذا الاحدب
سكرانا ومعه دف وهويغني بعزمه عليه فعزمت عليه وجبته الى بيتي
و اشتريت سمكا وقعدنا ناكل فاخذت زوجتي قطعة سمك و لقمة
ودستها في حنكه فَازَوَّرَ بعضه في حنكه فمات لوقته فاخذته انا وزوجتي
و جئنا به لبيت اليهودي فنزلت الجارية و فتحت لنا الباب فقلت لها
قولي لسيدك ان بالباب امراة و رجل و معهما ضعيف تعال انظره
و اعطيت لها ربع دينار فطلعت لسيدها وحملت انا الاحدب لرأس
السلم و اسندته ومضيت انا و زوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن
انه قتله ثم قال الخياط لليهودي صحيح قال نعم والتفت الخياط للوالي
و قال له اطلق اليهودي و اشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب
من امر هذا الاحدب و قال ان هذا امر يؤرخ في الكتب ثم قال
للمشاعلي اطلق اليهودي و اشنق الخياط باعترافه فقدمه المشاعلي
و قال تعبنا نقدم هذا ونؤخر هذا ولايشنق واحد ثم وضع الحبل في

رتبة الخياط فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الاحدب
فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان لا يقدر يفارقه فلما سكر
الاحدب و غاب عنه تلك الليلة و ثاني يوم الى نصف النهار سأل
عنه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالي و هو ميت
و امر بشنق قاتله فنزل الوالي يشنق القاتل فحضر ثاني و ثالث
وكل واحد يقول ما قتله الا انا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله
فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب و قال انزل الى الوالي
وائتني بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد المشاعلي رائح يشنق الخياط
فصرخ عليه الحاجب و قال لاتفعل و اعلم الوالي بقصة الملك
فاخذه و اخذ الاحدب معه محمولا والخياط و اليهودي والنصراني
والشاهد و طلعوا بالجميع فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الارض
و حكى له على ما جرى من الجميع وليس فى الاعادة افادة فلما سمع
الملك الحكاية تعجب و اخذه الطرب و امران يؤرخ ذلك بماء
الذهب و قال للحاضرين هل سمعتم باعجب من قصة هذا الاحدب
فعند ذلك تقدم النصراني و قال يا ملك الزمان ان اذنت لي
حدثتك بشيء جرى لي وهوا عجب واغرب واطرب من قصة الاحدب
فقال الملك حدثنا بما عندك فقال يا ملك الزمان اني لما دخلت
تلك الديار اتيت بمتجر واوقعني المقدور عندكم و اصل مولدي
بمصر و انا من قبطها و تربيت بها و كان والدي سمسارا فلما
بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمسارا مكانه فبينما انا في
يوم من الايام قاعد واذا بشاب احسن ما يكون و عليه افخر ملبوس
و هو راكب حمارا فلما رآني سلم علي فقمت تعظيما له فاخرج
منديلا و فيه قدر سمسم و قال كم يساوي الاردب من هذا فقلت

له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكياليين و اعمد الى باب النصر الى خان الجوالي تجدني فيه وتركني ومضى واعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة فدرت على المشترين فجاب كل اردب مائة وعشرون درهما فاخذت معي اربع تراسين و مضيت اليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام الى المخزن وفتحه حتى فرغ المخزن فكيلناه فجاء خمسين ارد بالخمسة آلاف درهم فقال الشاب لك في سَمْسَرَتك في كل اردب عشرة و اقبض الثمن وخل لي عندك اربعة آلاف وخمسمائة درهم فاذا افرغ انا من بيع حواصلي اجيء لك آخذ المبلغ من عندك فقلت له نعم فقبلت يديه و مضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم الف درهم فغاب عني شهرا وجاء وقال لي اين الدراهم فقمت و سلمت عليه وقلت له هل لك ان تأكل عندنا شيأ فابى و قال احضر لي الدراهم حتى امضي و اجيء آخذهم منك ثم ولى فقمت و احضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا وجاء و قال لي اين الدراهم فقمت و سلمت عليه و قلت له هل لك ان تاكل عندنا شيأ فابى وقال لي احضرلي الدراهم حتى امضي و اجيء آخذهم منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم و قعدت انتظره فغاب عني شهرا فقلت هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء راكبا على بغلة وعليه ثياب فاخرة و هو كالقمر ليلة البدر في تمامه وكانه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر و هو بخد احمر و جبين ازهر و شامة كانها قرص عنبر كما قيل فيه شعر

أَلْبَدْرُ وَالشَّمْسُ فِي بُرْجٍ قَدِ اجْتَمَعَا ... فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْإِقْبَالِ قَدْ طَلَعَا
وَقَدْ أَظْهَرَا حُسْنَهُمْ فَيْرُ النُّفُوسِ بِهِمْ ... فَيَا لَهُمْ عِنْدَ مَا دَاعِي السُّرُورِ دَعَا

بِالْحُسْنِ وَالظَّرْفِ قَدْ تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ   وَزَانَهَا الْعَقْلُ وَالْمَحْيَاءُ قَدْ بَرَعَا
تَبَارَكَ اللّـــهُ مَخْلُوقًا لَهُ عَجَبٌ   مَا شَاءَ رَبُّ الْعُلَا فِي خَلْقِهِ صَنَعَا

فلما رأيته قبلت يديه وقمت له ودعوت له وقلت له يا سيدي ما تقبض دراهمك فقال وايش العجلة حتى افرغ من مصالحي وآخذها منك ثم ولى فقلت والله اذا جاء هذه المرة لابد ان اعزم عليه لكوني اتجرت في دراهمه وحصلت منها مالا كثيرا فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة افخر من الاولى فحلفت عليه ان ينزل عندي ويأكل ضيافتي فقال لي بشرط ان ما تنفقه عليّ يكون من مالي الذي عندك قلت نعم واجلسته ونزلت هيأت ما ينبغي من الاطعمة والاشربة وغير ذلك وجبت بين يديه وقلت بسم الله فتقدم للمائدة ومد يده الشمال واكل معي فتعجبت منه فلما فرغنا غسلت يده وناولته ما يمسح به يده وجلسنا للحديث بعد ما قدمت له شيأ من الحلوى فقلت يا سيدي فرج عني كربة لمَ اكلت بيدك الشمال لعل في يدك شيأ يؤلمك فلما سمع كلامي انشد يقول شــــــــعــــــــر

خَلِيلَيَّ لَاتَسْأَلْ عَلَى مَا بِمُهْجَتِي   مِنَ اللَّوْعَةِ الْحَرَّا فَتَظْهَرَ أَسْقَامِي
وَمَا عَنْ رِضًى صَاحَبْتُ سَلْمَى بَدِيَّةً   بِلَيْلَى وَلَكِنْ لِلضَّرُورَةِ أَحْكَامِ

واخرج يده من كمه واذا هي مقطوعة زند بـــلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب ولا تقل في بالك اني اكلت معك بيدي الشمال عُجْبا ولكن لقطع اليمين سبب من العجب فقلت له وما سبب ذلك فقال اعلم اني من اولاد بغداد ووالدي من اكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون عن الديار المصرية فبقي ذلك في خـــاطري حتى مات والدي فاخذت

اموالا كثيرة و عبيت متجرا من قماش بغدادي وموصلي وصريت الكل
و سافرت من بغداد وكتب الله لي السلامة حتى دخلت مدينتكم
هذه ثم بكى و انشد يقول

قد يسلم المطمس من حفرة ويقع فيها الباصر الناظر
ويسلم الجاهل من لفظة ويهلك فيها العالم الماهر
و يعسر المؤمن في رزقه و يرزق الكافر والفاجر
ما حيلة المرء و ما فعله هذا الذي قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصرو نزلت القماش في خان مسرور
و فكيت احمالي و دخلتها و اعطيت الخادم دراهم بشتري لنا شيأ
ناكله و نمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين و رجعت بت ليلتي
فلما اصبحت فتحت فردة من القماش وقلت في نفسي اقوم اشق
بعض الاسواق وانظر الحال و اخذت بعض القماش و حملته لبعض
غلماني و سرت حتى وصلت قيصرية جرجس فاستقبلني السماسرة
وكانوا علموا بمجيئي فاخذوا مني القماش و نادوا عليه فلم يجب
رأس ماله فاغتميت لذلك فقال لي شيخ الدلالين ياسيدي اعرف
لك شيأ نستفيد منه تعمل ما يعمل التجا وتبيع متجرك الى اشهر
معلومة بكاتب وشاهد و صيرفي وتاخذ مالك كل يوم خميس و
اثنين فنكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج
على مصرو نيلها فقلت هذا رأي سديد فاخذت معي الدلالين
و ذهبت الى الخان فاخذوا القماش الى القيصرية و بعته وكتبت عليهم
الثمن ورفعت الورقة للصيرفي و اخذت ورقة ورجعت الخان و اقمت
اياما كل يوم افطر على قدح شراب و احضر اللحم الضاني و الحلويات

شهرا ودخل الشهر الذى استحقيت فيه الجباية فبقيت كل يوم خميس
و اثنين ادخل القيصرية و اقعد على دكاكين التجار ويدفع لي الصيرفي
و الكاتب يجيبون الدراهم من التجار الى بعد العصر فاحسبها واختمها
و آخذها و انصرف الى الخان ففي يوم من الايام وكان يوم الاثنين
دخلت الحمام و خرجت الى الخان و دخلت موضعي و فطرت على
قدح الشراب و نمت و انتبهت فاكلت دجاجة وتعطرت وذهبت لدكان
تاجر يقول له بدرالدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي
ساعة حتى قام السوق و اذا بامراة مياسة القوام و هي تتبختر في
مشيها جاءت بعصبة هائلة وروائح فائحة و رفعت الشعرية فنظرت الى
احداق سود فسلمت على بدرالدين فرد عليها السلام و وقف وتحدث
معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي فقالت لبدرالدين هل
عندك تفصيلة طرد وحش مقصب طرش فاخرج لها تفصيلة من التفاصيل
التي اشتراها مني فبايعته عليها بالف وما ئتين درهم فقالت
لتاجر آخذ التفصيلة و اذهب ارسل لك ثمنها فقال لها التاجر
لايمكن ياستي لان هذا صاحب القماش وله عليّ قسط فقالت ويلك
اني معودة آخذ منك كل قطعة قماش بجملة من الدراهم وافيدك
فيها فوق ماتريد و ارسل لك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر الى الثمن
في هذا اليوم فاخذت التفصيلة و رمت بها في صدره وقلت طائفتكم
لا تعرف لاحد قيمة و قامت مولية فحسيت بروحي راحت معها فقمت
و اوقفتها وقلت لها ياسيدتي تصدقي علي و ارجعي بخطواتك الكريمة
الي فرجعت و تبسمت و قالت لا جلك رجعت و قعدت قصادي
على الدكان فقلت لبدرالدين هذه التفصيلة كم شراؤها عليك قال الف
و مائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة اكتب لك

فيها ثمنها فاخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي واعطيتها التفصيلة وقلت لها خذي انت روحي وان شئت هاتي ثمنها بالسوق الآتي وان شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالي وجعلك بعلي فتقبل الله دعاءها ثم قلت لها يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولك ايضا مثلها ودعيني انظر وجهك فلما رأيت وجهها نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت لااملك عقلي ثم ارخت الشعرية واخذت التفصيلة وقالت ياسيدي لاتوحشني وقد ولت وقعدت انا في القيصرية الى بعد العصر وانا غائب العقل وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ما حصل لي من الحب قمت وسألت التاجر عنها فقال هذه صاحبة مال وهي بنت واحد امير مات والدها وخلف مالا كثيرا فودعته وانصرفت وجئت للخان فقدم لي العشاء فافتكرتها فلم آكل شيئا ونمت فلم يجئني نوم فسهرت الى الصباح فقمت لبست بدلة غير التي كانت علي وشربت قدح شراب وفطرت على شيء قليل وجئت دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية على عادتها وعليها بدلة افخر من لا ولي ومعها جارية وسلمت عليّ دون بدر الدين وقالت بلسان فصيح ما سمعت اطلب ولااحلا منه ارسل معي من يقبض الالف والمائتين درهم ثمن التفصيلة فقلت لها وايش العجلة فقالت لاعدمناك وناولتني الثمن وقعدت اتحدث واياها فاوميت لها بالاشارة ففهمت اني اريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلق بها وخرجت انا خارج السوق في اثرها واذا بجارية اتتني وقالت ياسيدي كلم ستي فتعجبت وقلت مايعرفني هنا احد فقالت الجارية يا سيدي ما اسرع مانسيتها ستي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان

ما رأيت عمري مثل هذه الليلة فلما اصبح الصباح قمت ورميت لها
تحت الفرش المنديل الذي فيه الدنانير و ودعتها وخرجت فبكت
و قالت يا سيدي متى ارى هذا الوجه الحسن فقلت لها اكون
عندك العشاء فلما خرجت اصبت الحمّار الذي جابني بالامس على الباب
ينتظرني فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت و اعطيت
الحمّار نصف دينار وقلت له تعـــال وقت الغروب قال نعم ففطرت
و خرجت اطالب بثمن القمـاش ثم رجعت و قد عملت لها خروفا
مشويا و اخذت حلاوة ثم دعوت الحمّـال و وضعته له في المحمل
و اعطيته اجرته و رجعت في اشغالي الى الغروب فجاءني المكاري
وقت المغرب فاخذت خمسين دينارا و جعلتهم في منديل و دخلت
عندهم فوجدتهم مسحوا الرخام و جلوا النحاس و عمروا القناديل
واوقدوا الشموع و غرفوا الطعـــام و روقوا الشراب فلما رأتني رمت
يديها على رقبتي و قالت اوحشتني ثم قدمت الموائد فاكلنا حتى اكتفينا
وشالت الجوار المائدة وقدمن المدام فلم نزل نشرب الى نصف الليل
فقمنا الى مجلس النوم فنمنا الى الصباح فقمت وناولتها الخمسين
دينارا على العادة و خرجت من عندها فوجدت الحمّار فركبت الى
خان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا و تحتهم
رز مفلفل و عملت قُلقاسا مقليا و اخذت فاكهة و نقلا و مشموما
و ارسلتهم و سرت الى البيت و اخذت خمسين دينارا في منديل
و خرجت ركبت مع الحمّار على العادة الى القاعة فدخلت فاكلنا و شربنا
و نمنا الى الصباح و قمت رميت لها المنديل و ركبت الى الخان
على العادة و لم ازل على تلك الحالة مدة الى ان بت و اصبحت لا
املك درهما ولا دينا را فقلت في نفسي كل هذا من فعل الشيطان

وانشدت اقول هذه الابيات

فَقْرُ الغَنِيّ يُذْهِبُ انْوَارَهُ كَمَا اصْفِرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ المَغِيبْ
اِنْ غَابَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَ الوَرَى وَاِنْ حَضَرَ فِي الحَيِّ مَالَهُ نَصِيبْ
يَمْشِي فِي الاَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا وَفِي الفَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبْ
وَاللهِ مَا الاِنْسَانُ بَيْنَ اَهْلِهِ اِذَا بُلِي بِالفَقْرِ اِلَّا غَرِيبْ

فخرجت من الخان ومشيت بين القصرين ولا زلت امشي الى باب زويلة فوجدت الخلق في ازدحام والباب مسدود من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جندي فزاحمته بغير اختياري فجاءت يدي على جيبه فحسيت فوجدت صرة من داخل الجيب الذي يدي عليه فعلمت انها متصلة بتلك الصرة فاخذ تها من جيبه فحس الجندي بان جيبه خف فحط يده في جيبه فلم يجد شيئا والتفت نحوي وشال يده بالدبوس وضربني على رأسي فسقطت الى الارض فاحاطوا بنا الناس ومسكوا لجام فرس الجندي وقالوا لاجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندي وقال هذا حرامي ملعون فعند ذلك استفقت ورأيت الناس يقولون هذا شاب مليح لم يأخذ شيئا فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القال والقيل وجذبوني الناس وارادوا خلاصي منه فبالامر المقدر واذا بالوالي والمقدم والظلمة دخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين علي وعلى الجندي فقال الوالي ما الخبر فقال الجندي والله يا خوند هذا حرامي وكان في جيبي كيس ازرق فيه عشرون دينارا فاخذه وانا فى الزحام فقال الوالي للجندي هل كان معك احد فقال الجندي لا فصرخ الوالي على المقدم فمسكني وقد زال الستر عني فقال له الوالي عرة

فلما عروني وجدوا الكيس في ثيابي فلما وجدوا الكيس اخذه
الوالي وفتحه وعدّه فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندي فغضب
الوالي وعيط على المقدمين فقدموني بين يديه فقال لي يا صبي
قل الحق انت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسي الى الارض وقلت
انا ان قلت ما سرقت اخرجته وان قلت سرقته وقعت في العناء
فشلت رأسي فقلت نعم اخذته فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب
ودعا بالشهود فحضروا وشهدوا على منطقي هذا كله في باب
زويلة فامر الوالي المشاعلي فقطع يدي اليمين فرق قلب الجندي
فشفع في وتركني الوالي ومضى وبقيت الناس حولي وسقوني قدح
شراب واما الجندي فانه اعطاني الكيس وقال انت شاب مليح
ولا ينبغي ان تكون لصًّا ثم اني انشدت شعرا

وَاللّٰهِ مَاكُنْتُ لِصًّا يَا اَخَاثِقَةٍ وَلَا اَنَا سَارِقٌ يَا اَحْسَنَ النَّاسِ
لٰكِنْ رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْ عَجَلٍ فَزَادَ هَمِّي وَوَسْوَاسِي وَافْلَاسِي
وَمَا رَمَيْتُ وَلٰكِنْ الاِلٰهُ رَمَى سَهْمًا فَطَيَّرَ تَاجَ الْمُلْكِ عَنْ رَأْسِي

فتركني الجندي وانصرف بعد ان اعطاني الكيس وانصرفت انا ولففت
يدي في خرقة وادخلتها عُبّي وقد تغيرت حالتي واصفر لوني مما
جرى علي فمشيت الى القاعة وانا على غير استواء ورميت روحي على
الفراش فنظرتني الصبية متغيرا اللون فقالت لي ما وجعك ومالي ارى
حالتك تغيرت فقلت لها رأسي يوجعني وما انا طيب فعند ذلك
اغتاظت وتشوشت لاجلي وقالت لاتحرق قلبي يا سيدي اقعد وشل
رأسك وحدثني بما قد تم لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام
فقلت دعيني من الكلام فبكت وقالت كأنك قد فرغ غرضك مني

فاني اراک بخلاف العادة فسكتُ و صارت تحدثني و انا لا اجيبها حتى اقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت منه و خشيت ان تراني آكل بيدي الشمال فقلت لا اشتهي ان آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما تم لک اليوم و مالک مهموم و مكسور الخاطر و القلب فقلت الساعة احدثک على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونک فانه يزيل همک فلا بد ان تشرب و تحدثني بخبرک فقلت لها لا بد ان احدثک قلت نعم فقلت ان كان ولابد فاسقيني بيدک فملأت القدح و شربته و ملأته و نا ولتني اياه فتنا ولته منها بيدي الشمال و فرت الدموع من جفني فانشدت اقـــــــــــــــــــول

اَذَا اَرَادَ اللّٰهُ اَمْرًا لِاِمْـــــرِءٍ   وَكَانَ ذَاعَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَـرْ
اَصَمَّ اُذْنَاهُ وَاَعْمَى قَلْبَـــــهُ   وَسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَـرْ
حَتَّى اِذَا اَنْفَذَ فِيْهِ حُكْمَـــــهُ   رَدَّ اِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِـــرْ

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال و بكيت و صرخت هي صرخة قوية و قالت ما سبب بكاءک احرقت قلبي و مالک تناولت القدح بيدک الشمـال فقلت لها ان في يدي حبة فقالت اخرجهـا افقعها لک فقلت ما هو وقت فقعها فلا تطيلي علي فما اخرج يدي في تلک الســـاعة ثم شربت القدح و لم تزل تسقيني حتى غلب علي السكر فنمت مكاني فابصرت يدي بـــلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس بالذهب فدخل عليها من الحزن مالا يدخل على احد ولا زالت تتا لم بسببي الى الصباح فلما افقت من النوم وجدتهـــا هيات لي مسلوقة و قدمتها فاذا هي اربعة اطيار دجاج وسقتني قدح شراب فاكلت وشربت وحطيت الكيس واردت الخروج فقالت لي الى اين

رائح فقلت الى مكان اذهب اليه فقالت لا تروح اجلس فجلست فقالت
و بلغت محبتك ان صرفت جميع مالك وعدمت كفك اشهدك علي
والشاهد الله اني لا افارقك وسترى صحة قولي و ارسلت خلف الشهود
فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابي على هذا الشاب و اشهدوا اني
قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالي الذي
في هذا الصندوق و جميع ما عندي من العبيد والجوار لهذا الشاب
فشهدوا عليها و قبلت انا التمليك و انصرفوا بعد ما اخذوا الاجرة
واخذتني من يدي و اوقفتني على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت
لي انظر الى الذي في الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن منا ديل فقالت
هذا مالك الذي اخذته منك فكلما اعطيتني منديلا فيه خمسين دينارا
اُلفه و ارميه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رجع اليك و انت
اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك
و انا لا اقدر اكافئك ولو بذلت روحي لكان قليلا ولك الفضل ثم قالت
لي تسلم مالك فنقلت صندوقها الى صندوقي و جعلت مالي الى مالها
الذي كنت اعطيته لها و فرح قلبي و زال همي فقمت قبلتها
و شكرت لها فقالت لقد بذلت يدك في محبتي فكيف اقدر على
مكافاتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان قليلا وما اقوم بواجب
حقك علي ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها و صيغتها
و اسبابها بحجة و ما نامت تلك الليلة الا مهمومة من همي حتى
حكيت لها جميع ما وقع لي و بت معها واقمنا اقل من شهر و قوي
بها الضعف و زاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما الا وهي
من اهل الآخرة فجهزتها و واريتها التراب و عملت لها ختمات
وتصدقت عليها بجملة من المال و نزلت من التربة فرايت لها مالا

جزيلا و املاكا و عقارات و من جملة تلك المخازن مخزن السمسم الذي بعت لك منه و ماكان اشتغالي عنك هذه المدة حتى بعت بقية الحواصل و جميع ما فى المخازن والى الآن لم افرغ من قبض الثمن وانك لا تخالفني فيما اقول لك عليه لاني اكلت زادك و قد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك فهذا اسبب قطع يميني و اكلي بيدي الشمال فقلت له لقد احسنت و تفضلت فقال لي هل لك ان تسافر معي الى بلادي فاني اشتريت متجرا مصريا و اسكندرانيا فهل لك ان تصاحبني فقلت نعم و او عدته على راس الشهر ثم بعت جميع ما املك و اشتريت به متجرا آخر و سافرت انا والشاب الى هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجره و اشترى عوضه من بلادكم و مضى الى ديار المصرية فكان قسمي انا في تعادي هذه الليلة حتى حصل ما حصل لي في غربتي فهذا ياملك الزمان ما هو اعجب من حديث الاحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان ملك الصين لمـــا قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم الشاهد لملك الصين و قال ان اذنت لى حكيت لك حكاية اتفقت لى في تلك المدة قبل ان اجد هذا الاحدب و ان كانت اعجب من حديثه تهب لنا ارواحنا فقال الملك نعم فقال اعلم اني كنت فى الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة و جمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرئون و فرغوا مد السماط فمن جملة ما قدموا زيرباجة فتقدمنا ناكل من الزيرباجة فتاخر واحد منا و امتنع

من الاكل منها فحلفنا عليه فانسم هو ان لاياكل منها فالزمناه فقال
لا تغصبوني فكفاني ماجرى لي من اكلها ثم انشد يقـــــــــول

خُذْ مليكًا فوقَ كتفِكَ وَ ارتَحِـلْ وَإنْ يَطِبْ لَكَ ذلِكَ الكُحْلَ اكْتَحِلْ

فلما فرغ قلنا له بالله عليك ما سبب امتناعك من الاكل من
الزيرباجه فقال انكان ولابدان آكل من هذه الزيرباجة فلا آكل منها الاان
اغسل يدي اربعين مرة بالصابون واربعين مرة بالاشنان واربعين مرة
بالسُعد جملتهم مائة وعشرون مرة فعند ذلك امر صاحب الدعوة
غلمانه فاتوا بالماء و بالذي طلبه فغسل يديه كما ذكرنا وجاء الشاب
و هو متكره وجلس و مديده و هو مثل الخـــائف و غمس يده
في الزيرباجة وصار ياكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية
العجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو ياكل
باربع اصـــابع فقلنا له بالله عليك مالابهامك هكذا هو خلقة الله
ام اصابه حادث فقال يا اخواني وما هو هذا الابهام وحده ولكن
ابهامي الاخرى ورجلاي الاثنين ولكن حتى تروا ثم كشف ابهام يده
الاخرى فوجدناه مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رايناه
كذلك ازددنا عجبا وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك وسبب
قطع ابهاميك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا
ان والدي كان تاجرا من التجار الكبار وكان اكبر تجار مدينة بغداد
على ايام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر و سماع
العود و آلات الملاهي فلما مات لم يترك شيئا نهياته وقد عملت له
ختمات وحزنت عليه اياما وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف
الايسيرا و وجدت عليه ديونا فصبّرت اصحـــاب الديون و طيبت

خواطرهم و صرت ابيع و اشتري من الجمعة الى الجمعة و اعطي اصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى ان وفيت الديون و زدت على رأس مالي اياما وليالي فبينما انا في يوم من الايام جالس فما ادري الاوصبية لم ترعيني احسن منهـا عليها حلي وحلل راكبة بغلة و قد امها عبد وو راءها عبد فا وقفت البغلة على رأس القيصرية ودخلت و دخل خادم خلفها وقال يا ستي اخرجي ولا تعلمي احدا فتطلقي فينا النار ثم حجبها الخادم حتى نظرت الى دكاكين التجار فلم تجد احدا فتح دكانه غيري فتمشت والخادم خلفها وجلست على دكاني و سلمت علي فما سمعت احسن من حديثها ولا اعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فرايتها مثل القمر فنظرت لها نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتهـا وجعلت اكرر النظر الى وجهها و انشدت اقول شـــــــعـــــــر

قُلْ لِلمَلِيحَةِ فِي الخِمَارِ الفَاخِتِي ... اَلْمَوْتُ حَقًّا مِنْ عَذَابِكِ رَاحَتِي
جُودِي بِوَصْلٍ عَلَّنِي أَحْيى بِهِ ... هَـا قَدْ مَدَدْتُ الِى نَوَالِكِ رَاحَتِي

فلما سمعت مني هذا الشعر اجابتني و هي تــــقــــول

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي فِي الهَوى اَسْلاكُمْ ... وَ اِنَّ فُؤَادِي لَا يُحِبُّ سِوَاكُمْ
وَاِنْ نَظَرَتْ عَيْنِي اِلى غَيْرِ حُسْنِكُمْ ... فَلَا سَرَّهَا بَعْدَ البِعَـــادِ لِقَاكُمْ
حَلَفْتُ يَمِينًا لَسْتُ اَسْلَا هَوَاكُمْ ... وَ قَلْبِي حَزِينٌ مُعْجَبٌ بِلِقَاكُمْ
سَقَانِي الهَوَى كَاسًا مِنَ الحُبِّ مُتْرَعًا ... فَيَا لَيْتَهُ لَمَّا سَقَانِي سَقَــاكُمْ
خُذُوا الجِسْمَ مِنِّي مَعَكُمْ اَيْنَ سِرْتُمْ ... وَ اَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِي حِذَاكُمْ
وَنَادُوا بِاِسْمِي عِنْدَ قَبْرِي يُجِيبُكُمْ ... اَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ وَقْعِ نِدَاكُمْ
فَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا عَلَى اللهِ تَشْتَهِي ... لَقُلْتُ رِضَى الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رِضَاكُمْ

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى عندك تفاصيل ملاح فقلت يامتي
مملوكك فقير و لكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم و اجيب لك
ما تريدينه ثم تحدثت انا و اياها و انا غارق في بحر محبتها تائه
في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت و اخذت لها جميع
ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم وناولتهم للخادم فاخذهم
الخادم وخرجوا الى برالقيصرية فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكرلي
هي من اين و استحييت اني اذكر لها ذلك و التزمت التجار لي
بالثمن و استلمت الغرامة بخمسة آلاف درهم وجئت البيت و انا سكران
من محبتها فقدم موالي العشا فاكلت لقمة و تذكرت حسنها و جمالها
و اردت ان انام فلم يجئني نوم و لم ازل على هذه الحالة جمعة
فطالبوني التجار باموالهم فصبرتهم جمعة اخرى فبعد الجمعة الا وهي
اقبلت راكبة البغلة و معها خادم و عبدين فسلمت علي و قالت
يا سيدي ابطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفي و اقبض الثمن
فجاء الصيـــرفي و اخرج له الطواشي الثمن فقبضتـــه و صرت
اتحـدث انا و اياها الى ان فتـــح السوق فقالت خذلي كـــذا
وكـــذا فاخذت لهـــا من التجـــار ما ارادت و اخذته و مضت
ولم تخاطبني في ثمنه فلما مضت ندمت على ذلك و كنت اخذت
الذي طلبته بالف دينار فلما غابت عن عيني قلت في نفسي ايش
هذه المحبة اعطتني خمسة الاف درهم واخذت شيئا بالف دينار
فحسيت بالفقر من مال التجار و قلت ان التجار لم يعرفوا الا انا فما
كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتني بحسنها و جمالها و راتني صغيرا
فضحكت علي ولم اسالها عن منزلها ولم ازل في وسواس وطالت
غيبتها اكثر من شهر فطالبوني التجار وشددوا علّي فقدمت عقاري

للبيع و اصررت على الهلاك ثم تعديت و انا متفكر فلم اشعر الا وهي
نازلة علي باب السوق ودخلت علي فلما رأيتها زالت الفكرة ونسيت
ما كنت فيه و اقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الصيرفي
و اوزن ما لك فاعطتني ثمن ما اخذته بزيادة ثم انبسطت معي
في الكلام فكدت اموت فرحا و سرورا حتى قالت لي انت لك زوجة
فقلت لا اني لا اعرف امرأة قط ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت
خير ثم اني اخذت بعض الدنانير واعطيتها للخادم وسالته ان يتوسط
في الامر فضحك وقال هي عاشقة لك اكثر منك وما لها بالقماش
الذي اشترته منك حاجة و انما فعلت هذا لاجل محبتها لك فخاطبها بما
تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فرآتني و انا اعطي الخادم الدنانير
فرجعتُ وجلستُ ثم قلت لها تصدقي على مملوكك و اسمحي له
فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فاجابت قولي و قالت للخادم
انت تأتي برسالتي وقال لي اعمل بما يقول لك الخادم عليه ثم قامت
ومضت وقمت سلمت التجار اموالهم وحصل لهم الربح الا انا حصل
لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم انم طول ليلتي فما كان الا
اياما قلائل و جاءني خادمها فاكرمته وسالته عنها فقال انها مريضة
فقلت للخادم اشرح لي امرها قال هذه الصبية ربتها الست زُبَيْدَة
زوجة الخليفة هارون الرشيد وهي من جوارها وقد اشتهت على
سيدتها الخروج والدخول فوصلت حتى صارت قهر مانة ثم انها
حدثت الست بك وسالتها ان تزوجها بك فقالت الست لا افعل حتى
انظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوّجتك به ونحن نريد الساعة
ندخل بك الدار فان دخلت الدار وصلت تزويجك اياها و ان
كشف امرك ضربت رقبتك فما ذاتقول قلت لهم اروح معك واصبر

على الامر الذي حدثتني به فقال له الخادم اذا كان هذه الليلة فامض
الى المسجد وصل فيه وبت فيه وهذا المسجد الذي بنته الست
زبيدة على الدجلة فقلت حبا وكرامة فلما كان العشاء مضيت الى المسجد
وصليت فيه وبت فلما كان وقت السحر واذا بخادمين اقبلا في
زورق ومعهما صناديق فارغة فادخلوها المسجد وانصرفوا وتاخر واحد
منهم فتاملته فاذا هو الذي كان واسطة بيني وبينها فبعد
ساعة صعدت الينا الجاريه صاحبتي فلما اقبلت قمت اليها وعانقتها
فقبلتني وبكت وتحدثنا ساعة فاخذتني ووضعتني في صندوق
واغلقته علي واقبلت بعد ذلك على الخادم ومعه شيء كثير من الامتعة
وجعلت تاخذ وتعبي في هذه الصاديق وتغلق واحدا بعد واحد
حتى عبت الجميع ثم وضعوهم في الزورق واخذوا طالبين منزل
الست زبيدة فلحقني الفكر وقلت في نفسي لقد هلكت من اجل شهوتي
وهل تحصل اولا وجعلت ابكي وانا في الصندوق وادعو الله
ان يخلصني مما انا فيه ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بالصناديق على
باب الخليفة وحملوا الصندوق الذى انا فيه من جملتهم فاجتازت
طائفة من الخدام الموكلين بالحريم واصحاب الستائر الى ان اتوا الى خادم
كبير فانتبه من النوم وصاح عليها وقال لها ايش في هذه الصناديق
قالت ملآنين امتعة للست زبيدة قال لها افتحي واحدا واحدا حتى
انظر ايش فيهم فقالت لاي شيء تفتحهم فصاح عليها وقال لاتطيلي لا بد
من فتح هذه الصناديق وقام قائما فاول ما بدأ بفتح الصندوق الذي
انا فيه فقد موالي له فعند ذلك زال عقلي وبلت على نفسي من
خوفي وخرج بولى من خارج الصندوق فقالت للمقدم يا مقدم
اهلكتني واهلكت نفسك وافسدت شيئا يساوي عشرة آلاف دينار فان

في هذا الصندوق ثياب ملونات و اربعة امنان من ماء زمزم و هذه
الساعة انفكت و جرت على الثياب التي فى الصندوق و الساعة تنفسخ
الوانها فقال لها الطوا شي خلي صناديقك واذهبي الى لعنة الله
فحملت الخـــدام صندوقي و اسرعوا وتلا حقت الصناديق بصندوقي
فبينما هم ذاهبين واذا جاء في اذني قائلا يقول ويلاه و يـــلاه
الخليفة الخليفة فلما سمعت ذلك مت في جلدي وقلت كلمة لا يخجل
قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذه مصيبة عملتها بنفسي
فسمعت الخليفة يقول للجارية صاحبتي ويلك ايش في صناديقك هذه
فقالت في صناديقي ثياب الست زبيدة فقال افتحي لي اياهم فلما سمعت
ذلك مت الموتة الكاملة وقلت في نفسي والله ان هذا اليوم آخر
ايامي من الدنيا و ان سلمت من هذه فانا اتزوج بها ولا كلام وان
انكشف امري ضربت رقبتي وجعلت اقول اشهدان لا اله الا الله و ان
محمد ارسول الله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال اشهد ان لا اله
الا الله قال و سمعت الجارية تقول هذه الصناديق فيها وداعة وهي
من الثياب للست زبيدة وتريدان لا يطلع عليها احد فقال الخليفة
لا بد من فتحهم و النظر ما فيهم ثم صرخ على الخدام وقال قدموا
الصناديق عندي فايقنت بالهلاك و لامحالة وغبت عن الدنيا فجعلت
الخدام يقدمون واحدا بعد واحد وهو يرى فيهم العطر والقماش
والثياب الفاخرة ولا زالوا يفتحون الصناديق و هو يرى ما فيهم
من الاثواب وغيرها حتى لم يبق الا الصندوق الذي انا فيه ومدوا

ايديهم ليفتحوه فاسرعت الجارية واتت للخليفة وقالت هذا الذي
تراه قدامك فهو قدام الست زبيدة وهو الذي فيه سرها فلما سمع
كلامهـا امر بادخال الصناديق فاتوا الخدام وحملوني بالصندوق
الذي انا فيه ووضعوني في وسط القاعة بين الصناديق وكان نشف
ريقي فاخر جتني صاحبتي وقالت ما عليك بأس ولاخوف فاشرح
صدرك وطيب قلبك واجلس حتى تاتي الست زبيدة لعل ان يكون
لك نصيب فيّ فجلست ساعة واذا بعشرة جوار ابكاركانهن الا قمار
قد اقبلن واصطفين خمسة مقابلين لخمسة واذا بعشرين جارية اخرى
وهن نهد ابكار وبينهم الست زبيدة وهى لم تقدر تمشي مما عليها
من الحلي والحلل فلما اقبلت تفرقت الجوار من حوا ليها فاتيت انا
اليها وقبلت الارض بين يديها فاشارت لي بالجلوس فجلست بين
يديها ثم شرعت تسالني وتسال عن نسبي فاجبتها عما سالتني عنه
ففرحت وقالت ما خابت تربيتنـــا فيك ايها الجاريـة ثم قالت
اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة الولد وهي وديعة الله عندك
فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجي ثم امرتني ان اقيم عندهم
عشرة ايام فاقمت عندهم هذه المـدة وانا لاارى الجارية الا ان
بعض الوصائف تاتيني بالغداء والعشاء وبعد هذه المدة شاورت الست
زبيدة الخليفة في زواج جاريتها فاذن لها وامر لها بعشرة آلاف
دينار فارسلت الست زبيدة خلف الشهود والقاضي وكتبوا كتابي
عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على
سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة ايام اُخر وبعد العشرين
يوما دخلت الجارية الحمام ثم انهم قدموا خونجه فيها طعام ومن
جملته خافقية زيرباجة محشية بالسكر وعليها الماورد الممسك وفيها

صدور الدجاج المحمرة و بقية الالوان مما يدهش العقول فوالله ما
امهلت دون ان بركت على الزيرباجة و اكلت منها بحسب الكفاية
و مسحت يدي و نسيت ان اغسلهما و تميت جالسا الى ان دخل الظلام
و اوقدت الشموع و اقبلت المغاني بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة
و ينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله و بعد ذلك اقبلوا بها و خففوا
ما عليها من الملبوس فلما خلوت معها في الفراش و عانقتها و انا
لم اصدق بوصالها ثم انها شمت في يدي رائحة الزيرباجة فلما شمت
الرائحة صرخت صرخة عظيمة فنزلت لها الجوار من كل جانب فارتجفت
و لم اعلم ما الخبر فقالت الجوار مالك يا اختنا فقالت لهن اخرجوا
هذا المجنون عني فانا احسب انه عاقل قلت لها و ما الذي ظهر لك
من جنوني فقالت يا مجنون لايش اكلت من الزيرباجة و لم تغسل يدك
فوالله لاجازيك على فعلك امثلك يدخل على مثلي ثم تناولت من
جانبها سوطا مضفورا و نزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت
انا من الدنيا من كثرة الضرب ثم انها قلت للجوار خذوه و امضوا به
الى متولى المدينة يقطع يده التي اكل بها الزيرباجة ولم يغسلها فلما
سمعت ذلك قلت لاحول ولا قوة الا بالله تقطع يدي من اجل اكل
الزيرباجة ولاغسلتها فدخلن عليها الجوار و قلن لها يا اختنا لا تواخذيه
بفعله هذه المرة فقالت و الله لا بدان اقطع شيئا من اطرافه ثم راحت
و غابت عشرة ايام و لم ارها و بعد العشرة ايام اقبلت علي و قالت
لي يا اسود الوجه انا اصلح لك كيف تاكل الزيرباجة ولم تغسل يدك
ثم صرخت على الجوار فكتفوني واخذت موسى ما ضيا وقطعت ابها ماتي
كما ترون يا جماعة فغشي علي ثم ذرت عليه بالذرور فانقطع الدم
و جعلت اقول ما بقيت آكل الزيرباجة حتى اغسل يدي اربعين مرة

بالاشنان واربعين مرة بالسُعد واربعين مرة بالصابون فاخذت علي
ميثاقا اني لا آكل الزبرباجة حتى اغسل يدي كما ذكرت لكم فلما
جبتم بهذه الزيرباجة تغير لوني وقلت في نفسي هذه سبب قطع
ابهاماتي فلما غصبتم علي قلت لابد ان اوفي بما حلفت قال الحاضرون
فما الذي حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت
واياها وقعدنا مدة وبعد المدة قالت ان دار الخلافة لا يحسن
مقامنا فيها وما دخل فيها غيرك وما دخلت فيها الا بعناية الست زبيدة
وهي اعطتني خمسين الف دينار وقالت لي خذ هذه الدراهم واخرج
واشتر لنا دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت
جميع ما عندها في الدار من النعم وما ادخرته من الاموال والقماش
والتحف فهذا سبب قطع ابهاماتي فاكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى
مع الاحدب ماجرى وهذا سبب حديثي والسلام فقال الملك ما
هذا باعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب اعذب من
ذلك ولا بد من شنقكم انتم الجميع ثم ان اليهودي تقدم وقبل
الارض وقال يا ملك الزمان انا احدثك بحديث اعجب من حديث
الاحدب فقال ملك الصين هات ماعندك فقال اعجب ماجرى لي في
شبابي اني كنت في دمشق الشام وتعلمت فيها فبينما انا جالس
في يوم من الايام اذا اتاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق وقال
كلم سيدي فخرجت له وتوجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت
فرايت في صدر الايوان سريرا من المرمر مصفحا بصفائح الذهب وعليه
آدمي مريض راقد وهو شاب لم ير احسن منه في الشباب فقعدت
عند راسه ودعوت له بالشفاء فاشار الي بعينه فقلت له ياسيدي ناولني
يدك بسلامتك فاخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت له

يا الله العجب هذا شاب مليح ومن بيت كبير و ناقص ادب هذا
هو العجب ثم جسيت مفاصله وكتبت له ورقة و تعدت اتردد عليه
مدة عشرة ايام حتى تعافى و دخل الحمام و اغتسل و خرج فخلع
علي الصاحب خلعة مليحة وجعلني مباشرا عنده في المارستان الذي
بدمشق فلما دخلت معه الحمام وخليت له الحمام جميعه او دخلت
الخدم بالشاب و اخذوا ثيابه من داخل الحمام فلما تعرى رايت يده
اليمين قُطِعَتْ قريب العهد وهو سبب ضعفه فلما رايته اخذت اتعجب و
حزنت عليه و نظرت الى جسده فوجدت عليه آثار ضرب مقارع واستعمل
الادهان لا جل ذلك فتوسوست لذلك و بان في وجهي فنظر الي الشاب
و فهم عني الامر و قال لى يا حكيم الزمان لاتعجب من امري فسوف
احدثك بحديثي حتى تخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام واتينا
الى الدار و اكلنا الطعام و استرحنا فقال الشاب هل لك ان تتفرج في
الغرفة فقلت نعم فامر العبيد ان يطلعوا الفرش الى فوق وامرهم ان
يشووا خروفا و ان يا توا الينا بفاكهة فاتوا العبيد با لفاكهة فاكلنا و اكل
هو بيده الشمال فقلت له حدثني بحديثك فقال لي يا حكيم الزمان
اسمــــع ما جرى لي اعلم انني من اولاد الموصل وكان لي والد
توفي والده و خلف عشرة اولاد ذكور من جملتهم والدي يا حكيم
وكان اكبرهم فكبر الجميع و تزوجوا و رزق والدي بي وأما اخوته
التسعة فلم يرزقوا باولاد فكبرت انا و صرت بين اعمامي وهم فرحين
بي فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم في جامع
الموصل وكان يوم جمعة و والدي معنا وصلينا الجمعة و خرج الناس
جميعا و اما والدي و اعمامي فانهم قعدوا يتحدثون في عجائب البلاد
و غرائب المدن الى ان ذكروا مصر فقال اعمامي يقول المسافرون

ان ما على وجه الارض احسن من مصر و نيلها فلما سمعت هذا الكلام
تشوقت الى مصر ثم قال و الدي من لاراى المصر ماراى الدنيا ترابها
ذهب ونيلها عجب و نساؤها حورو بيوتها قصور وهوا ؤها معتدل
يفوق عرفه الكبا ويخجل وكيف لا تكون كذلك وهي الدنيا و لله
درّمن قال شعر

أَأَرْحَلُ عَنْ مِصْرٍ وَطِيبِ نَعِيْمِهَا ... وَأَيُّ مَكَانٍ بَعْدَهُ هَالِيَ شَائِقُ
وَأَتْرُكُ اَوْطَاناً تَرَاهَا لِنَا شِقٍ ... هُوَ الطِّيبُ لَامَا ضَمَّنَتْهُ الْمَفَارِقُ
وَكَيْفَ وَقَدْ اَضْحَتْ مِنَ الْحُسْنِ جَنَّةً ... زَرَابِيُّهَا مَبْثُوثَةٌ وَ النَّمَارِقُ
بِلَادٌ تَشُوقُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ بَهْجَةً ... وَ تَجْمَعُ مَا يَهْوَى تَقِيٌّ وَ فَاسِقُ
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ يَجْمَعُ الْفَضْلُ شَمْلَهُمْ ... مَجَالِسُهُمْ مِمَّا حَوَوْهُ حَدَائِقُ
اَسُكَّانُ مِصْرٍ اِنْ قَضَى اللهُ بِالنَّوَى ... فَثَمَّ عُهُــودٌ بَيْنَنَــا وَ مَوَاثِقُ
فَلَا تَذْكُرُوهَا لِلنَّسِيمِ فَاِنَّهُ ... لِاَمْثَالِهَا مِنْ نَفْحَةِ الرَّوْضِ سَارِقُ

ثم قال والدي و لو رايتم رياضها بالا صائل و الظل عليها مائل لشاهدتم
عجبا وملتم لها طربا قال و اخذوا يوصفون مصر ونيلها فلما
فرغوا و سمعت انا هذه الاوصاف التي في مصر بقي خاطري فيها فلما
فرغوا و قام كل واحد توجه الى منزله نمت تلك الليلة لم ياتني نوم
من شغفي بها و ما بقي يهنئ لي اكل ولا شرب فلما كان بعد ايام قلائل
تجهز اعمامي الى مصر فبكيت على والدي حتى جهزلي متجرا ومضيت
معهم و قال لهم لا تدعوه يدخل مصر و دعوه يبيع متجره بدمشق
ثم سافرنا وودعت والدي و خرجنا من الموصل و ما زلنا مسافرين
حتى و صلنا حلب فاقمنا بها اياما ثم سافرنا الى ان و صلنا دمشق
فرايناها مدينة ذات اشجار و انهار واثمار واطيار كانها جنة فيهــا

من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات وتقدّوا اعمامي با عوا و اشتروا
وبا عوا ايضـا بضاعتي فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح وخلوني
اعمامي وتوجهوا الى مصر فقعدت بعدهم ومكثت في قاعة مليحة
البنيان يعجز عن وصفها اللسان آجرتها كل شهر دينارين فاقمت آكل
و اشرب حتى صرفت المال الذي معي ففي يوم من بعض الايام انا
قاعد على باب القاعة و اذا بصبية اقبلت وهي لابسة افخر الملابس
ما رأت عيني افخر منها فغمزت عليها فما قصرت حتى صارت داخل
الباب فلما دخلت دخلتُ انا معها فرددت الباب علي وعليها و كشفت
نقابها عن وجهها و قلعت ازارها فوجدتها بديعة في الجمال فتمكن
حبها من قلبي فقمت و جبت خونخة من اطيب الماكول و الفاكهة
وما يحتاج اليه المقام و اتيت به و اكلنا ولعبنا و بعد اللعب شربنا
حتى سكرنا فقمت و نمت معها في اطيب ليلة الى الصباح و اعطيت
لهـا عشرة دنانير فعبست وجهها وتطبت حاجبيهـا وزعلت و قالت
أُفٍّ لكم يامواصلة كانك تظن اني طامعة في مالك ثم اخرجت من جيب
قميصها خمسة عشر دينارا و خلت قدامي و قالت والله ان لم تاخذها
لم اعد اليك فقبلتها منها ثم قالت يا حبيبي انتظرني بعد ثلثة ايام
بين المغرب والعشاء اكون عندك وعَبِّ لنا بهذه الدنانير مثل هذا
و ودعتني وانصرفت فغاب عقلي معها فلما مضت الايام الثلثة اتت
و عليها من المزركش والحلي والحلل اعظم مما كان عليها اولا وكنت
عبيت لها المقام قبل ان تحضر ثم اكلنا و شربنا و نمنا مثل العادة
الى الصباح اعطتني خمسه عشر دنانير و واعدتني بعد ثلثة ايام تحضر
عندي ثم عبيت لهـا المقـام و بعد ايام حضرت في قمـاش اعظم
من الاول والثاني ثم قالت يا سيدي ما انا مليحة فقلت إِيْ والله

فقالت هل تأذن لي ان اجيب معي صبية احسن مني واصغر سنامني حتى تلعب معنا و تضحك و ايا ها و تنشرح قلبهـا لانها محزونة من زمان و قد سألتني ان تخرج معي وتبات معي فلما سمعت كلامها قلت اي والله ثم اننا سكرنا و نمنا الى الصباح فاخرجت لي خمسة عشرة دنانير و قالت زد لنـا المقام لاجل الصبية التي تأتي معي ثم انها انصرفت فلمـا كان اليوم الرابع جهزت لها المقـام على العـادة فلما كان بعد المغرب و اذا بها اتت و معهـا واحدة ملفوفة بازار فدخلوا و جلسوا فلما رايتها انشدت شـعـر

مَـا أَطْيَبَ وَقْتَنَـا وَاهْنَى ... وَالْعَـاذِلُ غَـائِبٌ وَ غَـافِل

عِشْقٌ وَ مَسَـرَّةٌ وَسُكْـرٌ ... اَلْعَقْلُ بِبَعْـضِ ذَاكَ زَائِـلْ

وَالْبَـدْرُ يَلُـوحُ فِي قِنَـاعٍ ... وَالْغُصْـنُ يَمِيْـلُ فِي غَلَائِلْ

وَالْوَرْدُ عَلَى الْخُـدُودِ غَـضٌّ ... وَالنَّرْجِسُ فِي الْعُيُـونِ ذَابِـل

وَالْعَيْـشُ كَمَـا أُحِبُّ صَافٍ ... وَالْأُنْسُ بِمَـنْ أُحِبُّ كَامِـل

ففرحت و اوقدت الشمع والتقيتهم بالفرح و السرور فقاموا وخففوا ما عليهم من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرايتها كالبدر في تمامه فلم ارا احسن منها فقمت وقدمت لهم الاكل والشرب فاكلنا و شربنا و صرت القم الصبية الجديدة واملاء لها القدح و اشرب معها فغارت الصبية الاولى في البـاطن ثم قالت بالله هذه الصبية ما هي اظرف مني قلت اي والله قالت خاطري ان تنام معها قلت على راسي و عيني ثم قامت و فرشت لنا فقمت رحت للصبية و نمت الى وقت الصبح فتحركت فوجدت روحي في عرق عظيم فحسبت اني عرقان فقعدت انبه الصبية و هزيت اكتـافهـا فتدحرجت راسهـا

من هلا الوسادة فطار عقلي وصرخت وقلت يا جميل الستر يتّرك
فوجدتها مذبوحة فنهضت على حيلي وقد اسودت الدنيا في عيني
وطلبت صاحبتي القديمة فلم اجدها فعلمت انها هي التي ذبحت
الصبية من غيرتها منها فقلت لاحول ولا قوة الابالله العلي العظيم
كيف يكون عملي فتفكرت ساعة وقمت قلعت ثيابي وحفرت
في وسط القاعة حفرة واخذت الصبية مع مصاغها وجعلتها في الحفرة
ورديت عليها التراب والرخام وغسلت ولبست ثيابا نظيفة واخذت
بقية مالي وخرجت من البيت وقفلته وجئت لصاحب القاعة وشجعت
نفسي ودفعت له اجرة سنة وقلت له انا مسافر الى اعمامي بمصر
ثم سافرت الى مصر واجتمعت باعمامي ففرحوا بي ووجدتهم
قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي ما سبب مجيئك فقلت لهم
اشتقت لكم ولم اعلمهم ان معي شيئا من مالي فاقمت عندهم سنة
وانا اتفرج على مصر ونيلها وحطيت يدي في بقية مالي وصرت
اصرف منه وآكل واشرب حتى قرب سفر اعمامي فهربت واختفيت منهم
ففتشوا علي فلم يسمعوا لي خبرا فقالوا يكون رجع الى دمشق فسافروا
وخرجت انا فاقمت بمصر ثلث سنين حتى لم يبق معي من المال شيء
وانا في كل سنة ارسل لصاحب القاعة الى دمشق اجرتها وبعد الثلث
سنين ضاق صدري ولم يبق معي الا اجرة السنة فقط ثم سافرت
الى ان وصلت الى دمشق ونزلت القاعة ففرح بي صاحبها ووجدت
المخازن مقفلة كما كانت ففتحتها واخرجت الحوائج التي فيها
فوجدت تحت الفراش الذي كنت نائما عليه تلك الليلة مع الصبية
التي ذبحت طوق ذهب مرصعا بجواهر فاخذته ومسحته من دم الصبية
المذبوحة وتاملته وبكيت ساعة ثم انمت يومين وفي اليوم الثالث

دخلت الحمام وغيرت اثوابي وانا ما معي من الدراهم شيء فجئت
يوما الى السوق فوسوس لي الشيطان لاجل انفاذ القدر فاخذت عقد
الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام واجلسني
بجانب صاحب الدار وصبر حتى عمر السوق واخذه الدلال ونادى عليه
خفية وانا لا اعلم واذا العقد مثمن جاب الفين دينارا فجاءني الدلال
وقال هذا العقد عقد نحاس مصنوع صنعة الا فرنج وقد وصل ثمنه
الف درهم فقلت له نعم هذا كنا صغناه لواحدة لنضحك عليها به
وورثته زوجتي فاردنا بيعه فرح اقبض الالف درهم وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما قال للدلال اقبض الالف درهم
فلما سمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فمضى بالعقد الى
كبير السوق واعطاه له فاخذ وتوجه الى الوالى وقال له ان هذا
العقد سرق من عندي ووجدنا الحرامي لابس لبس اولاد التجار فما
اشعر الا والظلمة احاطوا بي واخذوني وودوني للوالى فسالني الوالى
عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالى وقال ما هذا
كلام الحق فلم ادر الا وانا تعريت من ثيابي وضربت بالمقارع على
اجنابي فحرقني الضرب فقلت انا سرقته وقلت في نفسي الا حسن انك تقول
انا سرقته ولا اقول ان صاحبته مقتولة عندي فيقتلوني فيها فكتبوا
اني سرقته فقطعوا يدي وقلوها فى الزيت فغشي علي فسقوني الشراب
حتى افقت فاخذت يدي وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيث
ما جرى لك هذا خَلِّ القاعة وانظر لك موضعا آخر لانك متهم

بالحزام فقلت له سيدي اصبر علي يومين او ثلثة حتى انظرلي موضعا قال نعم و مضى و تركني فبقيت قاعدا ابكي و اقول كيف ارجع الى اهلي و انا مقطوع اليد و لم يعلموا اني برئ فلعل الله يحدث بعد ذلك امرا و بكيت بكاء شديدا فلما مضى صحب القاعة عني لحقني غم شديد فتشوشت يومين وفي اليوم الثالث ما ادري الا وصا حب القاعة جاءني و معه بعض الظلمة وكبير السوق فادعى اني سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلوني دون ان كتفوني ورموافي رقبتي جنزيرا وقالوا لي العقد الذي كان معك طلع لصاحب دمشق و وزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد عدم من عنده من مدة ثلث سنين مع ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم غطس قلبي و قلت راحت روحك لامحالة و الله لابد ان احكى للصاحب حكايتي فان شاء قتلني وان شاء عفا عني فلما وصلنا للصاحب اوقفني بين يديه فلما رآني نظر الي بطرف عينه و قال للحاضرين لم قطعتم يده لان هذا الرجل مسكين وليس له ذنب وقد ظلمتموه بقطعكم يده فلما سمعت هذا الكلام قوي قلبي و طابت نفسي وقلت و الله ياسيدي لست بسارق و قد اتهموني بهذه التهمة العظيمة و ضربوني بالمقارع في بطن السوق و حكموا علي بان اقر فكذبت على نفسي و اعترفت بالسرقة و انا بريئ منها فقال الصاحب لاباس عليك ثم رسم على كبيرالسوق و قال له اعط لهذا دية يده والا اشنقك و آخذ جميع مالك ثم صاح على المقدمين فاخذوه وجروه و بقيت انا و الصاحب ثم شالوا الجنزير من عنقي باذنه وحلوا كتافي فنظر الصاحب الي وقال يا ولدي اصدقني وحدثني كيف وصل اليك هذا العقد

وقال شـــــــــعـــــــــر

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ

فقلت يا مولاي اقول لك الحق ثم حدثته على ماجرى لي مع الصبية الاولى وكيف جاءتني بالثانية وكيف ذبحتها من الغيرة و ذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز راسه و ضرب يده اليمنى على اليسرى وحط منديله على وجهه و بكى ساعة وانشاء يقول شعر

أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلُ

ثم اقبل علي وقال اعلم يا ولدي ان الصبية الكبيرة بنتي و كنت احجر عليها حجرا عظيما فلما بلغت ارسلتها مصر و نزوجت لولد عمها فمات فجاءتني وقد تعلمت الفجر من اولاد مصر وجاءتك اربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة و الاثنان شقيقتان وكانتا تحبان لبعضهما بعضا فلما جرى للكبيرة ما جرى اخرجت سرها على اختها فطلبت الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسالتها عنها فوجدتها تبكي عليها و قالت لامها مرا بحضرتي على ماجرى من ذبحها لاختها ولم تزل تبكي و تقول و الله لا ازال ابكي عليها حتى اموت وكان الامر كذلك فانظر يا ولدي ما جرى و انا اشتهي منك ان لا تخالفني فيما اقوله لك و هو اني ازوجك ابنتي الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما و هي بكر ولم آخذ منك مهرا واجعل لكما راتبا من عندي و تبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت نعم و من اين كنا حتى نصل الى ذلك فارسل في الحال للقاضي و الشهود و كتب كتابي و دخلت بها و اخذلي من كبير السوق ما لا كثيرا وصرت عنده في اعز مكان و في هذا العام مات والدي فارسل الصاحب من عنده بريدا و اتاني بمالي الذي خلفه

والذي وانا اليوم في ارغد عيش فهذا سبب قطع يدي اليمين فتعجبت منه واقمت عنده ثلثة ايام واعطاني مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذا فطابت لي المعيشة وجرى لي مع الاحدب ما جرى فقال ملك الصين ما هذا باعجب من حديث الاحدب ولكن لابد لي من شنقكم ولكن بقي الخياط الذي هو رأس كل خطيئة ثم قال يا خياط ان حدثتني بشيٍّ اعجب من حديث الاحدب وهبتكم ذنوبكم فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان ان اعجب ما جرى لي واتفق لي بالامس انا كنت قبل ان اجتمع بالاحدب اول النهار في وليمة لبعض اصحابي وجمع عنده نحو عشرين نفرا من اهل هذه المدينة وفينا اصحاب صنايع خياطين وقزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس مدلنا الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من اهل بغداد وعلى ذلك الشاب احسن ما يكون من الثياب والجمال غير انه اعرج فدخل علينا وسلم فقمنا له فجاء يجلس فرأى فينا انسانا مزيّنا فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من عندنا فمسكناه ومسك فيه صاحب المنزل وحلف عليه وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاي لاتتعرض لي بشيٍّ فان سبب رجوعي هذا المزيّن النحس الذي قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم نظرنا له وقلنا له احك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة جرى لي مع هذا المزين مجرى في بغداد الذي هو بلدي وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي وحلفت اني ما بقيت اجالسه في مكان ولا في بلد هو قاطن فيها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت في هذه

المدينة و انا الليلة لا ابات الا مسافرا فقلنا له بأللّه عليك احك لنا
حكايتك فقال الشاب و قد اصفر لون المزين يا جماعة اعلموا ان
والدي كان من اكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيري فلما
كبرت و بلغت مبلغ الرجال توفي والدي الى رحمه الله تعالى
وخلف لي مالا وخدما وحشما فصرت البس مليحا و آكل مليحا وكان
الله ابغضني في النساء ففي يوم من الايام انا ماشي في ازقة بغداد
و اذا بجماعة النسوة تعرضن لي في الطريق فهربت ودخلت زقا قا لا
ينفذ و ارتكنت في آخره على مِصْطَبَةٍ فلم اقعد غير ساعة و اذا بطاقة
قصر المكان الذي انا فيه فتحت و طلعت منها صبية كالبدر في تمامه
لم ار عمري مثلها و لها زرع تسقيه وهو على الطاقة فالتفتت يمينا
و شمالا و قفلت الطاقة و مضت فانطلقت في قلبي النار و اشتعل
خاطري بها و انقلبت البغضة محبة فلا زلت جالسا الى المغرب و انا
غائب عن الدنيا و اذا بقاضي المدينة راكب وقد امه عبيد و وراءه
خدم فنزل و دخل البيت الذى طلعت منه الصبية فعرفت انه ابوها
ثم اني جئت الى منزلي و انا مكروب و وقعت علي الفراش مهموما
فدخل علي جواري و قعدن حولى ولم يعرفن ما بي و انا لم ابْدِ لهم
خطا با فبكين علي و تاسفن فدخلت علي عجوز فراتني فما خفي عليها
حالي فقعدت عند راسي ولا طفتني و قالت يا ولدي قل لي خبرك
و انا اكون سبب وصلتك فقلت لها حكايتي فقالت يا ولدي هذه بنت
قاضي بغداد وعليها الحجر والموضع الذي رايتها فيه طبقتها وابوها له قاعة
كبيرة اسفل وهي جالسة وحدها و انا كثيرا ما ادخل لهم و لكن لم تعرف
وصالها الا مني فشد حيلك فشددت نفسي لما سمعت حديثها و فرحوا
اهلي في ذلك اليوم و اصبحت طيبا فمضت العجوز و رجعت و وجهها

متغير فقالت يا ولدي لا تسأل ما جرى لي منها لما قلت لها ذلك وقالت لي ان لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكلام لا فعلن بك ما تستحقين ولكن لابد ان ارجع لها ثاني مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي فلما كان بعد ايام اتت العجوز وقالت يا ولدي اريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحي وقلت لها لك كل خير فقالت لما كان امس مضيت الى الصبية فنظرتني وانا منكسرة الخاطر باكية العين فقالت يا خالتي مالي اراك ضيقة الصدر فلما قالت لي ذلك بكيت وقلت لها ياستي اتيتك من عند فتى يهواك وهو مشرف على الموت من اجلك فقالت وقدرق قلبها ومن اين يكون هذا الفتى الذي ذكرتيه قلت هو ولدي وثمرة فؤادي وراك في الطاقة من ايام مضت وانت تسقي زرعك وراى وجهك فهام بك عشقا وانا اول مرة اعلمته بما جرى لي معك فزاد مرضه ولزم الوسادة وما هو الا ميت لا محالة فقالت وقد اصفر لونها هذا كله من اجلي قلت إيْ والله فماذا تريدين قلت امضي اليه واقرئيه مني السلام وقولي ان عندي اضعاف ماعنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلوة ياتي الى الدار فاذا جاء انا انزل وافتح الباب واطلعه عندي واجتمع واياه ساعة ويرجع قبل ان ياتي ابي من الصلوة فلما سمعت كلام العجوز زال ماكنت اجده من الالم فطاب قلبي ورفعت لها ما كان علي من الثياب وانصرفت وقالت لي طب قلبك فقلت لها لم يبق في شيء من الالم وتباشر اهل بيتي واصحابي لعافيتي ولم ازل كذلك الى يوم الجمعة واذا بالعجوز دخلت علي وسالتنى عن حالى فاخبرتها اني بخير وعافية ثم لبست ثيابي وتعطرت وبقيت انتظر الناس يدخلون الى الصلوة حتى

امضي اليهـــا فقالت العجوز ان معك في الوقت فسحة فلو مضيت الى الحمام وازلت شعـــرك لاسيما من اشد المرض لكان في ذلك صلاحلا فقلت هو الصواب لكني احلق راسي و اعود ادخل الحمـام ثم ارسلت خلف المزين يحلق راسي وقلت للغلام امض الى السوق و أتني بمزين يكون عاقلا و قليل الفضول لا يصدع راسي بكثرة كلامه فمضى الغلام و اتى بهذا الشيخ السوء فلما دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال اني اراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال اذهب الله همك و غمك والباس و الاحزان عنك فقلت تقبل الله منك فقال ابشر يا سيدي فقد جاءتك العافية تريد تقصير شعرك او تخرج دما فانه ورد عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف عنه سبعين داء و روي عنه ايضا انه قال من احتجم يوم الجمعة امن من ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الكلام وقم الساعة احلق لي راسي فاني رجل ضعيف فقام ومد يده واخرج منديلا و فتحه واذا فيه اصطرلاب و هو سبع صفائح مطعم بالفضة فاخذه ومضى الى وسط الدار و رفع راسه الى شعاع الشمس ونظر مليًا وقال لي اعلم انه مضى من يومنا هذا الذي هو يوم الجمعة وهو يوم جمعة عاشر صفر سنة ثلث و خمسين و ستمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام و سبع آلاف و ثلثماية وعشـــرين من تاريخ الاسكندر والطالع في يومنا هذا على ما اوجب علم الحساب من المريخ ثمان درج و ست دقايق و اتفق انه قارنه عطارد و ذلك يدل على ان حلق الشعر طيب ودل عندي انك تريد الاتصال بشخص و هو مسعود لكن بعده كلام يقع و شي لا اذكره لك فقلت له والله لقد اضجرتني و صغرت روحي

و تقوّلت علي بفال غير مليح و انا ما طلبتك الا لتحلق راسي فقم واحلق راسي ولا تطول معي الكلام فقال والله لو علمت بالذي رائح يجري لك لم تعمل في هذا النهار شيئا و انا اشير عليك انك تعمل بالذي اقول لك عليه في حساب الكواكب فقلت له والله اني ما رايت مزينا له مهارة في علم النجوم سواك لكنني ادري و اعلم انك كثير الخرّ عبلات و انا ما دعوتك الا لتزين راسي فجئتني بهذا الكلام الفاسد فقال المزين اتريد ازيد من هذا فقد منّ الله عليك بمزين منجم عالم بصنعة الكيمياء و السيمياء و النحو و الصرف و اللغة و علم المعاني والبيان و علم المنطق والحساب و الهيئة والهندسة والفقه والحديث و التفسير و قد قرأت الكتب و درستها و مارست الامور و عرفتها و حفظت العلوم و اتقنتها و علمت الصنعة و احكمتها و دبرت جميع الاشياء و ركبتها وكان والدك يحبني لقلة فضولي و لهذا خدمتي عليك فرض و انا قليل الفضول لا كما زعمت ولاجل هذا أُدعى بالصامت الرزين وكان سبيلك ان تحمد الله ولا تخالفني فاني ناصح لك و شفقان عليك و اودان اكون في خدمتك سنة كاملة و تقوم بحقي ولا اريد منك اجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلي لا محالة في هذا اليوم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال له انك قاتلي في هذا اليوم فقال يا سيدي انا الذي يسموني الناس الصامت لقلة كلامي دون اخوتي الستة لان اخي الكبير اسمه البقبوق و الثاني

الهدار و الثالث فقيق و الرابع اسمه الكوز الا سواني والخامس اسمه النشار و السادس اسمه شقاشق و السابع اسمه الصامت و هو انا فلما زاد علي هذا المزين بالكلام حسيت ان مرارتي انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار و دعه ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي بحلاقة راسي فقال هذا المزين حين سمع كلامي للغلام ايش هذا المقال يا مولاي والله لاآخذ منك اجرة حتى اخدمك ولا بد من خدمتك فانه واجب علي خدمتك و قضاء حاجتك ولا ابالي اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لاتعرف قدري انا اعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا من الاحسان لانه كان كريما والله لقد ارسل والدك خلفي يوما بمثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال لي اخرج لي دما فاخذت الاصطرلاب واخذت له الارتفاع فوجدت الطالع له نحسا و اخراج الدم فيه صعب فاعلمته بذلك فامتثل امري وصبر فانشدت في مدحه

أَتَيْتُ إِلَى الْمَوْلَى لِإِنْقَاصِ الدَّمِ ... فَلَمْ أَرَوَقْتًا يَقْتَضِي صِحَّةَ الْجِسْمِ

جَلَسْتُ أُحَدِّثُهُ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ ... وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشُرُ الْعِلْمَ مِنْ فَهْمِي

فَأَعْجَبَهُ مِنِّي السَّمَاعُ وَقَالَ لِي ... تَجَاوَزْتَ حَدَّ الْفَهْمِ يَا مَعْدِنَ الْعِلْمِ

فَقُلْتُ لَهُ لَوْلَاكَ يَا سَيِّدَ الْوَرَى ... أَفَضْتَ عَلَيَّ الْفَهْمَ مَا زَادَنِي فَهْمِي

كَأَنَّكَ رَبُّ الْفَضْلِ وَالْجُودِ وَالْعَطَا ... وَكَنْزُ الْوَرَى فِي الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْحِلْمِ

فانطرب والدك وصاح للغلام وقال اعطه مائة وثلث دينار وخلعة فاعطاني جميع ذلك الى ان اتت ساعة حميدة واخرجت له فيها الدم ولا خالفني وشكرني وشكروني الجماعة الحاضرون فبعد خروج الدم ما امكنني السكوت حتى قلت له بالله يا مولاي

ما اوجب قولك للغلام اعطه مائة وثلث دنانير فقال دينار حق
النجامة ودينار حق المسامرة ودينار حق الحجامة والمائة دينار
والخلعة حق مدحك لي فقلت له لا رحم الله ابيْ الذي عرف مثلك
فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من
يغير ولا يتغير ما كنت اظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقال
الله في كتابه العزيز والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وانت
معذور على كل حال وما ادري سبب عجلتك وانت تعلم ان اباك
وجدك ما كانا يفعلان شيأً الا بمشورتي وقد قيل ان المستشار
موْتمن وما خاب من استشار وقد قيل في بعض الامثال من لم يكن
له كبير فليس هو بكبير وقد قال الشـــــــــــاعر

اِذَا مَا عَـــزَمْتَ عَلى حَاجَـــةٍ فَشَـــاوِرْ خَبِيْرًا وَلَا تَعْصِـــهِ

وما تجد احدا اعرف مني في الامور وانا واقف على اقدامي
اخدمك وما ضجرت منك فكيف ضجرت انت مني وانا اصبر
عليك لاجل ما لابيك علي من الفضل فقلت له والله يا ذَنَب الحمار
لقد اطلت علي الخطاب وزدت علي في المقال وانا قصدي ان
تحلق راسي وتنصرف عني ثم انه قد بل راسي وقال لي قد علمت انه
دخلك الضجر مني لكن لا اوٌاخذك لان عقلك ضعيف وانت
صبي ومتى كنت بالامس كنت احملك على كتفي وامضي بك الى
المكتب فقلت له ياخي بحق الله عليك اصبر علي حتى اقضي
شغلي وقم الى حال سبيلك ثم شققت اثوابي فلما رآني فعلت
ذلك اخذ الموسى وسنّه ولا زال يسنه حتى كاد عقلي يفارقني ثم
تقدم الى راسي وحلق منها بعضا ثم رفع يده وقال يا مولاي

العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن ثم انه انشد يقول

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِأَمْرٍ تُرِيدُهُ وَكُنْ رَاحِمًا لِلنَّاسِ تُبْلَى بِرَاحِمِ
وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللّٰهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

ثم قال يا مولاي ما اظنك تعرف بمنزلتي فان يدي تقع على روس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي قال الشاعر شعر

جَمِيعُ الصَّنَائِعِ مِثْلُ العُقُودْ وَهٰذَا الْمُزَيِّنُ دَارُ السُّلُوكْ
فَيَعْلُو عَلَى كُلِّ ذِي حِكْمَةٍ وَتَحْتَ يَدَيْهِ رُؤُسُ الْمُلُوكْ

فقلت له دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدري واشغلت خاطري فقال اظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلوة والسلام خير الامر ماكان فيه تانى وانا والله رابني امرك فاشتهي ان تعرفني ما قصدت عليه فاني اخشي ان يكون شياً غير ذلك وقد بقي لوقت الصلوة ثلث ساعات ثم قال ما اريد ان اكون في شك من ذلك بل اريد اعرف الوقت على التحقيق لان الكلام اذا كان رجما بالغيب كان فيه عيب لاسيما لمثلي وقد ظهر واشتهر عند الناس فضلي فماينبغي لي ان انكلم جدسا كما تتكلم عامة المنجمين ثم رمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى تحت الشمس ووقف مدة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلوة ثلث ساعات لاتزيد ولاتنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فاخذ الموسى وسنّه كما فعل اولا وحلق بعض راسي وقال انا مهموم من عجلتك فلوا طلعتني على سببها لكان خيرالك لانك تعلم ان اباك وجدك ماكانا يفعلان شيئا الا بمشورتي فلما علمت ان مالي منه خلاص وقلت في نفسي جاء

وقت الصلوة و اريد ان امضي قبل ان تخرج الناس من الصلوة فان
تاخرت ساعة لا ادري اين السبيل الى الدخول اليها فقلت اوجز ودع عنك
هذا الكلام والفضول فاني اريد ان امضي الى دعوة عند بعض اصحابي
فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة
حلفت على جماعة من اصدقائي و نسيت ان اهتم لهم في شي
ياكلونه والساعة افتكرت وافضيحتاه منهم فقلت له لاتهتم بهذا الامر
بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام و شراب
فهو لك ان انجزت امري و عجلت حلاقة راسي فقال جزاك الله خيرا
صف لي ما عندك لاضيافي حتى اعرفه فقلت عندي خمسة الوان
طعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال احضرهم لي
حتى انظر فاحضرت له ذلك جميعه فلما عاينه قال بقي الشراب
فقلت له عندي فقال احضره فاحضرته له قال لله درك ما اكرم نفسك
لكن بقي البخور و الطيب فاحضرت له درجاية ند و عود و عنبر
و مسك يساوي خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق وضاق صدري
فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع راسي بحياة محمد صلى الله
عليه وسلم فقال المزين والله ما آخذه حتى ارى جميع ما فيه
فامرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده
و جلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج
حتى ضاق صدري ثم تقدم واخذ الموسى و حلق من راسي شيئا
يسيرا وانشد يقــــــــــــول

يَنْشُو الصَّغِيرُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ ۝ اِنَّ الْاُصُولَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ

و قال والله يا ولدي ما ادري اشكــرك ام اشكر والدك لان

دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك و احسانك و ليس عندي من يستحق ذلك وانما عندي سادة محترمون مثل زنتوت الحمامي وصليع الفامي و سيلت الفوال و عكرشة البقال و حميد الزبال وسعيد الجمال وسويد الحمال وابو مكارش البلان و قسيم الحارس وكريم السائس كل هؤلاء ما فيهم ثقيل و لا معربد ولا فضولي ولا منكد و لكل و احد من هؤلاء رقصة يرقصها وابيات ينشدها واحسن ما فيهم انهم مثل خادمك المملوك لا يعرفون كثرة الكلام ولا الفضول اما الحمامي فانه يغني على الدربلة شيأ مثل السحر و يقوم يرقص و يقول انا رائح أمي أملئ جرتي واما الفامي فانه يجئ بالمعرفة احسن من غيره و يرقص و يقول يا نائحة ياستي ماقصرتِ فما يخلي لاحد فؤادا من الضحك عليه و اما الزبال فانه يغني فيوقف الاطيارَ و يرقص و يقول الخبر عند زوجتي صار في صندوق وله مقدار وهو كيس خليع وفي حسنه اقول

رُوحِي الْفِدَاءُ لِزَبَّالٍ شُغِفْتُ بِهِ حُلْوُالشَّمَائِلِ يَحْكِي الْغُصْنَ مَيَّادَا
جَادَ الزَّمَانُ بِهِ لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ وَالشَّوْقُ يَنْقُصُ مِنِّي كُلَّمَا زَادَا
اَضْرَمْتَ نَارَكَ فِي قَلْبِي فَجَاوَبَنِي لَا غَرْوَ اِنْ اَصْبَحَ الزَّبَّالُ وَقَّادَا

و قد كمل في كلواحد من هؤلاء ما يلهي العقول من اللهو والمضحكة ثم قال و ليس الخبر كالعيان فان اخترت ان تحضر عندنا فان ذلك احب اليك و الينا و اترك رواحك الى اصدقائك الذين عوّلتَ عليهم فان عليك اثر المرض وربما تمضي الى اقوام كثيرين الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم او يكون فيهم واحد فضولي يصدع رأسك وانت صغرت روحك من المرض فقلت له يكون

ذلك في غير هذا اليوم وضحكت من قلب الغيظ. وقلت له اقض
شغلي واسير انا في امان الله تعالى وتمضي انت الى اصحابك
فانهم ينتظرون قدومك فقال يامولاي ما طلبت الا ان اعاشرك
بهؤلاء الاقوام الاكياس اولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولا كثير
الكلام فاني مذ نشأت ما اقدر اعاشر قط من يسال عمن لا يعنيه ولا اعاشر
الا من اكون مثلي قليل الكلام فانك لو عاشرتهم ورايتهم مرة
واحدة تترك جميع اصحابك فقلت له تمم الله بهم سرورك ولابد لي
ان احضر عندهم يوما من الايام فقال اردت ذلك في هذا اليوم فان
كنت قد عولت ان تمضي معي الى اصدقائي فدعني امضي بما تفضلت به
اليهم وان كنت لا بد لك الرواح الى اصدقائك في هذا اليوم فانا
امضي بهذا الاكرام الذي اكرمتني به وادعه عند اصحابي ياكلون
ويشربون ولا ينتظروني ثم اعود اليك وامضي معك الى اصدقائك
فليس بيني وبين اصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم واعود اليك
عاجلا امضي معك اينما توجهت فقلت لا حول ولاقوة الا بالله العلي
العظيم امض انت الى اصدقائك وانشرح معهم ودعني امضي الى
اصدقائي واكون معهم في هذا اليوم فانهم ينتظروني فقال المزين
لا ادعك تمضي وحدك فقلت له ان الموضع الذي امضي انا اليه
لا يقدر احد ان يدخل فيه غيري فقال اظنك اليوم في ميعاد واحدة
والا كنت تاخذني معك وانا احق من جميع الناس واساعدك
على ما تريد فاني اخاف ان تدخل على امراة اجنبية فتروح روحك
فان هذه مدينة بغداد لا يقدر احد يعمل فيها شيأً من هذه
الاشياء لا سيما في مثل هذا اليوم وهذا والي بغداد صارم عظيم
فقلت ويلك ياشيخ السوء إِنْقَلِعْ لايش هذا الكلام الذي تقابلني به فقال لي

يا بارد تقول لي ما استحيي وتخفي عنى وانا علمت هذا وتحققته وانما اطلب اساعدك اليوم بنفسي قال فخشيت ان تسمع اهلي وجيراني بمقالة المزين فسكتُّ سكوتا طويلا وادركنا وقت الصلٰوة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ حلق راسي فقلت له امض الى اصحابك بهذا الطعام والشراب وانا انتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم ازل لهذا الملعون اداهنه واخادعه لعله يمضي عني فقال لي انك تخادعني وتمضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لاخلاص لك منها فالله الله لاتبرح حتى اعود اليك وامضي معك حتى اعلم ما يتم من امرك فقلت له نعم لا تبطئ علي فاخذ جميع ما اعطيته له من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي وسلمه هذا الملعون الى حمال وادّاه الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقات ثم قمت من ساعتي وقد سلم المؤذنون فلبست ثيابي وخرجت وحدي واتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذي رايت فيه الصبية فوجدت العجوز واقفة تنتظرني فطلعت معها الى الطبقة التي فيها الجارية فلما دخلتها واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلٰوة ودخل القاعة واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق فرايت هذا المزين لعنة الله عليه قاعدا على الباب فقلت من اين علم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة لامر يريده الله من هتك ستري ان جارية صاحب الدار اذنبت عنده فضربها فصاحت فدخل عبده ليخلصها فضربه فصاح الآخر فاعتقد المزين الملعون انه يضربني فصاح وخرق اثوابه وحثا التراب على رأسه وبقي يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قُتل سيدي في بيت القاضي ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس خلفه واعلم اهل بيتي وغلماني فما دريت الا وهم اقبلوا مخرقين الثياب وحالين

شعورهم يصيحون و اسيداه و هذا المزين قد امهم مخرّق الثياب
و هو يصيح والنـــاس معه قال ولم يزالوا اهلي يصرخون وهو
في اوائلهم يصرخ وهم يقولون و اقتيلاه واقتيلاه وهموا نحو الدار
التي انا فيهـــا فسمع صاحب الدار الضجة و الصراخ على بابه فقال
لبعض غلمانه انظر ما الخبر فخرج الغلام و عاد الى سيده و قال
يا سيدي على الباب ازيد من عشرة آلاف نفس ما بين رجل و امرأة
و هم يصيحون و اقتيلاه و يشيرون الى دارنا فلما سمع القـــاضي
ذلك عظم عليه الامر فغضب و قام وخرج وفتح الباب فرأى جمعا عظيما
فبهت و قال يا قوم ما القصة فقالوا له الغلمان يا ملعون يا كلب
يا خنزير انك قتلت سيدنا فقال يا قوم و ما الذي فعله سيدكم حتى
اقتله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـــلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القاضي قال للغلمان ما الذي
فعله سيدكم حتى اقتله و هذه داري بين ايديكم فقال له المزين
انت ضربته في هذه الساعة بالمقارع و انا اسمع عياطه فقال
القـاضي و ما الذي فعله حتى اقتله ومن ادخله داري و من اين
الى اين فقال له المزين لاتكن شيخا نحسا و انا اعلم الحكاية
والحـال كله بنتك تعشقـه و هو يعشقهـا فلمـا علمتَ انه قد دخل
دارك امرت غلمانك فضربوه و الله ما بيننا و بينك الا الخليفة او
تخرج لنا سيدنا يا خذه اهله من قبل ان ادخل واخرجه من عندكم
و تخجل انت فقال له القاضي و قد التجم عن الكلام وتغمم بالحياء
من الناس ان كنت صادقا فادخل انت و اخرجه فهمـز المزين

ودخل الدار فلما رايت المزين دخل طلبت طريقا للخروج والهروب فلم اجدوني اني رايت في الطبقة التي انا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه ورديت الغطاء علي وقطعت نفسي فدخل القاعة فلم يلتفت الا ان رجع علي واطلع على الموضع الذي انا فيه والتفت يمينا وشمالا وتقدم للصندوق الذي انا فيه وحمله على راسه فغاب رشدي ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركني جلبت نفسي وفتحت الصندوق ورميت نفسي الى الارض فانكسرت رجلي وانفتح الباب فشاهدت على الباب خلقا كثيرا وكان في كمي ذهبا كثيرا اعددته لمثل هذا اليوم ومثل هذا الامر فجعلت انثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاخذوه واشتغلوا به وصرت اجري في ازقة بغداد يمينا وشمالا وهذا المزين الملعون خلفي واي مكان دخلت فيه يدخل هذا المزين خلفي وهو يقول ارادوا يفجعوني في سيدي الحمد لله الذي نصرني عليهم وخلص سيدي من ايديهم فما زلتَ يسوّني تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الفعال فلولا منّ الله عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي وقعت فيها وكانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص ابدا وكم تريد انا اعيش لك حتى اخلصك والله لقد اهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد انك تروح وحدك ولكن ما نُواخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول فقلت له ما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورآي وتتكلم معي بمثل هذا الكلام في الاسواق وكادت روحي تذهق مني من شدة غيظي منه فدخلت دكانا في وسط السوق واستجرت بالحائك فمنعه عني وجلست في مخزن وقلت في نفسي ما عدت اقدر افترق من هذا المزين الملعون وهو يقيم عندي ليلا ونهارا ولا بقي فيّ رمق انظر الى

خلفته فارسلت في الوقت احضرت الشهود وكتبت وصية لاهلي و فرقت مالي و عملت عليهم ناظرا و امرته ان يبيع الدار و العقارات ووصيته بالكبار و الصغار و خرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى اتخلص من هذا القواد و جئت سكنت في بلدكم ولي فيها مدة فلما عزمتم عليّ فها انا جئت لكم فرايت هذا الملعون القواد عندكم في صدر المكان فكيف يطيب قلبي و مقامي عندكم مع هذا و قد فعل بي هذه الفعال و انكسرت رجلي بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احق ما قاله هذا الشاب عنك فقال و الله انا فعلت معه ذلك بمعرفتي و عقلي و مروتي ولولا انا لهلك وما سبب نجاته الا انا و صار عليه الذي اصاب في رجله ولا اصاب في روحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه الجميل وها انا اقول لكم حديثا جرى لي حتى تصدقوا اني قليل الكلام وما عندي فضول من دون اخوتي الستة وذلك اني كنت ببغداد على زمن المستنصر بالله ابن المستضئ بالله وكان هو الخليفة يومئذ ببغداد وكان يحب الفقراء والمساكين و يجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوما انه غضب على عشر نفر فامر المتولي ببغداد ان ياتيه بهم يوم عيد وكانوا لصوصا قطاعين للطريق فخرج متولي البلد فاخذهم و نزل بهم في زورق فنظرتهم انا فقلت ما اجتمعوا هؤلاء الا لوليمة واظنهم يقطعون نهارهم في هذا الزورق في اكل و شرب و ما يكون نديمهم غيري فقمت يا جماعة من جملة مروتي ورزانة عقلي نزلت معهم في الزورق واختلطت بهم فعبروا وقعدوا الى الجانب الآخر فجاءت له شرطية و اعوان بالجنازير و رموهم في رقابهم و رموا في رقبتي جنزيرا من

جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروتي و قلة كلامي الذي سكتُّ
وما رضيت اتكلم فاخذونا بالجنازير وقدموناً بين يدي المستنصر بالله
امير المؤمنين فامر بضرب رقاب العشرة فتقدم السياف بعد ان اجلسنا
بين يديه في نطع الدم وجرد سيفه و ضرب رقبة واحد بعد واحد
الى ان ضرب رقبة العشرة فبقيت انا فنظر الخليفة فقال للسياف ما بالك
ضربت رقاب تسعة فقال السياف معاذ الله ان تامر بضرب رقاب عشرة
فاضرب انا رقاب تسعة فقال له ما اظنك ضربت رقاب غير تسعة و
هذا الذي بين يديك هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة
قال فعدوهم فاذا هم عشرة فنظر الى الخليفة و قال ما حملك على
سكوتك في مثل هذا الوقت وكيف صرت مع اصحاب الدم
وما سبب هذا وانت شيخ كبير و عقلك قليل فلما سمعت
خطاب امير المؤمنين قلت له اعلم يا امير المؤمنين اني انا الشيخ
الصامت و عندي من الحكمة شيءٌ كثير واما رزانة عقلي و جودة
فهمي و قلة كلامي لا نهاية لها و صنعتي مزين فلما كان نهار امس
من باكر النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم
ونزلت معهم وظننت انهم في وليمة فما كان غير ساعة الا حضرت
اليهم الاعوان و جعلوا في رقابهم الجنازير و جعلوا في رقبتي جنزيرا
من جملتهم فمن كثرة مروتي سكتُّ ولم اتكلم فما هي الا مروة فساروا
بنا حتى اوقفونا بين يديك فامرت بضرب رقاب العشرة وبقيت انا بين
يدي السياف ولم اعرفكم بنفسي فما هي الا مروة عظيمة التى شاركتهم
فيها فى القتل ولكن طول دهري هكذا افعل الجميل مع الناس وهم
يكافئونني باوحش مكافات فلما سمع الخليفة كلامي وعلم اني كثير المروة
قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الاهوال

ضحك ضحكا شديدا حتى استلقى على قفاه فقال الخليفة لي يا صامت و اخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة و العلم و قلة الكلام قلت لا عاشوا و لا بقوا ان كانوا مثلي و لكن ذمّيتني يا امير المؤمنين ولا ينبغي لك ان تقارن اخوتي بي لانهم من كثرة كلامهم و قلة مروتهم صار كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد اعور وواحدا فلج و واحد مقطوع الاذن و المنخر و واحد مقطوع الشفتين و واحد احدب و لا تحسب يا امير المؤمنين اني كثير الكلام ولا بد ان ابين لك واني اعظم مروة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة و انا احكي لك اعلم يا امير المؤمنين ان الاول و هو الاحدب كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استاجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان و كان في اسفل دار الرجل طاحونا فبينما اخي الاحدب جالس في الدكان في بعض الايام يخيط فرفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار و هي تنظر الى الناس فلما رآها اخي تعلق قلبه بحبها و صار يومه ذلك ينظر اليها فبطل اخي خياطته الى وقت المساء فلما كان اليوم الثاني وقت الصباح فتح دكانه و قعد يخيط و هو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فرآها على تلك الحالة فازداد حبه لها و هيامه فيها ولما كان اليوم الثالث جلس في مكانه وهو ينظر اليها فراته الامرأة وعلمت انه قد صار اسيرا لحبها فضحكت في وجهه وضحك في وجهها ثم انها غابت عليه و ارسلت جاريتها اليه ومعها بقشة فيها طاقة مشجر احمر فجاءت الجارية اليه و قالت له ستي تقرئك السلام وتقول لك فصل لها بيد الفضل قميصا من هذه الطاقة و خيط خياطة حسنة فقال لها سمعا و طاعة ثم انه فصل لها ثوبا

واتم خياطته في ذلك اليوم فلما كان من الغد باكرته الجارية
وقلت له ستي تسلم عليك وتقول لك كيف كان مبيتك البارحة
فانها ماذا قت النوم من شغل قلبها لك ثم قدمت بين يديه طاقة
اطلس اصفر وقالت له تقول لك ستي فصل لها من هذه الطاقة
سروالين وخيطهما اليوم هذا فقال لها سمعا وطاعة سلمي عليها السلام
الكثير وقولي لها عبدك منقاد لامرك فا حكمي عليها بما شئت ثم
انه شرع فى التفصيل واجتهد في خياطة السر واليں وبعد ساعة
تطلعت له من الشباك وسلمت عليه بالايماء وهى تارة تغض طرفها
وتارة تتبسم في وجهه وهو يظن انه سيظفر بها ثم انها غابت
عنه وجاءت الجارية اليه فسلم اليها السرواليں فاخذتهما
وانصرفت ولما اقبل الليل انطرح على فراشه وبات يتقلب الى
الصباح فلما اصبح قام وجلس في مكانه فجاءت الجارية اليه وقالت
له ان مولاي يدعوك فلما سمع ذلك خاف خوفا عظيما فلما شعرت
الجارية بخوفه قالت له لاباس عليك ما هناك الاالخير فقد جعلت
ستي بينك وبين سيدي معرفة ففرح الرجل فرحا عظيما ثم ذهب
معها فلما دخل على سيدها زوج ستها قبل الارض فرد عليه السلام
ثم نا وله ثيابا كثيرة وقال له فصل لي من هذا وخيطه قميصا
فقال اخي سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا
الى وقت العشاء فلم يذق طعاما ثم قال له كم يكون لذلك اجرة فقال
له عشرون درهما فزعق زَوجها على الجارية وقال هاتي عشرين
درهما فلم يتكلم اخي فاشارت اليه الصبية يعني لا تاخذ منه شياً
فقال والله ما آخذ منك شياً واخذ الخياطة وخرج الى برّ
وكان اخي محتاجا الى فلس وبقي له ثلثة ايام لاياكل ولا يشرب الا

القليل من اجتهاده في تلك الخياطة التي لهم فاتت الجارية
وقالت له ايش عملت فقال فرغوا فاخذهم واتي اليهم بها وسلم
الى زوجها الثياب وانصرف من ساعته وكانت الصبية قد عرفت زوجها
بحال اخي واخي لا يعلم ذلك واتفقت هي و زوجها على استعمال
اخي فى الخياطة بلا شيء ويضحكون عليه فلما اصبح الصباح اتى الى
الدكان فاتت اليه الجارية و قالت له كلم سيدي فذهب معها فلما
وصل اليه قال له اريد منك ان تفصل لي خمس فرجيات ففصل له
واخذ الثياب معه وانصرف ثم انه خيط تلك الفرجيات و مضى
بها اليه فاستحسن خياطته وادعى بكيس فيه دراهم ومد يده فاشارت اليه
الصبية من خلف زوجها ان لاتاخذ شيئا فقال للرجل يا سيدي لاتعجل
فالزمان موابي وخرج من عنده وهو اذل من حمار وقد اجتمع
عليه خمسة اشياء عشق وافلاس وجوع وعرى وتعب وانما هو يشجع
نفسه فلما فرغ اخي من جميع اشغالهم فبعد ذلك عملوا عليه حيلة
و زوجوه بجاريتهم و فى الليلة التى اراد ان يدخل عليها قالوا له
بت الليلة فى الطاحون الى غد يكون خيرا فاعتقد اخي انه صحيح
فبات فى الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحّان عليه
حتى انه يدوره فى الطاحون فدخل عليه الطحّان نصف الليل و جعل
يقول هذا الثور بطل و وقف و لابقي يدور في هذه الليلة و القمح
عندنا كثير و نزل على الطاحون ملأ الطاحون قمحا و قصد اخي
وكان في يده حبل فربط رقبته و قال هيّا دوّر طحّن القمح ما مرادك
الا تاكل تخراً وتبول ثم اخذ سوطا في يده و ضربه به واخي
يبكي و يصيح فلم يجد له مغيثا والقمح ينطحن الى قريب الصبح
فجاء صاحب الدار فراى اخي معلقا على الخشبة و مضى وجاءت الجارية

اليه باكر النهار و قالت له يعز علي ما جري لك انا و ستي قد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب و التعب ثم ان اخي اتى الى منزله واذا بالمعلم الذي كتب الكتاب قد جاء و سلم عليه و قال له حياك الله هذا وجه النعيم و الدلال و العناق من العشاء الي الصباح فقال له اخي لا سلم الله الكاذب ياالف قرنان و الله ما جئت الا اطحن موضع الثور الى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه اخي بما وقع له فقال له ما وافق نجمك لنجمها و لكن اذا شئت اغيرلك ذلك الكتاب فقال له انظر ان بقي لك حيلة اخرى ثم تركه واتى الى مكانه ينظر احدا ياتي اليه بشغل يتقوت منه و اذا هو بالجارية قد اتت اليه و قالت له كلم ستي فقال لها روحي يابنت الحلال ما بيني و بين ستك معاملة فراحت الجارية واعلمت ستها بذلك فما دري اخي الا وهي قد طلعت له من الروشن وهي تبكي وتقول لايش يا حبيبي ما بقي بيني و بينك معاملة فلم يرد عليها جوابا فحلفت له ان جميع ما وقع له في الطاحون لم يكن باختيارها وانها بريئة من ذلك الامر فلما نظر اخي الى حسنها وجمالها و سمع لذيذ كلامها ذهب عنه ما حصل له وقبل عذرها و فرح برؤيتها ثم سلم عليها و تحدث معها و جلس في خياطته مدة فلما كان بعد ذلك جاءت له الجارية و قالت له تسلم عليك ستي و تقول لك ان زوجها قد عزم انه يبيت عند اصدقائه الليلة فاذا مضى هو عندهم تكون انت عندنا و تبيت مع ستي في الذ عيش الى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في رجوعه عنك فقالت دعني احتال عليه بحيلة اخرى و اشهره في هذه المدينة واخي لا يعلم شيأ من كيد النساء فلما كان المساء جاءته الجارية و اخذت اخي رجعت به فلما رات الصبية باخي قالت له والله يا سيدي اني

مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلي بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه
الاوحضر زوج الصبية من بيت هناك و قال لاخي و الله لا افارقك
الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه اخي فلم يسمعه بل حمله الى
الوالي فضربه بالسياط و ركبه جملا و دوره المدينة والناس ينادون
عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ونفي من المدينة فخرج
لا يدري اين يقصد فخفت انا فلحقته والتزمت به و رددته واجلسته
عندي الى الآن فضحك الخليفة من كلامي وقال احسنت يا صامت
يا قليل الكلام وامر لي بجائزة و انصراف فقلت لا اقبل شياً منك
دون ان احكي لك ما وقع لبقية اخوتي ولا تحسب اني كثير الكلام
اعلم يا امير المؤمنين ان اخي الثاني كان اسمه بقباقه وهو
المفلوج وقد وقع له في بعض الايام انه كان ماشيا الى حاجة له و اذا
هو بعجوز قد استقبلته و قالت له ايها الرجل قف قليلا حتى اعرض
عليك امرا فان اعجبك فاقضه لي واستغفرالله فوقف اخي فقالت اقول لك
على شيء و ارشدك اليه ولا يكون كلامك كثيرا فقال لها اخي هاتي
كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة و روضة طيبة ماؤها يجري
و فاكهة و مدام و وجه مليح تعانقه من العشاء الى الصباح فان فعلت
ما اشير لك عليه رأيت الخير فلما سمع اخي كلامها قال لها ياستي
وكيف قصدتني بهذا الامر دون الخلق اجمعين فايش الذي اعجبك
مني فقالت لاخي ما قلت لك لاتكن كثير الكلام واسكت وامض معي
ثم ولت العجوز و اخي تابعها طمعا فيما و صفت له حتى دخلوا دارا
فسيحة كثيرة الخدم و صعدت به من ادنى الى اعلا فرأى قصرا
ظريفا فلما رآه اهل البيت قالوا له من الذي اوصلك الى هنا فقالت
لهم العجوز اسكتوا عنه ولا تكدروا اقلبه فانه صانع و نحن محتاجون

اليه ثم انها مشت به الى غرفة مزينة لم تر العيون احسن منهـــا
فلما دخلوا الغرفة قامت النسوان ورحبن به واجلسنه بجنبهم فلم يلبث
اذ سمع جلبـة عظيمة واذا بجوار قد اقبلن وفي وسطهـن جارية
كالبدر في ليلة تمامه فمد اخي نظره اليهـا وقام قائما وخدمهـا
فرحبت به وامرته بالجلوس فجلس فاقبلت عليه وقالت له اعزك الله
هل فيك خير فقال اخي يا سيدتي الخير كله فيّ ثم امرت باحضار
الطعام فقدموا لها طعاما حسنا فجلست تاكل والجارية مع ذلك لاتهتدي
من الضحك واذا نظر اليها اخي تغيب الى جوارها كانها تضحك منهم
وتظهر لاخي المودة وتمزح معه واخي الحمار لا يفهم شيأ ومن كثرة ما
غلب عليه الشوق يعتقد ان الجارية عاشقة عليه وانها تبلغه الى مناه
فلما فرغوا من الطعام قدموا المدام ثم حضرن عشر جوار كانهن اقمار
وبايديهن العيدان ذوات الاوتار فجعلن يغنين بكل صوت شجي
فغلب الطرب على اخي وتناول قدحا من يدها فشربه فقام لها قائما
ثم ان الصبية شربت قدحا فقال لها اخي صحة وخدمها ثم اسقته قدحا
فشرب وصفعته على رقبته فكلما راى اخي ذلك منها خرج في اشد
خروج فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعني ارجع فرجع فامرته
الجارية بالجلـوس فجلس وجلس ولم ينطق فعادت الصفع على قفاه
وما كفاها ذلك حتى امرت جوارها كلها ان يصفعوه وهو يقول للعجوز
ما رايت شيأً احسن من هذا فتقول العجوز اي وحقك يا مولاتي
فصفعته الجوار الى ان اغمي عليه ثم قام اخي لقضاء حاجته فلحقته
العجوز ثم قالت له اصبر قليلا تبلغ ما تريد فقال لها اخي الى كم اصبر
وقد اغمي علي من الصفع فقالت له اذا سكرت بلغت مرادك فرجع
اخي الى مكانه وجلس فقامت الجوار من آخرهم فامرتهم ان يبخروه

وان يرشوا على وجهه الما ورد ففعلن ذلك وقالت له الصبية اعزك الله قد دخلت منزلي وصبرت على شرطي واي من خالفني طردته ومن صبر بلغ مراده فقال لها اخي يا سيدتي انا عبدك وفي طبقة يدك فقالت له اعلم ان الله اشغفني بحب الطرب فمن اطاعني نال مايريد ثم امرت الجواران يغنمن باصوات عالية حتى طرب المجلس ثم قالت لبعض الجوار خذي سيدك واقضي حاجته واتيني به في الحال فاخذت الجارية اخي وهو لايدري ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له اصبر ما بقي الا القليل فراق وجهه فاقبل اخي على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغتَ ماتريد فقال لها أعلميني ما ذا تريد تعمل هذه الجارية فقالت العجوز ما ثَمّ الا خيرا فديتك تريد تصبغ حواجبك وتقص سبالك فقال اخي اما صبغ الحواجب فيزول بالغسل واما نتف السبال فهو مما يؤلم فقالت العجوز احذر تخالفها فهي قد تعلق قلبها بك فصبر اخي حتى صبغت حواجبه ونتفت سباله ومضت الجارية الى سيدتها واخبرتها فقالت لها بقي شيٌ آخر وهو ان تحلقي ذقنه حتى يصير امردا فجاءت الجارية واخبرته بما امرت سيدتها به فقال لها اخي الاحمق وكيف اعمل في فضيحتي من الناس فقالت له العجوز انها ما ارادت تفعل ذلك معك الا لتبقى امردا بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شيٌ يشكها فانها صار لها في قلبها منك محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنا فصبر اخي وطاوع الجارية وحلق ذقنه واخرجته الصبية واذا هو مخضوب الحاجبين مقصوص الشاربين محلوق الذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها ثم قالت يا سيدي لقد ملكتني بهذه الاخلاق الحسنة قلبي ثم حلفته بحياتها ان يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع في البيت مخدة حتى

ضربته بها وكذلك الجوار كلهم ثم صاروا يضربونه بمثل نارنجة وليمونة و ترنجة الى ان سقط مغشيا عليه من الضرب و الصفع على قفاه و الرجم فقالت له العجوز الآن بلغت مرادك و اعلم ان ما بقي عليك من الضرب شيٌ و ما بقي الا شيًا و احدا و ذلك ان من عادتها اذا سكرت لاتمكّن احدا من نفسها حتى تقلع ثيابها و سراويلها و تبقى عريانة زلطـــا ثم تامرك بقلع ثيابك و تجري و هي تجري قدامك كانها هاربة منك و انت تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكّنك من نفسها ثم قالت له اقلع ثيابك فقام و هو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعا وبقي عريانا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اخ المزين لما قالت له العجوز اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود فقلع ثيابه وبقي عريانا فقالت الجارية لاخي قم الآن واجر واجري انا ايضا ثم تعرت هي ايضا قالت له ان اردت شيًا اتبعني فجرت قدامه فتبعها ثم جعلت تدخل من محل الى محل وتخرج الى الآخر واخي وراءها وقد غلب عليه الشوق و زُبّه قائم كانه مجنون ودخلت هي قدامه في مكان مظلم فدخل اخي ايضا وهو يجري وراءها فداس موضعا رقيقا فانخسف به فلا دري بنفسه الا وهو في وسط الزقاق وهو في سوق الجلادين وهم ينادون على الجلود ويشترون ويبيعون فلما رأوه على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن و الحواجب محمر الوجه صاحوا عليه وصفقوا عليه بايديهم وجعلوا يضربونه با لجلود وهو عريان حتى غشي عليه وحملوه على

حمار حتى ردوه الى الوالي فقال لهم الوالي ما هذا قالوا وقع
لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فصفعه مائة درة ثم نفاه
من بغداد وخرجت انا خلفه وادخلته المدينة سرا ثم رتبت له
ما يقتات به فلولا مروتي ماكنت احتمل مثله واما اخي الثالث فاسمه
فقيق وكان اعمى فساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب
طمعا ان يكلمه صاحبها فيسأل له شيأ فقال صاحب الدار من بالباب
فلم يكلمه احد فسمعه اخي يقول بصوت عالي من هذا فلم يكلمه
اخي وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ما تريد
فقال اخي شيأ لله تعالى فقال له انت ضرير قال له اخي نعم فقال له
ناولني يدك فنا وله يده وهو يعتقد انه يعطيه شيأ فاخذ بيده
فادخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم الى سلم حتى وصل
الى اعلا سطوح واخي يقول انه يطعمه شيأ او يعطيه شيأ فلما
انتهى قال لاخي ما تريد يا ضرير قال اريد شيأ لله تعالى فقال له
يفتح الله عليك فقال له اخي ياهذا ما كنت تقول لي كذا وكذا
وانا اسفل فقال له يا سفلة لم لا تكلمني من اول مرة فقال له
اخي والساعة ما تريد تصنع بي فقال له ما عندي شيء اعطيه لك
قال له انزل بي الى السلا لم فقال الطريق بين يديك فقام اخي
واقبل وما زال نازلا حتى بقي بينه وبين الباب عشرون درجة
فزلقت رجله فوقع الى الباب فانفتح رأسه فخرج وهو لا يدري اين
يذهب فلحقه بعض رفقته العميان فقالوا له ايش حصل لك اليوم
فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخوتي اريد ان اخرج شيأ من
الدراهم التي بقيت معي وانفق على نفسي وكان صاحب الدار تابعه
وسامع كلامه واخي لايدري بالرجل ورفيقه فجاء اخي الى منزله

ودخل ودخل الرجل خلفه واخي لايشعر به وقعد اخي ينتظر رفقاءه فلما دخلوا قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون تبعنا احد غريب فلما سمع الرجل كلام اخي قام وتعلق بحبل كان في السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا واحدا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب اخي ثم اخرجوا الدراهم التي معهم وعدوها فاذا هي اثنى عشر الف درهم فتركوها في زاوية البيت واخذ كل واحد ما يحتاج اليه وطرحوا بقية الدراهم في التراب ثم قدموا بين ايديهم شيًا من الاكل وقعدوا ياكلون فسمع اخي الى جانبه مضغا غريبا فقال لاصحابه معنا غريب ثم مد يده فتعلق بيده بيد الرجل صاحب الدار فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمين دخل علينا لص يريد ان ياخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق كثير فاقبل الرجل وتعلق بهم وادعى عليهم مثلما ادعوا عليه وغمض عينيه حتى كانه صار مثلهم لا يشك فيها احد وصاح يا مسلمين انا بالله وبالسلطان انا بالله والوالي مع نصيحة فما شعر الا وقد احاطوا بالجميع واخي معهم وساقوا الى بيت الوالي فاحضرهم قدامه وقال ما خبركم فقال الرجل انظر ولا يبان لك شئ الا بالعقوبة واول ما تبدأ ابدأبي وعاقبني ثم لهذا قائدي واومى بيده الى اخي فمدوا ذلك الرجل وضربوه اربعمائة عصا على ثقبه فاوجعه الضرب ففتح عينه الواحدة فلما زادوا عليه بالضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالي ما هذه الفعال يا ملعون فقال اعطني خاتم الامان نحن اربعة نعمل ارواحنا عميان ونغير على الناس وندخل البيوت وننظر النساء ونعمل في خسارتهم فاجتمع لنا مكسب عظيم وهو اثنى عشر الف درهم فقلت لرفقتي اعطوني حقي ثلثة آلاف فقاموا

وضربوني واخذوا مالي وانا مستجير بالله وبك وانا احق بقسمي
وانا اشتهي ان تعرف صدق قولي فاضرب كل واحد اكثر مما ضربتني فانه
يفتح عينيه فعند ذلك امر الوالي بعقوبتهم واول مابدأ باخي فشدوه
على سلم وقال لهم الوالي يا فسقة تجحدون نعمة الله وتدعون
انكم عميان فقال اخي الله الله والله ما فينا بصير فضربوه حتى غشي
عليه فقال الوالي دعوه حتى يفيق واعيدوا عليه الضرب ثاني مرة
ثم امر بضرب اصحابه كل واحد اكثر من ثلثمائة عصا والبصير
يقول لهم افتحوا عيونكم والا جدد عليكم الضرب ثم قال الرجل للوالي
ابعث معي من يا تيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون عيونهم
ويخافون من فضيحة الناس فبعث الوالي اخذ المال واعطى للرجل
منه ثلثة آلاف درهم قسمه على مازعم عنهم واخذ الباقي
ونفى الوالي الثلثة وخرجت انا يا اميرالمؤمنين ولحقت اخي
وسألته عن حاله فاخبرني بما ذكرته لك وادخلته المدينة سرا ورتبت
له ما ياكل وما يشرب في الخفية فضحك الخليفة من حكايتي وقال
اعطوه جائزة ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيأ حتى ابين
لاميرالمؤمنين ما جرى لاخوتي فاني قليل الكلام ثم قال واما اخي
الرابع يا اميرالمؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع
اللحم ويربي الكباش وكان يقصدونه الكبار واصحاب الاموال يشترون
منه اللحم فكسب من ذلك مالا عظيما واقتنى الدواب والدور واقام
على ذلك زمنا طويلا فبينما هو ذات يوم من بعض الايام عند
دكانه اذ وقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال اعطني بها لحما
ودفع له الدراهم وانصرف واعطاه اللحم فتامل اخي في فضة
الشيخ فرأى دراهمه بياضها ساطع فعزلها في ناحية وحدها واقام

الشيخ يتردد عليه خمسة اشهر و اخي يطرح دراهمه في صندوق
و حدها ثم اراد ان يخرجها و يشتري غنما ففتح الصندوق فرای جميع
ما فيه ورق ابيض مقصص فلطم وجهه و صاح فاجتمع الناس عليه
فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه و قام اخي على عادته فذبح كبشا
و علقه داخل الدكان و قطع لحما و علقه خارج الدكان و صار اخي
يقول يا الله يجيء الشيخ النحس فما كانت ساعة الا و قد اقبل الشيخ
و معه الفضة فقام اخي و تعلق به و صار يزعق يا مسلمين الحقوني
و اسمعوا قصتي مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له الشيخ
ايما احب اليك تتنحى عني او افضحك بين الناس فقال له اخي باي
شيء تفضحني قال بانك تبيع لحم الناس بانه لحم غنم فقال له اخي
كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون الا الذي عنده رجل في الدكان
معلق فقال له اخي ان كان الامر كما ذكرت فمالي و دمي حلال لك
فقال الشيخ يا معاشر الناس ان اردتم تحقيق قولي و صدقي ادخلوا
دكانه فهجم الناس على دكان اخي فراوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا
فلما راوا ذلك تعلقوا باخي و صاحوا عليه يا كافر يا فاجر و صاروا عز الناس
اليه يضربه و يلطمه و يقول له انت تطعمنا لحم بني آدم و لطمه
الشيخ على عينه قلعها و حملت الناس ذلك المذبوح الى صاحب
الشرطة فقال له الشيخ ايها الامير هذا الرجل يذبح الناس و يبيع
لحمهم على انه لحم غنم و قد اتيناك به فقم و اقض حق الله عز وجل
فدافع اخي عن نفسه فلم يسمع منه و امر بضربه خمسمائة عصا
و اخذوا جميع ماله و لولا المال لقتلوه فقام اخي هاجا على رأسه
حتى دخل مدينة كبيرة و كان احسن له ان يعمل اسكافيا ففتح دكانا
و قعد يعمل شيأ يتقوت به فخرج ذات يوم في حاجة فسمع حس

خيل فسأل عن ذلك فقيل له ان الملك خارج في الصيد والقنص فجعل اخي ينظر الى حسن الملك فوقعت عين الملك في عين اخي فاطرق الملك برأسه وقال اعوذ بالله من شر هذا اليوم واثنى عنان فرسه ورجع فرجع جميع الغلمان ثم امر الغلمان فلحقوا اخي فضربوه ضربا وجيعا حتى كاد ان يموت ولم يدر اخي ما السبب فرجع الى موضعه وهو في حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا اخي اعلم ان الملك لا يطيق ان ينظر الى اعور لا سيما ان كان اعور باليمنى فانه لا يعتقه دون قتله فلما سمع اخي ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة ثم قام وخرج منها وتحول الى ناحية اخرى لم يكن بها احد يعرفه واقام بها زمنا طويلا ثم بعد ذلك تفكر اخي في امره وخرج يوما يتفرج فسمع حس خيل خلفه فقال جاء امر الله فطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم نظر فاذا بباب مغلوق فدفع ذلك الباب فوقع فدخل فراى دهليزا طويلا فدخل اخي فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا لاخي الحمد لله الذي امكننا منك يا عدو الله هذه ثلث ليال ما خليتنا ننام ولا نهدي وقد اذقتنا الموت فقال اخي يا قوم ما امركم فقالوا انت تغير علينا وتريد تفضحنا وتدبر الحيلة وتريد تذبح صاحب البيت ما يكفيك انك افقرته واصحابك ولكن اخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا في وسطه سكينا فقال يا قوم اتقوا الله في امري واعلموا ان حديثي عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم بحديثه طمعا ان يطلقوه فما سمعوا من اخي ما قال ولا التفتوا اليه وضربوه وخرقوا اثوابه فوجدوا عليه اثر

الضرب بالمقارع على اجنابه فقالوا له يا ملعون هذا اثر الضرب
ثم احضروا اخي بين يدي الوالي فقال في نفسه قد وقعت بذنوبي
وما يخلصني الا الله تعالى فقال الوالي لاخي يا فاجر ما حملك
على هذا الامر تدخل دارهم بالقتل فقال له اخي سألتك بالله ايها
الامير اسمع كلامي ولا تعجل علي فقال الوالي نسمع كلام لص قد افقر
الناس وعليه اثر الضرب في ظهره وقال له ما فعلوا بك هذا الامر
الا عن جرم عظيم فامر بضرب مائة سوط ثم ضرب اخي مائة
سوط ثم حملوه على جمل ونادوا عليه هذا جزاء واقل من اجزي
من يهجم بيوت الناس وامر باخراجه من المدينة وهاج اخي على
وجهه فلما سمعت به انا خرجت اليه واستخبرته فاخبرني بحديثه
وما جرى له ولا زلت معه دائرا وهم ينادون عليه حتى سيبوه
فاتيت اليه واخذته وادخلته المدينة سرا ورتبت له مايا كل
وما يشرب واما اخي الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا
امير المؤمنين وكان رجلا فقيرا وكان يسأل الناس ليلا وينفق به
نهارا وكان والدنا شيخ كبير طاعن في السن فاعتل ومات فخلف
لنا سبعمائة درهم فاخذ كل واحد منا مائة درهم واما اخي الخامس
فانه لما اخذ حصته تحير ولم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك
اذ وقع في خاطره انه ياخذ بها زجاجا من كل نوع وينتفع بثمنه
فاشترى بالمائة الدرهم زجاجا وجعله في طبق كبير وقعد في موضع
يبيع فيه وبجانبه حائط فاسند ظهره اليه وقعد متفكرا في نفسه
وقال ان رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم وانا ابيعه بمائتين
درهم ثم اشتري بمائتين درهم زجاجا وابيعه باربعمائة درهم
ولا ازال ابيع واشتري الى ان يبقى معي مال كثير فاشتري به من جميع

المتجر و الجواهر والعطر فاربح ربحا عظيما فبعد ذلك اشتري دارا حسنة واشتري المماليك والخيل وسروج الذهب و اكل واشرب و لا اخلي مغنيا ولا مغنية في المدينة حتى اجيبها عندي و اعمل ان شاء الله تعالى رأس مالي مائة الف درهم هذا كله هو يحسب في نفسه وقفص الزجاج مطروح قدامه ثم قال واذا صار مالي مائة الف درهم ابعث الدلالات في خِطبة بنات الملوك والوزراء واخطب بنت الوزير فقد بلغني انها كاملة في الحسن بديعة في الجمال وامهرها بالف دينار فان رضي ابوها كان وان لم يرض اخذتها قهرا عن رغم انفه فان حصلت في داري اشتري عشرة خدام صغار ثم اشتري لي كسوة من كساوي الملوك والسلاطين واصنع لي سرج ذهب وارصعه بالجواهر المثمنة ثم اركب و معي المماليك يمشون حولي وقدامي و ادور المدينة و الناس يسلمون علي ويدعون لي ثم ادخل على الوزير الذي هو ابو البنت والمماليك خلفي و قدامي و عن يميني و عن شمالي فاذا رآني قام الوزير الي قائما واقعدني مكانه و يقعد هو دوني لانه صهري ويكون معي خادمين بكيسين في كل كيس الف دينار فاعطيه الالف مهر بنته واهدي له الف دينار اخرى حتى يعلم مروتي وكرمي وكبر نفسي وصغر الدنيا في عيني واذا خاطبني بعشر كلمات اجبته بكلمتين ثم انصرف الى داري فاذا جاء احد من جهة امرأتي وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وان جاء لي بهدية رددتها عليه ولم اقبلها منه حتى يعلموا اني عزيز النفس ولا اخلي نفسي الا في موضعها ثم اقدم اليهم با صلاح شاني فاذا فعلوا ذلك امرتهم بزفافها و اصلح داري اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست افخر ثيابي و قعدت في بدلة من الديبـــاج متكئا لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلي ورزانة فهمي و تكون

امرأتي قائمة قدامي كالبدر وهي في حليها وحللها و انا انظر اليها عُجبا وتيهـا حتى يقول جميع من حضر يا سيدي امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضرّبها القيام ثم يبوسون الارض قدامي مرارا فعند ذلك ارفع راسي و انظر اليها نظرة واحدة ثم اطرق براسي الى الارض فيمضون بها الى مجلس المنام واقوم انا واغير قماشي والبس احسن مما كان علي فاذا جاوا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسألوني مرارا وانظر اليها ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثلثة و الثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اخ المزين قال ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم اني آمر بعض الخدم ان يرمي كيسا فيه خمسمائة دينار فلما تحضرا دفعه للمواشط وآمرهم ان يدخلوني عليها فاذا دخلوا بها فلا انظر اليها ولا اكلمهـــا احتقارا لان يقال اني عزيز النفس وتجيء امها فتقبل راسي و يدي و تقول لي ياسيدي انظر جاريتك فانها تشتهي قربك فاجبر بخاطرها فلا ارد عليها جوابا فاذا رات ذلك مني قامت و باست رجلي مرارا ثم تقـول ياسيدي ان بنتي صبية مليحة مارات رجلا فاذا رات منك هذا الانقبـــاض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم و تحضر لي قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تاخذ القدح فاذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي وانا على مدورة مزركش متكئ لا انظر اليها من كبر نفسي حتى تقول لي اني سلطان عظيم الشان فتقول لي يا سيدي بحق الله عليك لا ترد القدح من يد جاريتك فاني جاريتك فلا اكلمها فتلح علي و تقول

لابد من شربه و تقدمه الي فمي فانفض يدي في وجهها وارفسها برجلي
و اعمل هكذا ثم رفس برجلـه فوقع الزجاج والقفص وكان في مكان
مرتفع فنزل الى الارض فتكسر كل ما فيه فصاح اخي و قال هذا كله
من كبر نفسي فعند ذلك يا اميرالمؤمنين لطم اخي على وجهه و خرق
ثيابه و جعل يبكي و يلطم و الناس ينظرون اليه وهم رائحون الى
صلوة الجمعة فمنهم من نظره ورحمه ومنهم من لم يفكر فيه و اخي
على تلك الحالة راح منه المال و الربح فاقام ساعة يبكي و اذا بامرأة
حسنة ومعها عدة خدام وهي راكبة على بغلة بسرج ذهب يفوح المسك
منها وهي ماشية الى صلوة الجمعة فلما نظرت الى الزجاجات وحال اخي
و بكائه اخذها الحزن عليه ورق قلبها و سألت عن حاله فقيل انه كان
معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فاصابه ماترين فنادت بعض
الخدام و قلت له ادفع الذي معك لهذا المسكين فدفع له صرة وجد
فيها خمسمائة دينار فلما وقعت في يده كاد ان يموت من شدة الفرح
و اقبل اخي بالدعاء لها وعاد الى منزله غنيا و قعد منفكرا واذا
بالباب يدق فقام و فتح و اذا بعجــوز لا يعرفها فقالت له يا ولدي
اعلم ان الصلــوة قد قربت و انا بغير وضوء واحب ان توسع لي
منزلك حتى انوضأ فقال سمعا و طاعة ثم دخل اخي وامرها بالدخول
فدخلت و دفع لها ابريقا تتوضأبه و جلس اخي و هو طائر من الفرح
بالدنانير ثم صرها في الهميان فلمــا فرغ من هذا و فرغت العجوز
من الوضوء اقبلت الى الموضع الذي هو جالس فيــه اخي و صلت
ركعتين ثم دعت لاخي دعاء حسنا فشكرها على ذلك ومد يده الى
الدنانير و دفع لها دينارين و قال في نفسه هذه صدقة عني فلما
رات الدنانير قلت يا سبحان اللــه لِمَ نظرت الي من حبك بسمــة

الصعاليك خذ ما لك مالي به حاجة و اردده الى قلبك فان كنت تريد الاجتمـــاع من التي اعطتك المال اجتمع لك معها و هي صاحبتي فقال اخي يا امي كيف الحيلة اليهـا قالت يا ولدي انها تميل الى رجـل موسر فخذ جميع مالك معك و اتبعني لا دلك على المـراد فاذا اجتمعت بها فلا تخلي شيأً من الملاطفة و الكلام الحسن الا و تفعله معها فانك تنال من جمالها و من ما لها جميع ما تريد فاخذ اخي جميع الذهب وقام و مشى معها و هولا يصدق فلم تزل هي تمشي و اخي تا بعها الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية ففتحت الباب فدخلت العجوز و امرت اخي بالدخول معها فدخل الى دار كبيرة و مجلس كبير مفروش ارضه بالزوالي العجيبة و ستور معلقة فجلس اخي و وضع الذهب بين يديه و وضع عمامته على ركبتــه فلم يشعر الا و جارية اقبلت ما رات الـراوٌن احسن منهـا وهي لا بسة افخر الملابس فقام اخي على قدميه فلما راته ضحكت في وجهه و فرحت به و اشارت اليه بالجلوس ثم انها امرت بالباب فاغلق ثم اقبلت على اخي و اخذت يده و مضوا جميعا الى ان اتوا الى حجرة منفردة فدخلاها و اذا هي مفروشة با نواع الديباج فجلس اخي وجلست بجانبه ولا عبته ساعة ثم قامت وقالت له لا تبرح من مكانك حتى اجيٌ و غابت عـن اخي ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد اسود عظيم الخلقة و معه سيف مجرد فقال له و يلك ومن جاء بك الى هذا المكان و ما الذي تصنع ههنا فلما رآه لم يقدر اخي ان يرد عليه جوابا و انعقد لسانه عن رد الجواب فاخذه و عراه من اثوابه و لم يزل يضربه بالسيف سطحا الى ان سقط الى الارض مغشيا عليه من شدة الضرب و اعتقد العبد النحس انه قضي عليه فسمعه

اخي يقول اين المملحة فا قبلت اليه جارية في يدها طبق كبير وفيه ملح كثير ولم يزل العبد يحشو جراحات اخي وهو لا يتحرك خيفة ان يعلم انه حي فيقتله ويروح روحه قال الراوي ثم ان الجارية مضت وصاح العبد وقال ابن المسرديبة فجاءت العجوز الى اخي وجرته من رجله الى سرداب فرمته فيه على جماعة قتلى فاقام مقامه يومين كاملين وكان الله جعل الملح سبب حياته لانه قطع الدم فراى اخي في نفسه القوة على الحركة فقام اخي من السرداب وفتح طابقه وهو خائف وخرج الى بر واعطاه الله الستر فمشى في الظلام واختفى في ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصباح خرجت تلك العجوز الملعونة في طلب صيد آخر فخرج اخي في اثرها وهي لا تعلم حتى اتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برئ وهو يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تاخذ الناس واحدا واحدا وتوديهم الى تلك الدار واخي لا ينطق بشيء ثم لما رجعت اليه روحه وقوته عمد الى خرقة وعمل منها كيسا وملأه زجاجا وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه احد ولبس ثياب العجم واخذ سيفا وجعله تحت ثيابه فلما راى العجوز قال لها بلسان العجم يا عجوز انا رجل غريب وصلت اليوم الى هذا البلد ولا اعرف احدا فهل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار وانا اهبك شيأ منه فقالت له العجوز لي ولد صيرفي وعنده سائر الموازين فامض معي قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن ذهبك فقال اخي امشي قدامي فسارت واخي خلفها حتى اتت الباب فدقته فخرجت الجارية بعينها وفتحت الباب فضحكت العجوز في وجهها فقالت العجوز قد اتيتكم اليوم بلحمة سمينة فاخذت الجارية بيد اخي وادخلته المنزل الذي دخل

اخي فيه سابقا و تحدثت عنده ساعة و قامت و قالت لاخي لا تبرح
حتى ارجع اليك و راحت فلم يشعر اخي الا و العبد الملعون اقبل
و معه السيف المجرد و قال لاخي قم يا ملعون فقام اخي و تقدم
العبد امامه و اخي و راءه و مد يده الى سيفه الذي تحت ثيابه وضربه
العبد فاطاح رأسه عن بدنه و سحبه من رجله الى السرداب و نادى
اين المملحة فجاءت الجارية و معها الطبق الذي فيه الملح فلما رات
اخي و السيف بيده ولت هاربة فتبعها و ضربها اطاح راسها
ثم نادى اين العجوز فجاءت فقال لها اتعرفينني يا عجوز النحس
فقالت لا ياموﻻي فقال لها انا صاحب الدراهم التي جئت عندي و
توضأت عندي و صليت فيها و اوقعتني هنا فقالت اتق الله و تراجع
في امري فلم يلتفت اليها و ضربها حتى قطعها اربع قطع ثم
خرج في طلب الجارية فلما راته طار عقلها و قالت الا مان
فامنها فقال لها ما الذي اوقعك عند هذا الا سود فقالت اني كنت
جارية لبعض التجار و كانت هذه العجوز تتردد علي فآنست بها
فقالت لي يوما من الايام ان عندنا فرح ما راى احد مثله وقد
اشتهيت ان تنظري اليه فقلت لها سمعا و طاعة ثم قمت و لبست
احسن ثيابي و مصاغي واخذت معي صرة فيها مائة دينار و مضيت
معها حتى ادخلتني هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الاوهذا الاسود
اخذني وانا على هذا الحال ثلث سنين بحيلة العجوز الملعونة فقال
لها اخي هل له في هذه الدار شيٌ فقالت عنده شيٌ كثير فان كنت
تقدر على نقله فانقله واستخر الله فقام اخي ومشى معها وفتحت له،
صناديق فيها اكياس فبقي اخي متحيرا فقالت له الجارية امض الآن
ودعني هنا وهات من ينقل المال فخرج واكرى عشرة رجال وجاء

الى الباب فوجد مفتوحا ولارأى الجارية ولاالأكياس الاشيئا يسيرا غير القماش فعلم ان الجارية خدعته فعند ذلك اخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن واخذ مافيها ولم يترك في الدار شيأ وبات مسرورا فلما اصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا تعلقوا به وقالوا له ان الوالى يطلبك فاخذوه فتدخل اخي عليهم ليعبر الى بيته فلم يمهلوه بان يرجع الى بيته فوعدهم بجملة من الدراهم فابوا ثم ربطوه بحبل ربطا شديدا وراحوا به فوجدهم في الطريق واحد من اصحابه فتعلق اخي بذيله وتدخل عليه لكي يقف معه ويساعده على خلاصه من ايديهم فوقف الرجل وسالهم عن قصته فقالوا له ان الوالي قدحكم علينا بان نحضره بين يديه وها نحن ذاهبون به فالتمس لهم صاحب اخي بان يخلصوه ويعطيهم خمس مائة دينار وقال لهم اذا رجعتم الى الوالي فقولوا له مالقيناه فاعرضوا عن كلامه واخذوه مسحوبا على وجهه حتى احضروه بين يدي الوالي فلما راى الوالي اخي قال له من اين لك هذا القماش والمال فقال اخي اريد الامان فاعطاه منديل الامان فحدثه بماجرى وماوقع له مع العجوز من الاول الى الآخر وهروب الجارية ثم قال للوالي والذي اخذته خذ منه ماشئت ودع لي ما اتقوت به فاخذ الوالى القماش والمال كله وخشي ان يبلغ الخبر الى السلطان فاحضر اخي وقال له اخرج من هذه المدينة والاشنقك فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا اذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه واخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة سرا ورتبت له ما يا كل وما يشرب واما اخي السادس يا اميرالمؤمنين وهو مقطوع الشفتين فكان افتقر فخرج يوما يطلب شيئا يسد به رمقه فبينما هوفي

بعض الطرق اذرأى دارا حسنة و لها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم و امر و نهي فسأل بعض من كان واقفا هناك فقال هي لانسان من اولاد البرامكة فتقدم اخي الى البوابين و سالهم شيئا فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبنا فدخل الدهليز و مشي فيه ساعة فوصل الى دار في غاية ما يكون من الملاحة و الظرف وفي وسطها بستان مارأى مثلها و ارضها مفروشة بالرخام و ستورها معلقة فبقي اخي متحيرا لا يدري اين يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأى انسانا حسن الوجه و اللحية فلما رأى اخي قام له ورحب به و ساله عن حاله فاخبره انه محتاج فلما سمع كلام اخي اظهر له غما شديدا ومد يده الى ثيابه فخرقها وقال أكون انا ببلد و انت بها جائع لاصبر لي على ذلك ووعده بكل خير فقال له لا بد ان تمالحني فقال اخي يا سيدي ليس لي صبر و اني لشديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت والابريق فقال له ياضيفي تقدم و اغسل يدك فقام اخي ليغسل يده فمارأى طشتا ولاابريقا ثم انه اومى كانه يغسل يده ثم صاح قدموا المائدة فلم يراخي شيئا ثم قال لاخي تفضل كل من هذا الطعام ولا تستحي و اومى بيده كانه ياكل و صار الرجل يقول لاخي عجبا لقلة اكلك لاتقصر فى الاكل فاني اعلم ما انت عليه من الجوع فجعل اخي يومي كانه ياكل و يقول لاخي كل وانظر الى حسن هذا الخبز و بياضه واخي لايرى شيئا ثم ان اخي قال في نفسه هذا رجل يحب ان يهزؤ بالناس فقال له اخي يا سيدي عمري ما رايت احسن من بياضه ولا الذ منه فقال هذا خبزته جارية لي اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار يا غلام قدم الهريسة اول الطعام وأكثر عليها الدهن ثم قال لاخي يا ضيفي بالله عليك هل رايت اطيب من هذه الهريسة

فبحياتي كل ولا تستحي ثم قال يا غلام قدم لنا السكباج الذي فيه القطا المسمن ثم قال لاخي ثم كل يا ضيفي فانك جائع ومحتاج الملك فصار يدور حنكه ويمضغ واقبل الرجل يستدعى لونا بعد لون ولا يحضر شيء الا هو يامر اخي بالاكل ثم صاح يا غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق وقال لاخي وحياتك يا ضيفي هذه الفراريج قد سمنت بالفستق فكل مالا اكلت مثله قط فقال له اخي يا سيدي هذا طيب واقبل يومي بيده الى فم اخي كانه يلقمه وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخي وهو جائع فاشتد جوعه وهو بشهوة رغيف شعير ثم قال له هل رايت اطيب من ابازير هذه الاطعمة فقال اخي لا يا سيدي فقال جود الاكل ولا تستحي فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل شيلوا هذا وقدموا الحلاوات وقال له كل من هذا فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي خذ هذه القطيفة قبل ان ينزل منها الجلاب فقال اخي لاعدمتك يا سيدي واقبل اخي يساله عن كثرة المسك الذي في القطائف فقال هذه عادتي يصنعون لي في كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله واخي يحرك راسه وفمه ويلعب باشداقه فقال لاخي كل من هذا اللوز ولا تستحي فقال له اخي ياسيدي قد اكتفيت ولم يبق لي قدرة آكل شيأً فقال يا ضيفي ان اردت ان تأكل وتتفرج فالله الله لاتكن جائعا فقال له اخي يا سيدي من ياكل من هذه الالوان كلها كيف يكون جائعا ثم افتكر اخي في نفسه وقال لاعملن عملا اتوبه عن هذه الفعال ثم قال الرجل قدموا لنا الشراب فحركوا ايديهم في الهواء حتى كانهم قدموا الشراب ثم ناوله القدح وقال خذ هذا القدح فان اعجبك فعرفني فقال له ياسيدي انه طيب الرائحة لكنني تعودت بشرب النبيذ العتيق الذي له عشرون سنة فقال له الرجل دق

هذا الباب فانک لا تقدر تشرب منه شيأ فقال يا سيدي من احسانک
و اومى اخي بيده كانه بشربه فقال له هنيئا وصحة ثم ان صاحب
البيت اومى وشرب ثم ناول اخي قدحا ثانيا فشربه واظهر انه سكر
وغافله اخي و رفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه فى رقبته
صفعة رن لها المكان ثم ثنّى عليه بصفعة ثانية ثم قال الرجل ما
هذا يا سفلة فقال يا سيدي عبدک انعمت عليه و ادخلته منزلک
واطعمته الزاد و اسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليک و انت
اعلا من حمل جهله وعفوذنبه فلما سمع كلام اخي ضحک ضحكا عاليا
ثم قال له ان لي زمانا طويلا اسخر بالناس و اتماجن على
الاصحاب فما رايت منهم من له طاقة و فطنة دخل معي في جميع
اموري غيرک و الآن فقد عفوت عنک فكن نديمي على الحقيقة
و لا تفارقني ابدا ثم امر باخراج عدة الوان الطعام المذكورة اولا
فاكل هو و اخي حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه
جواري كانهن الاقمار فغنين بجميع الالحان وجميع الملاهى ثم قاما
و شربا حتى غلب عليهما السكر و استانس الرجل باخي حتى صار
كانه اخوه و احبه محبة عظيمة و خلع عليه فلما اصبح الصباح عادا
لما كانا عليــه من الاكل و الشــرب ولم يزالا كذلک مدة
عشرين سنة ثم ان الرجل مات و قبض السلطان علي ما له و ما
احتوى عليه اخي وصادره السلطان حتى خلاه فقيرا لايقدر على شيء
فخرج اخي هاربا علي وجهه فلما توسط الطريق خرج عليه العرب
فاسروه و اتوابه الى حيهم وصار الذي اسره يعذبه و يقول له اشتر
روحک مني بالاموال و الاقتلک فجعل اخي يبكي و يقول والله لا
املک شيئا و انا اسيرک فافعل ما شئت فاخرج البدوي سكينا و

قطع شفتي اخي وشدد عليه في المطالبة وكان له زوجة حسناء وكانت اذا
خرج البدوي تتعرض لاخي و تراوده و هو يمتنع منها فلما كان
يوما من الايام راودت اخي فقام ولاعبها و اجلسها في حجره فبينما
هو كذلك. و اذا بزوجها دخل عليها فلما نظر الى اخي قال له ويلك
يا ملعون آلآن تريد تفسد عليّ زوجتي و اخرج سكينا و قطع ذكره
و حمله على جمل و طرحه فوق جبل و تركه فجاز عليه المسافرون
فعرفوه فاطعموه و اسقوه و اعلموني بخبره فجئت اليه و حملته ودخلت
به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها انا جئت عندك يا امير المؤمنين وخفت
ان ارجع قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائي ستة اخوة وانا اقوم بهم
فلما سمع امير المؤمنين قصتي و ما اخبرت به عن اخوتي ضحك و قال
صدقت يا صامت انت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن اخرج
من هذه البلدة و اسكن غيرها ثم نفاني بالترسيم علي حتى دخلت
البلاد و طفت الاقاليم الى ان سمعت بموته و خلافة غيره اتيت
المدينة فوجدت اخوتي قد ماتوا و وقعت عند هذا الشاب و فعلت
معه احسن الفعال و لولا انا لقتل وقد اتهمني بشيء ما هو فيّ
و هذا يا جماعة ما نقل عني من الفضول باطل و انا لاجل هذا الشاب
طفت بلد انا كثير حتى وصلت الى هذه الارض و حصلته عندكم فهذا
يا جماعة الخير ما هو من مروتي فقال الخياط لملك الصين فلما
سمعنا قصة المزين وكثرة كلامه و ان المزين ظلم مع هذا الشاب
اخذنا المزين و قبضنا عليه و حبسناه و جلسنا نحن آمنين فاكلنا
و شربنا و تمت الوليمة الى ان اذن العصر فخرجت و جئت منزلي
فعبست زوجتي فقالت انت في حظك وانسك و انا محزونة ان
لم تخرجني وتفرجني بقية النهار قطعت حبلي و يصير سبب فراقي

منك فاخذتها و خرجت بها و تفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب و السكر طافح منه و هو ينشد هذين البيتين

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْاَمْرُ
فَكَاَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَاَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

فعزمت عليه و خرجت اشتري سمكا مقليا و جلسنا ناكل ثم ان زوجتي اعطته لقمة وقطعة سمك و ادخلتهما فمه وسدته فمات فحملته و تحايلت و رميته في بيت هذا الطبيب اليهودي و تحايل الطبيب و رماه في بيت الشاهد و تحايل الشاهد و رماه في طريق النصراني السمسار و هذه قصتي وما لاقيت البارحة فما هي با عجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة هز رأسه طربا وابدى عجبا وقال هذه القصة التي جرت بين هذا الشاب و المزين الفضولي انها لا طرب و احسن من قصة الاحدب الاكذب ثم ان الملك امر بعض حجابه ان امضوا مع الخياط و احضروا المزين من الحبس واسمع كلامه ويكون سبب خلاصكم انتم الجميع و ندفن هذا الاحدب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الصين قال ايتوني با لمزين ويكون سبب خلاصكم و ندفن هذا الاحدب فان له من امس ميت و نعمل له ضريحا فما كان الا ساعة و الحاجب و الخياط مضوا الى الحبس و اخرجوا منه المزين و ساروا به الى ان وقفوا بين يدي هذا الملك فلما رآه و تامله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين اسود الوجه ابيض اللحية و الحواجب مقرطم الآذان طويل الانف في نفسه بلهان فضحك من رؤيته الملك وقال له يا صامت اريد ان

تحكي لي شياً من حكايتك فقال المزين يا ملك الزمان و ما قصة هذا النصراني و هذا اليهودي و هذا المسلم و هذا الاحدب الميت بينكم وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين و ما سوالك عن هذا فقال سوالي عنهم حتى يعلم الملك اني ما انا فضولي و انا بريٌ مما اتهموني به من كثرة الكلام و انا الذي اسمي الصامت وان لي نصيبا من اسمي كما قال الشاعر

وَقَلَّمَا اَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَالَقَبٍ اِلاَّ وَمَعْنَاهُ اِنْ فَتَّشْتَ فِي لَقَبِهْ

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب و ما جرى له وقت العشاء وما حكى النصراني و ما حكى اليهودي وما حكى الشاهد وما حكى الخياط وليس فى الا عادة افادة فحرك المزين راسه وقال والله ان هذا لعجب عجيب اكشفوا لي عن هذا لاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه و اخذ رأسه على حجره و نظر في وجهه و ضحك حتى انقلب على قفاه و قال لكل موتة عجب و موتة هذا الاحدب يجب ان تورخ بماء الذهب فبهتت الجماعة من كلام المزين و تعجب الملك من كلامه و قال مالك يا صامت احك لنا فقال المزين يا ملك الزمان و حق نعمتك الاحدب الاكذب فيه الروح ثم ان المزين اخرج من وسطه حرمدان و فتحه واخرج منه مكحلة فيها دهن و دهن به رقبة الاحدب و عروقها ثم اخرج كلبتين من حديد و نزل بهما في حلقه فطلع قطعة السمك بعظمها فلما طلع بها واذا هي مغموسة دما والاحدب عطس عطسة ثم نط ووقف على حيله وملس على وجهه وقال اشهد ان لا اله الاالله واشهد ان محمدا رسول الله فتعجب الملك والحاضرون من الذي رأوه و عاينوه فضحك ملك الصين حتى غشي عليه وكذلك الحاضرون

وقال السلطان و الله ان هذه قصة عجيبة ما رايت اعرب منها ثم ان السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر عمركم رايتم احدا يموت ثم يحيى ولولا رزقه الله بهذا المزين فانه كان سببا لحياته لكان يموت فقالوا و الله ان هذا عجب عجيب ثم ان ملك الصين امران تورخ هذه القصة فارخوها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهودي و النصراني و الشاهد كل واحد خلعة سنية وامرهم بالانصراف فانصرفوا ثم اقبل السلطان على الخيـــاط وخلع عليه خلعة سنية وجعله خياطه ورتب له الرواتب واصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وانعم على المزين وخلع عليه خلعة وجعل له جامكيه وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزلوا فى اللذ عيش و اهنـــاه الى ان اتاهم هادم اللذات و مفرق الجماعات وليس هذا باعجب من قصة الوزيرين و انيس الجليس قالت لها وكيف ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويحب الرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه و سلم وهو كما قال فيه بعض و اصفيه شعـــــــر

مَلِكٌ اِذَا جَاءَتْ عَلَيْهِ مَوَاكِبُ اِرْتَبَ الْعِدَاةَ بِكُلِّ عَضْبٍ اَنْتَرِى
وَ يَخُطُّ خَطًّا فِى الصُّدُورِ اِذَا سَطَا يَوْمًا تَرَاهُ عَلَى الْفَوَارِسِ مُفْتَرِي

وكان يقال له الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيرين احدهما يقال له المعين بن ساوى و الثاني يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان اكرم اهل زمانه حسن السيرة اجمعت القلوب على محبتـه واجمعت الناس على مشورته والكل يدعون له

بطول مدته لانه محض خير مزيل الشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوي يكره الناس ولا يحب الخير وكان محض سوء كما قيل فيه شعر

لُذْ بِالْكِرَامِ بَنِي الْكِرَامِ فَإِنَّمَا   تَلِدُ الْكِرَامُ بَنُوا الْكِرَامِ كِرَامَا
وَدَعِ اللِّئَامَ بَنِي اللِّئَامِ فَإِنَّمَا   تَلِدُ اللِّئَامُ بَنُوا اللِّئَامِ لِئَامَا

قال وكان الناس على قدر محبتهم للفضل بن خاقان على قدر بغضهم للمعين بن ساوى وبقدرة القادر ان الملك محمد بن سليمان الزيني يوما من الايام قاعد على كرسي مملكته وحوله ارباب دولته اذ نادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له الملك اريد جارية لا يكون في زمنها احسن منها تكون كاملة في الجمال فائقة في الاعتدال حميدة الخصال فقالت ارباب الدوله هذه لا توجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك زعق السلطان على خازندار وقال احمل عشرة آلاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار امر السلطان ونزل الوزير بعد ما رسم له السلطان ان يعمد الى السوق كل يوم ويوصي السماسرة على ما ذكرناه وان لا تباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضونها وكل جارية وقعت لهم لم يعجبها الوزير ففي يوم من الايام واذا بالسمسار اقبل الى دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا طالب المسير لقصر الملك فدق في ركابه

وانشد يقول

يَا مَنْ أَعَادَ رَسُومَ الْمُلْكِ مَنْشُورَا   أَنْتَ الْوَزِيرُ النَّبِي لَازِلْتَ مَسْرُورَا
أَحْيَيْتَ مَا مَاتَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ كَرَمٍ   لَازَالَ سَعْيُكَ عِنْدَ اللهِ مَشْكُورَا

ثم قال يا سيدي ان الذي سبق به المرسوم الكريم بطلبه قد حضر فقال له الوزير علي بها فغاب ساعة وحضر ومعه جارية رشيقة القد بارزة النهد بطرف كحيل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وثياب احسن ما يكون من الثياب ورضاب احلى من الجلاب وقوام اعدل من الغصون المائلة وكلام ارق من نسيم الاسحار كما قال فيها بعض واصفيها شعر

عَجِيبَةُ حُسْنٍ وَجْهُهَا بَدْرُ كَوْكَبِ ... عَزِيزَةُ قَوْمٍ مِنْ زَبِيبٍ وَرَبْرَبِ

عَطَاهَا اِلهُ الْعَرْشِ عِزاً وَرِفْعَةً ... وَظَرْفاً وَمَعْنًى ثُمَّ قَدّاً مُقَضَّبِ

لَهَا فِي سَمَاءِ الْوَجْهِ سَبْعُ كَوَاكِبٍ ... عَلَى الْخَدِّ حُرَّاسٌ عَلَى كُلِّ مُرْتَقِبِ

اِذَا رَامَ اِنْسَانٌ يُسَارِقُ نَظْرَةً ... شَيَاطِينُ لَفْظٍ اَحْرَقَتْهُ بِكَوْكَبِ

فلما رآها الوزير اعجبته غاية العجب ثم التفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة آلاف دينار لم تجي ثمن الفراريج التي اكلتها ولا الشرب ولا الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير واصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير علي بسيدها فاحضره في الوقت والساعة فاذا هو رجل عجمي قد ابقى ما ابقى وعاركه الدهر واستبقى كما قال الشاعر شعر

اَرْعَشَنِي الدَّهْرُ اَيُّ رَعْشٍ ... وَالدَّهْرُ ذُو قُوَّةٍ وَبَطْشِ

قَدْ كُنْتُ اَمْشِي وَلَسْتُ اَعْيَى ... وَالْيَوْمَ اَعْيَى وَلَسْتُ اَمْشِي

فقال له الوزير ارضيت ان تاخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي والله لقد

قد متها للسلطان بلا شيء كان واحبا عليّ فعند ذلك امر الوزير باحضار الاموال فاحضرت فوزنت للعجمي واقبل النخاس على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير اتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال ان الراي عندي ان لا تطلع بهذه الجارية للسلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهوى واتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة ايام لما ترد الى حالها ثم ادخلها الحمام والبسها احسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر فتامل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فاتى بها الى قصره واخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على ذلك وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كانه البدر اذا بدر بوجه اقمر وخد احمر عليه خال كنقطة عنبر بعذار اخضر كما قال فيه الشاعر ولا قصر شعر

قَمَــرٌ يُفَتِّكُ بِاللَّوَاحِظِ إِنْ رَنَا ... غُصْنٌ يُفَتِّتُ بِالْقَوَامِ إِذَا انْثَنَى

زِنْجِيُّ الذَّوَائِبِ عَسْجَدِيٌّ لَوْنُهُ ... حُلْوُ الشَّمَائِلِ قَدُّهُ يَحْكِي الْقَنَا

يَا قَلْبَهُ الْقَاسِي وَرِقَّةَ خَصْرِهِ ... هَلَّا نُقِلْتَ إِلَى هُنَا مِنْ هٰهُنَا

لَوْ كَانَ رِقَّةُ خَصْرِهِ فِي قَلْبِهِ ... مَا جَارَ قَطُّ عَلَى الْمُحِبِّ وَلَا جَنَا

يَا عَاذِلِي فِي حُبِّهِ كُنْ عَاذِرِي ... مَنْ لِي بِجِسْمٍ قَدْ تَمَلَّكَهُ الضَّنَى

مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلْفُؤَادِ وَنَاظِرِي ... فَدَعِ الْمَلَامَ وَخَلِّنِي فِي ذَا الْعَنَا

وكان الصبي ما عرف قضية هذه الجارية وكان والده اوصاها وقال لها يا بنتي اعلمي اني ما اشتريتك الا سُرِّيَّةً للملك محمد بن سليمان الزيني وان لي ولدا ما خلى بصبية في الحارة الا فعل بها فاجعلي بالك منه واحذري ان تريه وجهك او تسمعيه كلامك

فقالت له الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف فاتفق بالامر المقدران الجارية في يوم من الايام دخلت الحمام الذي في المنزل وقد غسلها بعض الجواري ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على الست زوجة الوزير فباست يدها فقالت لها نعيم يا انيس الجليس ايش حسن هذا الحمام فقالت يا ستي ما كنت محتاجة الا لحضورك فيه فعند ذلك قالت الست للجواري قوموا بنا الى الحمام قالوا سمعا وطاعة ونهضن والست بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التي فيها انيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكّنا احدا يدخل للجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما انيس الجليس قاعدة بالمقصورة واذا بابن الوزير الذي هو نور الدين علي قد دخل وسال عن امه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلن الحمام وقد سمعت الجارية انيس الجليس كلام نور الدين علي ابن الوزير وهي من داخل المقصورة فقالت في نفسها يا ترى ماشان هذا الصبي الذي قال لي الوزير عنه انه ما خلّى بصبية في الحارة الا فعل بها والله اني اشتهي ان انظره ثم انها نهضت على قدميها وهي من اثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى نور الدين علي فاذا هو صبي كالبدر في تمامه فاورثتها النظرة الف حسرة ولاحت من الصبي التفاتة فنظر الصبي اليها نظرة اورثته الف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الآخر فتقدم الصبي الى الجاريتين وعيط عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد تنظر انه وتنظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها انت التي اشتراك ابي لي فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبي اليها وكان في حال السكر واخذ رجليها وعملها في وسطه وهي شبكت يديها في عنقه واستقبلته ببوس وشهيق وغنج ومص لسانها

ومصت لسانه وازال بكارتها فلما راى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية انيس الجليس صرختا وعيطتا وكان قد قضى الصبي حاجته وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفرّمن الخوف عقب الفعل الذي فعله فلما سمعت الست عياط الجاريتين نهضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ايش هذا العياط الذي فى الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين كانت اقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأتاها قالتا ان سيدي نورالدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على انيس الجليس وعانقها وما ندري ايش عمل بعد ذلك فلما صيحنا عليك هرب فعند ذلك تقدمت الست الى انيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت يا سيدتي انا قاعدة واذا بصبي جميل دخل علي وقال لي انت الذي اشتراك ابي لي فقلت نعم والله ياسيدتي اعتقدت ان كلامه صحيح فعند ذلك اتى عندي وعانقني فقالت الست كلمك شيئا بشيٍ غير ذلك قالت نعم واخذ مني ثلث بوسات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هي والجواري خوفا على نور الدين ان يذبحه ابوه فبيناهم كذلك واذا بالوزير دخل وسال عن الخبر فقالت له زوجته احلف ان ما قلته لك تسمعه قال نعم فاعادت عليه ما فعله ولده فحزن وخرق ثيابه ولطم وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك انا اعطيك من مالي عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك انا ما لي حاجة بثمنها ولكن خوفي ان تروح روحي ومالي فقالت له ياسيدي وكيف ذلك قال لها اما تعلمين ان وراءنا هذا العدو الذي يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته اما تعلمين
ان وراءنا هذا العدو والذي يقال له المعين ابن ساوى ومتي سمع
بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وزيرك الذي تزعم انه يحبك
اخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما راى احد مثلها
فلما اعجبته قال لابنه خذها انت احق بها من السلطان فأخذها
وازال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول هو
للملك عن اذنك اهجم عليه وآتيك بها فيرسم له بذلك فيكبس الدار
ويأخذ الجارية ويحضرها للسلطان ثم يسالها فما تقدر تنكر فيقول له
ياسيدي تعلم اني ناصح لك ولكن مالي عندكم حظ فيمثل بي السلطان
والناس كلهم يتفرجون علي فتروح روحي فقالت له زوجته لا تعلم
احدا وهذا الامر حصل خفية وسلم امرك الى الله في هذه القضية فعند
ذلك سكن قلب الوزير هذا ما كان من امر الوزير واما ما كان من امر
نور الدين علي فخاف عاقبة الامر فبقي طول نهاره في البساتين ويأتي
آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ويروح الى البستان
ولم يزل كذلك شهرا لا يري وجهه لابيه فقالت امه لابيه يا سيدي هل
تعدم الجارية وتعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هجّ منا قال
لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء امسكه واصطلح
انت واياه واعطه الجارية فهي تحبه وهو يحبها وانا اعطيك ثمنها
فصبر الوزير الى الليل فلما اتي ولده امسكه واراد نحره فادركته امه
وقالت له ايش تريد تفعل معه فقال لها اذبحه فقال الولد لابيه هل اهون

عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له ياولدي كيف هان عليك
ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع ياوالدي ما قال الشاعر

هَبْنِي جَنَيْتُ فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ النُّهَى   يَهَبُونَ لِلْجَانِي سَمَاحًا شَامِلَا
مَا ذَا عَسَى يَرْجُو عَدُوُّكَ وَهْوَ فِي   دَرَكِ الْحَضِيضِ وَأَنْتَ أَعْلَى مَنْزِلَا

قال فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده فقال يا ولدي عفوت
عنك وحن قلبه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يا ولدي
لو علمت انك تنصف انيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدي
كيف لا انصفها قال له اوصيك يا ولدي انك لا تتزوج عليها ولا
تضاررها ولا تبعها فقال له يا والدي انا احلف لك اني لا اتزوج عليها
ولا ابيعها فحلف على ذلك ودخل على الجارية فاقام معها سنة
وانسى الله تعالى الملك قصة الجارية واما المعين بن ساوى
فبلغه الخبر لكنه لم يقدر يتكلم لمنزلة الوزير عند السلطان فلما
مضت السنة عبر الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو
عرقان فضر به الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف
فعند ذلك نادى ولده نور الدين علي فحضر فقال له ياولدي
اعلم ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب
كأس الممات ثم انه انشد يقول شعر

أَنَا مَيِّتٌ فَجَلَّ مَنْ لَا يَمُوتُ   وَتَحَقَّقْتُ أَنَّنِي سَأَمُوتُ
لَيْسَ مَلِكًا يَمُوتُ بِيَدِهِ مُلْكٌ   إِنَّمَا الْمُلْكُ مُلْكُ مَنْ لَا يَمُوتُ

ثم قال ياولدي مالي عندك وصية الا تقوى الله وانظر في العواقب
والوصية بالجارية انيس الجليس فقال له يا ابت ومن مثلك وقد
كنت معروفا بفعل الخير والدعاء على المنابر فقال له ياولدي ارجو

من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين فكُتِبَ من اهل السعادة فعند ذلك انقلب القصر بالعياط واتصل الخبر بالسلطان وسمعت اهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكى عليه الصبيان في مكاتبها ونهض ولده نور الدين عليٌ وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وارباب الدولة واهل المدينة وكان فيمن حضر الجنازة الوزير المعين ابن ساوى وانشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار شعر

يَوْمَ الْخَمِيسِ لَقَدْ فَارَقْتُ أَحْبَابِي ... وَغَسَّلُونِي عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْبَابِ
وَجَرَّدُونِي ثِيَابًا كُنْتُ لَابِسَهَا ... وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَثْوَابِي
وَحَمَّلُونِي عَلَى أَعْنَاقِ أَرْبَعَةٍ ... اِلَى الْمُصَلَّى وَبَعْضُ النَّاسِ صَلَّى بِي
صَلُّوا عَلَيَّ صَلٰوةً لَا سُجُودَ لَهَا ... صَلَّى عَلَيَّ جَمِيعُ النَّاسِ أَصْحَابِي
وَشَيَّعُونِي اِلَى دَارٍ مُقَنْطَرَةٍ ... يَفْنَى الزَّمَانُ وَلَا يُفْتَحْ لَهَا بَابِي

ولما واراه التراب ورجعت الاهل والاصحاب رجع نورالدين وقد انتحب من البكاء ولسان الحال يقول هذه الابيات

هُمْ رَحَلُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ عَشِيَّةً ... فَوَدَّعْتُهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا وَوَدَّعُوا
فَلَمَّا تَوَلَّوْا رَاحَتِ النَّفْسُ مَعَهُمْ ... فَقُلْتُ ارْجِعِي قَالَتْ اِلَى أَيْنَ أَرْجِعُ
اِلَى جَسَدٍ مَا فِيهِ رُوحٌ وَلَا دَمٌ ... وَمَا فِيهِ اِلَّا أَعْظُمٌ تَتَقَعْقَعُ
وَعَيْنَايَ قَدْ أَعْمَاهُمَا شِدَّةُ الْبُكَا ... وَأُذْنِي غَدَتْ صَمَّاءَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ

قال ثم مكث شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو ذات يوم من الايام جالس في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض نور الدين علي وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده واصحابه قد دخل فقبل يد نور الدين وقال ياسيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الاولين والآخرين ياسيدي طب نفسا ودع

الحزن فعند ذلك نهض نور الدين الى القاعة التي للجلوس ونقل اليها ما يحتاجه واجتمع عليه اصحابه واخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من اولاد التجار ثم انه اكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك جاء له وكيله وقال له ياسيدي نور الدين اما سمعت قول بعضهم من ينفق و لم يحسب افتقر ولم يشعر والشاعر يقـــــول

أَصُونُ دَرَاهِمِي وَأَذُبُّ عَنْهَا لِعِلْمِي أَنَّهَا سَيْفِي وَتُرْسِي
أُبَذِّلُهَا إِلَى أَعْدَى الأَعَادِي وَأُبْدِلُ فِي الْوَرَى سَعْدِي بِنَحْسِي
فَآكُلُهَا وَأَشْرَبُهَا هَنِيئاً وَلاَ أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ بِفَلْسِ
وَأَحْفَظُ دِرْهَمِي عَنْ كُلِّ شَخْصٍ لَئِيمِ الطَّبْعِ لاَ يَصْفُو لِأُنْسِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَوْلِي لِنَذْلٍ أَنِلْنِي دِرْهَمًا لِغَدٍ بِخَمْسِ
فَيُعْرِضُ وَجْهَهُ وَيَصُدُّ عَنِّي فَتَبْقَى مِثْلَ نَفْسِ الْكَلْبِ نَفْسِي
فَيَا ذُلَّ الرِّجَالِ بِغَيْرِ مَالٍ وَلَوْ كَانَتْ فَضَائِلُهُمْ كَشَمْسِ

ثم قال ياسيدي هذه النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفني المال فلما سمع نور الدين علي من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا اسمع منه ولا كلمة فاني سمعت الشـــاعر يقـــول شعـــــر

إِذَا مَا مَلَكْتُ الْمَالَ كَفِّي وَلَمْ أَجُدْ فَلاَ سَلِمَتْ كَفِّي وَلاَ نَهَضَتْ رِجْلِي
فَهَاتُوا بَخِيلاً نَالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ وَهَاتُوا أَرُونِي بَاذِلاً مَاتَ بِالْبَذْلِ

ثم قال اعلم ايها الوكيل اني اريد اذا فضل عندك قدر غدائي ان لاتحملني همّ عشائي فولى من عنده الوكيل الى حال سبيله واقبل نور الدين علي على اللذات في اطيب عيش وماهو فيـــه وكل من

يقول له من ندمائه هذا الشي مليح يقول هو لك هبة ويقول الآخر يا سيدي الدار الفلانية مليحة يقول هي هبة لك ولم يزل نورالدين يعمل لهم اول النهار مقاما وفى آخر النهار مقاما الى ان مكث سنة على هذا الحال وبعد السنة فبينماهو قاعد واذا بالجارية انيس الجليس تنشد شعر

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ   وَلَمْ تَخَفْ سُوْءَ مَايَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا   وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

فلما فرغت من شعرها واذا بالباب يطرق فقام نورالدين فتبعه بعض جلسائه من غيران يعلم به فلما فتح الباب وجد وكيله فقال له نورالدين على ما الخبر فقال له يا سيدي الذي كنت اخاف عليك منه قد وقع قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقي تحت يدي شيٌ يساوي درهما ولا اقل ولا اكثر وهذه الدفاتر موجودة بالمصروف الذى صرفته ودفاتر اصل مالك فلما سمع نورالدين علي هذا الكلام اطرق براسه الى الارض وقال لاحول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذي تبعه خفية خرج ليتسلل عليه ما قاله له الوكيل رجع الى اصحابه وقال لهم انظروا ايش تعملون فان نورالدين علي افلس فلما رجع اليهم علي نورالدين تبين لهم الغم في وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى نورالدين علي وقال له ياسيدي عسى ان تاذن لي بالانصراف فقال نورالدين علي لماذا الانصراف اليوم فقال ان زوجتي تلد ولايمكنني ان اتخلف عنها واريد ان اذهب اليها وانظرها فاذن له ونهض آخر وقال له يا سيدي نورالدين اريد اليوم ان احضر عند اخي فانه يطاهر ولده وكل واحد صار يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال

سبيله حتى انصرفوا كلهم و بقي نورالدين علي وحده فعند ذلك دعى جاريته وقال لها يا انيس الجليس ما تنظرين ما حل بي وحكى لها ما قال له الوكيل فقالت ياسيدي من مدة ليالي هممت ان اقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد وتقول شعر

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ طُرًّا قَبْلَ أَنْ تَتَفَلَّتِ
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَا الشُّحُّ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ وَلَّتِ

فلما سمعتك تنشد هذه الابيات سكتُّ ولم ابد لك خطابا فقال لها نورالدين على يا انيس الجليس انت تعرفين اني ما اوهبت مالي الا على اصحابي وهم خلوني بلاشيء واظنهم لايتركونني من غير مواساة فقالت له انيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال نورالدين فانا في هذه الساعة اقوم واروح لهم واطرق ابوابهم لعل ان يحصل لي منهم شيء فاجعله في يدي رأس مال واتاجر فيه واترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته ولا زال سائرا حتى اقبل على الزقاق الذي فيه اصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين في ذلك الزقاق فتقدم الى اول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من انت فقال لها قولي لسيدك نورالدين علي واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل يديك ومنتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فزعق عليها وقال لها ارجعي وقولي له ماهو هنا فرجعت الجارية الى نورالدين وقالت له يا سيدي ان سيدي ما هو هنا فتوجه نورالدين وقال في نفسه ان كان هذا ولد زنا وانكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم الى باب الثاني وقال كما قال اولا فانكر نفسه الآخر فعند ذلك انشد يقول شعر

فلما فرغ من شعره قال و الله لا بدان امتحنهم كلهم لعل يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فما منهم من فتح الباب ولا راه نفسه ولاكسر في وجهه رغيفا فانشد يقـــــــــول

اَلْمَرْءُ فِي زَمَنِ الْاِقْبَالِ كَالشَّجَرَةْ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا مَادَامَتِ الثَّمَرَةْ
حَتَّى اِذَا رَاحَ عَنْهَا حِمْلُهَا رَحَلُوا وَ خَلَّفُوهَا تُقَاسِي الْحَرَّ وَ الْغُبْرَةْ
تَبًّا لِاَبْنَاءِ هَذَا الدَّهْرِ كُلِّـــهِـــمِ حَتَّى وَلَا وَاحِدٌ يَصْفُو مِنَ الْعَشَرَةْ

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدي انا ما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال و الله ما فيهم من اراني وجهه ولا فيهم احد يعرف بي فقالت له يا سيدي بع من اثاث البيت وآنيته الى ان يدبر الله تعالى وانفقْ اولا باول فباع الى ان باع جميع ما فى البيت وما بقي عنده شيٌ فعند ذلك نظر الى انيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدي عندي من الراي ان تقوم الساعة وتنزل بي الى السوق و تبيعني و انت تعلم ان والدك كان اشتراني بعشرة آلاف دينار فلعل الله ان يفتح عليك بقريب من هذا الثمن واذا قدرالله باجتما عنا نجتمع فقال لها يا انيس الجليس والله ما يهون عليّ فراقك ساعة واحدة فقالت له والله يا سيدي ولا انا لكن للضرورة احكام كما قال الشـــــــــــــاعر

تُلْجِي الضَّرُورَاتُ فِي الْاُمُورِ اِلَى سُلُوكِ مَا لَا يَلِيـــقُ بِالْاَدَبِ
مَا حَامِلٌ نَفْسَهُ عَلَى سَبَـــبٍ اِلَّا لِاَمْرٍ يَلِيـــقُ بِالسَّبَـــبِ

فعند ذلك نهض على قدميه و اخذ انيس الجليس و دموعه تسيل على خده كالمطر ثم انشد بلسان الحال و قال شعــــــــــــرا

قِفُوا زَوِّدُونِي نَظْرَةً قَبْلَ بَيْنِكُمْ اُعَلِّلُ قَلْبًا كَادَ بِالْبَيْنِ يَتْلَـــفُ

فَإنْ كُنْتُمُو تَلْقَوْنَ بِي ذَاكَ كُلْفَةً دَعُونِي أَمُتْ وَجْدًا وَلَا تَتَكَلَّفُ

ثم مضى ونزل بها الى السوق وسلمها للدلال وقال له يا حاج حسن اعرف قدر ما تنادي عليه فقال الدلال يا سيدي نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له هذه ما هي انيس الجليس التي كانت اشتراها والدك مني بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم ما اجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار واحتبك السوق بسائر اجناس الجواري من تركية وافرنجية وشركسية وحبشية ونوبية وتكرورية ورومية وتترية وجرجية وغير ذلك فلما نظر الدلال الى السوق قد احتبك تقدم ونهض قائما وقال يا تجار يا ارباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة يا تجار معي هذه الدرة اليتيمة التي ما لها قيمة كم انادي عليها فقال واحد من التجار ناد باربعة آلاف دينار وخمسمائة ففتح بابها المنادي اربعة آلاف دينار وخمسمائة وهو يقول هذا الكلام واذا بالوزير المعين ابن ساوى في السوق عابر فنظر الى نور الدين علي واقفا في طرف السوق فقال في نفسه مابال ابن خاقان واقفا ههنا أَبَقِي مع هذا العِلق شيءٌ يشتري به الجواري ثم نظر بعينه فسمع المنادي وهو واقف ينادي في السوق والتجار حوله فقال الوزير في نفسه ما اظنه الا افلس ونزل بالجارية انيس الجليس ليبيعها ثم قال في نفسه يا بَرْدَها على قلبي ثم دعا المنادي فاقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال اني اريد هذه الجارية التي تنادي عليها فما امكنه المخالفة فقال له يا سيدي بسم الله ثم تقدم الجارية واعرضها عليه فاعجبته فقال له يا حسن كم معك في هذه الجارية فقال له اربعة آلاف وخمسمائة دينار فُتح الباب قال المعين عليَّ اربعة

آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع التجار ذلك ما قدر واحد منهم ان يزود درهما بل تاخروا لما يعلمون من ظلم الوزير ثم نظر المعين بن ساوى الى الدلال وقال له ايش وقوفك روح وشاور عليّ بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فتقدم الدلال الي نور الدين وقال له يا سيدي راحت الجارية عليك بلا شيّ فقال له وكيف قال له نحن فتحنا بابها باربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى وعبر السوق فلما نظر الى الجارية اعجبته وقال لي شاور على اربعة آلاف ولك خمسمائة وما اظنه الا عرف ان الجارية لك وان كان في هذه الساعة يعطيك ثمنها يكون مليحا وانا اعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة علي بعض عماله ثم يرسل خلفك احدا ويقول لهم لاتعطوه شيأ فكلما رحت تطالبهم يقولون الساعة نعطيك ويعملون هذا الامر معك يوما بعد يوم وانت عزيز النفس وبعد ان يضجوا من طلبك لهم يقولون ارنا الورقة فاذا اخذوا الورقة منك قطعوها ويروح منك ثمن الجارية فلما سمع نور الدين علي من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون هذا العمل فقال له انا أشوّر عليك بمشورة فان قبلت مني كان لك الحظ الاوفر قال وما هي قال تجيء هذه الساعة الى عندي وانا واقف وسط السوق وتاخذ الجارية من يدي وتلطمها وتقول لها ياكورة فديت يميني الذي حلفته ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك انه لابد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلتَ ذلك ربما تنطلق عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك ما نزلت بها الى السوق الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء وسط السوق ومسك يد الجارية واشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يامولاي هذا مالكها

قد اقبل ثم جاء نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها
وقال لها ويلك ياكورة نزلت بك السوق لاجل فداء يميني روحي
الى البيت ولا تعودي تخالفيني ويلك انا محتاج الى ثمنك
حتى ابيعك انا لو بعت اثاث البيت جاء قدر ثمنك مرارا عديدة
فلما نظر المعين ابن ساوى الى نور الدين قال له ويلك هل بقي
عندك شيء يباع اويشترى ثم ان المعين بن ساوى اراد ان يبطش به
فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها
انا بين ايديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا انتم لقتلته ثم
اشار واكلهم الي نور الدين بعين الاشارة افتصل منه وقالوا ما احد منا
يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم نور الدين الى الوزير ابن ساوى
وكان نور الدين شجاعا وجذب الوزير من فوق سرجه ورماه على الارض
وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل يلطمه
ويلكمه فجاءت لكمة على اسنانه فاختضبت لحية الوزير بدمه وكان
مع الوزير عشرة مماليك فلما راوا سيدهم فعل به هذه الفعال
وضعوا ايديهم على مقابض سيوفهم واردوا ان يجردوها ويهجموا
على نور الدين علي ليقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا
وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا وفنا آخر فتصيرون مبغوضين
عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا اقبح الموتات
ومن الراى ان لا تدخلوا بينهما فاما فرغ نور الدين علي من ضرب
الوزير اخذ جاريته ومضى الى داره واما الوزير فمضى من ساعته
وبقي قماشه ثلثة الوان طين اسود ودم احمر ورماد فلما راى
نفسه على هذه الحالة اخذ برشا وجعله في رقبته واخذ في
يده عقد تين من خلفه سار الى ان وقف تحت القصر الذي فيه

السلطان و صاح يا ملك الزمان مظلوم مظلوم فاحضروه بين يديه فتامله و اذا به الوزير الكبير فقال له يا وزير من فعل بك هذه الفعال فبكي و انتحب و انشد يقول شعر

اَيَظْلِمُنِي الزَّمَانُ وَاَنْتَ فِيهِ وَتَاْكُلُنِي الذِّيَابُ وَاَنْتَ لَيْثُ
وَيُرْوَى مِنْ حِيَاضِكَ كُلُّ ظَامٍ وَاَظْمَأُ فِي حِمَاكَ وَاَنْتَ غَيْثُ

ثم قال يا سيدي كل من كان يحبك و يخدمك يجري عليه هكذا قال له السلطان ولك عجل و قل لي كيف جرى لك هذا و من فعل بك هذه الفعال و انت حرمتك من حرمتي فقال الوزير اعلم يا سيدي اني خرجت اليوم الى سوق الجواري على اني اشتري جارية طباخة فرايت في السوق جارية ما رايت احسن طول عمري مثلها فاردت اشتريها لمولانا السلطان فسالت عنها الدلال وعن سيدها فقال الدلال انها لعلي بن الفضل بن خاقان وكان مولانا السلطان اعطى سابقا لابيه عشرة آلاف دينار ليشتري بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فاعجبته فبخل بها على مولانا السلطان فاعطاها لولده فلما مات ابوه باع ابنه جميع ما عنده من الاملاك و البساتين و الاواني حتى افلس فنزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها وسلمها للدلال فنادى عليها و تزايدت التجار فيها حتى وصلت ثمنها اربعة آلاف دينار فقلت لعقلي اشتري هذه لمولانا السلطان فان ثمنها في الاصل كان من عنده فقلت يا ولدي خذ ثمنها مني اربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر الي و قال يا شيخ النحس انا ابيعها لليهود و النصارى ولا ابيعها لك فقلت انا ما اشتريها لنفسي و انما اشتريها لمولانا السلطان الذي هو ولي نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني

و رماني عن الجواد و انا شيخ كبير و ضربني بيده ولكنني حتى
تركني كما تراني و انا ما او تعني في هذا كله الا اني جئت اشتري
هذه الجارية لك ثم ان الوزير ارمى نفسه على الارض وجعل يبكي
و يرتعد فلما نظر السلطان الى حالته و سمع مقالته قام عرق الغضب
بين عينيه ثم التفت الى ارباب الدولة واذا بار بعين رجل ضاربين
سيوفا و قفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا الساعة الى دار علي
بن خاقان و انهبوها و اهدموها و ائتوني به و بالجارية مكتفين
واسحبوهما على وجوههما واتوا بهما بين يدي فقالوا له السمع والطاعة
ثم انهم لبسوا العدد ونزلوا وعولوا على المسير الى دار علي نور الدين
وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان اولا من
مماليك الفضل بن خاقان والد علي نور الدين ثم انتقلت منزلته الى
ان عمله السلطان حاجبا عنده فلما سمع مرسوم السلطان ورأى
الاعداء تجهزوا الى قتل ابن سيده ما هان عليه فغاب من قدام
السلطان وركب جواده وسار الى ان جاء الى بيت نور الدين علي
فطرق الباب فخرج له نور الدين فلما رآه عرفه فقال ياسيدي ما هذا
وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

فقال نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك انت
و الجارية فان المعين بن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما في يده
قتلكما وقد سير لكما السلطان اربعين ضاربا بالسيف والراي عندي ان
تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى صولته فوجد

فيه اربعين دينارا فاخذهم واعطاهم الى نور الدين وقال له يا سيدي خذ هذه وسافربهم ولو كان معي اكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية واعلمها بذلك فتخبلت يديها ثم خرج الاثنان في الوقت الى ظاهر المدينة واسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والرئيس واقف في وسط المركب يقول من بقي له حاجة من زاده او من وداع اهله او من نسي حاجة فليات بها فاننا متوجهون فقال كلهم لم يبق لنا شغل يا رئيس فعند ذلك قال الرئيس لجماعته هيا حلوا الاطراف واقلعوا الاوتاد فقال نور الدين علي الى اين يا رئيس فقال الى دار السلام بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرئيس لما قال لعلي نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد فطلع نور الدين علي وطلعت الجارية معه وعوموا وارخوا القلوع فخرجت المركب كأنها طير بجناحيه كما قال فيها بعضهم واحسن شعر

أُنْظُرْ الى مَرْكَبٍ يُسْبِيكَ مَنْظُرُهُ تُسَابِقُ الرِّيحَ فِي سَيْرٍ وَمَجْرَاهِ
كَأَنَّهُ طَائِرٌ قَدْ مَدَّ اَجْنِحَةً اَتَى مِنَ الْجَوِّ مُنْقَضًا عَلَى الْمَاءِ

قال فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ماجرى لهؤلاء واما ما جرى للمماليك فانهم جاؤا على بيت الوزير نور الدين علي فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا الاماكن فلم يقعوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال السلطان اطلبوهما

من اي مكان كانا فيه فقالوا السمع و الطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته و كان خلع عليه السلطان خلعة و اطمأن قلبه وقال له السلطان ما ياخذ بثارك الا انا فدعى له بطول العمر والبقاء ثم ان السلطـان امر ان ينادي في المدينة يا معاشر الناس كافة قد امر مولانا السلطان ان من عثر بعلي نورالدين ابن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة و اعطاه الف دينار ومن اخفاه اوعرف مكانه و لم يخبر به فانه يستحق ما يجري له من النكال فوقع الطلب على نورالدين علي فما وجد له حس ولا خبر فهذا ما كان من امرهؤلاء و اما ما كان من امر نورالدين و جاريته فانهما و صلا بالسلامة الى بغداد فقال الرئيس هذه بغداد وهي مدينة امينة قد ولى عنها الشتاء ببرده و اقبل عليها فصل الربيع بورده و ازهرت اشجـارها و جرت انها رها فعند ذلك طلـع نورالدين علي و جاريته من المركب واعطى للرئيس خمسة دنانير وطلعا من المركب و سارا قليلا فرمتهمـا المقادير بين البساتين فجاءا الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمساطب طولانية و قواديس معلقة ملآنة بالماء و فوقه مكعب من القصب بطول الزقاق و في صدر الزقاق باب بستان الا انه مغلوق فقال نورالدين على للجارية و الله ان هذا محل مليح فقالت ياسيدي اقعد بنا ساعة على هذه المساطب ناخذ لنا راحة فطلعا وجلسا على المساطب ثم غسلا وجوههما و ايديهما وضربهما الهواء فناما جـلّ من لا ينـام وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة و فيه قصر يقال له قصر الفرجة والتماثيل و هوللخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره يا تي الى هذا البستان والقصر ويقعد فيه وكان القصرله ثمانون شُبّاكا ومعلق فيها ثمانون قنديلا وفي

وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة امر الجواري
ان تفتح الشبابيك وامر باسحاق بن ابراهيم النديم والجواري
ان يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير
يقال له الشيخ ابراهيم وكان اذا خرج يقضي حاجته يجد المتفرجين
معهم القحاب فيغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء
عنده الخليفة في بعض الايام فاعلمه بذلك فقال الخليفة ايّ من
اصبته على باب البستان افعل معه ما اردت فلما كان ذلك اليوم
خرج الشيخ ابراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين
على باب البستان مغطيين بازار واحد فقال والله طيب هؤلاء ما عرفا
ان الخليفة اعطاني اذن ومرسوم ان كل من لقيته هنا اقتله ولكن
انا اضرب هذين ضربا شيعا حتى لا يتقرب احد من باب البستان
وقطع جريدة خضراء وخرج الى عندهما وشال يده حتى بان
من بياض ابطه واراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف
تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين او من ابناء السبيل
ورمتهما المقادير هنا فانا اكشف وجوههما وانظر اليهما فشال الازار
عن وجوهما وقال هذان حسنان لا ينبغي ان اضربهما فغطى وجوههما
وتقدم لرجل نورالدين علي وجعل يكبسها ففتح عينيه فوجد
عند رجليه شيخا كبيرا عليه هيبة ووقار فاستحى نورالدين علي ولمّ
رجليه وقعد على حيله واخذ يد الشيخ ابراهيم وباسها فقال الشيخ له
يا ولدي انت من اين فقال يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة
من عينيه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم اوصى على اكرام الغريب ثم قال له يا ولدي ما تقوم تعبر
الى البستان وتتفرج فيه وينشرح صدرك فقال له نورالدين يا سيدي

هذا البستان لمن قال يا ولدي هذا البستان ورثته من اهلي وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا ان يطمئنـا و يعبروا البستان فلما سمع نورالدين كلامه شكره و قام هو و جاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان واىّ بستان بابه مقنطر كانه ايوان عليه كروم و اعنابه مختلفة الالوان الاحمر كانه يا قوت والاسود كانه آبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا و غير صنوان و الاطيار على الاغصان تغرد بالالحان و الهزار يرجع الافنـان والقمري قد ملأ بصوته المكان والشحرور في تغريده كانه انسان والفاخت كانه شارب نشوان والاشجار قد كملت الاثمار من كل مأكول و من كل فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي و خراسان والبرقوق كانه لون الحسان والقراصية تغمع صفر الاسنان والتين قد فرق احمره و ابيضه لونان و الزهر كانه اللؤلؤ و المرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت علق عليه بالليل النيران والآس والمنثور والخدام مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام و ضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كانه اكواب و الليمون كبنادق من ذهب و فرشت الارض بالزهر من سائر الالوان و اقبل الربيع فاشرق ببهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير لاعتدال الزمان ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فنظروا الى حسن تلك القاعة و تلك الشموع [illegible] التي في تلك الشبابيك فذكر نورالدين المقامات [illegible] له فقال والله ان هذا مقام مليح ثم انهما جلسا فقدم لهما الشيخ [illegible] كفايتهما ثم غسلا ايديهما وتقدم نورالدين الى شبّاك [illegible] تلك الشبابيك و زعق على جاريته فاتت اليه فصارا ينظران الى

الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت نورالدين الى الشيخ ابراهيم
وقال له يا شيخ ابراهيم ما عندك شيٌ من الشراب لان الناس يشربون
بعد ان يا كلوا فاتاه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد عذب فقال له ياشيخ
ابراهيم ما هذا الشراب الذي اريده فقال له لعلك تريد الخمرة فقال
له نورالدين نعم فقال اعوذ بالله منها ان لي ثلٰثة عشر سنة ما فعلت
ذلك لان النبي صلى الله عليه و سلم لعن شاربه وعاصره و بائعه و
مبتاعه فقال له نورالدين اسمع مني كلمتين قال له قل فقال هذا
الحمار الملعون اذا لعن هل يصيبك من لعنته شيٌ قال لا قال خذ هذا
الدينار وهذين الدرهمين و اركب هذا الحمار وقف الى بعيد
واىّ من وجدته يشترى فناد عليه و قل له خذ هذين الدرهمين
و اشتر لي بهذا الدينار خمرا و احمله على الحمار ولا نكن انت
حملته ولا اشتريته ولا اصابك منه شيٌ فقال الشيخ ابراهيم و قد
ضحك من كلامه و الله يا ولدي ما رايت اظرف منك ولا احلى
من كلامك ثم ان الشيخ ابراهيم فعل ما قاله نورالدين فشكره على
ذلك و قال له نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الا الموافقه
تحضر لنا ما نحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي هذا كراري قدامك
و هو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان
فيه فوق ما تريد فدخل نورالدين الحاصل فراى فيه اواني من
الذهب و الفضة و البلور مرصعة با صناف الجواهر فاخرجها و رصّها
و سكب الخمرة فى البواطي و القناني و فرح بماراى و اندهش و اتى
لهما الشيخ ابراهيم بالفاكهة و المشموم ثم ان الشيخ راح و قعد
بعيد اعنهما فشربا و انبسطا و قد تحكم معهما الشراب و احمرت
خدودهما وتغازلت عيونهما و اسبلت شعورهما و تبدلت الوانهما

فقال الشيخ ابراهيم مالي انا قاعد بعيدا ومالي لا اقعد عندهما واي وقت اتفق في حضرتي مثل هذين الاثنين اللذين كانهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد في طرف الايوان فقال له نورالدين علي يا سيدي بحياتي عليك تقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم اليهما فملأ نورالدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تنظر ايش طعمه فقال الشيخ ابراهيم اعوذ بالله ان لي ثلثة عشر سنة ما فعلت شيئا من ذلك فتغافل عنه نورالدين وشرب القدح ورمى روحه على الارض واظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه انيس الجليس وقالت له يا شيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها يا ستي ما له قالت دائما يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وابقى انا وحدي ما اتفق لي نديما ينادمني على قدحي ولا من اغني له على قدحه فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت اعضاؤه ومالت نفسه من كلامها اليها وقال والله ما هذا طيب ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتي الا ما اخذته وشربته ولا ترده واجبر قلبي فمد الشيخ ابراهيم يده واخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا وجعلته على الشمعة وقالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا اقدر ان اشربه يكفيني الذي شربته فقالت له والله لا بد منه فاخذ القدح وشربه ثم اعطته الثالث فاخذه واراد ان يشربه واذا بنورالدين هم وقعد على حيله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نورالدين علي قام وقعد على

حيله فقال له يا شيخ ابراهيم ايش هذا انا ما حلفت عليك من ساعة فابيت و قلت انا لي ثلثة عشر سنة ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم و قد استحيى و الله مالي ذنب الا هي قالت لي فضحك نورالدين و قعدوا للمنادمه فالتفتت الجارية و قالت لسيدها سرا فيما بينهما يا سيدي اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى افرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقي سيدها و سيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم و قال لهما ايش هذه المعاشرة لعن الله من فيها بطنا مي دورنا ما تسقيني يا اخي ايش هذا الحال يا مبارك فضحكا من كلامه حتى استلقيا على ظهورهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا فى المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم واوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال اها قومي ولا توقدي الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها و ابتدأت من اول الشمع الى ان اوقدت الثمانين شمعة ثم قعدت و بعد ذلك قال نورالدين يا شيخ ابراهيم و انا ايش قسمي عندك اما تخليني اوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم و اوقد قنديلا واحدا ولا تتثاقل انت الآخر فقام و ابتدأ من اولها الى ان اوقد الثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر انتما اجرع منى ثم انه نهض على قدميه و فتح الشبابيك جميعا و جلس و ايا هما ينناد مون ويتناشدون الاشعار وقد ارهج بهم المكان فقدر الله القادر على كل شيء وجعل لكل شيء له سببا ان الخليفة في تلك الساعة تفقد و نظر الى الشبابيك التي في نا حية الدجلة في ضوء القمر فنظر ضوء القنديل والشموع فى البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة

فرای قصر البستان يرهج من تلک الشموع والقناديل فقال عليّ بجعفر البر مكي فما كان الاوقد حضر بين يدي امير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء اتاخذ مني مدينة بغداد ولا تعلمني فقال له جعفر ايش هذا الكلام فقال له لولا ان مدينة بغداد اخذت مني ما كان قصر التماثيل يتوقد بالقناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلک من الذي يستجري يفعل هذه الفعال الا ان تكون اخذتَ الخلافة مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن اخبرک بان قصر التماثيل موقود وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظرنا حية البستان فوجد القصر يشتعل بالمصابيح في حندس الظلام فاراد جعفر ان يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولي ربما يكون هذا الامر باذنه لمارای فيه من المصلحة فقال يا امير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم فی الجمعة التي مضت قال لي ياسيدي جعفر اني اشتهي ان افرح اولادي في حياة امير المؤمنين وحياتک فقلت له وايس نحتاج فقال لي تاخذ لي مرسوما من الخليفة باني اطاهر اولادي فی القصر فقلت له رح طاهرهم وانا اجتمع بالخليفة واعلمه بذلک فراح من عندي على هذا الحال ونسيت ان اعلمک فقال الخليفة يا جعفر كان لک عندي ذنب واحد فصار لک عندي ذنبان لانک اخطأت من وجهين الوجه الاول انک ما اعلمتني بذلک والوجه الثاني انک ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ما جاء اليک وقال لک هذا الكلام الا تعريضا لطلب شيء من المال يستعين به فلا اعطينه شيأ ولا اعلمتني فقال جعفر يا امير المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائي واجدادي ما اتم بقية ليلتي الا عنده فانه رجل صالح يقوم بالمشائخ والفقراء ويعزمهم ويكونون مجتمعين عنده عسى دعوة واحد منهم

يحصـــل لنا بها خيرا فى الدنيـا و الآخرة و في هذا الامر مصالح له بحضوري عنده و يفرح الشيخ ابراهيم فقال جعفر يا اميرالمؤمنين الوقت امسى و هم الساعة على فروغ فقال الخليفة لابد من الرواح عندهم فسكت جعفر و تحير و بقي لايدري مايفعل فنهض الخليفة على قدميه وبقي جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم و مشوا الثلثة متنكرين و نزلوا من قصر الخلافة و جعلوا يشقون فى الازقات و هم في زي التجار الى ان و صلوا الى باب البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى باب البستان مفتوحا فتعجب و قال انظر يا جعفر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هي عادته ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان و وقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفرا ريد ان اتسلل عليهم قبل ان اطلع لهم حتى انظر اي شيء هم فيه و انظر الى المشائخ فاني الى الآن لم اسمع لهم حسا ولا فقيرا يذكرالله ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفرا ريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك و انظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع الى ان طلع على الفرع الذي يقابل الشبّاك و قعد فوقه و نظر من شباك القصر فرأى صبية وصبيا كانهما قمران سبحان من خلقهما وصوّرهما وراى الشيخ ابراهيم قاعدا وفي يده قدح وهو يقول يا ست الملاح الشرب بلا طرب ما هو فلاح فاني سمعت الشاعر يقول شعرا

أَدِرْهَا بِالْكَبِيرِ وَ بِالصَّغِيرِ وَخُذْهَا مِنْ يَدِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
وَ لَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيرِ

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب

بين عينيه ونزل وقال يا جعفر انا ما رايت الصالحين على هذا الحال ابدا فاطلع انت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام امير المؤمنين صار متحيرا في امره وصعد الى اعلا الشجرة واذا به نظر فراى نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية وكان الشيخ ابراهيم في يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ونزل ووقف بين يدي امير المؤمنين فقال له الخليفة يا جعفر الحمد لله الذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة فلم يقدر جعفر يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من اوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن ادخلهم قصري ولكن مثل حسن هذا الصبي وهذه الصبية ما رأت عيني قط فقال جعفر وقد استرجى رضاء الخليفة هرون الرشيد صدقت يا مولانا السلطان فقال يا جعفر اطلع بنا الى هذا الفرع الذي هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظرا هما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتي قد تركت الوقار بشرب العقار ولايلذ ذلك الابنغمات الاوتار فقالت له انيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شيء من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ايش رائح يعمل فقال جعفر لا ادري فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعه عود فتامله الخليفة فاذا هو عود ابي اسحاق النديم فقال الخليفة والله ان غنت هذه الجارية وحشا لاصلبنكم كلكم وان غنت مليحا فاني عفوت عنهم واصلبك انت فقال جعفر اللهم اجعلها تغني وحشا فقال الخليفة لاي شيء فقال لاجل ان تصلبنا كلنا نؤنس بعضنا البعض فضحك الخليفة من كلامه ثم ان الجارية اخذت العود وافتقدته

واصلحت اوتاره وضربت ضربا تتشوق القلوب اليها ثم انشدت وجعلت تقول شعـــــــــرا

يَا نَاصِرِينَ مَسَاكِينًا مُحِبِّينَا ... نَارُ الْمَحَبَّةِ وَالْاَشْوَاقِ تَكْوِيْنَا
مَهْمَا فَعَلْتُمْ فَكُنَّا مُسْتَحِقِّينَا ... نَحْنُ اسْتَجَرْنَا بِكُمْ لَا تُشْمِتُوا فِينَا
فَاِنَّنَا اَهْلُ ذُلٍّ ثُمَّ مَسْكَنَةٍ ... مَهْمَا تَشَاؤُوهُ فِينَا فَافْعَلُوا فِينَا
مَا الْفَخْرُ اَنْ تَقْتُلُونَا فِي مَنَازِلِكُمْ . وَاِنَّمَا خَوْفُنَا اَنْ تَا تُمُوافِينَا

فقال الخليفة والله طيب يا جعفر عمري ماسمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من فوق الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال اريد ان اطلع واجلس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي فقال يا امير المؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا واما الشيخ ابراهيم فيموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لا بد ان تعرفني ان اتحيل عليهم بحيلة وادخل عليهم من غيران يشعروا بي ثم ان الخليفة وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران في هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد تحت شبابيك القصر وكان الخليفة سابقا زعق على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الحس الذي سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت صيادين السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنعت الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد سمك يسمى كريما وراى باب البستان مفتوحا فقال في نفسه هذا وقت غفلة اغتنم في هذا الوقت صيد السمك ثم اخذ شبكته وطرحهــا في البحر واذا بالخليفة وحده واقف على راسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه يسميه باسمه

فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال و الله يا امير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم و لكن الفقر و العيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطد على اسمي فتقدم الصياد وقد فرح و طرح الشبكة و صبر حتى اخذت حدها و ثبتت في القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من انواع السمك ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن و فيها من القمل المذنب وقلع من على رأسه عمامة وكان لها ثلث سنين ما حلها الا كل ما رأى خرقة خيطها عليها فلما قلع الجبة و العمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين سكندري و بعلبكي من حرير و ملوطة و فرجية ثم قال للصياد خذهم و البسهم ولبس الخليفة جبة الصياد و عمامته و ضرب له لثام ثم قال للصياد رح انت الى شغلك فقبل رجل الخليفة و شكره وجعل يقول شعرا

أَوْلَيْتَنِي نِعَمًا أَبُوحُ بِشُكْرِهَا ... وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الْأُمُورِ بِأَسْرِهَا
فَلَأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ... شَكَرَتْكَ مِنِّي أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا

فما فرغ الصياد من شعره حتى دب القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرميه ثم قال يا صياد ويلك ما هذا الا قمل كثير في هذه الجبة فقال يا سيدي هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة لا تحس به و لا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك انا اخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصياد اني اشتهي اقول لك كلاما فقال له قل ما عندك فقال له خطر ببالي يا امير المؤمنين لما اردت ان تتعلم الصيد لاجل ما يبقى في يدك صنعة تنفعك فينا صبك هذه الجبة

فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله ثم ان الخليفة اخذ معطف السمك ووضع فوقه قليلا من الخضرة واتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انه كريم الصياد فخاف عليه وقال له يا كريم ايش جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة هذه الليلة في البستان ومتى رآك راحت رقبتك فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك فلما ضحك عرفه جعفر فقال له لعلك مولانا السلطان فقال الخليفة نعم ياجعفر وانت وزيري وجئت انا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى ارجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر وطرقه طرقا خفيفا فقال نور الدين ياشيخ ابراهيم باب القصر يدق فقال الشيخ ابراهيم من بالباب فقال له انا ياشيخ ابراهيم فقال له من انت قال انا كريم الصياد وسمعت ان عندك اضيافا فجئت اليك بشيء من السمك فانه مليح فلما سمع نور الدين سيرة السمك فرح هو وجاريته وقالا ياسيدي افتح له ودعه يدخل لنا بالسمك الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم اهلا باللص السارق المقامر تعال أرنا السمك الذي معك فاراهم اياه فلما نظروه فاذا هو بالحيوة يتحرك فقالت الجارية والله ياسيدي ان هذا السمك مليح ياليته مقلي فقال الشيخ ابراهيم والله ياستي صدقتِ ثم انه قال للخليفة ياصياد لايش ما جئت بهذا السمك مقليا قم الآن واقله لنا وهاته لنا فقال الخليفة حاضر اقليه لكم واجيئه فقالوا له هيّا فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال له ياجعفر فقال نعم يا امير المؤمنين خيرا فقال له طلبوا السمك مني مقليا فقال جعفر يا امير المؤمنين

هاته وانا اقليه لهم فقال الخليفة وتربة آبائي واجدادي ما يقليه الا انا بيدي ثم ان الخليفة اتى الى خص الخولي وفتش فيه فوجد كل ما يحتاجه فيه حتى الملح والزعفران والصعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق الموز واخذ من البستان نفيا وليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين ايديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم واكلوا فلما فرغوا من الاكل غسلوا ايديهم فقال نور الدين والله ياصياد اتيتنا بفضيلة مليحة في هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه واخرج له ثلثة دنانير من الدنانير التي اعطاهم له سنجر وقت خروجه للسفر وقال له يا صياد اعذرني فوالله لو عرفتني قبل الذي حصل لي لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا على حسب البركة ثم رماهم للخليفة فاخذهم الخليفة وباسهم وشالهم وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهي تغني فقال له الخليفة احسنت وتفضلت لكن مرادي من تفضلاتك العميمة ان هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى اسمعها فقال نور الدين علي يا انيس الجليس قلت نعم قال لها بحياتي غني لنا شيأ من شان خاطر هذا الصياد لانه يريد ان يسمعك فلما سمعت الجارية كلام سيدها اخذت العود وحركته بعد ان اصلحت اوتاره وانشدت تقول

وَغَادَةٍ مَسَكَتْ لِلْعُودِ اَنْمُلُهَا فَعَادَتِ النَّفْسُ عِنْدَ الجَسِّ تَخْتَلِسُ
غَنَّتْ فَاَبْرَءَ غِنَاهَا مَنْ بِهِ صَمَمٌ وَقَالَ اَحْسَنْتِ حَقًّا مَنْ بِهِ خَرَسُ

ثم انها ضربت ضربا بديعا الى ان اذهلت العقول وانشدت تقول هذه الابيات شعر

وَلَقَدْ شُرِفْنَا اِذْ نَزَلْتُمْ اَرْضَنَا ... وَمَحَا سَنَاكُمْ ظُلْمَةَ الدَّيْجُورِ
فَيَحِقُّ لِي اِنِّي اُخَلِّقُ مَنْزِلِي ... بِالْمِسْكِ وَالْمَا وَرْدِ وَالْكَافُورِ

فعند ذلك اضطرب الخليفة وغلب عليه الوجد فلم يتمالك نفسه من شدة الطرب الى ان قال والله طيب والله طيب والله طيب فقال نور الدين يا صياد هل اعجبتك الجارية فقال الخليفة اي والله فقال نور الدين هي هبة مني اليك هبة كريم لا يرد في عطائه ولا يرجع في هبته ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه واخذ ملوطة ورماها على الصياد وامره ان يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت له يا سيدي انت رائح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى اودعك واشرح حالي ثم انشدت وجعلت تقول هذه الابيات شعر

عِنْدِي مِنَ الشَّوْقِ وَالتِّذْكَارِ وَالبُرَحَا ... مَا صَيَّرَ الْجِسْمَ مِنْ فَرْطِ الضَّنَى شَبَحَا
اَحْبَابَنَا لَا تَقُولُوا لِي سَلَوْتُكُمُ ... وَالْحَالُ بِالْحَالِ وَالتَّبْرِيحُ مَا بَرِحَا
لَوْ كَانَ يَسْبَحُ حَيٌّ فِي مَدَامِعِهِ ... لَكُنْتُ اَوَّلَ مَنْ فِي دَمْعِهِ سَبَحَا
يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي قَلْبِي مَحَبَّتُكُمْ ... كَمَا تَحَكَّمَ مَزْجُ الْخَمْرِ بِالْقَدَحَا
هَذَا الْفِرَاقُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ اَحْذَرُهُ ... يَا مَنْ هَوَاهُ بِقَلْبِي وَالْحَشَا مَزَحَا
يَا ابْنَ خَاقَانَ يَا سُولِي وَيَا اَمَلِي ... يَا مَنْ هَوَاهُ بِقَلْبِي قَطُّ مَا بَرِحَا
قَدْ كُنْتَ عَادَيْتَ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا ... لِاَجْلِي وَعُدْتَ عَنِ الْاَوْطَانِ مُنْتَزِحَا
لَا اَوْحَشَ اللّٰهُ مِنْ سَيِّدِي عَلَى فَقْدِي ... وَهَبْتَنِي لِكَرِيمٍ ظَلَّ مُمْتَدِحَا

فلما فرغت من شعرها اجابها نور الدين وهو يقول شعرا

وَدَّعَتْنِي يَوْمَ الْفِرَاقِ وَقَالَتْ ... وَهْيَ تَبْكِي مِنْ لَوْعَةِ الْاِشْتِيَاقِ
مَا الَّذِي اَنْتَ صَانِعٌ بَعْدَ بُعْدِي ... قُلْتُ قُولِي هَذَا لِمَنْ هُوَ بَاقِ

ثم انه لما سمع الخليفة قولها في شعرها وهبتني لكريم ازداد فيها رغبته وصعب عليه التفريق بينهما وعزّ عليه وقال للصبي ياسيدي ان هذه الجارية قد ذكرت في شعرها انك عاديت لسيدها ومن ملكها فاخبرني انت لمن عاديتَ ولِمَن له عليك طلب فقال نور الدين والله ياصياد جرى لي ولهذه الجارية حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة اما تحدثنا بما جرى لك من حديثك وتعرفنا بخبرك عسى ان يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نور الدين يا صياد هل تسمع حديثنا نظما او نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك اطرق نور الدين رأسه الى الارض وانشد يقول هذه الابيات شعر

يَاخَلِيلِي إِنِّي هَجَرْتُ رُقَادِي وَتَزَايَدَ هَمِّي لِبُعْدِ بِلَادِي
وَالِدٌ كَانَ لِي عَلَيَّ شَفُوقًا غَابَ عَنِّي وَجَاوَرَ الْأَلْحَادِ
فَأَتَتْ بَعْدَهُ عَلَيَّ أُمُورٌ صِرْتُ مِنْهَا مُفَتَّتَ الْأَكْبَادِ
اِشْتَرَى لِي مِنَ الْجَوَارِي خُودًا يَخْجَلُ الْغُصْنُ قَدُّهَا الْمَيَّادِ
فَصَرَفْتُ الَّذِي وَرِثْتُ عَلَيْهَا وَتَكَرَّمْتُ بِهِ عَلَى الْأَجْوَادِ
سُمْتُهَا الْبَيْعَ إِذْ تَزَايَدَ هَمِّي وَجَوَى الْبَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِي
وَإِذَا مَادَعَا إِلَيْهَا مُعَادٍ زَادَ فِيهَا شَيْخٌ كَثِيرُ الْفَسَادِ
فَلِهَذَا اغْتَظْتُ غَيْظًا شَدِيدًا وَنَتَرْتُ يَدَهَا مِنْ يَدِ الْأَوْغَادِ
فَلَكَمَنِي هٰذَا اللَّئِيمُ بِغَيْظٍ ثُمَّ قَادَتْ فِيهِ لَظَى الْأَحْقَادِ
فَلَكَمْتُهُ مِنْ حُرْقَتِي بِيَمِينِي وَشِمَالِي حَتَّى شَفَيْتُ فُؤَادِي
وَمِنَ الْخَوْفِ قَدْ أَتَيْتُ لِدَارِي وَتَغَيَّبْتُ خِيفَةَ الْأَضْدَادِ
فَأَمَرَ حَاكِمُ الْبِلَادِ بِمَسْكِي فَأَتَى الْحَاجِبُ الْكَثِيرُ السَّدَادِ

رَامِزًا لِي إِنِّي أَسِيرٌ بَعِيدًا وَأَغِيبُ عَنْهُمْ وَأَكْمَدُ الْحُسَّادِي
قَطَّعْنَا مِنْ دَارِنَا جِنْحَ لَيْلٍ طَالِبِينَا الْمَقَامَ فِي بَغْدَادِ
لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الذَّخَائِرِ عِنْدِي أُعْطِيكَ غَيْرَ مَا وَهَبْتُ يَا صَيَّادِ
غَيْرَ إِنِّي أُعْطِيكَ مَحْبُوبَ قَلْبِي فَتَيَقَّنْ إِنِّي وَهَبْتُ فُؤَادِي

فلما فرغ من شعره قال له الخليفة يا سيدي نورالدين اشرح لي امرك فاخبره نورالدين بخبره من مبتدأ الامر الى منتهاه فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له اين تقصد في هذه الساعة قال له بلادالله فسيحة فقال له الخليفة اذا كتبت لك ورقة تؤديها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لم يضرك بشيءٍ ولا يؤذيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لنورالدين علي انا اكتب لك ورقة تؤديها للسلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيءٍ فقال له نورالدين علي وهل فى الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شيءٌ لا يكون ابدا فقال له الخليفة صدقت و لكن اقول لك على السبب اعلم اني قرأت انا و اياه في مكتب واحد عند فقيه واحد وكنت انا عريفه ثم بعد ذلك ادركته السعادة وصار سلطانا و انا نقلني الله و جعلني صيادا و انا لم ارسل له في حاجة الاقضاها و لو ارسلت له كل يوم الف حاجة لقضاها فلما سمع نورالدين كلامه قال له طيب اكتب حتى انظر فاخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة اما بعد فان هذا الكتاب من هارون الرشيد

بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبا عني في بعض مملكتي ان الواصل اليک هذا الكتاب صحبة نورالدين علي ابن خاقان ابن الوزير فساعة وصوله الى عندک انزع نفسک من الملک ووَلِّهِ ولا تخالف امري والسلام ثم اعطى الكتاب لنورالدين علي بن خاقان فاخذ الكتاب نورالدين وباسه وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافرا هذا ماجرى له واما ما كان من امر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه وهو في صورة الصيادين وقال له يا احقر الصيادين قد جئت لنا سمكتين تساويان عشرين نصفا اخذت ثلثة دنانير وتريد تاخذ الجارية اخرى فلما سمع الخليفة كلامه صاح عليه واومى الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر ارسل مع رجل من صبيان الغيط لبواب القصر يطلب منه بدلة الملک فذهب الرجل وطلع بالبدلة وباس الارض بين يدي الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه ولبس تلک البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسي والخليفة واقف ينظر ما يجري فعند ذلک بهت الشيخ ابراهيم وبقي ساهيا وهو يعض انامله ويقول يا ترى انا نائم ام يقظان فنظر اليه الخليفة وقال يا شيخ ابراهيم ما هذا الحال الذي انت فيه فعند ذلک افاق من سكره ورمى نفسه الى الارض وانشد يقول شعر

هَبْ لِي جِنَايَةَ مَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ ... فَالْعَبْدُ يَطْلُبُ مِنْ سَادَاتِهِ الْكَرَمُ

فَعَلْتُ مَا يَقْتَضِيهِ الذَّنْبُ مُعْتَرِفًا ... فَأَيْنَ مَا يَقْتَضِيهِ الْعَفْوُ وَالْكَرَمُ

فعفى عنه الخليفة وامر بالجارية ان تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر افرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمي اني ارسلت سيدک سلطانا على البصرة فان شاء الله تعالى نرسل اليه خلعة

و نر ملك له هذا ما جرى لهؤلاء واما ماجرى لنورالدين علي ابن
خاقان فانه لم يزل مسافرا حتى طلع الى البصرة وطلع قصر السلطان
ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه
قبل الارض بين يديه ثم اخرج الورقة وقدمها له فلما راى عنوان
الكتاب بخط اميرالمؤمنين قام و وقف على قدميه و قبلها ثلث
مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولاميرالمؤمنين ثم انه
احضر القضاة الاربعة والامراء واراد ان يخلع نفسه من الملك واذا
بالوزير الذي هو المعين بن ساوى قد حضر فاعطاه السلطان
الورقة فلما قرأها قطعها عن آخرها واخذها في فمه و مضغها
ورماها فقال له السلطان و قد غضب ويلك ما الذي حملك على
هذه الفعال فقال له وحياتك يا مولانا السلطان هذا ما اجتمع
بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة بخط
الخليفة بطالة فعمل غرضه فيها وان الخليفة لم يرسل ياخذه منك
السلطنة ولا معه خط شريف ولا تعليق ولاجاء من عند الخليفة ابدا
ابدا ابدا ولوكان هذا الامر وقع لارسل معه حاجبا او وزيرا لكنه
جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معي هذا الشاب وانا
آخذه واتسلمه منك و ارسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد
فان كان كلامه صحيحا ياتينا بخط شريف وتقليد فان لم يات به انا
آخذ حقي من غريمي هذا فلما سمع السلطان كلام الوزير المعين
بن ساوى قال له دونك واياه فتسلمه الوزير من السلطان و نزل به
الى داره وزعق على الغلمان فمدوه وضربوه الى ان اغمي عليه
وجعل فى رجليه قيدا ثقيلا وجاءبه الى السجن وزعق على السجّان فلما
حضر باس الارض بين يديه وكان هذا السجّان يقال له قطيط فقال له

يا قطيط اريد ان تاخذ هذا وترميه في مطمورة من المطامير التي
عندك في السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال السجان سمعا وطاعة
ثم ان السجان ادخل نورالدين السجن وقفل عليه الباب ثم امر
بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بمقعد ونطع واجلس نورالدين
عليها وفك قيده واحسن اليه وكان الوزير كل يوم يرسل يوصي
السجان بضربه والسجان يدافع عنه الى مدة اربعين يوما فلما
كان اليوم الحادي والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما
رآها السلطان اعجبته فشاور الوزراء في امرها فقال بعض لعل
هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوى
انما كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله
لقد ذكرتني به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة
فقام وقال له ان قصدي ان انادي في المدينة من اراد ان يتفرج
على ضرب رقبة نورالدين علي بن خاقان فليات الى القصر فياتي
التابع والمتبوع ليتفرج عليه واشفي فؤادي واكمد حسادي فقال له
السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور واقبل
على الوالي وامره ان ينادي بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادي
حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار في المكاتب والسوقة في الدكاكين وتسابق
الناس باخذون لهم اماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس
الى السجن حتى ياتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة مما ليك
الى السجن فقال قطيط السجان ماتطلب يا مولانا الوزير فقال احضر لي
هذا العلق فقال السجان انه في ايشم حال من كثرة ما ضربته
ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

مَنْ لِّي يُسَاعِدُنِي على بَلْوَائِي فَقَدْ زَادَ بِي دَائِي وَعَزَّ دَوَائِي

وَٱلْهَجْرُ اَضْنَى مُهْجَتِي وَحُشَاشَتِي وَٱلدَّهْرُ رَدَّ اَحِبَّتِي اَعْدَائِي
يَا قَوْمِ هَلْ فِيكُمْ رَفِيقٌ مُشْفِقٌ يَرْثِي لِحَالِي اَوْ يُجِيبُ نِدَائِي
فَالْمَوْتُ هَانَ عَلَيَّ مَعْ سَكَرَاتِهِ وَقَطَعْتُ مِنْ طِيبِ ٱلْحَيٰوةِ رَجَائِي
يَا رَبِّ بِٱلْهَادِي ٱلْبَشِيرِ ٱلْمُصْطَفَى بَحْرِ ٱلْعُلُومِ وَسَيِّدِ ٱلشُّفَعَاءِ
اَدْعُوكَ تُنْقِذُنِي وَتَغْفِرُ زَلَّتِي وَتُزِيلُ عَنِّي شِقْوَتِي وَعَنَائِي

فعند ذلك نزع عنه السجان الثياب النظيفة والبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظره نورالدين فاذا هو بعدوه الذي هو طالب قتله فلما رآه بكى وقال له هل امنت الدهر اما سمعت قول الشاعر

اَيْنَ ٱلْاَكَاسِرَةُ ٱلْجَبَابِرَةُ ٱلْاُلَى كَنَزُوا ٱلْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا

ثم قال له يا وزير اعلم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال له يا علي اتخوفني بهذا الكلام فانا في هذا اليوم اضرب رقبتك على رغم انف اهل البصرة ولم افكر ودع الايام تفعل ما تريد ولا التفت الى نصحك وانما التفت الى قول الشاعر

دَعِ ٱلْاَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا بِمَا فَعَلَ ٱلْقَضَاءُ

وما احسن قول الآخر

مَنْ عَاشَ بَعْدَ عَدُوِّهِ يَوْمًا فَقَدْ بَلَغَ ٱلْمُنَى

ثم ان الوزير امر غلمانه ان يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لنورالدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه ولو كانت تروح ارواحنا فقال لهم نورالدين علي لا تفعلوا ذلك ابدا اما سمعتم قول الشاعر يقول

لَابُدَّ لِي مِنْ مُدَّةٍ مَحْتُومَةٍ فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا مُتُّ
لَوْ أَدْخَلَتْنِي الْأُسْدُ فِي غَابَاتِهَا لَمْ تَفْنِهَا مَا دَامَ لِي وَقْتُ

ثم انهم نادوا على نور الدين هذا اقل جزاء من يزور على الملوك بالباطل ولا زالوا يطوفون به في البصرة الى ان اوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه في نطع الدم وتقدم اليه السياف وقال له يا سيدي انا عبد مامور في هذا الامر ان كان لك حاجة فاخبرني بها حتى اقضيها لك فانه ما بقي من عمرك الا قدر ما يُخرِج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا و شمالا و خلفا و اماما و انشد يقول

أَرَى السَّيْفَ وَالسَّيَّافَ وَالنِّطْعَ أُحْضِرُوا فَنَادَيْتُ يَا ذُلِّي وَعِظَمَ مَصَائِبِي
وَمَالِي أَرَى خِلًّا شَفُوقًا يُعِينُنِي سَأَلْتُكُمُوا رُدُّوا عَلَيَّ جَوَابِي
مَضَى الْوَقْتُ مِنْ عُمْرِي وَحَانَتْ مَنِيَّتِي فَهَلْ رَاحِمٌ لِي كَي يَنَالُ ثَوَابِي
وَيَنْظُرُ فِي حَالِي وَيَكْشِفُ بَلْوَتِي بِشَرْبَةِ مَاءٍ كَيْ يَهُونَ عَذَابِي

فتباكت الناس عليه وقام السياف واخذ شربة ماء وقدمها له فنهض الوزير من مكانه وضرب قُلَّةَ الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وامره بضرب رقبته فعند ذلك عصب عيني نور الدين فزعقت الناس على الوزير وقام العياط وكثر سؤال بعضهم من بعض فبينما هم كذلك اذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد في القصر قال لهم انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبلُ فقال له السلطان اصبر انت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر البرمكي وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم ان الخليفة مكث ثلثين يوما لم يتذكر

قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له احد الى ان جاء ليلة من بعض الليالي الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت حسن ظريف قول الشاعر

خَيَالُكَ فِى التَّبَاعُدِ وَالتَّدَانِي وَذِكْرُكَ لَا يُفَارِقُهُ لِسَانِي

ثم تزايد بكاؤها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى انيس الجليس وهي تبكي فلما رات الخليفة وقعت الى الارض فقبلت رجليه ثلث مرات ثم انها انشدت تقول شعر

أَيَا مَنْ زَكَى أَصْلاً وَطَابَ وِلَادَةً وَأَثْمَرَ غُصْنًا يَانِعًا وَزَكَى غَرْسَا
أُذَكِّرُكَ الْوَعْدَ الَّذِي سَمَحَتْ بِهِ مَحَاسِنُكَ الْحُسْنَى وَحَاشَاكَ أَنْ تَنْسَى

فقال الخليفة من انت فقالت انا هدية علي ابن خاقان اليك واريد انجاز الوعد الذي وعدتني به من انك ترسلني اليه مع التشريف والآن لي هنا ثلثون يوما لم اذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكي وقال له ياجعفر من منذ ثلثين يوما لم اسمع خبرا عن علي بن خاقان وما اظن الا ان السلطان قتله ولكن وحيوة راسي وتربة آبائي واجدادي ان جرى له امر مكروه لا هلكن من كان السبب فيه ولو كان اعز الناس عندي واريد ان تسافر في هذه الساعة الى البصرة وتاتي باخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي بن خاقان وقال له ان غبت اكثر من مسافة الطريق ضربت رقبتك وانت تعلم ابن عمي بقضية نورالدين علي بن خاقان واني ارسلته بكتابي وان وجدت يا بن عمي عمل الملك بغير ما ارسلت به اليه فاحمله واحمل الوزير المعين بن ساوى على الهيئة التي تجدهم عليها ولاتغيب اكثر من مسافة الطريق فقال جعفر السمع والطاعة ثم ان

جعفر تجهز من وقته وسافر الى ان وصل الى البصرة وقد تسابقت الاخبار الى الملك محمد بن سليمان الزيني بحضور جعفر البرمكي فلما اقبل جعفر ونظر ذلك الهرج والمرج والزحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ماهم فيه من امر نورالدين علي بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم اسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه واعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلي ابن خاقان امر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب في ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوى واحبسهما وامر باطـــلاق نورالدين علي بن خاقان واجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلثة ايام في البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان الى جعفر وقال له اني اشتقت الي رؤية اميرالمؤمنين فقال جعفر للملك محمـــد بن سليمان الزيني تجهز للسفر فاننا نصلي الصبح ونركب الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على ما فعله واما نورالدين علي بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نورالدين وكيف وجدوه وهو مشرف على الهلاك فعند ذلك اقبل الخليفة على علي بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فاخذه وتقدم الى المعين بن ساوى فنظر اليه وقال له انا عملت بلبني فاعمل انت بلبنك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا امير المؤمنين انه خدعني بكلامه وانشد يقـــــــــــــــــــــــول

فَخَدَعْتُهُ بِخَدِيعَـــةٍ لَمَّا اَتَى وَٱلْحُرُّ يُخْـــدِعُهُ ٱلْكَلَامُ ٱلطَّيِّبُ

فقال له الخليفة اتركه انت و قال لمسرور يا مسرور قم انت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمنّ عليّ فقال ياسيدي انا مالي حاجة بملك البصرة وما اريد الا ان اتشرف بخدمتك واشاهد طلعتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعى بالجارية فحضرت بين يديه فانعم عليهما واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ولم يزل مقيما عنده في الذ عيش الى ان ادركه الممات

وليس هذا باعجب من حكاية التاجر و اولاده قال وكيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من بعض التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن ايوب المتيم المسلوب وله اخت اسمها فتنة فريدة في حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا مما عُمل برسم بغداد وكانت نيته السفر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة اخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك في زمن الخليفة هارون الرشيد وودع امه واقاربه واهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان صحبته جماعة من التجّار فاكترى له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وارخى

عليها الستور و انزل فيها تلك الاحمال و البغال و الجمال و جلس حتى استراح و سلمت عليه التجار و اكابر بغداد ثم انه اخذ بقچة فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها ثمنها و نزل بها الى سوق التجار فتلقوه بالترحيب وسلموا عليه واكرموه وانزلوه واجلسوه على دكان شيخ السوق ثم انه ناوله البقچة ففتحها و اخرج منها تفاصيل فباع له شيخ السوق التفاصيل فربح في كل دينار دينارين مثله ففرح غانم و صار يبيع القماش و التفاصيل اولا باول و لم يزل كذلك الى مدة سنة كاملة وفي اول السنة الثانية جاء الى القيصرية التي في السوق فراى بابها مغلوقا فسال عن سبب ذلك فقيل له ان واحدا من التجار توفي و ذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك ان تكسب اجرا وتمشي معهم قال نعم ثم سال عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم من حياه وقد خرجوا بالجنازة من بغداد الى خارج المدينة و شقوا بين المقابر الى ان وصلوا الى المدفن فوجدوا اهل الميت قد نصبوا الخيمة على القبر و احضروا الشموع و القناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرءون القرآن على ذلك القبر فجلس تلك التجار فجلس معهم غانم بن ايوب و هو غالب عليه الحياء فقال في نفسه انا لم اقدر ان افارقهم حتى انصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العَشاء و الحلوى فاكلوا حتى اكتفوا و غسلوا ايديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم بمكانه وبضاعته وخاف من اللصوص فقال في نفسه انا رجل غريب و متهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلي يسرق

اللصوص ما فيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة واستاذنهم على انه يقضي حاجة فصار يمشي ويتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلوقا ولم ير احد غاديا ولا رائحا ولم يسمع صوتا سوى الكلاب ينبحون والذياب يصيحون فرجع وقال لاحول ولاقوة الا بالله كنت خائفا على مالي وجئت لاجله فوجدت الباب مغلوقا وبقيت الآن خائفا على روحي ثم انه رجع وراءه ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة باربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوّان مفتوح فدخلها واراد ان ينام فيها فلم يجئه نوم واخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فاذا هو بنور على بعد في ناحية باب المدينة فمشى قليلا فراى النور في الطريق التي تُودي الى التربة التي هو فيها فخاف غانم على نفسه واسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى في قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيئا فشيئا حتى قرب من التربة فتامل النور فرأى ثلثة عبيد اثنان شائلان صندوقا وواحد في يده فانوس وفاس فحين قربوا من التربة قال احد العبدين الذين شائلين الصندوق مالك ياصواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال له اما كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال هاهو مغلوق متربس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتا ما اقل عقلكما اما تعرفان ان اصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسي عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب

خوفا من السودان الذين هم مثلنا ان ياخذ وهم ويشو و هم
ويا كلو هم فقالوا له صدقت و الله ما فينا اقل عقلا منك فقال لهم
انكم لم تصدقوني حتى ندخل التربة ونجد فيها احدا و انا اظن انه
لمارأى النور ورأانا هرب فوق النخلة خوفا منا فلما سمع غانم كلام
العبد قال في نفسه يا الخس العبد لا ستر الله عليك و لابهذا العقل
و لابهذه المعرفة كلهـــا لاحول و لاقوة الا بالله العلي العظيم ايش
بقي يخلصني من هؤلاء العبيد ثم ان اللذين حاملين الصندوق
قالا للذي معه الفاس تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا بخيت
لاننا تعبنا من شيل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا البـاب لك
علينـــا واحد من اللذين نمسكهم و نقليه لك بيدي بصنعة جيدة
بحيث لايضيع من دهنه نقطة فقال بخيت انا خائف من شئ
افتكرته من قلة عقلي وهو اننا نرمي الصندوق من وراء الباب لانه
ذخيرتنا فقالا له ان رمينـــاه ينكسر فقال لهما انا خائف ان يكون
جوالتربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم
اذا امسى عليهم الوقت يدخلـــون في هذه الاماكن و يقسمون
مايكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل
يقدرون ان يدخلوا هنا ثم انهمـــا حملا الصندوق و تعلقا على
الحائط و نزلا و فتحـــا الباب و العبد الثالث الذي هو بخيت واقف
لهما بالفانوس و الفـــاس والمقطف الذي فيه بعض من الجبس ثم
انهم جلسوا و قفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوتي نحن تعبنا
من المشي و الشيل و الحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف
الليل و لابقي فينا نفس نفتح التربة وندفن الصندوق ولكن حتى
نرتاح تلث ساعات ثم نقوم ونقضي حاجتنا وكل واحد منا يحكي

لنا على سبب تطويشه و جميع ما وقع له من المبتدأ الى المنتهى
لاجل فوات هذه الليلة ونأخذ لنا راحة فقال الاول الذي كان حامل
الفانوس واسمه بخيت انا احكي لكم حكايتي فقالوا له تكلم قال لهم
يا اخوتي اعلموا اني لما كنت صغير اجاه بي الجلاب من بلدي
وكان عمري خمس سنين فباعني لواحد جاويش وكان له بنت
عمرها ثلث سنين فتربيت معها وهم يضحكون علي وانا الاعب
البنت وارقص لها واغني لها الى ان صار عمري اثنى عشر سنة وهي بنت
عشر سنين ولا يمنعونني عنها ففي يوم من الايام دخلت عليها وهي
جالسة في محل خلوة وهي كأنها خرجت من الحمام الذي في البيت
لانها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل دور القمر في ليلة
اربعة عشر فلاعبتني ولاعبتها وكنت في ذلك الوقت تحت ادراك
فنفر احليلي حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الارض
فوقعت على ظهري وركبت هي على صدري وصارت تتمرغ علي
فانكشف احليلي فلما رأته وهو نافر مسكته بيدها وصارت تحك به
على شفائر فرجها من فوق لباسها فتحركت الحرارة عندي وحضنتها
فشبكت يديها في عنقي وقرطت علي بجهدها فما اشعر الا واحليلي
فتق لباسها ودخل فرجها فازال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت
عند بعض اصحابي فدخلت عليها امها فلما رأت حالها غابت
عن الدنيا ثم انها تداركت امرها واخفت حالها عن ابيها وكتمته
وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى
اخذوني من المكان الذي كنت فيه ولم يذكروا شيئا من هذا الامر لابيها
لمحبتهم لي ثم ان امها خطبت لها شابا مزينا كان يزين اباها
وامهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وابوها لا يعلم بحالها وصاروا

يجتهدون في تحصيل جهازها ثم انهم امسكوني على غفلة وطوّشوني
و لما زفوها للعريس جعلوني طواّشيا لها امشي قدّ امها اينما راحت
سواء كان رواحها الى الحمام او بيت ابيها و قد ستروا امرها و ليلة
الدخلة ذبحوا على قميصها فرخ حمامة و مكثت انا عندها مدة
طويلة و انا اتملى بحسنهـــا و جما لها من بوس و عناق و رقاد
الى ان ماتت هي و زوجها و امها وابوها ثم اخذوني لبيت المال
و صرت في هذا المكان و قد ارتفقت بكم و هذا يا اخوتي سبب
قطع احليلي والسلام فقال العبد الثـــاني اعلموا يا اخوتي اني كنت
في ابتداء امري و انا ابن ثمان سنين اكذب على الجلابة كل سنة
كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وانزلني في يد الدلال
و امره ان ينادي من يشتر هذا العبد على عيبه فقيل له و ما عيبه
قال يكذب كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الـــدلال
و قال للدلال كم اعطوا فيه من الثمن على عيبه قال اعطوا ستمائة
درهم فقال ولك عشرون درهما فجمع بينه وبين الجلاب و قبض منه
الدراهم واوصلني الدلال الى منزل ذلك التاجر و اخذ دلالته وانصرف
فكساني هذا التاجرما يناسبني من القماش وصرت عنده اخدمه باقي
سنتي الى ان هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة
بالنبات فصـــار التجار يعملـــون كل يوم عزومة و في كل يوم
على واحد منهم الى ان جاءت العزومة على سيدي في غيط برالبلد
فراح هو والتجار الى البستان و اخذ لهم جميع ما يحتـــاجون اليه
من اكل و غيره فجلسوا ياكلون و يشربون ويتنادمون الى وقت
الظهر فاحتـــاج سيدي الى مصلحـــة من البيت فقال لي يا عبد اركب
البغلة ورح الى المنزل و هات من ستك الحـــاجة الفلانية و ارجع

بسرعة فامتثلت امره ورحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت
وارخيت الدموع فاجتمع عليّ اهل الحارة كبارا وصغارا و سمعت
حسي زوجة سيدي و بناته ففتحوالي الباب و سألوني عن الخبر فقلت
لهم ان سيدي كان جالسا تحت حائط قديمة هو واصحابه فوقعت عليهم
فلما رايت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لاخبركم فلما
سمع بناته وزوجته ذلك صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم
فاتت اليهم الجيران واما زوجة سيدي فانها قلبت متاع البيت
بعضه على بعض واخربت رفوفه وكسرت طيقانه و شبابيكه وسخمت
حيطانه بطين و نيلة وقالت لي ويلك يا كافور تعال ساعدني
واخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاواني والصيني وغيره فجئت
اليها واخربت معها رفوف البيت بكل ما عليها ودرت على السقوف
وعلى كل محل اخربه وما كان فى البيت من الصيني وغير ذلك
حتى اخربت الجميع وانا اصيح واسيداه ثم خرجت ستي مكشوفة
الوجه بغطاءراسها لاغير وخرجت معها البنات والاولاد وقالوا يا
كافور امش قدامنا وارنا مكان سيدك الذى هو فيه تحت الحائط
ميت حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجئ به الى
البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وانا اصيح واسيداه
وهم خلفي مكشوفون الوجوه والرؤس يصيحون اواه اواه على
الرجل فلم يبق احد فى الحارة لامن الرجال ولا من النساء
ولامن الصبيان ولا عجوز الاجاء معنا وصاروا كلهم يلطمون معنا
ساعة وهم في شدة البكاء فشقيت لهم المدينة فسال الناس عن
الخبر فاخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لاحول ولا قوة
الا بالله فقال بعض الناس ما هو الارجل كبير امضي للوالي ولنخبره

فلما وصلوا الى الوالي واخبروه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لما وصلوا الى الوالي واخبروه قام الوالي وركب واخذ معـــه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين اثري ومعهم كثير من النــــاس وانا قدامهـــم الطم على وجهي واصيح وستي واولادها خلفي يعيطـــون فجريت انا قدامهم وسبقتهـــم وانا اصيح واحثـــو التراب على راسي والطم على وجهي فلما دخلت البستان ورآني سيدي وانا الطم واقول واستاه اواه اواه اواه من بقي لي يحن علي بعد سيدتي يا ليتني كنت فداء عنها فلما رآني سيدي بهت واصفر لونه وقال مالك يا كافور وما الخبر فقلت له انك لما ارسلتني الى البيت ودخلت فرايت الحائط التي في القاعة وقعت وانطبقت كلهـــا على ستي واولادها فقال لي وهل ستك ما سلمت فقلت له لا والله يا سيدي ما سلم منهم احد واول من مات منهم ستي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة فقلت له لا فقال لي وماحال البغلة التي اركبها هل هي سالمة فقلت له لا والله يا سيدي فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والاوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم واكلهم الكلاب ولم يبق منهم احد فقال لي ولا سيدك الكبير سلم فقلت له لا والله لم يسلم منهم احد وفي هذه الساعة لا بقي دار ولا سكان ولا بقي لهم اثر واما الغنم والاوز والدجاج فاكلهم القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء

فى وجهه قدّاما ولم يقدر يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر ان يقف على
قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره وخرق اثوابه و نتف ذقنه
ورمى عمامته من فوق راسه ولازال يلطم على وجهه حتى سال منه
الدم و صاح آه وا اولاداه آه وازوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له
مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه و بكوا معه
ورثوا لحاله و شقوا اثوابهم و خرج سيدي من ذلك البستان و هو
يلطم من شدة ما جرى له ومن شدة اللطم على وجهه صار كانّه
سكران فبينما هو و التجار خارجون من باب البستان و اذا هم
بغبرة عظيمة وصياح وعياط فنظروا الى هؤلاء المقبلين فاذا هو الوالى
و المقدمين والخلق والعالم الذين يتفرجون واهل التاجر وراءهم
يصرخون ويصيحون وهم في بكاء شديد زائد فاول من لاقى سيدي
زوجته و اولاده فلما رآهم بهت وضحك و ثبت و قال لهم ما حالكم
انتم وما حصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما رآوه قالوا الحمد لله
على سلامتك ورموا انفسهم عليه و تعلقت اولاده به وصاحوا ابتاه
الحمد لله على سلامتك يا ابانا وقالت له زوجته انت طيب الحمد لله الذي
ارانا وجهك بسلامة و قد اندهشت وطار عقلها لماراته و قالت له
يا سيدى كيف كانت سلامتك انت و اصحابك التجار فقال لها وكيف
كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون بخير و عافية وما اصاب
دارنا شيٌ من الشر غيران عبدك كافور جاء الينا و هو مكشوف
الرأس مخرق الاثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر
يا كافور فقال ان سيدي واصحابه التجار وقعت عليهم حائط فى البستان
وماتوا جميعا فقال لهم و الله انه اتاني في هذه الساعة وهو يصيح
واستاه واولادستاه وقال ان سيدتي واولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه

فرآني و عما متي مفروقة في رأسي و انا اصيح و ابكي بكاء شديدا
و احثوا التراب على رأسي فصرخ علي فانبلت عليه فقال لي و يلك
يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التي
عملتها و لكن والله لا سلخن جلدك من لحمك و اقطعن لحمك
من عظمك فقلت له والله ما تقدر تعمل معي شيئا لانك قد اشتريتني
على عيبي بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتـــريتني
على عيبي وانت عالم به وهو اني اكذب في كل سنة كذبة واحدة
و هذه نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة
كاملة فصاح علي يا كلب بن الكلب يا العن العبيد هل هذه كلها
نصف كذبة و انما هي داهية كبيرة اذهب عني فانت حر لوجه الله
فقلت و الله ان اعتقتني انت ما اعتقك انا حتى تكمل السنة و اكذب
نصف الكذبة الباقية و بعد ان اتممها فانزل بي السوق و بعني بما
اشتريتني به على عيبي ولا تعتقني لان ما معي صنعة اقتات منها
و هذه المسئلة التي ذكرتهـــالك شرعية ذكرها الفقهـــاء في باب
العتق فبينما نحن في الكلام واذا بالخلائق والناس واهل الحارة
من نساء ورجال قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالي وجما عته فراح
سيدي والتجـــار الى الوالي و اعلموه بالقضية و ان هذه نصف كذبة
فلما سمعوا ذلك منه استعظموا تلك الكذبة و تعجبوا غاية العجب
فلعنوني وشتموني فبقيت و اقفا اضحك و اقول كيف يقتلني سيدي
وقد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي الى البيت و جده
خرابا و انا الذي اخربت معظمه و اكثره و كسرت فيه شيئا يساوي .
جملة من المال و كذلك زوجته فقالت له زوجته ان كافورا هو الذي
كسر الاواني والصيني فازداد غيظه و ضرب يدا على يد و قال والله

عمري ما رأيت ولا رنا مثل هذا العبد ويقول انهـــا نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملـــة كان اخرب مدينة او مدينتين ثم انه من شدة غيظه ذهب الى الوالي واطعمني علقة لطيفة حتى غبت عن الدنيا وغشي علي فخلاني في غشيتي واتاني بالمـزين فخصاني وكواني فمـا افقت الاوجدت نفسي طواشيـــا وقال لي سيدي مثل ما احرقت قلبي على اعز الاشياء عندي احرقت قلبك على اعـــز الاعضاء عندك ثم اخذني وباعني باغلى ثمن لاني صرت طواشيا وما زلت القى الفتن في الاماكن التي اباع فيها وانتقل من اميرالى امير ومن كبيرالى كبير اُباع واُشرى حتى دخلت قصر اميرالمؤمنين وقد انكسرت نفسي وابت حيلي وعدمت خصاي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خرو ابن خرء تكذب كذبا شنيعا ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا اولاد عمي كلما قلتموه بطال فانا احكي لكم على سبب قطع خصاي وقد كنت استاهل اكثر من ذلك لاني كنت نكت ستي وابن سيدي والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا اولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فنبقى مفضوحين وتروح ارواحنـــا فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ورحنا الى قصرنا قلت لكم على سبب قطع خصاي ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة بطول الصندوق وعرضه بين اربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى ان حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليه التـــراب وخرجوا من التربة وردوا البـــاب وغـابوا عن عين غـانم بن ايوب فلما استقر وخلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سره بما في الصندوق وقال في نفسه

يا ترى ايش في هذا الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من على النخله وازال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم اخذ حجرا كبيرا وضرب به القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فيه فاذا فيه صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع نازل الا انها ذات حسن وجمال وعليها حلي ومَصاغ ذهب وقلائد من الجواهر تساوي ملك السلطان ما يفي بثمنها مال فلما رآها غانم بن ايوب عرف انهم تغامزوا عليها وبنجوها فلما تحقق ذلك الامر عالج فيها حتى اخرجها من الصندوق وارقدها على قفاها فلما استنشقت الارياح ودخل الهواء في انفها ومنافسها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج اقريطشي لوشمه الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وادارت طرفها وقالت بكلام عذب فصيح ويلك ياريح ما فيك رِي للعطشان ولا انس للريان اين زهر البستان فلم يجاوبها احد فالتفتت وقالت ياصبيحة شجرة الدر نور الهدى نجمة الصبح انت في شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها احد فجالت بطرفها فقالت ويلي تقبريني فى القبور يا من يعلم مافى الصدور ويجازي يوم البعث والنشور من جاء بي من بين الستور والخدور ووضعني بين اربعة قبور هذا كله وغانم واقف على حيله فقال لها يا ستي لاخدور ولا قصور ولا قبور ما هنا الا عبدك المسلوب غانم بن ايوب وقد ساقه لك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت اشهد ان لا آله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم التفتت الى غانم وقد وضعت يديها على وجهها وقالت له بكلام عذب ايها الشاب المبارك من جاء بي الى هذا المكان

فبينما انا قد انتبهت فقال ياستي ثلثة عبيد خصيون اتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ما جرى له وكيف امسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم انه اسألها عن حكايتها وخبرها فقالت له ايها الشاب الحمد لله الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا او بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلني الى بيتك فاذا بقيت اناني دارك يكون خيرا واحكي لك حكايتي واخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي ففرح وخرج الى ظاهر التربة وقد شعشع النهار ولاح الجو بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل واتى به الى التربة وشال الصندوق بعد ما حط فيه الصبية ووقعت محبتها في قلبه وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوي عشرة آلاف دينار وعليها حلي وحلل تساوي مالا جزيلا وما صدّق انه يصل الى داره وانزل الصندوق وفتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غانم بن ايوب لما وصل بالصندوق الى داره فتحه واخرج الصبية منه فنظرت فرأت هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما واحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب اموال كثيرة فكشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته احبته وقالت له ياسيدي هات لنا شيئا نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم انه نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة واخذ معه نقلا وشمعا واخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر

من آلة المشروب والمشموم واتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته واخذت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم انهما اكلا و شربا الى ان اقبل الليل وقد احب كل منهما صاحبه لانهما كانا في سن واحد وحسن واحد فلما اقبل الليل قام غانم بن ايوب المتيم المسلوب واوقد الشموع والقناديل فاضاء المكان واحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وصار يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما البعض فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل واحد منهما في موضعه الى ان اصبح الصباح فقام غانم بن ايوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من اكل وشرب وخضرة ولحم وخمر وغيره واتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فاكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك احضرا الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت عيونهما واشتاقت نفس غانم بن ايوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها ياستي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت يا غانم اصبر حتى اسكر واغيب وخذلك مني قبلة سرا بحيث اني لم اشعر انك قبلتني ثم انها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية حرير فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال لها ياستي اما تسمحين لي بما قلت لك عليه فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن ايوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فقال شعرا

سَأَلْتُ مَنْ أَمْرَضَنِي فِي قُبْلَةٍ تَشْفِي الْأَلَمْ
فَقَالَ لَا لَا أَبَدًا قُلْتُ لَهُ نَعَمْ نَعَمْ
فَقَالَ خُذْهَا بِالرِّضَى مِنِّي حَلَالًا وَابْتَسَمْ
فَقُلْتُ غَصْبًا قَالَ لَا إِلَّا سَمَاحًا وَكَرَمْ
فَلَا تَسَلْ عَمَّا جَرَى وَاسْتَغْفِرِ اللّٰهَ وَنَمْ
فَظُنَّ مَا شِئْتَ بِنَا فَالْحُبُّ يَحْلُو بِالتُّهَمْ
وَلَا أُبَالِي بَعْدَ ذَا إِنْ بَاحَ خِلٌّ أَوْ كَتَمْ

ثم انه زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تتمنع منه وتقول له ما لك وصول الي ولم يزالا في عشقهما ومناد متهما وغانم بن ايوب غريق في بحر الهيام واما هي فقد ازدادت قسوة واحتشاما الى ان دخل الليل بالظلام وارخى عليهما ذيل المنام فقام غانم واشعل القناديل واوقد الشموع وجدد المدام والحضرة واخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطري فمرغ وجهه عليهما وقال يا ستي ارحمي اسير هواك وقتيل عينيك وكنت سليم القلب لولاك ثم انه بكى قليلا فقالت له يا سيدي ونور عيني انا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن انا اعرف انك ما تصل الي فقال لها وما المانع فقالت له انا في هذه الليلة احكي لك قصتي حتى انك تقبل معذرتي ثم انها ترامت عليه وطوقته على رقبته بيدها وقبلته وقد اخذت بخاطره واوعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما في كل ليلة ينامان على فراش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز منه مدة شهر كامل وقد تمكن حب كل

واحد منهما من قلب الآخر ولا بقي لهما صبر عن بعضهما الى ان كانت ليلة من بعض الليالي وهو را قد واباها والاثنان سكرانان فمد يده على جسدها وملس ثم مر بيده على بطنها ونزل بها الى سرتها فانتبهت وقعدت على حيلها وتعهدت اللباس فوجدت اللباس مربوطا فنامت ثانيا فملس عليها بيده ونزل بها الى سروالها و دكنها وجذبها فانتبهت وقعدت على حيلها وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذي تريد فقال لها مرادي انام معك و اتصافي انا وانت فعند ذلك قالت له انا الآن اوضح لك امري حتى انك تعرف قدري وينكشف لك سري ويظهر لك عذري قال لها نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت له ياسيدي اقرأ الذي على طرف هذه التكة فاخذها غانم في يده ونظرها فوجدها مرقوما عليها بالذهب انا لك وانت لي يا ابن عم النبي فلما قرأها نثر يده وقال لها اكشفي لي عن خبرك قالت نعم اعلم انني محظية اميرالمؤمنين واسمي قوت القلوب وان اميرالمؤمنين لما ان رباني في قصره وكبرت ونظر الخليفة الى صفاتي وما اعطاني ربي من الحسن والجمال فاحبني محبة زائدة واخذني واسكنني في مقصورة ورسم لي بعشرة جواري يخدمنني ثم انه اعطاني ذلك المصاغ الذي تراه معي ففي يوم من بعض الايام سافر الخليفة الى بعض البلاد فجاءت الست زبيدة الى بعض الجوارى التي في خدمتي وقالت لها عندك حاجة فقالت لها وما هي ياستي قالت اذا نامت ستك قوت القلوب فحطي هذه القطعة البنج في منا خيرها او في شرابها ولك علي من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية اخذت البنج منها وهي فرحانة لاجل الدراهم ولانها

فى الاصل كانت جاريتها فجاءت الي و وضعت لي البنج في شرابي فلما كان الليل شربت فلما استقر البنج في جوفي وقعت الى الارض وصارت رأسي عند رجلي فما عرفت بروحي الا وانا في دنيا اخرى وانها لما تمت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق واحضرت العبيد سرا و برطلتهم وكذلك البوابين وارسلتني مع العبيد فى الليلة التي انت كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معي مارأيت وكانت نجاتي على يديك وانت اتيت بي الى هذا المكان واحسنت الي غاية الاحسان وهذه قصتي وحكايتي وما اعرف ايش جرى للخليفة في غيبتي فاعرف قدري ولا تشهر امري فلما سمع غانم بن ايوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى وراثه والحقته هيبة الخلافة وجلس وحده في ناحية من نواحي المكان يعاتب نفسه ويتفكر في امره و يصبر قلبه وبقي حائرا في عشق التي فيما ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام وشكا من تحامل الزمان وماله من العدوان فسبحان من اشغل القلوب بالمحبة والمحبوب وانشد يقول

قَلْبُ الْمُحِبِّ عَلَى الْأَحْبَابِ مَتْعُوبُ ... وَعَقْلُهُ مَعْ بَدِيعِ الْحُسْنِ مَنْهُوبُ
قَدْ قِيلَ لِي كَيْفَ طَعْمُ الْحُبِّ قُلْتُ لَهُ ... اَلْحُبُّ عَذْبٌ وَلٰكِنْ فِيهِ تَعْذِيبُ

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه في قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبة غانم بيديها وقبلته وهو يتمنع عنها خوفا من الخليفة ثم تحدثا ساعة زمانية وهما غريقان في بحر محبتهما الى ان طلع النهار فقام غانم ولبس اثوابه وخرج الى السوق كعادته واخذ

جميع ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكي فلما ان رآته بطلت البكاء و تبسمت و قالت له اوحشتني يا محبوب قلبي والله ان هذه الساعة التي غبتها عني كسنة من اجل فراقك وها انا قد بينت لك حالي من شدة ولعي بك فقم بنا الآن و دع ما كان و اقض اربك مني قال اعوذ بالله ان هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب في موضع السبع والذي للمولى فهو على العبد حرام ثم جذب نفسه منها و جلس في ناحية على الحصيرة و زادت هي محبة فيه با متناعه عنها ثم جلست الى جانبه و نادمته ولا عبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت هي و انشدت تقول

قَلْبُ الْمُتَيَّمِ كَادَانْ يَتَفَتَّتَا ... فَالِيَ مَتَى هَذَا الصُّدُودُ اِلَى مَتَى
يَا مُعْرِضًا عَنِّي بِغَيْرِ جِنَايَةٍ ... فَعَوائِدُ الْغِزْلَانِ اَنْ تَتَلَفَّتَا
صَدٌّ وَ اِبْعَادٌ وَهَجْرٌ دَائِمٌ ... مَا كُلُّ هَذَا الْاَمْرِ يَحْمِلُهُ الْفَتَى

فبكى غانم بن ايوب وبكت هي لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل فقام غانم و فرش فرشين كل فرش في مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثاني فقال لها هذا لي والآخر لك ومن هذه الليلة نحن لاننام الا على هذا النمط وكل شيء كان للسيد فهو على العبد حرام فقالت له يا سيدي دعنا من هذا وكل شيء يجري بقضاء و قدر فابى من ذلك فانطلقت النار في قلبها وزاد غرامها و تعلقت هي فيه و قالت له والله ما ننام الاسواء فقال معاذ الله و غلب هو عليها و نام وحده الى الصباح فزاد بها العشق و الغرام و اشتد بها الوجد و الهيام و اقاما على ذلك ثلثة اشهر طوال وهي كلما تقربت منه يمتنع عنها ويقول لها كلما يكون للسيد فهو

على العبد حرام فلما طال بها المطال مع غانم بن ايوب المتيم المسلوب و زادت بها الشجون والكروب انشدت من فؤاد متعوب تقول هذه الابيات

بَدِيعَ الْحُسْنِ كَمْ هَذَا التَّجَنِّي ... وَ مَنْ اَغْرَاكَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِّي
حَوَيْتَ مِنَ الرَّشَاقَةِ كُلَّ مَعْنًى ... وَ حُزْتَ مِنَ الْمَلَاحَةِ كُلَّ فَنِّ
وَ اَجْرَيْتَ الْغَرَامَ لِكُلِّ قَلْبٍ ... وَ وَكَّلْتَ السُّهَادَ بِكُلِّ جَفْنِ
وَ اَعْرِفُ قَبْلَكَ الْاَغْصَانُ تُجْنَى ... فَيَا غُصْنَ الْاَرَاكِ اَرَاكَ تَجْنِي
وَ عَهْدِي بِالظِّبَا صَيْدًا فَمَالِي ... اَرَاكَ تَصِيدُ اَرْبَابَ الْمِجَنِّ
وَ اَعْجَبُ مَا اُحَدِّثُ عَنْكَ اَنِّي ... فُتِنْتُ وَ اَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ بِاَنِّي
فَلَا تَسْمَحْ بِوَصْلِكَ لِي فَاِنِّي ... اَغَارُ عَلَيْكَ مِنْكَ فَكَيْفَ مِنِّي
وَ لَسْتُ بِقَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيًّا ... بَدِيعَ الْحُسْنِ كَمْ هَذَا التَّجَنِّي

و اقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها هذا ما كان من امر غانم بن ايوب المتيم المسلوب واما ماكان من امر الست زبيدة فانها في غيبة الخليفة لما فعلت بقوت القلوب ذلك الامر بقيت حائرة تقول في نفسها ماذا اقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابي له فدعت بعجوز كانت عندها و اطلعتها على سرها و قالت لها كيف افعل و قوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمي يا ستي ان مجيء الخليفة قرب و لكن ارسلي الى نجار و أمريه ان يعمل لك صورة ميت من خشب ونحفر لها قبرا في وسط القصر و ندفنها فيه و تعملي له مقصورة و نوقد فيه الشموع والقناديل وتأمري كل من فى القصر ان يلبسوا الاسود

و امري جواريك والخدام اذا علموا ان الخليفة اتى من السفر ان ينشروا التبن فى الدها ليز فاذا دخل الخليفة و سأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب ماتت و عظم الله اجرك فيها و من معزتها عند سيدتنا دفنتها في قصرها فاذا سمع ذلك يبكي و يعز عليه فانه يعمل لها الختومات و يسهر على قبرها فان قال في نفسه ان بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاك قوت القلوب او غلب عليه الهيام فيأمر باخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلك فلما يحفرون و يطلعون على تلك الصورة التي كبني آدم فيراها وهي مكفنة بالاكفان المفتخرة فان اراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه انت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول له رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ انها ماتت فيعيدها الى مكانها ويشكرك على فعلك و تخلصين انت ان شاء الله تعالى من هذه الورطة فلما سمعت الست زبيدة كلامها رأته صوابا فخلعت عليها خلعة و امرتها ان تفعل ذلك بعد ما اعطتها جملة من المال فشرعت العجوز فى الحال و امرت النجار ان يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى الست زبيدة فكفنتها و دفنتها و اوقدت الشموع والقناديل و فرشت البسط حول القبر و لبست السواد و امرت الجواري ان يلبسن السواد و اشتهر الامر فى القصران قوت القلوب ماتت فبعد مدة اقبل الخليفة من غيبته و طلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجواري كلهم لابسين السواد فرجف فؤاد الخليفة فلما دخل القصر على الست زبيدة رآها لابسة للسواد فسأل الخليفة عن ذلك فاخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما افاق سأل عن قبرها فقالت الست زبيدة اعلم يا اميرالمؤمنين انني من معزتها عندي

دفنتها في قصري فدخل الخليفة بثياب السفر الى قبر قوت القلوب ليزورها فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقودة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها فبقي حائرا في امره وهو ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس امر بحفر القبر واخرجها منه فلما رأى الكفن واراد ان يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة امر في الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وعمل الختومات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكي الى ان غشي عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق ان الخليفة دخل الحريم بعد انصراف الامراء والوزراء الى بيوتهم فنام ساعة فجلست عند رأسه جارية تروّحه بالمروحة وعند رجليه جارية تكبسه فلما نام وانتبه وفتح عينيه وغمضهما فسمع الجارية التي عند رأسه تقول للتي عند رجليه ويلك ياخيزران قالت لها نعم يا قضيب البان قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى وانه يسهر على قبر لم يكن فيه الا الخشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب اى شيء اصابها فقالت اعلمي ان الست زبيدة ارسلت مع جارية قرص بنج وبنجتها فلما تحكم البنج منها جعلتها في صندوق وارسلتها مع صواب وكافور وامرتهما ان يرمياها في التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب البان هل الست قوت القلوب ما ماتت فقالت لا والله سلامة شبابها من الموت ولكن

انا سمعت الست زبيدة تقول ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم بن ايوب الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم اربع شهور وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور ومحال وان قوت القلوب عند غانم بن ايوب مدة اربعة اشهر غضب الخليفة غضبا شديدا وقام ودخل على امراء دولته فعند ذلك اقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الارض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل ياجعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن ايوب واكبسوا داره وايتوني بجاريتي قوت القلوب ولا بد لي ان اعذبه فاجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر والخلق والعالم والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا الى دار غانم وكان غانم بن ايوب خرج في ذلك الوقت وجاء بقدرة لحم واراد ان يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء احاط بالدار من كل جانب والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيوف مسلولة مجردة وقد داروا به كما يدور بياض العين بالسواد فعند ذلك عرفت ان خبرها وصل الى الخليفة سيدها فايقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها فعند ذلك نظرت الى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيف اعمل والى اين اذهب ومالي ورزقي في هذه الدار فقالت له لاتمكث لئلا تهلك ويذهب مالك فقال لها ياحبيبتي ونور عيني كيف اصنع في الخروج وقد احاطوا بالدار فقالت له لاتخف وقلعته من ثيابه والبسته ثيابا بالية وجاءت بالقدرة التي كان فيها اللحم ووضعتها على رأسه وحطت في حواليها

كسرة خبز وزبدية طعام وو ضعتهم في مقطف وقالت له اخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فانا اعرف اي شيءُ في بدي من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما اشارت به عليه خرج من بينهم وهو حامل المقطف بمافيه وستر عليه الستار ونجامن المكائد والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب و قد تزينت وتبهرجت وعبت صندوقا من الذهب والمصاغ والجواهر والتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر ورآها قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم من القدم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله ياستي انه ما اوصاني الا بقبض غانم بن ايوب فقالت يا سيدي انه عبى تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بخبره واريد ان تحفظ لي هذا الصندوق واحمله الى ان تسلمه لي في قصر امير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم اخذ الصندوق وامر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد ان نهبوا دار غانم ثم توجهوا الى الخليفة وحكى جعفر للخليفة جميع ماجرى فامر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم واسكنها فيه والزم بها عجوزا لقضاء حاجتها لانه ظن ان غانمــــا قد فسق بها وراندها ثم انه كتب مرسوما للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في دمشق ومضمونه ان ساعة وصول المرسوم تقبض على غانم بن ايوب وترسله الي فلما وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الاسواق من اراد ان ينهب فعليه بدار غانم بن ايوب فجاءوا الى الدار فوجدوا ام غانم واخته قد صنعتا له قبرا في وسط الدار وقعدتا

عنده تبكيان عليه فمسكوهما ونهبوا الدار ولم تعلما ما الخبر فلما
احضروهما عند السلطان سألهما عن غانم والدهما فقالتا له من مدة سنة
او اكثر ما وقفنا له على خبر فرد وهما الى مكانهما هذا ما كان من امرهما
واما ما كان من امر غانم بن ايوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته
ونظر الى حاله فبكى على نفسه حتى انفطر قلبه وهاج على وجهه وسار الى
آخر النهار وقد ازداد به الجوع واضر به المشي فلما وصل الى بلد
دخلها وذهب الى مسجد وجلس على برش واسند ظهره الى
حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما
هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب على جلده
القمل من العرق وصارت رائحته زفرة وتغيرت احواله فاتى اهل تلك
البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا هزيلا من الجوع وعليه
آثار النعمة لائحة فلما صلوا واقبلوا عليه وجدوه بردانا جائعا
فاعطوه ثوبا عتيقا قد بليت اكمامه وقالوا له ياغريب من اين
تكون وما سبب ضعفك ففتح عينيه فيهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا
فذهب احدهم وقد عرف انه جيعان فاتى له بسكرجة عسل ورغيفين
فاكل يسيرا وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس وانصرفوا لاشغالهم
ولم يزل على هذا الحال شهرا وهو عندهم وقد تزايد به الضعف
والمرض فبكوا عليه وتعطفوا وتشاوروا مع بعضهم في امره فاتفقوا
في انهم ان يوصلوه الى المارستان الذي ببغداد فبينما هم كذلك
واذا بامرأتين شحاذتين دخلتا عليه وكانتا هؤلاء امه واخته فلما
رآهما اعطاهما الخبز الذي عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة
ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم اتاه اهل القرية واحضروا له جملا وقالوا
للجمال احمل هذا المريض فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد

فانك تحطه في باب المارستان لعله يتداوى و يتعافى و يبقى لك
الاجر فقال لهم السمع والطاعة فبعد ذلك اخرجوا غانم بن ايوب
من المسجد و حملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل
و جاءت امه و اخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم تعلمابه
ثم انهما نظرتا اليه وتاملتاه و قالتا انه شبيه لغانم ابننا فياترى
هل هو هذا الضعيف اولا و اما غانم فانه ما افاق الا وهو محمول
على الجمل مشدود بحبل فبكى و اشتكى واهل القريه ينظرون امه
واخته تبكيان عليه ولم تعرفانه ثم سافرت امه و اخته الى ان وصلتا
الى بغداد و اما الجمال فمازال سائرابه حتى حطه على باب المارستان
و اخذ جمله و ذهب فتم غانم راقدا هناك الى الصباح فلما اندرجت
الناس فى الطريق نظروا اليه وقد صار رق الخلال والناس يتفرجون عليه
فجاء شيخ السوق و ازاح الناس عنه و قال انا اكسب الجنة بهذا
المسكين فانهم متى ادخلوه المارستان تتلوه في يوم و احد ثم امر
صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة
و قال لزوجته اخدميه بنصح فقالت طيب على الراس ثم تشمرت و سخنت
ماء و غسلت يديه ورجليه و بدنه والبسته ثوبا من لبس جواريها
و اسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فافاق و اشتكى وافتكر
محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من امره واما
ماكان من امر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها

الخليفة و اسكنها فى المكان المظلم وتمت على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق ان الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من شعرها قالت يا حبيبي يا غانم ما احسنك وما اعف نفسك احسنت لمن اساء عليك و حفظت حرمة من ضيع حرمتك و حفظت حريمه وهو سباك و سبى اهلك ولابد ان تقف انت و اميـــرالمؤمنين بين يدي حاكم عادل و تنتصف انت عليه في يوم يكون فيه القاضي المولى جل وعز والشهود هم المـــلائكة فلمـــا سمع الخليفة كلامها و فهم شكـــواها علم انها مظلومة فدخل قصره و ارسل مسرور الخادم لهـــا فلما حضرت بين يديه اطرقت برأسها وهي باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب اراك تتظلمين مني وتنسبينني الى الظلم و تزعمين اني اسأت لمن احسن الي فمن هوالذي حفظ حرمتي و انتهكت حرمته و ستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له هو غانم بن ايوب فانه لم يقربني بفاحشة ولا سوء وحق نعمتك يا اميرالمؤمنين فقال الخليفة لاحول ولا قوة الابالله يا قوت القلوب تمني علي تُعطى فقالت اتمنى عليك محبوبي غانم بن ايوب ففعل ذلك امتثل امرها فقالت يا اميرالمؤمنين ان احضرته تهبني له فقال ان حضر وهبتك له هبة كريم لايرد في عطائه فقالت يااميرالمؤمنين أئذن لي ان ادور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي مابدالك ففرحت وخرجت ومعها الف دينار ذهب فزارت المشائخ و تصدقت منه وطلعت ثاني يوم الى سوق التجـــار واعلمت شيخ السوق واعطـــت له دراهم و قالت له تصدق بها على الغرباء وطلعت ثم جاءت ثاني جمعة السوق ومعها الف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرية فنادت بالعريف فحضر فدفعت له الف دينار

وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق
وقال لها ياستي هل لك ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب
الغريب ما اظرفه وما اكمله وكان هو غانم بن ايوب المتيم المسلوب
ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن انه رجل مسكين
مديون سلبت نعمته او عاشق فارق احبته فلما سمعت كلامه خفق
قلبها وتقلقلت احشاؤها فقالت له ارسل معي من يوصلني الى دارك
فارسل معها صبيا صغيرا فاوصلها الى الدار التي فيها الغريب للعريف
فشكرته على ذلك فلما وصلت البيت ودخلت وسلمت على زوجة العريف
قامت زوجة العريف فقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها
قوت القلوب اين الضعيف الذي عندك فبكت وقالت هاهو ياستي
والله انه ابن ناس وعليه اثر النعمة وذلك هو على الفراش فالتفتت
اليه ونظرته فرأته كانه هو بذاته ورأته قد اختفى وكثر نحوله
ورق الى ان صار كالخلال وانبهم عليها امره فلم تتحقق انه هو ولكن
اخذتها الشفقة عليه فبكت وقالت ان الغرباء مساكين وان كانوا امراء
في بلادهم وقد تعنّت عليها ولم تعرف انه غانم ثم انها وجعها قلبها
عليه ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة ثم ركبت
وطلعت الى قصرها وصارت تطلع كل سوق لاجل التفتيش على غانم
ثم ان العريف قد اتى بامه واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب
وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنتها
وهما وجوه ملاح وعليهما اثر النعمة والسعادة عليهما لائحة لكنهما
لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة
وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها انا اتيت بهما اليك لتأويهما
وتصونيهما عن الشحاذة لانهما ليستا اهلا للشحاذة وانما ندخل ان شاء الله

بهما الجنة فقالت والله ياسيدي لقد شوقتني اليهما واين هما فقالت للعريف عليّ بهما فامر الخادم ان يدخلهما على قوت القلوب فعند ذلك دخلت فتنة وامها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذانا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما اولاد نعمة ويلوح عليهما اثر الغنى فقالت زوجة العريف ياستي نحن نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جاروا عليهما الظلمة وسلبوا نعمتهما واخربوا ديارهما ثم انهما بكتا بكاء شديدا وتفكرتا مما كانتا فيه من النعم وما صارتا فيه من الفقر والحزن وتفكرتا غانم بن ايوب المتيم المسلوب فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما وقالتا نسأل الله ان يجمعنا بمن نريده وهو ولدي اسمه غانم ابن ايوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام معشوقها والاخرى اخته فبكت حتى غشي عليها فلما افاقت اقبلت عليهما وقالت لهما لا باس عليكما وهذا اليوم اول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلاتحزنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما قالت لهما لاتحزنا ثم انها امرت العريف ان ياخذهما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتتوصي بهما وتكرمهما غاية الاكرام واعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد ادخلتهما زوجة العريف الحمام وغيرت ماعليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة

فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذي
هو عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعوده فقامت
هي وزوجة العريف وام غانم واخته ودخلن عليه وجلسن عنده
فلما سمعهن غانم بن ايوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب
وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه وشال رأسه من
فوق المخدة ونادى يا قوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت
بقولها نعم يا حبيبي فقال لها اقربي مني فقالت له لعلك غانم بن ايوب المتيم
المسلوب فقال لها نعم انا اياه فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما
سمعت اخته فتنة وامه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما
وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذي جمع شملنا
بك وبامك واختك فتقدمت اليه وحكت له على جميع ماجرى لها
مع الخليفة وقالت له اني اظهرت لامير المؤمنين الحق فصدق كلامي
ورضي عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم انها اخبرته انه وهبني
لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لاتبرحوا
حتى احضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها
وحملت الصندوق الذي اخذته من داره واخرجت منه دنانير
واعطت للعريف اياها وقالت له خذ هذه الدراهم واشتر لكل شخص
منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك
مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وامرت بغسلهم
وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد ان خرجوا
من الحمام ولبسوا الثياب واقامت عندهم ثلثة ايام وهي تطعمهم
لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر فبعد ثلثة ايام ردت
ارواحهم لهم فادخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب

وخلتهم في بيت العريف و ذهبت الى القصر فاستاذنت الخليفة فاذن لها فدخلت و قبلت الارض بين يديه و اعلمته بالقصة و انه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب و ان امه و اخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام علي بغانم فنزل جعفر اليه و كانت قد سبقته قوت القلوب و دخلت على غانم واعلمته ان الخليفة ارسل اليك يطلبك بين يديه فاوصته بفصاحة لسانه وتثبيت جنانه و عذوبة كلامه والبسته حلة فاخرة و اعطته دنانير بكثرة وقالت له كثر البذل الى حاشية الخليفة و انت داخل عليه و اذا بجعفر قد اقبل عليه و هو على بغلته النوبية فقام غانم وقابله و حياه وباس الارض بين يديه و قد ظهر كوكب سعده واضاء فاخذه جعفر ومازالا سائرين هو و جعفر حتى دخلا على اميرالمؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب و ارباب الدولة و اصحاب الصولة فعند ذلك غانم اعذب كلامه و فصاحته ثم نظر الى الخليفة

و اطرق برأسه الى الارض و انشد يقول هذه الابيات

حُيِّيتَ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ ... مُتَتَابِعِ الحَسَنَاتِ وَالْاحْسَانِ
لَا يَلْهَجُونَ بِغَيْرِه مِنْ قَيْصَرٍ ... فِي ذَا الْمَقَامِ وَ صَاحِبِ الْإِيْوَانِ
تَضَعُ الْمُلُوكُ عَلَى ثَرَى أَعْتَابِهِ ... عِنْدَ السَّلَامِ جَوَاهِرَ التِّيجَانِ
حَتَّى اِذَا بَصُرَتْ لَهُ اَبْصَارُهُمْ ... خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ عَلَى الْاَذْقَانِ
وَ يُفِيدُهُمْ ذَاكَ الْمَقَامُ مَعَ الرِّضَى ... رُتَبَ الْعُلَا وَجَلَالَةَ السُّلْطَانِ
ضَاقَتْ بِعَسْكَرِكَ الْفَيَا فِي وَالْوَرى ... فَاضْرِبْ خِيَامَكَ فِي ذُرى كِيْوَانِ
اَبْقَاكَ مَا لِيكَ الْمُلُوكِ بِعَنْوَةٍ ... لَكَ حُسْنُ تَدْبِيرٍ وَ ثَبْتُ جِنَانِ
وَ نَشَرْتَ عَدْلَكَ فِي الْبَسِيطَةِ كُلِّهَا ... حَتَّى اسْتَوَى الْقَاصِي بِهَا وَالدَّانِي

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة و اعجبه فصاحة لسانه و عذوبة منطقه و ادرك شهر زادالصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان غانم بن ايوب لما اعجب الخليفة فصاحته و نظمه و عذوبة منطقه قال له ادن مني فدنا منه ثم قال له اشرح لي قصتك و اطلعني على حكايتك فقعـــد و حدث الخليفة بماجرى له في بغداد و بنيامه فى التربة و اخذ الصندوق من العبيد بعد ما ذهبوا و اخبـره بماجرى له من المبتدأ الى المنتهى و ليس فى الاعادة افادة فلمـــا علم الخليفة انه صادق خلع عليه و قربه اليه و قال له ابرئ ذمتي فابرأ ذمته و قال له يا مولانا السلطان ان العبد و ما ملكت يداه لسيـده ففـــرح الخليفة بذلك ثم امران يفرد له قصر و رتب له من الجوامك والجرايات والعطايات شيئا كثيرا ثم نقله و نقل اخته و امه و سمع الخليفة باخته فتنة انهـــا فى الحسن فتنة فخطبها الخليفة من غانم فقال له غانم انها جاريتك و انا مملوكك فشكره و اعطـــاه مائة الف دينـــار و اتى بالشهود والقاضي و كتبوا الكتابين في نهار و احد و هو كتاب الخليفة على فتنة وكتاب غانم بن ايوب على قوت القلوب و دخل هو وغانم في ليلة و احدة فلما اصبح الخليفة امران يؤرخ ما جرى لغانم من حديثه من اوله الى آخره و ان يخلد فى الخزانة حتى يقرأه الذى يا تي من بعده فيتعجب من تصرفات الا قدار و يفوض الامر الى خالق الليل والنهـــــــــار

وليس هذا باعجب من حكاية الملك عمر بن النعمان و ولده شركان و ولده ضوء المكان و ما جرى لهم من العجـــائب والغـــرائب

قال الملك وما حكايتهم قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بمدينة السلام قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر بن النعمان وكان من الجبابرة الكبار وكان قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه احد في مضمار وكان اذا غضب خرج من منخريه الشرار وكان قد ملك جميع الاقطار واطاع الله له جميع العباد وقد نفذ امره في سائر الامصار ووصلت عساكره الى اقصى البلاد ودخل في حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين وارض الحجاز وبلاد اليمن وجزائر الهند والصين وبلاد الشمال وديار بكر وارض السودان وجزائر البحار وما في الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وارسل رسله الى اقصى المدائن ياتوه بحقيقة الاخبار فعادوا اليه واخبروه بالعدل والطاعة والامان والدعاء للسلطان عمر بن النعمان هذا وعمر بن النعمان يا ملك الزمان له نسب عظيم الشان تحمل اليه الهدايا والتحف والخراج من كل مكان وكان له ولد قد سماه شركان وهو اشبه الناس به وقد طلع آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان واباد الاقران فاحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد واوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان كبر حتى بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة فاطاع الله له جميع العباد لما به من شدة الباس والجلاد وكان والده عمر بن النعمان له اربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن ولد بغير شركان وهو من احدهن والباقي عواقر لم يرزق من واحدة منهن ولدا ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرّية على عدد ايام السنة القبطية وتلك السراري من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور

السنة و جعل في كل قصر ثلثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة و ستين مقصورة و اسكن تلك الجواري في هذه المقاصير و فرض لكل سرية منهن ليلة يبيت عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده و ازداد قوة فطغى و تجبر و فتح الحصون والبلاد و كان بالامر المقدر ان جارية من جواري عمر بن النعمان قد حملت و اشتهر حملها و علم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ان تكون ذريتي ونسلي كلها ذكورا فارخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم و عظم عليه الامر و قال لقد جاءني من ينازعني في المملكة و قال في نفسه ان ولدت هذه الجارية ولدا ذكرا قتلته و كتم ذلك في نفسه فهذا ما كان من امر شركان و اما ما كان من امر الجارية فانها كانت رومية و كان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية و ارسل معها تحفا كثيرة و كان اسمها صفية و كانت احمل الجواري و احسنهن و جها و اصونهن عرضا و كانت ذات عقل و افر و جمال باهر و كانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها و تقول له ايها الملك كنت اشتهي من الله السماء ان يرزقك مني ولدا ذكرا حتى اني احسن تربيته و ابالغ في ادبه و صيانته فيفرح الملك و يعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت اشهرها فجلست على كرسي الولادة و كانت في مدة حملها على صلاح تقوم و تحسن العبادة و تدعو الله بان يرزقها بولد صالح و يسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها و كان الملك قد و كل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر او انثى و كذلك ولده شركان ارسل من يعرفه بذلك فلما و ضعت صفية ذلك المولود فتشته القوابل فوجدنه

بنتا بوجه ابهى من القمر فاعلمن بها الحاضرين و عاد رسول الملك
واخبره وكذلك رسول شركان اخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما
انصرف الخدام قالت صفية للقوابل امهلوا عليّ ساعة فاني احس
باحشائي ان فيها شيئا آخر ثم تأوّهت و جاءها الطلق ثانيا وسهل
الله عليها ووضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا
ذكرا يشبه البدر بجبين ازهر وخد احمر مورد ففرحت به الجارية
والخدم و الحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد
اطلقوا الزغاريت في القصر فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ
عمر بن النعمان الخبر ففرح و استبشر وقام وخرج و قبل
رأسها و نظر الى المولود ثم انحنى اليه و قبله وضربت الجواري
بالدفوف و لعبت بالآلات وامر الملك ان يسموا المولود ضوء
المكان واخته نزهة الزمان فامتثلوا امره واجابوا بالسمع
و الطاعة وافرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع و الخدام
والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان
وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان و سمعت اهل بغداد بما
رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة ودقت البشائر واقبلت الامراء
والوزراء وارباب الدولة و هنوا الملك عمر بن النعمان بولده
ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع
عليهم وزاد في اكرامهم من الانعام واحسن الى الحاضرين من الخاص
و العام ولم يزل على تلك الحالة الى ان مضى اربعة اعوام و هو
بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية واولادها وبعد اربعة اعوام
امر ان ينقل اليها من المصاغ والحلي والحلل والاموال شيء كثير
واوصاها بتربيتهما وحسن ادبهما هذا كله وابن الملك شركان لايعلم

ان والده عمر بن النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم انه رزق
سوى نزهة الزمان واخفوا عليه خبر ضوء المكان الى ان مضت اعوام
وايام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما الملك
عمربن النعمان جالس يومامن الايام اذ دخلت عليه الحجاب وقبلوا
الارض بين يديه وقالوا ايها الملك وصلت الينا رسل من ملك
الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك
والتمثل بين يديك فان اذن لهم الملك بالدخول ندخلهم والا
فلا مرد لامره فعند ذلك اذن لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال
اليهم واقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا
الارض بين يديه وقالوا ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم
ان الذي ارسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر
النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم في حرب
شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب في ذلك ان بعض
ملوك العرب من قديم الزمان اتفق انه وجد في بعض فتوحاته
كنزا من عهد الاسكندر فنقل منه اموالا لاتحصى ومن جملة ماوجد
فيه ثلث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وهم من معدن
الجواهر الابيض الخالص الذي لايوجد له نظير وكل خرزة منقوش
عليها بالقلم اليوناني امور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة
ومن بعض خاصيتهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن
لم يصبه الم مادامت الخرزة معلقة عليه ولايأن ولايسخن فلما وضع
يده عليها ووقع بها وعرف ماكان من اسرارها ارسل للملك
افريدون هدايا من بعض التحف والمال ومن جملتهم ثلث
خرزات وجهز مركبين الواحدة فيها مال والاخرى فيها

رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها في البحر وكان يعرف من نفسه ان ما احد يقدر يحبس مراكبه لكونه ملك العرب لاسيما وطريق المراكب التي فيها الهدايا في البحر الذي في مملكة ملك القسطنطينية وهي متوجهة اليه وليس في سواحل ذلك البحر الا رعايا الملك الاكبر افريدون فلما جهز المركبين سافرا الى ان قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فاخذ وا جميع ما في المركبين من التحف والمال والذخائر وثلث خزنات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرا فكسروه وارسل لهم عسكرا ثانيا اقوى من الاول فهزموه ايضا فعند ذلك اغتاظ الملك واقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه في جميع عسكره وانه لا يعود عنهم حتى يترك قيسارية الارمن خرابا ويترك ارضها وجميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب العصر والاوان الملك عمر بن النعمان ملك بغداد وخراسان ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد ارسل اليك ملكنا معنا شيئا من انواع الهدايا ويسأل من انعام الملك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يديه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العسكر والرسل الذين من عند ملك القسطنطينية لما قبلوا الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان بعد ان حكوا له واخرجوا له الهدية وكانت الهدية خمسين جارية

من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم اقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في اذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوي الف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم من القماش ما يساوي مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم و امر باكرام الرسل واقبل على وزرائه واستشارهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان وقال ايها الملك ما في الامر احسن الا ان تجهز عسكرا جرارا وتقدم عليهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأي عندي احسن لوجهين الاول ان ملك الروم قد استجا ربك وارسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثاني ان العدو لايجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وانكسر عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك في سائر الاقطار والبلاد ولاسيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر ويسمع ذلك اهل المغرب فيحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا اعجبه كلام وزيره واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغي ان تكون انت في مقدم العسكر وولدي شركان في ساقة العسكر ثم ان الملك امر باحضار ولده شركان فلما حضر قبل الارض بين يدي والده وجلس فقص عليه القصة واخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان واوصاه باخذ الاهبة والتجهيز للسفر وانه لا يخالف الوزير دندان فيما يفعل وامره ان ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الحروب والشدة فامتثل شركان لما قاله ابوه عمر بن النعمان وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وعرض عسكره

وانفق عليهم المال وقال لهم المهلة عليكم ثلثة ايام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لامره وخرجوا من عنده واخذوا في الاهبة واصلاح الشان ثم ان شركان دخل الى خزائن السلاح واخذ جميع مايحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة وغيرهم وبعد ذلك اقاموا ثلثة ايام ثم خرجت العساكر الى ظاهر مدينة بغداد وخرج عمر بن النعمان لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه و اهدى له سبع خزائن من المال و اقبل على الوزير دندان واوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه و اجابه بالسمع و الطاعة و اقبل الملك على ولده شركان و اوصاه انه يشاور الوزير في جميع اموره فقبل ذلك ورجع والده الى ان دخل المدينة ثم ان شركان امر النقباء بالعرض فعرضوا العساكر وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا و دقت الطبول و زعقت البوقات و انتشرت الاعلام و الرايات وركب ابن الملك شركان و الى جانبه وزيره دندان و الاعلام تخفق على رؤسهم و لم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى ان ولى النهار واقبل الليل فنزلوا و استراحوا وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الله بالصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا مجدين في السير والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم اشرفوا في اليوم الحادي والعشرين على واد واسع الجهات كثير الاشجار والنبات فسيح النواحي وكان وصولهم الى ذلك الوادي ليلا فامرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلثة ايام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل افريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك الوادي واما الملك شركان فانه كان في وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا في جوانب الوادي فارخى

عنان جواده واراد ان يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لاجل
وصية والده له فانهم في اول بلاد الروم وارض العدو فسار وحده
بعد ان امر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه سار على
ظهر جواده في جانب الوادي الى ان مضى من الليل ربعه فتعب
وغلب عليه النوم فصار لايقدر ان يركض الجواد وكان له عادة انه
ينـــام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام فمــا زال الجواد
سائرا به الى نصف الليل فدخل به في بعض الغابات وكانت تلك
الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره في الارض
فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار فطلع عليه القمر واضاء في الخافقين
فاندهش شركان لما رأى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لايخجل
قائلها وهي لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم فبينما هو كذلك وهو
خائف من الوحش واذا بالقمر قد انبسط على مرج كأنه من مروج
الجنة فسمع كلاما مليحا وحسا عاليا وضحكا يسبي عقول الرجال
فنزل الملك شركان عن جواده وربطه في الاشجار ومشى حتى اشرف
على نهر ماء يجري وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربي وهي تقول وحق
المسيح ليس هذا منكن مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها
وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى
الى طرف المكان فنظر فاذا هو بنهر يسبح وطيور تمرح وغزلان
تسرح ووحوش ترتع والطيور باختلاف لغاتها لمعاني الحظ تشرح وذلك
المكان مزركش بانواع النبـــات كما قال فيــه بعض واصفــيه
هذين البيـــــــــــــــــــــــــــــتين

مَا تَحْسُنُ الْأَرْضُ الاَّ عِنْدَ زَهْرَتِهَا ۝ وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا يَجْرِي بِإِرْسَالِ
صُنْعُ الْإِلَهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ مُقْتَدِرًا ۝ مُعْطِي الْعَطَايَا وَمُعْطِي كُلِّ مِفْضَالِ

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا و من داخل الدير قلعة شاهقة فى الهواء في ضوء القمر وفى وسطها نهر يجري الماء منه الى تلك الرياض و هناك امرأة بين يديها عشر جوار كأنهن الاقمار و عليهن من انواع الحلي والحلل مايدهش الابصار وكلهن ابكار كما قيل فيهن هذه الا بيـــــات

يُشْرِقُ الْمَرْجُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبِيضِ الْغَوَانِي
زَادَ حُسْنًا وَجَمَالاً مِنْ بَدِيعَاتِ الْخِلاَلِ
كُلُّ عَيْدَاءَ خَلُوبٍ ذَاتُ غُنْجٍ وَدَلاَلِ
رَاخِيَاتٍ لِشُعُورٍ كَعَنَاقِيدِ الدَّوَالِي
فَاتِنَاتٍ بِعُيُونٍ رَامِيَاتٍ بِالنِّبَالِ
مَائِسَاتٍ قَاتِلاَتٍ لِصَنَادِيدِ الرِّجَالِ

فنظر شركان الى هؤلاء العشرة جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بشعر اجعد وجبين ابلج وطرف ادعج و صدغ معقرب كاملة فى الذات و الصفات كما قال فيها الشاعر هذه الابيات شعـــــــرا

تَزْهُو عَلَيَّ بِأَلْحَاظٍ بَدِيعَاتِ وَقَدُّهَا مُخْجِلٌ لِلسُّمْهُرِيَّاتِ
تَبْدُو إِلَيْنَا وَخَدَّاهَا مُوَرَّدَةٌ فِيهَا مِنَ الظَّرْفِ أَنْوَاعُ الْمَلاَحَاتِ
كَأَنَّ طُرَّتَهَا مِنْ فَوْقِ طَلْعَتِهَا لَيْلٌ يَلُوحُ عَلَى صُبْحِ الْمَسَرَّاتِ

فسمعها شركان و هي تقول للجواري تقدموا حتى اصارعكم قبل ان يغيب القمر و يأتى الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها فى الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن

حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية عجوز كانت بين يديها
وقالت لها العجوز وهي كالمغضبة عليها يافاجرة اتفرحين بصرعك للجواري
فها انا عجوز وقد اصرعتهن اربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن
ان كان لك قوة على مصارعتي فصارعيني حتى اقوم اليك و اجعل
رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا و قد امتلأت غيظا منها باطنا
و قامت اليها و قالت لهـــا يا ستي ذات الدواهي بحـــق المسيح
اتصارعينني حقيقة ام تمزحين معي قالت لها نعم و ادرک شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لمـــا قالت لذات الدواهي
بحق المسيح اتصارعينني حقيقة ام تمزحين معي قالت لها بل اصارعك
حقيقة و شركان ينظر اليهن قالت لها قومي للصراع ان كان لك قوة
فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها
كأنه شعر قُنفذ ثم و ثبت و قامت اليها الجارية فقالت لها العجوز
وحق المسيح لم اصارعك الا وانا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز اخذت
منديل حرير و فكت لباسها و ادخلت يديها تحت ثيابها و نزعتها
من فوق جســـدها ولمت المنديل وشدته في وسطهـــا فصـــارت
كأنها عفريتة معطاء اوحية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلي
كفعلي كل هذا و شركان ينظـــر اليهما ثم ان شركان صــــار يتامل
في تشويه صورة العجوز ويضحک ثم ان العجوز لما فعلت ذلک قامت
الجارية على مهل و اخذت فوطة يمانية و ثنّتها مرتين و شمرت
سرا ويلها فبان لها سا قان من المرمر و فو قهما كثيب من البلور

نا عم مربرب وبطن يفوح المسك من اعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر رفيه نهدان كفحلي رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله ان الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال في شقتها ويدها اليمنى في رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها واارادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبان فى القمر شعرتها فضرطت ضرطتين عفرت احدنهما فى الارض ودخنت الاخرى فى السماء فضحك شركان عليها حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم يرا احدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال شركان في نفسه ماكذب من سماك ذات الدواهي هذا وانت تعرف قوتها مع غيرك ثم تقرب منهما ليسمع ما يجري بينهما فاقبلت الجارية ورمت عليها مُلاءة من حرير رفيعة والبستها ثيابها واعتذرت لها وقالت لها ياستي ذات الدواهي ما اردت الاصرعك لاجميع ما حصل لك ولكن انك انفلتِّ من بين يدي فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا وقامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية الى ان غابت عن البصر وصار الجواري مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما وقع عليّ النوم وسار بي الجواد الى هذا المكان الا لبختي فلعل هذه الجارية وما معها تكون غنيمة لي ثم انه عمد الى جواده وركبه ولكزه فقربه كالسهم اذا فر من القوس وبيده حسامه مجرد من قرابه وصاح الله اكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر وكان عرضه ستة اذرع بذراع العمل ووثبت فصارت فى الجانب الآخر

و قامت على حيلها ونادت برفيع صوتها من انت ياهذا فقد كنت قاطعا سورنا وحين شهرت حسامك كأنك قد حملت على عسكر من اين انت و الى اين تريد فاصدق في مقالك فان الصدق انفع لك ولا تكذب فان الكذب من اخلاق اللئام و لاشك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذي خلاصك فيه اكبر الغنيمات و انت الآن في مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا اربعة آلاف بطريق فقل لنا ما الذي تريد فان اردت ان نهديك الى الطريق هديناك وان اردت الرفد ارفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها انا رجل غريب من المسلمين و قد سرت في هذه الليلة منفردا بنفسي اطلب الغنيمة فلم اجد غنيمة احسن من هؤلاء الجوارى العشرة في هذه الليلة المقمرة فآخذهن والحق بهن الى اصحابي فقالت له الجارية اعلم ان الغنيمة ما وصلت اليهـا والجواري والله ما هن غنيمتك اما قلت لك ان الكذب شين فقال لها العاقل من يعتبر بغيره فقالت له وحق المسيح لولا اخاف ان يكون هلاكك على يدي لكنت صحت صيحة ملأت عليك المرج خيلا ورجالا ولكن انا اشفق على الغريب وان اردت الغنيمة فانا اطلب منك ان تنزل عن جوادك و تحلف لي بدينك انك لاتتقرب اليّ بشيءٍ من السلاح واتصارع انا واياك فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة وان انا صرعتك اتحكم فيك فاحلف لي على ذلك فاني اخاف من غدرك فقد ورد في الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان الثقة بكل احد عجز فان حلفت لي عديت اليك واتيتك وجئت عندك فقال شـركان وقد طمـع في اخذهـا وقال في نفسه انها لم تعرف اني بطل من الابطال ثم ناداها وقال لها حلّفيني

بما اردت و بما تشتهين به اني لا اقربك بشيٍّ حتى تاخذي اهبتك و تقولي ادن مني لاصارعك فحينئذ اتقرب اليك فان صرعتني فان لي من المال ما اشتري به نفسي و ان صرعتك نا فهي الغنيمة الكبرى فقالت الجارية انا رضيت بذلك فتحير شركان في ذلك و قال وحق النبي صلى الله عليه وسلم رضيت انا الآخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح في الاشباح و شرع الشرائع للانام انك لو تتعرض لي بسوء غير المصارعة تموت على غير دين الاسلام فقال شركان والله لو حلّفني قاضٍ ولو كان قاضي القضاة لم يحلّفني بهذه الايمان ثم انه حلف لها بجميع ما ذكرته وربط جواده في الاشجار وهو غريق في بحر الافتكار و قال سبحان من صورها من ماء مهين ثم ان شركان اشتد واخذ اهبته للصراع و قال للجارية عدى النهر و اعبري فقالت له ليس لي اليك عبور فان كنت تريد فاعبر انت الى عندي فقال لها شركان انا لا اقدر على ذلك فقالت الجارية يافتى انا اجيُّ لك ثم انها شمرت اذ يالها و قفزت فصارت عنده في الجانب الآخر من النهر فدنا منها و انحنى و صفق بيديه وهو باهت في حسنها وجمالها فرأى صورة قد اخترفتها يد القدرة بورقة الجان وربّتها يد العناية و هبّت عليها نسمات السعود و قابلها عند خلقتها طالع مسعود ثم ان الجارية اتت ونادته يا مسلم تقدم الى الصراع قبل ان يطلع الفجر و شمرت عن ساعد كانه الجبن الطريّ فاضاء ذلك المكان منه هذا و شركان قد تحير و انحنى و صفق بيديه و صفقت الاخرى بيديها و تعلقت به و تعلق بها و تعانقا و تماسكا و تعاركا فوضع يده على خصرها النحيل فغاصت انا مله في طبقات بطنها و استرخت اعضاؤه فوقف على مقام الحسرة فبان له بطن فيه الفترة و صار ير تعد مثل القصبة

الفارسية في الريح العاصف فرفعته وضربت به الارض وجلست على صدره بكفل كأنه كثيب رمل فلم يملك نفسه عقلا فقالت له يا مسلم انتم عندكم قتل النصارى مباح فما قولك في قتلك فقال لها يا سيدتي اما قولك عن قتلي فما هو الاحرام فان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النسوان والصبيان والشيوخ والرهبان فقالت له اذا كان نبيكم اوحي اليه بهذا فينبغي ان نكافئه على ذلك ولكن قم قد وهبتك نفسك فما يضيع عند الانسان الاحسان ثم قامت عن صدر شركان وقام ينفض التراب عن رأسه من ذوات الضلع الاعوج وما هي الامالت وقالت له لا تخجل فمن يدخل بلاد الروم يريد الغنيمة ويعين الملوك على الملوك كيف لا يكون فيه قوة حتى لا يقدر يدافع عن نفسه ذات الضلع الاعوج فقال لها ماهي لضعف قوتي ولاصرعتني ابقوتك ولكن جمالك هو الذي صرعني فان انعمت الي بدست اخركان من نوالك فضحكت وقالت اجبتك الى ذلك غيران الجواري طال بهم الكتاف وقد كلت منهم السواعد والاطراف والصواب اني احلهم فلربما طال الصراع في هذا الدست معك ثم انها اقبلت على الجواري وحلت اكتافهن وقالت لهن بلسان الروم اذهبن الى موضع تامن فيه على انفسكن حتى ينقطع طمع هذا المسلم منكن فذهبن الجواري وشركان ينظر اليهن وهن يتفرجن اليهما ثم دنا كل منهما بصاحبه وجعل بطنه على بطنها فلما صارت بطنه على بطنها وعلمت الجارية منه ذلك رفعته على يديها اسرع من البرق الخاطف ورمته الى الارض فوقع على ظهره فقالت له قم فاني وهبتك روحك مرة ثانية فان في الوجه الاول اكرمتك فيه لاجل نبيك فانه ما احل قتل النسوان وفي الوجه الثاني لاجل ضعفك

وحداثة سنك وغربتك ولكن اوصيك ان كان في عسكرا لمسلمين الذين جاوًا من عند عمر بن النعمان الذين ارسلهم لاجل الملك القسطنطينية اقوى منك فارسله الي وقل له علي فان للصراع انواعا و مراتب و ضروبا مثل الوهم ومنها المسابقة و المنازلة و اخذ الرجلين وعض الفخذ و العراك و الشباك فقال شركان و قد زاد غيظه منها والله ياسيدتي اذا كان القيم الصفدي او القيم محمد قيمال او ابن السلدي في زمانه ماحفظت هذه المواليف التي ذكرتهم لي ولكن ياسيدتي والله ما صرعتني بقوتك ولكن لمارا ودنني الى كفلك ونحن يا اهل العراق نحب الفخذ الكبير فما بقي لي عقل ولابصيرة فان شئت تصارعينني وفهمي معي فمابقي لي دست الا هذا بقانون هذه الصناعة لان نشاطي قد رجع لي في هذه الساعة فلما سمعت كلامه قالت له ما تريد بهذا الصراع يامغلوب تعال واعلم ان هذا الدست الكفاية ثم انها انحنت وطلبته للصراع فانحنى شركان عليها واخذ فى الجد وا حترز من الخذلان وتعاركا ساعة فوجدت الجارية فيه قوة لم تعهدها منه اولا فقالت له يامسلم اخذت لنفسك الحذر فقال لها نعم وانت تعلمين ان مابقي لي معك غير هذا الدست وبعد هذا يذهب كل منا في طريقه فضحكت وضحك الاخر في وجهها فلما وقع ذلك سبقت الى فخذه وقبضته على غفلة منه والقته على الارض فوقع على ظهره فضحكت عليه وقالت له انت تأكل نخالا والا كأنك طُرطور بدوي تقع من بطشة والا ابو رياح تقع من الهواء ويلك يا مشـــوٌم ثم قالت له اذ هب الى عسكر المسلمين وارسل لنا غيرك لانك قليل الجهد و ناد علينا فى العرب والعجم والترك والديلم كل من كان له قوة يأتي الينا ثم قفزت فصارت فى الجـــانب الآخر من النهر و قالت

لشركان و هي تضحك يعزّ عليّ فراقك يا مولاي اذهب الى اصحابك قبل الصباح لئلا تاتيك البطارقة و ياخذونك على اسنّة الرماح و انت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان في نفسه و قال لها و قد ولّت عنه معرضة طالبة للدير يا سيدتي اتذهبين و تتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت اليه و هي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فاني اجيب دعوتك فقال كيف اطأ ارضك واتحلي بحلاوة لطفك وارجع بلا اكل زادك وطعامك وقد صرت من بعض خدامك فقالت لايابى الكرامة الالئيم تفضل بسم الله على الراس والعين اركب جوادك و سر على جانب النهر مقابلي وانت في ضيافتي ففرح شركان و بادر الى جواده وركبه ولازال ماشيا في مقابلها وهي سائرة قباله الى ان وصل الى جسر معمول باخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها اقفال في كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر و اذا بالجواري اللاتي كن معها في المصارعة قائمات ينتظرنها فلما اقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية ان قومي اليه و امسكي عنان جواده واعبري به الى الدير فسار شركان وهي قدامه الى ان عدى من الجسر وقد اندهش عقله مما رأى و قال في نفسه يا ليت شعري لوان الوزير دندان كان معي في هذا المكان و تنظر عيناه الى تلك الوجوه الحسان ثم التفت الى تلك الجارية و قال لها يا بديعة الجمال الآن قد صار لي عليك حرمتان حرمة الصحبة والاخرى بسيري الى منزلك و قبول ضيافتك و صرت تحت حكمك و زمامك فلوانك تنعمين عليّ بالمسير معي الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل سيد ضرغام وتعرفين من انا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي

ذا عقل سديد ولكنني اطلعت الآن على ما في قلبك من الفساد وكيف
يجوز لك ان تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف اصنع هذا
وانا اعلم اني متى حصلت عند ملككم عمر بن النعمان لا اخلص
منه لانه ما في صورة ولا في قصورة مثلي ولوكان صاحب بغداد
وخراسان الذي له اثنى عشر قصرا في كل قصر جارية على عدد
ايام السنة والقصور عدد شهور السنة فان حصلت عنده ما فزع
مني لان اعتقادكم انا نحل لكم كما في كتبكم حيث قيل فيها أَوْمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فكيف تكلمني بهذا الكلام واما قولك وتتفرجين
على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح
فاني رأيت عسكركم لما استقبلتم ارضنا وبلادنا منذ هذين اليومين
فلما اقبلتم لم ار تربينكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف
مجتمعين واما قولك تعرفين من انا فانا لا اصنع معك جميلا
لاجل اجلالك وانما افعل ذلك لاجل الفخر ومثلك لا يقول لمثلي
ذلك ولوكنت شركان ابن الملك عمر بن النعمان الذي ظهر في هذا
الزمان فقلتُ لها وانت تعرفين شركان قالت نعم وعرفت قدومه
مع العساكر وعدتهم عشرة آلاف فارس وذلك ان والده عمر بن
النعمان ارسل معه هذا الجيش لنصرة ملك القسطنطينية فقال شركان
يا سيدتي اقسمت عليك بما تعتقدين من دينك حدثيني عن سبب
ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك
فقالت له وحق دينك لولا اني خفت ان يشيع خبري اني من بنات الروم
لكنت خاطرت بنفسي وبارزت عشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير
دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان عليّ في ذلك عار ولكنني قرأت
الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست اصف لك نفسي بالشجاعة

مع انك رأيت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نطّ هذا النهر لم يقدر على ذلك واني اودّ لو ان المسيح يرميه بين يدي في هذا الدير حتى اخرج له في صفة الرجال واسره واجعله في الاغلال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه وانه ان وقع شركان في يدي فاني اخرج له في صفة الرجال واجعله في القيود والاغلال بعد ان اسره من بحر سرجه فلما سمع شركان هذا الكلام اخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال واراد ان يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها جمالها فانشد يقول

وَإِذَا الْمَلِيحُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ... جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

ثم صعدت وهو في اثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى اردافها تتلاطم كالامواج في البحر الرجراج فانشد يقول هذه الابيات

فِي وَجْهِهَا شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهَا ... مِنَ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا
إِذَا تَأَمَّلْتُهَا نَادَيْتُ مِنْ عَجَبٍ ... اَلْبَدْرُ فِي لَيْلَةِ الْإِكْمَالِ قَدْ طَلَعَا
لَوْ أَنَّ عِفْرِيتَ بِلْقِيسٍ يُصَارِعُهَا ... مَعْ وَصْفِ قُوَّتِهِ فِي سَاعَةٍ صُرِعَا

ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز

طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كشعاع النار فتلقتها الجواري في آخرالدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر اصناف الجواهر وسارت وهن امامها وشركان وراءها الى ان وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير اسرّة مقابلة لبعضهـــا وعليها ستور مكللة بالذهب وارض الدير مفـروشـة بانواع الرخـام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها اربعة وعشرون فوارة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين وراى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكي فقالت له الجارية اصعد يامولاني على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت ساعة من الزمان فسأل عنها من بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما امرت ثم انهم قدموا له من غرائب الالوان فاكل حتى اكتفى ثم انهم قدموا له طشتـا من الذهب وابريقا من الفضة فغسل يديه وخاطره عند عسكره لكونه لايعلم ماجرى لهم بعده ويتذكر ايضا كيف نسي وصية ابيه فصار متحيرا في امره نادما على ما فعل الى ان طلع الفجروبان النهار فتنهد وتحسر على مافعل وصار غريقا في بحار الفكر وانشد يقـــــــــــــــــــــــــول

لَمْ أَعْدِمِ الْحَزْمَ وَلٰكِنَّنِي دُهِيتُ فِي الْأَمْرِ فَمَا حِيلَتِي
لَوْكَانَ مَنْ يَكْشِفُ عَنِّي الْهَوٰى بَرِئْتُ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ قُوَّتِي
وَإِنَّ قَلْبِي فِي ضَلَالِ الْهَوٰى صَبٌّ وَأَرْجُو اللّٰهَ فِي شِدَّتِي

فلما فرغ من شعره واذا ببهجة عظيمة قد اقبلت فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن

كالبدر بين الكواكب يحجبن تلك الجارية و عليها ديباج ملوكي
وقد شدت في وسطها زنارا محبوكا مرصعا با نواع الجواهر وقد ضمر
خصرها و ابرز ردفاها فصارتا كانهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة
و نهداها كفحلين من الرمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله
ان يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها
شبكة من اللؤلؤ منصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها
يرفعن اذ يا لها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما
لما رأى حسنها وجما لها فصاح زنهار زنهار من هذا الزنار ثم
انشد يقول هذه الابيات

ثَقِيلَةُ الْاَرْدَافِ مَائِلَةٌ خُرْعُوبَةٌ نَاعِمَةُ النَّهْدِ
تَكَتَّمَتْ مَا عِنْدَهَا مِنْ جَوًى وَلَسْتُ اَكْتُمُ الَّذِي عِنْدِي
خُدَّامُهَا يَمْشِينَ مِنْ خَلْفِهَا كَالْعَقْلِ فِي حَلٍّ وَفِي عَقْدِ

فجعلت الجارية تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان
تحققته وعرفته فقالت له بعد ان اقبلت عليه قد اشرف واضاء بك
المكان ياشركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك
ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عند الملوك
الكبار وانت شركان بن الملك عمر بن النعمان فلا تكتم سرك
وحالك ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث
البغض و العداوة وقد نفذ فيك سهم القضاء فعليك بالتسليم
والرضاء فلما قالت ذلك لم يمكنه النكران فصدقها على ذلك فقال
انا شركان بن عمر بن النعمان الذي عذّبني الزمان واوقعني
في هذا المكان فمهما شئت فافعليه الآن فاطرقت براسها الى الارض

زماناً طويلاً ثم التفتت اليه وقالت له طب نفساً وقر عيناً فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح فانت في ذمتي وفي عهدي فكن آمناً وحق المسيح لواراد اهل الارض ان يؤذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح واماني وجلست الى جانبه وصارت تلاعبه الى ان زال ما عنده من الخوف وعلم انها لوكان لها ارب في قتله لفعلته من الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة واتت اليها ومعها كأس ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيئاً في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت له وحق المسيح ليس الامركذلك وهذا الطعام ليس فيه شيء من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة واكلت من كل لون لقمة فعند ذلك اكل شركان ففرحت الجارية واكلت معه الى ان اكتفيا وغسلا يديهما وبعد ان غسلا ايديهما قامت وامرت جارية ان تأتي بالرياحين وآلات الشراب من اواني الذهب والفضة والبلور وان يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والصفات فاتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت اول قدح وشربته قبله كما فعلت في الطعام ثم ملأت ثانيا واعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف انت في الذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه وتسقيه الى ان غاب عن رشده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية مازالت تشرب وتسقي شركان

الى ان غاب من رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت للجارية يا مرجانة هاتي لنا شيئا من آلة الطرب فقالت سمعا وطاعة وغابت لحظة و اتت بعود جلقي وجنك عجمي وناي تتري وقانون مصري فاخذت الجارية العود و اصلحته وشدته وغنت عليه بصوت رخيم ارق من النسيم واعذب من ماء التسنيم من قلب سليم وانشدت تقول هذه الابيات

عَفَا اللّٰهُ عَنْ عَيْنَيْكَ كَمْ سَفَكَتْ دَمًا ... وَكَمْ فَوَّقَتْ مِنْكَ اللَّوَاحِظُ اَسْهُمَا
اُجِلُّ حَبِيبًا جَائِرًا فِي حَبِيبِهِ ... حَرَامٌ عَلَيْهِ اَنْ يَرِقَّ وَيَرْحَمَا
هَنِيئًا لِطَرْفٍ بَاتَ فِيكَ مُسَهَّدًا ... وَطُوبَى لِقَلْبٍ ظَلَّ فِيكَ مُتَيَّمًا
تَحَكَّمْتَ فِي قَتْلِي فَاِنَّكَ مَالِكِي ... بِرُوحِي اَفْدِي الْحَاكِمَ الْمُتَحَكِّمَا

ثم قامت كل واحدة من الجواري و معها آلتها تنشد عليها ابياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن ايضا وقالت له يا مسلم اما فهمت ما اقول قال لا و لكن ما طربت الا على حسن انا ملك فضحكت و قالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت املك عقلي فاخذت آلة الطرب فغيرت الضرب وانشدت تقول شعرا

طَعْمُ التَّفَرُّقِ مُرٌّ ... فَهَلْ لِذٰلِكَ صَبْرُ
تَعَرَّضَتْ لِي ثَلٰثٌ ... صَدٌّ وَبُعْدٌ وَهَجْرُ
اَهْوَى ظَرِيفًا سَبَانِي ... بِالْحُسْنِ وَالْهَجْرُ مُرٌّ

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدت شركان غاب عن وجوده و صار مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم افاق و تذكر الغناء

فمال طربا ثم اقبلا على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو الى ان ولى النهار بالرواح و ارخى الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال في وداعة الله و حفظه فلما اصبح الصباح اقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتي تدعوك اليها فقام معها و سار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف والمواصل الى ان وصل الى باب كبير وهو من العاج مرصع بالدرر و الجواهر فلما دخلوا منه فوجدوا دارا كبيرة ايضا وفي صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير و بدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على اشجار و انهار و في البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك في جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم و الجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه ومسكت يده واجلسته بجانبها و سألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان ثم قالت له اتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين و المتيمين فقال نعم اعرف شيأ من الاشعار فقالت اسمعني فانشد يقول

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَدَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ
فَوَاللّٰهِ مَا قَارَبْتُ اِلَّا تَبَاعَدَتْ بِصَرْمٍ وَلَا أَكْثَرْتُ اِلَّا أَقَلَّتِ
اِنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ
لَكَا لْمُرْتَجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ

فلما سمعت منه ذلك قالت لقد كان كثير بيِّن الفصاحة عفيف و بالغ في وصفه لعزة حيث قال و انشدت تقول

لَوْاَنَّ عَزَّةَ حَاكَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لَهَا
وَسَعَى اِلَيَّ بِعَيْبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ جَعَلَ الْاِلٰهُ خُدُودَ هُنَّ نِعَالَهَا

ثم قالت وقيل ان عزة كانت في نهاية الحسن و الجمال ثم قالت له
يا ابن الملك ان كنت تعرف شيئا من كلام جميل بُثَيْنَةَ فانشدنا منه
فقال نعم انا اعرف به من كل احد ثم انشد يقول من شعر جميل
هذه الابيات

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ ... وَ اَيُّ جِهَادٍ غَيْرَ هُنَّ اُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ ... وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ
اِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي ... مِنَ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَ يَزِيدُ
وَاِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي اَعِشْ بِهِ ... مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
تُرِيدِينَ قَتْلِي لَا تُرِيدِينَ غَيْرَهُ ... وَلَسْتُ اَرَى قَصْدًا سِوَاكَ اُرِيدُ

فلما سمعت ذلك قالت له احسنت يا ابن الملك واحسن جميل
ما الذي ارادته بثينة بجميل حتى قال هذا الشطر اي تريدين
قتلي لاتريدين غيره فقال لها شركان يا سيدتي لقد ارادت به
ما تريدين مني ولايرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا
الكلام و لم يزالا يشربان الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار
فقامت الجارية و ذهبت الى مرقدها و نامت و نام شركان في مقامه
الى ان اصبح الصباح فلما افاق اقبلت عليه الجواري بالدفوف وآلات
الطرب على العادة و قبلن الارض بين يديه و قلن له بسم الله
تفضل ان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان و مشى
و الجواري حوله يضربن بالدفوف و الآلات الى ان خرج من تلك
الدار و دخل الى دار غيرها وهي اعظم من الدار الاولى و فيها
من التماثيل و صور الطيور و الوحوش مالا يوصف فتعجب شركان
مما رأى من صنعة ذلك المكان فانشد يقول

أَجْنَى رَقِيبِي مِنْ ثِمَارِ قَلَائِدٍ دُرَّ النُّحُورِ مُنَضَّدًا بِالْعَسْجَدِ
وَعُيُونِ مَاءٍ مِنْ سَبَائِكِ فِضَّةٍ وَخُدُودِ وَرْدٍ فِي وُجُوهِ زَبَرْجَدِ
فَكَأَنَّمَا لَوْنُ الْبَنَفْسَجِ قَدْ حَكَى زُرْقَ الْعُيُونِ وَكُحِّلَتْ بِالْإِثْمِدِ

فلما رأت الجارية شركان قامت له و اخذت بيده واجلسته الى جانبها و قالت له اتحسن شيئا يا ابن الملك عمر بن النعمان في لعب الشطرنج قال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشاعر

أَقُولُ وَالْوَجْدُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي وَنَهْلَةٌ مِنْ رُضَابِ الْحُبِّ تُرْوِينِي
حَضَرْتُ شِطْرَنْجَ مَنْ أَهْوَى فَلَاعَبَنِي بِالْبِيضِ وَالسُّودِ لَكِنْ لَيْسَ يُرْضِينِي
كَأَنَّمَا الشَّاهُ عِنْدَ الرُّخِّ مَوْضِعُهُ وَقَدْ تَفَقَّدَ دَسْتًا بِالْفَرَازِينِ
فَإِنْ نَظَرْتُ إِلَى مَعْنَى لَوَاحِظِهَا فَغُنْجُ أَلْحَاظِهَا يَا قَوْمِ يُرْدِينِي

ثم قدمت له الشطرنج و لعبت معه فصار شركان كلما اراد ان ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل و يضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فانك لا تعرف شيئا فقال هذا اول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع و صف القطع و لعب معها فغلبته ثانيا وثالثا و رابعا و خامسا فالتفتت اليه و قالت له انت في كل شيء مغلـــوب فقال ياسيدتي على من لاعب مثلك كيف لايُغلب ثم امرت باحضار الطعام فاكلا وغسلا ايديهما وقدموا لهما الشراب فشربا وبعد ذلك اخذت القانون وكان لها يد في ضرب القانون فانشدت تقول هذه الابيــــات

الدَّهْرُ مَا بَيْنَ مَطْوِيٍّ وَمَبْسُوطِ وَمِثْلُهُ مِثْلُ مَجْرُورٍ وَمَخْرُوطِ
فَاشْرَبْ عَلَى حُسْنِهِ لَوْ كُنْتَ مُقْتَدِرًا أَنْ لَا تُفَارِقَنِي فِي وَجْهِ تَفْرِيطِ

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى ان دخل الليل فكان في ذلك اليوم احسن من اليوم الاول فلما اقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها ولم يبق عنده الا الجواري فالقى نفسه على الارض ونام الى الصباح فاقبلت عليه الجواري على عادتها بالدفوف وآلات الطرب فلما رآها نهض وجلس واخذنه ومشين به الى ان وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة واخذت بيده واجلسته الى جانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء فاخذت العود وانشدت تقول شعر

لَا تَرْكُنَنَّ إِلَى الْفِرَاقِ فَإِنَّهُ ... مُرُّ الْمَذَاقِ
اَلشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا ... تَصْفَرُّ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة ورجال متزاحمين وبطارقة بايديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فايقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه والله لقد عملت هذه الجارية الحيلة واسهلتني الى ان جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن انا الذي قد القيت نفسي في هذا الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من انتم فقال لها البطريق المقدم عليهم اينها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة اما تعرفين من هو الذي عندك قالت له لااعرفه فمن يكون هذا فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان بن الملك عمر بن النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من السيدة العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلا عن العجوز وها

انت قد نصرت عسكر الروم باخذ هذا الاسد المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمي ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشرده بطريق البطارقة قالت له وكيف دخلت علي بغير اذني فقال لها يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب مامنعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوابين ايدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء احد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شوكة عسكر الاسلام حتى انه يقتله ويرحل عسكره الى الموضع الذي جاؤا منه من غير ان يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت الست ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل وهي لا تعلم حقيقته وانا وحق المسيح ان الذي عندي ما هو شركان ولا هو اسير ولكنه رجل اتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فاضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروتي اني امكّنكم على من دخل تحت ذمامي فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام بل ارجع انت الى الملك ابي وقبل الارض بين يديه واخبره بان الامر بخلاف ما قالت الست ذات الدواهي فقال البطريق ما سورة يا ابريزة انا ما اقدر ان اعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت ويلك عُدْ له بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ما سورة لا اعود الا به فتغير لونها وقالت له لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا وهو واثق من نفسه انه يحمل علي مائة فارس وحده ولو قلت له انت شركان بن الملك عمر بن النعمان يقول نعم

و لكن لاامكنكم ان تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يعـود عنكـم
الا ان قتل جميع من كان في هذا المكان وهاهو عنـدي وها انا
احضره بين ايديكـم و سيفه و حَجَفته معه فقال لها البطـريق
ما سورة انا اذا امنت من غضبك لم آمن من غضب ابيك و اني
اذا رأيته اشيـر الى البطارقة فياخذونه اسيرا و نمضي به الى الملك
حقيرا فلمـا سمعت منه هذا الكلام قالت له لا كان هذا الامر فانه
عنوان السفه لان هذا رجل و احد وانتم مائة بطـريق فاذا اردتم
مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو
البطل فيكم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا
رجل و احد و انتم مائة و لكن ان اردتم مصادمته فاظهروا له واحدا
بعد و احد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق
ما سورة وحق المسيح لقد قلتِ الحق و لكن ما يخرج له اولا
غيري فقالت الجارية له اصبر حتى اذهب اليه و اعرفه بالخطـاب
و انظر ما عنده من الجـواب فان اجاب فهو الصواب و ان ابى
فلا سبيل لكم اليه و اكون انا ومن في الدير وجواريّ فداه ثم اقبلت
على شركان و اخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر احدا بأمره
و انمـا شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم
على نفسه و قال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم انه لما سمع
كلام الجارية قال لها ان بروزهم اليّ واحدا بعد و احد اجحـاف
بهم فهلا يبرزون لي عشرة بعد عشرة فقالت له الجـارية هذه

الشطارة ظلم وان كل واحد لواحد فلما سمع ذلك الكلام وثب
على قدميه وسار الى ان اقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه
فعند ذلك وثب البطريق عليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الاسد
وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من ظهره وامعائه فلما
نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت انها حين صرعته
ما صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية اقبلت على البطارقة
وقالت لهم خذوا بثأر صاحبكم فخرج له اخ المقتول وكان جبارا
عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله دون ان ضربه بالسيف على
عاتقه فخرج السيف يلمع من امعائه فعند ذلك نادت الجارية يا عباد
المسيح خذوا بثأر صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد
وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية
تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب في قلوب من بقي منهم وقد
تأخروا عن البراز فلم يجسروا على البروز اليه بل حملوا عليه
باجمعهم وحمل هو عليهم بقلب اقوى من الحجر الى ان طحنهم
طحن الدراس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية
على جواريها وقالت لهن من بقي في الدير فقلن لها ما بقي
احد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته واخذته بالاحضان وطلع شركان
معها الى القصر بعد فراغه من المعاركة وكان قد بقي منهم قليل
كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت
من عند شركان ثم عادت اليه وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها
صارم هندي وقالت وحق المسيح لم ابخل بنفسي عن ضيفي ولا
اتخلى عنه ولو بقي بسبب ذلك معيرة في بلاد الروم فلما
تأملت البطارقة وجدته قتل منهم ثمانين وانهزم منهم

عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك ياشركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى و ينشد هذه الابيات

وَكَمْ فَرَّقْتُ فِي الْهَيْجَاءِ جَمْعًا ... تَرَكْتُ كُمَاتَهُمْ طُعْمَ السِّبَاعِ
سَلُوا عَنِّي وَعَنْهُمْ فِي نِزَالِي ... جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْقِرَاعِ
تَرَكْتُ لُيُوثَهُمْ فِي الْحَرْبِ صَرْعَى ... عَلَى الرَّمْضَاءِ فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ

فلما فرغ من شعره اقبلت عليه الجارية متبسمة و قبلت يده و قلعت الزرد الذي كان عليها فقال لها يا مولاتي لاي شيء لبست هذا الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم اصحاب الملك يدخلون منزلي بغير اذني فقالوا لها ايتها الملكة ما جرت العادة اننا نحتاج الى استيذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم اظنكم ما اردتم الا هتكي و قتل ضيفي ثم امرت شركان ان يضرب رقابهم فضرب رقابهم و قالت لباقي خدامها انهم يستحقون اكثر من ذلك ثم التفتت الى شركان و قالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا فها انا اعلمك بقصتي اعلم اني بنت ملك الروم حردوب واسمي ابريزة والعجوز التي تسمى ذات الدواهي جدتي ام ابي وهي التي اعلمت ابي بك ولا بد انها تعمل حيلة على هلاكي سيما و قد قتلت بطارقة ابي وشاع ابي قد انفردت وتحزبت مع المسلمين فالرأي السديد انني اترك الاقامة هنا ما دامت ذات الدواهي خلفي و لكن اريد منك مثل ما فعلت معك من الجميل تفعل معي فان العداوة قد وقعت بيني و بين ابي

من اجلك فلا نترك من كلامي شيئا فان هذا كله ما وقع الا من شانك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح و اتسع صدره و انشرح و قال والله لا يصل اليك احد ما دام في صدري روح و لكن هل لك صبر على فراق والدك و اهلك قالت نعم فحلفها شركان و تعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبي و لكن بقي عليك شرط آخر فقال وما هو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها ياسيدتي ان ابي عمر بن النعمان ارسلني الى قتال والدك بسبب المال الذي اخذه و من جملته ثلث خرزات الكبار الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا و قر عينا فها انا احدثك بحديثها و سبب معاداتنا لملك القسطنطينية و ذلك ان لنا عيدا يقال له عيد الدير في كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار و بنات الاكابر و التجار و نساؤهم و يقعدون فيه سبعة ايام و انا من جملتهم فلما وقعت بيننا المعاداة منعني ابي من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين فاتفق في سنة من السنين ان بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من اماكنها الى الدير في ذلك العيد على العادة و من جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية و هي بنت جميلة يقال لها صفية فاقاموا فى الدير ستة ايام و فى اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية انا ما ارجع الى القسطنطينية الا فى البحر فجهزوا لها مركبا و نزلت هي و خواصها فلما حلوا القلوع و ساروا فبينما هم سائرون و اذا بريح قد خرج عليهم فاخرج المركب عن طريقه و كان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور و فيها خمسمائة افرنجي بالسلاح و كان لهم مدة فى البحر فلما لاح لهم قلع المركب التي فيها صفية و من معها من البنات انقضوا عليها مسرعين

فما كان دون ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب
وجروها وحلوا قلوعهم و قصد واجزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى
انعكس الريح عليهم فلما انعكس الريح عليهم جذبهم الى شعب و
خرق الريح قلوعهم وجرهم الينا غصبا فخرجنا اليهم فرأيناهم غنيمة قد
انساقت الينا فاخذناهم وقتلناهم فوجدنا تلك الاموال والتحف واربعين
جارية و من جملتهم صفية بنت الملك فاخذناهم وقدمنا الجواري
الى ابي و نحن ما نعرف ان فيهن ابنة الملك افريدون ملك
القسطنطينية فاختار ابي منهن عشر جوار وفيهن ابنة الملك و فرق
الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة جوار فيهن ابنة الملك و ارسلهن
هدية الى والدك عمر بن النعمان مع شيء من الجوخ ومن ثياب
الصوف و من القماش الحرير الرومي وقبله ابوك فاختار من الخمس
جوار صفية بنت الملك افريدون فلما كان اول هذا العام كتب ابوها
كتابا الى والدي بكلام لا ينبغي ذكره وصار يهدده ويوبخه ويقول له
انتم ربحتم منا مركبا من منذ سنتين وكانت في يد لصوص من جماعة
افرنج حرامية وكانت فيها بنتي صفية و معها من الجواري نحو ستين
جارية ولم تعلموني ولم ترسلوا الي احدا يخبرني بذلك وانا لم اقدر
اظهر الخبر خوفا ان يكون في حقي عار عند الملوك من اجل
هتك ابنتي فكتمت امري الى هذا العام فكاتبت بعض الحرامية
من الافرنج وسألتهم خبر ابنتي عند من في الجزائر من الملوك فقالوا
والله ما خرجنا بها من بلادك لكن سمعنا انها اخذها من يد
بعض الحرامية ملك حردوب و حكوا له الحكاية ثم قال في المكتوب
الذي كتبه لوالدي ان لم يكن مرادكم معاداتي و قصدكم فضيحتي
و هتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا الي ابنتي من عندكم

وان اهملتم كتابي وعصيتم امري فلا بدّ ان اكافئكم على قبيح افعالكم وسوء اعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة الى ابي وقرأها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف ان صفية بنت الملك افريدون في تلك الجواري ليردها الى والدها فتحير في امره وما بقي يمكنه بعد هذه المدة الكبيرة ان يرسل الى الملك عمر بن النعمان يطلبها منه ولاسيما انا سمعنا من مدة يسيرة انه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك افريدون اولادا فلما تحققنا ذلك علمنا ان هذه الورقة هي المصيبة العظمى فما كان لابي حيلة غير انه كتب جوابا للملك افريدون ويعتذر اليه ويحلف له بالاقسام انه ما علم ان ابنته كانت من جملة الجواري التي كانت في تلك المركب ثم اظهره على انه ارسلها الى الملك عمر بن النعمان وانه رزق منها الاولاد فلما وصلت رسالة ابي الى افريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وارغى وازبد وقال كيف انه سبي ابنتي وصارت بصفة الجواري وتتداولها الايدي وتصل الى الملوك ويطؤنها بلا عقد فقال وحق المسيح والدين الصحيح ما بقيت اتعد عن هذا الا ان آخذ الثأر واكشف العار واني لا فعلن فعلا يتحدثون به المحدثون من بعدي وما زال صابرا الى ان دبر الحيلة ونصب مكائد عظيمة وارسل رسلا الى والدك عمر بن النعمان وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى ان والدك جهزك بالعساكر التي معك من اجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك ومن معك من عسكرك واما ثلث خرزات التي قال لوالدك عنها في رسالته لم يكن لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته واخذها ابي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها

و وهبها لي وهي الآن عندي فاذهب انت الى عسكرك وردهم قبل ان يستغرقوا ويتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليكم الطرق فلم تجدوا لكم خلاصا من ايديهم الى يوم الجزاء والقصاص وانا اعرف ان الجيوش مقيمون في مكانهم لانك رسمت لهم بالاقامة ثلثة ايام مع انهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ما ذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام غاب ساعة وهو متفكر ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذي منّ عليّ بك وجعلك سببا لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز عليّ فراقك ولا اعلم ما يجري عليك بعدي فقالت له اذهب انت الآن الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وانتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلثة ايام انا الحقكم وما تدخلون بغداد الا وكلنا سواء ثم انه لما اراد الانصراف قالت له والعهد الذي بيني وبينك لاتنساه ثم انها نهضت قائمة معه لاجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وودعته وعانقته وبكت بكاء شديدا وانشدت تقول شعرا

وَدَّعْتُهَا وَيَدِي ٱلْيَمِينُ لِأَدْمُعِي وَيَدِي ٱلْيَسَارُ لِضَمَّةٍ وَعِنَاقِ
قَالَتْ أَمَا تَخْشَى ٱلْفَضِيحَةَ قُلْتُ لَا يَوْمَ ٱلْوَدَاعِ فَضِيحَةُ ٱلْعُشَّاقِ

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج طالبا للجسر فوصل اليه ومر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من تلك الاشجار وشق في ذلك المرج واذا هو بثلثة فوارس فاخذ لنفسه منهم الحذر وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه ونظر اليهم فاذا هو احدهم الوزير

دندان ومعه اميران فلما رأوه وعرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير عن سبب غيابه فاخبرهم عن جميع ما جرى له مع الملكة ابريزة من اوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما اسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولا زالوا سائرين مجدين في السير الى ان وصلوا الى سطح الوادي وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم واخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من امر الرسل وملكهم واما ما كان من امر شركان ووزير دندان واميرين فانهم قد اشرف الاربعة على عسكرهم وصاحوا عليهم ارحلوا ارحلوا فرحلوا من ساعتهم وساروا اول يوم وثاني يوم وثالث يوم ولازالوا سائرين الى خمسة ايام ونزلوا في واد كثير الاشجار واستراحوا فيه مدة وبعد ذلك رحلوا منه ومازالوا سائرين مدة خمسة وعشرين يوما حتى اشرفوا على اوائل بلادهم فلما وصلوا الى هناك امنوا على انفسهم ونزلوا لأخذ الراحة فخرج اليهم اهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم والاقامات فاقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم في مائة فارس وأمّر الوزير دندان فسار ومعه الجيش فلما كان بعد مسيرهم بيوم حوّل شركان على السفر فركب وركبت مائة فارس وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا امامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيلهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفي الحديد والزرد غواطس

فلما ان قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم و قالوا وحق يوحنا و مريم نحن بلغنا ما املناه و نحن خلفكم مجدّون السير ليلا و نهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم و اعطونا اسلحتكم و سلموا لنا انفسكم حتى نجود عليكم بارواحكم فلما سمع شركان ذلك قامت عيناه في ام راسه و احمرّت وجنتاه و قال لهم يا كلاب النصارى جسرتم وجئتم الى بلادنا و مشيتم في ارضنا وما كفاكم ذلك حتى انكم تخاطرون بانفسكم و تخاطبون بهذا الخطاب اظننتم انكم تخلصون من ايدينا و تعودون الى بلادكم ثم صاح على مائة فارس الذين معه و قال لهم دونكم و هؤلاء الكلاب فانهم في عددكم ثم سلّ سيفه وحمل عليهم و حملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب اقوى من الصخر و اصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال في الابطال و التحم القتال واشتد النزال و عظمت الاهوال و قل بطل القيل والقال ولم يزالوا في الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولى النهار و اقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم البعض و اجتمع شركان باصحابه فلم يجد احدا انصدم منهم غير اربعة انفس بجراحات حصلت لهم لكن رآها سالمة فقال لهم شركان والله عمري اخوض بحرالحرب العجاج و اقاتل الرجال فما لقيت اصبر على الجلاد و ملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم ايها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا و هو المقدم عليهم له شجاعة و طعنات نافذات غير انه والله عفاعنا كبارا و صغارا وكل من وقع بين يديه يتغافل عنه ولا يقاتله فوالله لوا راد قتلنا لقتلنا باجمعنا فتحير شركان لمارأى من فعله و سمع عنه ذلك المقال و قال في غداة غد نصطف و نبارزهم فها نحن مائة وهم مائة وانا نطلب

النصر عليهم من رب السماء و باتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق و اما
الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم و قالوا له اننا ما بلغنا اليوم
في هؤلاء اربا فقال لهم في غداة غد نصطف و نبارزهم واحدا
بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق وتحارس الفريقان الى ان اصبح
الله تعالى بالصباح فركب الملك شركان وركبت معه المائة فارس
واتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان
لاصحابه ان اعداءنا قد عزموا على ما كانوا فيه فدونكم و المبادرة اليهم
فنادى مناد من الافرنج لايكون قتالنا في هذا اليوم الامناوبة بان
يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من اصحاب
شركان وساق بين الصفين و قال هل من مبارز هل من
مناجز لايبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى
برز اليه فارس من الافرنج غريق في سلاحه وقماشه من ذهب وهو
راكب على جواد اشهب وذلك الافرنجي لانبات بعارضيه فساق
جواده حتى وقف في وسط الميدان واخذ معه في الضرب والطعان
فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجي بالرمح فنكسه عن جواده
واخذه اسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه ان يخرج الى
الميدان واخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهواخ
الاسير ووقف معه في الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة
يسيرة ثم كرّ الافرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه
عن جواده واخذه اسيرا ولازالت المسلمين يخرج منهم واحد بعد
واحد والافرنجي يأسرهم الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار
وقد اسروا من المسلمين عشرين فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم
عليه وجمع اصحابه وقال لهم ما هذا الامر الذي حل بنا انا اخرج

في غداة غد الى الميدان وا طلب برازالمقدم عليهم والنظر من كان السبب في دخوله الى بلادنا واحذّره من قتالنا فان ابى قاتلناه وان صالحنا صالحناه وباتوا على هذا الحال الى ان اصبح الله تعالى بالصباح فركبت الطائفتان واصطفّت الفريقان فاراد شركان ان يخرج الى الميدان واذا بالافرنج قد ترجّل منهم اكثر من نصفهم قدّام فارس منهم ومشوا قدامه الى ان صاروا في وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس واذا بالفارس المقدم عليهم لابس قباء ازرق من اطلس ووجهه فيه كالبدر اذا اشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سيف مهنّد وهو راكب على جواد ادهم في وجهه غرة كالدرهم وذلك الافرنجي لانبات بعارضيه ولكز جواده حتى صار في وسط الميدان واشار الى المسلمين وهو يقول بلسان عربي فصيح يا شركان يا ابن عمر بن النعمان يا من ملك الحصون واخرب البلدان دونك والحرب والقتال وابرزْ الى من قد ناصفك في الميدان فانت سيد قومك وانا سيد قومي فمن غلب منا صاحبه قامت قومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برزله شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الافرنجي في الميدان وطبق عليه كالاسد الغضبان فتلقى الافرنجي في الميدان بخبرة واسكان وصدمه صدمة الفرسان واخذا في الطعن والضرب ولم يزالا في كرّ وفرّ واخذ ورد كانهما جبلان اصطدما او بحران التطما ولم يزالا في قتال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وانفصل كل منهما من صاحبه وعاد الى قومه فلما اجتمع شركان باصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس قط الا اني رأيت منه خصلة لم ارها من

احد غيره وهوا نه اذا لاح له في خصمه مضرب قاتل يقلّب الرمح ويضربه بعقبه ولكن ما ادري ماذا يكون مني ومنه ومرادي ان يكون في عسكرنا مثله ومثل اصحابه وبات شركان فلما اصبح الصباح خرج له الافرنجي ونزل في وسط الميدان واقبل عليه شركان ثم اخذا فى القتال واوسعا فى الحرب والمجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا في حرب وكفاح وطعن بالرماح الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكي لاصحابه ما لاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجي قال لاصحابه في غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا فى الحرب الى نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجي حيلة ولكز الجواد ثم جذ به باللجام فعثر به ورماه فانكبّ عليه شركان واراد ان يضربه بالسيف خوفا ان يطول به المطال فصاح به الافرنجي وقال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان انما هذا فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه وامعن النظر فيه فوجده الملكة ابريزة التي وقع له معها ما وقع فى الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الارض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال قالت له اردت ان اختبرك فى الميدان وانظر ثباتك في الحرب والطعان وهؤلاء الذين معي كلهم جواري وكلهن بنات ابكار وقد قهرن فرسانك في حومة الميدان ولولا ان جوادي قد عثر بي لكنتَ ترى قوتي وجلادي فتبسم شركان من قولها وقال لها الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بك يا ملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وامرتهن ان يرحّلن

بعد ان يطلقن العشرين اسيرا الذين كن اسرنهم من قوم شركان فامتثلت الجواري امرها ثم انهن قبلن الارض بين يديهما فقال لهن مثلكن من يكنّ عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه اشار الى اصحابه ان سلموا عليها فترجّلوا جميعا و قبّلــوا الارض بين يدى الملكة ابريزة و قد عرفوا القضيــة ثم ركب مائتـا فارس و ساروا فى الليـل والنهار الى مدة ستة ايام و بعد ذلك اقبلوا على الديار فامر شركان الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من لباس الافرنج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان امر الملكة ابريزة و جواريها ان ينزعن ما عليهن من الثياب و ان يلبسن لبس بنـات الـــروم ففعلن ذلك ثم انه ارسل جماعة من اصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر بن النعمان بقدومه ويخبره ان صحبته الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب ملك الروم ليرسل لها من يلاقيها ثم انهم نزلوا من ساعتهم و وقتهم فى المكان الذي وصلوا اليه و نزل شركان و باتوا الى الصباح فلما اصبح الله تعالى بالصباح ركب شركان هو و من معه و ركبت ايضا الملكة ابريزة و من معها من الجيش و استقبلـوا المدينة و اذا بالوزير دندان قد اقبل في الف فارس من اجل ملاقاة الملكة ابريزة هي و شركان و قد خرجـوا باشارة الملك عمـــر بن النعمـــان الى ملاقاتهما فلما قربوا منهما توجهوا اليهما و قبلوا الارض بين يديهما ثم ركبا و ركبوا معهما و ساروا في خدمتهما حتى دخلا المدينة و طلعا القصر و دخل شركان على والده فقام اليه و اعتنقه و سأله

عن الخبر فاخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف
فارقت مملكتها وفارقت اباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا
والقعود عندنا وان ملك القسطنطينية اراد ان يعمل لنا حيلة
من اجل ابنته صفية لان ملك الروم قد اخبره بحكايتها وسبب
اهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك
افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان اهداها اليك
بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولا كان خلاصنا
من هذه الامور الا بسبب هذه الجارية ابريزة وما راينا اشجع منها
ثم انه شرع يحكي لابيه فيما وقع له منها من اول الامر الى آخره
من امر المصارعة والمبارزة فلما سمع عمر بن النعمان من ولده
شركان ذلك عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى انه يراها ثم انه
طلبها ان يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها ان الملك
يدعوك فاجابت بالسمع والطاعة فاخذها شركان واتى بها الى
والده وكان الملك قاعدا على كرسيه واخرج من كان عنده
من اهل دولته ولم يبق عنده غير الخدم فدخلت الجارية ابريزة
وقبلت الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان وترجمت بحسن
الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده
شركان وامرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآها
الملك طار عقله من رأسه ثم انه قربها اليه وادناها وافرد لها
قصرا مختصا بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم اخذ
يسأ لها على تلك الخرزات الثلث التي تقدم ذكرها فقالت له
هاهي معي يا ملك الزمان ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت
حوائجها واخرجت منها علبة واخرجت من العلبة حقا من الذهب

وفتحت واخرجت منه تلك الخرزات الثلث وباستها واعطتها للملك وانصرفت فاخذت قلبه معها وبعد انصرافها ارسل الى والده شركان فحضر فاعطاه خرزة من ثلث خرزات فسأله عن الاثنين الاخريين فقال يا ولدي قد اعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والاخرى لنزهة الزمان اختك فلما سمع شركان ان له اخا يسمى ضوء المكان وماكان يعرف الا اخته نزهة الزمان التفت الى والده وقال له ايها الملك ألك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم اعلمه ان اسمه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سرّه وقال لوالده على بركة الله تعالى ورمى الخرزة من يده ونفض اثوابه فقال له الملك مالي اراك قد تغيرت احوالك لما سمعت هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدي وقد حلفت لك الجيش وعاهدت امراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من ثلث خرزات فاطرق شركان برأسه الى الارض واستحى ان يكافح والده ثم قبل الخرزة وقام وهو لايعلم كيف يصنع من شدة الغيظ ومازال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما اقبل عليها قامت قائمة له وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست واجلسته في جانبها فلما استقربه الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته فاخبرها ان والده رزق من صفية ولدا ذكرا وانثى وسمى الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال لهـا انه اعطاهما خرزتين ودفع لي واحدة فتركتها وانا الى الآن لم اعلم بذلك الافي هذا الوقت والحال ان لهما ستة سنين فلما علمت ذلك اخذني الغيظ وقد اخبرتك بسبب غيظي ولم اخف عنك شيئا وانا الآن خائف عليك ان يتزوج بك فانه قدا حبك ورأيت منه علامة الطمع

فيك فما تقولين اذا اراد ذلك فقالت اعلم يا شركان ان اباك ماله حكم
عليّ ولا يقدر ان يأخذني بغير رضائي وان كان يأخذني غصبا
قتلت نفسي واما ثلث خرزات فما كان على بالي ان ينعم
علي احد من اولاده بشيءٍ منها وما ظننت الا انه يجعلها في
خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهي من احسانك ان تهبني الخرزة التي
اعطاها لك والدك ان قبلتها منه فقال لها سمعا وطاعة ثم انه
اعطاها اياها فقالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له اني
اخاف ان يسمع ابي اني عندكم فما يقعد عني ويسعى في طلبي
ويتفق هو والملك افريدون لاجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر
وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتي
اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لاتفكري فيهم ولو يجتمع علينا
كل من في البر والبحر فقالت له ما يكون الاالخير وها انتم ان احسنتم
اليّ قعدت عندكم وان اسأتم اليّ رحلت من عندكم ثم انها امرت
الجواري باحضار شيءٍ من الاكل فقدمت المائدة فاكل شركان شيئا
يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من امره واما
ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان
من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزتين
فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى ان جلس فاقبل عليه اولاده
ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد
منهما خرزة ففرحا بهما وقبلا يديه واقبلا على امهما ففرحت
بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك وانت هذه المدة
كلها لاي شيءٍ لم تعلميني انك ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية
لاجل ان اريد في اكرامك واوسع لك وارفع منزلتك

فلما سمعت صفية ذلك قلت ايها الملك و ماذا اريد اكثر
و اعلا من هذه المنزلة التي انا فيها و انا مغمورة بانعامك
و خيرك و قد رزقني الله منك بولدين ذكر و انثى فاعجب
الملك عمر بن النعمان كلامها ثم مضى من عندها و افرد لها
و لاولادها قصرا عجيبا و رتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء
والفلكية والاطباء والجرا يحية و اوصاهم بهم و زاد في اكرامهم واحسن
اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والمحاكمة بين الناس
هذا ما كان له مع صفية و اولادها و اما ما كان من امره مع الملكة
ابريزة فان الملك عمر بن النعمان اشتغل بحبها و صار ليلا و نهارا
مشغوفا بها و في كل ليلة يدخل اليها و يتحدث عندها و يلوح
لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان انا في هذا
الوقت مالي غرض في الرجال فلما رأى تمنعها منه اشتد به الغرام
و زاد عليه الوجد والهيام فلما اعياه ذلك احضر وزيره دندان واطلعه
على ما في قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب واخبره
انها لا تدخل في طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيئا فلما سمع
الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة
بنج مقدار مثقال و ادخل عليها و اشرب معها شيئا من الخمر
فاذا كان وقت الفراغ من الشراب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل
فيه ذلك البنج و اسقيه لها فانها ما تصل الى مرقدها الاوقد تحكم عليها
البنج فتدخل انت عليها و تتصل بها و تبلغ غرضك منها و هذا ما عندي
من الرأي فقال له الملك نعم ما اشرت به عليّ ثم انه عمد الى خزانته
و اخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة
و جعلها في جيبه و صبر الى ان مضى قليل من الليل و دخل على الملكة

ابريزة في قصرها فلما رأته قامت له قائمة فامر لها بالجلوس فجلست
و جلس عندها و صار يتحدث معها في امر الشراب فقدمت سفرة
الشراب و صفّت له الاواني و اوقدت الشموع و امرت باحضار
النقل والحلاوات والفاكهة وكل ما يحتاجون اليه و صارا يشربان
والملك ينادمها الى ان دبّ السكر في رأس الملكة ابريزة فلما علم
الملك ذلك اخرج قطعة البنج من جيبه و جعلها بين اصابعه
و ملأ كاسا بيده و شربه و ملأه ثانيا و قال للملكة ابريزة أُفسك
و اسقط قطعة البنج في الكأس و هي لا تشعر بذلك فاخذته الملكة
ابريزة و شربته فلما كان دون ساعة علم ان البنج قد تحكم
معها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها و قد كانت
قلعت السراويل من رجليها و رفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما رآها
الملك على تلك الحالة و وجد عند راسها شمعة و عند رجليها
شمعة تضيء على مابين فخذيها حيل بينه و بين عقله و وسوس له
الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله و وقع عليها فازال بكارتها
و قام من فوقها و دخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة
و قال لها ادخلي على سيدتك كلميها فدخلت الجارية على ستها
فوجدت دمها يجري على سيقانها و هي ملقاة على ظهرها فمدت
يدها الى منديل من مناديلها و اصلحت به شان سيدتها و مسحت
عنها الدم و باتت عندها فلما اصبح الله تعالى بالصباح تقدمت الجارية
مرجانة و غسلت وجه سيدتها و يديها و رجليها ثم جاءت بماء الورد
وغسلت به وجهها و فمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة و تقايأت
وتقايأت ذلك البنج فنزلت قطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت
فمها ويديها و قالت لمرجانة اعلميني بما كان من امري فاعادت

عليها ذلك وما كان امرها فعرفت ان الملك عمر بن النعمان قد وقع بها و واصلها و تمت حيلته عليها فاغتمّت لذلك هما شديدا وحجبت نفسها و قالت لجواريها امنعوا كل من اراد ان يدخل عليّ وقولوا له انها ضعيفة حتى انظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر بن النعمان ان الملكة ابريزة ضعيفة فارسل اليها الاشربة والسكّر والمعاجين و اقامت على ذلك شهورا و هي محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره و انطفأ شوقه منها و صبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرّت عليها اشهر الحمل ظهر حملها وكبرت بطنها و ضاقت الدنيا بها فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي ان القوم ما ظلموني و انما انا الجانية على نفسي حيث فارقت ابي وامي ومملكتي و انا قد كرهت الحياة وانكسرت همتي وما بقي عندي من الهمة ولا من القوة شيء وكنت اذا ركبت جوادي اقدر عليه وانا الآن لا اقدر على الركوب و اني متى ولدت عندهم صرت معيرة عند جواري وكل من في القصر يعلم انه اخذ و جهي سفاحا وانا اذا رجعت لابي بأي وجه القاه وبأي وجه ارجع اليه وما احسن قول الشاعر

يَم التَّعَلُّل لَا اَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ   وَلَا نَدِيْمٌ وَلَا كَاْسٌ وَلَا سَكَنُ

فقالت لها مرجانة الامر امرك و انا في طوعك فقالت اريد الساعة ان اخرج سرّا بحيث لا يعلم بي احد غيرك واسافر الى ابي وامي فان اللحم اذا انتن ماله الا اهله والله يفعل بي مايريد فقالت لها نعم ما تفعلين ايتها الملكة ثم انها جهزت احوالها وكتمت سرّها وصبرت اياما حتى خرج الملك للصيد و القنص و خرج ولده شركان

الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فاقبلت ابريزة على جاريتها
مرجانة وقالت لها اريد ان اسافر في هذه الليلة و لكن كيف اصنع
في المقادير وقد حسيت بالطلق و الولادة و ان قعدت خمسة ايام
او اربعة وضعت هنا ولم اقدر ان اروح بلادي وهذا ما كان مكتوبا
على جبيني ثم تفكرت ساعة وقالت لمرجانة انظري لنا رجلا نسافر
واياه و يخدمنا في الطريق فاني ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت
مرجانة والله ياسيدتي ما اعرف غير عبد اسود اسمه الغضبان وهو
من عبيد الملك عمر بن النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا وامره
الملك ان يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها انا اخرج اليه و اكلّمه
في هذا الامر و اَعِدُه بشيء من المال و اقول له اذا اردت المقام
عندنا ازوّجك بمن شئت وكان قد ذكر لي قبل اليوم انه كان يقطع
الطريق فان هو طاوعنا بلغنا مرادنا و وصلنا الى بلادنا فقالت لها
ناديه عندي حتى احدثه فخرجت له مرجانة و نادت يا غضبان قد
اسعدك الله ان قبلت من سيدتي ما تقوله لك من الكلام و اخذت
بيده واقبلت به عليها فلما رآها قبل يديها فحين رأته نفر قلبها منه
فقالت في نفسها ان الضرورة لها احكام واقبلت عليه تحدثه
وقلبها نافر منه وقالت له يا غضبان هل فيك مساعدة لنا على
غدرات الزمان فاذا اظهرتك على امري تكون كاتما له فلما نظر العبد
اليها ملكت قلبه و عشقها لوقته فلم يمكنه غير انه قال ياسيدتي ان
امرتني بشيء لا اخرج عنه فقالت له اريد منك الساعة ان تأخذني
و تأخذ جاريتي هذه وتشدّ لنا راحلتين ورأسَي خيل من خيول الملك
وتجعل على كل فرس خرجا من المال و شيأً من الزاد وترحل معنا
الى بلادنا وان اقمت عندنا زوجتك بمن تختارها من جواريّ وان طلبت

الرجوع الى بلادك زوجناك واعطيناك ما تحب الى بلادك بعد ان تاخذ
ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا
وقال ياسيدتي اني اخدمكما بعيوني وامضي معكما واشد لكما الخيل
فمضى وهو فرحان وقال في نفسه قد بلغت ما اريد منهما وان لم تطاوعاني
قتلتهما واخذت ما معهما من المال واضمر ذلك في سره ثم مضى وعاد
ومعه راحلتان وثلث روس من الخيل وهو راكب على احدهم واقبل
على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبت واحدا واركبت مرجانة
واحدا وهي متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة
الوجع وما زال مسافرا بهما في عرصة الجبال ليلا ونهارا الى ان
بقي بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت تمسكه
فقالت للغضبان انزلني فقد حاشني الطلق وصاحت لمرجانة انزلي
واقعدي تحتي وولديني فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها
ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة
ابريزة من فوق الجواد وهي غائبة عن الدنيا من شدة الطلق
وحين رآها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان في وجه
الغضبان فشهر حسامه في وجهها وقال يا سيدتي ارحميني بوصلك
فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقي عليّ الا العبيد
السودان بعد ما كنت لا ارضى بالملوك الصناديد وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذي هو
الغضبان ما بقي علي الا العبيد السودان بعد ما كنت لا ارضي بالملوك

الصناديد و اغتاظت منه و قالت له و يلك ما هذا الكلام الذي تقوله لي و يلك لا تتفوه بشيء من هذا في حضرتي و اعلم انني لا ارضى بشيء مما قلته ولو سقيت كاس الردى ولكن اصبر حتى اصلح شان الجنين و اصلح شاني و ارمي الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت عليّ افعل بي ما تريد وان لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فاني اقتل نفسي بيدي وافارق الدنيا وارتاح من هذا كله وانشدت تقول

أَيَا غَضْبَانُ دَعْنِي قَدْ كَفَانِي ۞ مُكَابَدَةُ الحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
عَنِ الفَحْشَاءِ رَبِّي قَدْ نَهَانِي ۞ وَقَالَ النَّارُ مَثْوَى مَنْ عَصَانِي
وَإِنِّي لَا أَمِيلُ لِفِعْلِ سُوءٍ ۞ بِعَيْنِ النَّقْصِ دَعْنِي لَا تَرَانِي
وَلَوْ لَمْ تَتْرُكِ الفَحْشَاءَ عَنِّي ۞ وَتَرْعَى حُرْمَتِي فِي مَنْ رَعَانِي
لَأَصْرِخُ طَاقَتِي لِرِجَالِ قَوْمِي ۞ وَأَجْلِبُ كُلَّ قَاصِيهَا وَدَانِي
وَلَوْ قُطِّعْتُ بِالسَّيْفِ اليَمَانِي ۞ لَمَا خَلَّيْتُ فَحَّاشًا يَرَانِي
مِنَ الأَحْرَارِ وَالكُبَرَاءِ طُرًّا ۞ فَكَيْفَ العَبْدُ مِنْ نَسْلِ الزَّوَانِي

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا و احمرت عيناه و اغبرت سحنته و انتفخت مناخره و استدلت مشافره وزادت به النفرات و انشد يقول هذه الابيات

أَيَا ابْرِيزَةُ لَا تَتْرُكِينِي ۞ قَتِيلُ هَوَاكِ بِاللَّحْظِ اليَمَانِي
فَقَلْبِي قَدْ تَقَطَّعَ مِنْ جَفَاكِ ۞ وَجِسْمِي نَاحِلٌ وَالصَّبْرُ فَانِ
وَطَرْفُكِ قَدْ سَبَى الأَلْبَابَ سِحْرًا ۞ وَعَقْلِي نَازِحٌ وَالشَّوْقُ دَانِ
وَلَوْ أَجْلَبْتِ مِلْءَ الأَرْضِ جَيْشًا ۞ لَأَبْلُغُ مَأْرَبِي فِي ذَا الزَّمَانِ

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا و قالت له و يلك يا غضبان

وهل بلغ من قدرك ان تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنى اتحسب ان الناس كلهم سواء فلما سمع العبد النحس ذلك منها غضب واحمرت عيناه وتقدم اليها وضربها بالسيف في وردها فقتلها وساق جوادها بعد ان اخذ من المال ونجا بنفسه فى الجبال هذا ما كان من امر الغضبان واما ما كان من امر الملكة ابريزة فانها ولدت ولدا ذكرا مثل القمر فاخذته مرجانة واصلحت شانه وجعلته الى جنب امه فاخذ ثديها وهي ميتة وصرخت صرخة عظيمة وشقت اثوابها وحثت التراب على راسها ولطمت على خديها حتى خرج الدم من وجهها وقالت واستاه واخيبتاه قتلتِ من يد عبدا سود لاقيمة له بعد فروسيتكِ ولم تزل تبكي واذا بغبار قد طلع وسد الاقطار فانكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وكان هذا العسكر عسكر الملك حردوب والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع ان ابنته هربت هي وجواريها من بغداد وهي عند الملك عمر بن النعمان خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر بن النعمان فلما خرج وبعد عن بلدته مسيرة يوم واحد رأى ثلث فرسان من بعيد فقصدهم ليسأ لهم من اين اتوا ويعلم خبر ابنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلثة ابنته وجاريتها والعبد الغضبان فقصدهم ليسأ لهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها ونجا بنفسه فلما اقبلوا عليهم رأها ابوها انها قتلت وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع فى الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وفى الحال ضربوا الخيام فى الجبال ونصبوا قبة ومدورة للملك حردوب ووقف ارباب الدولة بظاهر تلك الخيمة فلما رأت مرجانة

سيدها عرفته وزادت في البكاء فلما افاق الملك من غشيته وسالها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذي قتل ابنتك عبد اسود من عبيد عمر بن النعمان واخبرته بما فعله الملك عمر بن النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك اسودت الدنيا في وجهه وبكى بكاء شديدا ثم امر باحضار محفة وحمل ابنته فيها ومضى الى قيسارية وادخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على امه ذات الدواهي وقال لها اهكذا تفعل المسلمون ببنتي فان الملك عمر بن النعمان ياخذ وجهها قهرا وبعد ذلك يقتلها عبد اسود من عبيده فوحق المسيح لابد من اخذنا ثأر بنتي منه وكشف العار عن عرضي والاقتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديدا فقالت له امه ذات الدواهي ماقتل ابنتك الامرجانة لانها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لاتحزن من جهة اخذ ثأرها فوحق المسيح لا ارجع عن الملك عمر بن النعمان حتى اقتله واقتل اولاده ولا عملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدث به المحدثون في جميع الاقطار وفي كل مكان ولكن ينبغي لك ان تمتثل امري في كل ما اقوله فمن نوى على ما يريد يبلغ ما يريد فقال لها وحق المسيح لا اخالفك ابدا فيما تقولينه قالت له ائتني بجوار نهد ابكار وائتني بحكماء الزمان ودعهم يعلمونهن الحكمة والادب مع الملوك والمنادمة والاشعار ويتكلمون معهن بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين حتى يعلموهن اخبار العرب وتواريخ الخلفاء واخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو اقمنا على ذلك اربعة اعوام لبلغنا المرام فطوّل روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان اخذ الثأر بعد اربعين عاما قليل ونحن اذا علّمنا

تلك الجواري بلغنا من عدوتنا مانختار لانه ممتحن بحب الجواري وعنده ثلثمائة وست وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة بنتك فاذا تعلمت الجواري ما قلت لك عليه اخذتهن بعد ذلك و اسافر بهن فلما سمع الملك حردوب كلام امه ذات الدواهي فرح وقام وقبل رأسها ثم ارسل من وقته و ساعته المسافرين والقصاد الى اطرف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا امره و سافروا الى بلاد بعيدة واتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروابين يديه اكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا علموا الجواري ثم احضر لهم الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب اكرمهم اكراما زائدا واحضر الجواري بين ايديهم واوصاهم بالتعليم والحكمة والادب فامتثلوا امره هذا ما كان من امر الملك حردوب واما ما كان من امر الملك عمر بن النعمان فانه لما عاد من الصيد و القنص و طلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره احد عنها ولم يعلمه احد بذلك فعظم عليه ذلك وقال كيف يكون ان جارية تخرج من القصر و لم يعلم بها احد فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما عدت اخرج الى الصيد و القنص حتى ارسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما

هو كذلك واذا بولده شركان قد اتى من السفر فاعلمه والده بذلك واخبره انها هربت وهو فى الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد اولاده كل يوم ويكرمهم وكان الملك عمر بن النعمان قد احضر العلماء والحكماء ليعلموا العلم لاولاده ورتب لهم الرواتب فلما رأى ذلك شركان غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى ان ظهر اثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالي اراك تزداد ضعفا في جسمك وصفارا في لونك فقال له شركان يا والدي كلما رأيتك تقرّب اخوتي وتحسن اليهم يحصل عندي حسد واخاف ان يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني انت بسببهم اذا انا قتلتهم فمرضُ جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن انا اشتهي من احسانك ان تعطيني قلعة فى الخارج من القلاع اقيم بها بقية عمري فان صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي احسن لي واجمل عين لا تنظر وقلب لا يحزن واطرق برأسه الى الارض فلما سمع الملك عمر بن النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التقصير فاخذ بخاطره وقال له يا ولدي اني اجيبك لذلك وانا ما في ملكي اكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها لك من هذا الوقت واحضر الموقّعين فى الوقت والساعة وامرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه واخذ معه الوزير دندان واوصاه ابوه بالمملكة والسياسة وقلده اموره والاقامة عنده وودعه ابوه وودعته الامراء واكابر الدولة ثم سار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له اهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه اهل الميمنة ميمنة والميسرة ميسرة هذا ما كان من امر شركان،

و اما ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانه بعد سفر ولده عمركان اقبل عليه الحكماء و قالوا له يا مولانا ان اولادك تعلموا العلم وكملوا الحكمة والادب والحشمة فعند ذلك فرح الملك فرحا شديدا وانعم على الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل و صار له من العمر اربع عشرة سنة و طلع مشتغلا بالديانة والعبادة محبا للفقراء واهل العلم والقرآن وصار اهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى ان طاف ببغداد محمل العراق من اجل الحج و زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده و قال له اني اتيت اليك لا ستأذنك في ان احج فمنعه من ذلك و قال له اصبر الى العام القابل امضي انا واياك فلما رأى الامر يطول عليه دخل على اخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلي فلما قضت الصلوة قال لها اني قد قتلني الشوق للحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلوة والسلام و استأذنت والدي فمنعني من ذلك فالمقصود ان آخذ شيأً من المال واخرج الى الحج سرّاً ولم اعلّم ابي بذلك فقالت له اخته بالله عليك الا ما اصحبتني معك ولا تحرمني من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جنّ الظلام فاخرجي من هذا المكان ولا تعلمي احدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان و اخذت شيأً من المال ولبست لبس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ولا زالت ماشية الى باب القصر فوجدت اخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب واركبها وسارا في الليل واختلطا بالحج ومشيا الى ان صارا في وسط الحج العراقي وما زالا سائرين وكتب الله لهما السلامة الى ان دخلا مكة المشرفة و وقفا بعرفات وقضيا مناسك

الحج ثم اتيا لزيارة قبر النبي صلى الله عليه و سلم فزاراه و بعد ذلك ارادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهم فقال ضوء المكان لاخته يا اختي في خاطري زيارة بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه السلام فقالت له و انا كذلك و اتفقا على ذلك فخرج و اكترى له و لها مع المقادسة و جهزا حالهما و توجها مع الركب ففي تلك الليلة حصلت لاخته حمى باردة فتشوشت ثم شفت و تشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه و لم يزالا سائرين الى ان دخلا بيت المقدس و اشتد المرض على ضوء المكان و زاد معه الضعف فنزلا في خان هناك و اكتريا لهما مخزنا فنزلا فيه و لم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى انحلّه وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان و قالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا حكم الله فعند ذلك قعدت هي و اخوها في ذلك المكان و قد زاد به الضعف و هي تخدمه و تنفق عليه و على نفسها فنفد ما معها من المال و افتقرت حتى لم يبق معها ولا درهم فارسلت صبي الخان الى السوق بشيءٍ من قماشها فباعه و انفقته على اخيها ثم باعت شيأً آخر و لم تزل تبيع من امتعتها شيأً فشيأً حتى لم يبق لها الا حصيرا مقطعة فبكت و قالت لله الامر من قبلُ ومن بعدُ فقال لها اخوها يا اختي اني قد حسست بالعافية و في خاطري شيءٌ من اللحم المشوي فقالت له اخته والله يا اخي انا مالي وجه للشحاذة و لكن غدا ادخل بيت احد من الاكابر و اخدم فيه و اعمل بشيءٍ نقتات به انا وانت ثم تفكرت ساعة و قالت له اني لا يهون عليّ ان افارقك و انت في هذه الحالة و لكن اروح قهرا عني فقال لها اخوها ابَعْدَ العز

تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله ثم بكى و بكت و قالت له يا اخي نحن غرباء وقعدنا هنا سنة كاملة ما دق علينا احد الباب فهل نموت من الجوع فليس عندي من الرأي الا اني اخرج و اخدم و آتيك بشيءٍ نقتات به الى ان تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا و مكثت تبكي ساعة و هو يبكي و هو متكئٌ ثم قامت نزهة الزمان و غطت رأسها بقطعة عباءة كانت من ثياب الجماليين و كان صاحبها نسيها عندهما و قبلت رأس اخيها و اعتنقته و خرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم اين تمضي و ما زالت سائرة و اخوها ينتظرها الى ان قرب وقت العشاء و لم تأت فمكث اخوها ينتظرها الى ان طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذا الحال يومين فعظم ذلك عنده و ارتجف قلبه عليها و اشتد به الجوع فخرج من المخزن و صاح لصبي الخان وقال له اريد ان تحملني الى السوق فحمله والقاه فى السوق فاجتمع عليه اهل القدس و بكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة فاشار اليهم يطلب شيئاً يأكله فجاؤا له من بعض التجار الذين فى السوق ببعض دراهم واشتروا له شيئاً واطعموه اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند راسه ابريقا فلما اقبل الليل انصرف عنه كل الناس وحملوا همه فلما كان نصف الليل تذكر اخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام اهل السوق واخذوا له من التجار ثلثين دراهم فضة و اكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا واوصله الى دمشق وادخله المارستان لعلّه يبرأ ويطيب فقال لهم على الرأس ثم قال الجمال في نفسه كيف امضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت فخرج به الى مكان واختفى به

الى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ومضى الى حال سبيله فلما اصبح الصباح طلع وقّاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال في نفسه لاي شيء مايرمون هذا الميت الاهنا ورفصه برجله فتحرك فقال له الوقّاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي روحه في اي موضع كان ثم نظر في وجهه فرآه لانبات بعارضيه وهو ذوبهاء وجمال فاخذته الرأفة عليه وعرف انه مريض وغريب فقال لاحول ولاقوة الا بالله اني دخلت في خطيئة هذا الصبي وقد اوصى النبي صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لاسيما اذا كان الغريب مريضا فحمله واتى به الى منزله ودخل به على زوجته وامرها ان تخدمه وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له به يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق واتى له بشيء من ماء الورد والسكر ورشّ ماء الورد على وجهه وسقاه السكر واخرج له قميصا نظيفا والبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبي اللهم اني اسألك بسرّك المكنون ان تجعل سلامة هذا الشاب على يدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد قال اللهم اني اسألك بسرّك المكنون ان تجعل حيوة هذا الصبي على يدي وما زال الوقاد يتعهده ثلثة ايام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت الصحة في جسمه ففتح ضوء المكان

عينيه فدخل الوقاد عليه فرآه جالسا و عليه آثار النشط فقال له ما
حالك يا ولدي في هذا الوقت فقال الحمد لله فاني بخير و عافية
ان شا و الله تعالى في هذا الوقت فحمد الوقاد المولى على ذلك
ونهض الى السوق واشترى له عشرة فراريج واتى بهم الى زوجته
وقال لها اذ بحي له في كل يوم اثنين باكر النهار و احدا و آخر
النهار واحدا فقامت وذبحت له فروجا و سلقته واتت به اليه
واطعمته اياه واسقته مرقته فلما فرغ من الاكل قدمت له ما و حارا فغسل
يديه واتكأ على الوسادة و غطته بملاءة فنام الى العصر فقامت
وسلقت له فروجا آخر واتت به له و قطعته وقالت له كل يا ولدي
فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه ثم انه جلس
عند رأسه وقال له ما حالك يا ولدي الآن فقال الحمد لله على
العافية جزاك الله عني خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج واتى له
بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل في الحمام
كل يوم بخمسة دراهم فيشتري له كل يوم بدرهم سكرا و ماء الورد
و شراب البنفسج وماء الخلاف ويشتري له بدرهم فراريج وما زال
يلاطفه الى ان مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار
المرض وقد توجهت له العافية ففرح الوقاد وزوجته بعافية ضوء
المكان فقال له الوقاد يا ولدي هل لك ان تدخل معي الحمام
قال نعم فمضى الى السوق واتى له بمكاري واركبه على حمار وجعل
يسنده الى ان وصل معه الى الحمام فاجلسه و ادخل الحمار الى
المستوقد ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء
المكان ياسيدي بسم الله ادخل اغسل لك جسدك فدخل هو واياه الى
داخل الحمام واخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وشرع يغسل

له جسده بالسدر والدقاق واذا ببلّان قد ارسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يغسله ويحكّ رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا نقص في حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم غمرنا باحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك اتى به الوقاد الى منزله والبسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا ولف له شد على رقبته وكانت زوجة الوقاد ذبحت له فروجين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد واذاب له السكر في ماء الخلاف وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من تلك الفراريج ويطعمه ويسقيه من المسلوقة الى ان اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية وقال للوقاد انت الذي منّ الله تعالى عليّ بك وجعل سلامتي على يديك فقال له الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة ومن اين انت فاني ارى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لي انت كيف وقعت بي حتى اخبرك بحديثي فقال له الوقاد اما انا فاني لما توجهت الى اشغالي وجدتك مرميا على القمامة قريب الصبح على باب المستوقد ولم اعرف من رماك فاخذتك عندي وهذه حكايتي فقال ضوء المكان سبحان من يحيي العظام وهي رميم انك يا اخي ما فعلت الجميل الامع اهله وستجني ثمرة ذلك ثم انه قال للوقاد وانا الآن في ايّ البلاد فقال له انت في مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وانتكر فراق اخته وبكى وباح بسره للوقاد وحكى له حكايته وانشد يقـــــول

هُمْ حَمَّلُونِي فِي الْهَوَى غَيْرَ طَاقَتِي ... وَمِنْ اَجْلِهِمْ قَامَتْ عَلَيَّ قِيَامَتِي
اَلاَ فَارْفُقُوا يَاهَا جِرُونَ بِمُهْجَتِي ... فَقَدْ رَقَّ لِي مِنْ بَعْدِكُمْ كُلُّ شَامِتِ

وَلَا تَبْخَلُوا أَنْ تَسْمَحُوا لِي بِنَظْرَةٍ تُخَفِّفُ أَحْوَالِي وَفَرْطَ صَبَابَتِي
سَأَلْتُ فُؤَادِي الصَّبْرَ عَنْكُمْ فَقَالَ لِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ غَيْرِ عَادَتِي

ثم زاد في بكائه فقال له الوقاد لاتبكِ واحمد الله تعالى على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة ايام فقال ضوء المكان هل لك ان ترسلني اليها فقال له الوقاد ياسيدي كيف ادعك تروح وحدك وانت شاب صغير وغريب فان شئت السفر الى دمشق فانا الذي اروح معك وان سمعتْ واطاعتني زوجتي مني وسافرت معي اقمت هناك فانه لايهون عليّ فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك ان تسافري معي الى دمشق الشام اوتكوني مقيمة هنا حتى اوصل سيدي هذا الى دمشق الشام واعود اليك فانه يطلب دمشق الشام فاني والله لايهون عليّ فراقه واخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته اسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة وتم الامر ثم ان الوقاد قام وباع امتعته وامتعة زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد وزوجته اتفقا مع ضوء المكان على انهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع امتعته وامتعة زوجته واشترى جملا ثم اكترى حمارا واركب ضوء المكان اياه وسافروا ومازالوا مسافرين ستة ايام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأ من الاكل والشرب على العادة وما زالوا على ذلك الحال خمسة ايام فبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد اياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى

فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه فلمـــا ماتت حزن عليها الوقاد حـزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لاتحزن فاننا كلنا داخلون من هذا البـــاب فالتفت الوقاد الى ضوء المـكان وقال له جزاك الله خيرا يا ولدي فالله تعالى يعوض علينا بفضله و يزيل عنا الحزن فهل لك يا ولدي ان تخرج بنا و نتفرج في دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المـــكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضـع يده في يد ضوء المكان و سارا الى ان اتيا تحت اصطبل والي دمشق فوجدا جمالا محملين صناديق و فرشا و قمـا شا من الديباج و جنائب مسرجة و بخاتي وعبيدا ومماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان يا ترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة و سأل من بعض الخدام وقال لمن هذه التقدمة فقال له المسئول هذه هدية من امير دمشق يريد ارسالهـــا الى الملك عمـــر بن النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وانشد يقـــــــــــــــــول

أَيُّهَا ٱلْغَائِبِينَ عَنْ جَفْنِ عَيْنِي ‌ ‌ وَهُمْ فِي ٱلْفُؤَادِ مِنِّي حُلُولُ
غَابَ عَنِّي جَمَا لُكُمْ فَحَيَاتِي ‌ ‌ لَيْسَ تَحْلُو وَلَا اشْتِيَاقِي يَحُولُ
إِنْ قَضَى ٱللّٰهُ بِٱجْتِمَاعِي عَلَيْكُمْ ‌ ‌ أَذْكُرُ ٱلْوَجْدَ فِي حَدِيثٍ يَطُولُ

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد يا ولدي نحن ما صدقنا انك جاءتك العـــافية فطب نفســـا ولاتبك فاني اخاف عليك من النكسة وما زال يلاطفه ويمـــازحه وضوء المـــكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته ويرسل العبـــرات

ثم انشد هذه الابيات

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ
نَعِيمُكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلُ

ثم جعل ضوء المكان يبكي وينتحب على غربته والوقاد يبكي على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان الى ان اصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا استطيع ان اقيم هنا واستودعك الله فاني مسافر مع هؤلاء القوم وامشي معهم قليلا قليلا الى ان اصل الى بلادي فقال له الوقاد وانا معك فاني لا اقدر ان افارقك وانا عملت معك حسنة واريد ان اتممها بخدمتي لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عني خيرا ففرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى له حمارا آخر وباع الجمل وعبى زاده وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار في السفر فاذا تعبت من الركوب انزل وامش فقال ضوء المكان بارك الله فيك واعانني على مكافأتك فانك فعلت معي من الخير ما لا يفعله احد مع اخيه ثم صبر الى ان جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من امر ضوء المكان والوقاد واما ما كان من امر اخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذي كانا فيه في القدس بعد ان التفت بالعباءة وخرجت لاجل ان تخدم احدا وتشتري لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي فخرجت تبكي وهي لا تعلم اين تتوجه وكان خاطرها مشغولا عند اخيها وتفكرت الاهل

والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى في دفع هذه البليات وانشدت تقول شعرا

جَنَّ الظَّلَامُ وَهَاجَ الْوَجْدُ بِالسَّقَمِ ... وَالشَّوْقُ حَرَّكَ مَا عِنْدِي مِنَ الْاَلَمِ

وَلَوْعَةُ الْبَيْنِ فِي الْاَحْشَاءِ قَدْ سَكَنَتْ ... وَالْوَجْدُ صَيَّرَنِي فِي حَالَةِ الْعَدَمِ

وَالْوَجْدُ اَقْلَقَنِي وَالشَّوْقُ اَحْرَقَنِي ... وَالدَّمْعُ بَاحَ بِمَا قَدْ كَانَ مُكْتَتِمِ

وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي الْوَصْلِ اَعْرِفُهَا ... حَتَّى تُزَحْزِحَ مِنْ ضَعْفِي وَمِنْ سَقَمِي

فَنَارُ قَلْبِيَ بِالْاَشْوَاقِ مُوقَدَةٌ ... وَمِنْ لَظَاهَا يَظَلُّ الصَّبُّ فِي نِقَمِ

يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى مَا حَلَّ بِي وَكَفَى ... اِنِّي صَبَرْتُ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ

اَقْسَمْتُ بِالْحُبِّ مَا لِي سَلْوَةٌ اَبَدًا ... يَمِينُ اَهْلِ الْهَوَى مَبْرُورَةُ الْقَسَمِ

يَا لَيْلُ بَلِّغْ رُوَاةَ الْحُبِّ عَنْ خَبَرِي ... وَاشْهَدْ بِعِلْمِكَ اَنِّي فِيكَ لَمْ اَنَمِ

ثم ان نزهة الزمان اخت ضوء المكان بكت وصارت تمشي و تلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة نفر من العرب فالتفت ذلك الشيخ الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال في نفسه ان هذه جميلة تدهش العقل ولكنها ذات قشف فان كانت من اهل هذه المدينة او كانت غريبة فلا بد لي منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها في الطريق في مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يا بُنَيَّة هل انت حرة او مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تجدد عليّ الاحزان فقال لها اني رزقت ست بنات مات لي منهن خمسة وبقيت واحدة وهي اصغرهن وانيت اليك لأسألك هل انت من اهل هذه المدينة اوغريبة لاجل ان آخذك واجعلك عندها لتؤانسها فتشتغل بك عن

الاحزان على اخواتها فان لم يكن لك احد جعلتك مثل واحدة
منهن وتصيرين مثل اولادي فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت
في سرها عسى ان آمن على نفسي عند هذا الشيخ ثم اطرقت براسها
من الحياء فقالت يا عم انا بنت عرب غريبة ولي اخ ضعيف فانا
امضي معك الى بنتك بشرط ان اكون عندها بالنهار وبالليل
امضي الى اخي فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لاني غريبة وكنت
عزيزة في قومي فاصبحت ذليلة حقيرة وجئت انا واخي من بلاد
الحجاز واخاف ان اخي لايعرف لي مكانا فلما سمع البدوي كلامها
قال في نفسه والله اني فزت بمطلوبي ثم التفت اليها وقال لها مابغي عندي
اعز منك ولا اريدك الا لتوانسي بنتي نهارا وتمضي الى اخيك من اول
الليل وان شئت فانقليه الى عندنا ولم يزل البدوي يطيب قلبها
ويلين لها الكلام الى ان لانت له ووافقته على الخدمة ومشى
قدامها وتبعته فغمز من معه فسبقوه وهيأوا الهجان وحملوا
عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد حتى اذا وصل اليهم
صيروا بالجمال وسافروا وكان البدوي ابن زناء قاطع الطريق
وخائن الرفيق وحراميا صاحب مكر وحيل لا عنده بنت ولا ولد
وما كان الاعابر طريق فوقع بهذه المسكينة لامر قدره الله
ولا زال البدوي يحدثها في الطريق الى ان خرج من مدينة القدس
الى ظاهرها واجتمع برفقته فوجدهم قد جهزوا الهجان فركب البدوي
جملا واردفها خلفه وساروا الليل كله فعرفت نزهة الزمان ان
كلامه حيلة عليها وان البدوي غرها فصارت تبكي وتصرخ طول الليل
وهم مسافرون في الطريق قاصدين الجبال خوفا ان يراهم احد
فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الهجان وتقدم البدوي الى نزهة

الـــزمان وقال لهـــا يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تسكتي من البكاء ضربتك الى ان تهلكي يا كورة حضرية فلمــا سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت المــوت فالتفتت اليه وقلت له يا شيخ النحس يا شيبة جهنم كيف استأمنتك وانت غدرتني وتريد تعذبني فلمــا سمع البدوي كلامهـــا قال لها يا كورة الك لســان تجا وبينني به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكني قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت اخاها وما كانت فيه من النعمة فبكت سرّا ثم في ثاني يوم التفتت الى البـــدوي وقالت له كيف تعمل علّي هذه الحيلة حتى اتيت بي الى هذه الجبال القفـــرة وما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا كورة النحس الك لسان تجا وبينني به واخذ السوط ونزل به على ظهرها الى ان غشي عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطوري ان رأيتك اوسمعتك تبكين قطعت لسانك ودسّته في كسك يا كورة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرا فيصها وجعلت رأسها في طوقها ونظـــرت الى حالها وذلها بعد عزها وما حل بها من الضرب وتفكرت في حال اخيها وفي مرضه ووحدته واغتـــرابهمـــا وارسلت دموعهـــا على وجناتها وبكت سرا وانشدت تقـــــــــــــول

مِنْ عَادَةِ الدَّهْرِ إِدْبَارٌ وَإِقْبَالُ ... فَمَا يَدُومُ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى حَالُ

وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَالَهُ أَجَلٌ ... وَتَنْقَضِي لِجَمِيعِ النَّاسِ آجَالُ

كَمْ أَحْمِلُ الضَّيْمَ وَالْأَهْوَالَ يَا أَسَفِي ... مِنْ عِيشَةٍ كُلُّهَا ضَيْمٌ وَأَهْوَالُ

لَا أَسْعَدَ اللّٰهُ أَيَّامًا عُزِزْتُ بِهَا ... دَهْرًا وَفِي طَيِّ ذَاكَ الْعِزِّ إِذْلَالُ

قَدْخَابَ قَصْدِي وَآمَالِي بِهَا انْصَرَمَتْ وَقَدْ تَقَطَّعَ بِالتَّغْرِيبِ أَوْصَالُ
يَا مَنْ يَمُرُّ عَلَى دَارِهَا سَكَنِي بَلِّغْهُ عَنِّي إِنَّ الدَّمْعَ هَطَّالُ

فلما فرغت من شعرها قام اليها البدوي و عطف عليها ورثى لها ومسح دموعها واعطاها قرص شعير وقال لها انا لا احب من يبكي و بني في وقت الغيظ وانت بعد ذلك لاتبكي وبينني بشيء من هذا الكلام الفاحش و انا ابيعك لرجل طيب مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل و احرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل امرهم البدوي ان يسافروا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البدوي لما اعطى نزهة الزمان القرص الشعير و وعدها ان يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما فعلت فلما انتصف الليل و احرقها الجوع اكلت من القرص الشعير يسيرا ثم ان البدوي امرجماعته ان يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملا و اردف نزهة الزمان خلفه و ساروا وما زالوا سائرين مدة ثلثة ايام فبعد ثلثة ايام دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب النائب و نزهة الزمان قد تغير لونها من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من اجل ذلك فاقبل عليها البدوي و قال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا ابيعك الا ليهودي ثم انه قام واخذ بيدها و ادخلها في مكان وتمشى الى السوق و مر على التجار الذين يتجرون في الجواري و صار يكلمهم و يقول



نعم عندي جارية اتيت بها معي واخوها ضعيف فارسلته الى اهلي ببلاد القدس لاجل ان يداووه الى ان يبرأ وقصدي ان ابيعها ومن يوم ضعف اخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه واريد ان الذي يرغب ان يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها ان اخاك عندي في القدس ضعيف وانا ارخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن وجمال ومن حين ارسلت اخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانقلبت سيمتها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم ياشيخ العرب اني اروح معك واشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر فيها ومن عقلها وادبها وحسنها وجمالها واعطيك ثمنها واشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوي ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط علىّ ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى الملك شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان فربما تليق بعقله يعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وانا لي عنده حاجة وهو ان يكتب لي تحليل في الديوان بان لايؤخذ مني مكسا ثم تكتب الى والده عمر بن النعمان بالوصية عليّ فان قبل الجارية مني وزنت لك ثمنها في الحال فقال البدوي قبلت منك هذا الشرط ومشيا الى ان اقبلا على المكان الذي فيه نزهة الزمان ووقف البدوي على باب المخزن وناداها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوي الى التاجر وقال له هاهي قاعدة دونك واياها فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثلما اوصيتك فتقدم التاجر

اليها بخلق حسن فرآها بديعة فى الحسن والجمال لا سيما انها
كانت تعرف بلسان العرب فقال التاجران كانت كما وصفت لي فاني
ابلغ بها عند السلطان ما اريد فقال لها التاجر السلام عليك يا بُنيّة كيف
حالك فالتفتت اليه و قالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا ونظرت
اليه فاذا هو رجل محتشم ووجهه حسن فقالت في نفسها اظن ان
هذا جاء يشتريني ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم
فيهلكني من الضرب فعلى كل حال هذا رجل و جهه حسن وهو
ارجى لي للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع
منطقي فاني اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الارض ثم رفعت
بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ياسيدي ورحمة
الله وبركاته بهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم واما قولك كيف
حالك فان شئت ان تعرفه فلا تتمناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما
سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها ثم التفت الى البدوي وقال له
كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له افسدت عليّ الجارية
بهذا الكلام لاي شيء تقول انها جليلة مع انها من قطاعة الجواري
ورعاع الناس ولا ابيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل
العقل وقال له ريّض خلقك فانا اشتريها على هذه العيوب التي
ذكرتها فقال البدوي وكم تدفع لي فيها فقال له التاجر مايسمي
الولد الا ابوه فاطلب فيها غرضك فقال له البدوي ما يتكلم الا انت
فقال التاجر في نفسه هذا البدوي مقرقع ناشف الراس والله انالا اعرف
لها قيمة الا انها ملكت قلبي بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت
تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا
البدوي لايعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب

ادفع لك فيها مائتي دينار سالمة ليدك خارجا عن الضمان وحق السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك والله ان اعطيتني مائتي دينار في هذه القطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك وانا ما عدت ابيعها بل اخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالي يامنتنة انا لا ابيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت احسبك اهل معرفة وحق طرطوري ان لم تذهب عني لاسمعنك ما لايرضيك فقال التاجر في نفسه ان هذا البدوي مجنون ولا يعرف قيمتها ولا اقول له شيئاً في ثمنها في هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطوري والله انها تساوي ملك كسرى وانا ما معي ثمنها ولكن ان طلب مني زيادة اعطيه ما يريد ولو اخذ جميع مالي ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب طوّل بالك وريّض نفسك وقل لي مالها من القماش عندك فقال له البدوي وما يصلح لهذه الكورة من القماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجواري لاجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرّها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ الله انا ما انظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو

خجلان من حسنها وجمالها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتي ما اسمك فقالت له تسأل عن اسمي اليوم اوقبل ذلك اليوم فقال لها انت لك اسم اليوم وقبل ذلك اليوم قالت نعم اسمي قبل ذلك اليوم نزهة الزمان واسمي اليوم غصة الزمان فلما سمع التاجر هذا الكلام منها تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك اخ ضعيف فقالت اي والله ياسيدي ولكن فرق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس فتحير عقله من عذوبة منطقهــا وقال في نفسه لقد صدق البدوي في مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت اخاها ومرضه وغربته وفراقهــا منه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت كيف ماجرى لها هذا الامر مع البدوي وبعدهــا عن امها وابيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وارسلت العبرات وانشدت تقول هذه الابيـــــــــــــــات

حَيْثُمَا كُنْتَ قَدْ وَقَاكَ إِلٰهِي ... أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُقِيمُ بِقَلْبِي

وَلَكَ اللّٰهُ حَيْثُ أَمْسَيْتَ جَارٌ ... حَافِظٌ مِنْ صُرُوفِ دَهْرٍ وَخَطْبِ

غِبْتَ فَاسْتَوْحَشَتْ لِقُرْبِكَ عَيْنِي ... وَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي أَيَّ سَكْبِ

لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ رَبْعٍ وَأَرْضٍ ... أَنْتَ مُسْتَوْطِنٌ بِدَارٍ وَشِعْبِ

إِنْ تَكُنْ شَارِبًا لِمَاءِ حَيٰوةٍ ... خَضِرُ الْوَرْدِ فَالْمَدَامِعُ شِرْبِي

إِنْ شَهِدْتَ الرُّقَادَ يَوْمًا فَجَمْرٌ ... مِنْ سُهَادِي بَيْنَ الْفِرَاشِ وَجَنْبِي

كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا فِرَاقَكَ سَهْلٌ ... عِنْدَ قَلْبِي وَغَيْرُهُ غَيْرُ صَعْبِ

فلما سمع التاجر ماقالته من الشعــر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدي ثم ان البدوي قعد ينظر اليها وهي تغطي وجهها من التاجر حيث اراد ان يمسح

دمعها عن خدها فاعتقد انها تمنعه من التقليب فقام اليها البدوي وكان معه مقود جمل فشاله في يده وضربها به على اكتافها فجاءت الضربة قوية فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض في حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لا بد ان اشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا واريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها فلما افاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وانشدت تقول شعرا

وَارَحْمَتَا لِعَزِيزَةٍ   بِالضَّيْمِ قَدْ صَارَتْ ذَلِيلَهْ
تَبْكِي بِدَمْعٍ هَاطِلٍ   وَتَقُولُ مَا فِي الوَعْدِ حِيلَهْ

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفي بالله لا تدعني عند هذا الظالم الذي لا يعرف الله تعالى فاني ان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي فخلصني منه يخلصك الله من نار جهنم فقام التاجر وقال للبدوي يا شيخ العرب هذه ليست غرضك فبعني اياها بما تريد فقال البدوي خذها وادفع ثمنها والا اروح بها الى النجع واخليها هناك تلمّ البعر وترعى الجمال فقال التاجر اعطيك خمسين الف دينار فقال البدوي يفتح الله تعالى فقال التاجر سبعون الف دينار فقال البدوي يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها اكلت عندي اقراص شعير بتسعين الف دينار فقال له التاجر انت واهلك وقبيلتك في طول زمانكم ما اكلتم بالف دينار شعيرا ولكن انا اقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها

غمزت عليك نائب دمشق فياخذها منك قهرا فقال البدوي تكلم فقال بمائة الف دينار فقال البدوي بعتك اياها بهذا الثمن واقدر انني اشتريت بها مليحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله واتى له بالمال واقبضه اياه فاخذه البدوي فقال في نفسه لا بدان اذهب الى القدس لعلي اجد اخاها فاجيء به وابيعه ثم ركب وسافر الى ان وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن اخيها فلم يجده هذا ما كان من امره واما ما كان من امر التاجر ونزهة الزمان فانه لما اخذها القى عليها شيأً من قماشه ومضى بها الى منزله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم نزهة الزمان من البدوي ومضى بها الى منزله والبسها افخر الملبوس اخذها ونزل بها الى السوق واخذ لها مصاغا مما طلبته ووضعه في بقجة من الاطلس ووضعها بين يدي نزهة الزمان وقال لها هذا كله من اجلك ولا اريد منك الا اذا طلعت بك الى السلطان نائب دمشق ان تعلميه بالثمن الذي اشتريتك به وانكان قليلا في ظفرك فاذا وصلت اليه واشتراك مني اذكري له ما فعلت معك واطلبي لي منه منشورا سلطانيا بالوصية عليّ لاذهب به الى والده صاحب بغداد عمر بن النعمان لاجل ان يمنع من يأخذ مني مكسا على قماش او غيره من جميع ما اتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر ياسيدتي اني اراك كلما ذكرت

بغداد تدمع عيناك الك فيها احد تحبينه فان كان تاجرا او غيره فاخبريني به فانا اعرف جميع من فيها من التجار و غيرهم وان اردت رسالة انا او صلها اليه فقالت و الله ما لي معرفة بتاجر ولا غيره وانما لي معرفة بالملك عمر بن النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك و فرح فرحا شديدا وقال في نفسه والله اني وصلت الى ما اريد ثم قال لها هل عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده ولي عنده حرمة كبيرة فانكان غرضك ان الملك عمر بن النعمان يكسب لك ما تريد فأتني بدواة وقرطاس فاني اكتب لك كتابا فاذا دخلت الى مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر بن النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالي والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهي تقرئك السلام واذا سألك عني فاخبره اني عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما اظن الا ان الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم واعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحته ايضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون المكي لابن سينا وحليت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت في الهندسة واتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت في سائر العلوم والفت في علم المنطق والبيان والحساب والجداول واعرف الروحاني والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت للتاجر ائتني بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا ينفعك في

سفرك الى البلاد و يغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر ذلك منها صاح بخ بخ فيا سعد من تكونين في قصره ثم اتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضر التاجر ذلك بين يديها باس الارض تعظيما لها فاخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فيه شعرا

أَرَى النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيَّ قَدْ نَفَرَا ... أَأَنْتَ عَلَّمْتَ طَرْفِي بَعْدَكَ السَّهَرَا

وَمَا لِذِكْرِكَ يُصْلِي النَّارَ فِي كَبِدِي ... أَهَكَذَا كُلُّ صَبٍّ لِلْهَوَى ذَكَرَا

سَقْيًا لِأَيَّامِنَا مَا كَانَ أَطْيَبَهَا ... وَلَّتْ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ لَذَّاتِهَا وَطَرَا

أَسْتَعْطِفُ الرِّيحَ إِنَّ الرِّيحَ حَامِلَةٌ ... إِلَى الْمُتَيَّمِ مِنْ أَكْنَافِكُمْ خَبَرَا

يَشْكُو إِلَيْكَ مُحِبٌّ قَلَّ نَاصِرُهُ ... وَلِلْفِرَاقِ خُطُوبٌ تَصْدَعُ الْحَجَرَا

ثم انها لما فرغت من كتابة شعرها كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهي تقول من اخترمها الفكر واتحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من انوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الارق وهي للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد اذابها الكفر والنحول وشرح حالها يطول لا مساعد لها غير العبرات وانشدت تقول هذه الابيات

مَا هَرَّدَتْ سَحَرًا وَرْقَاءُ فِي فَنَنٍ ... إِلَّا تَحَرَّكَ عِنْدِي قَاتِلُ الشَّجَنِ

وَلَا تَأَوَّهَ مُشْتَاقٌ بِهِ طَرَبٌ ... إِلَى الْأَحِبَّةِ إِلَّا زَادَنِي حَزَنِي

أَشْكُو الْغَرَامَ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي ... كَمْ فَرَّقَ الْوَجْدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

ثم افاضت دموع العين وكتبت ايضا هذين البيتين

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي ... وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ



ذي يجيئني نقولا إنني رجل لولا مُنا طبتي إياك لم ترني

ثم اجابت دموع العين وبعد ذلك كتبت في اسفل الدرج هذا
من عند المعذبة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة
الزمان ثم انت الدرج وناولته للتاجر فاخذه وقبله وعرف ما فيه
وفرح وقال سبحان من صوّرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان كتبت الكتاب
وناولته للتاجر فاخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صوّرك
وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما اقبل الليل خرج
الى السوق واتى بشيء فاطعمها اياه ثم ادخلها الحمام واتى لها ببلانة
وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فالبسيها الاثواب ثم ارسلي
اعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم احضر لها طعاما وفاكهة
وشمعا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة
من تنظيفها البستها ثيابها فخرجت من الحمام وجلست على مصطبته
وارسلت البلانة اعلمته وخرجت فوجدت المائدة حاضرة فاكلت هي
والبلانة من الطعام والفاكهة ودفعتا الباقي لصنّاع الحمام وحارسه ثم باتت
الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه ايقظ
نزهة الزمان واحضر لها قميصا رفيعا واخذ كوفية بالف دينار وبدلة
لباس تركية مزركشة وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصّعا بالدر
والجوهر وجعل في اذنيها حلقا من ذهب مرصّعا بلؤلؤ بالف
دينار ووضع في رقبتها طوقا من ذهب بين الرمانتين وقلادة من عنبر

تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك القلادة فيها عشر أكر و تسعة اهلة كل هلال في وسطه فص من يا قوت و كل اكرة فيها فص من البلخش وثمن تلك القلادة ثلثة آلاف دينار و كل اكرة بعشرين الف درهم فصارت الكسوة التي كساها اياها بجملة بليغة من المال فلما لبستها امرها التاجران تتزين فتزينت باحسن الزينة وارخت حلال عينيها خافونية ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها وقالوا تبارك الله احسن الخالقين يا بخت من كانت هذه عنده وما زال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه الى ان دخل على السلطان شركان فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه وقال ايها الملك السعيد اتيت اليك بهدية غريبة الاوصاف معدومة المثال في هذا الزمان حازت الحسن والاحسان فقال له الملك اريني اياها عيانا فخرج التاجر واتى بها وهي خلفه الى ان اوقفها قدام الملك شركان فلما رآها حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهي صغيرة ولم ينظرها لانه بعد مضي مدة من ولادتها سمع ان له اختا تسمى نزهة الزمان واخا يسمى ضوء المكان فكان يغتاظ منهما لاجل المملكة فهذا سبب قلة معرفته بهما فعند ذلك لما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال الملك للتاجر خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها ورح الى حال سبيلك فقال له سمعا وطاعة ولكن اكتب لي مرقوما على اني لا ادفع عُشرا ابدا على تجارتي فقال الملك اني اول ما افعل ذلك ولكن اخبرني كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة الف دينار وكسوتها بمائة الف دينار فلمّا سمع الملك

هذا الكلام قال انا اعطيك في ثمنها اكثر من ذلك ثم دعا بخازن داره وقال له اعط لهذا التاجر ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار فيكون له ثلثة وعشرون الف دينار زائدة ثم احضر السلطان شركان القضاة الاربعة وسلمه المال بحضرتهم وقال للقضاة اشهدوا كم اني اعتقت جاريتي هذه واريد ان ازوجها فكتب القضاة حجة بإعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على رؤس الحاضرين ذهبا كثيرا فصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من المال ثم بعد ذلك امر الملك شركان بكتابة منشور للتاجر بعد ان سلمه المال وكتب التوقيع مخلدا بانه لا يدفع على تجارته عشرا ولا مكسا ابدا ولا يتعرض له احد بسوء في سائر مملكته وبعد ذلك امر له بخلعة سنية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شركان امر للتاجر بكتابة منشور بعد ما سلم له المال وكتب له التوقيع مخلدا انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له احد بسوء في مملكته وامر له بخلعة سنية وانصرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر فقال للقضاة اريد ان تسمعوا من الفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وادبها من كل ما ادعاه التاجر لنحقق صدق كلامه فقالوا لاباس بذلك فامر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء اللاتي مع الجارية خلف الستارة يهنئنها ويقبلن يديها ورجليها لما علموا انها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقلعن ثيابها وخففنها من ثقل الثياب وصرن ينظرن الى حسنها وجمالها

فسمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية ما مثلها
في الجمال والعلم والحكمة والحساب وانها حوت جميع العلوم وقد
وزن ثمنها ثلثمائة دينار وعشرين الف دينار واعتقها وكتب كتابه
عليها واحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى تجاوبهم على ما
يسألونها ويناظرونها فطلب النساء الاذن من ازواجهن ومضين
الي القصر الذي فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم
وقوفا بين يديها فحين رأت نساء الامراء والوزراء وارباب الدولة
داخلة عليها قامت لهن على اقدامها وقابلتهن ووقفت الجواري
خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم في وجوههن
فاخذت بقلوبهن ثم اوعدتهن بكل خير وانزلتهن في مراتبهن
كأنها تربت معهن فتعجبن من عقلها وادبها مع حسنها وجمالها
وقلن بعضهن لبعض ما هذه جارية بل ملكة بنت ملك فجلسن
يعظمن قدرها وقلن لها يا سيدتنا اضاءت بك بلدتنا وشرفت
بلادنا واماكننا واوطاننا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك
وكلنا جواريك فبالله لاتخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن
على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بينها ومن عندها من النساء وبين
الملك شركان والقضاة الاربعة والتاجر وهم جالسون بجانب الملك
فعند ذلك ناداها الملك شركان وقال لها ايتها الملكة العزيزة في زمانها
ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والادب وادعى انك تعرفين في
جميع العلوم حتى علم النجوم فاسمعينا شيئاً مما ذكرته لذلك التاجر
واذكري لنا من هذا الشيء بابا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة
ايها الملك الباب الاول في السياسات والآداب الملكية وما ينبغي لولاة
الامور الشرعية وما يلزمهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم ايها

الملك ان محاسن الخلق مجموعة فى الدين والدنيا فلا يتوصل
احد الى الدين الا بالدنيا لانها نعم الطريق الى الآخرة و ليس ينتظم
امر الدنيا الا باعمال اهلها و اعمال الناس تنقسم على اربعة اقسام
الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغي لها السياسة التامة
والفراسه الصادقة لان الامارة مدار عمارة الدنيـــا التي هي طريق
الى الآخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل
المراد فينبغي لكل انسان ان يتناول منها بقدر ما يوصله الى اللـــه
ولا يتبع في ذلك نفسه و هواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت
الخصومات و لكنهم يتناولونها بالجور و متابعة الهوى فتسببت عن
انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى السلطان لاجل ان ينصف بينهم
ويضبط امورهم ولو لاردع الملك الناس عن بعضهم اغلب قويهم
على ضعيفهم و قد قال ازدشيـــر ان الدين والملك توأمان فالدين
كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على الناس
ان يتخذوا سلطانا يدفع الظـــالم عن المظلـــوم و ينصف الضعيف
من القوي و يكف باس العاتي والباغي و اعلم ايها الملك انه على قدر
حسن اخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئان فى الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس
العلماء و الامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك ثلثة ملك دين وملك
محافظة على الحرمات وملك هوى فاما ملك الدين فانه يلزم رعيته
باتباع دينهـــم و ينبغي ان يكون اديَنهـــم لانه هو الذي يقتدى
به في امور الدين ويلـــزم النـــاس طاعته فيمـــا امر به موافقا
للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضي بسبب التسليم
الى الاقدار و اما ملك المحـــافظة على الحرمات فانه يقـــوم

بامور الدين والدنيا و يلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة و يكون جامعا بين القلم والسيف فمن زاغ عما سطره القلم زلت به القدم فيقوّم اعوجاجه بحد الحسام و ينشر العدل في جميع الانام واما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه و لم يخش سطوة مولاه الذي ولّاه فمآل ملكه الى الدمار و نهاية عتوه الى دار البوار و قالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس و هم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب ان يكون عارفا باخلاقهم ليرد اختلافهم الى وفاقهم و يعمهم بعدله و يغمرهم بفضله و اعلم ايها الملك ان اردشير يقال له جمر شديد و هو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعها و قسّمها على اربعة اقسام و جعل له من اجل ذلك اربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والمحاماة وكتب عليه النيابات والثاني خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة والثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء والرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل فبقيت و استمرت هذه الرسوم في الفرس الى ان ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه و هو في جيشه لاتوسعن على جيشك فيستغنوا عنك و اترك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان كسرى كتب لابنه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء قصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروي ان اعرابيا جاء الى المنصور

و قال له اجعل كسبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابي لما سمع منه هذا الكلام فقال ابو العباس الطوسي اخشى ان يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم انها كلمة لا تخطى وامر للاعرابي بعطية واعلم ايها الملك انه كتب عبد الملك ابن مروان لاخيه عبد العزيز حين وجّهه الى مصر تفقد كتّابك وحجّابك فان الثابت يخبرك عنه كتابك والتّرسيم تعرّفك به حجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمربن الخطاب رضي الله عنه اذا استخدم خادما شرط عليه اربعة شروط ان لا يركب البراذين وان لا يلبس الثوب الرقيق و ان لا يأكل من الفيء وان لا يؤخر الصلوة عن وقتها وقيل لا مال اجود من العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كاداء الفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلاء وقال علي كرم الله وجهه اتقوا اشرار النساء وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن في امر ولا تضيقوا عليهن في معروف حتى لا يطمعن في المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وله آداب نذكرها ان شاء الله وقال عمر رضي الله عنه النساء ثلثة امرأة مسلمة تقية ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها واخرى تراد للولد لا تزيد على ذلك واخرى غلّ يجعلها الله في عنق من يشاء والرجال ايضا ثلثة رجل عاقل اذا اقبل على رأيه وآخر اعقل منه وهو من اذا

نزل به الامر لايعرف عاقبته فيأتي ذوي الرأي فينزل عند آرائهم وآخر حائر لايعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لابد منه في كل الاشياء حتى ان الجواري يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا في قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتنا صفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما احسن قول الشاعر

بِبَذْلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ ٱلْفَتَى ... وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

وقال الآخر

فَفِي ٱلْحِلْمِ إِتْقَانٌ وَفِي ٱلْعَفْوِ هَيْبَةٌ ... وَفِي ٱلصِّدْقِ مَنْجَاةٌ لِمَنْ كَانَ صَادِقَا
وَمَنْ يَلْتَمِسْ حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ ... يَكُنْ بِٱلنَّدَى فِي حَلْبَةِ ٱلْمَجْدِ سَابِقَا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا احدا تكلم في باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت واما باب الادب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق انه دخل رجل على معوية من ندمائه فذكر اهل العراق وحسن رأيهم وزوجته ميسون ام يزيد تسمع كلامهما فلما انصرف قالت يا امير المؤمنين احب ان تأذن للقوم من اهل العراق بالدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معوية انظروا من بالباب فقالوا بنوا تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معوية اقرب مني يا ابا بحر وضرب بينهما ستر بحيث تسمع كلامهما

فقال يا ابا بحر كيف رأيك لي قال افرق الشعر و قص الشارب و قلّم الاظفار و انتف الابط واحلق العانة و ادم السواك فان فيه اثنين و سبعين فضيلة و غسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاحنف بن قيس قال لمعوية لما سأله وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معوية كيف رأيك لنفسك قال اطأ بقدمي على الارض وانقلها على تمهل وارعيها بعيني قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال اطرق حياء وابدأ بالسلام وادع ما لايعنيني واقلّ الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت الى نظرائك قال استمع لهم اذا قالوا ولا اجول عليهم اذا جالوا فقال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال اسلم من غير اشارة و انتظر الاجابة فان قربوني قربت و ان ابعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفني من هذا يا اميرالمؤمنين قال اقسمت عليك ان تخبرني قال احسن الخلق و اظهر العشرة و اوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع اعوج قال فمارايك اذا اردت ان تجامعها قال اطمعها حتى تستطيب والثمها حتى تطرب فاكان الذي تعلم طرحتها على ظهرها و ان استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية و صوّرها احسن تصوير ثم اقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء على يدي ثم اصبه على جسدي ثم احمد الله على ما اعطاني من النعم فقال معوية احسنت في الجواب

فقل عن حاجتك فقال حاجتي ان تتقي الله في الرعية وتعدل بينهم
بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معوية فلما ولى قالت ميسون
لولم يكن بالعراق الا هذا لكفاه ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة
من جملة باب الادب واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا
على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم ايها الملك
انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب
فاتفق انه رأى ابن عمر فاعطاه درهما من بيت المال قال معيقب
وبعد ان اعطيته الدرهم انصرفت الى بيتي فبينما انا جالس واذا
رسول عمر جاءني فرهبت منه وتوجهت اليه فاذا الدرهم في يده
فقال لي ويحك يا معيقب اني وجدت في نفسك شيئا فلت
وما ذلك قال انك تخاصم امة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا
الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري كتابا
مضمونه اذا جاءك كتابي هذا فاعط الناس الذي لهم واحمل اليّ
ما بقي ففعل فلما ولي عثمان الخلافة كتب الى ابي موسى مثل ذلك
ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدي عثمان جاء ولده
فاخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال اتيت
عمر بن الخطاب بمثل ذلك فاخذ ابنه درهما فامر بنزعه من يده
وابنك اخذ فلم ار احدا قال له شيئا او ينزعه منه فقال عثمان
واين تلقى مثل عمر وروى زيد بن اسلم عن ابيه

انه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى اشرفنا على نار تضرم فقال يا اسلم اني احسب هؤلاء ركبا اضرّبهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى اتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر و معها صبيان يتضرعون فقال عمر السلام عليكم اصحاب الضوء وكره ان يقول اصحاب النار ما بالكم قالت اضرّبنا البرد و الليل قال فما بال هؤلاء القوم يتضرعون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ما اسكتهم به و ان عمر بن الخطاب لبسأ له الله عنهم يوم القيامة قال وما يدري عمر بحالهم قالت كيف يتولى امور الناس و يغفل عنهم قال اسلم فاقبل عمر عليّ وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الصرف فاخرج عدلا فيه دقيق و اناء فيه شحم ثم قال حمّلني هذا فقلت انا احمله عنك يا امير المؤمنين فقال اتحمل عني وزري يوم القيامة فحملته اياه و خرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها ثم اخرج من الدقيق شيأ و جعل يقول للمرأة ترددي اليّ و كان ينفخ تحت القدر و كان ذو لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ و اخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم و انا ابرد لهم ولم يزالوا حتى اكلوا و شبعوا و ترك الباقي عندها ثم اقبل عليّ وقال يا اسلم اني رأيت الجوع ابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رأيته و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر مرّ براع مملوك فاستباعه شاة فقال له انها ليست لي فقال انت

القصل فاشتراه ثم اعتقه فقال اللهم كما رزقتني العتق الاصغر فارزقني العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب للخدم ويأكل الغليظ ويكسوهم الليّن ويلبس الخشن ويعطي الناس حقوقهم ويزيد في عطائهم واعطى رجلا اربعة آلاف درهم وزاده الفا فقيل له اما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم أُحد وقال الحسن اتي عمر بمال كثير فاتته حفصة فقالت له يا امير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما اوصى الله بحق قرابتي واما مال المسلمين فلا يا حفصة قد ارضيت قومك واغضبت اباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الي ربي سنة من السنين ان يريني ابي حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربي لهلك ابوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع ايها الملك [illegible] الثاني من الباب الاول من اخبار التابعين وسائر الصالحين قال الحسن البصري لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتاسف على ثلثة اشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراكه لما امل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان ايكون الرجل زاهدا ويكون له مال قال نعم اذا كان متى ابتلي صبر واذا اعطي شكر وقيل لما حضرت عبدالله بن شداد الوفاة احضر ولده محمدا فاوصاه وقال له يا بني اني لارى داعي الموت قد دعاني فعليك بتقوى الله في السر والعلانية والشكر لله وصدق الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد كما قال بعضهم شعر

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ وَلٰكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ

وَتَقْوَى اللّٰهِ خَيْرُ الزَّادِ حَقًّا وَعِنْدَ اللّٰهِ لِلْأَتْقَى مَزِيدُ

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الاول قيل لها وماهي قالت لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فاخذ ما بايديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنوا امية الى عمته فاطمة بنت مروان فارسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم اتته ليلا فانزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها قال لها يا عمة انت اولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبريني عن مرادك فقالت يا اميرالمؤمنين انت اولى بالكلام ورأيك يستكشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة لقوم وعذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لناس وعذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك لهم نهرا يشربون منه ثم قام ابو بكر الصديق خليفة بعده فترك النهر على حاله وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر قائما فعمل عملا واجتهد اجتهادا ما يقدر احد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولي معوية فاشتق الانهار منه ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان ويبس النهر الاعظم حتى آل الامر اليّ فاحببت ان ارد النهر الى ما كان عليه فقالت قد اردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ

ورجعت الى بني امية فقالت لهم ذوقوا عاقبة امركم بتز ويجكم ابن عمر
وقيل لما حضرت عمربن عبد العزيز الوفاة جمع اولاده حوله
فقال له مسلمة بن عبد الملك يا امير المومنين كيف تترك
اولادك فقراء وانت راعيهم فما يمنعك احد في حيوتك من ان
تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم و هذا اولى من ان ترجعه الى
الوالى بعد ل فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة
منعتهم ايام حيوتي فكيف اشقى بهم بعد مماني ان اولادي
ما بين رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شانه او عاص فما كنت
لان اعينه على معصية يا مسلمة اني حضرت و اياك حين دفن
بعض بني مروان فحملتني عيني عنده فرأيته في المنام اقضي الى
امر من امور الله عز وجل فهالني وراعني فعاهدت الله ان لا
اعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حيوتي
وارجوان اقضى الى عفو ربي قال مسلمة توفي رجل حضرت دفنه
فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة
فيها انهار جارية وعليه ثياب بيض فاقبل عليّ وقال يا مسلمة
لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير و قال بعض الثقات
كنت احلب الغنم في خلافة عمربن عبد العزيز فمررت براع
فرأيت مع غنمه ذئبا او ذئابا فظننت انها كلابها ولم اكن رأيت
الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست
كلابا بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرّها فقال اذا
صلح الرأس صلح الجسد وخطب عمربن عبد العزيز على منبر
من الطين فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم تكلم بثلث كلمات فقال
ايها الناس اصلحوا اسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا امر

دنياكم واعلموا ان الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حيّ في الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا امير المؤمنين لو عملنا لك متكئا لتعتمد عليه قليلا فقال اخاف ان يكون في عنقي منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشيا عليه فقالت فاطمة يامريم يامزاحم يا فلان انظروا الى هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى افاق من غشيته فرآها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا امير المؤمنين رأيت مصرعك بين ايدينا فذكرت مصرعك بين يدي الله تعالى للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي ابكاني فقال حسبك يا فاطمة فلقد ابلغت ثم قام فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بابي انت وامي يا امير المؤمنين ما نستطيع ان نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان والذي لم نعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الاول اتفق انه كتب عمر بن عبد العزيز الى اهل الموسم اما بعد فاني اشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر اني ابرأ من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ان اكون امرت بذلك او تعمدته اويكون امر من اموره بلغني او احاط به علمي وارجو ان يكون لذلك موضعا من الغفران الا انه لا اذن مني بظلم احد فاني مسئول عن كل

مظلوم آلا و اي عامل من عمالي زاغ عن الحق و عمل بلا كتاب
ولا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضى الله عنه
ما احب ان يخفف عني الموت لانه آخر مايؤجر عليه المؤمن و قال
بعض الثقات قدمت على امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو
خليفة فرأيت بين يديه اثنى عشر درهما فامر بوضعها في بيت المال
قلت يا امير المؤمنين انك افقرت اولادك وجعلتهم عيالا لاشئ
لهم فلو اوصيت اليهم بشئ والى من هو فقير من اهل بيتك فقال
ادن مني فدنوت منه فقال اما قولك افقرت اولادك فاوص اليهم
او الى من هو فقير من اهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي
على اولادي و على من هو فقير من اهل بيتي وهو وكيل عليهم
وهم ما بين رجلين اما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا
واما رجل معتكف على المعاصي فاني لم اكن لاقوّيه على معصية
الله ثم بعث اليهم واحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكرا فلما
نظر اليهم ذرفت عيناه بالبكاء ثم قال ان اباكم ما بين امرين
اما ان تستغنوا فيدخل ابوكم النار واما ان تفتقروا فيدخل ابوكم
الجنة و دخول ابيكم الجنة احب اليه من ان تستغنوا قوموا عصمكم
الله فقد وكلت امركم الى الله وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف
بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج
بقرابته و خدمه فنزل في ارض و ضربت له خيمة فلما اخذت
الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت
عيني في عينه قلت له اتم الله نعمته عليك يا امير المؤمنين وجعل
ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك اذى ولم اجد لك
نصيحة يا اميرالمؤمنين ابلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك

فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقال يا امير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك في عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما انا فيه وهل اعطي احد مثل ما اعطيته وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه فقال ايها الملك انك سألت عن امر عظيم اتاذن لي في الجواب عنه قال نعم قال ارأيت الذي انت فيه شيأ لم يزل ام شيأ زائلا فقال هو شيء زائل قال فمالي اراك قد اعجبت بشيء تكون فيه قليلا وتسأل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فاين المهرب واين المطلب قال ان تقيم في ملكك فتعمل على طاعة الله تعالى او تلبس اطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك اجلك فاذا كان السحر فاني قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فاذا هو قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بلّ لحيته وامر بنزع ما عليه ولزم قصره فاتت الموالي والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا اهكذا فعلت با مير المؤمنين افسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح اني لاعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لشركان اعلم ايها الملك وكم في هذا الباب من النصائح اني لاعجز عن الاتيان

بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك
الزمان يكون خير فقال القضاة ايها الملك ان هذه الجارية اعجوبة الزمان
ويتيمة العصر والاوان وما سمعنا بمثلها طول الزمان ولا طول عمرنا
ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه
وقال لهم اشرعوا في عمل العرس وهيئوا الطعام من جميع الالوان
ففي الحال امتثلوا امره وهيئوا جميع الاطعمة وامر بنساء الامراء
والوزراء وارباب الدولة ان لاينصرفن حتى يحضرن الجلاء والعرس
فما جاء وقت العصر حتى مدت السفرة مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
من مشوي واوز ودجاج واكل جميع الناس حتى اكتفوا ورسموا لكل
مغنية في دمشق فحضرن وكذلك جوارى الملك الكبار اللاتي يعرفن
الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما اتى المساء واظلم الظلام
اوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى
الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان واخذت المغاني
والمواشط الصبية لتزينها وتلبسها فرأتها لاتحتاج الى
زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج
جلس على المنصة وجليت عليه العروس سبع خلع ثم خففوا عنها
ثيابها واوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان
فاخذ وجهها فعلقت منه في وقتها وساعتها واعلمته بذلك ففرح
فرحا شديدا وامر الحكماء ان يكتبوا تاريخ الحمل فلما اصبح جلس
على الكرسي وطلع له ارباب دولته وهنوه واحضر كاتب سره وامره
ان يكتب كتابا لوالده عمر بن النعمان بانه اشترى جارية ذات
علم وادب قد حوت فنون الحكمة وانه لابد من ارسالها الى بغداد
لتزور اخاه ضوء المكان واختته نزهة الزمان وانه اعتقها وكتب كتابه

عليها و دخل بها و حملت منه وشكر عقلها و يسلم على اخوته و وزيره دندان و على سائر الامراء وختم الكتاب وارسله الى ابيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع له بالجواب وناوله اباه فاخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذي فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر بن النعمان الى ولده شركان اعلم انه بعد مسيرك من عندي ضاق عليّ المكان حتى لا استطيع صبرا ولا اقدران اكتم سرّا وسبب ذلك اني ذهبت الى الصيد و القنص وكان ضوء المكان قد طلب مني الذهاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان و منعته من السفر الى العام الثاني او الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا كاملا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر بن النعمان قال في مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما اتيت وجدت اخاك واختك اخذا شيأ من المال وسافرا مع الحجاج الى الحج خفية فلما علمت بذلك ضاق بي الفضاء واني يا ولدي قد انتظرت مجيء الحجاج لعلّهما يجيئان معهم فلما جاء الحجاج سألت عنهما فما اخبرني عنهما احد فلبست لاجلهما ثياب الحزن وانا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين وانشد يقول

خَيَالُهُمَا مَا لَيْسَ يَبْرَحُ سَاعَةً جَعَلْتُ لَهُ فِي الْقَلْبِ أَشْرَفَ مَوْضِعِ
وَلَوْلَا رَجَاءُ الْعَوْدِ مَا عِشْتُ سَاعَةً وَلَوْلَا خَيَالُ الطَّيْفِ لَمْ أَتَهَجَّعِ

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك اعرفك انك لاتتهاون في كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على ابيه وفرح لفقد اخته واخيه واخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها اخته وهي لا تعلم انه اخوها مع انه يتردد عليها ليلا ونهارا الى ان كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهّل الله عليها الولادة فولدت بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمّها ما تريد فقال عادة الناس ان يسموا اولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلث خرزات التي جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله ولحقه الغيظ وحملق عينيه وعرف الخرزة حق معرفتها ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من اين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له انا سيدتك وسيدة كل من في قصرك اما تستحي وانت تقول يا جارية انا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان انا نزهة الزمان بنت الملك عمر بن النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وعرف انها اخته من ابيه فغاب عن الدنيا فلما افاق

صار ينعجب ولكنه لم يعرفهـا بنفسه فقال لها ياسيدتي هل انت
بنت الملك عمـر بن النعمان قالت نعم فقال لها احكي لي عن
سبب فراقك لوالدك وبيعك فحكت له علي ماجميع وقع لها من الاول
الى الآخر و اخبرته انها تركت اخا ها مريضـا في بيت المقدس
واخبرته باختطاف البدوي لهـا وبيعه اياها للتاجر فلمـا سمع
شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من ابيه وقال في نفسه كيف
انزوج باختي ولكن والله لابدان ازوجهـا لواحد من حجابي
واذا ظهر امر ادعي انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب
الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يانزهة الزمان انت اختي حقيقة
وانا اقول استغفر اللـه من هذا الذنب الذي وقعنـا فيه فاني
انا شركان ابن الملك عمر بن النعمان فنظرت اليه وحققته فلما
عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت لاحول
ولاقوة الا باللـه قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمـل
وما اقول لابي وامي اذا قالا لي من اين جاءتك هذه البنت فقال
شركان الـرأي ان ازوجك بالحاجب وادعك تربي بنتي عنده
في بيته بحيث لايعلم احد بانك اختي وهذا الذي قدره اللـه
تعالى علينا لامر اراده فما يسترنا الّا زواجك بهذا الحاجب قبل
ان يدري احد ثم صار يأخذ بخـاطرها ويقبل رأسهـا فقالت
له وما نسمي البنت قال نسميهـا قضى فكان ثم زوجها للحاجب
الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها فربوها على اكتاف الجواري
وواظبوا عليها بالاشربه وانواع السفـوف هذا كله واخوها ضوء
المكان مع الوقاد بدمشق فلمـا كان يوما من الايام اقبل بريد
من عند الملك عمر بن النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب

فاخذه وقرأه واذا فيه بعد البسملة اعلم ايها الملك العزيز اني
حزين حزنا شديدا علي فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد
وقد ارسلت هذا الكتاب اليك فحال وصول هذا الكتاب تجهّز لنا
المال والخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها
فاني احببت ان اراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم
عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد ابكار وقد
حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان
معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان
فانهن حزن انواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن احببتهن وقد
اشتهيت ان يكن في قصري وفي ملك يدي لانهن لم يوجد لهن
نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت
لا ابيعهن الا بخراج دمشق وانا والله ما رأيت هذا كثيرا في
ثمنهن فان الواحدة منهن تساوي الثمن جميعه فاجبتها الى ذلك
ودخلت بهن الى قصري وبقين في حوزي فعجل لنا بالخراج لاجل
ان تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن
بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها لك وصحبتها خراج بغداد وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر بن النعمان قال في
مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا
غلبتهن ارسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم بذلك
شركان اقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك اياها

فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لها يا اختي ما عندك
من الرأي في رد الجواب قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد
اشتاقت الى اهلها ووطنها ارسلني صحبة زوجي الحاجب لاحكي
لابي حكايتي واخبره بماوقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر
واخبره بان التاجر باعني لك وانت زوجتني للحاجب بعد عتقي
فقال لها شركان وهوكذلك فاخذ شركان ابنته قضى فكان وسلمها
للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج واعطاه للحاجب وامره
بالسير مع الجارية والخراج الى بغداد ورسم له بمحفة يجلس فيها
والجارية بمحفة اخرى فاجابه الحاجب بالسمع والطاعة وجهّز شركان
الجمال والبغال وكتب كتابا وسلمه للحاجب وودع اخته نزهة الزمان
وكان اخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خالص
الذهب وسافر الحاجب في تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان
وكان معه الوقاد ينفرجان تحت الطارمة فرأيا جمالا وبغالا وبغالا
مخملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسال ضوء المكان عن هذه
الاحمال وعن صاحبها فقالوا له هذا خراج دمشق مسافر الى الملك
عمر بن النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن هو رئيس هذه
المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت
العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدا وانتكر وتذكر امه
واباه واخته ووطنه وقال للوقاد ما بقي لي هنا قعود بل اسافر مع
القافلة هذه وامشي قليلا قليلا حتى اصل الى بلادي فقال له الوقاد انا
ما امنت عليك من القدس الي دمشق فكيف آمن عليك الى
بغداد فانا اكون معك وصحبتك حتى تصل الى مقصدك فقال
ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد في تجهيز حاله وشد له حمارا

وجعل خرجه على حمارة وجعل فيه شيأً من الزاد و شد وسطه وتأهب ووقف حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معي فقال لا اركب ولكن اكون في خدمتك فقال ضوء المكان لابد ان تركب ساعة فقال له كذلك ان اتعب ثم ان ضوء المكان قال له سوف تنظر يا اخي ما افعل بك اذا وصلت الى اهلي وما زالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس فلما جاء وقت القائلة امرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا واسقوا جمالهم ثم امرهم بالمسير وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماة ونزلوا فاقاموا بها ثلثة ايام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم اقاموا في مدينة حماة ثلثة ايام ثم سافروا وما زالوا مسافرين حتى وصلوا الي مدينة اخرى فاقاموا بها ثلثة ايام ثم سافروا حتى دخلوا ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان اخته نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الي ابيه بغير اخته فبكى وانّ واشتكى واشتدت به الحسرات فانشد يقول هذه الابيات

خَلِيْلَيَّ كَمْ هَذَا التَأنِّي وَاَصْبِرُ ... وَلَمْ يَأْتِنِي مِنكُمْ رَسُوْلٌ يُخَبِّرُ
اَلَا اِنَّ اَيَّامَ الْوِصَالِ قَصِيْرَةٌ ... فَيَا لَيْتَ اَيَّامَ التَفرُّقِ تَقْصُرُ
خُذُوا بِيَدِي ثُمَّ اكْشِفُوا الثَّوْبَ تَنظُرُوا ... ضَنَى جَسَدِي لٰكِنَّنِي اَتَسَتَّرُ
وَاِنْ قَالَ لِي اَسْلُوا هَوَاكُمْ اَقُلْ لَهُ ... فَوَاللّٰهِ مَا اَسْلُوا اِلَى حِيْنَ اُحْشَرُ

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء و الانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادي شيأ من الشعر لعل نار قلبي تطفي فقال له الوقاد بالله عليك اترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وانا معك حيث ماكنت فقال ضوء المكان والله لا افتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأً مسبلا انواره ونزهة الزمان لم تنم تلك الليلة فقلقت وتذكرت اخاها ضوء المكان وبكت فبينما هي تبكي اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكي و هو ينشد هذه الابيات شعر

لَمَعَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي ... فَشَجَانِي مَا شَجَانِي
مِنْ حَبِيبٍ كَانَ عِنْدِي ... سَاقِيًا كَأْسَ التَّهَانِي
ذَكَّرَنِي مَنْ قَدْ رَمَانِي ... بِالتَّجَنِّي لَمَّا رَمَانِي
يَا وَمِيضَ الْبَرْقِ هَلْ ... تَرْجِعُ أَيَّامُ التَّدَانِي
يَا عَذُولِي لَا تَلُمْنِي ... إِنَّ رَبِّي قَدْ بَلَانِي
بِحَبِيبٍ غَابَ عَنِّي ... وَزَمَانٍ قَدْ دَهَانِي
قَدْ نَأَتْ نُزْهَةُ قَلْبِي ... عِنْدَ مَا وَلَّى زَمَانِي
وَحَوَى لِيَ الْهَمُّ صِرْفًا ... وَ بِكَأْسٍ قَدْ سَقَانِي
وَأَرَانِي يَا خَلِيلِي ... مَيِّتٌ قَبْلَ التَّدَانِي
يَا زَمَانِي بِالتَّصَابِي ... عُدْ قَرِيبًا بِالتَّهَانِي
فِي سُرُورٍ مَعَ أَمَانٍ ... مِنْ سَهْمٍ هَمٍّ قَدْ رَمَانِي
مَنْ لِمِسْكِينٍ غَرِيبٍ ... بَاتَ مَرْعُوبَ الْجَنَانِ
ظَلَّ فِي الْحُزْنِ فَرِيدًا ... بَعْدَ نُزْهَةِ الزَّمَانِ
حَكَمَتْ فِينَا بِرَغْمٍ ... كَفُّ أَوْلَادِ الزَّوَانِي

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة في تلك الليلة لانها تذكرت اخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بهذا الذي ينشد هذه الاشعار فقال لها الخادم اني لم اسمعه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من اخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها اني لم اسمعه ولم اعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد وضوء المكان فانه كان في غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل انت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد ان الست اغتاظت من انشاد الشعر فخاف وقال له والله ما هو انا فقال له الخادم ومن هو الذي كان ينشد فدلني عليه فانت تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال في نفسه ربما ان الخادم يضره بشيء فقال والله لم اعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فان ما هنا جالس يقظان الا انت فانت تعرفه فقال له الوقاد والله انا اقول لك الحق ان الذي كان ينشد الشعر رجل عابر طريق وهو الذي ازعجني واقلقني فالله يجازيه

فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلني عليه وانا امسكه و اجيء به
على باب المحفة التي فيها سيدتنا او امسكه انت بيدك فقال له
اذهب انت حتى آتيك به فخلاه الخادم و انصرف و دخل على
الست وا علمها بذلك و قال ما احد يعرفه وما هو الاعابر سبيل
فسكتت واما ضوء المكان فانه لما افاق من غشيته رأى القمر
وصل الى وسط السماء و هب عليه نسيم الاسحار فهيّج في قلبه البلابل
والاشجان فحسّن صوته واراد ان ينشد فقال له الوقاد ما ذا تريد ان
نصنع فقال له اريد ان انشد شياً من الشعر لاطفيء به نار قلبي قال له
انت ما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل الا باخذي خاطر
الخادم فقال له ضوء المكان و ما اذا كان فاخبرني بما وقع فقال يا سيدي
قد اتاني الخادم و انت مغشي عليك ومعه عصا طويلة من اللوز و
جعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون وهو يسأل على من كان ينشد
الاشعار فلم يجد احدا مستيقظا غيري فسألني فقلت له انه كان عابر
سبيل فانصرف وسلمني الله منه والا كان قتلني فقال لي اذا سمعته
ثانيا فأت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعني
من النشيد فانا انشد و يجري عليّ ما يجري فانا قربت من بلادي
وما ابالي من احد فقال له الوقاد انت ما مرادك الّا هلاك نفسك
فقال له ضوء المكان لا بد من انشادي فقال له الوقاد قد وقع الفراق
بيني و بينك من هنا و انا كان نيتي اني لا افارقك حتى تدخل
مدينتك و تجتمع بابيك و امك وقد مضى لك عندي سنة ونصف
ما حصل لك مني ما يضرك فما الذي قام بك فى النشيد ونحن
في غاية التعب من المشي و السهر والناس قد هجعوا ليستريحوا
من التعب و محتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا ارجع عما انا فيه

ثم حركته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات شعر

قِفْ بِالدِّيَارِ وَحَيِّ الْاَرْبُعَ الدُّرُسَا وَنَادِهَا فَعَسَاهَا اَنْ تُجِيبَ عَسَى
فَاِنْ اَجَنَّكَ لَيْلٌ مِنْ تَوَحُّشِهَا اَوْقِدْ مِنَ الشَّوْقِ فِي ظَلْمَائِهَا قَبَسَا
اِنْ صَلَّ صِلُّ عِذَارَيْهِ فَلَا عَجَبٌ اِنْ يَجْنِنِي لَسَعًا اَنْ اَجْنِيَ لَعَسَا
يَا جَنَّةً فَارَقَتْهَا النَّفْسُ مُكْرِهَةً لَوْلَا التَّأَسِّي بِدَارِ الْخُلْدِ مُتُّ اَسَى

وانشد ايضا هذين البيتين

كُنَّا وَكَانَتْ لَنَا الْاَيَّامُ خَادِمَةً وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ فِي اَبْهَجِ الْوَطَنِ
مَنْ لِي بِدَارِ اَحِبَّائِي وَكَانَ بِهَا ضَوْءُ الْمَكَانِ وَفِيهَا نُزْهَةُ الزَّمَنِ

فلما فرغ من شعره صاح ثلث صيحات ثم وقع على الارض مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان الانشاد الاول تذكرت اباها وامها واخاها ولما سمعت الانشاد الثاني المتضمن لذكر اسمها واسم اخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذي انشد اولا انشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تأتني به لانبهنّ عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطه اباها وأتني به برفق ولا تضره فان ابى ادفع له هذا الكيس الذي فيه الف دينار فان ابى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن اي البلاد هو وارجع اليّ بسرعة ولا تغب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان ارسلت الخادم يفتّش عليه وقالت له ايّاك ان ترجع لي وتقول ما وجدته فخرج الخادم

يضرب فى الناس و يدوس فى الخيم فلم يجد احدا مستيقظا وجميع الناس من التعب نائمون فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه و مسك يده و قال له انت الذي كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه و قال لا والله يا مقدم القوم ما هو انا فقال له الخادم لا اترك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني اخاف من سيدتي اذا انا رجعت لها بغيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان و بكى بكاء شديدا و قال للخادم والله ما هو انا ولا اعرفه وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فاني غريب و جئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال له الخادم قم انت معي و احك لسيدتي بفمك فاني مارأيت احدا مستيقظا غيرك فقال له الوقاد اما جئت ورأيتني في هذا الموضع الذي انا فيه قاعد و عرفت مكاني وما احد يقدر ان ينفك عن موضعه الا امسكته الحرّاس فامض انت الى مكانك و ان عدت تسمع احدا من هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا او قريبا فيكون انا او احد اعرفه ولا تعرفه الا مني ثم انه قبل رأس الخادم و اخذ بخاطره فتركه الخادم و دار دورة و جاء فاستتر و وقف من وراء الوقاد و خاف ان يرجع الى سيدته بلا فائدة فقام الوقاد الى ضوء المكان و نبّهه وقال له قم اجلس حتى احكي لك ما جرى فقام فحكى له ما وقع فقال له دعني فاني ما عدت افكر ولا ابالي باحد فان بلادي قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاي شيء انت مطاوع نفسك والشيطان و انت لا تخاف من احد و انا خائف عليك و على نفسي فبالله عليك ما بقيت تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك فاني ما كنت

اظنك على هذه الحالة اما علمت ان هذه الست زوجة الحاجب تريد زجرك لانك اقلقتها وكأنها مريضة او سهرانة من تعب السفر وبعد المسافة وهذه ثاني مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وانشد يقول هذه الابيات

تَـرَكْتُ كُلَّ لَائِـمٍ	مَـلَامُهُ أَقْلَقَنِـي
يَعْـذِلُنِي وَمَـا دَرَى	بِأَنَّهُ حَـرَّضَنِـي
قَالَ الْـوُشَاةُ قَدْ سَلَا	قُلْتُ لِحُبِّ الْـوَطَنِ
قَالُـوْا فَمَـا أَحْسَنَـهُ	قُلْتُ فَمَـا أَعْشَقَنِي
قَـالُـوْا فَمَـا أَعَزَّهُ	قُلْتُ فَمَـا أَذَلَّنِـي
هَيْهَاتَ أَنْ أَتْـرُكَـهُ	لَوْ جُرِّعْتُ كَأْسَ الشَّجَـنِ
وَمَـا أَطَعْتُ لَائِمًـا	فِيْ حُبِّـهِ يَعْذِلُنِـي

فلما فرغ من شعره كان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره وانتهى الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال له الخادم السلام عليكم يا سيدي فقال ضوء المكان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم يا سيدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان يا سيدي اني اتيت اليك في هذه الليلة ثلث مرات لان سيدتي تدعوك عندها قال ومن اين هذه الكلبة التي تطلبني لعنها الله ولعن زوجها معها ونزل في الخادم شتما فما قدر الخادم ان يرد عليه جوابا

لان الست اوصته انه لا يؤذيه ولا يحضره الا بمراده هو فان لم يأت معه يعطه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له يا سيدي خذ هذه واذهب معي يا ولدي نحن ما اخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصد ان تصل بخطواتك الكريمة معي الى سيدتي تاخذ منها جوابا وترجع في خير وسلامة ولك عندنا بشارة عظيمة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس وتخطاهم والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول في نفسه يا خسارة شبابه في غد يشنقونه وما زال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وهم لايرونه ووقف وقال ما اخسه ان كان يقول عليّ هو الذي قال لي انشد الاشعار هذا ما كان من امر الوقاد واما ماكان من امر ضوء المكان فانه ما زال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها يا سيدتي قد احضرت لك بمن تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه آثار النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت دعه ينشد شيأ من الشعر حتى اسمعه من قرب وبعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن اي البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له قل ما عندك من الشعر فان الست حاضرة بالقرب منك تسمعك وبعد ذلك اسألك عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن اذا سألتني عن اسمي فانه محا ورسمي فنى وجسمي بلي ولي حكاية لا اول لها يعرف ولا آخر لها يوصف وها انا في منزلة السكران الذي اكثر من الشراب ومما تحمل على نفسه وحلت به الاوصاب وتاه عن نفسه واحتار في امره وغرق في بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت في البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت احدا ممن

تحب مثل امك وابيك فسأل له الخادم كما امرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع واعزهم عندي اختي التي فرق بيني وبينها الدهر فسكتت نزهة الزمان لما سمعته يقول هذا الكلام وقالت الله تعالى يجمع شمله بمن يحب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له اسمعني شيأً من مفارقتك لاهلك ووطنك فقال له الخادم كما امرته سيدته فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

أَمَا وَهَوَاهَا حِلْفَةً عِنْدَ ذِي وَجْدِ ... لَأُكْرِمُ دَاراً قَدْ أَحَلَّتْ بِهَا هِنْدُ
هَوَاهَا هَوًى لَا يَعْرِفُ النَّاسُ غَيْرَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ قَبْلٌ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ
كَأَنَّ ثَرَى الْوَادِي مُمَسَّكُ عَنْبَرٍ ... إِذَا مَا جَرَتْ يَوْماً بِسَاحَتِهِ هِنْدُ
سَلَامٌ عَلَى مَحْبُوبَةٍ بِرُبَا الْحِمَى ... عَزِيزَةِ قَوْمٍ كُلُّ مَنْ حَوْلَهَا عَبْدُ
خَلِيلَيَّ مَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مَنْزِلٌ ... أَرِيحَا فَهَذَا الْبَانُ وَالْعَلَمُ الْفَرْدُ
فَلَا تَسْأَلَا مِنْ غَيْرِ قَلْبِي فَإِنَّهُ ... حَلِيفُ هَوًى لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ رَدُّ
سَقَى اللّٰهُ نُزْهَةَ الزَّمَانِ سَحَائِباً ... مِسَحًّا فَلَا يَنْفَكُّ عَنْ مَنْزِلِهَا رَعْدُ

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرته فلما وقع بصرها على وجهه عرفته وحققته فصاحت قائلة يا اخي يا ضوء المكان فنظر الآخر اليها فعرفها فصاح قائلا يا اختي يا نزهة الزمان فالقت نفسها عليه فتلقاها في حضنه ووقع الاثنان

مغشيا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب في امرهما والقى عليهما شيأ سترهما به وصبر عليهما حتى افاقا فلما افاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرّات وانشدت هذه الابيات

اَلدَّهْرُ اَقْسَمَ لَا يَزَالُ مُكَدِّرِي حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِ
اَلسَّعْدُ وَافٍ وَالحَبِيبُ مُسَاعِدِي فَانْهَضْ اِلَى دَاعِي السُّرُورِ وَشَمِّرِ
مَا كُنْتُ اَعْتَقِدُ السَّوَالِفَ جَنَّةً حَتَّى ظَفِرْتُ مِنَ اللَّمَى بِالْكَوْثَرِ

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضمّ اخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من اجفانه العبرات وانشد هذه الابيات

كِلَانَا سَوَاءٌ فِي الهَوَى غَيْرَ اَنَّهَا تَجَلَّدُ اَحْيَانًا وَمَا بِي تَجَلُّدُ
تَخَافُ وَعِيدَ الكَاشِحِينَ وَاِنَّمَا جُنُونِي عَلَيْهَا حِينَ اَنْهَى وَاُوعَدُ

وجلسا على باب المصفة ساعة ثم قالت قم بنا الى داخل المصفة واحك لي ما وقع لك وانا احكي لك على ما وقع لي فلخلا فقال ضوء المكان احكي لي انت اولا فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان وما وقع لها مع البدوي والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف اخذها التاجر الى اخيها شركان وباعها له وان شركان اعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وان الملك ابوها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذي منّ عليّ بك ومثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له ان اخي شركان زوجني بهذا الحاجب لاجل ان يوصلني الى والدي وهذا ما وقع لي من الاول الى الآخر

فاحك لي انت ما وقع لك بعد ذهابي من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الاول الى الآخر وكيف منّ الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وانفق عليه ماله و انه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها يا اختي ان هذا الوقاد فعل معي من الاحسان فعلا لا يفعله احد في احد من احبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع و يطعمني و يمشي و يركبني وكانت حياتي على يديه فقالت له نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر و قبّل يد ضوء المكان و قالت له نزهة الزمان خذ بشارتك يا وجه الخير لانه كان جمع شملي باخي على يديك فالكيس الذي معك وما فيه لك فاذهب و ائتني بسيدك عاجلا ففرح الخادم و توجه الى الحاجب ودخل عليه و دعاه الى سيدته فاتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها اخاها فسأل عنه فحكت له ما وقع لهما من اوله الى آخره ثم قالت اعلم ايها الحاجب انك ما اخذت جارية وانما اخذت بنت الملك عمر بن النعمان فانا نزهة الزمان و هذا اخي ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ماقالته و بان له الحق الصريح و تيقن انه صار صهر الملك عمر بن النعمان فقال في نفسه مصيري ان آخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم اقبل على ضوء المكان وهنّاه بسلامته و جمع شمله باخته ثم امر خدمه فى الحال ان يهيئوا لضوء المكان خيمة و مركوبا من احسن الخيل فقالت له اخته انا قد قربنا من بلادنا فانا اختلي باخي و نستريح مع بعضنا و نشبع من بعضنا قبل ان نصل الى بلادنا فان لنا زمنا طويلا ونحن مفترقان فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم ارسل اليهما الشموع وانواع الحلاوة وخرج من عندهما

و ارسل الى ضوء المكان ثلث بدلات من افخر الثياب و تمشي الى ان جاء الى المحفة و عرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الى الخادم و امره ان يأتي بالوقاد و يهيء له حصانا يركبه و يرتب له سفرة طعام في الغداة و العشي و يأمره انه لايفارقنا فعند ذلك ارسل الحاجب الى الخادم وامره ان يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم اخذ غلمانه وذهب يفتّش على الوقاد الى ان وجده في آخر الركب وهو يشد حماره و بريدان يهرب و دموعه تجري على خده من الخوف على نفسه و من حزنه على فراق ضوء المكان و صار يقول قد نصحته في سبيل الله فلم يسمع مني ياترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه و دارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه و خاف و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد لما اراد ان يشد حماره و يهرب و صار يكلم نفسه و يقول يا ترى كيف حاله فما اتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على رأسه فارتعدت فرائصه و خاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فاظن انه غمز الخادم و هؤلاء الغلمان عليّ وانه اشركني معه في الذنب و اذا بالخادم صاح عليه و قال له من الذي كان ينشد الاشعار يا كذّاب كيف تقول لي انا ما انشدت الاشعار ولا اعرف من انشدها وهو رفيقك فانا لا افارقك

من هنا الى بغداد والذي يجري على رفيقك يجري عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال في نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم انشد هذا البيت

كَانَ الَّذِي خِفْتُ انْ يَكُونَا   اِنَّا اِلَى اللّٰهِ رَاجِعُونَا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان و قال انزلوه عن الحمار فانزلوا الوقاد عن حماره واتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب و الغلمان حوله يحدثون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم وقال سرّا اكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقّاد الغلمان حوله يئس من الحيوة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم ما انا اخوه ولا قريبه وهذا الشاب لا يقرب لي ولا انا اقرب له وانما انا رجل وقاد في حمّام ووجدته ملقيا على المزبلة مريضا وسار الركب والوقاد يبكي ويحسب في نفسه الف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرّفه بشيء بل يقول له قد اقلقت سيدتنا بانشادك الشعر انت وهذا الصبي ولا تخاف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرّا واذا نزلوا اتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة فاذا اكلوا امر الخادم الغلمان ان يأتوا بقلّة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما في غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان بن الملك عمر بن النعمان واخته نزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد ونزهة الزمان واخوها ضوء المكان في حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلثة ايام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين

الى ان لاح الفجر فاستيقظوا وارادوا ان يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم واظلم الجوّ منه حتى صاركا لليل الداجي فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جراركا لبحر الزخار وفيه رايات واعلام وطبول وفرسان وابطال فتعجب الحاجب من امرهم فلما رأهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس واتوا الى الحاجب ومن معه واحاطوا بهم واحاطت كل خمسة بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب اي شيء الخبر ومن اين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من انت ومن اين اتيت والى اين تتوجه فقال لهم انا حاجب امير دمشق الملك شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان واتيت من عنده بالخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه ارخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر بن النعمان قد مات وما مات الا مسموما فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال يا خيبتنا في هذه السفرة وصار يبكي هو ومن معه الى ان اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له من الوزير دندان فاذن له وامر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وامر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فاعلمه انه حاجب امير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر بن النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر بن النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس في من يولّونه بعده حتى اوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم

من بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على ان ما اشار به القضاة الاربعة لايخالفهم فيه احد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنه على مملكة ابيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله اخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى ارض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما احد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم ان القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان ابيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبر الملك عمر بن النعمان تأسف ولكنه فرح لزوجته واخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان ابيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال ان قصتكم من اعجب العجائب اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صادفتموني الآن اراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على اهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من اوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء

والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا و تعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب و وقفوا في خدمته و قبلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب و وقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل في ذلك اليوم ديوانا عظيما و جلس هو والوزير دندان على تخت وبين ايديهما جميع الامراء والكبراء و ارباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء الورد و شربوا ثم قعد الامراء للمشورة و اعطوا بقية الجيش اذنا في ان يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتّموا المشورة و يلحقوهم فقبلوا الارض بين يدى الحاجب وركبوا وقدّامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم اقبل الحاجب على الوزير دندان و قال له الرأي عندي ان اتقدم و اسبقكم لاجل ان اهيّئ للسلطان مكانا يناسبه و اعلمه بقدومكم و انكم اخترتموه على اخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته ثم نهض و نهض الوزير دندان تعظيما له و قدم له التقادم واقسم عليه ان يقبلها وكذلك الامراء الكبار و ارباب المناصب قدموا له التقادم و دعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان في امرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا فاجابهم لما سألوه ثم امر غلمانه بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وامر الفراشين ان ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره و ركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه ما ابرك هذه السفرة و عظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان ثم جدّ في السفر الى ان وصل الى مكان بينه و بين المدينة مسافة يوم ثم امر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان

ضوءالمكان بن الملك عمربن النعمان ثم نزل من بعيد هو ومما ليكه و امر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهةالزمان في ان يدخل عليها فاستأذنوها في شان ذلك فاذنت له فدخل عليها و اجتمع بها و باخيها و اخبرهما بموت ابيهما وان ضوءالمكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن ابيه عمر بن النعمان وهنّاهما بالملك فبكيا على فقد ابيهما و سألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان و في غد يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الامر ايها الملك الّا ان تفعل ما اشاروا به لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك و انت لا تامن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما و يخرج الملك من ايديكما فاطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلي عنه وتحقق ان الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب يا عم وكيف اعمل مع اخي شركان فقال يا ولدي اخوك يكون سلطان دمشق و انت سلطان بغداد فشد عزمك و جهز امرك فقبل منه ضوءالمكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة و خرج من عنده و امرالفراشين ان يختاروا موضعا عاليا و ينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم امر الطباخين ان يطبخوا طعاما فاخرا و يحضروه و امرالسقائين ان ينصبوا حياض الماء و بعد ساعة طارالغبار حتى سدّ الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار و بان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام

المبــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما امر الفراشين ان ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من اشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهوى ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحون بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من في الخيام مشاة في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع المخدة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت مماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في ايديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامران يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فاجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم احسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعواله وحلفواله الايمان الصادقة انهم لايخالفون له امرا ثم قبّلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة اخرى ففعل بهم مثل مافعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبّل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف

الخبير ثم امر للحاجب ان اخرج في تلك الساعة وأمر بمد السماط وأمر باحضار العسكر جميعا فحضروا واكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اءمر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى اختلي بك وتخبرني بسبب قتل ابي فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة ايام فامتثلوا امره ثم ان الوزير اعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولايدخل احد من ارباب الخدمة لاجل الخدمة عند الملك مدة ثلثة ايام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم اقبل عليه الوزير واعلمه بالذي كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها اهل علمت بسبب قتل ابي ام لم تعلمي بسببه كيف كان فقالت له لم اعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وامر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له اريد ان تخبرني تفصيلا بسبب قتل ابي الملك عمر بن النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر بن النعمان لما اتى من سفره من الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره احد منكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد ابكار كانهن الاقمار وقد حوين من الحسن والجمال ما يعجز عنه وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز في الدخول

بالاذن لها فدخلت عليه وقبّلت الارض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما راى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده اقبلت عليه وقالت له اعلم ايها الملك ان معي خمس جوار ما ملك احد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهنّ بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء او يهان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرّته رويتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأً تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرّته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأً مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبّلت الارض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغي لذي الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدّى الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم على ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي ان تحسن خلقك مع الناس وان لا تعدل عن السنة فان اعظم الناس خطرا احوجهم الى التدبير والملوك احوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض في الامور

من غير نظر فى العاقبة وان تبذل في سبيل الله نفسك و مالك
واعلم ان العدو خصم تخصمه وتعرفه بالحجة وتحترز منه واما الصديق
فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك
بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع
ظاهر الشرع عارفا بباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان
الدنيا فليكن حرًّا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل اهل لان
يهرب منه ابواه والكاذب لايكون صديقا لان الصديق مأخوذ من
الصدق الذي يكون ناشئًا عن صميم القلب فكيف به اذا اظهر
الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب
اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه
ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع
لاينجبر ولله در القائل

اِحْرِصْ عَلَى قَرْطِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَعْسُرُ
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وُدُّهَا مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُجْبَرُ

ثم قالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا ان اصحاب العقول قالوا
خير الاخوان اشدهم فى النصيحة وخير الاعمال اجملها عاقبة وخير الثناء
ما كان على افواه الرجال وقد قيل لاينبغي للعبد ان يغفل عن شكر الله
خصوصا على نعمتين العافية والعقل و قيل من كرمت عليه نفسه
هانت عليه شهوته و من عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها
و من اطاع الهوى ضيع الحقوق و من اطاع الواشي ضيع الصديق
ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك و من بالغ فى الخصومة ندم
و من لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها انا اذكر لكم

من آداب القضاة اعلم ايها الملك انه لا ينفع حكم بحق الّا بعد
التثبت و ينبغي للقاضي ان يجعل الناس في منزلة واحدة حتى
لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل و ينبغي
ايضا ان يجعل البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح
جائز بين المسلمين الاصلحا احلّ حراما او حرّم حلالا وما اشكلت فيه
اليوم فراجع فيه عقلك و تبين به رشدك لترجع فيه الى الحق
فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل ثم اعرف
الامثال وافقه المقال وسوّ بين الاخصام في الوقوف و ليكن نظرك على
الحق موقوفا وفوّض امرك الى الله عز وجل و اجعل البينة على من ادعى
فان حضرت بينته اخذت له بحقه والا فحلّف المدعى عليه و هذا
حكم الله و اقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله
تعالى امر الحكام ان تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر و يجب
على القاضي ان يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع و ان يقصد
بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته واصلح ما بينه
و بين نفسه كفاه الله ما بينه و بين الناس وقال الزهري ثلث اذا كن
في قاض كان منعزلا اذا اكرم اللئام و احب المحامد وكره العزل
وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لِمَ عزلتني فقال عمر
قد بلغني عنك ان مقالك اكبر من مقامك وحكي ان الاسكندر
قال لقاضيه اني وليتك منزلة و استودعتك فيها روحي وعرضي
و مروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك
مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرف في
عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت
و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفيه الثمانين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان
ثم تاخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبّلت الارض بين يدى
الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلثة لا تعرف
الا في ثلثة مواطن لايعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا
عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم
وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمّه الناس وقال الله تعالى
ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم وقال
عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى
وايضا قال عليه السلام ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
واعجب ما في الانسان قلبه لان به زمام امره فان هاج به الطمع
اهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده
الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا امن من السخط
وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة ضمنه الجزع
وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان غصته فاقة
اشغله الهم وان اجهده الجزع اقعده الضعف فعلى كل حالة
لاصلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده
وقيل لبعض العلماء من اسرّ الناس حالا قال من غلبت شهوته
مروته وبعدت في المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته
وما احسن ماقاله قيس

وَإِنِّي لَأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وَمَا هُوَ مُهْتَدِي
وَمَا الْمَالُ وَالْأَخْلَاقُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَكُلٌّ بِمَا يُخْفِيهِ فِي الصَّدْرِ مُرْتَدِي
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَلْتَ وَإِنْ تَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ تَهْتَدِي

ثم ان الجارية قالت واما اخبار الزاهدين فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلاء وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه في الموتى وقيل ان اباذر كان يقول الفقر احب اليّ من الغنى والسقم احب اليّ من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله اباذر اما انا فاقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضي بالحالة التي اختارها الله له وقال بعض الثقات صلى بنا ابن ابي اوفى صلاة الصبح فقرأ يا ايها المدّثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نُقر في الناقور فخرّ ميتا ويروى ان ثابتا البناني بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال اعالجه بشرط ان يطاوعني قال ثابت في اي شيء قال الطبيب في ان لا تبكي قال ثابت فما فضل عيناي ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله اوصني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر بن النعمان وقال رجل لمحمد ابن عبد الله اوصني فقال اوصيك ان تكون في الدنيا مالكا وفي الآخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد في الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان في بني

اسرائيل قال احدهما للآخر ما اخوف عمل عملته قال له اني مررت ببيت فرّاخ فاخذت منه واحدة و رميتها في ذلك البيت و لكن بين الفراخ التي لم آخذها منها فهذا اخوف عمل عملته فما اخوف ما عملته انت فقال اما انا فاخوف عمل اعمله اني اذا تمت اي الصلوة اخاف ان اكون لا اعمل ذلك الا للجزاء وكان ابوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من افضل الاولاد و قال عبد بن جبير صحبت فضالة ابن عبيد فقلت له اوصني فقال احفظ عني هذين الخصلتين ان لاتشرك بالله شيأ وان لاتوذي من خلق الله احدا و انشد هذين البيتين

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللّٰهَ ذُو كَرَمٍ وَانْفِ الْهُمُومَ فَمَا فِي الْأَمْرِ مِنْ بَاسِ
إِلَّا اثْنَتَيْنِ فَلَا تَقْرَبْ بِهِمَا أَبَدًا أَلشِّرْكُ بِاللّٰهِ وَالْإِضْرَارُ لِلنَّاسِ

و ما احسن قول الشاعر

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَصْحَبْكَ زَادٌ مِنَ التُّقَى وَلَاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ وَإِنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية و قالت ان باب الزهد واسع جدّا ولكن اذكر بعض ما يحضرني فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين انا استبشر بالموت ولا اتيقّن فيه راحة غير اني علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيّئ وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك

فقال اني اريد ان اقبل على امر عظيم و هو الانتصاب بين يدي
الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان عليّ زين العابدين
ابن الحسين يرتعد اذا قام للصلوة فسئل عن ذلك فقال اند رون
لمن اقوم ولمن اخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثوري رجل
ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلي بالناس فيسكت ويبطئ
وقال سفيان اذا كان يوم القيامة اتي باهل القرآن فيميزون بعلامة
مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو ان النفس استقرت في القلب
كما ينبغي لطار فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن
سفيان الثوري انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تاخرت الجارية
اسائلة و تقدمت الجارية الرابعة وقالت وها انا اتكلم ببعض ما يحضرني
من اخبار الصالحين روي ان بشرا الحافي قال سمعت خالدا يقول
اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال ان يصلي احدكم
فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل
الحسنات يكفر السيئات وقال ابراهيم التمست من بشر بن الحافي
شيئا من اسرار الحقائق فقال يا بنيّ هذا العلم لا ينبغي ان نعلّمه
كل احد فمن كل مائة خمسة مثل زكوة الدرهم قال ابراهيم بن
ادهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما انا اصلّي و اذا ببشر يصلي
فقمت وراءه اركع الى ان يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال
يا قوم احذروا الصدق الضار ولا باس بالكذب النافع وليس مع
الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود
الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا سقط منه دانق فقمت اليه واعطيته
[illegible] فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لي انا لست
[illegible] الدنيا بنعيم الآخرة ويروى ان اخت بشر الحافي قصدت

احمد بن حنبل وادرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لو الدك ان اخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلک قال لها من انت قالت اخت بشر الحافي فقال يا اهل بشر لا ازال استشف الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالک ابن دينار اذا مر في السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس صابري فلا اوافقک على ما تريدين وقال رضى الله عنه سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ في جوف الليل ويقول الهي وعزتک وجلالک ما اردت بمعصيتي مخالفتک وما انا جاهل بک ولكن خطيئة قضيتها علي في قديم ازلک فاغفرلي ما فرط مني فاني قد عصيتک بجهلي فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدي قائم يصلّي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلک الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت

الجارية الخامسة وقالت وها انا اذكر بعض ما يحضرلي من اخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام اتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من ايسر الناس فقال رجل اذهب عمره في طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروي ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رَبِّ اِنّي لِمَا اَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيْرٌ فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا اباهما شعيبا عليه السلام فقال لعله جائع ثم قال لاحدهما ارجعي اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا فكره موسى ذلك واراد ان لايتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي وانا امامك فمشت خلفه حتى دخل على شعيب عليه السلام والعشاء مهيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على شعيب والعشاء مهيء فقال شعيب لموسى ياموسى اني اريد ان اعطيك اجرة ماسقيت لهما فقال موسى انا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب

ياشاب ولكن انت ضيفي واكرام الضيف عادتي وعادة آبائي بالطعام . الطعام فجلس موسى فاكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثماني حجج اي سنين وجعل اجرته على ذلك تزويجه احدى بنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ وقال رجل لبعض اصحابه وكان له مدة لم يره انك اوحشتني لانني ما رأيتك من منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جاري من منذ ثلثين سنة الا انني لم اكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولو احببت الله لاحببت جارك اما علمت ان للجار على الجار حقا كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال ابراهيم لشقيق ماشأنكم في بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا اكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي ابراهيم وقال له انت استاذي وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما امرك في التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت ان رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي به وعلمت اني لم اخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدي الملك تسع مرات وقالت قد سمعت ايها الملك ما تكلم به الجميع في باب الزهد وانا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغني عن اكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعي يقسم الليل ثلثة اقسام الثلث الاول

و الثاني للنوم و الثالث للتهجد وكان الامام ابو حنيفة يحيي نصف
الليل فاشار اليه انسان و هو يمشي وقال لآخران هذا يحيي الليل
كلّه فلما سمع ذلك قال اني استحي من الله ان اوصف بماليس
فيّ فصار بعد ذلك يحيي الليل كلّه و قال الربيع كان الشافعي يختم
القرآن في شهر رمضـــان سبعين مرة كل ذلك فى الصلوة و قال
الشافعى رضي الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشـــرسنين لان
الشبع يقسى القلب و يزيل الفطنة و يجلب النوم و يضعف صاحبه
عن القيام وروي عن عبد الله بن محمد السكري انه قال كنت انا
و عمر نتحدّث فقال لي ما رأيت اورع و لا افصح من محمد بن
ادريس الشافعي و اتفق انني خرجت انا و الحارث بن لبيب الصفار
و كان الحارث تلميذ المزني وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالي هذا
يوم لاينطقون و لا يؤذن لهـــم فيعتذرون فرأيت الا مام الشافعي
نغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه
فلما افاق قال اعوذ بالله من مقام الكذا بين و اعراض الغافلين
اللهـم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من
جودك و جملني بسترك واعف عن تقصيري بكـــرم و جهك ثم
قمت وانصرفت و قال بعض الثقاة فلما دخلت بغداد كان الشافعي
بها فجلست على الشاطئ لاتوضأ للصلوة اذمربي انسان فقال لي ياغلام
احسن و ضوءك يحسن الله اليك فىالدنيا و الآخرة فالتفت و اذا
برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي و جعلت اقفو اثره فالتفت
اليّ و قال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله
فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم
و من زهد فى الدنيا قرت عيناه هذا افلا ازيدك

و د العجوز
الحادي عش

قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لي هذا الامام الشافعي وكان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لاينسب اليّ منه شيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوالدك كان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب اليّ منه شيء وقال ما ناظرت احدا الا احببت ان يوفّقه الله تعالى للحق و يعينه على اظهاره و ما ناظرت احدا قطّ الا لاجل اظهار الحق و ما ابالي ان يبيّن الله الحق على لساني او على لسانه و قال رضي الله عنه اذا خفت على علمك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب وقيل لابي حنيفة ان امير المؤمنين ابا جعفر المنصور قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضي فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاءه رسول امير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه و خاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لي و لكن اكره ان يقع في قلبي مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل آمن ان الج البحر ولا تبتل ثيابي و من كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه

أَلَا يَانَفْسُ اَنْ تَرْضَى بِقَوْلِي فَاَنْتِ عَزِيزَةٌ اَبَدًا غَنِيَّه
دَعِي عَنْكِ الْمَطَامِعَ وَالْاَمَانِي فَكَمْ اُمْنِيَّةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّه

ومن كلام سفيان الثوري فيما اوصى به علي ابن الحسن السلمي عليك بالصدق و اياك و الكذب و الخيانة و الرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الامن من هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا و اكثر ذكر الموت واكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن امر دينه و اياك ان تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال و الخصام ودع ما يريبك الى مالا يريبك تكن سليما و أمر بالمعروف و انه عن المنكر تكن حبيب الله واحسن سريرتك يحسن الله علانيتك و اقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدا من المسلمين وصل من قطعك و اعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء و ليكن امرك مفوضا الى الله فى السر والعلانية و اخش الله خشية من قد علم انه ميت و مبعوث و صائر الى الحشر والوقوف بين يدى الجبار و اذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية و اما نار حامية ثم ان العجوز جلست الى جانب الجواري فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن افضل اهل زمانهن و رأى حسنهن و جمالهن و زيادة ادبهن فآواهن اليه واقبل على العجوز فاكرمها و اخلى لها ولجواريها القصر الذي كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فاقمن عنده عشرة ايام والعجوز معهن وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلوتها وقيامها في ليلها وصيامها في نهارها فوقع في قلبه محبتها وقال لي يا وزير ان هذه من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها فلما كان اليوم ...ر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجواري اليها فقالت له

ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجواري فوق ما تتعامل به الناس فانّي لا اطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك اوكثيرا فلما سمع والدك كلامها تعجب و قال ايتها السيدة وما ثمنهن قالت ما ابيعهن لك الابصيام شهر كامل تصوم نهاره و تقوم ليله لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك في تصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها و ورعها وعظمت في عينه و قال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على انه يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له و انا اعينك بدعوات ادعو بهن لك فائتني بكوز ماء فاتاها بكوز ماء فاخذته وقرأت عليه و همهمت و قعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيأ ثم غطته بخرقة وختمته و ناولته لوالدك و قالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر فى الليلة الحادية عشر على ما في هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك و يملاؤه نورا و ايمانا وفي غد اخرج الى اخواني و هم رجال الغيب فاني اشتقت اليهم ثم اجيء اليك اذا مضت العشرة الاولى فاخذ والدك الكوز ثم نهض و افرد له خلوة فى القصر و وضع الكوز فيها واخذ مفتاح الخلوة في جيبه فلما كان النهار صام السلطان و خرجت العجوز الى حال سبيلها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها واتم الملك صوم العشرة ايام وفى اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشربه

موجل له في فؤاده فعلا جميلا وفي العشرة ايام الثانية من الشهر جاءت
العجوز ومعها حلاوة في ورق اخضر لايشبه ورق الشجر فدخلت
على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة
الصالحة فقالت له ايها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لاني
اخبرتهم عنك ففرحوا بك وارسلوا معي هذه الحلاوة وهي
من حلاوة الآخرة فافطر عليها في آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا
وقال الحمد لله الذي جعل لي اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز
وقبل يديها واكرمها واكرم الجواري غاية الاكرام ثم مضت مدة
عشرين يوما وابوك صائم وعند رأس العشرين يوما اقبلت عليه العجوز
وقالت له ايها الملك اعلم اني اخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك
من المحبة واعلمتهم باني تركت الجواري عندك ففرحوا حيث كانت
الجواري عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهن يبالغون لهن في الدعاء
المستجاب فاريدان اذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم
لهن وربما انهن لايرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض
حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذي
ياتينك به على اغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك
وقال لها لولا اني اخشى مخالفتك لك مارضيت بالكنز ولا غيره ولكن
متى تخرجين بهن فقالت له في الليلة السابعة والعشرين وارجع
بهن اليك في رأس الشهر وتكون انت قداوفيت الصوم وحصل
استبراؤهن وصرن لك وتحت امرك والله ان كل جارية منهن ثمنها
اعظم من ملكك مرات فقال لها وانا اعرف ذلك ايتها السيدة
الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابدان ترسل معهن من يعزّ عليك
من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال

لها عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيهـا معك لاجل ان تحصل لها البركة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان اباك قال للعجوز لما طلبت منه الجواري ان عندي جاريه روميه اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معك لاجل ان تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب ان يدعوا الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك اعظم غرضها ثم ان والدك اخذ في تمام صيامه فقالت له يا ولدي اني متوجهة الى رجال الغيب فاحضرلي صفية فدعا بها فحضرت في ساعتها فسلمها الى العجوز فخلطتها بالجواري ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكأس مختوم وناولته له وقالت له اذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التي في قصرك واشرب هذا الكأس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام مني عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يديها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى اراك ايتها السيدة الصالحة فاني اود ان لا افارقك فودعته وتوجهت ومعها الجواري والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة ايام ثم هلّ الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التي فى القصر وامران لايدخل عليه احد ورد الباب عليه ثم شرب الكأس ونام ونحن قاعدون في انتظاره الى آخر النهار

فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثاني يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة واعلمنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق وهرأ لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك واخذنا الكأس فوجدنا في غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من اساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يحتال على بنات الملوك ويفسدهن والذي نعلم به كل من وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء الى بلادنا قد افسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى اخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم ارسلها مع عبد اسود فقتلها ووجدناها مقتولة فى الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل الا ما حلّ به وانتم لا تتهموا احدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي وها انا اخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها افريدون ملك القسطنطينية ولا بد ان نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديّار ولا من ينفخ النار الّا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا ان العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد اخاك شركان ولم نزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا واردنا ان نمضي الى اخيك شركان فسافرنا الى ان وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر بن النعمان فلما فرغ الوزير دندان من كلامه بكي ضوء المكان

هو واخته نزهة الزمان وبكى الحاجب ايضا ثم قال الحاجب لضوء المكان ايها الملك ان البكاء لايفيدك شيأً ولايفيدك الا انك تشد قلبك وتقوي عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وامر بنصب السرير خارج الدهليز ثم امران يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه وجميع السلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وارباب الدولة في مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرني بخزائن ابي فقال سمعا وطاعة واخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه ما في خزنته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له انت في مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض علي الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها وفرقها على العساكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ضوء المكان امر الحاجب ان يعرض عليه ما اتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شيأً ابدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما راينا ملكا يعطي مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما اصبحوا امرهم بالسفر فسافروا ثلثة ايام وفي اليوم الرابع اشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان

نصر ابيه وجلس على السرير ووقف امراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك امر كاتب السّر ان يكتب كتابا الى اخيه شركان ويذكر فيه ما جرى من الاول الى الآخر ويذكر في آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعساكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ لوالدنا منهم الثأر ونكشف عنا العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا انت ولكن ينبغي ان تتلطف به في الكلام وتقول له ان اردت ملك ابيك فهو لك واخوك يكون نائبا عنك في دمشق كما اخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان امر ان يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا ويفرشوه باحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فاعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها في تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره واخبره بخبر اخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغي ان تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار اخيه وعند الصباح اقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام واسد ضرغام وبطل مصدام فلما اشرفت الكتائب وقدمت السحائب واقبلت العصائب وخفقت اعلام المواكب توجه شركان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان اخاه اراد ان يترجل اليه فاقسم عليه شركان ان لا يفعل ذلك

و ترجل شركان و مشى خطوات فلما صارا بين يدي ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا و عزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وسارا و سار العسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد و نزلوا ثم طلع ضوء المكان هو و اخوه شركان الى قصر الملك و باتا تلك الليلة و عند الصباح خرج ضوء المكان وامر ان يجمعوا العساكر من كل جانب و ينادوا بالغزو و الجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم ياتون افواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا اخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجميع ما وقع له من الاول الى الآخر و بما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال شركان اما كافأته على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال لاخيه ضوء المكان اما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن و لكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة و افرغ له فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما اخبرته به ثم كتم امره و امرها و ارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له ايضا معه السلام ودعت له و سألت عن ابنتها قضى فكان فاخبرها انها في عافية و انها في غاية ما يكون من الصحة

و السلامة فحمدت الله تعالى و شكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره في امر الرحيل فقال له يا اخي لما تتكامل العساكر و تأتي العربان من كل مكان ثم امر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة اشهر و جعل ارباب الاقلام و اهل الحساب تحت طاعتها ورتب لهم الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان و جميع العساكر من كل مكان و سارت الجيوش و العساكر و تتابعت الجحافل و كان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وصار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه اخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان ويستريحون فيه ثلثة ايام لان الخلق كثير ولم يزلوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت اهل القرى و الضياع و الصعا ليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع افريدون ملكهم بخبرهم قام و توجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل و سافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر بن النعمان ثم اخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لابنها قرّ عينا فقد اخذت لك بثأر ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر بن النعمان و جئت بصفية فقم الآن و ارحل الى ملك القسطنطينية و رد عليه صفية ابنته واعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر ونتجهز بأهبة و اسافرانا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية واظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلي الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز

احوا لهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت في اوائلهم ذات الدواهي فلما وصلوا القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فاخبره بما عملته امه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين واخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريد ان نكون جميعنا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر بن النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منه النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر بن النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فما مر ثلثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم اقبلت الافرنج من سائر اطرافها كالفرنسيس والنمسا ودوبرة وجورنه وبندقيه وجنويز وسائر عساكر بني الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم امرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم في الرحيل عشرة ايام وساروا حتى نزلوا بوادي النعمان واسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلثة ايام وفي اليوم الرابع ارادوا ان يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الانام فاقاموا فيه ثلثة ايام اخرى وفي اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم يمض ساعة من النهار حتى انجلا ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدية واقبلت الفرسان كاندفاع البحار في دروع تحسبها سحبا مزردة على اقمار فعند ذلك تقابل الجيشان

والتحام الجيشان ووقعت العين في العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلثين الف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين الف فارس وطلع من وراءهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة في الليالي العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون بالعيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهي لان الملك اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير اني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير اني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان ويقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم اعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم

احد و قد زال عنا العناء و دام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز وقال نعم الرأي رأيك ياسيدة العجائز الماكرة و مرجع الكهان في الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام في ذلك الوادي لم يشعروا الآ والنار تلتهب في الخيام و السيوف تعمل في الاجسام ثم اقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين الف فارس وفي اوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا في البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا اثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار ياحزب النبي المختار وقاتلوا اهل الكفر و العدوان في طاعة الرحيم الرحمن واقبل شركان بطائفة اخرى من عساكر المسلمين نحو مائة الف وعشرين الفا وكانت عساكر الكفار نحو الف الف وستمائة الف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر واوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف و السنان و اخترق شركان الصفوف وهاج في الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول في الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادي الله اكبر حتى رد القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من الكفار في هذه الوقعة خمسة واربعون الفا وقتل من المسلمين ثلثة آلاف وخمسمائة ثم ان اسد الدين الملك شركان لم ينم في تلك الليلة لاهو ولا اخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس و يتفقدان الجرحى ويهنيانهم بالنصر والسلامة والثواب في القيامة هذا ماكان من امر المسلمين واما ماكان من امر الملك افريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وامه العجوز ذات الدواهي فانهم جمعوا

اساؤ العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اعجبنا بكثرتنا هو الذي خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهي انه لاينفعكم الا انكم تتقربوا للمسيح وتتمسكوا بالاعتقـاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك افريدون اني قد عولت في غد على ان اصف لهم الصفوف واخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم احد وقد عولت في هذه الليلـة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذي اراده خرو البطريق الكبير ذي الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت اكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر اقاليم بلادهم في خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعنبر فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بالف دينار حتى كان الملوك يرسلون في طلبه من اجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم بان خرو البطريق الكبير لايكفي عشرة اقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه في كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــبــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اصبح الصبـاح واشرق بنوره ولاح وتبـادرت الفرسان الى حمل الرماح دعا الملك افريدون بخواص بطارقته وارباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب في

وجوههم وبخّـــرهم بالبخور المتقدّم ذكره الذي هو خرء البطرك الأكبر والكاهن الاكبر فلما بخّرهم دعا بحضورة لوقا ابن شملوط الذي يسمونه سيف المسيح وبخّره بالرجيع وحنّكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ له عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما في بلاد الروم اعظم منه ولا ارمى بالنبـــال ولا اضرب بالسيف ولا اطعن منه بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كأنّ وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعـــة الرقيب ووجوده اصعب من فراق الحبيب له من الليـــل ظلمته ومن الاسد نكهته ومن النمر وقاحته ومن الكفر سيمته وبعد ذلك اقبل على الملك افريدون وقبّل قدميه ثم وقف بين يديـــه فقال له الملك افريدون اني اريد ان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر بن النعمان وتكفينا هذا الشر والهوان فقال سمعا وطاعـــة ثم ان الملك رسم في وجهه الصليب وزعم ان النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا اشقر وعليه ثوب احمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كانه ابليس اللعين يوم الاحزاب ونوجه هو وحزبه الكافرون كانهم يساقون الى النار وبينهم مناديناديى بالعربي ويقول يا امة محمد صلى الله عليه وسلم لايخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتمّ كلامه الاّ وضجّة في الفلا سمع صوتها جميع الـــملا وركضات فرقت الصفين واذكرت يوم حنين ففزع اللئام منها والتفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر بن النعمان وكان اخوه ضوء المكان لمّا رأى ذلك الملعون في الميدان وسمع المنـــادي التفت لاخيه شركان وقال له انهـــم

يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو احب الي فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادي وهو يقول في الميدان لا يبرز لي الا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف ان يخلي الارض من المسلمين والا فهو من اخسر الخاسرين لانه هو الذي حرق الاكباد وفزعت من شره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كانه اسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح في يده كانه افعى من الحيات وانشد هذه الابيات

لِي أَشْقَرٌ سَمْحُ العِنَانِ مُغَايِرٌ يُعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ مِنْ مَجْهُودِهِ
وَمُثَقَّفٌ لَدْنُ السِّنَانِ كَأَنَّمَا أُمُّ المَنَايَا رُكِّبَتْ فِي عُودِهِ
وَمُهَنَّدٌ عَضْبٌ إِذَا جَرَّدْتُهُ خِلْتَ البُرُوقَ تَمُوجُ فِي تَجْرِيدِهِ

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها واشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة بأحدى يديه حتى خفيت عن اعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كانها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهوى فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التي اخذها بها من النصراني حتى كاد ان يقصمها ورماها في الجو حتى خفيت عن النظر والتقاها بيده الاخرى في اقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لاجعلن هذا اللعين شهرة في الآفاق ثم رماه بالحربة فاراد لوقا ان يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده

الي الحربة ليختطفها من الهوي فعاجله شركان بحربة ثانية وضربه بها فوقعت في وسط الصليب الذي في وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا ابن شلموط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا اين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه واعلموا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكان الخيل قد خلقت بلا قوائم ولازال منادي الحرب ينادي الى ان كلّت الايادي وذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات ولا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع باخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرّف الانجيل واخذك الحربة من الهوى وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان ايها الحاجب

التدبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين الف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ واسرعوا في السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رايتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كانهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت انت عَلَما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله اكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد في ان لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال له السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر في تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين الفا كما امر الملك شركان فلما اصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق في الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الروس ورفعت الصلبان على قلوع المركب وقصدوا الساحل من كل جانب وانزلوا الخيل في البر وعزموا على الكرّ والفرّ ولمعت السيوف وتوجّهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على روس الرجال والفرسان وطارت الروس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل في الدماء وتقابضوا في اللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلوة والسلام على سيد الانام

و بالثناء على الرحمن بما اولى من الاحسان و صاحت عساكر الكفار بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران و تأخر ضوء المكان هو و شركان الى ورائهما و انهزمت الجيوش و اظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفار لوهم الهزيمة و تهيئوا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقراءة اول سورة البقر وصارت القتلى تحت ارجل الخيل مندثرة و صار منادي الروم يقول يا عبدة المسيح وذوي الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فمكنــوا السيوف من اعقابهم ولا ترجعوا من ورائهم والا برئتم من المسيح ابن مريم الذي في المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصـورة ولم يعلم ان ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الـروم يبشره بالظفر و يقول له ما نفعنــا الا غائط البطريق الاكبر لمــا فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر و غائب و اسم بالمعجزات وببنته ابريزة النصرانية المريمية والمياه المعمودية اني لا اترك على الارض مجاهدا بالكلية والي مصر على سوء هذه النية و توجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا و صار ملك الروم ينـادي يا لاخذ ثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا

اهل الكفر و الطغيان ببيض الصفاح و سمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار و اعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادي منادى المسلمين و يقول عليكم باعداء الدين يا صحب النبي المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار يا راجي النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف و اذا بشركان قد حمل هو و من معه على الكفار و قطعوا عليهم طريق الفرار و جال بين الصفوف و طاف و اذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح في عسكر الكفار ميدانا و جال في الكفرة حربا و طعانا و ملأ الارض رؤسا و ابدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت اعناقهم لطعنه و ضربه قد تقلد بسيفين لحظ و حسام واعتقل برمحين قناه وقوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لَا تُحْسَنُ ٱلْوَفْرَةُ إِلَّا وَهِيَ — مَنْشُورَةُ ٱلْفَرْعَيْنِ يَوْمَ ٱلنِّزَالِ
عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً — يُعِلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافِي ٱلسِّبَالِ

و يقول الآخر

أَقُولُ لَهُ لَمَّا تَقَلَّدَ سَيْفَهُ — كَفَتْكَ سُيُوفُ ٱللَّحْظِ عَنْ ذَلِكَ ٱلْعَضْبِ
فَقَالَ لِحَاظِي سَيْفُهَا لِلَّذِي ٱلْهَوَى — وَسَيْفِي لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ ٱلْحُبِّ

فلما رآه شركان قال اعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من انت ايها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان حيث هزمت اهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا انت الذي بالامس عاهدتني فما اسرع مانسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفي من حسنه فاذا هو ضوء المكان ففرح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران و انطباق الشجعان

و ذلك لامرين احدهما صغر سنه و صيانته عن العين و الدني
ان بقاءه للمملكة اعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت
بنفسك فالحق جوادك بجوادي فاني لا آمن عليك من الاعداء
و المصلحة في ان لاتخرج من تلك العصائب لاجل ان نرمي
الاعداء بسهمك الصائب فقال هو المكان الي اردت ان اساويك
في النزال و لا ابخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت
عساكر الاسلام على الكفار واحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم
حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد و الفساد فتأسف
الملك افريدون لما رأى ماحل بالروم من الامر المذموم و قد ولوا
الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب و اذا بالعساكر قد خرجت
عليهم من ساحل البحر وفي اولهم الوزير دندان مجندل الشجعان
و ضرب فيهم بالسيف و السنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر
الشام وهو في عشرين الف ضرغام و احاطت بهم عساكر الا سلام
من خلف و من امام و مالت فرقة من المسلمين على من كان
في المراكب و اوقعوا فيهم المعاطب فرموا انفسهم في البحر و قتلوا
منهم جمعا عظيما يزيد عن مئة الف بطريق ولم ينج من ابطالهم
صغير ولاكبير و اخذوا مراكبهم بما فيها من الا موال و الذخائر
و الا ثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة
ما غنم احد مثلهــا في سالف الزمان و لاسمعت اذن بمثل هذا
الحرب والطعان و من جملة ماغنموه خمسون الفامن الخيل غير
الذخائر و الا سلاب بما لايحيط به حصر و لاحساب و فرحوا فرحا
ما عليه مزيد بما منّ الله عليهم من النصر والتأييد هذا ماكان
من امرهم واما ما كان من امرالمنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية

وكان الخبر قد وصل الى اهلها اولا بان الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي انا اعلم ان ولدي ملك الروم لايكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويرد اهل الارض الى الملة النصـرانية ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وماعلموا بالمقدور فبينما هم في وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح واقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل واخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير واخبروه ان لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبـكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحـال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر ان يصل من العسكر الآمن وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه وقال لعل المسيح غضب عليهم حتى اوصل المسلمين اليهم فاقبل البطريق الكبير على الملك مهموما فقال له الملك يا ابانا قد وقع في عسكرنا الفنـاء وجزانا المسيح فقال البطريق لا تغتموا ولا تحزنوا فانه لابد ان احدكم فعل ذنبا في حق المسيح وعوقب الجميع بذنبه ولكن الآن نقرأ لكم الدعاء في البيَع حتى تندفع عنكم هذه العساكر المحمدية ثم بعد ذلك

اتت العجوز ذات الدواهي و قالت ايها الملك ان عسكر المسلمين
كثير و نحن ما نصل اليهم الا بالحيلة و اني عولت ان اعمل حيلة
و مكيدة و امضي الى هذه العساكر الاسلامية لعلي ابلغ غرضي
من المقدم عليهم و اقتل فارسهم مثل ما قتلت اباه و اذا تمت
حيلتي عليه فما يرجع احد من عساكره الى بلاده فانهم كلهم
اقوياء بسببه و لكني اريد من النصارى القاطنين بالشام الذي يخرجون
لبيع بضائعهم في كل شهر و عام ان يساعدوني فان بهم يتم غرضي
فقال لها الملك باى وقت تريدين ذلك الامر يكون فامرت بان يحضر لها
مائة رجل من نجران الشام فاحضروهم عند الملك فقال لهم الملك
اما تعلمون ماتم على النصارى من المسلمين قالوا نعم فقال لهم
الملك اعلموا ان هذه المرأة و هبت نفسها للمسيح و الآن عولت
ان تذهب بكم في زي الموحدين لتدبير حيلة يعود نفعها علينا
و تمنع المسلمين من الوصول الينا فاهل انتم و اهبون انفسكم
للمسيح و انا اعطيكم قنطارا من الذهب فمن سلم منكم فله المال
و من مات فيجازيه المسيح فقالوا ايها الملك قد وهبنا انفسنا
للمسيح و نحن فداؤك فعند ذلك اخذت العجوز جميع ما تحتاج
اليه من العقاقير و وضعتهم فى الماء و علتهم على النار فانحل السواد
و صبرت حتى بردت فارخت عليهم طرف منديل طويل و لبست
فوق اثوابها ملوطة مطرزة بطراز وبيدها تسبيح وبعد ذلك دخلت
على الملك فلم يعرفها ولا احد من الجالسين فكشفت لهم عن وجهها فما
فى المجلس احد الاشكرها على مكرها وفرح ابنها وقال لاعدم المسيح
طلعتك فعند ذلك خرجت و معها النصارى الذين من نجران الشام و ساروا
طالبين عسكر بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك افريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه ودار انه تحت قدميه فلما افاق من غشيته دهض الخوف جوانب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم ابخر وجفن احمر وخد اصفر بوجه اغبش وطرف اعمش وجسم اجرب وشعر اشهب وظهر احدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لاجل ان تطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن وتهودت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهي آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان اكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجواري الابكار لانها كانت تحب السحق وان تأخر عنها تكون في انحلاق وكل جارية اعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فتغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها احسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لم تطاوعها تتحيل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة واترجة جواري ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره ان ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت ابطيها ورائحة فسائها انتن من الجيفة وجسدها اخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يَا مَنْ تَسَفَّلَ لِلْغَنِيِّ مَذِلَّةً وَعَلَى الْفَقِيرِ لَقَدْ عَلَا تِيهَاهَا

وَيَزِينُ شُنْعَتَهُ بِجَمْعِ دَوَاهِيمٍ   عَطْرُ الْقَبِيحَةِ لَا بَقِيَ بِفَسَاهَا

وانرجع الى حديث مكرها ودواهي امرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى و عساكرهم و توجهوا الى عسكر الاسلام و بعدها دخل الملك حردوب على الملك افريدون وقال له ايها الملك مالنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأي امي ذات الدواهي و ننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم و اصلون الينا و عن قريب يأتون لدينا و يحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم في قلبه الرعب فكتب من وقته و ساعته الى سائر اقاليم النصارى يقول لهم ينبغي انه لا يتخلف احد من اهل الملة النصرانية و العصابة الصليبية خصوصا اهل الحصون و القلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا و ركبانا و نساء و صبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا ارضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها طلعت خارج البلد مع اصحابها والبستهم زي تجار المسلمين وكانت قد اخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكي ما بين اطلس معدني و ديباج ملكي وغير ذلك واخذت من الملك افريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من ارض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي ان يتعرض لهم احد بسوء ولا ياخذ منهم عشرا حتى يصلوا الى بلادهم ومحل امنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من اهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها اني اريد ان ادبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها ايتها الملكة مُرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا احبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكّت جبينها

حتى صار له وسم عظيم ودهننه بدهان دبره حتى صار له ضوء عظيم
وكانت الملعونه نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق
قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد
من رجليها وقد اثر القيد في ساقيهـــا ثم دهننها بدم الاخوين
وامرت من معها ان يضربوها ضربا عنيفا وان يضعوها في صندوق
واعلنوا في كلمة التوحيد وما عليكم في ذلك من باس شديد
فقالوا لها كيف نضربك وانت سيدتنـــا ذات الدواهي ام الملك
المبـــاهي فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتي الكنيف ولاجل
الضرورات تباح المحظورات وبعد ان تضعوني في الصندوق خذوه
في جملة الاموال واحملوه على البغـــال ومروا بذلك بين عسكر
الاسلام ولا تخشوا شيأً من الملام وان تعرض لكم احد من المسلمين
فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصـــرفوا الى ملكهـــم
ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا في بلاد الكفرة ولم يأخذوا
منا شيأً بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا احد فكيف تأخذون
انتم اموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذي مضمونه ان لا يتعرض لنا
احد بمكروه فاذا قال وما الذي ربحتموه من بلاد الروم في تجارتكم
فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان في سرداب تحت الارض
له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغـــاث بل يعذبه
الكفار ليلا ونهـــارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا اقمنـــا
في القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا
حالنـــا وعزمنـــا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث
في امر السفر فلما اصبحنا رأينا صورة مصورة في الحائط فلما قربنا
منها تأملناها فاذا هي تحركت وقالت يا مسلمون هل فيكم من يعامل

رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله انطقني لكم ليقوي يقينكم ويحكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذي يفتح القسطنطينية به ويهلك اهل الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلثة ايام تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنا وفيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبدالله وهو من اذين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعه بعض الرهبان وسجنه في سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفي انقاذه ارضاء رب العباد لان فكاكه من افضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهي لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد من اكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلثة ايام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا اليه واقمنا هناك يوما في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الابيات

كَبِدِي أُكَابِدُهُ وَصَبْرِي ضَيِّقٌ وَجَرَى بِقَلْبِي بَحْرُهُمْ مُغْرِقُ
اِنْ لَمْ يَكُنْ نُوحٌ فَمَوْتٌ عَاجِلٌ اِنَّ الْحِمَامَ مِنَ الرَّزَايَا اَرْفَقُ
يَا بَرْقُ اِنْ جِئْتَ الدِّيَارَ وَاَهْلَهَا وَعَلَا عَلَيْكَ مِنَ الْبَشَائِرِ رَوْنَقُ
كَيْفَ السَّبِيلُ اِلَى اللِّقَاءِ وَبَيْنَنَا تِلْكَ الْحُرُوبُ وَبَابُ رَهْنٍ مُغْلَقُ .
بَلِّغْ اَحِبَّتَنَا السَّلَامَ وَقُلْ لَهُمْ اِنِّي بِدَيْرِ الرُّومِ قَاصٍ مُوثَقُ

ثم قالت اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين و صرت عندهم كيف ادبر حيلة في خلاصكم و قتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها و وضعوها في الصندوق بعد ان ضربوها اشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ما كان من امر هذه اللعينة ذات الدواهي و من معها واما ما كان من امر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على اعدائهم و غنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا و انقيادنا لبعضنا فكن يا شركان ممتثلا لامري في طاعة الله عز وجل لاني نويت ان اقتل عشرة ملوك عوضا عن ابي و اذبح خمسين الفا من الروم و ادخل القسطنطينية فقال له اخوه شركان روحي فداؤك من الردى ولابد لي من الجهاد و او اقيم في بلادهم سنين عديدة لكن يا اخي لي في دمشق ابنة واسمها قضى فكان وقلبي متعلق بحبها وهي من غرائب الزمان و سيكون لها شان فقال ضوء المكان و انا الآخر تركت جاريتي وهي حبلى على ميلاد و ما ادري ما يرزقني الله به فيا اخي عاهدني ان رزقني الله ولدا ذكرا تسمح لي بابنتك قضى فكان ان تكون

لولدي وتعطيني المواثيق والايمان فقام شركان حبا وكرامة وتقدم الملك الى اخيه وقال ان جاءك ولد اعطيته ابنتي قضى فكان فرح الملك وصار يهني بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنى الوزير دندان شركان واخاه وقال لهما اعلما ايها الملكان ان الله نصرنا حيث وهبنا انفسنا لله عز وجل وهجرنا الاهل والاوطان والراي عندي ان نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله ان يبلغنا مرادنا ونستاصل اعدائنا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن والنزال ثم ان الوزير دندان ما زال يحرضهم على القتال وانشد قول من قال

أَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الأَعَادِي ... وَاحْتِمَالِي عَلَى ظُهُورِ الجِيَادِ
وَرَسُولٌ يَأْتِي بِوَعْدِ حَبِيبٍ ... وَحَبِيبٌ يَأْتِي بِلَا مِيعَادِ

وقول الآخر

وَإِنْ عُمِّرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ وَالِدَةً ... وَالسَّمْهَرِيَّ أَخاً وَالمَشْرَفِيَّ أَبَا
بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِماً ... حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرَبَا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من ايدنا بنصره العزيز وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم امر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدّوا في سيرهم حتى اشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شيءٍ مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة ايام فلما اشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة والاثمار اليانعة وتلك الارض كانها جنّة اخذت زخرفها وازّينت وسكرت

اغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التسنيم واعتلال النسيم فندهش العذل والناظر كما قال الشاعر

اُنْظُرْ إِلَى الرَّوْضِ النَّضِيرِ كَأَنَّمَا نُشِرَتْ عَلَيْهِ مُلَاءَةٌ خَضْرَاءُ
إِنْ مَا شَخَصْتَ بِلَحْظِ عَيْنِكَ لَا تَرَى إِلَّا غَدِيرًا جَالَ فِيهِ الْمَاءُ
وَتَرَى بِنَفْسِكَ عِزَّةً فِي دَوْحِهِ إِذْ فَوْقَ رَأْسِكَ حَيْثُ سِرْتَ لِوَاءُ

وكما قال الآخر

اَلنَّهْرُ خَدٌّ بِالشُّعَاعِ مُوَرَّدُ قَدْ دَبَّ فِيهِ عِذَارُ ظِلِّ الْبَانِ
وَالْمَاءُ فِي سُوقِ الْغُصُونِ خَلَاخِلُ مِنْ فِضَّةٍ وَالزَّهْرُ كَالتِّيجَانِ

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذي التفت اشجاره وزهت ازهاره وترنمت اطياره نادى اخاه شركان وقال له يا اخي ان دمشقا ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلثة ايام حتى ناخذ لنا راحة لاجل ان تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فاقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا اصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين في هذا المكان للراحة لعل العساكر صادفوهم وربما اخذوا شيأ من بضائعهم التي معهم حيث كانوا في بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك امر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا ايها الملك اناكنا في بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب اموالنا اخواننا المسلمون ونحن في بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم اقبلنا عليهم فاخذوا ماكان معنا وقد اخبرناك بما حصل لنا ثم اخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فاخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد

عليكم ما اُخذ منكم ولكن كان الواجب ان لاتحملوا تجارة الى بلاد
الكفار فقالوا يامولانا ان الله سيّرنا الى بلادهم لنظفر بمالم يظفر به
احد من الغزاة ولا انتم في غزواتكم فقال لهم شركان وما الذي
ظفرتم به فقالوا ما نذكر ذلك الا في الخلوة لان هذا الامر اذا شاع
بين الناس ربما اطلع عليه احد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك
كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبّوا الصندوق
الذي فيه اللعينة ذات الدواهي فاخذهم ضوء المكان واخوه وانفردا
بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى ابكوهما
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان النصارى الذين في هيئة التجار
لما اختلى بهم ضوء المكان واخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد
وبكوا حتى ابكوهما واخبروهما كما علّمتهم الكاهنة ذات الدواهي
فرقّ قلب شركان للزاهد واخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية
لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد ام هو في الدير الى
الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على انفسنا ثم
اسرعنا في الهرب خوفا من العطب وقد اخبرنا بعض الثقات ان في هذا
الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك اتوا بالصندوق
واخرجوا منه تلك الملعونة كانها قرن خيار شنبر من شدة السواد
والنحول وهي مكبّلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان
هو والحاضرون ظنوا انه رجل من خيار العباد وافضل الزهاد خصوصا
وجبينها يضيء من الدهان الذي دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان

و اخوه بكاو شديدا ثم قاما اليها و قبلا يديها و رجليها و صارا ينحبان فاشارت اليهما و قالت كفا عن هذا البكاء و اسمعا كلامي فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما اني قد رضيت بما صنعه بي مولاي لاني ارى ان البلاء الذي نزل بي امتحان منه عز و جل و من لم يصبر على البلاء و المحن فليس له وصول الى جنات النعيم و كنت اتمنى اني اعود الى بلادي لا جزعاً من البلاء الذي حل بي بل لاجل ان اموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل احياء غير اموات ثم انشدت هذه الابيـــــات

الحصن طُورُ ونارُ الحربِ موقدةٌ	وأنتَ موسى وهذا الوقتُ ميقاتُ
ألقِ العصا تلتقف كلَّ ما صنعوا	ولا تخف من حِبالِ القومِ حيّاتُ
فاقرأ سطورَ العِدى يومَ الوغى سُوَراً	فإنّ سيفكَ في الأعناقِ آياتُ

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان و قبل يدها واحضرلها الطعام فامتنعت وقالت اني لم افطر من مدة خمسة عشرعاما فكيف افطر في هذه الساعة وقد جاد علي المولى بالخلاص من اسر الكفار ودفع عني ما هو اشق من عذاب النار فانا اصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء اقبل شركان هو وضوء المكان و قدما اليها الا كل و قالا لها كل ايها الزاهد فقالت ما هذا وقت الاكل و انما هذا وقت عبـــادة الملك الديان ثم انتصبت في المحراب تصلي الى ان ذهب الليل و لم تزل على هذه الحالة ثلثة ايام بلياليها وهي لم تقعد الا وقت التحية فلما رآها ضوءالمكان على تلك الحـــالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيهـــا و قال لشركان اضرب خيمة من الاديم لهذا

العابد ووكّل فراشا بخدمته وفي اليوم الرابع دعت بالطعام فدل من الطعام
من الالوان ما تشتهي الانفس و تلذ الاعين فلم تأكل من ذلك الا
الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلوة
فقال شركان لضوء المكان اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية
الزهد و لولا هذا الجهاد لكنت لا زمته و اعبد الله بخدمته حتى
القاه و قد اشتهيت ان ادخل معه الخيمة و اتحدث معه ساعة فقال له
ضوء المكان و انا كذلك و لكن نحن في غد ذاهبون الى غزو
القسطنطينية و لم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير
دندان و انا الآخر اشتهي ان ارى هذا الزاهد لعله يدعو لي
بقضاء نحبي في الجهاد ولقاء ربي فاني زهدت الدنيا فلما جن عليهم
الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها
قائمة تصلي فدنوا منها و صاروا يبكون رحمة لها وهي لا تلتفت
اليهم الى ان انتصف الليل فسلمت من صلوتها ثم اقبلت عليهم
وحيتهم و قالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها ايها العابد اما
سمعت بكائنا حولك فقالت ان الذي يقف بين يدي الله لا يكون له
وجود في الكون حتى يسمع صوت احد او يراه ثم انهم قالوا انا
نشتهي ان تحدثنا بسبب اسرك و تدعو لنا في هذه الليلة فانها
خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله
لولا انكم امراء المسلمين ما احدثكم بشيء من ذلك ابدا فاني
لا اشكو الا الى الله وها انا اخبركم بسبب اسري اعلموا انني كنت
في القدس مع بعض الابدال و ارباب الاحوال وكنت لا اتكبر عليهم
لان الله سبحانه و تعالى انعم علي بالتواضع و الزهد فاتفق
انني توجهت الى البحر ليلة و مشيت على الماء فداخلني العجب

من حيث لا ادري و قلت في نفسي من مثلي يمشي على الماء فقسا قلبي من ذلك الوقت و ابتلاني الله بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم و جلت في اقطارها سنة كاملة حتى لم اترك موضعا الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل و فيه دير راهب يقال له مطروحنا فلما رآني خرج اليّ وقبل يدي ورجلي فقال اني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم و قد شوقتني الى بلاد الاسلام ثم انه اخذ بيدي و ادخلني ذلك الدير ثم دخل بي الى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلني و اغلق عليّ الباب وتركني فيه اربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلي صبرا فاتفق في بعض الايام انه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس و معه عشرة من الغلمان و معه ابنة يقال لها تماثيل و لكنها في الحسن ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير اخبرهم الراهب مطروحنا بخبري فقال البطريق اخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما ياكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصبا في المحراب اصلي واقرأ و اسبح و اتضرع الى الله تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنا ان هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا و دخلوا عليّ و اقبل عليّ دقيانوس هو و جماعته و ضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت و لمت نفسي و قلت هذا جزاء من يتكبر و يعجب بما انعم عليه ربه مما ليس في طاقته و انت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر اما علمت ان الكبر يغضب الرب و يقسي القلب و يدخل الانسان النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني وكان سردابا في ذلك البيت تحت الارض وكل ثلثة ايام يرمون اليّ قرصة من

الشعير وشربة ماء وكل شهر اوشهرين يأتي البطريق ويدخل
ذلك الدير وقدكبرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين
حين رأيتها ومضى لي في الاسر خمس عشرة سنة فعمرها الآن
اربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم احسن
منها وكان ابوها يخاف عليها من الملك ان يأخذها منه لانها
وهبت نفسها للمسيح غير انها تركب مع ابيها في زيّ الرجال الفرسان
وليس لها مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها انها جارية وقد
خزن ابوها اموالها في هذا الدير لان كل من كان عنده شيء من
نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رايت فيه من انواع
الذهب والفضة والجواهر وسائر الاواني والتحف ما لا يحصي عدده
الا الله تعالى فانتم اولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا
الدير وانفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل
هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة
التي في الحائط لكرامة اكرمني الله بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا
البطريق مطروحنى بعد ان عاقبوه اشدّ العقاب وجرّوه من لحيته
فدلّهم على موضعي فاخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا
من العطب وفي ليلة غد تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها
ويلحقها ابوها مع غلمانه لانه يخاف عليها فان شئتم ان تشاهدوا
هذا الامر فخذوني بين ايديكم وانا اسلم اليكم الاموال وخزائن
البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون اواني
الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغني لهم
بالعربي فوا حسرتاه لوكان ذلك الصوت الحسن في قراءة القرآن
وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى ان يصل دقيانوس ومعه

ابنته فعلوها فانها لا تصلح الا لملك الزمان شركان او للملك ضوء المكان
ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه لم يصدقها
وما دخل كلامها في عقله وخشي ان يتحدث معها لاجل خاطر
الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار
عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني اخاف ان يقبل البطريق
وينظر هذه العساكر فى المرج فما يجسران يدخل الدير فامر
السلطان العسكران يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان
قصدي ان نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه الى ذلك
الجبل لاجل ان نحملهم المال الذى فى الدير ثم ارسل من وقته
وساعته الى الحاجب الكبير فاحضره بين يديه واحضر المقدمين
والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية
وانت ايها الحاجب عوضا عني فى الراي والتدبير وانت يارستم
تكون نائبا عن اخي فى القتال ولا تعلموا احدا اننا لسنا معكم وبعد
ثلثة ايام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو
واخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس واخذوا معهم البغال
والصناديق لاجل حمل المال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان واخاه ضوء المكان والوزير
دندان والمائة خيال سافروا الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة
ذات الدواهي واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل
المال فلما اصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا

وهم يظنون ان شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا انهم ذهبوا الى الدير هذا ماكان من امرهم واما ماكان من امر شركان واخيه ضوء المكان والوزير دندان. فانهم اقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار اصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد ان دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستاذنوها في الرحيل فاذنت لهم وامرتهم بماشاءت من المكر فلما جن الظلام قامت العجوز وقالت لضوء المكان واصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فاطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس وسار الباقون بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد ارسلت كتابا على اجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بماجرى وقالت في آخر الكتاب اريد ان تنفذلي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى احضر اليهم ومعي ملك المسلمين واخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير وسوف اسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لا تتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لاديار ولا نافخ نار ويكون مطروحنا فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح اولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء برّاج الحمّام الى الملك افريدون بالورقة فلما قرأها نفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وامرهم ان يصلوا الى ذلك الدير

فلمـــا وصلوا الى البرج المعـــروف كمنوا فيه هذا ما كان
من امر هؤلاء واما ماكان من امر الملك ضوء المكان واخيه
شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا
الراهب مطروحني قد اقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا
اللعين فضربوه بالسيف واسقوه كاس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة
الى موضع النذور فاخرجوا منه من التحف والذخائر اكثر مما وصفته
لهم وبعدان جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال
واما تماثيل فانها لم تحضر لاهي ولا ابوها خوفا من المسلمين
فاقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال
شركان والله قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا ادري ما حالهم فقال
اخوه انا قد اخذنا هذا المال العظيم وما نظن ان تماثيل ولا غيرها يأتي
الى هذا الدير بعدان جرى لعسكر الروم ماجرى فينبغي اننا نقنع
بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم
نزلوا من الجبل فما امكن ذات الدواهي ان تتعرض لهم خوفا
من التفطن بخداعها ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى باب الشعب
واذا بالعجوز قد اكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احاطوا
بهم من كل جانب واشرعوا نحوهم الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح
ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوّقوا سهـــام شرهم فنظر ضوء المكان
واخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما
وقالوا من اعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا اخي ما هذا وقت
كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم
وقوّوا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد
العرب والعجم لولا ان هذا المكان ضيق لكنت افنيتهم ولوكانوا

مائة الف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة
آلاف فارس فقال الوزير دندان لوكان معنا عشرة آلاف فارس في
هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وانا
اعرف هذا الشعب وضيقه واعرف ان فيه مفاوز كثيرة لاني قد
غزوت فيه مع الملك عمر بن النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية
وكنا نقيم فيه وفيه ماء ابرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا
الشعب قبل ان يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل
فيرمو علينا الحجارة ولم نملك فيهم اربا فاخذوا في الاسراع
بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا
الخوف وانتم قد بعتم انفسكم لله تعالى في سبيله والله اني مكثت
مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم اعترض على الله فيما
فعل بي فقاتلوا في سبيل الله فمن قُتل منكم فالجنة ماواه ومن
قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال
عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان
ولعبت في اعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل
المسلمون في طاعة الله اشد القتال واعملوا في اعدائه الاسنة
والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمي
رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى افنى منهم عددا لايحصى
وجُملا لا تستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهي تشير
بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومي
اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة
حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتي بعدها فرقة اخرى حاملة
عليه فيردها بالسيف على اعقابها فظن ان نصره عليهم ببركة

العابد وقال في نفسه انه هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته
وقوى عزمي على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونني ولا يستطيعون
الاقدام عليّ بل كلما حملوا عليّ يولون الادبار ويركنون الى
الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما اقبل الليل نزلوا
في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمي
الحجارة وقتل منهم في ذلك اليوم خمسة واربعون رجلا ولما
اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له اثرا فعظم
عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان انا رأيته يقوّي الفرسان
بالاشارات الربانية ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم في الكلام
واذا بالملعونة ذات الدواهي قد اقبلت وفي يدها راس البطريق
الكبير الرئيس على العشرين الفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا
وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما
راى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه واوصلوا
الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجّل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة
قطعت رأس ذلك البطريق واتت بها والقتها بين يدي شركان والملك
ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائما على قدميه
وقال الحمد لله على سلامتك ورؤيتك ايها العابد المجاهد الزاهد فقال
يا ولدي اني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت ارمي روحي
بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما انفصلتم اخذتني الغيرة عليكم
وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعدّ بالف فارس فضربته
حتى اطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني
واتيت برأسه اليكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اللعينة ذات الدواهي لما اخذت رأس البطريق رئيس العشرين الف كافراتت بها والقتها بين يدي ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رايت حالكم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فاطحت راسه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني واتيت براسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريد ان اشغلكم في الجهاد واذهب الى عسكركم وان كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضي اليهم ايها الزاهد والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترني من اعينهم فلا يروني ومن رآني لايجسر ان يقبل عليّ فاني في ذلك الوقت اكون فانيا في الله وهو يقاتل عني عِداه فقال شركان صدقت ايها الزاهد لاني شاهدت ذلك واذا كنت تقدر ان تمضي اول الليل يكون ذلك اجود لنا فقال انا امضي في هذه الساعة وان كنت تريد ان تجيء معي ولايراك احد فقم وان كان اخوك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان ظل الولي لايستر غير اثنين فقال شركان اما انا فلا اترك اصحابي ولكن اذا كان اخي يرضى بذلك فلا باس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان او من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام فاصطلحوا واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت امهلوني حتى اذهب قبلكم

وانظر حال الكفرة هل هم نيام او يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم امرنا لله فقالت اذا طاوعتكم لاتلوموني ولوموا انفسكم فالرأي عندي ان تمهلوني حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئي علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان حدث اخاه بعد خروجها وقال لولا ان الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية في كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون في كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذه حيلة وخداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الكفار بالحيلة التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الاقتل ملكهم في نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا افرس منه وقالوا لعجوز النحس ذات الدواهي حين اخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا اتيت به ناخذه الى الملك افريدون ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجاباها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان الملعونة اوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان

الى عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما اظن الكفار الا عميانا لاننا نراهم وهم لا يروننا فبينما هما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما احد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الآخر الذي بين ايدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجا ثليق والمطران اننا لم نر احدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذي حلّ بنا عقوبة لنا من الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الآخر الذي معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجا ثليق والمطران اننا ما نرى احدا غيركما ثم ان الكفار قد وضعوا القيود في ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما في المبيت وغابت العجوز ذات الدواهي عن اعينهما فصارا يتاسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدي الى اكثر من ذلك وجزانا ما حل بنا من الضيق الذي نحن فيه هذا ما كان من امر ضوء المكان والوزير دندان واما ما كان من امر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح قام وصلى صلوة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتاهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير

وساروا الى ان وصلوا الى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم
يا مسلمون انا اسرنا سلطانكم ووزيره الذي به انتظام امركم وان لم
ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم واذا سلمتم لنا انفسكم
اخذنا وروحنا بكم الى ملكنا فيصالحكم على ان لا تخرجوا من بلادنا
ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشيء ولا نضركم بشيء فان
طابت خواطركم كان الحظ لكم وان ابيتم فما يكون الا قتلكم وقد
عرفناكم وهذا آخر كلامنا معكم فلما سمع شركان كلامهم وتحقق
اسر اخيه والوزير دندان عظم عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وايقن
بالهلاك فقال في نفسه يا ترى ما سبب اسرهما هل حصل منهما
اساءة ادب في حق الزاهد واعترضا عليه او ما شأنهما ثم نهضوا
الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين في ذلك اليوم الشجاع
من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت
الذباب على الشراب من كل مكان وما زال شركان ومن معه يقاتلون
قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصة فوت حتى
سال الوادي بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما اقبل الليل تفرقت
الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك
المغارة وبانت منهم الغلبة والخسارة ولم يبق منهم الا القليل لم يكن
منهم الا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة
وثلثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار آلاف
من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال
لاصحابه كيف العمل فقال له اصحابه لايكون الا مايريده الله سبحانه
فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكر ان خرجتم من الكهوف
ما بقي منكم احد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء وساروا وكان

الذي عندي فيه الرشاد ان تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان تدفعوا عن انفسكم من المدخل عليكم فلعل الزاهد ان يكون وصل الى عسكر المسلمين وياتينا بعشرة آلاف فارس فيعينوننا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له اصحابه ان هذا الرأي هو الصواب وما في سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من اراد ان يدخل عليهم من الكفار يقتلونه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى ان ذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من اراد ان يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لاغير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا انفسهم الينا اخذناهم اسارى وان ابوا نتركهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لاولي الابصار فلا رحم المسيح اباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة واضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار فسلموا نفوسهم وتأهبوا الى قتالهم فلما كان الصباح قام واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير

بقتلهم فقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك افريدون لاجل ان يشفي غليله فينبغي اننا نبقيهم عندنا اسارى وفي غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد، فقالوا هذا هو الرأي الصواب ثم امروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حراسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان واخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى اخيه وقال له يا اخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا ادري وقد صرنا كالطير في الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه وتمطى فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس واخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى اخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال اني اريد ان اقتل من الحراس ثلثة وناخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلثة حتى نصير في زي الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا احدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الراي غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع احد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأي السديد ان نسير الى خارج الشعب فاجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل راوا خيلا مربوطة واصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغي ان ياخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فاخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد القى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي اخذوها وساروا وكان

 حكاية وصول بهرام ورستم مع عشرين الف فارس من المسلمين
عند الملك ضوء المكان وشركان

بديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين وهلاك قوم الكافرين ثم هنّوا بعضهم بالسلامة و عظيم الاجر في السياحة وكان السبب في مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار و ملكوا الابراج والقلاع و استعدوا في كل حصن هدّام حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمّدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجّة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذاهم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا اصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب في اعلام الكفار بذلك ما دبّرته العجوز ذات الدواهي من زورها و عهرها و بهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال امير الترك لامير الديلم يا امير اننا بقينا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذي كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس يخبرهم ان ساعدنا من سلطان وانا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان و اخيه والوزير الاجلّ دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنّا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج و من الرأى ان تاخذ انت عشرة آلاف فارس من المواصلة والاتراك و تذهب بهم الى دير مطروحنا و مرج ملوخنا في طلب اخواننا واصحابنا فان اطعتموني كنتم سببا في الفرج

منهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم و ان لم تطيعوني فلا لوم علي و اذا توجهتم ينبغي ان ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعندها قبل الامير المذكور كلامه وانتخبا عشرين الف فارس و ساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ماكان من امر سبب مجيئهم و اما ماكان من امر العجوز ذات الدواهي فانها لما اوقعت السلطان ضوء المكان و اخاه شركان والوزير دندان في ايدى الكفار اخذت تلك العاهرة جوادا وركبته وقالت للكفار اني اريد ان الحق عسكر المسلمين واتحيل على هلاكهم لانهم فى القسطنطينية فاعلمهم ان اصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك مني تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم ادخل انا الى الملك افريدون ملك القسطنطينية و ولدي الملك حردوب ملك الروم واخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين و يهلكونهم ولا يتركون احدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما اصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات واخفت جوادها هناك ثم خرجت و تمشت قليلا وهي تقول في نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم و تحققت اعلامهم فراتها غير منكسة فعلمت انهم اتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم واصحابهم فلما عاينت ذلك اسرعت نحوهم بالجري الشديد مثل الشيطان المريد الى ان وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل يا جند الرحمن الى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام اقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ولي الله ماوراءك فقال لاتسال عن سوء

الحال وشديد الاهوال فان اصحابنا لما اخذوا المال صاروا مطرودين حتى ارادوا ان يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو باس من الكفار ثم ان الملعونة اعادت الدم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان اكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام ايها الزاهد متى فارقتهم فقال في ليلتي هذه فقال بهرام سبحان الذي طوى لك الارض البعيدة وانت ماش على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة الملهمين وحي الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش حيران بما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأُسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر اقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان واخاه شركان يناديان بالتهليل والتكبير والصلوة والسلام على البشير النذير فحمل هو واصحابه واحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت منه الجبال فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدي ضوء المكان واخيه شركان واخبرهم شركان بما جرى لهم في المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم اسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا اصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك اسرعوا في المسير وتوكّلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوي المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لَكَ الحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ فَمَا زِلْتَ لِي بِالعَوْنِ يَارَبِّ فِي أَمْرِي

رَبيتَ غَرِيبًا فِي ٱلبِلَادِ وَكُنتَ لِي كَفِيلًا وَقَدْ قَدَّرْتَ لِي نَصْرِي
وَأَعْطَيْتَنِي مَالًا وَمُلْكًا وَنِعْمَةً وَقَلَّدْتَنِي سَيْفَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّصْرِ
وَخَوَّلْتَنِي ظِلَّ ٱلْمَلِيكِ مُعَمَّرًا وَقَدْ جُدْتَ لِي مِنْ فَيْضِ جُودِكَ بِالْغَمْرِ
وَسَلَّمْتَنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ حَذِرْتُهُ بِمَشُورَةِ الصَّدْرِ ٱلْوَزِيرِ فَتَى الدَّهْرِ
بِفَضْلِكَ قَدْ صُلْنَا عَلَى الرُّومِ صَوْلَةً وَقَدْ رَجَعُوا بِالضَّرْبِ فِي حُلَلٍ حُمْرِ
وَأَظْهَرْتُ إِنِّي قَدْ هُزِمْتُ هَزِيمَةً وَعُدْتُ عَلَيْهِمْ عَوْدَةَ الضَّيْغَمِ ٱلْغَمْرِ
تَرَكْتُهُمُ فِي الْقَاعِ صَرْعَى كَأَنَّهُمْ نَشَاوَى بِكَأْسِ ٱلْمَوْتِ لَا قَهْوَةِ الْخَمْرِ
وَصَارَتْ بِأَيْدِينَا ٱلْمَرَاكِبُ كُلُّهَا وَصَارَ لَنَا السُّلْطَانُ فِي ٱلْبَرِّ وَا
وَجَاءَ إِلَيْنَا الزَّاهِدُ ٱلْعَابِدُ ٱلَّذِي كَرَامَتُهُ شَاعَتْ لَدَى ٱلْبَدْوِ وَٱلْحَضَرِ
أَتَيْنَا لِأَخْذِ النَّارِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ وَقَدْ شَاعَ عِنْدَ النَّاسِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي
وَقَدْ قَتَلُوا مِنَّا رِجَالًا فَأَصْبَحُوا لَهُمْ غُرَفٌ فِي ٱلْخُلْدِ تَعْلُو عَلَى نَهْرِ

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنأه اخوه شركان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان هنأ اخوه ضوء المكان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة واخذت جوادها وركبته واسرعت في سيرها حتى اشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت واخذت جوادها واتت به

الى السرادق الذي فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائما و اشار اليها بالايماء و قال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف و بهتانها المتلف وقالت اني اخاف على الامير رستم والامير بهرام لاني قد لاقيتهما مع عسكرهما في الطريق وارسلتهما الى الملك ومن معه وكانا في عشرين الف فارس والكفار اكثر منهم واني اردت في هذه الساعة ان ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم و قالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب و المسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم و بكوا فقالت لهم ذات الدواهي استعينوا بالله و اصبروا على هذه الرزية فلكم اسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور اعدها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكل احد ولكنه في الجهاد احمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهي دعا باخ الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس ابطال عوابس وامره بالسير فسار في ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما اصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين و قال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما ان يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين و اما ان يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انه اتى الى اخيه ضوء المكان و قال له لا تخف ابدا فاني افديك بروحي من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام و ان كان هؤلاء اعداءنا فلا بد من قتالهم لكن اشتهي ان اقابل العابد قبل موتي لاسأله ان يدعو لي ان لا اموت الا شهيدا فبينما هم كذلك و اذا بالرايات قد لاحت

مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما اتينا الا خوفا عليكم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبّل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم واخي بهرام آما هم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذي اخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر انّه لقي اخي بهرام ورستم وارسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد احاطوا بهم وهم كثيرون وما ارى الامر الّا بخلاف ذلك وانتم منصورون فقالوا له وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع في يوم وليلة مسيرة عشرة ايام للفارس المجدّ فقال شركان لا شك انه وليّ الله واين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا اهل الايمان يحرّضهم على قتال اهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمدوا الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قُتل منهم وقالوا كان ذلك في الكتاب مسطورا ثم ساروا مجدّين في سيرهم فبينما هم كذلك واذا بغبار قد طار حتى سدّ الاقطار واظلم منه النهار فنظر اليه شركان وقال اني اخاف ان يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سدّ المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام اشدّ سوادا من حالك الايام ولا زالت تقرب منهم تلك الدعامة وهي اشدّ من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادي يا امة خير الانام ومصباح الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فادركوا عساكر الموحّدين وانقذوهم من ايدي الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم في الخيام ونزل بهم العذاب المهين

وكانوا في مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار فؤاده من شدة الخفقان وترجّل عن جواده وهو حيران ثم قبّل يدي الزاهد ورجليه وكذلك اخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجّل عن جواده وقال والله ان قلبي نافر من هذا الزاهد لاني ما عرفت للمتنطّعين في الدين غير المفاسد فاتركوه وادركوا اصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر بن النعمان ودست اراضي هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد اما نظرت الى هذا العابد وهو يحرّض المؤمنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال اعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد من الارض بعد ان اوقعه سابقا في العذاب الشديد ثم ان شركان امر ان يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب ايها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب واظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا ان هذا الزاهد العاهر هو الذي قال في مثله الشاعر

صَلَّى وَصَامَ لِأَمْرٍ كَانَ يَطْلُبُهُ ... لَمَّا قَضَى الْأَمْرَ لَا صَلَّى وَلَا صَامَا

ثم ان ذلك الزاهد مازال ماشيا بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وصار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن ومازالوا سائرين حتى اشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان في حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار وسيف الروم يعمل بين الابرار والفجار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة

قالت بلغني ايهــا الملك السعيد ان شركان لما ادرك المسلمين وهم في حالة الانكسار و الحاجب قد اشرف على الهزيمة و الفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجّار وكان السبب في خذل المسلمين ان اللعينة ذات الدواهي عدوّة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان واخيه ضوء المكان سارت هي نحو عسكر المسلمين وانفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك ان تفرق بين عسكر المسلمين لاجل ان يضعفوا ثم تركتهم و قصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم باعلى صوتهـا و قالت ادلوا حبلا لأربط فيه هذا الكتاب واوصلوه الى ملككم افريدون ليقرأه هو وولدي ملك الروم ويعملا بما فيه من امره و نواهيه فادلوا اليها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامّة الكبرى ذات الدواهي الى الملك افريدون اما بعد فاني دبّرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنّين وقد اسرتهم واسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجّهت الى عسكرهم واخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى ارسلت اثنا عشر الف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين وما بقي منهم الا القليل فالمراد منكم انكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم في بقيّة هذا النهار وتهجمون عليهم في خيامهم ولكنّكم لا تخرجون الا سواء و اقتلوهم عن آخرهم فانّ المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطّفت عليكم وارجو من المسيح ان لاينسى فعلي الذي قد فعلته فلمـا وصل كتابها الى الملك

افريدون فرح فرحا شديدا وارسل فى الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهي واحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكر امي فانه يغني عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك افريدون لاعدم المسيح طلعة امك ثم انه امر البطارقة ان ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة وشاع الخبر فى القسطنطينية وخرجت العساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجرّدوا السيوف الحداد واعلنوا بكلمة الكفر والالحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا ان سلطاننا غائب فربما هجموا علينا واكثر عسكرنا قد توجّه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى ياعسكر المسلمين وحُماة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان صبرتم نصرتم فاعلموا ان الشجاعة صبر ساعة وماضاق امر الا اوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبّرت المسلمون وصاحت الموحّدون ودارت رحاة الحرب بالطعن والضرب وعملت الصوارم والرماح وملأ الدم الاودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدّوا الزنانير ورفعوا الصلبان واعلن المسلمون بتكبير الملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس عن الابدان وطافت الملائكة الاخيار على امة النبي المختار ولم يزل السيف يعمل الى ان ولّى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد احاطت الكفّار بالمسلمين وحسبوا ان ينجوا من العذاب المهين وطمع المشركون في اهل الايمان الى ان طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا ان الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم

وثبت الشجاع وتقدّم وولّى الجبان وانهزم وقضى قاضي الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن البروج وامتلأت بالاموات المروج وتأخرت المسلمون عن اماكنهم وملكت الروم بعض خيامهم ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينماهم كذلك اذ وصل شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحّدين فلمّا اقبل عليهم شركان حمل على الكفّار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك امير الديلم بهرام ورستم واخوه تركاش فانهم لمّاراوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملأ الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار باصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنّاه بتائيده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على اعدائهم واخلصوا للّه في جهادهم فلمّا نظر الكفّار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور ونادوا حنّا ومريم والصليب المسخم وانقبضت ايديهم عن القتال وقد اقبل الملك افريدون على ملك الروم وصار احدهما في الميمنة والآخر في الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا للنزال وان كانوا في فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك اقبل شركان على اخيه ضوء المكان وقال له يا ملك الزمان لاشك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن احبّ ان اقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد يا صاحب الرأى السديد فقال شركان اريد ان اكون في قلب عسكر الكفار وان يكون الوزير دندان في الميسرة وانت في الميمنة والامير بهرام في الجناح الايمن والامير رستم

في الجناح الايسر وانت ايها الملك العظيم تكون تحت الاعلام
والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلّنا نفديك
من كلّ امر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح
وجرّدت الصفاح فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر
الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفرّ بصاحبها من وقع
السيوف وبردعتها من ابيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير
وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف
الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين
وقال اني رسول اليكم اجمعين وما على الرسول الّا البلاغ فاعطوني
الامان والاقالة حتى ابلّغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا
تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع
الصليب من عنقه بين يدى السلطان وخضع له خضوع راجى الاحسان
فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال اني رسول من عند الملك
افريدون فاني نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهياكل
الرحمانية وبيّنت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصار على
فارسين في الهيجاء فاجابني الى ذلك وهو يقول لكم اني افديت
عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلي ويفدي عسكره بروحه
فان قتلني فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر
الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا اجبناه الى
ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكن منه خلاف وها انا ابرز اليه
واحمل عليه فاني فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلني
فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفرّ فارجع اليه ايها الراهب
وقل له ان البراز يكون في غد لاننا اتينا من سفرنا على تعب في هذا

اليوم وبعد الراحة لاعتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم واخبرهما بذلك ففرح الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال في نفسه لا شك ان شركان هذا هو اضربهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهي كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذّرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا عظيما لانه كان يقاتل انواع القتال ويرمي بالحجارة والنبال ويضرب بعمود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلمّا سمع افريدون قول الراهب من ان شركان اجاب الى البراز كاد ان يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم انه لاطاقة لاحد به ثم بات الكفار تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح اقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز في الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معدّ للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معدّ للبأس الشديد وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم ابتر وقنطارية خولنج من غريب عمل الافرنج ثم ان الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفني فقد اكتفاني ومن لم يعرفني فسوف يراني انا افريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تمّ كلامه حتى خرج ولازلته فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر يساوي الف دينار من الذهب الاحمر وعليه عدّة مزركشة بالدر والجوهر وفي [illegible] سيف هندي مجوهر يقدّ الرقاب ويهون الامور [illegible] المكان ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم

نادى افريدون وقال له ويلك يا ملعون انت الذي كنت تفني الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كأنهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كر وفر وهزل وجد وضرب وطعن والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض يقول ان افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال له وحق دين المسيح والاعتقاد الصحيح ما انت الا فارس كرار وبطل مغوار غير انك غدار وطبعك ما هو طبع الاخيار لاني ارى فعلك غير حميد وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبونك الى العبيد وها هم اخرجوا لك غير جوادك وتعود الى القتال واني وحق ديني قد اعياني قتالك واتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيئاً من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول اصحابه في حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان واراد ان يشير اليهم ويأمرهم ان لا يغيروا له جوادا ولا عدة واذا بالملعون افريدون هز حربته وارسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد احدا فعلم انها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد اتته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه فجرت الحربة في صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصرخ صرخة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وظن انه قد قتله فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت اهل الطغيان في هذا

وبذلت امثل الايمان فلمارأى ضوء المكان اخاه مائلا على الجواد حتى كاد ان يقع ارسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال واتوابه اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني البتار وكان اسبق الناس الى شركان الوزير دندان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك ضوء المكان لمارأى اللعين قد ضرب اخاه شركان بالحربة ظن انه مات فارسل اليه الفرسان وكان اسبق الناس اليه الوزير دندان وامير الترك بهرام وامير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فاسندوه ورجعوا به الى اخيه ضوء المكان ثم اوصوابه الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الادم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل فى الاعناق واشتد الشقاق الى ان ذهب اكثر الليل وكلّت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلّوا الارض بين يديه وهنأته القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكته واقبل عليه الملك حردوب وقال له قوّى المسيح ساعدك ولازال مساعدك واستجاب من الامّ الصالحة ذات الدواهي ماتدعو به لك واعلم ان المسلمين مابقي لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون فى غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولّون الادبار ويركنون الى الفرار

هذا ما كان من امر الكفار واما ما كان من امر عسكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده في اسوأ الاحوال واشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفي آخر الليل اقبل عليهم الزاهد وهو يبكي فلما رآه ضوء المكان قام اليه فلمس بيده على جرح اخيه وتلا شيأ من القرآن وعوّذه بآيات الرحمن وما زال سهرانا عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وادار لسانه في فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصل له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانني بخير في هذه الساعة وقد عمل عليّ هذا الملعون حيلة ولولا اني زغت اسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدري فالحمد لله الذي نجاني وكيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم في بكاء من اجلك فقال اني بخير وعافية واين الزاهد وكان عند راسه قاعدا فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبّل يديه فقال الزاهد يا ولدي عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لي فدعا له فلما اصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح واراد الملك ضوء المكان وافريدون ان يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم

والمقام لا اتعب عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب بالسيف والسنان حتى اذهل الفرسان وتعجب الفريقان و حمل على الميمنة فقتل منها بطريقين و فى الميسرة فقتل منهـــا بطريقين و وقف في وسط الميدان و قال اين افريدون حتي اذيقه عذاب الهون فاراد الملعون ان يولي و هو مغبون فلما رآه الملك حردوب هذا الحال اقسم عليه ان لا يخرج اليه وقال له يا ملك بالامس كان قتالك واليوم قتالي وانا بشجاعته لا ابالي ثم خرج وفي يده صارم و تحته حصان كانه الابجر الذي كان لعنتر و ذلك الحصان ادهم معانر كما قال الشـــــــــــــــــــــاعر

قَدْ سَابَقَ الطَّرْفَ بِطِرْفٍ سَابِقٍ ❊ كَأَنَّهُ يُـــرِيدُ إِدْرَاكَ الْقَدَرْ
دُهْمَتُــهُ تُبْدِي سَوَادًا حَالِكًا ❊ كَأَنَّهَـا لَيْلٌ إِذَا اللَّيْلُ عَكَــرْ
صَهِيلُهُ يُطْــرِبُ مَنْ يَسْمَعُهُ ❊ كَأَنَّهُ الرَّعْدُ إِذَا الرَّعْدُ زَجَــرْ
وَسَابَقَ الرِّيحَ جَرَى مِنْ قَبْلِهَا ❊ وَالْبَــرْقُ لَا يُسْبِقُهُ إِذَا ظَهَرْ

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه واظهر ما في بطنه من عجائبه واخذا في الكرّ والفرّ حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان و هجم على ملك الارمن حردوب و ضربه ضربة اطاح بها رأسه و قطع انفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه و توجهوا بكليتهم اليه فقابلهم في حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضجّ المسلمون بالتكبير والتهليل و الصلوة على البشير النذير و قاتلوا قتالا شديدا وانزل الله النصر على المؤمنين والخزي على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثأر الملك عمر بن النعمان وثار ولده شركان وكشف راسه وصاح

للاتراك وكان بجانبه اكثر من عشرين الف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار وتولي الادبار ودخلوا فيهم الصارم البتار فقتلوا منهم نحو خمسين الف فارس واسروا ما زاد على ذلك وقُتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم غلق الروم الباب وطلعوا فوق الاسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين واتوا خيامهم ودخل الملك ضوء المكان على اخيه فوجده في اسر الاحوال فسجد شكراً لله تعالى ثم اقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال له شركان اننا كلنا في بركة هذا الزاهد الاواب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما دخل على اخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح واقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال شركان اننا كلنا في بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه ما برح اليوم وهو يدعو للمسلمين وانا وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت انكم منصورون على اعدائكم فاحك لي يا اخي ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون حردوب واخبره انه قتله وراح الى لعنة الله فاثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل ولدها الملك حردوب انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها اخفت ذلك واظهرت للمسلمين

انها فرحت و انها تبكي من شدة الفرح ثم انها قالت في نفسها و حق المسيح مابقي في حياتي فائدة ان لم احرق قلبه على اخيه شركان كما احرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك حردوب ولكنها كتمت ما بها ثم ان الوزير دندان و الملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزاق والادهان و اعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا و اعلموا به العساكر فتباشر المسلمون و قالوا في غد يركب معنا و يباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم و تعبتم من القتال فينبغي ان تتوجهوا الى اماكنكم و تناموا ولا تسهروا فاجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه ومابقي عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا مثل الاموات هذا ما كان من امر شركان و غلمانه و اما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم صارت يقظانة و حدها في الخيمة و نظرت الى شركان فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كانها دُبّة معطا او آفة رقطا و اخرجت من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لأذابها ثم جردته من غمده واتت عند رأس شركان و جرته على رقبته فذبحته وازالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها واتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة و اتت الى خيام السلطان فوجدت الحرّاس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا في هذا الوقت اني سمعت صوت ولي من اولياء الله و انا ذاهب

اليه ثم ولّت فقال الوزير دندان في نفسه والله لا نتبع هذا الزاهد في هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما احست الملعونه بمشيه عرفت انه وراءها فخشيت ان تفتضح وقالت في نفسها ان لم اخدعه بحيلة فاني افتضح معه فاقبلت اليه من بعيد وقالت ايها الوزير اني سائر خلف هذا الولي لاعرفه وبعد ان اعرفه استاذنه في مجيئك اليه واقبل عليك واخبرك لانّي اخاف ان تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها استحى ان يردّ عليها جوابا فتركها ورجع الى خيمته واراد ان ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا ان تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه انا امضي الى شركان واتحدث معه الى الصباح فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة ازعجت من كان نائما فسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجّوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان شركان اخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى ان دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة اخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام واما الحاجب فانه صاح واكثر من النواح ثم طلب الارتحال لما به من الاوجال فقال الملك اما علمتم بالذي فعل باخي هذه الفعال ومالي لا ارى الزاهد الذي عن متاع الدنيا قد اعرض فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الّا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبي نفر منه في الاول والآخر لانني اعرف ان كل متنطع

من الدين خبيث ماكر واعاد على الملك قصته وانه اراد ان يتبعه فما مكّنه ثم ان الناس ضجّوا بالبكاء والنحيب وتضرّعوا الى القريب المجيب ان يوقع بين ايديهم ذلك الزاهد الذي هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور ثم انتظروا باب المدينة ان ينفتح فما فتح ولا بان لهم على الاسوار اثر احد فتعجبوا غاية العجب فقال الملك ضوء المكان والله لا احول عنهم ولو اقعد سنين واعواما حتى آخذ بثار اخي شركان واخرب القسطنطينية واقتل ملوك النصرانية او يدركني المنيّة واستريح من الدنيا الدنيّة ثم امر باحضار الاموال التي اخذوها من دير مطروحنا وجمع العساكر وفرق الاموال وما ترك احدا حتى اعطاه واكفاه من المال ثم احضر من كل طائفة ثلثمائة فارس وقال لهم ارسلوا النفقات الى بيوتكم لاني مقيم هنا على هذه المدينة سنين واعواما حتى آخذ ثار اخي شركان او اموت في هذا المكان فلما سمعت العساكر هذا الكلام اخذوا ما اعطاه لهم من الاموال واجابوا بالسمع والطاعة واحضر ضوء المكان القصّاد واعطاهم الكتب واوصاهم بايصالها وايصال الاموال الى بيوت العساكر وان يخبروهم بانهم سالمون مطمئنون واعلموهم اننا في حصار القسطنطينية اما ان نخرّبها او نموت ولو اقمنا شهورا واعواما ما نرحل عنها الا بفتحها ثم امر

الوزير دندان ان يكتب كتابا الى اخيه [illegible] له
اعلمها بما وقع لنا وما نحن فيه واو [illegible] لاني
خرجت كانت زوجتي قريبة من الولادة وما بقي الآن الا وقت
فان كانت رزقت ولدا كما سمعت فاسرع في العود [illegible]
ثم وهبهم شيأ من المال فاخذوه وسافروا من وقتهم [illegible]
الناس لوداعهم واوصوهم على اموالهم ثم [illegible]
الملك على الوزير دندان وامره ان [illegible]
قرب السور فزحفوا فلم يجدوا احدا على الا [illegible]
ذلك وبقي السلطان مهموما لذلك حزينا على [illegible]
شركان متحيرا على الزاهد الخوّان فاقاموا على ذلك [illegible]
فلم يروا احدا هذا ما كان من امر المسلمين [illegible]
امر الروم وسبب غيابهم عن القتال في مدة [illegible]
ذات الدواهي لما قتلت شركان اسرعت في [illegible]
وصاحت بلسان الروم للحرّاس ان يدلوا لها الحبل [illegible]
من انت فقالت انا ذات الدواهي فعرفوها وادلوا [illegible]
فربطت نفسها وسحبوها فلما وصلت اليهم دخلت على [illegible]
افريدون فقالت له ما هذا الذي سمعته من المسلمين [illegible]
ان ابني حردوب قتل فقال نعم فصاحت وبكت [illegible]
حتى ابكت افريدون ومن حضر عنده ثم اعلمت افريدون [illegible]
شركان وثلثين من الغلمان ففرح افريدون بذلك وشكرها [illegible]
يديها ودعى لها بالصبر على ولدها فقالت وحق المسيح اني لم
ارض بقتل كلب من كلاب المسلمين في ثأر ملك من ملوك الزمان
ولا بد اني اعمل حيلة وادبّر مكيدة اقتل بها السلطان ضوء المكان

والوزير دندان والحاجب ورستم وبهرام وعشرة آلاف فارس من عسكر الاسلام ولاتروح راس والا براس شركان ولا يكون ذلك ابدا ثم قالت للملك افريدون اعلم يا ملك الزمان انّي اريد ان اقيم على ولدي الاحزان واقطع الزنّار واكسر الصلبان فقال افريدون افعلي ما شئت فانّي لا اخالف لك امرا ولو عملت حزنك زمانا طويلا لكان قليلا فان المسلمين لو ارادوا يحاصروننا سنين واعواما لم ينالوا منا اربا ولا ينالهم منا غير التعب والنصب ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التي عملتها والمخازي التي لنفسها ابدتها اخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهي ذات الدواهي الى حضرة المسلمين اعلموا اني دخلت بلادكم وغششت بلؤمي كرامكم وقتلت سابقا ملككم عمر بن النعمان في وسط قصره وقتلت ايضا في وقعة الشعب والمغارة رجالا كثيرا وآخر من قتلته شركان وغلمانه ولوساعدني الزمان وطاوعني الشيطان لابد من قتل السلطان والوزير دندان وانا الذي اتيت اليكم في زيّ الزاهد وانطلقت عليكم مني الحيل والمكائد فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك انفسكم فعن الاقامة لاتعدلوا فلو اقمتم سنين واعواما فما تبلغون منّا مراما والسلام وبعد ان كتبت الكتاب اقامت في حزنها على الملك حردوب ثلثة ايام وفي اليوم الرابع دعت بطريقا وامرته ان يأخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكي على فقد ولدها وقالت لمن تسلطن بعده لابد ان اقتل ضوء المكان وجميع امراء الاسلام هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر المسلمين فانهم اقاموا ثلثة ايام في هم واغتمام

وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا بطريق معه سهم
نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فامر السلطان
الوزير دندان ان يقرأه فلما قرأه وسمع مافيه وعرف معناه هملت
بالدموع عيناه وصاح وتضجّر من مكرها وقال والله لقد كان
قلبي نافرا منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا
الحيلة مرّتين ولكن والله لا احول من هنا حتى املأ فرجها بمسبوك
الرصاص واسجنها سجن الطير في الاقفاص وبعد ذلك اربطها من
شعرها واصلّبها على باب القسطنطينية ثم انه تذكّر اخاه فبكى بكاء شديدا ثم
ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي واخبرتهم بما حصل فرحوا
بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم ان المسلمين رجعوا على باب
القسطنطينية ووعدهم السلطان انه ان فتح المدينة فرّق اموالها
عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تنشف دموعه حزنا على اخيه
وعرى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان
وقال له طب نفسا وقرّ عينا فان اخاك ما مات الا باجله وليس في
هذا الحزن فائدة وما احسن قول الشاعر حيث قال

مَالا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ ... أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ دَائِمًا مَغْبُونُ

فدع البكاء والنواح وقوِّ قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير ان
قلبي مهموم من اجل موت ابي واخي ومن اجل غيابنا عن
بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون
وما زالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم
كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة امير من امرائه

[illegible] ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان
[illegible] الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شان بسبب
[illegible] له من العجائب والغرائب وقد امرت العلماء والخطباء
ان [illegible] ما [illegible] و [illegible] كل صلوة وانا طيبون بخير
والامطار [illegible] في غاية النعمة الجزيلة وعنده
[illegible] ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال
ضوء المكان الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة

[illegible] الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما اتاه الخبر بان
[illegible] ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الآن اشتد ظهري
حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان ثم قال للوزير دندان اني اريد ان
[illegible] هذا الحزن واعمل لاخي ختمات وامورا من الخيرات فقال
الوزير [illegible] ما اردت ثم امر بنصب الخيام على قبر اخيه فنصبوها
[illegible] من العسكر [illegible] القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم
[illegible] الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر اخيه
[illegible] وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

[illegible] به وانظر [illegible] خلفه ... صَعَقاتُ مُوسَى يَومَ دَكِّ الطُّورِ
[illegible] كان [illegible] ... فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَعْفُورُ
[illegible] قبل نعشك ان ارى ... رَضْوَى عَلَى اَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ
[illegible] ولا من قبل دفنك في الثرى ... اَنَّ الكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُورُ
[illegible] قرارة ... فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَ النُّورُ

كَفَل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع اساس ثم اتى الى القبر ورمى نفسه عليه وهو حائر وانشد الوزير قول الشاعر

تَرَكْتَ الَّتِي يَفْنَى بِتِلْكَ الَّتِي تَبْقَى وَمِثْلُكَ اقْوَامٌ وَعُدْ سَبَعُوا سَبْقَا

وَفَارَقْتَ هَذِي الدَّارَ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ فَمَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا تَسُرُّ بِمَا تَلْقَى

وَكُنْتَ مِنَ الْأَعْدَاءِ تُبْقِي وِقَايَةً اذَا مَا سِهَامُ الْحَرْبِ سَاوَتِ الرِّشْقَا

أَرَى هَذِهِ الدُّنْيَا غُرُورًا وَبَاطِلًا وَجُلُّ مُرَادِ الْخَلْقِ انْ يَبْلُغُوا الْحَقَّا

حَبَاكَ إِلَهُ الْعَرْشِ فَوْزًا بِجَنَّةٍ وَاسْكَنَكَ الْهَادِي بِمَا سَعَدْتَ صِدْقَا

وَإِنِّي وَقَدْ أَمْسَيْتُ فِيكَ بِحَسْرَةٍ أَرَى الْغَرْبَ مَحْزُونًا بِفَقْدِكَ وَالشَّرْقَا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديدا وندرت عيونه الدموع درا نضيدا ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان وبكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما لشركان من المكرمات وانشد شعرا يقول

أَيْنَ الْعَطَاءُ وَكَفُّ جُودِكَ فِي الثَّرَى وَالْجِسْمُ بَعْدَكَ يَا سَنَامَ مَا دَرَى

يَا حَادِيَ الْأَظْعَانِ سَرَّكَ مَا تَرَى كَتَبَتْ دُمُوعِي فَوْقَ خَدِّي أَسْطُرًا

تُعْجِبُنِي بِهَا وَتِلْكَ مِنْهَا مَنْظَرَا

وَاللهِ مَا حَدَّثْتُ عَنْكَ ضَمَائِرِي كَلَّا وَلَا خَطَرَتْ عُلَاكَ بِخَاطِرِي

إِلَّا وَقَدْ جَرَحَ الدُّمُوعُ مَحَاجِرِي وَإِذَا صَرَفْتُ إِلَى سِوَاكَ نَوَاظِرِي

جَذَبَ الْغَرَامُ عِنَانَ طَرْفِي فِي الْكَرَى

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج
جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام واقبل السلطان
على الوزير دندان واخذا يتشاوران في امر القتال واستمرا على
ذلك اياما ولياليَ وضوء المكان يتضجّر من الهمّ والاحزان ثم
قال اني اشتهي سماع اخبار الناس واحاديث الملوك وحكايات
المتيّمين لعل الله يفرج مابقلبي من الهم الشديد ويذهب
عنّي البكاء والعديد فقال الوزير ان كان ما يفرج همّك الّا سماع
قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين
وغيرهم فان هذا امر سهل لانني لم يكن لي شغل في حياة المرحوم
والدك الا بالحكايات والاشعار وفي هذه الليلة احدّثك بخبر العاشق
والمعشوق لاجل ان ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام
الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الّا
بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع مايحكيه الوزير دندان من
اخبار المتقدمين من الملوك والمتيّمين فما صدق ان الليل اقبل
حتى امر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليه من
الاكل والشرب وآلات البخور فاحضروا له جميع ذلك ثم ارسل
الى الوزير دندان فحضر وارسل الى بهرام ورستم وتركاش
والحاجب الكبير فحضروا فلمّا حضر جميعهم بين يديه التفت الى
الوزير دندان وقال له اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل
جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات
فقال الوزير حبا وكرامة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما اعد الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة اعلم ايها الملك السعيد انه بلغني من حكاية العاشق والمعشوق والمتكلم بينهما وماجرى لهم من العجائب والغرائب ما يزيل الهم عن القلوب ويسلي عن مثل حزن يعقوب وهو انه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال اصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان شاه وكان صاحب جود واحسان وعدل وامان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان واقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عز وامان الّا انه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق انه ارسل الى وزيره يوما من الايام واحضره بين يديه وقال له يا وزيري انه قد ضاق صدري وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام على كل امير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفه الاولاد ويتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مُبَاهٍ بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأي يا وزير فشر عليّ بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينه بالانسجام وقال له هيهات يا ملك

الزمان ان اتكلم فيما هو من خصائص الرحمن اتريد ان ادخل النار بسخط الملك الجبار فاشتر جارية فقال له الملك اعلم ايها الوزير ان الملك اذا اشترى جارية لايعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لايدري خساسة اصلها حتى يجتنبها ولاشرف عنصرها حتى يتسرى بها فاذا افضى اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظالما سافكا للدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما امر به ولا يجتنب ما عنه نهاه فانا لا اتسبب في هذا بشراء جارية ابدا وانما مرادي ان تخطب لي بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتني على ذات النسب والدين من بنات الملوك المسلمين فاني اخطبها واتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لي بذلك رضاء رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلّغك امنيتك فقال له اعلم ايها الملك انه بلغني ان الملك زهرشاه صاحب الارض البيضاء له بنت بارعة الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ادبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هَيْفَاءُ تُخْجِلُ غُصْنَ الْبَانِ قَامَتُهَا ... لَمْ يَحْكِ طَلْعَتَهَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

كَأَنَّمَا رِيقُهَا شَهْدٌ وَقَدْ مُزِجَتْ ... بِهِ الْمُدَامَةُ لَكِنْ ثَغْرُهَا دُرَرُ

مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ لَهَا ... وَجْهٌ جَمِيلٌ وَفِي أَلْحَاظِهَا حَوَرُ

وَكَمْ لَهَا مِنْ قَتِيلٍ مَاتَ مِنْ كَمَدٍ ... وَفِي طَرِيقِ هَوَاهَا الْخَوْفُ وَالْخَطَرُ

إِنْ عِشْتُ فَهِيَ الْمُنَى مَا عِشْتُ أَذْكُرُهَا ... أَوْ مُتُّ مِنْ دُونِهَا لَمْ يُجْدِنِي الْعُمُرُ

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأي عندي ايها الملك ان ترسل الى ابيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجرّبا لتصاريف الدهور ليتلطّف في خطبتها لك من ابيها فانها لانظير لها في قاصي الارض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لارهبانيّة في الاسلام فعند ذلك توجه الي الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم اقبل على الوزير وقال له اعلم ايها الوزير انه لايتوجه الى هذا الامر الا انت لكمال عقلك وادبك فقم الى منزلك واقض اشغالك وتجهز في غد واخطب لي هذه البنت التي اشغلت بها خاطري ولاتعُدْ اليّ الّابها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التي تصلح للملوك من الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل ثقيل في الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال التي يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجّه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على راسه الرايات والاعلام واوصاه الملك ان ياتي اليه في مدة قليلة من الايام وبعد توجّهه صار الملك سليمان شاه على مقالي النار مشغولا بحبّها في الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوي براري وقفارا حتى بقي بينه وبين المدينة التي هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر واحضر بعض خواصه وامره ان يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة

الى تلك المدينة فلمّا قدم عليها وافق قدومه ان الملك زهر شاه كان جالسا في بعض المتنزهات قدّام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف انه غريب فامر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول اخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمـــان شاه صاحب الارض الخضراء وجبال اصفهان ففرح الملك زهرشاه ورحّب بالرسول واخذه وتوجه الى قصره وقال اين فارقت الوزير فقال فارقته في اول النهار على شاطئ النهر الفلاني وفي غد يكون واصلا اليك ادام الله نعمته عليك ورحم والديك فامر زهر شاه بعض وزرائه ان ياخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وارباب دولته ويخرج بهم الى مقابلته تعظيمـــا للملك سليمان شاه لان حكمه نافذ في الارض هذا ماكان من امر زهرشاه واما ماكان من امر الوزير فانه استقر في مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجّها الى المدينة فلما لاح الصباح واشرقت الشمس على الروابي والبطاح لم يشعـــر الا ووزير الملك زهرشاه وحجابـــه وارباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فايقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان الذي لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجّل الوزير وسعى على قدميـــه حتى وصل الى ايوان عال وفي صدر ذلك الايوان سرير من المـــرمر مرصّع بالدر والجوهر وله اربعة قوائم من انياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمـــر ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجـــوهر والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وارباب دولته واقفون في خدمته فلما دخل الوزير عليه

وصار بين يديه ثبّت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشـــاه ثبّت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلّم بكلام البلغاء واشار الى الملك بلطف التفات وانشد هذه الابـــــيــــــات

وَافَى وَاقبل في الغلائلِ ينثني ... يولي النّدى للمجتنى والمجتني
وَرَقَى فَمَا تُغْنِي التَّمَائِمُ وَالرُّقَا ... وَالسِّحْرُ مِن لَحَظَاتِ تِلْكَ الْأَعْيُنِ
قُلْ لِلعَوَاذِلِ لَاتَلُومُوا إِنَّنِي ... طُولَ الْمَدَى عَنْ حُبِّهِ لَا أَنْثَنِي
حَتَّى فُؤَادِي خَانَنِي وَوَفَى لَهُ ... وَكَذَا الرُّقَادُ صَبَا إِلَيْهِ وَمَلَّنِي
يَاقَلْبُ مَا أَمْسَيْتَ وَحدَكَ رَائِمًا ... فَامْكُثْ لَدَيْهِ وَإِنْ تَكُنْ أَوحَشْتَنِي
لَا شَيْءَ يُطْرِبُ مَسْمَعِي بِسِمَاعِهِ ... إِلَّا الثَّنَاءُ لِـزَهْرِشَاهِ أَجْتَنِي
مَلِكٌ إِذَا أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ ... فِي نَظْرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ أَنْتَ الْغَنِي
وَإِذَا انْتَخَبْتَ لَهُ دُعَاءً صَالِحًا ... لَمْ تَلْقَ غَيْرَ مُشَارِكٍ وَمُؤَمِّنِ
يَا أَهْلَ ذَا الْمُلْكِ الَّذِي مَنْ فَاتَهُ ... وَرَجَا سِوَاهُ فَمَا أَرَاهُ بِمُؤْمِنِ

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربّه الملك زهرشاه واكرمه غاية الاكرام واجلسه بجانبه وتبسم في وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط في ذلك الايوان فاكلـــوا جميعا حتى اكتفـــوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من في

المجلس ولم يبق الا الخواص فلما راى الوزير خلوّ المكان نهض قائما
على قدميه واثنى على الملك وقبّل الارض بين يديه ثم قال
ايها الملك الكبير والسيد الخطير اني سعيت اليك وقدمت عليك
في امر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو انّي قد اتيتك رسولا
خاطبا وفي بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان
شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء
وجبال اصفهان وقد ارسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة
وهو في مصاهرتك راغب فهل انت له كذلك طالب ثم انه سكت
ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه ذلك الكلام نهض قائما على
الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك
للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك اثنى على ذي الجلال والاكرام
وقال وهو في حالة القيام ايها الوزير المعظّم والسيد المكرّم اسمع
ما اقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه
ونتنافس فيه وابنتي جارية من جملة جواريه وهذا اجلّ مرادي
ليكون ذخري واعتمادي ثم انه احضر القضاة والشهود وشهدوا
ان الملك سليمان شاه وكّل وزيره في الزواج وتولّى الملك زهر
شاه عقد بنته بابتهاج ثم ان القضاة احكموا عقد النكاح ودعوا لهما
بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير واحضر ما جاء به من الهدايا
ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه ثم ان الملك
اخذ في تجهيز ابنته واكرام الوزير وعمّ بولائمه العظيم والحقير.
واستمرّ في اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيأ مما يسرّ
القلب والعين ولما تمّ ما تحتاج اليه العروسة امر الملك باخراج

الخيام فضربت بظاهر المدينة و عبوا القماش فى الصناديق و هيئوا الجوارى الروميات والوصائف التركيات و اصحب العروسة بنفيس الذخائر و ثمين الجواهر ثم صنع لها محفة من الذهب الاحمر مرصّعة بالدر والجوهر و افرد لها عشرين بغالا للمسير وصارت تلك المحفة كانها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كانها حورية من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال وحملوها على البغال والجمال و توجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلثة فراسخ ثم ودّع الوزير و من معه و رجع الى الاوطان في فرح و امان و توجه الوزير با بنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار وا درك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير توجه با بنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجدّ السير فى الليل والنهار حتى بقي بينه وبين بلاده ثلثة ايام ثم ارسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فاسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك واخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول و امر عساكره ان يخرجوا في موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وان تكونوا في احسن البهجات وان ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا امره ونادى مناد في المدينة انه لا تبقى بنت مخدرة ولا حرة موقّرة ولا عجوز مكسّرة الا وتخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها وسعت كبراؤهم في خدمتها واتفقوا على ان يتوجهوا بها في الليل الى قصر الملك

واتفق ارباب الدولة على ان يزيّنوا الطريق وان يقفوا حتى تمرّ بهم العروسة والخدام قدامها والجواري بين يديها وعليها الخلعة التي اعطاها لها ابوها فلما اقبلت احاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفّة سائرة بها الى ان قربت من القصر ولم يبق احد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدّمت الغلمان بالمحفّة الى باب السّر فاضاء المكان ببهجتها واشرقت جهاته بحلي زينتها فلما اقبل الليل فتح الخدام ابواب السرادق ووقفوا وهم محتاطون بالباب ثم جاءت العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم اوالدرّة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك واوقع الله محبتها في قلبه فازال بكارتها وزال ماكان عنده من القلق والقهر واقام عندها نحو شهر فعلقت منه في اول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل في رعيّته الى ان وفت اشهرها وفي آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسي الطلق وهوّن الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا واعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجّه الى الغلام وقبّله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

اَللّٰهُ خَوَّلَ مِنْهُ آجَامَ الْعُلاَ ... اَسَدًا وَآفَاقَ الرِّآسَةِ كَوْكَبَا

هَشَّتْ لِمَطْلَعِهِ الْاَسِنَّةُ وَالْاَسِرَّةُ وَالْمَحَافِلُ وَالْجَحَافِلُ وَالظُّبَى
لَا تُرْكِبُوهُ عَلَى النُّهُودِ فَاِنَّهُ لَيَرَى ظُهُورَ الْخَيْلِ اَوْطَاءَ مَرْكَبَا
وَلْتَفْطِمُوهُ عَنِ الرَّضَاعِ فَاِنَّهُ لَيَرَى دَمَ الْاَعْدَاءِ اَحْلَى مَشْرَبَا

ثم ان الدايات اخذن ذلك المولود وقطعن سرّته وكحّلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدي الدلال وتربّى في حجر الاقبال ولازالت الايام تجري والاعوام تمضي حتى صارله من العمر سبع سنين فعند ذلك احضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وامرهم ان يعلّموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه الملك احضره من عند الفقهاء والمعلمين واحضرله استاذا يعلّمه الفروسية فلم يزل يعلّمه حتى صارله من العمر اربعة عشر سنة وكان اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر في الفروسية وفاق اهل زمانه صارمن فرط جمـاله اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت في محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر

عَانَقْتُهُ فَسَكِرْتُ مِنْ طِيبِ الشَّذَى غُصْنًا رَطِيبًا بِالنَّسِيمِ قَدِ اغْتَذَى

سَكْرَانُ مَا شَرِبَ الْمُدَامَ وَإِنَّمَا ... أَمْسَى بِخَمْرِ رُضَابِهِ مُتَنَبِّلَا
أَضْحَى الْجَمَالُ بِأَسْرِهِ فِي أَسْرِهِ ... فَلِأَجْلِ ذَاكَ عَلَى الْقُلُوبِ اسْتَحْوَذَا
وَاللّٰهِ مَا خَطَرَ السُّلُوُّ بِخَاطِرِي ... مَا دُمْتُ فِي قَيْدِ الْحَيٰوةِ وَلَا إِذَا
إِنْ عِشْتُ عِشْتُ عَلَى هَوَاهُ وَإِنْ أَمُتْ ... وَجْدًا بِهِ وَصَبَابَةً يَا حَبَّذَا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دبّ عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانهما خال كنقطة عنبر وصار يسبى العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

أَضْحَى لِيُوسُفَ فِي الْجَمَالِ خَلِيفَةً ... تَخْشَاهُ كُلُّ الْعَاشِقِينَ إِذَا بَدَا
عَرِّجْ مَعِي وَانْظُرْ إِلَيْهِ لِكَيْ تَرَى ... فِي خَدِّهِ عَلَمَ الْخِلَافَةِ أَسْوَدَا

وكما قال الآخر

مَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... فِيمَا يُرَى مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ
كَالشَّامَةِ الْخَضْرَاءِ فَوْقَ أَوْجُنَةٍ ... الْحَمْرَاءِ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السَّوْدَاءِ

وكما قال الآخر

عَجِبْتُ بِخَالٍ يَعْبُدُ النَّارَ دَائِمًا ... بِخَدِّكَ لَمْ يَحْرِقْ بِهَا وَهُوَ كَافِرُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّ بِاللَّحْظِ مُرْسَلًا ... يُصَدِّقُ بِالْآيَاتِ وَهُوَ لَسَاحِرُ
وَمَا اخْضَرَّ ذَاكَ الْخَدُّ نَبْتًا وَإِنَّمَا ... لِكَثْرَةِ مَا شُقَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَائِرُ

وكما قال الآخر

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ سُؤَالِ النَّاسِ عَنْ ... مَاءِ الْحَيٰوةِ بِأَيِّ أَرْضٍ مُنْهَمِرٍ
وَلَقَدْ أَرَاهُ بِثَغْرِ ظَبْيٍ أَغْيَدٍ ... حُلْوِ اللَّمَى وَعَلَيْهِ شَارِبُهُ الْخَضِرْ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مُوسَى يَلْتَقِي ... مَعَهُ هُنَالِكَ سَائِلًا لَمْ يَصْطَبِرْ

فلما صار بتلك الحالة وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خازان اصحاب واحباب وكل من تقرّب اليه يرجوانه يصير سلطانا بعد موت ابيه وانه يكون عنده اميرا ثم انه تعلّق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البرّ والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق انه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة ايام فامتثلوا ما امرهم به فلما خرج باتباعه للصيد والقنص ساروا فى البرّ و لم يزالوا سائرين اربعة ايام حتى اشرفوا على ارض خضراء فرأوا فيها وحوشا راتعة واشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا واوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند راس الحلقة فى المكان الفلاني فامتثلوا امره ونصبوا الحبائل واوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شيء كثير من اصناف الوحوش والغزلان الى ان ضجت منهم الوحوش وتنافرت في وجوه الخيل فاغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فاصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد اخذوا من الوحوش شيئا كثيرا وهرب الباقي وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء واحضر الصيد وقسّمه وافرد لابيه سليمان شاه خاص الوحوش وارسله اليه وفرّق البعض على ارباب دولته وبات تلك الليلة في ذلك المكان فلما اصبح الصباح اقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجّار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض اصحابه ائتني بخبر هولاء واسالهم لايّ شيء نزلوا في هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم اخبرونا من انتم واسرعوا في ردّ الجواب فقالوا له نحن

تجّار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا في هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم ان كل من نزل عنده صار في امان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من اجل ولده تاج الملوك فرجع الرسل الى ابن الملك واعلمه بحقيقة الحال واخبره بما سمعه من التجّار فقال ابن الملك اذا كان معهم شيء جاؤا به من اجلي فما ادخل المدينة ولا ارحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى ان اشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة بالدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وارسل الى التجار وامرهم ان يحضروا بجميع ما معهم فاقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضاعتهم واخذ منها ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب واراد ان يسير فلاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني بجبين ازهر ووجه اقمر الّا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني الّا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة

الاحباب و زاده الانين والانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طَالَ الفِرَاقُ وَدَامَ الهَمُّ وَالوَجَلُ ... وَالدَّمعُ مِن مُقلَتِي يَا صَاحِ مُنهَمِلُ
وَالقَلبُ وَدَّعتُهُ يَومَ الفِرَاقِ وَقَد ... بَقِيتُ فَردًا فَلَا قَلبٌ وَلَا أَمَلُ
يَا صَاحِبِي قِف مَعِي حَتَّى أُوَدِّعَ مَن ... مِن نُطقِهَا تَشتَفِي الأَمرَاضُ وَالعِلَلُ

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة و غشي عليه و تاج الملوك ناظر اليه و هو يتعجب من امره فلما افاق رنا بفاتك اللحظات و انشد هذه الابيات

خُذُوا حِذرَكُم مِن طَرفِهَا فَهُوَ سَاحِرُ ... وَلَيسَ بِنَاجٍ مَن رَمَتهُ المَحَاجِرُ
فَإِنَّ العُيُونَ السُّودَ وَهيَ نَوَاعِسٌ ... تَقُدُّ السُّيُوفَ البِيضَ وَهيَ بَوَاتِرُ
وَلَا تَنخَدِعُوا مِن رِقَّةٍ فِي كَلَامِهَا ... فَإِنَّ الحُمَيَّا لِلعُقُولِ تُخَامِرُ
مُنَعَّمَةُ الأَطرَافِ لَو مَسَّ جِسمُهَا ... حَرِيرٌ لَأَدمَاهُ وَهَا أَنتَ نَاظِرُ
بَعِيدَةُ مَا بَينَ المُخَلخَلِ وَالطُّلَا ... وَأَينَ الشَّذَا مِن طِيبِهَا وَهُوَ عَاطِرُ

ثم شهق شهقة فغشي عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحيّر في امره و تمشى اليه فلما افاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على راسه فنهض قائما على قدميه و قبّل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لايّ شيءٍ لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاي ان بضاعتي ليس فيها شيءٌ يصلح لحضرة سعادتك فقال لا بد ان تعرض عليّ ما معك و تخبرني بحالك فاني اراك باكي العين حزين القلب فان كنت مظلوما ازلنا ظلامتك و ان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من اجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك

امر بنصب كرسيين فنصبوا له كرسيا من العاج والآبنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وامر الشاب ان يجلس على البساط وقال له اعرض عليّ بضاعتك فقال له الشاب يا مولاي لا تذكر لي ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لا بدّ من ذلك ثم امر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهرا عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وانّ واشتكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيـــــــــات

بِمَا بِجَفْنَيْكَ مِنْ غُنْجٍ وَمِنْ كَحَلٍ ... وَمَا بِقَدِّكَ مِنْ لِينٍ وَمِنْ مَيَلِ
وَمَا بِثَغْرِكَ مِنْ خَمْرٍ وَمِنْ شَهْدٍ ... وَمَا بِطَبْعِكَ مِنْ لُطْفٍ وَمِنْ مَلَلِ
عِنْدِي زِيَارَةُ طَيْفٍ مِنْكَ يَا أَمَلِي ... أَحْلَى مِنَ الأَمْنِ عِنْدَ الخَائِفِ الوَجِلِ

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضهـــا على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة واخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوي الفي دينار فلما فتح الثوب وقعت من وسطـــه خرقة فاخذها الشاب بسرعة ووضعهـــا تحت وركه وقد ذهل عن المعقـــول وانشد يقـــــــــــــــــــــول

مَتَى يَشْتَفِي مِنْكَ الفُؤَادُ المُعَذَّبُ ... وَنَجْمُ الثُّرَيَّا مِنْ وِصَـــالِكَ أَقْرَبُ
بِعَـــادٌ وَهَجْرٌ وَاشْتِيَاقٌ وَلَوْعَةٌ ... وَمَطْلٌ وَتَسْوِيفٌ بِهِ العُمْرُ يَذْهَبُ
فَلَا الوَصْلُ يُحْيِينِي وَلَا الهَجْرُ قَاتِلِي ... وَلَا البُعْدُ يُدْنِينِي وَلَا أَنْتَ تَقْرُبُ
وَمَا مِنْكَ إِنْصَافٌ وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ ... وَلَا مِنْكَ إِسْعَافٌ وَلَا عَنْكَ مَهْرَبُ
وَبِي حُبُّكُمْ ضَاقَتْ جَمِيعُ مَذَاهِبِي ... عَلَيَّ فَلَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

فتعجب تاج الملـــوك من انشـــاده غاية العجب ولم يعلم لذلك

من سبب ولما اخذ الخرقة و وضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ما هذه الخرقة فقال يا مولاي ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك ارني اياها قال له يا مولاي انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الّا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لا بدّ من كوني انظر اليها ولحّ عليه و اغتاظ فاخرجها من تحت ركبته وبكى و انّ و اشتكى و اكثر من الانات و انشد هذه الابيات

لَا تَعْذُلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُوجِعُهُ ... قَدْ قُلْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
أَسْتَوْدِعُ اللهَ فِي الْبَطْحَاءِ لِي قَمَرًا ... بِالْحَيِّ مِنْ فَلَكِ الْأَزْرَارِ مَطْلِعُهُ
وَدَّعْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُنِي ... صَفْوُ الْحَيَاةِ وَإِنِّي لَا أُوَدِّعُهُ
وَكَمْ تَشَفَّعَ بِي يَوْمَ الْفِرَاقِ ضُحًى ... وَأَدْمُعِي مُسْتَهِلَّاتٌ وَأَدْمُعُهُ
لَا أَكْذَبَ اللهُ ثَوْبُ الْعُذْرِ مُنْخَرِقٌ ... عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أَرْقَعُهُ
لَا يَسْتَقِرُّ لِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَذَا ... لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ
وَقَدْ سَعَى الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدٍ ... عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ
وَصُبَّتِ الْهَمَّ صِرْفًا عِنْدَ مَا مَلَأَتْ ... كَأْسًا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أُجَرِّعُهُ

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك ارى احوالك غير مستقيمة فاخبرني ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب

ذكر الخرقة تنهد وقال يا مولاي ان حديثي عجيب وامري غريب مع هذه
الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها
صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة
غزال آخر وهي مرقومة بالفضة وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلث
قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته
قال سبحان الله الذي علّم الانسان مالم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك
بحديث هذا الشاب فقال له احك لي قصتك مع صاحبة هذا الغزال
فقال له اعلم يا مولاي ان ابي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيري
وكان لي بنت عم تربيت انا واياها في بيت ابي لان اباها مات
وكان قبل موته تعاهد هو وابي على ان يزوجاني بها فلما بلغت
مبلغ الرجال وبلغت هي مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها
ثم تحدث والدي مع امي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيز
على عزيزة واتفق مع امي على هذا الامر ثم شرع ابي في تجهيز مؤن
الولا ثم هذا كله وانا وبنت عمي ننام مع بعضنا في فراش واحد
ولم ندر كيف الحال وكانت هي اشعر مني واعرف وادرى فلما جهز
ابي ادوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمي
اراد ابي ان يكتب الكتاب بعد صلوة الجمعة ثم توجه الى اصحابه
من التجار وغيرهم واعلمهم بذلك ومضت امي وعزمت اصحابها
من النساء ودعت اقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدّة
للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا في دارنا البسط ووضعوا فيها مايحتاج
اليه الامر بعد ان زوّقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس
على ان يجيئوا بيتنا بعد صلوة الجمعة ثم مضى ابي وعمل الحلويات
واطباق السكر وما بقي غير كتب الكتاب وقد ارسلتني امي الى الحمام

وارسلت خلفي بدلة جديدة من افخر الثياب فلما خرجت من الحمام
لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها
رائحة زكية عبقت في الطريق ثم اردت ان اذهب الى الجامع فتذكرت
صاحبا لي فرجعت افتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت في نفسي
اشتغل بهذا الامر الى ان يقرب وقت الصلوة ثم اني دخلت زقاقا
ما دخلته قط وكنت عرقانا من اثر الحمام والقماش الجديد الذي
على جسدي فساح عرقي وفاحت روائحي فقعدت في راس الزقاق
لا رتاح على مسطبة و فرشت تحتي منديلا مطرزا كان معي فاشتد
عليّ الحر فعرق جبيني وصار العرق ينحدر على وجهي ولم يمكنني
مسح العرق عن وجهي بالمنديل لانه مفروش تحتي فاردت ان آخذ
فرجيتي وامسح به وجنتي فما دري الا ومنديل ابيض وقع عليّ من فوق
وكان ذلك المنديل ارق من النسيم ورؤيته الطف من شفاء السقيم
فمسكته بيدي ورفعت راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل
فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال و ادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فرفعت
راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين
صاحبة هذا الغزال و اذا بها مطلة من طاقة في شباك من نحاس
لم تر عيني اجمل منها و بالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما راتني
نظرت اليها فوضعت اصبعها في فمها ثم اخذت اصبعها الوسطاني
والصقتها باصبعها الشاهد و وضعتهما على صدرها بين نهديها ثم

ادخلت راسها من الطاقة وسدت باب الطاقة و انصرفت فانطلقت في قلبي النار و زاد به الاشتعار واعقبتني النظرة الف حسرة و تحيرت فلم اسمع ماقالت ولم افهم مابه اشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم اسمع حسا و لم ار شخصا فلمايئست من رؤيتها قمت على حيلي من مكاني واخذت المنديل معي ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كانني في الجنة ثم نشرته بين يدي فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بَعَثْتُ اِلَيْهِ اَشْكُو مِنَ الْجَوَى ... بِخَطٍّ رَقِيقٍ وَالْخُطُوطُ فُنُونُ
فَقَالَ خَلِيلِي مَا لِخَطِّكَ هٰكَذَا ... رَقِيقًا دَقِيقًا لَا يَكَادُ يَبِينُ
فَقُلْتُ لِاَنِّي فِي نُحُولٍ وَدِقَّةٍ ... كَذَاكَ خُطُوطُ الْعَاشِقِينَ تَكُونُ

ثم بعد ان قرأت الابيات اطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في احدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين

كَتَبَ الْعِذَارُ وَيَا لَهُ مِنْ كَاتِبٍ ... سَطْرَيْنِ فِي خَدَّيْهِ بِالرَّيْحَانِ
وَاحَيْرَةَ الْقَمَرَيْنِ مِنْهُ اِذَا بَدَا ... وَاِذَا انْثَنَى وَاخَجْلَةَ الْاَغْصَانِ

ومسطر فى الحاشية الاخرى هذان البيتان

كَتَبَ الْعِذَارُ بِعَنْبَرٍ فِي لُؤْلُؤٍ ... سَطْرَيْنِ مِنْ سَبَجٍ عَلَى تُفَّاحِ
اَلْقَتْلُ فِي الْحَدَقِ الْمِرَاضِ اِذَا رَنَتْ ... وَالسُّكْرُ فِي الْوَجَنَاتِ لَا فِي الرَّاحِ

فلمارأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق في فؤادي لهيب النار وزادت بي الاشواق والافكار واخذت المنديل والورقة واتيت بهما الى

ص ارانا لا ادري لي حيلة فى الوصال ولا استطيع فى العشق تفصيل

الا جمال فما وصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمي جالسة تبكي فلما رأتني مسحت دموعها واقبلت عليّ وقلعتني الثياب وسألتني عن سبب غيابي واخبرتني ان جميع الناس من امراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا وحضر القاضي والشهود واكلوا الطعام واستمرّوا مدة جالسين ينتظرون حضورك من اجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورك تفرّقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لي ان اباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لا يكتب كتابنا الا في السنة القابلة لانه غرم في هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لي ما الذي جرى لك في هذا اليوم حتى تأخّرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها يابنت عمي لاتسألي عما جرى لي وذكرتُ لها المنديل واخبرتها بالخبر من اوله الى آخره فاخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وانشدت هذه الابيات

مَنْ قَالَ اَوَّلُ الهَوَى اخْتِيَارُ ... فَقُلْ كَذَبْتَ كُلُّهُ اضْطِرَارُ

وَلَيْسَ بَعْدَ الاضْطِرَارِ عَارُ ... دَلَّتْ عَلَى صِحَّتِهِ اَخْبَارُ

مَا زُيِّفَتْ عَلَى صَحِيحٍ اَنْقُدِ

فَاِنْ تَشَأْ فَقُلْ عَذَابٌ يَعْذُبُ ... اَوْ ضَرَبَانٌ فِي الْحَشَى اَوْ ضَرْبُ

اَوْ نِعْمَةٌ اَوْ نِقْمَةٌ اَوَارَبُ ... تَأْنَسُ النَّفْسُ بِهِ اَوْ تَعْطَبُ

قَدْ حِرْتُ بَيْنَ عَكْسِهِ وَالطَّرْدِ

وَمَعْ ذَا اَيَّامُهُ مَوَاسِمْ ... وَثَغْرُهَا عَلَى الدَّوَامِ بَاسِمْ

وَنَفَحَاتُ طِيبِهَا مَوَاسِمْ ... وَهُوَ لِكُلِّ مَا يَشِينُ حَاسِمْ

مَا حَلَّ قَطُّ قَلْبَ نَذْلٍ وَغْدِ

ثم هديها

ثم انها قالت لي فما قالت لك وما اشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشيءٍ غير انها وضعت اصبعها في فمها ثم ثرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها واشارت الى الارض ثم ادخلت رأسها واغلقت الطاقة ولم ارها بعد ذلك فاخذت قلبي معها فقعدت الى غياب الشمس انتظر انها تطلّ من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وجئت الى بيتي وهذه قصتي واشتهي منك ان تعينيني على ما بُليت به فرفعت رأسها اليّ وقالت يا بن عمي لو طلبت عيني لأخرجتها لك من جفوني ولا بد ان اساعدك على حاجتك واساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما انك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما اشارت به قالت اما وضع اصبعها في فمها فانه اشارة الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانما تعضّ على وصالك بالنواجذ واما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين واما الورقة فانها اشارة الى ان روحها متعلقة بك واما وضع اصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره انها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عني بطلعتك العنا واعلم يا بن عمي انها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندي من التفسير لاشاراتها ولو كنت ادخل واخرج لجمعت بينك وبينها في اسرع وقت واستركما بذيلي قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت في نفسي انا اصبر يومين ثم قعدت في البيت يومين لا ادخل ولا اخرج ولا آكل ولا اشرب ووضعت راسي في حجر بنت عمي وهي تسليني وتقول لي قوّ عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايّها الملك السعيد انّ الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفسا و قرّ عينا وقوّ عزمك والبس ثيابك وتوجّه اليها على الميعاد ثم انها قامت و غيرت اثوابي و بخّرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رايتها وقعت مغشيا عليّ ثم افقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرايت معها مرآة ومنديلا احمر وحين راتني شمّرت عن ساعديها وفتحت اصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس اصابع ثم رفعت يديها وابرزت المرآة من الطاقة واخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وأدْلَته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفّته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة واغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيرانا لا اعلم ما اشارت به واستمرّيت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها واجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

مَا لِي وَ لِلّاحِي عَلَيْكَ يُعَنِّفُ ... كَيْفَ السُّلُوُّ وَانْتَ غُصْنٌ اَهْيَفُ

يَا طَلْعَةً سَلَبَتْ فُؤَادِي وَانْثَنَتْ ... مَا لِلْهَوَى العُذْرِيِّ عَنْهَا مَصْرِفُ

تُرْكِيَّةُ الْاَلْحَاظِ تَفْعَلُ بِالحَشَى ... مَا لَيْسَ يفعله الصَّقِيلُ المُرْهَفُ

حَمَّلْتِنِي ثِقْلَ الغَرَامِ وَلَيْسَ لِي ... جَلَدٌ عَلَى حَمْلِ القَمِيصِ وَاَضْعَفُ

وَلَقَدْ بَكَيْتُ دَمًا لِقَوْلِ عَوَاذِلِي ... مِنْ جَفْنِ مَنْ تَهْوَى يَرُوعُكَ مُرْهَفُ
يَا لَيْتَ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِكَ إِنَّمَا ... جِسْمِي كَخَصْرِكَ بِالنَّحَافَةِ مُتْلَفُ
لَكَ يَا أَمِيرِي فِي الْمَلَاحَةِ نَاظِرٌ ... صَعْبٌ عَلَيَّ وَحَاجِبٌ لَا يُنْصِفُ
كَذَبَ الَّذِي قَالَ الْمَلَاحَةُ كُلُّهَا ... فِي يُوسُفٍ كَمْ فِي جَمَالِكَ يُوسُفُ
أَتَكَلَّفُ الْإِعْرَاضَ عَنْكَ مَخَافَةً ... مِنْ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ كَمْ أَتَكَلَّفُ

فلما سمعتُ شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت عليّ الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت اليّ وحملتني وقلعتني الثوابي ومسحت وجهي بكمّها ثم سالتني عن ماجرى لي فحكيت لها جميع ما حصل لي منها فقالت يابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة اصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة ايام واما اشارتها بالمرآة وادلاء المنديل الاحمر ورفعه وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكّان الصبّاغ حتى ياتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يابنت عمي انك تصدقينني في هذا التفسير لاني رايت في الزقاق صبّاغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قوّ عزمك وثبّت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلّد على حرّ الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم اخذت تسليني بالكلام واتت لي بالطعام فاخذت لقمة واردت ان آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفرّلوني وتغيّرت محاسني لاني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في هذه المرة فضعفتُ وضعفتْ بنت عمي من اجلي وصارت تذكر لي احوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة الى ان انام وكنت

استيقظ فاجدها سهرانة من اجلي ودمعها يجري على خدها ولم ازل كذلك الى ان مضت الخمسة ايام فقامت ابنة عمي وسخنت لي ماء وحممتني به والبستني ثيابي وقالت لي توجّه اليها قضي الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم ازل ماشيا الى ان اتيت الى راس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرايت دكّان الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى اذّن العصر واصفرّت الشمس واذّن المغرب ودخل الليل وانا لا ادرى لها اثرا ولا اسمع حسا ولاخبرا فخشيت على نفسي وانا جالس وحدي فقمت وتمشيت وانا كالسكران الى ان دخلت البيت فلما دخلت رايت ابنة عمي عزيزة قائمة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق في الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وَمَا وَجْدُ اعْرَابِيَّةٍ بَانَ اَهْلُهَا ... فَحَنَّتْ اِلَى بَانِ الْحِجَازِ وَرَنْدِهِ
اِذَا اٰنَسَتْ رَكْبًا تَكَفَّلَ شَوْقُهَا ... بِنَارِ قِرَاهُ وَ الدُّمُوعُ بِوِرْدِهِ
بِاَعْظَمَ مِنْ وَجْدِي بِحِبِّي وَاِنَّمَا ... يَرَى اَنَّنِي اُذْنِبْتُ ذَنْبًا بِوُدِّهِ

فلما فرغت من شعرها التفتت اليّ فرأتني فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهي وقالت لي يا بن عمي هنّاك الله بما اعطاك فلايّ شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفصتها برجلي في صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء في جبهتها فتاملتها فرايت جبينها قد انفتح وسال دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلمّا رفصت
ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد في جبهتها
فانفتح جبينها و سال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها
قامت في الحال و احرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح و تعصبت
بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط وكان ذلك شيء ماكان ثم
انها اتتني وتبسّمت في وجهي وقالت لي بلين الكلام والله يا بن عمي
ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولابها ولكن قد كنت مشغولة بوجع راسي
وكان في خاطري ان اخرج الدم وفي هذه الساعة قد خفّت راسي وخفّت
جبهتي فاخبرني بما كان من امرك في هذا اليوم فحكيت لها جميع
ما وقع لي منها في ذلك اليوم وبعد كلامي بكيت فقالت يا بن عمي
ابشر بنجاح قصدك و بلوغ املك ان هذه علامة القبول و ذلك
انها غابت عنك لانها تريد ان تختبرك وتعرف هل انت صابر
اولا وهل انت صادق في محبتها اولا وفي غد توجه اليها
في مكانك الاول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت افراحك
وزالت احزانك وصارت تسليني على ما بي و انا لم ازل متزايد
الهموم والغموم ثم قدمت لي الطعام فرفصته برجلي فانكبت
كل زبدية في ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون
لا يميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لي ابنة عمي عزيزة والله
يا بن عمي ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمّت شقافة
الزبادي ومسحت الطعام و جلست تسامرني و انا ادعو الله ان يصبح
الصباح فلما اصبح الصباح و اضاء بنوره و لاح توجّهت اليها ودخلت

ذلك الزقاق بسرعة و جلست على تلك المسطبة و اذا بالطاقة قد انفتحت و ابرزت راسها منها و هي تضحك ثم غابت و رجعت و معها مرآة و كيس وقصرية ممتلئة بزرع اخضر وفي يدها قنديل فاول ما فعلت اخذت المرآة في يدها وادخلتها فى الكيس ثم ربطته و رمته فى البيت ثم ارخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على راس الزرع لحظة ثم اخذت جميع ذلك وانصرفت به واغلقت الطاقة فانفطر قلبي من هذا الحال و من اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهي لم تكلمني بكلمة قط فاشتد لذلك غرامي و زاد وجدي و هيامي ثم اني رجعت على عقبي وانا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرايت ابنة عمي قاعدة و وجهها الى الحائط و قد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة و لكن محبتها منعتها ان تخبرني بشيء مما عندها من الغرام لما رات ما انافيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرايت على راسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع اصابها من شدة بكائها وهي في اسوء الحالات تبكي و تنشد هذه الابيات

أَعُدُّ لِلَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا

خَلِيلَيَّ وَاللّٰهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي ... قَضَى اللّٰهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا

قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا ... فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرَ لَيْلَى ابْتَلَانِيَا

فلما فرغت من شعرها نظرت اليّ فراتني وهي تبكي فمسحت دموعها و نهضت اليّ ولم تقدر ان تتكلم مما هي فيه من الوجد ولم تزل ساكنة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يابن عمي اخبرني بما حصل لك منها في هذه المرّة فاخبرتها بجميع ما حصل لي

فقالت لي اصبر فقد آن اوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك اما اشارتها لك بالمرآة وكونها ادخلتها في الكيس فانها تقول لك الى أن تغطس الشمس واما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا اقبل الليل وانسدل سواد الظلام وعلا نور النهار فتعال واما اشارتها لك بالقصرية التي فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق واما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه واي موضع وجدت فيه القنديل مضيئاً فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرني فان هواك قاتلي فلما سمعت كلام ابنة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعدينى واتوجه اليها ولا احصل مقصودي ولا اجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقلت لي بقي عليك من الصبر ان تصبر بقية هذا اليوم الى ان يولى النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم انشدت هذين البيتين

دَرِّجِ الْأَيَّامَ تَنْدَرِجْ وَبُيُوتُ الْهَمِّ لَا تَلِجْ
رُبَّ أَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ قَرَّبَتْهُ سَاعَةُ الْفَرَجْ

ثم انها اقبلت عليّ وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر ان تاتيني بشيء من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي اليها ولم يكن لها قصد الا انها اتت اليّ وقلعتني ثيابي ثم قالت يا بن عمي اقعد حتى احدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما ياتي الليل الا وانت عند محبوبتك فلم التفت اليها وصرت انتظر مجيء الليل واقول يارب عجّل بمجيء الليل

فلما اتى الليل بكت ابنة عمي بكاوشديدا واعطتني حبّة مسک خالص وقالت يا بن عمي اجعل هذه الحبة في فمک فاذا اجتمعت بمحبوبتک وقضيت منها حاجتک وسمحت لک بما تمنّيت فانشدها هذا البيت

أَلَا أَيُّهَا الْعُشَّاقُ بِاللهِ خَبِّرُوا ۞ إِذَا اشْتَدَّ عِشْقٌ بِالْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ

ثم انها قبلتني وحلفتني اني لاانشدها ذلک البيت الشعر الا وقت خروجي من عندها فقلت سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم ازل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرايت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبّة من العاج والأبنوس والقنديل معلّق في وسط تلک القبة وذلک المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القنديل وفي وسط المقعد فسقية فيها انواع التصاوير وبجانب تلک الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرايت فيه من سائر الفواكه مابين تين ورمان وعنب ونارنج واترج وكباد وبينها انواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلک المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكنني ما وجدت في هذه الدار احدا من خلق الله تعالى وادرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فهمتُ بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكني ما وجدت فيه احدا من خلق الله تعالى ولم ار عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور ولا من يحرس تلك الحوائج فجلست في ذلك المقعد انتظر مجيء محبوبة قلبي الى ان مضى اول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتدّ بي الم الجوع لان لي مدة من الزمان ما اكلت طعاما لشدة وجدي فلما رايت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة معشوقتي استرحت ووجدت الم الجوع وقد شوّقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنّت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقا من الصيني وفيه اربع دجاجات محمّرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق اربع زبادي واحدة حلوى والاخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي مابين حلو وحامض فاكلت من القطائف وقطعة لحم وعمدت الى البقلاوة واكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى واكلت ملعقة او اثنتين او ثلثا او اربعا واكلت بعض دجاجة واكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وارتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد ان غسلت يدي فغلبني النوم ولم اعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى احرقني حرّ الشمس لان لي اياما ما ذقت مناما فلما استيقظت وجدت على بطني ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابي وقد تلفّت

يمينا وشمالا فلم اجد احدا ووجدت نفسي نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعي على خدي وتأسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمي تدقّ بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هَبَّ رِيحٌ مِنَ الْحِمَى وَنَسِيمُ ... فَأَهَاجَ الْهَوَى بِنَشْرِ هُبُوبِهْ
يَا نَسِيمَ الصَّبَا هَلُمَّ إِلَيْنَا ... كُلُّ صَبٍّ بِحَظِّهِ وَنَصِيبِهْ
لَوْ قَدَرْنَا مِنَ الْغَرَامِ اعْتَنَقْنَا ... كَاعْتِنَاقِ الْمُحِبِّ صَدْرَ حَبِيبِهْ
حَرَّمَ اللّٰهُ بَعْدَ وَجْهِ ابْنِ عَمِّي ... كُلَّ عَيْشٍ مِنَ الزَّمَانِ وَطِيبِهْ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي ... ذَائِبٌ مِنْ حَرِّ الْهَوَى وَلَهِيبِهْ

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها واقبلت عليّ بلين كلامها وقالت لي يا بن عمي انت في عشقك قد لطف الله بك حيث احبك من تحب وانا في بكائي وحزني على فراقك من يلمني ويعذرني ولكن لا يؤاخذك الله من جهتي ثم انها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولاطفتني وقلعتني اثوابي ونشرتها وقالت والله ما هذه روائح من حظي بمحبوبه فاخبرني بما جرى لك يا بن عمي فاخبرتها بجميع ما جرى لي فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبي ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويّا والله يا بن عمي اني خائفة عليك منها واعلم يا بن عمي ان تفسير الملح هو انك مستغرق في النوم فكانك يشبه الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغي لك ان تستحي حتى لا تمجّك الطباع لانك تدّعي انك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك

المحبة كاذبة وكذلك هي محبتها لك كاذبة لانها لما راتك نائما لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك وابها الفهم ففي تفسير اشارته سوّد الله وجهك حيث ادّعيت المحبة كذبا وانما انت سخص ولم يكن لك همّة الا الاكل والشرب والنوم وهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدي على صدري وقلت والله ان هذا هو الصحيح لاني نمت والعشاق لاينامون فانا الظالم لنفسي وما كان اضرّ عليّ من الاكل والنوم فكيف يكون الامر ثم اني زدت في البكاء وقلت لابنة عمي دليني على شيء افعله وارحميني يرحمك الله والّا اموت وكانت بنت عمي تحبني محبة عظيمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فقلت لابنة عمي دلّيني على شيء افعله وارحميني يرحمك الله وكانت تحبّني محبّة عظيمة فقالت على رأسي وعيني ولكن يا بن عمي قد قلت لك مرارا لوكنت ادخل واخرج لكنت اجمع بينك وبينها في اقرب زمن واغطيكما بذيلي ولا افعل معك هذا الا لقصد رضاك وان شاء الله تعالى ابذل غاية الجهد في الجمع بينكما ولكن اسمع قولي واطع امري واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس في الموضع الذي كنت فيه واحذر ان تاكل شيئاً لان الاكل يجلب النوم واياك ان تنام فانها لا تأتي لك حتى يمضي من الليل ربعه كفاك الله شرّها فلما سمعت كلامها

فرحت و صرت ادعو الله لن ياتي الليل فلما اتى الليل اردت الانصراف فقالت لي ابنة عمي اذا اجتمعت بها فاذكرلها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لهـا على الراس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت المكان مهيأً على الحالة التي رايتها اولاً وفيه مايحتاج اليه من الطعـام والشراب و النقل و المشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعـام فاشتاقت نفسي اليه فمنعتها مرارا فلم اقدر على منعها فقمت واتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله اربع زبادي من الطعـام فيها اربعة الوان فاكلت من كل لون لقمة واكلت ماتيسر من الحلوى و اكلت قطعة لحم وشربت من الزردة واعجبتني فاكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت و امتلأت بطني و بعد ذلك انطبقت اجفاني فاخذت وسادة ووضعتهـا تحت رأسي و قلت لعلّي اتكئ عليها ولا انام فاغمضت عيني ونمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طـاب ونواية بلح وبزرة خرّوب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره وكانه لم يكن فيه شيء بالامس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وانا مغتـاظ الى ان وصلت الي البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيـات

جَسَدٌ نَاحِلٌ وَقَلْبٌ جَرِيحٌ ... وَدُمُوعٌ عَلَى الخُدُودِ تَسِيحُ
وَحَبِيبٌ صَعْبُ التَّجَنِّي وَلٰكِنْ ... كُلَّمَا يَفْعَلُ المَلِيحُ مَلِيحُ
يَابْنَ عَمِّي مَلَأْتَ بِالوَجْدِ قَلْبِي ... إِنَّ طَرْفِي مِنَ الدُّمُوعِ قَرِيحُ

فنهرت ابنة عمي وشتمتهـا فبكت ثم مسحت دموعها و اقبلت

عليّ وقبّلتني واخذت تضمني الى صدرها وانا اتباعد عنها واعاتب نفسي فقالت لي يا بن عمي كانك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنني لما انتبهت وجدت كعب عظم وفردة طاب ونواية بَلَح وبزرة خرّوب وما ادري لايّ شيء فعلت هكذا ثم بكيت واقبلت عليها وقلت لها فسّري لي اشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا افعل وساعديني على الذي انا فيه فقالت على الراس والعين اما فردة الطاب التي وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت وقلبك غائب وكانها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين واما نواية البَلَح فانها تشير لك بها الى انك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة اضرمت في الفؤاد جمرة واما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى ان قلب المحب متعوب وتقول لك اصبر على فراقنا صبر ايّوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت في فؤادي النيران وزادت بقلبي الاحزان فصحت وقلت قدّر الله عليّ النوم لقلة بختي ثم قلت لها يا ابنة عمي بحياتي عندك ان تدبري لي حيلة اتوصل بها اليهــا فبكت وقالت يا عزيز يا بن عمي ان قلبي ملآن بالفكر ولا اقدر ان اتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان واحذر ان تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأي والسلام فقلت لها ان شاء الله لا انام وانمــا افعل ما تامريني به فقامت ابنة عمي واتت لي بالطعــام وقالت لي كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى في خاطرك شيء فاكلت كفايتي ولما اتى الليل قامت بنت عمي واتتني ببدلة عظيمة والبستني اياها وحلفتني ان اذكر لها البيت المذكور وحذرتني من النوم ثم خرجت من عند بنت عمي وتوجّهت الى

البستان و طلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان و جعلت افتح
عيني باصابعي واهزّ رأسي حين جنّ الليل فادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فدخلت
البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان و جعلت افتح
عيني باصابعي واهزّ رأسي حين جنّ الليل فجعت من السهر
وهبّت عليّ روائح الطعام فازداد جوعي وتوجّهت الى السفرة
وكشفت غطاوها واكلت من كل لون لقمة واكلت قطعة لحم واتيت
الى باطية الخمر وقلت في نفسي اشرب قدحا فشربته ثم شربت
الثاني والثالث الى غاية عشرة وقد ضربني الهواء فوقعت على
الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرايت
نفسي خارج البستان و على بطني شفرة ماضية ودرهم حديد
فارتجفت واخذتهما واتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمي
تقول اني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين الا البكاء
فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين والدرهم
من يدي و غشي عليّ فلما افقت من غشيتي عرّفتها بما
حصل لي و قلت لها انني لم انل اربي فاشتدّ حزنها عليّ
لما رات بكائي ووجدي و قالت لي اني عجزت وانا انصحك
عن النوم فلم تسمع نصحي فكلامي لا يفيدك شيأً فقلت
لها اسألك بالله ان تفسّري لي اشارة السكين و الدرهم الحديد
فقالت اما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين و انها

تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعيني اليمين ان رجعت ثاني مرة ونمت لاذبحنّك بهذه السكين وانا خائفة عليك يابن عمي من مكرها وقلبي ملآن بالحزن عليك فما اقدران اتكلم فان كنت تعرف من نفسك انك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت انك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمي اسألك بالله ان تساعديني في هذه البلية فقالت على عيني ورأسي ولكن ان سمعت كلامي واطعت امري قضيت حاجتك فقلت لها اني اسمع كلامك واطيع امرك فقالت اذا كان وقت الرواح اقول لك ثم ضمتني الى حضنها ووضعتني على الفراش ولا زالت تكبسني حتى غلبني النعاس واستغرقت في النوم فاخذت مروحة وجلست عند رأسي تروح على وجهي الى آخر النهار ثم نبّهتني فلما انتبهت وجدتّها عند رأسي وفي يدها المروحة وهي تبكي ودموعها قد بلّت ثيابها فلما راتني استيقظت مسحت دموعها. وجاءت بشيء من الاكل فامتنعت منه فقالت لي اما قلت لك اسمع مني وكُل فاكلت ولم اخالفها وصارت تضع الاكل في فمي وانا امضغ حتى امتلأت ثم اسقتني نقيع عنّاب بالسكّر ثم غسلت يدي ونشفتها بمحرمة ورشّت عليّ ماء الورد وجلست معها وانا في عافية فلما اظلم الليل البستني ثيابي وقالت يا بن عمي اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك في هذه الليلة الّا في آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها في هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتي ثم بكت فاوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التي وعدتني بها فقالت لي اذا

انصرفتَ من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجتُ من عندها وانا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وانا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل عليّ حتى كانّه سنة فمكثت ساهرا حتى مضي ثلثة ارباع الليل وصاحت الديوك فاشتدّ عندي الجوع من كثرة السهر فقمت الى السفرة واكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسي واردت ان انام واذا انا بنور اقبل على بعد فنهضت وغسلت يدي وفمي ونبّهت نفسي فما كان الا قليل واذا بها اتت ومعها عشر جوار وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلّة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهي كما قال الشاعر

تَتِيهُ عَلَى الْعُشَّاقِ فِي حُلَلٍ خُضْرٍ ... مُفَكَّكَةُ الْاَزْرَارِ مَحْلُولَةُ الشَّعْرِ
فَقُلْتُ لَهَا مَا الْاِسْمُ قَالَتْ اَنَا الَّتِي ... كَوَيْتُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْجَمْرِ
شَكَوْتُ اِلَيْهَا مَا اُقَاسِي مِنَ الْهَوَى ... فَقَالَتْ اِلَى صَخْرٍ شَكَوْتَ وَلَمْ تَدْرِ
فَقُلْتُ لَهَا اِنْ كَانَ قَلْبُكِ صَخْرَةً ... فَقَدْ اَنْبَعَ اللّٰهُ الزُّلَالَ مِنَ الصَّخْرِ

فلما رأتني ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمتُ انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل في مكابدة الاشواق ثم اقبلت على الجواري وغمزتهن فانصرفن عنها واقبلت عليّ وحضنتني لصدرها ولاثمتني وبستها ومصّت شفتي الفوقانية ومصصت شفتها التحتانية ثم مددت يدي الى خصرها وغمزته وما نزلنا في الارض الا سواء وحلت سرا ويلها فنزلت في خلاخل رجليها واخذنا في الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعضّ وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى ان ارتخت مفاصلها وغشي عليها ودخلتُ في الغيبوبة وكانت

تلك الليلة مسرّة القلب وقرّة الناظر كما قال فيها الشاعر

أَهْنَى لَيَالِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ لَمْ أُخْلِ فِيهَا الكَأْسَ مِنْ إِعْمَالِ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالكَرَى وَجَمَعْتُ بَيْنَ القُرْطِ وَالخَلْخَالِ

واجتمعنا ونمنا الى الصباح واردت ان انصرف واذا بها امسكتني وقالت لي قف حتى اقول لك على شيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلمّا اردت الانصراف امسكتني وقالت قف حتى اخبرك بشيء واوصيك وصية فوقفت فحلّت منديلا واخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجّبت منها غاية العجب فاخذته وتواعدت انا واياها اني آتي اليها كل ليلة في ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وانا فرحان ومن فرحي نسيت الشعر الذي اوصتني به بنت عمي وحين اعطتني الخرقة التي فيها صورة الغزال قالت لي هذا عمل اختي فقلت لها وما اسم اختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودّعتها وانصرفت وانا فرحان ومشيت الى ان دخلت على ابنة عمي فوجدتها راقدة فلما رأتني قامت ودموعها تجري ثم اقبلت عليّ وباست صدري وقالت هل فعلت ما اوصيتك به من انشاد البيت فقلت لها اني نسيته وما اشغلني عنه الّا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق

الصبر وافاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلًا وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْعِنَاقُ
مَهْلًا فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ وَآخِرُ الصُّحْبَةِ الْفِرَاقُ

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فاخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت لي بنت عمي اذهب مصحوبا بالسلامة فاذا انصرفت من عندها فانشدها البيت الشعر الذي اخبرتك به اوّلا ونسيته فقلت لها اعيديه فاعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبّلتني واجلستني في حجرها ثم اكلنا وشربنا وقضينا اغراضنا كما تقدم فلما اصبح الصباح انشدتها الشعر وهو

أَلَا أَيُّهَا الْعُشَّاقُ بِاللهِ خَبِّرُوا إِذَا اشْتَدَّ عِشْقٌ بِالْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ

فلما سمعته ذرفت عيناها بالدموع وانشدت تقول

يُدَارِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ سِرَّهُ وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي وخرجت واتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وامي عند رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي امي تبّا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسال عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز هل انشدتها البيت الذي اخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وانشدتني بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمي اسمعني اياه فلما اسمعتها اياه بكت بكاء [illegible]

و انشدت هذين البيتين

وَكَيفَ يُدَارِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى وَفِي كُلِّ يَومٍ قَلْبُهُ يَتَقَطَّعُ
لَقَدْ حَاوَلَ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ غَيْرَ قَلْبٍ فِي الصَّبَابَةِ يَجْزَعُ

ثم قالت لي ابنة عمي اذا ذهبت اليها على عادتك فانشدها هذين البيتين اللذي سمعتهما فقلت لها سمعا و طاعة ثم ذهبت اليها في البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما اردت الانصراف انشدتها ذينك البيتين الى آخرهما فلما سمعتهما سالت مدامعها من المحاجر و انشدت قول الشاعر

فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَبْرًا لِكِتْمَانِ سِرِّهِ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ

فحفظته و توجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشيا عليها و امي جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عيناها و قالت يا عزيز هل انشدتها البيتين قلت لها نعم و لكن لما سمعتهما بكت و انشدتني هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانيا فلما افاقت انشدت هذين البيتين و هما هذان

سَمِعْنَا أَطَعْنَا ثُمَّ مُتْنَا فَبَلِّغُوا سَلَامِي عَلَى مَنْ كَانَ لِلْوَصْلِ يَمْنَعُ
هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهُمْ وَلِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

ثم لما اقبل الليل مضيت الى البستان على جري عادتي فوجدت الصبية في انتظاري فجلسنا و اكلنا وشربنا و عملنا شغلنا و نمنا الى الصباح فلما اردت الانصراف انشدتها ما قالته بنت عمي فلما سمعت ما... صرخت صرخة عظيمة و تضجرت و قالت اوّاه اوّاه و الله

ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمي قالت كذبت والله لوكانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فانت الذي قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو اخبرتني ان لك ابنة عم ما كنت قربتك مني فقلت لها انها كانت تفسر لي تلك الاشارات التي كنت تشيرين بها الي وهي التي علمتني كيف اصل اليك وانعل معك ولولا هي ما وصلت اليك فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لي رح انظرها فذهبت وخاطري متشوش وما زلت ماشيا الى ان اتيت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل لي ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رانني امي قالت ان خطيئتها في ذمتك وعنقك فلا سامحك الله من دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رانني امي قالت ان خطيئتها في ذمتك فلا سامحك الله من دمها تبالك من ابن عم ثم ان ابي جاء وجهزناها واخرجناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلثة ايام ثم رجعنا ودخلنا البيت وانا حزين عليها فاقبلت علي امي وقالت لي ان قصدي ان اعرف ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها واني ياولدي كنت اسأل منها في كل الاوقات عن سبب مرضها فما اطلعتني على شيء ولم تخبرني

به فبالله عليك اخبرني عمـــا كنت تفعل معها حتى ماتت فقلت
ما عملت شيأً فقالت الله يقتص لها منك فانها ما ذكرت لي شيأً بل
كتمت امرها حتى ماتت وهي راضية منك ولما ماتت كنت عندها
ففتحت عينها وقالت لي يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حل من دمي ولا
آخذه بما فعل معي وانما نقلني الله من الدار الدنيا الفانية الى الدار
الآخرة الباقية فقلت يا بنتي سلامتك و سلامة شبـــابك وصرت
اسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمي
قولي لابنك اذا اراد الرواح الى الموضع الذي يروحه كل يوم يقول
هاتين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح * والغدر قبيح * فان
هذه شفقة مني عليه لاكون شفوقة عليه في حياتي و بعد ممـــاتي
ثم اعطتني لك حاجة وحلّفتني اني لا اعطيها لك حتى اراك تبكي
عليها و تنوح والحاجة عندي فاذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها
اعطيتك اياها فقلت لهـــا اريني اياها فمـــا رضيت ثم اني اشتغلت
بلذاتي فمـــا ذكرت انا موت ابنة عمي لاني كنت طائش العقل
وكنت اودّ في نفسي ان اكون طول ليلي ونهـــاري عند محبوبتي
ومـــاصـــدقت ان الليل اقبل حتى مضيت الى البستـــان فوجدت
الصبية جالسة على مقالي النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها راتني
وتعـلقت بي و بادرت الى رقبتي و سالتني عن بنت عمي فقلت
[illegible]ـــا ماتت وعملنا لها الذكر والختوم ومضى لها اربع ليال
وهذه [illegible] فلمـــا سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت اما قلت
لك انك [illegible] اعلمتني بها قبل موتهـــا لكنت اكافئها على
ما فعلت [illegible] المعروف فانها خدمتني واوصلتك اليّ ولولاها
ما اجتمعت [illegible] اياك وانا خائفة عليك ان تقع بك رزيّة بسبب

خطيئتها فقلت لها انها قد جعلتني في حلّ قبل موتها ثم ذكرت لها ما اخبرتني به امي فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى امك فاعرف الحاجة التي عندها فقلت لها ان امي قالت لي ان ابنة عمك قبل ان تموت اوصتني وقالت لي اذا اراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له هاتين الكلمتين الوفاء مليح * و الغدر قبيح * فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى عليها فانها خلصتك مني و قد كنت اضمرت على ضررك فانا لا اضرّك ولا اشوش عليك فتعجبت من ذلك و قلت لها وماكنت تريدين قبل ذلك ان تفعليه معي و قد صار بيني و بينك مودّة فقالت انت مولع بي ولكنك صغير السن و غشيم و قلبك خال عن الخداع فانت لاتعرف مكرنا ولاخداعنا ولو كانت عاشت لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك وكانت انجتك من الهلكة والآن اوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من امثالنا لاصغيرة ولا كبيرة فايّاك ثم ايّاك فانك غشيم وغير عارف بخداع النساء ومكرهن والتي كانت تفسّر لك الاشارات قد ماتت واني اخاف عليك ان تقع في رزيّة فما تلقى من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال ن اعرف ما كمنى ثم ان الصبية قالت لي اني اخاف عليك ان تقع في رزية كنت اسال تلقى من يخلصك منها فوا حسرتاه على بنت عمك و ليتني ولم تني بها قبل

موتها حتى كنت اكافئها على ما فعلت معي من المعروف وازورها رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرّها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنتَ وصلت اليّ ابدا واني اشتهي عليك امرا فقلت ما هو قالت وهو ان توصلني الى قبرها حتى ازورها في القبر الذي هي فيه واكتب عليه ابياتا فقلت لها في غد ان شاء الله تعالى ثم اني نمت معها تلك الليلة وهي بعد كل ساعة تقول لي ليتك اخبرتني ببنت عمك قبل موتها فقلت لها ما معنى هاتين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح * والغدر قبيح * فلم تجبني فلما كان الصباح قامت واخذت كيسا فيه دنانير وقالت لي قم وارني قبرها حتى ازوره واكتب عليه هذه الابيات واعمل عليه قبّة واترحم عليها واصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدّامها ومشت خلفي وصارت تتصدق وهي ماشية في الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التي كتمت سرّها حتى شربت كاس منونها ولا باحت بسرّ هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى نفد ما في الكيس ووصلنا الى القبر فلما عاينت القبر بكت ورمت نفسها عليه ثم انها اخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطّت بالبيكار على الحجر الذي على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت هذه الابيات تقول

مَرَرْتُ بِقَبْرٍ دَارِسٍ وَسْطَ رَوْضَةٍ ... عَلَيْهِ مِنَ النُّعْمَانِ سَبْعُ شَقَائِقِ

فَقُلْتُ لِمَنْ ذَا الْقَبْرُ جَاوَبَنِي الثَّرَى ... تَأَدَّبْ فَهٰذَا الْقَبْرُ بَرْزَخُ عَاشِقِ

فَقُلْتُ رَعَاكَ اللّٰهُ يَا مَيِّتَ الْهَوَى ... وَاَسْكَنَكَ الْفِرْدَوْسَ اَعْلَى الشَّوَاهِقِ

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ حَتَّى قُبُورُهُمْ - عَلَيْهَا تُرَابُ الذُّلِّ بَيْنَ الْخَلَائِقِ
فَدَوَ اسْتَطَعْ لَزَرَعْتُ حَوْلَكَ رَوْضَةً وَأَسْقَيْتُهَا مِنْ دَمْعِي الْمُتَدَافِقِ

ثم مضت وهي تبكي ومضيت معها الي البستان فقالت لي بالله انك لا تنقطع عني ابدا فقلت سمعا وطاعة ثم اني واظبتها واتردد عليها وكنت كلما بتّ عندها تحسن اليّ وتكرمني وتسألني عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمي عزيزة لامي قاعيدهما لها ومازلت على ذلك الحال من اكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بي هم ولاحزن ونسيت بنت عمي ولم ازل على ذلك الحال مدة سنة كاملة وعند راس السنة دخلت الحمام واصلحت شاني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدح شراب وشممت روائح قماشي المضمّخ بانواع الطيب وانا منشرح الصدر ولم اعلم غدر الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي الذهاب اليها وانا سكران لاادري اين اتوجّه فذهبت اليها فمال بي السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما انا ماش في ذلك الزقاق فنظرت بعيني واذا انا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة موقودة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب الذي اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب فنظرت بعيني واذا انا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة

وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها واذا هي تبكي وتنشد هذه الابيات

رَسُولُ الرِّضَا اَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبَا   حَدِيثُكَ مَا اَحْلَاهُ عِنْدِي وَاَطْيَبَا
فَيَا مُنْهِدِيًا مِمَّنْ اُحِبُّ سَلَامَهُ   عَلَيْكَ سَلَامُ اللّٰهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا

فلما رأتني قالت لي يا ولدي هل تعرف ان تقرأ فقلت لها بفضولي نعم يا خالتي العجوز فقالت لي خذ هذا الكتاب واقرأه لي وناولتني الكتاب فاخذته منها وفتحته وقراته عليها فاذا هو كتاب مضمونه من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لي وقالت لي فرّج الله همك كما فرّجت همي ثم اخذت الكتاب ومشت خطوتين فحصل لي حصر البول فقعدت على قراقيصي لاريق الماء ثم اني قمت وتجمرت وارخيت اثوابي واردت ان امشي واذا بالعجوز قد اقبلت عليّ وطأطأت على يدي وقبلتها وقالت لي يا سيدي ربنا يهنيك بشبابك اترجّاك ان تمشي معي خطوات الى ذلك الباب فاني قلت لهم ما قلته لي في قراءة الكتاب فلم يصدقوني فامش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واستقبل مني دعوة صالحة فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي وهو غائب عني مدة عشر سنين فانه سافر بمتجر ومكث في بلاد الغربة مدة فقطعنا الرجاء منه وظننا انه مات ثم بعد مدة وصل الينا هذا الكتاب من عنده وله اخت وهي تبكي عليه آناء الليل واطراف النهار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لا بد ان تاتيني بمن يقرأ هذا الكتاب بحضرتي حتى يطمئن قلبي ويطيب خاطري وانت تعلم

يا والدي ان المحب مولع بسوء الظن فانعم عليّ بان تذهب معي و تقرأ لها هذا الكتاب وانت واقف خلف الستارة و انا انادي اخته تسمع من داخل الباب و تفرج عنا كربة و نقضي حاجتنا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفّس من مكروب كربة من كُرَب الدنيا نفّس الله عنه مائة كربة وفي حديث آخر من نفّس عن اخيه كربة من كُرَب الدنيا نفّس الله عنه اثنين و سبعين كربة من كُرَب يوم القيامة و انا قصدتك فلا تخيّبني فقلت لها سمعا وطاعة تقدمي فمشت قدّ امي و مشيت و راءها قليلا حتى وصلت الى باب دارحسنة كبيرة و بابها مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت انا خلف الباب فصاحت العجوز بالعجمية فما اشعر الاوصبية اتت بخفة و نشاط و هي مشمرة لباسها الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهي كما قال في وصفها الشاعر

يَا مِنْ يُشَمِّرُ عَنْ سَاقٍ لِيَعْرِضَهُ	عَلَى ٱلْمُحِبِّينَ حَتَّى يَفْهَمَ ٱلْبَاقِي
وَطَافَ يَسْعَى بِكَأْسٍ نَحْوَ عَاشِقِهِ	مَا أَفْتَنَ ٱلنَّاسَ غَيْرُ ٱلْكَأْسِ وَٱلسَّاقِي

وزان ساقيها اللتين كانهما عمودان من مرمر خلاخلُ الذهب المرصعة بالجوهر وكانت تلك الصبية مشمّرة ثيابها الى تحت ابطيها و مشمّرة عن ذراعيها فنظرت الى معاصمها البيض وفي يديها زوجان من الاساور باقفال من اللؤ لؤ الكبار و في رقبتها القلادة من ثمين الجواهر و في اذنيها قرطان من اللؤلؤ و على رأسها كوفية دقّ المطرقة مكللة بالفصوص المثمنة وقد رشقت اطراف قميصها من داخل دكة اللباس وهي كانها كانت تعمل شغلا فلما رايتها بهتّ لها وهي كانها الشمس المضيئة فقالت هي بلسان فصيح عذب ما سمعت

احلى منه يا امي أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت
يدها التي بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة
فمددت يدي لاتناول منها الكتاب فادخلت راسي واكتافي
من الباب لاقرب منها واقرأ الكتاب فما اشعر الّا والعجوز قد وضعت
رأسها في ظهري ودفعتني ويدي فيها الكتاب فما ادري الا وانا
في وسط الدار وبقيت من داخل الدهليز ودخلت العجوز اسرع
من البرق الخاطف وما كان لها شغل الا تقفل الباب وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح *

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك
فلما دفعتني العجوز لم اشعر الا وانا من داخل الدهليز ودخلت
العجوزة اسرع من البرق الخاطف وما كان لها شغل الا تقفل الباب
واما الصبية فانها لما رأتني من داخل الدهليز انبلت عليّ وضمتني
الى صدرها ورمتني على الارض وركبت على صدري وعصرت بطني
بيديها فغبت عن الدنيا ثم اخذتني بيدها فما قدرت ان اتخلص منها
من شدة ما حضنتني ثم دخلت بي والعجوز قدامها والشمعة موقودة
معها حتى قطعت بي سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بي الى قاعة كبيرة
باربعة لواوين يلعب فيها الخيّال بالاُكر ثم خلتني وقالت لي
افتح عينيك ففتحت عيني وانا دائخ من شدة ما ضمتني وعصرتني
فرايت بناء القاعة كلها رخام من ابهج المرمر وجميع فرشها من حرير
وديباج وكذلك المخدات والمراتب وهناك دكتان من النحاس
الاصفر وسرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ومقاعد وبيت

سعادة لايصلح الّا للملك مثلک ثم قالت لي يا عزيز ايّما احبّ اليک الموت ام الحياة فقلت لها الحياة فقالت لي اذا كانت الحيوة احب اليک فتزوج بي فقلت انا اكره ان اتزوج بمثلک فقالت لي ان تزوجت بي تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن بنت الدليلة المحتالة فقالت لي وقد ضحكت هي التي لک في صحبتها اليوم سنة واربعة اشهر اهلكها الله تعالى وابتلاها بمن هو اشدّ منها والله ما يوجد امكر منها وكم قتلت ناسا قبلک وكم فعلت افعالا وكيف سلمت منها ولک في صحبتها هذه المدة ولم تقتلک او تشوش عليک فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها يا سيدتي ومن عرّفک بها فقالت انا اعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدي ان تحكي لي جميع ما وقع لک معها حتى اعرف ما سبب سلامتک منها فحكيت لها جميع ما جرى لي معها ومع ابنة عمي عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على يد لما سمعت بموت بنت عمي عزيزة وقالت في سبيل الله شبابها وعوّضک الله فيها خيرا والله يا عزيز انها ماتت وهي سبب سلامتک من بنت الدليلة المحتالة ولولاهي لكنت هلكت وانا خائفة عليک من مكرها وشرّها ولكن فمي ملآن ما اقدر ان اتكلم فقلت لها اي والله قد حصل كله ذلک فهزّت راسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها اوصتني ان اقول لها هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلک مني قالت لي يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاک منها ومن القتل من يدها والآن قد اطمأنّ قلبي عليک منها ولا بقت تقتلک فقد خلصتک بنت عمک حية وميتة والله اني كنت

اتمناك يوما بعد يوم وما قدرت عليك الا في هذا الوقت حتى تحيلت عليك وقد تمت عليك الحيلة وانت الآن مثيم لا تعرف مكر النساء ولاد واهي العجائز فقلت لا والله فقالت لي طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحي ملطوف به وانت شاب مليح وانا ما اريدك الا بسنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما اردت من مال وقماش يحضر لك سريعا وما اكلفك بشيء ابدا وايضا عندي دائما الخبز مخبوز والماء في الكوز وما اريد منك الا ان تعمل معي كما يعمل الديك فقلت لها وما الذي يعمله الديك فضحكت وصفقت بيديها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت على حيلها وتبسمت وقالت لي يا نور عيني اما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ما اعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك ان تأكل وتشرب وتنيك فخجلت انا من كلامها ثم اني قلت اهذه صنعة الديك فقالت نعم وما اريد منك الآن الا ان تشد وسطك وتقوى عزمك وتنيك جهدك ثم انها صفقت بيديها وقالت يا امي احضري من عندك واذا بالعجوز قد اقبلت باربعة شهود عدول ومعها شقة حرير ثم انها اوقدت اربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا علي وجلسوا فقامت الصبية وارخت عليها ازارا ووكلت بعضهم في ولاية عقد النكاح فكتبوا الكتاب واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر المقدم والموخر وان في ذمتها لي عشرة آلاف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما كتبوا

الكتاب اشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما و موخرا وان لي في ذمتها عشرة آلاف درهم ثم انها اعطت الشهود اجرتهم وانصرفوا من حيث اتوا فعند ذلك قامت الصبية و قلعت اثوا بهـا واتت في قميص رفيع مطرّز بطراز من الذهب و قلعت لبـاسهـا واخذت بيدي وطلعت بي الى فوق السرير و قالت لي ما في الحلال من عيب و نامت على السرير وانسطحت على ظهرهـا ورمتني على صدرها ثم شهقت شهقة واتبعتهـا بغنجة ثم كشفت الثوب الى فوق نهودها فلمـا رايتهـا على هذه الحـالة لم املك نفسي دون ان اولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهي تتـأوّه وتظهر الخشوع والبكاء من غير دموع ثم قالت يا حبيبي اعمل واذكرتني في الحال قول من قـــال

وَلَمَّا كَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ سَطْحِ كُسِّهَا ... وَجَدْتُّ بِهَا ضِيقًا كَخُلْقِي وَأَرْزَاقِي

فَأَوْلَجْتُ فِيهَا نِصْفَهُ فَتَنَهَّدَتْ ... فَقُلْتُ لِمَا هٰذَا فَقَالَتْ عَلَى الْبَاقِي

ثم قالت يا حبيبي اعمل خلاصك فانا جاريتك خذه هاته كله بحياتي عندك هاته حتى ادخله بيدي واحطه في فؤادي ولم تزل تسمعني الغنج والبكاء والشهيق في خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا في الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح و اردت ان اخرج واذا هي اقبلت عليّ تضحك وتقول يوه يوه هل تحسب انت ان دخول الحمام مثل خروجه وما اظن الّا انك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة اياك وهذا الظن فما انت الا زوجي بالكتاب والسنة وان كنت سكرانا فاصح لعقلك ان هذه الدار التي انت فيها ما تفتح الا في كل سنة يوما قم وانظر الى الباب الكبير فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا

فعدت واعلمتها بانه مغلق مسمر فقالت لي يا عزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا اعواما عديدة ومن هذه الساعة لا يفتح الباب الا بعد سنة وانا اعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لاحول ولاقوة الا بالله فقالت واي شيء يضرك وانت تعرف صنعة الديك التي اخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت انا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وانا اعمل صنعة الديك آكل واشرب وانيك حتى مرّ علينا عام اثنى عشر شهرا فلما كملت السنة حملت مني ورزقت منها ولدا وعند راس السنة سمعت فتح الباب واذا برجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فاردت ان اخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل مادخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء واردت ان اخرج وانا خائف مرعوب واذا هي قالت والله ما ادعك تخرج حتى احلفك انك تعود في هذه الليلة قبل ان يغلق الباب فاجبتها الى ذلك فحلفتني بالايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق اني اعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت في نفسي اني غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئته على غفلة فوجدته مفتوحا كعادته يا ترى هل الصبية باقية على حالها اولا ولكن لا بد اني ادخل وانظر قبل ان اروح الى امي وانا في وقت العشاء ثم دخلت البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عزيزا قال لتاج الملوك ثم اني دخلت البستان ومشيت حتى اتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة وراسها على ركبتيها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما راتني قالت الحمد لله على السلامة وهمّت ان تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت راسي ثم تقدمت اليها وقبّلتها وقلت لها كيف عرفت اني اجيء اليك في هذه الليلة قالت لاعلم لي بذلك والله ان لي سنة لم اعرف طعم النوم ولم اذق الّا اني سهرانة كل ليلة في انتظارك وانا على تلك الحالة من يوم خرجت من عندي واعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني انك تروح الى الحمام وتجيء فقعدت انتظرك اول ليلة وثاني ليلة وثالث ليلة فما اتيت الا بعد هذه المدة وانا دائما منتظرة لمجيئك وهذا شان العشاق فاني اريد منك انك تحكي لي على سبب غيابك عني هذه السنة فحكيت لها فلما علمت اني تزوجت اصفرّ لونها ثم قلت لها اني انتك هذه الليلة واروح قبل طلوع النهار فقالت اما كفاها انها عملت عليك الحيلة وتزوجت بك وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق انك تعود اليها من ليلتك قبل طلوع النهار ولم تسمح نفسها لك بان تتفسح عند امّك او عندي ولم يهن عليها ان تبيت عند احدٍ منا ليلة واحدة بعيدا عنها فكيف حال من غبتَ عنها سنة كاملة وانا عرفتك قبلها ولكن رحم الله بنت عمك عزيزة فانها جرى لها مالم يجر لاحد وصبرت على مالم يصبر عليه احد

وماتت مقهورة منك وهي التي حمتك مني وكنت اظنك تحبني فخليت سبيلك مع اني كنت اقدر ما اخليك تروح سالما بشعم واقدر على حبسك وهلاكك ثم بكت بكاء شديدا واشتاطت واقشعرت في وجهي ونظرت اليّ بعين الغضب فلما رايتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصي وخفت منها وصارت هي مثل الغولة المهولة وصرت انا مثل الفولة على النار ثم قالت لي مابقي فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فانت لا تصلح لعشرتي لانه لا ينفعني الّا العزب واما الرجل المتزوّج فانه ما ينفعنا بشيء وقد بعتني بالحزمة الدفرة والله لابد لاحسرنّ تلك العاهرة عليك ولا تبقى لي ولا لها ثم انها صرخت صرخة عظيمة فما اشعر الا وعشرة جوار اتين ورمينني على الارض فلما بقيت تحت ايديهن قامت هي واخذت سكّينا وقالت لاذبحنّك ذبح التيوس ويكون هذا اقلّ من جزائك على ما فعلت معي ومع ابنة عمك قبلي فلما نظرت الى روحي وانا تحت يد جواريها وتعفّر خدي بالتراب ورايتها تسنّ السكّين تحققت الموت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما رأيت روحي تحت يد جواريها وتعفّر خدّي بالتراب ورأيتها تسنّ السكّين تحققت الموت فعند ذلك استغثت بها فلم تزدد الّا قساوة وامرت الجواري ان يكتفنني فكتفنني ورمينني على ظهري وجلسن على بطني ومسكن رأسي وقامت جاريتان جلستا على اتصاب رجلي وجاريتان

مسكنا يداي وقامت هي ومعها جاريتان فامرتهما ان يضرباني فضرباتني حتى اغمي عليّ وخفي صوتي فلما استفقت قلت في نفسي ان صوتي مذبوحا احسن واهون عليّ من هذا الضرب وتذكّرت قول بنت عمي فانها كانت تقول لي كفاك الله شرّها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي ومابقي لي حس ولا نفس ثم سنّت السكّين وقالت للجواري اكشفن عنه فالهمني المسولي ان اقول الكلمتين اللتين قالتهما بنت عمي واوصتني بهما فقلت ياسيدتي اما علمت ان الوفا مليح * والغدر قبيح * فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله ياعزيزة الله يعوّضها في شبابها الجنة والله انها نفعتك في حياتها وبعد وفاتها وخلصتك من يدي بسبب هاتين الكلمتين ولكن لا يمكن اتركك هكذا ولا بد اني اعمل فيك اثرا لاجل نكاية تلك العاهرة المصوكة التي حجبتك عني ثم صاحت على الجواري وامرتهن ان يربطن رجلاي بالحبل ثم قالت لهن اركبن عليه ففعلن ذلك ثم قامت من عندي وانت بطاجن من نحاس وعلّقته على كانون نار وصبّت فيه شيرجا وقلت فيه جبنًا وانا غائب عن الدنيا ثم اتت اليّ وحلّت لباسي وربطت محاشمي بحبل وامسكته وناولته لجاريتين وقالت لهما جرّا الحبل فجرّتاه فغشي عليّ وصرت من شدة الالم في دنيا غير هذه الدنيا وجاءت بموسى من حديد وقطعت ذكري وبقيت مثل المراة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وانا مغمي عليّ فلما افقت كان الدم قد انقطع فامرت الجواري ان يحللنني فاسقتني قدح شراب ثم قالت لي رح الآن للتي تزوجت بها وبخلت عليّ بليلة واحدة رحم الله بنت عمك التي هي سبب نجاتك ولم تبح سرّها ولولا انك اسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب

في هذه الساعة لمن تشتهي وانا ما كان لي عندك غير الذي قطعته والآن مابقي لي عندك شي ولا لي فيك رغبة ولا حاجة لي بك فقم وملّس على راسك وترحم على بنت عمك ثم رفصتني برجلها فقمت وما قدرت ان امشي فتمشّيت قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسي فيه وانا غائب عن الوجود واذا بزوجتي خرجت وحملتني وادخلتني القاعة فوجدتني مثل المرأة ثم اني نمت واستغرقت في النوم فلما قمت وصحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملك ثم اني لما نمت وصحوت وجدت نفسي ملقى على باب البستان فقمت وانا ائنّ واتضجر وتمشيت حتى اتيت الى منزلي فدخلت فيه فوجدت امّي تبكي عليّ وتقول ياهل ترى ياولدي انت في ايّ ارض فدنوت منها ورميت نفسي عليها فلما نظرت اليّ وحست بي وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الاصفرار والسواد فتفكرت بنت عمي ومافعلت معي من المعروف وتحققت انها كانت تحبّني فبكيت عليها وبكت امي فقالت امي ياولدي ان والدك قدمات فازددت غيظا وبكيت حتى اغمي عليّ فلما افقت نظرت الى موضع ابنة عمي التي كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا وكدت ان اغمي عليّ من شدة البكاء ومازلت في هذا البكاء والنحيب الى نصف الليل فقالت لي امي ان لوالدك عشرة ايام وهو ميت فقلت

لها اني لا افكر في احد ابدا غير ابنة عمي لاني استحق كل ماحصل لي حيث اهملتها وهي تحبّني فقالت وماحصل لك فحكيت لها ماحصل لي فبكت ساعة ثم قامت واحضرت لي شيأً من الماكول فاكلت قليلا وشربت واعدت لها قصتي واخبرتها بجميع ماوقع لى فقالت الحمد لله الذي جرى لك هذا وما ذبحتك ثم انها عالجتني وداوتني حتى برئت وتكاملت عافيتي فقالت لى يا ولدي الآن اخرج لك الوداعة التي وضعتها عندي بنت عمك فانها لك وقد حلفتني اني لا اخرجها لك حتى اراك تتذكرها وتبكي عليها وتنقطع علائقك من غيرها والآن علمت فيك هذه الشروط ثم قامت وفتحت صندوقا واخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة هذا الغزال المصور وهي التي كنت وهبتها لهـا اوّلا فلما اخذتهـا وجدت مكتوبا فيهـا هذه الابيـات

يَارَبَّةَ الْحُسْنِ مَنْ بِالصَّدِّ اَغْرَاكِ ... حَتَّى قَتَلْتِ بِفَرْطِ الْحُبِّ مُضْنَاكِ
اِنْ كُنْتِ لَمْ تَذْكُرِينَا بَعْدَ فُرْقَتِنَا ... فَاللّٰهُ يَعْلَمُ اَنَا مَا نَسِينَاكِ
عَذَّبْتِنِي بِالتَّجَنِّي وَهُوَ يَعْذُبُ لِي ... فَهَلْ تَجُودِينَ لِي يَوْمًا بِرُؤْيَاكِ
مَا كُنْتُ اَحْسَبُ اَنَّ الْحُبَّ فِيهِ ضَنَا ... وَلَا عَذَابُ نُفُوسٍ قَبْلَ اَهْوَاكِ
حَتَّى تَوَلَّعَ قَلْبِي بِالْغَرَامِ فَمَا ... اَمْسَى اَسِيرَ الْهَوَى فِي لَحْظِ عَيْنَاكِ
رَقَّ الْعَذُولُ لِحَالِي فِي الْهَوَى وَرَثَى ... وَاَنْتِ يَا هِنْدُ لَمْ تَرْثِي لِمُضْنَاكِ
تَاللّٰهِ لَوْمُتُّ لَمْ اَسْلُوكِ يَا اَمَلِي ... وَلَوْ فَنِيتُ غَرَامًا لَسْتُ اَنْسَاكِ

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت على وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة اخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا بن عمي اني جعلتك في حلّ من دمي وارجو الله ان يوفق بينك وبين من

تعب لكن اذا اصابك شيءٌ من بنت الدليلة المحتالة فلا ترجع تروح اليها ولا لغيرها واصبر على بليّتك ولولا اجلك مديد لكنت هلكت من زمان ولكن الحمـــد لله الذي جعل يومي قبل يومك وسلامي عليك واحتفظ على هذه الخـــرقة التي فيهـــا صورة الغزال ولا تخليهـــا تفارقك فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عنّي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيـــد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشـــاب عزيزا قال لتاج الملوك فقرأت ماكتبته لى بنت عمي واوصتـــني به وهي تقول احتفظ بهذا الغزال ولا تدعه يفارقك فانه كان يؤانسني اذا غبت عني وبالله عليك ان قدرت على من عملت هذا الغزال تتباعد عنها ولا تخليها تقربك ولا تتزوج بها وان لم تحصل لك ولا قدرت عليها ولا وجدت لك اليها سبيلا فلا تقرب بعدها واحدة من النساء واعلم ان صاحبة هذا الغزال تعمل كل سنه غزالا وترسله الى اقصى البلاد لاجل ان يشيـــع خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنهـــا اهل الارض واما محبوبتك بنت الدليلة المحتالة فوصل اليهـــا هذا الغزال فصارت تصدم به النـــاس وتريه لهم وتقول ان لى اختا تصنع هذا وهي كذّابة في قولها هتك الله سترها وهذه وصيتي وما اوصيتك بهذه الوصية الّا لانني اعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف فى البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها فتذكرني فما ينفعك فلاتعرف قدري الّا بعد

موتي واعلم ان الصبية التي صنعت هذا الغزال بنت ملك جزائر الكافور
وست الاحرار فلما قرأت تلك الورقة وفهمت مافيها بكيت وبكت
امي لبكائي ولازلت انظر اليها وابكي الى ان اقبل الليل ولم ازل
على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز هؤلاء التجّار من
مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين انا معهم في القافلة فاشارت
عليّ امي ان اتجهّز معهم واسافر لعلي أنسلي ويذهب مابي من الحزن
وقالت لي اشرح صدرك واترك هذا الحزن عنك وتغيب سنة
اوسنتين اوثلثة حتى تعود القافلة فلعل ينشرح صدرك
وينجلي خاطرك ولازالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجري
وسافرت معهم وانا لم تنشف لي دمعة طول سفري ابدا وفي كل
منزلة ننزل بها انشر هذه الخرقة وانظر فيها الى هذا الغزال فاتذكر
ابنة عمي وابكي عليها كما تراني فانها كانت تحبني محبة زائدة
وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها الّا الضرر وهي لم
تفعل معي الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم
فانا ارجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة كاملة وانا في
حزن زائد وماجدّد همي وحزني الّا اني جزت على جزائر الكافور
وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان
وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي انها هي التي تصنع الغزلان
وهذا الغزال الذي معك من جملة رقمها فلما علمت ذلك زادت
بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لانني
بقيت مثل المرأة ولا حيلة لي وما بقي معي آلة مثل الرجال والي
من يوم فراقي لجزائر الكافور وانا باكي العين حزين القلب ولي مدة
على هذا الحال وما ادري هل يمكنني ان ارجع الى بلدي واموت

عندي والدتي اولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وان واشتكى ونظر الى صورة الغزال وجرت دموعه على خدوده وصار يقول هذين البيتين

وَقَائِلٍ قَالَ لِي لَابُدَّ مِنْ فَرَجٍ ... فَقُلْتُ لِلْغَيْظِ كَمْ لَابُدَّ مِنْ فَرَجِ
فَقَالَ لِي بَعْدَ حِينٍ قُلْتُ يَا عَجَبِي ... مَنْ يَضْمِنُ الْعُمْرَ لِي يَا بَارِدَ الْحُجَجِ

وقول الآخر

اَللهُ يَعْلَمُ اَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ ... بَكَيْتُ حَتَّى اِسْتَلَفْتُ الدَّمْعَ بِالدَّيْنِ
فَقَالَ لِي عَاذِلِي اِصْبِرْ تَنَالُهُمُ ... فَقُلْتُ يَا عَاذِلِي اَلصَّبْرُ مِنْ اَيْنِ

وهذه حكايتي ايها الملك فهل سمعت اعجب من هذا الحديث فتعجب تاج الملوك غاية العجب وانه لما سمع قصة الشاب انطلقت في فؤاده النيران بسبب ذكر الست دنيا وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت في فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا وعرف انها هي التي ترقم الغزلان وزاد به الوجد والهيام فقال للشاب والله لقد جرى لك شيء ماجرى لاحد غيرك مثله ولكن لك عمر تقضيه وقصدي ان اسالك عن شيء فقال عزيز وماهو قال تحكي لي كيف رأيت تلك الصبية التي عملت هذا الغزال فقال يا مولاي اني اتيتها بحيلة وهو اني لما دخلت مع القافلة الى بلدها كنت اخرج وادور في البساتين وهي

كثيرة الاشجار و حارس تلك البساتين شيخ كبير طاعن في السنّ فقلت له يا شيخ لمن هذا البستان فقال لي هو لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فاذا ارادت ان تتفرج تفتح باب السرّ وتتفرج في البستان و تشمّ روائح الازهار فقلت له انعم عليّ بان اقعد في هذا البستان حتى تاتي وتمرّ لعلّي احظى منها بنظرة فقال الشيخ لاباس بذلك فلما قال لي ذلك اعطيته بعض دراهم و قلت له اشتر لنا شيئاً ناكله فاخذهم و هو فرحان و فتح الباب و دخل وادخلني معه و سرنا و ما زلنا سائرين الى ان اتينا الى مكان لطيف وقال لي اجلس هنا الى ان اذهب و اعود اليك بعد ان احضر لي شيئاً من الفواكه وتركني ومضى وغاب ساعة ورجع ومعه خروف مشوي فاكلنا حتى اكتفينا وقلبي مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسان و اذا بالباب قد انفتح فقال لي قم اختف فقمت و اختفيت و اذا بطواشي اسود اخرج راسه من باب الربع و قال يا شيخ هل عندك احد فقال لا فقال له اغلق باب البستان فاغلق الشيخ باب البستان واذا بالست دنيا طلعت من باب السرّ فلما رأيتها ظننت ان القمر قد طلع من الافق واضاء فنظرت لها ساعة زمانية و صرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء وبعد ساعة اغلقت الباب و مضت فعند ذلك خرجت انا من البستان وطلبت منزلي وعرفت انّي لا اصل اليها ولا انا من رجالها خصوصا وانا قد صرت مثل المراة ليس لي آلة رجال و هي بنت ملك و انا رجل تاجر فمن اين لي وصول الى مثل هذه او غيرها فلما تجهزت اصحابي هؤلاء تجهزت انا وسافرت معهم و هم قاصدون هذه البلدة حتى اذا وصلنا الى هذا المكان و اجتمعنا بك وسألتني فاخبرتك و هذه حكايتي وما جرى

لي والسلام. فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل باله وفكره بسبب السيدة دنيا وحار في امره ثم انه نهض وركب جواده واخذ عزيزا معه وعاد به الى مدينة ابيه وافرد لعزيز دارا ووضع له فيها كل ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والملبس وتركه ومضى الى قصره ودموعه تجري على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ولم يزل تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه ابوه فوجده متغير اللون نحيف الجسم باكي العين فعلم انه مهموم لامر نزل به فقال له يا ولدي اخبرني عن حالك وما الذي جرى لك حتى تغير لونك ونحل جسمك فاعاد له جميع ما جرى له وما سمعه من قصة عزيز وقصة السيدة دنيا وانه عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال يا ولدي انها بنت ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل الى قصر امك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له يا ولدي ان اباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل الى قصر امك ففيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن اعجبتك منهن خذها والا ناخذ ونخطب لك بنتا من بنات الملوك تكون احسن منها فقال له يا ابي لا اريد غيرها ابدا وهي صاحبة الغزال الذي رايته ولابد لي منها والا اهج في البراري والقفار واقتل نفسي بسببها فقال له ابوه امهلني حتى ارسل الى ابيها واخطبها منه وابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي

في امك لعلّ الله ان يبلغك المرام و ان لم يرض زلزلت عليه مملكته بجيش آخره عندي و اوّله عنده ثم دعا بالشاب عزيز و قال له يا ولدي هل انت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهي منك ان تسافر مع وزيري فقال له عزيز سمعا وطاعة يا ملك الزمّان ثم ان الملك احضر وزيره و قال له دبّرلي رأيا في امر ولدي يكون صوابا واذهب الى جزائر الكافور و اخطب بنت ملكها لولدي فاجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زاد به الوجد والحال وطال عليه المطال فلما جنّ عليه الليل بكى و انّ و اشتكى و انشد يقول شعر

جَنَّ الظَّلَامُ وَدَمْعِي زَائِدُ الْمَدَدِ ... وَالْوَجْدُ مِنْ شِدَّةِ النِّيرَانِ فِي كَبِدِي
سَلُوا اللَّيَالِي عَنِّي وَهْيَ تُخْبِرُكُمْ ... اِنْ كَانَ شُغْلِي غَيْرَ الْهَمِّ وَالْكَمَدِ
اَبِيتُ اَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مِنْ وَلَهِي ... وَالدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ فِي الْخَدِّ كَالْبَرَدِ
وَقَدْ بَقِيتُ وَحِيدًا لَيْسَ لِي اَحَدٌ ... كَمِثْلِ صَبٍّ بِلَا اَهْلٍ وَلَا وَلَدِ

ثم لما فرغ من شعره غشي عليه ساعة فلم يفق الا وقت الصباح فاتى خادم ابيه ووقف عند راسه ودعاه الى والده فراح معه فلما رآه ابوه وجده قد تغيّر لونه فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهّز عزيزا مع وزيره واعطاهم الهدايا فسافروا اياما و ليالي الى ان اشرفوا على جزائر الكافور فعند ذلك اقاموا على شاطئ نهر وانفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم فراح الرسول فلم يكن غير ساعة الّا و حجاب الملك وامراؤه قد اقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا في خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا واقاموا في ضيافته ثلثة ايام فلما كان اليوم الرابع قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدّثه

بالامر الذي جاء فيه فبقي الملك حائرا في ردّ الجـــواب لان ابنته
لاتحبّ الرجال ولا تشتهي الزواج فاطرق الملك براسه الى الارض
ساعة ثم رفع راسه ودعا بخــادم من بعض الخدام وقال له اذهب
الى سيدتك دنيا واعلم عليها ما سمعت وبمـا جاء به هذا الوزير
فقام الخادم وذهب وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له ياملك
الزمان اني لما دخلت واخبرت الست دنيا بما سمعت غضبت غضبا
شديدا ونهضت اليّ بعصاة وارادت كسر راسي ففررت منها هاربا
وقالت لي ان كان ابي يغصبني على الزواج فالذي اتزوّج به اقتله
فقال ابوها للوزير وعزيز قد سمعتما فانتما تعلمان واخبرا الملك
بذلك وسلّما وان ابنتي لاتحبّ الرجال ولا تشتهي الزواج وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان الملك شهرمان قال للوزير
وعزيز سلّما على الملك وانكما تخبران الملك بما سمعتماه بان
ابنتي لاتحب الزواج فرجعوا من غير فائدة ومازالوا مسافرين الى
ان دخلوا على الملك واخبروه بماجرى فعند ذلك امر النقباء ان
ينادوا على العساكر بالسفر من اجل الحرب والجهاد فقال له الوزير
ايها الملك لاتفعل ذلك فان الملك لا ذنب له وان ابنتـــه حين
علمت بذلك ارســـلت تقول ان غصبني ابي على الزواج اقتل من
اتزوّج به واقتل نفسي بعده وانما الامتناع منها فلما سمع الملك
كلام الوزير خاف على تاج الملوك وقال ان انا حاربت اباها وظفرت
بابنته فهي تقتل نفسها فلا يفيدني شيء ثم ان الملك اعلم ابنـه

تاج الملوك بذلك فلما علم ذلك قال لابيه يا ابي انا لا اطيق الصبر عنها فانا اروح اليها واتحايل في اتصالي بها ولو اموت ولا افعل غير هذا فقال له ابوه وكيف تروح اليها فقال اروح في صفة تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه اخرج له شيئاً من خزائنه وهيّأ له متجرا بمائة الف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا تلك الليلة هناك وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له اكل ولا رقاد بل هجم عليه الفكر وهزّه الشوق الى محبوبته فتوسّل بالخلّاق ان يمنّ عليه بالتلاق وبكى وانّ واشتكى وانشد يقول

تُرَى هَلْ لَنَا بَعْدَ البِعَادِ وُصُولُ ... فَأَشْكُو الَيْكُمْ صَبْوَتِي وَأَقُولُ
تَذَكَّرْتُكُمْ وَاللَّيْلُ فِي غَفَلَاتِهِ ... وَأَسْهَرْتُمُونِي وَالْأَنَامُ غُفُولُ

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولا زالا كذلك يبكيان الى ان اصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس اهبة السفر فسألته عن حاله فاعاد عليها الخبر فاعطته خمسين الف دينار ثم ودّعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستاذنه ان يرحل فاذن له واعطاه خمسين الف دينار وامران تضرب له خيمة في خارج المدينة فضربت له الخيمة فاقام فيها يومين وسافر واستانس تاج الملوك بعزيز وقال له يا اخي انا ما بقيت اطيق ان افارقك فقال عزيز وانا الآخر كذلك وانا احبّ ان اموت تحت رجليك ولكن يا اخي قلبي اشتغل بوالدتي فقال له تاج الملوك

لما نبلغ المرام لايكون الا خيرا وسافروا و كان الوزير قد اوصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز يسامره وينشد له الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار وهم يجدون في السير ليلا و نهارا مدة شهرين كوامل فطالت الطريق على تاج الملوك وزادت به النيران فانشد يقـــــــــــــــول

طَالَ الْمَسِيرُ وَزَادَ الْهَمُّ وَالْقَلَقُ وَفِي الْفُؤَادِ هَوًى زَادَتْ بِهِ الْحُرَقُ
أَقْسَمْتُ يَا مُنْيَتِي يَا مُنْتَهَى أَمَلِي بِحَقِّ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ
لَقَدْ حَمَلْتُ غَرَامًا مِنْكِ يَا سُؤْلِي لَمْ تَحْمِلْنَهُ جِبَالُ الشُّمِّ بِالْأَرَقِ
يَاسِتَّ دُنْيَايَ إِنَّ الْحُبَّ أَهْلَكَنِي وَرَدَّنِي مَيِّتًا مَا بِي مِنْ رَمَقِ
لَوْلَا الرَّجَاءُ بِوَصْلٍ مِنْكِ يُطْمِعُنِي مَا كَانَ شَخْصِي أَتَى فِي السَّيْرِ مُنْطَلِقِ

ثم لما فرغ من انشاده بكى وبكى عزيز معه لانه جريح القلب فرق قلب الوزير لبكائهما وقال ياسيدي طب نفسا وقر عينا فما يكون الا الخير فقال تاج الملوك ياوزير طالت مدة السفر فاخبرني كم بيننا وبين البلد فقال له عزيز مابقي الا القليل ثم ساروا يقطعون الاودية والاوعار والبراري والقفار فبينما تاج الملوك ذات ليلة نائم اذ راى في النوم ان محبوبته معه و هو يعانقها و يضمها الى صدره فانتبه مرعوبا فزعا طائر العقل وانشد يقول شعـــــــــــر

خَلِيلَيَّ هَامَ الْقَلْبُ وَالدَّمْعُ سَاجِمُ وَوَجْدِي عَزِيزٌ وَالْغَرَامُ مُلَازِمُ
وَنَوْحِي كَنَوْحِ الثَّاكِلَاتِ مِنَ الْبُكَا إِذَا جَنَّ لَيْلِي نُحْتُ نَوْحَ الْحَمَائِمِ
وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْيَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَجَدْتُ بِهَا بَرْدًا عَلَى الْأَرْضِ قَادِمِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا طَارَ قُمْرِيٌّ وَنَاحَتْ حَمَائِمُ

فلما فرغ تاج الملوك من انشاده اقبل عليه الوزير وقال له ابشر
هذه علامة الخير فطب قلبا وقرّ عينا ولا بدّ ان تبلغ مقصودك
واقبل عليه عزيز وصبره وصار يلهيه ويحادثه ويحكي له الحكايات
وهم يجدون في السير ولم يزالوا مسافرين اياما وليالي الى مدّة
شهرين آخرين فلما كان يوما من الايام اشرقت عليهم الشمس ولاح
لهم من البعد شيءٌ ابيض فقال تاج الملوك لعزيز ماهذا البياض فقال
عزيز يامولاي هذه القلعة البيضاء وهذه المدينة التي انت طالبها
ففرح تاج الملوك ولم يزالوا مسافرين الى ان قربوا من المدينة
فلما قربوا منها فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهمّ
والترح ثم دخلوها وهم في سيمة التجار وابن الملك في زيّ
تاجر كبير ثم اتوا الى مكان يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال
تاج الملوك لعزيز اهذا محل التجار فقال عزيز نعم وهو الخان الذي
كنت انا نزلت فيه فانزلوا فيه واناخوا فيه مطيّهم وحطوا رحالهم
وخزنوا امتعتهم في المخازن واقاموا للراحة اربعة ايام ثم ان الوزير
اشار عليهم ان يكتروا لهم دارا كبيرة فاجابوه واكتروا لهم دارا
واسعة البنيان معدّة للافراح فنزلوا فيها واقام الوزير وعزيز
يدبّران حيلة لتاج الملوك وتاج الملوك حائر لا يدري مايفعل
ولم يجد له حيلة غير انه تاجر في قيصرية البزّ ثم ان الوزير اقبل
على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انه اذا كان مقامنا هنا
على هذه الحالة فاننا لانبلغ مرادنا ولا تقضي لنا حاجة وقد
خطر ببالي شيءٌ وهو ان شاء الله فيه الصلاح فقال له تاج الملوك
وعزيز افعل مابدا لك فان المشائخ فيهم البركة لاسيّما انك قد مارست
الامور فقل لنا ماخطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأي اننا نكتري لك

دكانا في سوق البزّ تقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البزّ والتفاصيل واذا سكنت وقعدت في تلك الدكان ينصلح امرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك جميلة ولكن اجعل عزيزا امينا عندك واجلسه في داخل الدكان لينا ولك التفاصيل والا قمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأي سديد ومليح فعند ذلك اخرج تاج الملوك بدلة سنية تجّارية ولبسها وقام يمشي وغلمانه خلفه واعطى لاحدهم الف دينار معه ليقضي بها مصالح الدكان وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البزّ فلما رات التجّار تاج الملوك ونظروا الى حسنه وجماله تحيّروا وصاروا يقولون ان رضوان فتح ابواب الجنان وغفل عنها فخرج منها هذا الشاب البديع الحسن وآخر يقول لعلّ هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان العَرِيف فدلوهم عليها فما زالوا سائرين حتى وصلوا عند العَرِيف فسلموا عليه فقام اليهم هو ومن عنده من التجار واجلسوهم وعظّموهم لاجل الوزير فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه الشاب تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لا شك ان هذا الشيخ والد هذين الشابين فقال لهم الوزير مَن شيخ السوق فيكم فقالوا هاهو واذا هو اقبل فنظر اليه الوزير وتأمّله فرآه شيخا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان وعبيد فعند ذلك حيّاهم العَرِيف تحيّة الاحباب وبالغ في اكرامهم واجلسهم الى جانبه وقال لهم هل لكم من حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم انا رجل كبير طاعن في السن ومعي هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الّا اقمت بها سنة كاملة

حتى يتفرّجا عليها ويعرفا اهلها واني قد اتيت بلدتكم هذه واخترت المقام فيها واشتهي منك دكانا تكون جيدة من احسن المواضع حتى اجلسهما فيها ليتّجرا ويتفرّجا على هذه البلدة ويتخلّقا باخلاق اهلها ويتعلّما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال العريف لاباس بذلك فنظر العريف الى الولدين وفرح بهما واحبهما حبّا زائدا وكان العريف مغرما بفاتك اللحظات ويغلّب حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال في نفسه هذه صيدة مليحة سبحان خالقهما ومصوّرهما من ماء مهين فعند ذلك وقف العريف لخدمتهما كالغلام بين ايديهما ثم انه قام وهيّأ لهما الدكان وكانت في وسط القيصرية ولم يكن اكبر ولا اوجه منها في السوق عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وخشب الآبنوس ثم سلّم المفاتيح للوزير وهو في صفة الشيخ التاجر وقال له خذ ياسيدي جعلها الله منزلا مباركا عليك وعلى ولديك فاخذ منه المفاتيح ثم انهم مضوا الى الخان الذي وضعوا فيه امتعتهم وامروا الغلمان ان ينقلوا جميع ما معهم من البضائع والقماش الى تلك الدكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخذ مفاتيح الدكان وصحبته تاج الملوك وعزيز ذهبوا الى الخان وامروا الغلمان ان ينقلوا ما معهم من البضائع والقماش والتحف وكان شيأ كثيرا يساوي خزائن من المال فنقلوا جميع ذلك ثم مضوا الى الدكان

ووضعوا امتعتهم فيها وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح اخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فاغتسلوا وتنظّفوا ولبسوا الثياب الفاخرة وتطيبّوا واخذوا غاية حظّهم من الحمام وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصارا في الحمام على حد قول الشاعر

بُشْرَى لِقَيِّمِهِ اِذْ لَا مَسَّتْ يَدُهُ ... جِسْمًا تَوَلَّدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنُّورِ
مَا زَالَ يُظْهِرُ لُطْفًا مِنْ صَنَاعَتِهِ ... حَتَّى جَنَى الْمِسْكَ مِنْ تِمْثَالِ كَافُورِ

ثم خرجا منه فلما سمع العريف بدخولهما الحمام قعد في انتظارهما واذا بهما قد اقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت وجوههما فصارا كانهما قمران زاهيان او غصنان مثمران فلما رآهما قام على حيله وقال يا اولادي حمامكم نعيم دائم فقال له تاج الملوك باعذب كلام انعم الله عليك يا والدي لايش ما حضرت عندنا واستحميت معنا ثم نزل الاثنان على يد العريف وقبّلاها ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان حشمة وتعظيما له لانه كبير التجار والسوق وتقدم منه الاحسان في حقهما باعطائهما الدكان فلما رأى اردافهما في ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يطق الصبر فاحدق بهما العينين وانشد هذين البيتين

يُطَالِعُ الْقَلْبُ بَابَ الْاِخْتِصَاصِ بِهِ ... وَلَيْسَ يَقْرَأُ فِيهِ مَبْحَثَ الشِّرْكَهْ
لَا غَرْوَ فِي كَوْنِهِ يَرْتَجُّ مِنْ ثِقَلٍ ... فَكَمْ لِذَا الْفَلَكِ الدَّوَّارِ مِنْ حَرَكَهْ

وايضا قال

رَأَى اثْنَيْنِ عَيْنِي يَمْشِيَانِ عَلَى الثَّرَى ... وَدِدْتُهُمَا لَوْ يَمْشِيَانِ عَلَى عَيْنِي

حكاية وصول الوزير وتاج الملوك وعزيز الى جزائر الكافور وجلوسهم في الدكان على هيئة التجار

فلما سمعا منه ذلك اقسما عليه ان يدخل معهما الحمام ثاني مرة فما صدق بذلك واسرع الى الحمام ودخلا معه والوزير لم يكن خرج من الحمام فلما سمع به خرج وتلقاه من وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فمسك تاج الملوك يده من ناحية وعزيز يده الاخرى من ناحية ودخلا به الى خلوة اخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فزاد عليه هيمانه فحلف تاج الملوك انه لايغسله غيره وحلف عزيز ان لايصب عليه الماء غيره فامتنع وهو يتمنّى ذلك فقال له الوزير انهما اولادك خلّهما يغسلانك وينظفانك فقال العريف ابقاهما الله لك والله لقد حلّت في مدينتنا البركة والسعادة بقدومكم ومن يصحبكم وانشد يقول هذين البيتين

اَقْبَلْتَ فَاخْضَرَّتْ لَدَيْنَا الرُّبى ... وَقَدْ زَهَتْ بِالزَّهْرِ لِلْمُجْتَلِي

وَنَادَتِ الْاَرْضُ وَمَنْ فَوْقَهَا ... اَهْلاً وَسَهْلاً بِكَ مِنْ مُقْبِلِ

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يغسله وعزيز يصب عليه الماء وهو يظنّ ان روحه فى الجنة حتى انّما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على انه يتحدث معه وهو ينظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك اتوا لهم الغلمان بالمناشف فتنشّفوا ولبسوا حوائجهم وخرجوا من الحمام فاقبل الوزير على العريف وقال له يا سيدي ان الحمام نعيم الدنيا فقال العريف جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيئاً فى الحمام مما قالته البلغاء فقال تاج الملوك انا انشد لك بيتين فانشد يقول

اِنَّ عَيْشَ الْحَمَّامِ اَطْيَبُ عَيْشٍ ... غَيْرَ اَنَّ الْمُقَامَ فِيهِ قَلِيلُ

جَنَّةٌ تُكْـرَهُ الإِقَامَةُ فِيْهَـا   وَجَحِيمٌ يَطِيبُ فِيهَا الدُّخُولُ

فلمـا فرغ تاج الملـوك من شعره قال عزيز وانا كل فكّ احفظ في الحمام بيتين فقال له العريف انشد لي اياهما فانشد يقـول

وَبَيْتٍ لَهُ مِنْ جَلْمَدِ الصَّخْرِ أَزْهَارُ   أَنِيقٍ إِذَا مَا أَضْرَمَتْ حَوْلَهُ النَّارُ
تَرَاهُ جَحِيمًا وَهُوَ فِي الْحَقِّ جَنَّةٌ   وَأَكْثَرُ مَا فِيهَا شُمُوسٌ وَأَقْمَارُ

فلما فرغ عزيز من شعره اعجب العريف ماقاله وينظر في صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا انتما منّي ثم اطرب بالنغمات وانشد يقول هذه الابيـــات

يَا حُسْنَ نَارِ النَّعِيمِ عَذَابُهَـا   تَحْيَى بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَبْدَانُ
فَاعْجَبْ لِبَيْتٍ لَا يَزَالُ نَعِيمُهُ   غَضًّا وَتُوقَدُ تَحْتَهُ النِّيـرَانُ
عَيْشُ السُّرُورِ لِمَنْ أَلَمَّ بِهِ وَقَدْ   سَفَحَتْ عَلَيْهِ دُمُوعَهَا الْغُدْرَانُ

ثم سرح في رياض حسنهما نظر العين وانشد هذين البيتيـــن

وَافَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرَ حَاجِبًـا   إِلَّا وَيَلْقَانِي بِوَجْهٍ ضَـاحِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَحِيمَهُ   فَشَكَرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةَ مَالِكِ

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان العريف عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من شدة حرّ الحمام فاستراحوا واكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة في منزلهم على اتم ما يكـون من الحظ والسرور فلما اصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضوا وصلّوا فرضهم واصطبحوا ولما طلعت الشمس وفتحت الدكاكين والاسواق قاموا بعد ذلك وتمشوا وخرجوا من المنزل واتوا الى السوق وفتحوا الدكان وكانت الغلمان قد هيّأوها احسن هيئة وفرشوا فيهـــا .

السجاجيد و البسط الحرير و وضعوا فيها مرتبتين كل مرتبة تساوي مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره شريط من الذهب وفي وسط الدكان الفرش الفائق اللائق بالمقام فجلس تاج الملوك على مرتبة و عزيز على الاخرى وجلس الوزير في وسط الدكان ووقف الغلمان بين ايديهم وتسامعت بهم اهل البلد فازدحموا عليهم فباعوا بعض بضائعهم و بعض اقمشتهم و شاع في المدينة ذكر تاج الملوك وحسنه و جمـــا له ثم اقاموا على ذلك اياما وفي كل يوم تتزايد الناس عليهم وتهرع اليهم فاقبل الوزير على تاج الملوك و اوصاه بكتمـــان سرّه و اوصى عليه عزيزا و مضى الوزير الى الدار ليختلي بنفسه و يدبر امرا يعود نفعه عليهـــم وصار تاج الملوك وعزيز يتحادثان و تاج الملوك يقـــول لعزيز عسى احد يجيء من عند الست دنيا ولم يزل تاج الملوك على ذلك اياما و ليالي و هو قلق الفؤاد لا يعرف النوم ولا الرقاد و قد تمكن منه الغـــرام و زاد به الوجد والهيام حتى حرم لذيذ المنام و امتنع من الشراب والطعام و كان كالبدر ليلة التمام فبينما تاج الملوك جالس و اذا هو بامرأة عجوز اقبلت عليه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملـــوك جالس و اذا بعجوز اقبلت عليه و تقدمت اليه و خلفها جاريتان وما زالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده و اعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت في سراويلها ثم قالت سبحـــان من خلقك من ماء مَهين و جعلك

فتنة للناظرين ثم تاملت و قالت ما هذا بشرا انْ هذا الاملك كريم
ثم دنت منه وسلّمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام
و تبسّم في وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم اجلسها الى جانبه و صار
يروّح عليها بمِروحة حتى استفاقت و استراحت فالتفتت العجوز
الى تاج الملوك وقالت له يا ولدي يا كامل الاوصاف والمعاني هل انت
من هذه الديار فقال لها تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله
يا سيدتي عمري ما دخلت هذه الديار الاّ هذه المرة ولا اقمت فيها
الاّ على سبيل الفرجة فقالت اكرم بك من قادم على الرحب والسعة
و ايّ شيء جئت به معك من القماش ارني شيأً مليحا فان المليح
لا يحمل الا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم
يعلم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندي
كلما تشتهين وعندي شيء لايصلح الا للملوك وبنات الملوك فاخبريني
بالشيء الذي تريدينه لِمَنْ حتى اقلّب عليك كل شيء يصلح لاربابه
واراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها فقالت له اريد قماشا يصلح
للست دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته
فرح فرحا شديدا و قال لعزيز ائتني با لبقجة الفلانية فاتى بها
عزيز و حلّها بين يديه فقال لها تاج الملوك انتخبي مايصلح لها
فان هذا شيء لايوجد عند غيري فاختارت العجوز شيأً يساوي
الف دينار وقالت بكم هذا وصارت العجوز تحدّثه و تحكّ بين
افخاذها بكلوة يدها فقال لها تاج الملوك وهل انا اساوم مثلك
في هذا الثمن الحقير الحمد لله الذي عرفني بك فقالت له العجوز
اسم الله عليك اعوذ وجهك المليح برب الفلق الوجه مليح واللفظ
فصيح هنيأً لمن تنام في حضنك وتضم قدّك و تحظى بشبابك

وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن وجمال مثلك فضحك تاج الملوك
حتى انقلب على قفاه. ثم قال يا قاضي الحاجات على ايدي العجائز
الفاجرات هن قاضيات الحاجات ثم قالت له يا ولدي ما اسمك فقال
اسمي تاج الملوك فقالت العجوز ان هذا اسم الملوك واولاد الملوك
وانت في زيّ التجار فقال لها عزيز من محبته عند والديه واهله ومعزته
عليهم سمّوه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر العين
وشر الاعادي والحساد ولو فتّت بمحاسنكم الاكباد ثم اخذت القماش
ومضت وهي باهتة في حسنه وجماله وقدّه واعتداله ولم تزل
ماشية حتى دخلت على الست دنيا وقالت لها يا سيدتي جئت لك
بقماش مليح فقالت لها اريني اياه فقالت يا سيدتي هاهو فقلّبيه ياعيني
وابصريه فلما رأته الستّ دنيا بهتت فيه وقالت لها يا دادتي ان
هذا قماش مليح ما رأيته في مدينتنا فقالت العجوز يا ستي ان
بائعه احسن منه كأنّ رضوانا فتح ابواب الجنان وسها فخرج منها
شاب هو الذي يبيع هذا القماش وانا اشتهي في هذه الليلة انه
ينام عندك ويكون بين نهودك فانه اتى مدينتك بأقمشة مثمنة
لاجل الفرجة وهو فتنة لمن يراه فضحكت الست دنيا من كلام العجوز
وقالت اخزاك الله يا عجوز النحس انك خرفت وما بقي لك عقل
ثم قالت هاتي القماش حتى انظره نظرا جيدا فاعطتها اياه فنظرته ثانيا
فرأته قليلا وثمنه كثيرا فاعجبها لانها ما رأت في عمرها مثله فقالت
والله انه قماش مليح فقالت لها العجوز يا سيدتي والله لو رأيت
صاحبه لعرفت انه احسن من يكون على وجه الارض فقالت لها
الست دنيا هل كنت سألته ان كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له
فقالت العجوز وقد هزّت رأسها حفظ الله فراستك والله ان له

حاجة لا عدمت معرفتك وهل احد يسلم ويخلو من حاجة • فقالت لها الست دنيا اذهبي اليه وسلّمي عليه وقولي له شرّفت بقدومك ارضنا ومدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناها لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك * في الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح والسرور وقام لها قائما على قدميه واخذ يدها واجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت اخبرته بما قالته لها الست دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح وانسع صدره وانشرح ودخل في قلبه سرور وقال في نفسه قد قُضيتْ حاجتي ثم قال للعجوز لعلك ان تاخذى لها من عندي رسالة وتأتيني بجوابها فقالت سمعا وطاعة فعند ذلك قال لعزيز ائتني بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما اتاه بتلك الادوات اخذ القلم بيده وكتب هذه الابيات شعر

كَتَبْتُ اِلَيْكَ يَاسُؤْلِي كِتَابًا ... بِمَا اَلْقَاهُ مِنْ اَلَمِ الْفِرَاقِ
فَاَوَّلُ سَطْرِهِ نَارٌ بِقَلْبِي ... وَثَانِيهِ غَرَامِي وَاشْتِيَاقِي
وَثَالِثُهُ فَنَى عُمْرِي وَصَبْرِي ... وَرَابِعُهُ جَمِيعُ الْوَجْدِ بَاقِي
وَخَامِسُهُ مَتَى عَيْنِى تَرَاكُمْ ... وَسَادِسُهُ مَتَى يَوْمُ التَّلَاقِي •

ثم كتب في امضائه ان هذا الكتاب من اسير الاشواق * المسجون في سجن الاشتياق * الذي ليس له منه اطلاق * الا بالوصال والتلاق * بعد البعد والفراق * لانه يقاسي من فرقة الاحباب * اليم الوجد والعذاب * ثم افاض دمع العين وكتب هذين البيتين

كَتَبْتُ اِلَيْكَ وَالْعَبَرَاتُ تَجْرِي ... وَدَمْعُ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ انْقِطَاعُ

وَلَسْتُ بِآيِسٍ مِنْ فَضْلِ رَبِّي عَسَى يَوْمٌ يَكُونُ بِهِ اجْتِمَاعُ

ثم طوى الكتاب وختمه واعطاه للعجوز وقال لها اوصليه الى الست دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم اعطاها الف دينار وقال يا امي اقبلي هذه هدية مني على سبيل المحبة فاخذتهـا منه ودعت له وانصرفت ولم تزل ماشية حتى دخلت على الست دنيا فلما رأتهـا قالت لها يا دادتي ايش طلب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتي انه قد ارسل معي هذا الكتاب ولا اعلم ما فيه ثم ناولتها الكتاب فاخذته وقرأته وفهمت معنـاه ثم قالت من اين الى اين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت من اين كنا حتى اتصلنا ووصلنا الى السوقة آوّاه آوّاه وقالت والله لولا خوفي من الله لقتلته وصلبته على دكانه فقالت العجوز وايش في هذا الكتـاب حتى انه ازعج قلبك وغيّر خاطرك يا ترى هل فيه شكاية مظلمة او فيه طلب ثمن القمـاش فقالت لهـا ويلك ما فيه ذلك وما فيه الا كلام عشق ومحبـة وهذا كله منكِ والا فمن اين هذا الشيطان كان يعرفني فقالت لها العجوز يا سيدتي انتِ قاعدة في قصركِ العـالي وما يصـل اليكِ احد ولا الطير الطـائر سلامتكِ وسلامة شبابكِ من اللوم والعتاب وما عليكِ من نبيح الكلاب فانتِ سيدة بنت سيد فلا تؤاخذيني حيث جئت اليكِ بهذا الكتـاب ولا اعلم بما فيه ولكن الرأي ان تردي اليـه جوابا وتهدّديه فيه بالقتـل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهي ولا يعود الى مثل ذلك فقالت السيدة دنيا اخاف ان اكاتبه فيطمع فيّ فقالت العجـوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عمـا هو فيه فقالت

عليَّ بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يَا مُدَّعِي الحُبِّ وَالبَلْوَى مَعَ السَّهَرِ ... وَمَا يُلَاقِيهِ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ فِكَرِ

أَتَطْلُبُ الوَصْلَ يَا مَغْرُورُ مِنْ قَمَرٍ ... وَهَلْ يَنَالُ المُنَى شَخْصٌ مِنَ القَمَرِ

إِنِّي نَصَحْتُكَ عَمَّا أَنْتَ طَالِبُهُ ... فَاقْصُرْ فَإِنَّكَ فِي هٰذَا عَلَى خَطَرِ

وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى هٰذَا الكَلَامِ فَقَدْ ... أَتَاكَ مِنِّي عَذَابٌ زَائِدُ الضَّرَرِ

وَحَقِّ مَنْ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ... وَمَنْ أَنَارَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ

لَئِنْ رَجَعْتَ إِلَى مَا أَنْتَ ذَاكِرُهُ ... لَأُصْلِبَنَّكَ فِي جِذْعٍ مِنَ الشَّجَرِ

ثم طوت الكتاب واعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولي له كُفّ عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم اخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت الى منزلها وباتت في بيتها فلما اصبح الصباح توجّهت الى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد ان يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما واقعدها بجانبه فاخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ مافيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها وما زحتها حتى اضحكتها ورقّت لك وردّت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وامر عزيزا ان يعطيها الف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاءا شديدا فرقّ له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدي واي شيء في هذه الورقة حتى ابكاك فقال لها انها تهدّدني بالقتل والصلب وتنهاني عن مراسلتها وان لم اراسلها يكون موتي خيرا من حيوتي فخذي جواب كتابها ودعيها تفعل ماتريد فقالت له العجوز وحيوة شبابك لا بدّ لي

اخاطر معك بروحي وابلغك مرادك واوصلك الى ما في خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه اجازيك عليه وتلقيه في ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بابواب الدعاسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شيء قدير ثم اخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

أَمْسَتْ تُهَدِّدُنِي بِالْقَتْلِ وَاحَرَبِي	وَالْقَتْلُ لِي رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ مَقْدُورُ
وَالْمَوْتُ أَهْنَى لِصَبٍّ أَنْ تَطُولَ بِهِ	حَيَوتُهُ وَهْوَ مَمْنُوعٌ وَمَقْهُورُ
بِاللّٰهِ زُورُوا مُحِبًّا قَلَّ نَاصِرُهُ	فَإِنَّنِي عَبْدُكُمْ وَالْعَبْدُ مَأْسُورُ
يَاسَادَتِي فَارْحَمُوا لِي فِي مَحَبَّتِكُمْ	فَكُلُّ مَنْ يَعْشَقُ الْأَحْرَارَ مَعْذُورُ

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك اخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلا بد ان ابلغك مقصودك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقر عينا فلا بد ان ابلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز اما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها واي شيء هذا الكلب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وقولي له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبي له هذا الكلام في مكتوب وانا آخذ المكتوب معي لاجل ان يزداد خوفه فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

أَيَا مَانِعًا عَنْ حَادِثَاتِ الطَّوَارِقِ وَلَيْسَ إِلَى نَيْلِ الْوِصَالِ بِسَابِقِ
أَتَزْعَمُ يَا مَغْرُورُ أَنْ تُدْرِكَ السُّهَا وَمَا أَنْتَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ بِلَائِقِ .
فَكَيْفَ تُؤَمِّلُنَا وَتَرْجُو وِصَالَنَا لِتَحْظَى بِضَمٍّ لِلْقُدُودِ الرَّوَاشِقِ
فَدَعْ عَنْكَ هَذَا الْقَصْدَ خِيفَةَ سَطْوَتِي بِيَوْمٍ عَبُوسٍ فِيهِ شَيْبُ الْمَفَارِقِ

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فاخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقال لا اعدمني الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فاخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال اني اشتهي من يقتلني الآن حتى استريح فان القتل اهون عليّ من هذا الامر الذي انا فيه ثم اخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم فيه هذين البيتين

فَيَا مُنْيَتِي لَا تَبْتَغِي الْهَجْرَ وَالْجَفَا وَزُورِي مُحِبًّا فِي الْمَحَبَّةِ غَارِقُ
وَلَا تَحْسَبِينِي فِي الْحَيَوةِ مَعَ الْجَفَا فَرُوحِي مِنْ بَعْدِ الْاَحِبَّةِ طَالِقُ

ثم طوى الكتاب واعطاه للعجوز وقال لها لا تؤاخذيني فقد اتعبتك بدون فائدة وامر عزيزا ان يدفع لها الف دينار وقال لها يا امي ان هذه الورقة لابد ان يعقبها كمال الاتصال اوكمال الانفصال فقالت له يا ولدي والله ما اشتهي لك الا الخير ومرادي ان تكون هي عندك فانك انت القمر صاحب الانوار الساطعة وهي الشمس الطالعة وان لم اجمع بينكما فليس في حيوتي فائدة وانا قد قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف اعجز عن الجمع بين اثنين في الحرام ثم ودّعته وطيّبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتى دخلت على السيدة دنيا وقد اخفت الورقة في شعرها

فلما جلست عندها حكّت رأسها وقالت ياسيدتي عساك ان تفلي شوشتي فان لي زمانا مادخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلّت شعر العجوز وصارت تفلي شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كالتي تعسدت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة هاتيها حتى اوديها له ربّما يكون فيها حساب يحتاجه ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها وقالت للعجوز هذه حيلة من بعض حيلك ولولا انك ربّيتني لبطشت بك في هذا الوقت وقد بلاني الله بهذا التاجر وكل ماجرى لي منه من تحت رأسك وما ادري من اي ارض جاءنا هذا ولم يقدر احد من الناس ان يتجاسر عليّ غيره وانا اخاف ان ينكشف امري وخصوصا في رجل ما هو من جنسي ولا من اقراني فانبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر احد ان يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة ابيك ولاباس ان تردّي له الجواب فقالت يا دادتي ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت في امره فان امرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد في تجاسره فقالت لها العجوز اكتبي له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طَالَ الْعِتَابُ وَفَرْطُ الْجَهْلِ اَغْرَاكَا ... فَكَمْ بِخَطٍّ يَدِي فِي الشِّعْرِ اَنْهَاكَا

وَاَنْتَ تَزْدَادُ عِنْدَ النَّهْيِ فِي طَمَعٍ ... وَلَسْتُ اِلَّا بِكَتْمِ السِّرِّ اَرْضَاكَا

اُكْتُمْ هَوَاكَ وَلَا تَجْهَرْ بِهِ اَبَدًا ... وَاِنْ نَطَقْتَ فَاِنِّي لَسْتُ اَرْعَاكَا

وَاِنْ رَجَعْتَ اِلَى مَا اَنْتَ تَذْكُرُهُ ... فَقَدْ اَتَاكَ غُرَابُ الْبَيْنِ يَنْعَاكَا

وَعَنْ قَلِيلٍ يَكُونُ الْمَوْتُ مُنْدَفِعًا ... عَلَيْكَ وَالدَّفْنُ تَحْتَ الْاَرْضِ مَثْوَاكَا

وَتَتْرُكُ الأَهْلَ يَا مَغْرُورُ فِي نَدَمٍ   عَلَى فِرَاقِكَ طُولَ الدَّهْرِ يَبْكِيَا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز فاخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فاعطتها له فلما قرأها علم انها قاسية القلب وانه لا يصل اليها فشكا امره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال له الوزير اعلم انه ما بقي شيءٌ يفيد فيها غير انك تكتب لها كتابا وتدعو عليها فيه فقال يا اخي يا عزيز اكتب لها عن لساني مثل ما تعرف فاخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يَا رَبِّ بِالخَمْسَةِ الأَشْيَاخِ تُنْقِذُنِي   وَمَنْ بُلِيتُ بِهِ مَا جَعَلْتَهُ فِي مِحَنِي

فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فِي جَوَى لَهَبٍ   وَقَدْ جَفَانِي حَبِيبِي لَيْسَ يَرْحَمُنِي

فَكَمْ أَرِقُّ لَهَا فِيمَا بُلِيتُ بِهِ   وَكَمْ تَجُورُ عَلَى ضَعْفِي وَتَظْلِمُنِي

أَهِيمُ فِي غَمَرَاتٍ لَا انْقِضَاءَ لَهَا   وَلَا أَرَى مُسْعِفًا يَارَبِّ يُسْعِفُنِي

وَكَمْ أَرُومُ سُلُوًّا فِي مَحَبَّتِهَا   وَكَيْفَ أَسْلُو وَصَبْرِي فِي الغَرَامِ فَنِي

يَا مَانِعِي فِي الهَوَى طِيبَ الوِصَالِ فَهَلْ   أَمِنْتِ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ وَالمِحَنِ

أَلَسْتِ فِي عِيشَةٍ مَسْرُورَةً وَأَنَا   مُغَرَّبٌ فِيكِ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

ثم ان عزيزا طوى الكتاب وناوله لتاج الملوك فلما قرأه اعجبه ثم ناوله للعجوز فاخذته العجوز وتوجهت به الى ان دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأته وفهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذي جرى لي من تحت راس هذه العجوز النحس فصاحت على الجواري والخدم وقالت امسكوا هذه العجوز الملعونة الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشي عليها فلما افاقت قالت لها والله يا عجوز السوء لولا خوفي من الله

تعالي لقتلتك ثم قالت لهم اعيدوا عليها الضرب فضربوها
حتى غشي عليها ثم امرتهم ان يجرّوها ويرموها خارج الباب
فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما افاقت قامت تمشي
و تقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت
و تمشّت حتى اتت الى تاج الملوك و اخبرته بجميع ما جرى لها
فصعب عليه ذلك و قال لها يعزّ علينا يا امي ما جرى لك ولكن
كل شيء بقضاء و قدر فقالت له طب نفسا وقرّ عينا فاني لا ازال اسعي
حتى اجمع بينك وبينها و اوصلك الى هذه العاهرة التي اوجعتني
بالضرب فقال لها تاج الملوك اخبريني ما سبب بغضها للرجال
فقالت لانها رأت مناما اوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام
فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيّادا نصب شركا في الارض
و بذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شيء من الطيور
الا و قد اتى الى ذلك الشرك ورأت في الطيور حمامتين ذكرا
وانثى فبينما هي تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلّقت في الشرك
و صار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور و فرّت فرجعت اليه امرأته
وحامت عليه ونزلت ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر
العين التي فيها رجل الذكر و صارت تجذب به بمنقارها حتى خلصت
رجله من الشرك وطارت هي و اياه فجاء بعد ذلك الصياد و اصلح
الشرك و قعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور
و علق الشرك في الانثى فنفرت عنها جميع الطيور و من جملتها
الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد واخذ الطيرة الانثى وذبحها
فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال
جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها قال لها

تاج الملوك يا امي اريد ان انظر اليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك مماتي فتحيّلي لي بحيلة حتى انظر اليها فقالت اعلم يا ولدي ان
تحت قصرها و هو برسم فرجتها و انها تخرج اليه في كل شهر مرة من باب السرّ و بعد عشرة ايام قد جاء اوان خروجها الى الفرجة فاذا ارادت الخروج اجيء اليك و اعلمك حتى تخرج و تصادفها واحرص على انك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك و جمالك يتعلق قلبها بمحبتك فان المحبة اعظم اسباب الاجتماع فقال سمعا و طاعة ثم قام من الدكان هو و عزيز و اخذا معهما العجوز و مضيا الى منزلهما و عرّفاه لها ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا اخي ليس لي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها و وهبتها لك بجميع ما فيها لانك تغرّبت معي و فارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان و صار تاج الملوك يسئله عن غريب احواله وما جرى له و صار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك اقبلا على الوزير واعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم افخر ما عنده و خرجوا و خلفهم ثلثة مماليك و توجّهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولي جالسا على الباب فسلّموا عليه فردّ عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار و قال اشتهي ان تاخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيئا ناكله فاننا غرباء و معي هؤلاء الاولاد و اردت ان افرجهم فاخذ البستاني الدنانير و قال لهم ادخلوا وتفرجوا و جميعه ملككم و اجلسوا حتى احضر لكم بما تاكلون ثم توجه الى السوق و دخل الوزير و تاج الملوك و عزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستاني الى السوق ثم بعد ساعة اتى و معه خاروف مشوي

وخبز مثل القطن و وضعه بين ايديهم فاكلوا و شربوا و بعد ذلك
احضر لهم حلوى فتحلوا وغسلوا ايديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير
اخبرني عن هذا البستان هل هولك ام انت مستاجره فقال الشيخ
ماهولي وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك في كل
شهر من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتامل الوزير فى البستان فرأى
هناك قصرا عاليا الّا انه عتيق فقال الوزير يا شيخ اريد ان اعمل هنا
خيرا تذكرني به فقال يا سيدي وما تريد ان تفعل من الخير فقال خذ
هذه الثلمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال يا سيدي مهما
شئت فافعل ثم اعطاه الدنانير وقال له ان شاء الله تعالى نفعل في هذا
المحل خيرا ثم خرجوا من عنده و توجّهوا الى منزلهم و باتوا
تلك الليلة فلما كان من الغد احضر الوزير مبيّضا ونقّاشا وصائغا
جيّدا واحضرلهم جميع مايحتاجون اليه من الآلات ودخل بهم
البستان و امرهم بتبييض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش ثم امر
باحضار الذهب و اللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الايوان
صورة آدمي صيّاد كانه نصب شركه وقد وقعت فيه طيور وحمامة
و اشتبكت بمنقارها فى الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه
قال له الوزير افعل فى الجانب الآخر مثل الاول وصوّر صورة الحمامة
وحدها فى الشرك وان الصياد اخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل
فى الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب
فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغوا من هذه الاشياء التى ذكرها
الوزير واعطاهم اجرتهم انصرفوا وانصرف الوزير ومن معه وودّعوا
البستاني ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك
لعزيز يا اخي انشدني بعض الاشعار لعل صدري ينشرح وتزول عني

هذه الافكار ويبرد ما بقلبي من لهيب النار فعند ذلك اطرب عزيز
بالنغمات وانشد هذه الابيـــــــات

جميع ما قالت العشاق من كمل حويته مفردا حتى وهى جلدي
وان ترد موردا من ادمعي اتسعت للواردين بحار الله مع بي مددي
وان ترد تنظر العشاق ما صنعت ايدي الغرام بهم فانظر الى جسدي

ثم افاض العبرات وانشد هذه الابيـــــــات

من كان لا يعشق الاجياد والحدق ثم ادعى لذة الدنيا فما صدق
فان في العشق معنى ليس يدركه من البرية الا كل من عشق
لا خفف الله عن قلبي صبابته بمن هويت ولا عن جفني الارق

ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيـــــــات

زعم ابن سينا في اصول كلامه ان المحب دواؤه الالحان
ووصال مثل حبيبه من جنسه والنقل والمشروب والبستان
فصحبت غيرك للتداوي مرة واعانني المقدور والامكان
فعلمت ان الحب داء قاتل فيه ابن سينا طبه هذيان

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن
روايته وقال له قد ازلت عني بعض مابي فقال الوزير قد وقع للمتقدمين
ما يحير السامعين فقال له ان كان يحضرك شيء من جنس هذا
فاسمعني ما حضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فاطرب
بالنغمات وانشد هذه الابيـــــــات

قد كنت احسب ان وصلك يشترى بكرائم الاموال والاشباح

وظننت جهلاً ان حبك هين ... تفنى عليه نفائس الارواح
حتى رايتك تجتبي وتخص من ... احببته بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة ... ولويت راسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي ... فيه غدوي دائما ورواحي

هذا ماكان من امر هؤلاء واما ماكان من امر العجوز فانها انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة فى البستان وهي لاتخرج الا بالعجوز فارسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت اني اريدان اخرج الى البستان لاتفرج على اشجاره واثماره و ينشرح صدري بازهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن اريدان اذهب الى بيتي والبس اثوابي واحضر عندك فقالت لها اذهبي الى بيتك ولا تاخري عني فخرجت العجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس افخر اثوابك واذهب الى البستان وادخل على البستاني وسلم عليه ثم اختف فى البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت بينها وبينه اشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز والبسا تاج الملوك بدلة من افخر ملابس الملوك تساوي خمسة آلاف دينار وشدا في وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولي جالسا هناك فلما رآه البستاني نهض له على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج فى البستان و لم يعلم البستاني ان بنت الملك تدخل البستان في هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجة فلم يشعر

الا والخدم والجواري خرجوا من باب السر فلما رآهم البستاني ذهب الى تاج الملوك واعلمه بمجيئها وقال له يا مولاي كيف يكون العمل وقد اتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا بأس عليك فاني اختفي في بعض مواضع البستان فاوصاه البستاني بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هي وجواريها والعجوز في البستان قالت العجوز في نفسها متى كان الخدم معنا فاننا لا ننال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك ياسيدتي اني اقول لك على شيء فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولي ما عندك فقالت العجوز ياسيدتي ان هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم في هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ماداموا معنا فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها والى حسنها وجمالها وهي لا تشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما راى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها في الحديث الى ان اوصلتها الى القصر الذي امر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وابصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة ما رايتها في المنام وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يا دادتي اني كنت الوم الرجال وابغضهم ولكن انظري الصياد كيف ذبح الطيرة الانثى وتخلص الذكر واراد ان يجيء الى الانثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى ان قربتا من المكان المختفي فيه تاج الملوك فاشارت اليه العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت منها التفاتة نحوه وتاملت جماله وقده واعتداله ثم

قالت يا دادتي من اين هذا الشاب المليح فقالت لا اعلم به غير
اني اظنّ انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن
الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر
عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت
للعجوز يا دادتي ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتي
ثم ان العجوز اشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به
نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار ولم يقف وودّع الخولي
وانصرف الى منزله وقد هاج بتاج الملوك الشوق الا انه لم يخالف العجوز
واخبر الوزير وعزيزا بان العجوز اشارت اليه بالانصراف فصارا
يصبرانه ويقولان له لولا ان العجوز تعلم ان في رجوعك مصلحة
ما اشارت عليك به هذا ماكان من امر تاج الملوك والوزير وعزيز
واما ماكان من امر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام
وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز انا ما اعرف اجتماعي بهذا
الشاب الا منكِ فقالت لها العجوز اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
انتِ لا تريدين الرجال وكيف حلّت بك من عشقه الاوجال لكن
والله ما يصلح لشبابك الاهو فقالت السيدة دنيا يا دادتي اسعفيني
وساعديني باجتماعي عليه ولك عندي الف دينار وخلعة بالف دينار
وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة لا محالة فقالت العجوز امضِ انت
الى قصرك وانا اتسبب في اجتماعكما وابذل روحي في مرضاتكما ثم
ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك
فلما رآها نهض لها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام واجلسها
الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت لها ما جرى لها مع
السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فاعطاها

الف دينار و حلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت ولا زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت ذلك ويوم غد اكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك واعطتها الف دينار و حلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت و توجهت الى تاج الملوك والبسته لبس النساء و قالت له امش خلفي و تمايل في خطواتك و لا تستعجل في مشيك ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد ان اوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت و خرج خلفها وهو في زي النسوان و صارت تعلمه وتجسره في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت وهو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز الا ان جاوزت به سبعة ابواب و لما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قو قلبك و اذا زعقت عليك و قلت لك يا جارية اعبري فلا تتوان في مشيك و هرول فاذا دخلت الدهليز فانظر الى شمالك ترى ايوانا فيه ابواب فعد خمسة ابواب و ادخل الباب السادس فان مرادك فيه فقال تاج الملوك و اين تروحين انت فقالت له ما اروح موضعا غير اني ربما اتاخر عنك واتكلم مع الخادم الكبير واتحدث معه ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذي فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك في صورة جارية فقال لها ما شان هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بانها تعرف الاشغال وتريد ان تشتريها فقال لها الخادم انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى انتشه كما امرني الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب قال للعجوز انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتشه كما امرني به الملك فقالت له العجوز وقد اظهرت الغضب انا اعرفك انك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فاني اعلمها بذلك و اخبرها انك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك و قالت له اعبري يا جارية فعند ذلك عبر الى داخل الدهليز كما امرته و سكت الخادم و لم يتكلم ثم ان تاج الملوك عد خمسة ابواب و دخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة في انتظارها فلما رأته عرفته فضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما و تحيلت على صرف الجواري خوفا من الفضيحة ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كوني انت بوابة ثم اختلت هي و تاج الملوك ولم يزالا في ضم وعناق والتفاف ساق على ساق الى وقت السحر فلما قرب الصباح خرجت من عنده و اغلقت عليه الباب. و دخلت مقصورة اخرى و جلست على جري عادتها و اتت اليها الجواري فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجواري اخرجن الآن من عندي فاني اريد ان انشرح وحدي فخرجت الجواري من عندها واتت الى تاج الملوك ثم انها اتت اليهما العجوز و معها شيء من الاكل فاكلوا و اخذا في الهراش الى وقت السحر فاغلقت عليهما الباب مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ماكان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا واما ما كان من امر الوزير و عزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك و مكث تلك المدة علما انه لا يخرج منه

ابدا وانه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا والدي ما ذا تصنع
فقال الوزير يا ولدي ان هذا الامر مشكل وان لم ترجع الى ابيه
ونعلمه فانه يلومنا عليه ذلك ثم تجهزوا في تلك الساعة وتوجهوا
الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وصاروا
يقطعان الاودية في الليل والنهار الى ان دخلا على الملك سليمان
شاه واخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل قصر بنت الملك
لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتد به الندامة
والضرار ونادى في مملكته بالجهاد ثم برز العساكر الى خارج مدينته
ونصب لهم الخيام وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش
من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار
في عسكر سد الافق متوجها في طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان
من امر هؤلاء واما ما كان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما
اقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة في بعضهما
وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى افصح
لها عن الضمير وقال لها اعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد اني كلما
اقمت عندك ازددت هياما ووجدا وغراما لاني ما بلغت المرام
بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عيني وثمرة فؤادي ان شئت
غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذي يرضيك
وليس لله فينا شريك فقال ليس مرادي هكذا وانما مرادي
ان اخبرك بحقيقتي فاعلمي اني لست بتاجر بل انا ملك ابن ملك
واسم ابي الملك الاعظم سليمان شاه الذي ارسل الوزير رسولا
الى ابيك ليخطبك لي فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص عليها
قصته من الاول الى الآخر وليس في الاعادة افادة واريد الآن ان اتوجه

الى ابي ليرسل رسولا الى ابيك ويخطبك منه و لستريح فلما سمعت تلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه وافق غرضهما ثم باتا على هذا الاتفاق و اتفق بالامر المقدر ان النوم غلب عليهما في تلك الليلة من دون الليالي واستمروا الى ان طلعت الشمس وفى ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا في دست مملكته وبين يديه امراء دولته اذ دخل عليه عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدي الملك واخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة الف دينار لما فيه من الجواهر واليواقيت و الزمرد مما لا يقدر عليه احد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت الى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ماجرى وقال له ياكافور خذ هذه العلبة وامض بها الى السيدة دنيا فاخذها الخادم ومضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم الى هذه الساعة وانتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر الخادم فانه عرف انها مرتابة فخلع الباب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير في امره وهم ان يعود الى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ماستر الله فقال انا لا اقدر ان اخفي شيأ عن الملك ثم قفل الباب عليهما ورجع الى الملك فقال له الملك هل اعطيت العلبة لسيدتك فقال له الخادم خذ العلبة هاهي و انا لا اقدر ان اخفي عنك شيأ اعلم اني رأيت عند

السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها في فرش واحد وهما متعانقان فامر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ما هذه الفعال واشتد به الغيظ فاخذ قمشة ونهض ان يضرب به تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت له اقتلني قبله فنهرها الملك وامرهم ان يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك من اين انت ومن ابوك وماجسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم ايها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت انت ومن في مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم اني ابن الملك سليمان شاه وما تدري الا وهو قد اقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان يؤخر قتله ويضعه في السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأي عندي ان تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فانه خائن فاخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الامراء اولا وثانيا وقصد بذلك ان يكون في الامر توان فزعق عليه الملك وقال له الى متى تشاور ان شاورت مرة اخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السياف رفع يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس اغلقوا الدكاكين فقال الملك للسياف لا تعجل ثم ارسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه وقال له رايت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم

بالامواج و خيلهم في ركض و قد ارتجّت لهم الارض و ما ادري
خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منه ثم التفت
الى وزيره وقال له اَمَا خرج احد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تمّ
كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه و معهم رسل الملك القادم و من
جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائما وقرّبهم وسالهم
عن شان قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدّم اليه وقال له
اعلم ان الذي نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا
مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو
صاحب العدل والامان الذي شاعت بعلو همته الركبان السلطان
سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال اصفهان
وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف و يقول لك
ان ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه و ثمرة فؤاده فان
وجده سالما فهو المقصود وانت المشكور المحمود وان كان فقد
من بلادك اواصابه شيء فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير
بلدك قفراء ينعق فيه الغراب وها انا قد بلغتك الرسالة والسلام
فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من رسول انزعج فؤاده
وخاف على مملكته وزعق على ارباب دولته ووزرائه وحجابه
ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا و فتّشوا على ذلك الغلام
وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع
ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم
فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا
وحلّوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف
وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة

فرحته بهمــا ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا في امره وخاف خوفا شديدا لمــا تحقق ان مجي هذا العسكر بسبب ابنته ثم قام وتمشى الى عند تاج الملــوك وقبل راسه ودمعت عيناه وقال له يا ولدي لا تؤاخذني ولا تؤاخذ المسي بفعله فارحم شيبتي ولا تخرّب مملكتي فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لاباس عليك وانت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذران يصيب محبوبتي السيدة دنيا شي فقال يا سيدي لاتخف عليها فما يحصل لها الاّالسرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك شاه سليمان ووعده بالمــال الجزيل على ان يخفى من الملك ما رآه ثم ان الملك شهرمان امر كبراء دولته ان ياخذوا تاج الملوك ويمضوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملبوسه ويأتوا به سرعة ففعلوا ذلك وادخلوه الحمــام والبسوه البدلة التي افردها له الملك شهرمان ثم اتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو واوقف له جميع اكابر دولته في الخدمة ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيزا بمــا وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن في تلك المدة مضينا الى والدك فاخبرناه بانك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا امرك فحين سمع بذلك جهّز العســاكر ثم قدمنا هذه الديار وكان في قدومنــا غاية الفرج لك والسرور لنا فقال لهما لم يزل الخيــر يجرى على ايديكما اوّلا وآخرا هذا والملك شهرمان دخل على بنته الست دنيا فوجدها تُوَلْوِلُ وتبكي على تاج الملوك واخذت سيفا وركزت قبضته في الارض وجعلت ذبابته على راس قلبها بين نهديهــا وانحنت على السيف وصارت تقول لابدان اقتل نفسي ولا اعيش بعد حبيبي فلمــا دخل عليها

ابوها و رآها في هذه الحالة صاح عليها و قال لهـــا يا سيدة بنات الملوك لا تفعلي و ارحمي اباك و اهل بلدنك ثم تقدم اليها وقال لها احاشيك ان يصيب والدك بسببك سوء ثم اعلمها بالقصة ان محبوبها ابن الملك شاه سليمان يريد زواجها وقال لها ان امر الخطبة والزواج تعلق برايك فتبسمت و قالت له انا ما قلت لك انه ابن سلطان والله لابدان اخليه حتى يصلبك على خشبة تساوي درهمين فقال لها ابوها يا بنتي ارحميني يرحمك الله فقالت له هيا بالعجل رح و ائتني به سرعة بلا مهل فقال لهـا على الراس والعين ثم رجع من عندها عاجلا ودخل على تاج الملوك و ساره بهذا الكلام وقام هو و اياه و اتيا اليها فلما رات تاج الملوك عانقته بحضرة ابيهـــا و تعلقت به و قبلته وقالت له اوحشتني ثم التفتت الى ابيها وقالت هل رايت احدا يفرط في مثل هذه الذات الجميلة ومع ذلك انه ملك ابن ملك و من الاحرار المصانين عن الرذائل فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد عليهمـا الباب بيده و مضى الى وزير الملك شاه سليمان ومن بصحبته من الرسل و امرهم ان يعلموا ملكهم ان ولده في خيـر و سرور وهو في الّذعيش مع معشوقته فتوجهوا الى الملك ليعلموه بذلك ثم ان الملك شهرمان امر باخراج التقادم والعلوفات والضيافات الى عساكر الملك سليمان شاه فلما اخرجو جميع ما امربه اخرج مائة جواد ومائة هجين ومائة مملوك و مائة سريه و مائة عبد ومائة جارية وساق الجميع قدامه هدية وركب هو في اكابر دولته و خواصه حتى صاروا خارج المدينة فلما علم السلطان سليمان شاه بذلك قام و تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير و عزيز اعلماه بالخبر ففرح و قال الحمدلله الذي بلغ ولدي مناه ثم ان الملك

سليمان شاه اخذ الملك شهرمان بحضنه و اجلسه بجانبه على السرير و تحادثا و انبسطا مع بعضهما فى الكلام ثم قدم لهم الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم قدمت لهم الحلويات فحلوا والفواكه والنقل فتفكهوا وتنقلوا ولم يكن غير ساعة الاوتاج الملوك قد اقبل عليهم في زيّ عظيم و زينة فلما رآه والده قام اليه واحتضنه وقبّله وقام جميع من كان جالسا و اجلسه الملكان بينهما وجلسوا يتحدثون ساعة فقال الملك سليمان شاه للملك شهرمان اني اريد ان اكتب كتاب ولدي على ابنتك على رؤس الاشهاد ليشهر ذلك كما هو السنّة فقال له السمع والطاعة فعند ذلك ارسل الملك شهرمان الى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا كتاب تاج الملوك على السيدة دنيا و فرقت البقاشيش والسكروا نطلق البخور والطيب وكان يوم فرح و سرور و فرحت جميع الاكابر والعساكر بذلك و شرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته ثم ان تاج الملوك قال لوالده ان هذا الشاب عزيز رجل من الكرام و قد خدمني خدمة عظيمة و تعب معي و سافر معي واوصلني الى بغيتي وصبر معي وبصبرني حتى قضيت حاجتي وله الآن معي سنتان وهو مشتت من بلاده وقصدى انا نهيّ له تجارة من هنا ويسافر مجبور الخاطر فان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت فعند ذلك هيئوا له مائة حمل من افخر القماش واعلاه واقبل عليه تاج الملوك وانعم عليه بالمال الجزيل وودّعه وقال له يا اخي وصديقي خذ هذه الاحمال واقبلها مني على سبيل الهدية والمحبة وتوجه الى بلادك مع السلامة فقبلها منه وقبّل الارض بين يديه وبين يدي والده وودّعهم وركب تاج الملوك مع عزيز حتى شيّعه قدر ثلثة اميال و اخذ خاطره و اقسم عليه ان يرجع

بعدها فقال له عزيز والله يا سيدي لولا والدتي ما فارقتك ولكن ياسيدي لاتقطع اخبارك عني فقال له وهو كذلك ورجع تاج الملوك وسافر عزيز حتى وصل الى بلاده فدخل ولم يزل سائرا حتى دخل على امه فوجدها بنت له قبرا في وسط الدار وصارت تزوره فلمـا دخل الدار وجدها قد حلّت شعرها ونشرته على القبر وهي تبكي وتقول شعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرا

وَإِنِّي لَصَبَّـــارٌ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ ... وَلٰكِنَّنِي مِنْ خُطَّةِ الْبَيْنِ أَجْزَعُ

وَمَنْ ذَا يُطِيقُ الصَّبْرَ بَعْدَ خَلِيلِهِ ... وَمَنْ ذَا لِوَشْكِ الْبَيْنِ لَايَتَضَعْضَعُ

ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيـــــــــــــــــــــــــات

مَالِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسَلِّمًا ... قَبْرَ الْحَبِيبِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي

قَالَ الْحَبِيبُ وَكَيْفَ رَدُّ جَوَابِكُمْ ... وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِي

أَكَلَ التُّرَابُ مَحَاسِنِي فَنَسِينُكُمْ ... وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحْبَابِي

فبينمـا هي كذلك واذا بعزيز اقبل ودخل عليها فلما رأته وقعت مغشيا عليها من الفرح فنضح على وجهها المـاء فافاقت وقامت واخذته في حضنها وضمّته وضمّها وسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن سبب غيابه فحكى لهـا على ما وقع له من الاول الى الآخر واخبرها ان تاج الملوك اعطاه من المال والاقمشة مائة حمـل ففـرحت بذلك واقام عزيز عنـد والدته في بلـدته يبكي على ما وقع له من بنت الدليلة المحتالة التي خصته هذا ماوقع لعزيز واما ماكان من امر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته الست دنيـا وازال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع

زوجها و ابيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف فحملوا و ساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلثة ايام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك شاه سليمان با لرجوع فرجع ومازال تاج الملوك و والده وزوجته وعساكرهم سائرين فى الليل والنهار حتى اشرفوا على مدينتهم فتواترت الاخبار بقدومهم فزينت لهم المدينة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شاه سليمان لما اقبل على مدينته زينت له و لولده المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك على كرسي مملكته وولده تاج الملوك بجانبه فاعطى ووهب واطلق من كان مسجونا عنده ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرت به المغاني والملاهي شهرا كاملا والمواشط تجلى للسيدة دنيا وهي لا تمل من الجلاء وهن لا يمللن من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد ان اجتمع مع ابيه وامه وما زالوا فى الذ عيش واهناه حتى اتاهم هادم اللذات فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان ان مثلك من يشرح القلب الحزين وينا دم الملوك و يسلك في تدبيرهم احسن السلوك هذا كله وهم محاصرون القسطنطينية حتى مضى عليهم اربع سنين فاشتاقوا الى اوطانهم وضجرت العساكر و ملوا من السهر والحصار و ادامة الحرب فى الليل والنهار فامر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم و تركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا اننا اقمنا هذه السنين وما بلغنا مراما بل ازددنا هما و غما وقد اتينا لنخلص من ثار الملك عمر بن النعمان فقتل منا اخي شركان فصارت الحسرة حسرتين

والمصيبة مصيبتين و سبب هذا كله العجوز ذات الدواهي فانها
هي التي قتلت السلطان في مملكته و اخذت زوجته الملكة صفيّة وما
كفاها ذلک حتى عملت الحيلة علينا وذبحت اخي و قد التزمتُ
و حلفتُ بالايمان العظيمة انه لا بد من اخذ الثار فما انتم قائلون
فافهموا هذا الخطاب و ردّوا عليّ الجواب فاطرقوا رؤُسهم وقالوا الراي
للوزير دندان فعند ذلک تقدم الوزير دندان الى الملک ضوء المكان
و قال له اعلم يا ملک الزمان انه ما بقي في اقامتنا فائدة والراي
اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناک برهة من الزمان ثم نعود ونغزو
عَبَدة الاوثان فقال الملک نِعم هذا الراي لان النّاس اشتاقوا
الى رؤية عيالهم و انا الآخر ايضا قد اقلقني الشوق الى ولدي
كان ماكان و الى ابنة اخي قضى فكان لانها في دمشق ولا اعلم
ما كان من امرها فلما سمعت العساكر ذلک فرحوا و دعوا للوزير
دندان ثم ان الملک ضوء المكان امر المنادي ان ينادي بالرحيل بعد ثلثة
ايام فابتدوًا في تجهيز احوالهم وفي اليوم الرابع دقّت الكاسات ونشرت
الرايات و تقدّم الوزير دندان في مقدم العسكر و سار الملک في
وسطه وبجانبه الحاجب الكبير و سارت الجيوش وما زالوا سائرين في
الليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس
و زال عنهم الهم والباس والتقت الحضّار بالغيّاب و ذهب كل امير
الى داره و طلع الملک الى قصره و دخل على ولده كان ما كان
وقد بلغ من العمر سبع سنين و صار ينزل و يركب و لما استراح
الملک من السفر دخل الحمام هو و ولده كان ما كان ثم رجع وجلس
على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه و طلعت الامراء
و خواص الدولة و وقفوا في خدمته فعند ذلک طلب ضوء المكان صاحبه

الوقاد للذي كان احسن اليه في غربته فاُحضر فلما حضر بين يديه قام له الملك اعظاما لحقّه واجلسه الى جانبه وكان الملك قد حدّث الوزير بما فعله معه من الخير والمعروف فعظّمته الامراء وعظّمه الوزير وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل ووجهه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان لايخرج من المكان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فاقبل عليه الملك وانبشّ في وجهه وحيّاه اعظم التحيات وقال له ما اسرع ما نسيتني فعند ذلك تنبّه الوقاد فامعن فيه النظر وتحقّقه فعرفه وقام واقفا على الاقدام وقال يا حبيبي من الذي عملك سلطانا فضحك عليه فاقبل عليه الوزير وشرح له القصة وقال له انه كان اخاك وصاحبك والآن صار ملك الارض ولابدّ ان يصل اليك منه خير كثير وها انا اوصيك اذا قال لك تمنّ عليّ فلا تتمنّ الّا شيأً عظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد اخاف ان اتمنّى عليه شيأً فلا يسمح لي به اولا يقدر عليه فقال له الوزير كلما تمنّيته يعطيك اياه وما عليك شيء فقال له والله لابد اني ساتمنّى عليه الشيء الذي في خاطري وكل ليلة احلم به وارجو من الله تعالى ان يسمح لي به فقال له الوزير طيّب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع اخيه لاعطاك وولّاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فاشار له ضوء المكان ان اجلس فابى وقال معاذ الله قد انقضت ايام قعودي في حضرتك فقال له السلطان لابل هي باقية الى الآن فانك كنت سببا لحياتي والله لو طلبت مني مهما اردت لاعطيتك اياه ولكن تمنّ على الله ثم عليّ فقال له ياسيدي اني اخاف فقال لا تخف فقال اخاف ان اتمنى شيأً فلا تسمح لي به فقال وما هو فضحك السلطان وقال له لو تمنّيت نصف

مملكتي لشاركتك فيها فتمنّ ما تريد ودع الكلام قال الوقاد اخاف
فقال لاتخف فقال اخاف ان اتمنّى شيـــأ لاتقدر عليه فعند ذلك
غضب السلطـــان وقال له تمنّ ما اردت فقال له اتمنّي علي الله
ثم عليك ان تكتب لي مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين بمدينة
القدس فضحك السلطـان و جميع من حضر وقال له تمنّ غير هذا
فقال ياسيدى انا ما قلت لك اني اخاف ان اتمنّى شيأ لا تسمح لي
به اولا تقدرعليه فلكزه الوزيرثانيا وثالثا وفي كل مرة يقول اتمنّى عليك
فقال له السلطـــان تمنّ واسرع فقال اتمنّى عليك ان تجعلني
رئيس الزبالين في مدينة القدس اوفي مدينـــة دمشق فانقلب
الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت
الوقاد الى الوزير وقال له ايش تكون حتى تضربني وما لي ذنب
فانك انت الذى قلت لي تمنّ شيأ عظيما ثم قال دعوني اسير الى بلادى
فعرف السلطان انه يلعب فصبر عليه قليلا ثم اقبل عليه وقال له يا اخي
تمنّ عليّ شيأ عظيما لائقا بمقامنا فقال يا ملك الزمان اني اتمنى على
الله ثم على الملك ان توليني نائب دمشق موضع اخيك فقال الملك
ان الله اعطـاك فقبّل الارض بين يديه وامر الملك بوضع كرسي
له في مرتبته وخلـع عليه خلعـــة النيابة وكتب له التوقيع بذلك
وختمه له وقال للوزير دندان ما يروح معـه غيرك واذا اردت
العود وجئت فاحضر معك ابنة اخي قضى فكان فقال الوزير سمعا
و طـــاعة ثم اخذ الوقاد ونزل به و تجهّز للسفـــر وامر الملك
ان يخرجوا للوقاد خدما وحشما وتختا جديدا و طقم سلطنة وقال
للامراء من كان يحبّني فليكرم هذا ويقدم له هدية عظيمة فقدمت
له الامراء كل واحد بقدر همته و سماه السلطـان الزبلكان ولقّبه

بالمجاهد ولماتكاملت حوائجه خرج وصحبته الوزير دندان وطلع الى الملك ليودّعه ويطلب منه اذنا بالسفر فقام له الملك وعانقه واوصاه بالعدل بين الرعية ثم امره ان ياخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين وودّع بعضهم بعضا وسار الملك المجاهد المسمّى بالزبلكان بعد ان اوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا. وقدمت له الامراء المماليك والخدم فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير ومقدم الديلم بهرام ومقدم العجم رستم ومقدم العرب تركاش وهم في خدمته وتوديعه وما زالوا سائرين معه ثلثة ايام ثم عادوا الى بغداد. ولم يزل السلطان الزبلكان والوزير دندان ومن معهم من العساكر سائرين إلى ان وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على اجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان سلطن على دمشق سلطانا يقال له الزبلكان ولقّبه بالمجاهد فلما وصل الى دمشق زيّنت له المدينة وخرج كل من في دمشق للفرجة ودخل السلطان الى دمشق في موكب عظيم وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان في خدمته يعرّفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبّلون يديه ويدعون له فاقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع واعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وانفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان في تجهيز بنت السلطان شركان الست قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأً من المال فابى الوزير دندان وقال له انت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال وبعد هذا نقبل منك ونرسل اليك نطلب مالا للجهاد او غير ذلك ولما تهيّأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداع الوزير دندان

واحضر قضى فكان واركبها فى المحفة وارسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد ان سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبّرها واهتمّ بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ما كان من امر السلطان الزبلكان واما ما كان من امر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان وسار حتى وصل الى الرُحبة بعد شهر ثم سار حتى اشرف على بغداد وارسل اعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فاراد الوزير دندان ان يترجّل فاقسم عليه الملك ضوء المكان ان لا يفعل فساق جواده حتى جاء الى جانبه وساله عن الزبلكان المجاهد فاعلمه انه بخير واعلمه بقدوم قضى فكان بنت اخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلثة ايام ثم بعد ذلك تعال عندي فقال حبا وكرامة ثم ان الوزير توجّه الى منزله وطلع الملك الى قصره ودخل على ابنة اخيه قضى فكان وهي ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على ابيها وفصّل لها ثيابا واعطى لها مصاغا وحليا عظيما وامران يبيّتوها مع ابنه كان ماكان في مكان واحد فطلعا اذكى اهل زمانهما واشجع غير ان قضى فكان طلعت صاحبة تدبير وعقل وخبرة بعواقب الامور وطلع كان ماكان سمحا كريما لا يفكّر في عاقبة شيء فكبر الاثنان وصار لهما من العمر عشر سنين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البرّ وتسوق به وتوسع فى البر ويتعلمان الضرب بالسيف الطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد وآكمل الاهبة والاستعداد فاحضر الوزير دندان وقال له اعلم اني عزمت على شيء نا ذكرلك واريد اطلاعك عليه فاسرع في ردّ الجواب فقال

الوزير دندان ماهو يا ملك الزمان قال عزمت ان اسلطن ولدي كان
ما كان وافرح به في حياتي واتامل قد امه الى ان يلد ركنى المملك
فما عندك من الرأى فقبّل الوزير دندان الارض بين يدى الملك
ضوء المكان وقال له اعلم ايها الملك والسلطان صاحب العصر والاوان
ان ماخطر ببالك مليح غير انه ماهو وقته الآن لخصلتين الاولى
ان ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ما جرت به العادة
ان من سلطن ولده في حياته لا يعيش بعد ذلك الّا
قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم ايها الوزير اننا نوصي
عليه الحاجب الكبير فانه صار منّا والينا وقد تزوّج اختي فهو في
منزلة اخي فقال له الوزير افعل ما بدالك فنحن مطيعون امرك
فأرسل الملك الى الحاجب الكبير فاحضره وكذلك اكابر مملكته
وقال لهم ان هذا ولدي كان ما كان قد علمتم انه فارس اهل زمانه
وليس له نظير في حربه وطعانه وقد جعلته سلطانا عليكم
والحاجب الكبير عمه وهو وصي عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان
ما انا الا غريس نعمتك فقال ضوء المكان ايها الحاجب ان ولدي
كان ما كان وابنة اخي قضي فكان اولاد عم والي قد زوّجتها له
واشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن
وصفه اللسان وبعد ذلك دخل على اخته نزهة الزمان واعلمها
بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداي ابقاك الله وتعيش لهما
الى مدى الزمان فقال يا اختي اني قضيت من الدنيا ما بقلبي
وأمنت على ولدي ولكن ينبغي ان تلاحظيه بعينك وتلاحظي
امّه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وبنت اخيه
وزوجته ليالي واياما وقد ايقن بكاس الحمام ولزم الوساد وصار

الحاجب يتعاطي احكام العباد و البلاد و بعد سنة احضر و لده كان
ماكان والوزير دندان وقال يا ولدي ان هذا الوزير و الدك من
بعدي واعلم اني راحل من الدار الفانية الي الدار الباقية وقد قضيت
غرضي من الدنيا ولكن بقي في قلبي حسرة يزيلها الله على يديك
فقال ولده وما تلك الحسرة يا والدي فقال يا ولدي ان اموت ولم آخذ
بثار جدك عمر بن النعمان و عمّك الملك شركان من عجوز يقال لها
ذات الدواهي فان اعطاك الله النصر لاتنم عن اخذ الثار وكشف العار
من الكفار و اياك من مكر العجوز واقبل ما يقوله لك الوزيردندان
لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقبل منه ولده ذلك ثم هملت
عيناه بالدموع و ازداد به المرض و صار امر المملكة للحاجب صهره
وكان رجلا كبيرا فصار يحكم ويأمر وينهى و استمر على ذلك سنة
كاملة وضوء المكان مشغول بمرضـــه ولم تزل تنهكه الامراض الى
اربع سنين وقعد الحاجب الكبير با لملك وارتضى به اهل المملكة
واكابر الدولة و دعت له جميع البلاد هذا ماكان من امر ضوء المكان
والحاجب واما ماكان من امر ابن الملك كان ماكان فليس له شغل
الّا ركوب الخيل واللعب بالرمح و الضرب بالنشاب وكذلك بنت عمه قضى
فكان وكانت تخرج هي واياه من اول النهار الى الليل فتدخل هي
الى امها ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند راس ابيه وتبكي
فيخدمه بالليل الى الصباح ثم يخرج هو وبنت عمه على عادتهما
وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وانشد يقول هذه الابيـــــات

تَفَانَى قُوَّتِي وَمَضَى زَمَانِي ... وَهَا أَنَا قَدْ بَقِيتُ كَمَا تَرَانِي
فَيَوْمَ الْعِزِّ كُنْتُ أَعَزَّ قَوْمِي ... وَأَسْبَقَهُـــمْ إِلَى نَيْلِ الْأَمَانِي

تَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ أَرَى لِوُلْدِي ... يَكُونُ عَلَى الْوَرَى مَلِكٌ مَكَانِي
وَيَنفِيكَ بِالْعِدَاةِ لِأَخْذِ ثَارٍ ... بِضَرْبِ السَّيْفِ أَوْ طَعْنِ السِّنَانِ
أَنَا الْمَغْبُونُ فِي هَزْلٍ وَجِدٍّ ... إِذَا مَوْلَايَ لَا يَشْفِي جَنَانِي

فلما فرغ من شعره وضع راسه على الوسادة فغفلت عينه فنام فراى في منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملأ البلاد عدلا و يملكها و تطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا من هذه البشارة التي رآها ثم انه بعد ايام قلائل طرقه الممات فاصاب اهل بغداد لموته غم عظيم و بكى عليه الوضيع والعظيم و مضى عليه الزمان كانه ما كان و تغير حال كان ما كان و عزله اهل بغداد و جعلوه هو و عياله في مكان على حدتهم فلما رات ام كان ما كان ذلك صارت في اذل الاحوال فقالت لابد لي من قصد الحاجب الكبير و ارجو الرافة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى ان اتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان و بكت بكاء شديدا وقالت لها ان الميت ما له صاحب فلا احوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولا زلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت اذناك و رات عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن انقلب علينا الزمان و خاننا الدهر والاوان و قصدنا بالعدوان و اتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائي الاحسان لانه اذا مات الرجل ذلت بعده النساء والبنات ثم انشدت هذه الابيات شعر

و كفاك بِأَنَّ الْمَوْتَ بَادِي الْعَجَائِبِ ... وَمَا غَائِبُ الْأَعْمَارِ عَنَّا بِغَائِبِ

وَمَا هٰذِهِ الاَيَّامُ اِلاَّ مَرَاحِلُ مَوَارِدُهَا مَمْزُوجَةٌ بِالْمَصَائِبِ
وَمَا ضَرَّ قَلْبِي مِثْلُ فَقْدِ اَكَارِمٍ اَحَاطَتْ بِهِمْ مُسْتَعْظَمَاتُ النَّوَائِبِ

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت اخاها ضوء المكان وابنه كان ماكان فقربتها واقبلت عليها وقالت انا الآن والله غنية وانت فقيرة فوالله ما تركنا افتقادك الاخوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك ان ما نهديه اليك صدقة مع ان جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ومحلنا محلك ولك مالنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وافردت لها مكانا في القصر ملاصقا لمكانها واقامت عندهم في عيشة طيبة هي وولدها كان ماكان والبسته ثياب الملوك وافردت لهما الجواري برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت ان تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فاكرمي مثواها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما اخبرته نزهة الزمان بخبر زوجة اخيها قال لها اكرمي مثواها واغني فقرها هذا ماكان من امر نزهة الزمان وزوجها وام ضوء المكان واما ما كان من امر كان ما كان وبنت عمه قضي فكان انهما كبرا وترعرعا حتى صارا كانهما غصنان مثمران او قمران ازهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضي فكان من احسن البنات المخدرات بوجه جميل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وقد رشيق وثغر الذ من الرحيق

وريق كالسلسبيل كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كأنّ سُلافَ الخمرِ مِن ماءِ رِيقِها ... وعنقودها يجني بثغرها القلبُ يُقتطف
وأعنابها مالت إذا ما ثنيتها ... فسبحان خلاقٍ لها ليس يوصف

وقد جمع الله تعالى فيها كل المحاسن فقدّها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان واما الريق فانه يهزأ ابالرحيق تسرّ القلب والناظر كما قيل فيها الشاعر

مليحة الوصف قد تمت محاسنها ... أجفانها تفضح التكحيل بالكحل
كأنّ ألحاظها في قلب عاشقها ... سيف بكف أمير المؤمنين علي

قال الراوي واما كان ماكان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال ليس له في الوصف والحسن مثال تلوح الشجاعة بين عينيه وتشهد له ولا تشهد عليه وتميل القلوب القاسية اليه أكحل الطرف كامل الوصف فلما اخضر شاربه وصار له عذار كثرت فيه الاشعار

ما بان عذري فيه حتى عذّرا ... ومشى الدجى في خده فتحيرا
رشأ إذا رنت العيون لحسنه ... سلّت لواحظه عليها خنجرا

وقول الآخر

نسجت نفوس العاشقين بخده ... نملاً وتم بها النجيع الاحمر
فاعجب لهم شهدا ومسكنهم لظى ... ولباسهم فيها الحرير الاخضر

فاتفق في بعض الاعيادان قضى فكان خرجت تتعيد على بعض اقاربها من الدولة والجواري حواليها والحسن قد عمها وورد

الخد يحسد خالها و الا قحوان يتبسّم عن بارق ثغرها فجعل كان ماكان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهي كالقمر الزاهر فقوّي جنانه واطلق بالشعر لسانه فانشد يقـــــــــــــــــــــــــول

مَتَى يَشْتَفِي قَلْبُ الْكَئِيبِ مِنَ الْبُعْدِ ... وَيَضْحَكُ ثَغْرُ الْوَصْلِ مِنْ زَائِلِ الصَّدِّ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ اَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَصْلِ حَبِيبٍ عِنْدَهُ بَعْضُ مَا عِنْدِي

فلما سمعت قضي فكان هذه الا بيات اظهرت له الملامة والعتاب و شمخت شمخـــة فاغتاظت بكان ماكان و قالت لـــه اتذكرني في شعرك لا جل ان تفضحني بين اهلك والله ان لم ترجع عن هذا المقال لا شكينك للحاجب الكبير سلطـــــان خراسان و بغداد صاحب العدل و الانصاف ينزل بك الذل و الهوان فسكت كان ماكان واغتاظ وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضي فكان الى قصرها وشكت من ابن عمها الى امها فقالت لهـا يا بنتي لعله ما ارادك بسوء وهل هو الاّ يتيم ومع هذا لم يذكر شيأً يعيبك فاياك ان تعلمي بذلك احدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعله كامس مضي ذكره هذا وشاع في بغداد حب كان ماكان لقضي فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ماكان ضاق صدره و عيل صبره و قلّ حيله ولم يخف علي الناس حاله و اشتهي ان يبوح بما في قلبه من لوعة البين فخاف من عتبها وغضبها فانشد يقـــــــــــــــــــــول

اِذَا خِفْتُ يَوْمًا عِتَابَ الَّتِي ... تُكَدِّرُ اَخْلاَقَهَا الصَّافِيَهْ
صَبَرْتُ عَلَيْهَا كَصَبْرِ الْفَتِيلِ ... عَلَى الْكَيِّ فِي طَلَبِ الْعَافِيَهْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب الكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان فجلس على تخت المملكه وسار في الناس سيرة حسنة فبينما هو جالس يوما اذ وصلت اليه ابيات كان ماكان فندم على ما فات ودخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحلفة والنار لمن اعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بموتمنين مادامت العيون ترمق والجفون تخفق وان ابن اخيك كان ماكان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال اوجب لان مثلها يجب ان تحجب فقالت صدقت ايها الملك العاقل فلما كان الغد جاء كان ماكان على جري عادته ودخل على عمته نزهة الزمان وسلّم عليها فردت عليه السلام وقالت له يا ولدي عندي كلام ماكنت احب ان اقوله ولكن اخبرك به رغما عني فقال لها قولي فقالت ان اباك الحاجب ابا قضى فكان قد سمع بما انشدته فيها من الشعر فامر بحجبها عنك فاذا كان يا ولدي لك عندنا حاجة فانا ارسلها اليك من وراء الباب ولا تنظر قضى فكان ولا عدت ترجع هنا من هذا الوقت فلما سمع كلامها قام وخرج ولم ينطق بحرف واحد ودخل على والدته اعلمها بما قالته عمته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وانت تعلم ان حديث حبك لقضى فكان شاع وانتشر له ذكر في كل مكان وكيف انت تأكل زادهم وبعد ذلك تعشق بنتهم فقال ومن يأخذها غيري وهي بنت عمي وانا احق بها فقالت له امه بطّل هذا الكلام واسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سبب حرمانك منها وسبب هلاكك وكثرة احزانك

ولم يبعثوا لنا في هذه الليلة عشاء ناكله و نموت جوعا ونحن
لوكنا في بلد غير هذه لكنا هلكنا من الم الجوع اوذل السؤال
فلما سمع كان ماكان من امه هذا الكلام زادت حسرته ودمعت
عينيه فانّ واشتكى وانشد يقول

أَقِلِّي مِنَ اللَّوْمِ الَّذِي لَا يُفَارِقُ	فَقَلْبِي إِلَى مَنْ تَيَّمَتْهُ لَعَاشِقُ
وَلَا تَطْلُبِي عِنْدِي مِنَ الصَّبْرِ ذَرَّةً	فَصَبْرِي وَبَيْتِ اللّٰهِ مِنِّي طَالِقُ
إِذَا سَاءَنِي اللُّوَّامُ نَهْيًا عَصَيْتُهُمْ	وَهَا أَنَا فِي دَعْوَى الْمَحَبَّةِ صَادِقُ
وَقَدْ مَنَعُونِي عَنْوَةً أَنْ أَزُورَهَا	وَهَا أَنَا وَالرَّحْمٰنِ مَا أَنَا فَاسِقُ
وَإِنَّ عِظَامِي حِينَ تَسْمَعُ ذِكْرَهَا	تُشَابِهُ طَيْرًا خَلْفَهُنَّ بَوَاشِقُ
أَلَا قُلْ لِمَنْ قَدْ لَامَ فِي الْحُبِّ إِنَّنِي	لِوَجْهِكَ حَقًّا بِنْتَ عَمِّي لَعَاشِقُ

ولما فرغ من شعره قال لامه ما بقي لي عند عمتي ولا عند هؤلاء
القوم مقام بل اخرج من القصر واسكن في اطراف المدينة
فخرجت به امه من القصر وجاوا بجوار قوم صعاليک و سكنوا
وصارت امه تتردد الى قصر الملک ساسان وتأخذ منه ما تقتات به
هي واباه هذا ثم ان قضى فكان اختلت بام كان ماكان وقالت لها
ياعمّتاه كيف حال ولدک فقالت يا بنتي انه باكي العين حزين
القلب واقع في شرک هواک وانشدتها ما قاله من الابيات
فبكت قضى فكان وقالت والله ما هجرته لكلامه ولا بغضا له ولكن
خوفا عليه من الاعداء وان عندي من الشوق له اضعاف ما عنده لي
ولا يقدر لساني على وصف شوقي له ولولا عثرات لسانه وخفقان
جنانه ماقطع ابي عنه احسانه واولاه منعه وحرمانه ولكن ايام الورى دول

والصبر في كل الامور اجمل ولعل من قضى علينا بالفراق ان يمنّ لنا بالتلاق ثم انشدت تقول هذين البيتين

أَيَا بْنَ الْعَمِّ عِنْدِي مِنْ غَرَامِي ... كَمَا مَقَالِ الَّذِي قَدْ حَلَّ عِنْدَكْ
وَلٰكِنِّي كَتَمْتُ النَّاسَ وَجْدِي ... فَهَلَّا كُنْتَ أَنْتَ كَتَمْتَ وَجْدَكْ

فلما سمعت منها ام كان ما كان ذلك شكرتها ودعت لها وخرجت من عندها واعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد طمعه فيها وقويت نفسه بعد ان كان قطع ياسه وخمدت انفاسه وقال والله ما ارِيد سواها وانشد يقول شعر

دَعِ اللَّوْمَ لَا أُصْغِي إِلَى قَوْلِ لَائِمِ ... فَقَدْ بُحْتُ بِالسِّرِّ الَّذِي كُنْتُ كَاتِمَا
وَقَدْ غَابَ عَنِّي مَنْ أُرَجِّي وِصَالَهُ ... وَقَدْ سَهِرَتْ عَيْنِي وَقَدْ بَاتَ نَائِمَا

ثم مضت الايام والليالي وهو يتقلّب على جمر المقالي حتى مضى له من العمر سبعة عشر سنه وقد كمل حسنه وتمّ ظرفه فسهر ليلة من الليالي وحدث نفسه وقال مالي اسكت على نفسي حتى اذوب ولا ارى حبيبي ومالي عيب الا الفقر والله اني اريد ان ارحل من هذه البلاد واهيم في البراري والقفار فان مقامي في هذه البلاد عذاب ولا لي فيها صديق ولا حبيب يسليني واريد ان اسلي نفسي بالغربة عن الوطن حتى اموت واستريح من هذا الذل والمحن ثم انه انشد وجعل يقول هذه الابيات شعر

دَعْ مُهْجَتِي تَزْدَادُ فِي خَفَقَانِهَا ... لَيْسَ التَّذَلُّلُ فِي الْعِدَى مِنْ شَانِهَا
وَاعْذُرْ فَإِنَّ حُشَاشَتِي كَصَحِيفَةٍ ... لَا شَكَّ أَنَّ الدَّمْعَ مِنْ عُنْوَانِهَا
هَا بِنْتَ عَمِّي قَدْ بَدَتْ حُورِيَّةً ... نَزَلَتْ إِلَيْنَا عَنْ رِضَى رِضْوَانِهَا

مَنْ رَامَ أَلْحَاظَ العُيُونِ مُعَارِضًا ... لِسُيُوفِهَا لَمْ يَنْجُ مِنْ عُدْوَانِهَا
مَا سِيرُ أَرْضِ اللّٰهِ غَيْرَ مُقَصِّرٍ ... كَيْ أَنْ أَنَالَ الرِّزْقَ مِنْ حِرْمَانِهَا
مَا سِيرُ فِي الأَرْضِ الوَسِيعَةِ مُنْقِذًا ... نَفْسِي وَأَمْنَعُهَا سِوَى حِرْمَانِهَا
وَأَعُودُ مَسْرُورَ الفُؤَادِ مُنَعَّمًا ... وَأُقَاتِلُ الأَبْطَالَ فِي مَيْدَانِهَا
وَلَسَوْفَ أَسْتَاقُ الغَنَائِمَ عَائِدًا ... وَأَصُولُ مُقْتَدِرًا عَلَى أَقْرَانِهَا

ثم ان كان ما كان خرج من القصر حافيا ماشيا في قميص قصير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة اعوام وصحبته رغيف ناشف له ثلثة ايام وخرج في حندس الظلام وانى الى باب الازج ببغداد موقف هنالك ولما فتح باب المدينة كان اول من خرج منه كان ماكان وساح على وجهه فى القفار ليلا ونهارا ولما اتى الليل طلبته امه فلم تجده ابدا فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشيء من متاعها فانتظرته اول يوم وثاني يوم وثالث يوم الى ان مضى عشرة ايام فلم تقع له على خبر فضاق صدرها وصرخت وعيطت وقالت يا ولدى يا انيسي هيّجت احزاني لقد كان بي ما كفاني حتى بعدت عن اوطاني فلا اريد بعدك بطعام ولا التذ بمنام وما بقي لي الا البكا والاحزان يا ولدى من اي البلاد اناديك واي بلد ناويك ثم صعدت الزفرات وانشدت تقول هذه الابيات

عَلِمْنَا بِأَنَّا بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ نُبْلَى ... وَمَدَّتْ قِسِيُّ لِلْفِرَاقِ لَنَا نَبْلَا
وَقَدْ خَلَّفُونِي بَعْدَ شَدِّ رِحَالِهِمْ ... أُعَالِجُ كُرَبَ المَوْتِ اذْ قَطَعُوا الرَّمْلَا
لَقَدْ هَتَفَتْ بِي جِنْحَ لَيْلٍ حَمَامَةٌ ... مُطَوَّقَةٌ نَاحَتْ فَقُلْتُ لَهَا مَهْلَا
لَعَمْرُكَ لَوْ كَانَتْ كَمِثْلِي حَزِينَةً ... لَمَا لَبِسَتْ طَوْقًا وَلَا خَضَبَتْ رِجْلَا
وَفَارَقَنِي إِلْفِي فَلَا قِيتُ بَعْدَهُ ... دَوَاعِيَ هَمٍّ لَا تُفَارِقُنِي أَصْلَا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت في البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤس الاشهاد فابكت العباد والبلاد وصار الناس يقولون اين عينك يا ضوء المكان وشكوا تحامل الزمان وقالوا يا هل ترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وطرد من المكان وكان ابوه يشبع الجيعان ويامر بالعدل والامان وزادت امه في البكاء والاحزان فوصل الخبر الى الملك ساسان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ساسان وصل اليه خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر بن النعمان وقد بلغنا انه تغرب عن الاوطان فلما سمع الملك ساسان كلامهم غضب عليهم وامر بشنق واحد منهم وعلقه فوقعت هيبته في قلوب بقية الدولة ولم يقدر احد منهم ان يتكلم ثم ان ساسان تذكر ما صنعه معه ضوء المكان من الجميل وانه اوصاه به فحزن على كان ما كان وقال لا بد من التفتيش عليه في سائر البلاد ثم انه احضر تركاش وامره ان ينتخب مائة فارس ويأخذهم ويدور على كان ما كان فذهب وغاب عشرة ايام ورجع وقال لم اطلع له على خبر ولا وقفت له على اثر ولا احد اخبرني عنه بخبر فحزن الملك ساسان على ما فعل معه واما امه فانها صارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار ومضى عليها عشرون يوما كبارا فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر كان ما كان فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا في امره ولم يعلم

ابن يروح فسار فى البرّ ثلثة ايام وحده فلم يرراجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر اهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الارض ويشرب من انهارها ويقيل وقت الحرّ في كل قائلة تحت اشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق اخرى وسار فيها ثلثة ايام وفى اليوم الرابع اشرف على ارض معشبة الفلوات مخضبة النبات مليحة الجنبات وهذه الارض قد شربت من كأس ات الغمام على اصوات الرعود والحمام فاخضرت جوانبها وطاب فلاها فتذكر كان ماكان بلاد ابيه بغداد فانشد من فرط ما هو فيه يقول

خَرَجْتُ وَفِي أَمَلِي عَوْدَةٌ ... وَلٰكِنَّنِي لَسْتُ أَدْرِي مَتَى
وَشَرَّدْتُ فِي حُبِّ مَنْ لَمْ أَجِدْ ... سَبِيلًا إِلَى دَفْعِ مَا قَدْ أَتَى

فلما فرغ من شعره بكى ثم مسح دموعه واكل من ذلك النبات ما يتقوت به وتوضأ وصلى ما فاته من الفرائض في هذه المدة وجلس يستريح ذلك اليوم بطوله في ذلك المكان فلما جاء الليل نام ولم يزل نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان يقول هذه الابيات

مَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ يَرَى لَكَ بَارِقٌ ... مِنْ ثَغْرِ مَنْ تَهْوَى وَوَجْهٌ رَائِقُ
صَلُّوا عَلَيْهَا فِي الدَّيُورِ أَسَاقِفٌ ... خَرُّوا إِلَيْهَا بِالسُّجُودِ تُسَابِقُ
وَالْمَوْتُ أَسْهَلُ مِنْ صُدُودِ حَبِيبِهِ ... لَمْ يَغْشَنِي مِنْهَا خَيَالٌ طَارِقُ
يَا فَرْحَةَ النُّدَمَاءِ حَيْثُ تَجَمَّعُوا ... وَأَقَامَ مَعْشُوقٌ هُنَاكَ وَعَاشِقُ
لَا سِيَّمَا وَقْتَ الرَّبِيعِ وَزَهْرِهِ ... طَابَ الزَّمَانُ بِمَا إِلَيْهِ تُسَابِقُ
يَا شَارِبَ الصَّهْبَاءِ دُونَكَ هٰذِهِ ... أَرْضَ النَّعِيمِ وَمَاؤُهَا يَتَدَفَّقُ

فلما سمع كان ماكان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلق في قلبه لهيب النيران وقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير احدا في جنح الظلام فزاد وجده وفزع واخذه القلق ونزل من مكانه الى اسفل الوادي ومشى على شاطىء النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات ويقول هذه الابيات شعر

إِنْ كُنْتَ تُضْمِرُ مَا فِي الْحُبِّ إِشْفَاقَا ... فَأَطْلِقِ الدَّمْعَ يَوْمَ الْبَيْنِ إِطْلَاقَا
بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِي عُهُودُ هَوًى ... لِذَا إِلَيْهِمْ أَظَلُّ الدَّهْرَ مُشْتَاقَا
يَرْتَاحُ قَلْبِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ يُطْرِبُنِي ... نَسِيمُ بَرْدٍ إِذَا مَا هَبَّ أَشْوَاقَا
يَا سَعْدُ هَلْ رَبَّةُ الْخَلْخَالِ تَذْكُرُنِي ... بَعْدَ الْبِعَادِ لَنَا عَهْدًا وَمِيثَاقَا
وَهَلْ تَعُودُ لَيَالِي الْوَصْلِ تَجْمَعُنَا ... يَوْمًا وَيَشْرَحُ كُلٌّ بَعْضَ مَا لَاقَى
قَالَتْ فُتِنْتَ بِنَا وَجْدًا فَقُلْتُ لَهَا ... كَمْ قَدْ فُتِنْتِ رَعَاكِ اللّٰهُ عُشَّاقَا
لَا مَتَّعَ اللّٰهُ طَرْفِي مِنْ مَحَاسِنِهَا ... إِنْ كَانَ مِنْ بَعْدِهَا طِيبَ الْكَرَى ذَاقَا
يَا لَسْعَةً فِي فُؤَادِي مَا رَأَيْتُ لَهَا ... سِوَى الْوِصَالِ وَرَشْفِ الثَّغْرِ تِرْيَاقَا

فلما سمع كان ماكان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرّة ولم ير شخصه علم ان ذلك القائل عاشق مثله ومنع من الوصل الى من يحبّه فقال في نفسه هذا يصلح ان يضع راسه الى راسي واجعله انيسالي في هذه الغربة ثم تنحنح ونادى قائلا ايها السائر في الليل العاكر تقرّب مني وقصّ عليّ قصتك لعلّك ان تجدني معينا لك على بليّتك فلما سمع صاحب الصوت ذلك الكلام نادى ايها المجيب لدعوتي والسامع لقصتي من تكون من الفرسان وهل انت من الانس او الجان عجّل عليّ بكلامك قبل دنوّ حمامك

فان لي سائرا في هذه البرية نحو عشرين يوما فلم ار شخصا ولم
اسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ماكان هذا الكلام قال في نفسه هذه
قصته مثل قصتي فاني انا الآخر لي ايضا عشرون يوما و انا سائر
لم ار شخصا ولا اسمع صوتا وقال في نفسه لم ارد عليه جوابا حتى
يطلع النهار ثم سكت فناداه صاحب الصوت ايها الداعي ان كنت
من الجان فاذهب بسلام و ان كنت انسيا فالبث مليّا حتى يطلع الفجر
و النهار ويذهب الليل بالاعتكار ثم لبث المنادي مكانه ولبث كان
ما كان مكانه ولم يزالا يتنا شدان الاشعار ويبكيان بالدموع الغزار حتى
طلع ضوء النهـــار و ذهب الليل بالا عتكار فنظر اليه كان ماكان
فوجده رجلا من عرب البادية الا انه شاب في سنه و عليه ثياب رثة
متقلد بسيف صَدِئٍ في جفيره وآثار العشق عليه لائحة فاتى اليـــه
و تقدّم و سلّم عليه فردّ البدوي عليه السلام و حيّاه بالاكرام الّا انه
احتقره لمـــا راى من صغر سنه و حالته حالة فقير فقال له يافتى
من ايّ القوم انت و الى من تنسب من العربان و ما قصّتك و انت
سائر في الليل و هو فعل الابطال و قد كلمتّني في الليل كلاما لا يتكلم
به الّا كل فارس همام و بطـــل ضرغام و الآن روحك في قبضتي
و لكني ارحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقي و تكـــون عندي برسم
خدمتي فلما سمع كان ما كان فظاعة كلامه بعد ما ابداه من حسن
نظامه علم انه احتقره و طمع فيه فقال له بكلام لين فصيح يا وجه
العـــرب دعنـــا من صغر سني و اخبرني عن سبب سيرك بالليل
في القفار و انشادك الاشعار و اراك تذكر انني اخدمك فمن تكـــون
انت وما حملك على هذا المقال فقال له اسمع يا غلام انا صبـــاح
ابن رماح بن همام و قومي من عرب الشام ولي بنت عم اسمهـــا

نجمه كل من رآها اتته النعمة و مات والدي و تربيت عند عمي ابي نجمه فلما كبرت انا وكبرت بنت عمي حجبها عني و حجبني عنها لما رآني فقير الحال قليل المال فدخلت العرب الكبار وسادات القبائل و سقت عليه فاستحي منهم واجاب ان يعطيني بنت عمي ولكنه اشترط عليّ في مهرها خمسين راسا من الخيل وخمسين ناقة عشاريات وخمسين جملا محملة برّ ومثلها شعير و عشرة عبيد وعشر جوار وحملني ما لا اطيق واكثر عليّ في الصداق وها انا مسافر من الشام الى العراق ولي عشرون يوما ما نظرت احدا سواك وعزمت اني ادخل بغداد و انظر من يخرج منها من التجار المياسير الكبار فاخرج في اثرهم و اغير على اموالهم و اقتل رجالهم و اسوق جمالهم و احمالهم فمن تكون انت من الناس فقال كان ما كان ان قصتك مثل قصتي غير ان مرضي اخطر من مرضك لان ابنة عمي بنت ملك واهلها لا يكفيهم مني ما ذكرتَ ولا يرضيهم شيء مثل هذا فقال صباح لعلّك مهبول او من كثرة العشق مخبول كيف تكون بنت عمك بنت ملك و انت ما عليك سيمة الملوك و ما انت الا صعلوك فقال يا وجه العرب لا تستغرب هذا الحال وما فات فات و ان شئت مني البيان فانا كان ما كان بن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد و ارض خراسان وقد جار عليّ الزمان فمات والدي و تسلطن الملك سا سان وخرجت من بغداد خفية لئلا يراني انسان فها انا قد اوضحت لك البيان ولي عشرون يوما ما رايت احدا غيرك فقصتك مثل قصتي و حاجتك مثل حاجتي فلما سمع ذلك صباح صاح وافرحتي فاني بلغت منيتي وليس لي اليوم كسب غيرك لانك من ذرية الملوك و خرجت في زيّ صعلوك ولا بد انّ اهلك

يطلبونك و اذا وجدوك عند احد قبالاموال الجزيلة يفدونك هيّا فأدر كتافك يا غلامي و امش قدامي فقال كان ماكان لا تفعل يا اخا العرب لان اهلي لا يشترونني بفضّة ولا ذهب ولا بدرهم نحاس وانا رجل فقير ولا معي قليل ولا كثير فدع عنك هذه الاخلاق و اتّخذني من الرفاق و اخرج بنا من ارض العراق لنجول في نواحي الآفاق لعلنا نظفر بالمهر والصداق و نحظى من بنات عمّنا بالتقبيل والعناق فلما سمع صباح ذلك الكلام غضب و زاد به الاعجاب و الالتهاب وقال له و يلك أتُرادّدني في الجواب يا اخسّ الكلاب أدِر كتافك والا انزلت عليك العذاب فتبسّم كان ما كان وقال له كيف ادير لك الكتاف اما عندك انصاف اما تخشى معايرة العربان ان تسوق رجلا مثلي اسيرا في الذل والهوان و انت ما اختبرته في الميدان لتعلم هل هو فارس اوجبان فضحك صباح و قال يا لله العجب انك في سن الغلام ولكنك كبير الكلام لان هذا القول لايصدر الّا عن البطل المصدام فما تريد من انصاف فقال له كان ماكان ان كنت تريدني اسيرا معك وفي خدمتك فارم سلاحك وخفف ثيابك وادن مني و صارعني فكل من صرع منّا صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال اظن ان كثرة كلامك تدل على قرب حمامك ثم نهض و رمى سلاحه و شمّر اذيا له ودنا من كان ماكان فدنا منه الآخر و تجاذبا فوجده البدوي يفوق عنه ويرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر الى ثبات رجليه في الارض فوجدهما كالمآذنتين المؤسّستين او وتدين مدقوقين اوجبلين راسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال في نفسه ليتني قاتلته بسلاحي ثم ان كان ماكان قبض عليه وتمكّن منه وهزّه فحسّ البدوي ان امعاءه تقطعت

في بطنه فصاح امسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما ابداه من الكلام
بل هزّه ورفعه من الارض وقصد به النهر ليرميه فيه فناداه البدوي ايها
البطل ما الذي عزمت عليه فقال اريد ان ارميك في هذا النهر
يعبر بك الي الدجلة والدجلة تدخل بك الي نهر عيسى ونهر عيسى
يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك
ويعرفون مروتك وصدق صحبتك فصاح صباح ونادى يا فارس
البطاح لاتفعل فعل القباح اطلقني بحيوة بنت عمك زينة الملاح
فعند ذلك وضعه كان ماكان في الارض فلما رأى نفسه خالصا اتى الى سيفه
وترسه واخذهما وقعد يشاور نفسه في الغدر به والهجوم عليه فعرف
كان ماكان من عينه ذلك فقال له قد عرفت ما في قلبك حيث ملكت
سيفك وترسك ومالك في الصراع يد طويلة وانت عديم الحيل ولوكنت
على فرس تجول وبسيفك عليّ تصول كنت من زمان مقتول وانا
ابلغك ما تختار حتى لايبقى في قلبك انكار فاعطني الترس واهجم
عليّ بسيفك فاما ان تقتلني واما ان اقتلك فقال له دونك هاهو
ورمى له الترس وجرّد سيفه وهجم به على كان ماكان فتناول الترس
بيمينه وصار يلاقي به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول له مابقي
الا هذه الضربة الفاصلة فتخرج غير قاتلة ويأخذها كان ماكان
في الترس وتروح ضائعة ولا يضربه لان ما معه شيء يضرب به
ولم يزل صباح يضربه بالسيف حتى كلّت يده وعرف خصمه منه
ذلك فهجم عليه واحتضنه وهزّه والقاه في الارض وادار كتافه
وكتّفه بحمائل سيفه وجرّه من رجليه وقصد به النهر فناداه صباح
اي شيء تريد تصنع بي ايها الشاب وفارس الزمان وبطل الميدان
فقال له الم اقل لك ان قصدي ان ارسلك الى اهلك وقومك في النهر

حتى لا يشتغل خاطرك ولا خاطرهم عليك فتعوق عن عرس ابنة عمك فضجّر صباح وبكى وصاح وقال لا تفعل يا فارس الزمان واطلقني واجعلني لك من بعض الغلمان ثم بكى واشتكى وانشد يقول شعر

تغربت عن اهلي فياطول غربتي ويا ليت شعري هل اموت غريبا
اموت واهلي ليس يعرف مقتلي واودي غريبا لا ازور حبيبا

فرحمه كان ماكان وقال له تعاهدني بالعهود والمواثيق على انك تكون لي نعم الرفيق وتصحبني في كل طريق فقال نعم وعاهده على ذلك فاطلقه كان ماكان فقام صباح واراد ان يقبل يد كان ماكان فمنعه من ذلك فقام البدوي وفتح جرابه واخرج منه ثلث قرصات شعير ووضعها قدام كان ماكان وجلس هو واياه على حافة النهر واكل الاثنان مع بعضهما ولما فرغا من الاكل توضأا وصلّيا وجلسا يتحدثان على مالقياه من اهلهما ومن صروف الزمان فقال له كان ماكان الى اين تعزم فقال صباح عزمي الى بغداد بلدك اقيم بها حتى يرزق الله لي بالصداق فقال له دونك والطريق وها انا هنا فودعه البدوي وطلب طريق بغداد وقام كان ماكان وقال في نفسه يا نفسي اي وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا ارجع خائبا ولا بد لي من الفرج ان شاء الله تعالى ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربه وقال اللهم منزل القطر ورازق الدود في الحجر اسألك ان ترزقني بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلوته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس اقبل على جواد

وقد التحف ظهره وارخى عنانه فاستوى كان ماكان جالسا وبعد ساعة
وصل اليه الفارس وهو في آخر نفس وقد ايقن بالفناء لانه كان به جرح
بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده مثل افواه القرب وقال لكان
ماكان يا وجه العرب اتخذني ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلي
واسقني قليلا من الماء وان كان شربُ الماء لا يصلح للمجروح
سيما وقت خروج الدم والروح وان عشت دفعت لك ما يجبر
كسرك وفقرك وان مت فانت المسعود بحسن نيتك وكان تحت ذلك
الفارس جواد من جياد الحصان يكل عن وصفه اللسان وله قوائم
مثل اعمدة الرخام فلما نظر اليه كان ما كان والى ذلك الحصان
اخذه الهيمان وقال في نفسه ان مثل هذا الحصان لا يوجد في هذا
الزمان ثم انه انزل الفارس ورفق به وجرّعه يسيرا من الماء وصبر
عليه حتى اخذ الراحة واقبل عليه وقال له من الذي فعل بك
هذه الفعال فقال الفارس انا اخبرك بحقيقة الحال انا رجل سلال
غيار طول دهري اسلّ الخيل واختلسها فى الليل والنهار وانا يقال
لي غسّان آفة كل حجرة وحصان وقد سمعت بهذا الحصان في بلاد
الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقاتول ولقّبه بالمجنون
وقد كنت سافرت الى القسطنطينية من اجله وصرت اراقبه فبينما
انا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وامرها عندهم
نافذ تسمى شواهي ذات الدواهي وهي فى الخداع متناهي ومعها
هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير وهم برسم خدمتها
والحصان وقصدت هي بغداد وخراسان وتريد الدخول على الملك
ساسان لتطلب منه الصلح والامان فخرجت في اثرهم طمعا فى الحصان
ومازلت تابعهم ولا اقدر اصل اليه لان العبيد شداد الحرس

عليه الى ان وصلوا الى تلك البلاد وخفت ان يدخلوا مدينة بغداد فبينما انا اشاور نفسي في سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار فانكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار ومقدمهم بطل كأنه الضيغم الهراش يقال له كهرداش ولكنه فى الحرب كاسد يجعل الابطال كالفراش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفارس المجروح قال لكان ماكان فخرج على العجوز ومن معها كهرداش واطبق عليهم وصاح بهم وهاش وما كان الا ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلّم منهم الحصان وسار بهم فرحان فقلت في نفسي ضاع تعبي وما بلغت اربي ثم صبرت حتى انظر ما يؤل اليه الامر فلما رأت العجوز نفسها فى الامر بكت وقالت لامقدم كهرداش ايها الفارس الهمام والبطل الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ماتريد ثم انها خادعته بلين الكلام وحلفت انها تسوق له الخيل والانعام فاطلق العبيد واطلقها ثم سار هو واصحابه وتبعتهم حتى وصلوا الى هذه الديار وانا الاحظه واتبعه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته واخرجت من مخلاتي سوطا وضربته فلما احسّوا بي لحقوني واحاطوا بي من كل مكان ورموني بالسهام والسنان وانا ثابت عليه وهو يقاتل عني بيديه ورجليه الى ان اخرج بي من بينهم مثل السهم الراشق والنجم الطارق ولكن لما اشتد الكفاح اصابني بعض الجراح وقد مضى لي على ظهره ثلثة ايام

لم اذق مناما ولا التذ بطعـــام وقد ضعفت مني القوى وهانت علىّ الدنيا وانت احسنت اليّ و شفقت عليّ واراك عاري الجسد ظاهر الكمد ويلوح عليك اثر النعمة فمن انت و من اين اتيت والى اين تريد فقلت له انا اسمي كان ماكان ابن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر بن النعمان قد مات والدي و تربيت يتيما وتولّى بعده رجل لئيم وصار ملكا على الحقير و العظيم ثم حدّثه بحديثه من اوّله الى آخره فقال له السلال و قد رق له والله انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وسيكون لك شان وتصير افرس اهل هذا الزمان فان قدرت ان تحملني وانت راكب ورائي وتؤديني الى بلادي يكن لك الشرف فى الدنيا و الاجر في يوم التنـادي فانه ما بقي لي قوة امسك بها نفسي وان كانت الاخرى فانت بالجواد اولى من غيرك فقال له كان ماكان والله لو قدرت احملك على اكتافي او اقاسمك عمري لفعلت من غير هذا الجواد لاني من اهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يدفع سبعين بلاء عن صاحبه فاعزم على المسير و توكل على اللطيف الخبير فاراد ان يحمـــله على الحصان و يسير متوكلا على الله المستعان فقال له اصبر عليّ قليلا فغمض عينيه وفتح يديه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقال يا عظيم اغفرلي الذنب العظيم فانه لايغفر الذنب العظيم الا العظيم وتهيّأ للممات وانشد هذه الابيـــات

ظَلَمْتُ العِبَادَ وَطُفْتُ البِلَادَ	وَاَمْضَيْتُ عُمْرِي بِشُرْبِ الخُمُورْ
وَخُضْتُ السُيُولَ لِسَلِّ الخُيُولِ	وَهَدْمِ الطُلُـولِ بِفِعْلِ النُّكُور
وَاَمْرِي عَظِيمٌ وَجُرْمِي جَسِيمٌ	وَقَاتُـولُ مِنِّي تَمَـامُ الاُمُورْ

وَأَمَّلْتُ أَنِّيْ أَنَالُ الْمُنَى بِذَاكَ الْحِصَانِ فَأَعْيَى مَسِيْرِي
وَطُولُ الْحَيٰوةِ أَمَلُّ الْخُمُولَ فَكَانَتْ وَفَاتِي عِنْدَ الْقَدِيْرِ
وَ آخِرُ أَمْرِيَ إِنِّيْ تَعِبْتُ لِرِزْقِ الْغَرِيْبِ الْيَتِيْمِ الْفَقِيْرِ

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فقام كان ما كان وحفر له حفرة فواراه في التراب ثم اتى الى الجواد فقبله ومسح وجهه وفرح فرحا شديدا وقال ما احد حظي بمثل هذا الحصان ولا هو عند الملك ساسان هذا ما جرى لكان ما كان واما ما كان من امر الملك ساسان فانه اتته الاخبار ان الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا ان مالهم ملك غير كان ما كان واستوثق الوزير من العسكر بالعهود والايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم اول من آخر وعزم الوزير ان يقصد بهم مدينة بغداد ويملك تلك البلاد ويقتل من خالفه من العباد واقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملّك كان ما كان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار وعلم ان الدولة انحرفت عليه الصغار والكبار فزاد به الغم وكثر عليه الهم وفتح الخزائن وفرق على ارباب دولته الاموال وتمنى ان كان ما كان يقدم عليه ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله اميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتطفى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان في اريكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فاخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من

في بغداد ولاقوه ومشوا بين يديه الى القصر يقبلون الاعتاب ودخلت الجواري والطواشية الى امه فبشروها بقدومه فاتت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا اماه دعيني امضي الى عمي الملك ساسان الذي غمرني بالنعمة والاحسان هذا وقد تحيرت عقول اهل القصر والدولة في حسن ذلك الحصان وقالوا ما ملك مثل هذا انسان ثم دخل كان ما كان الى الملك ساسان وسلم عليه فقام له وقبل كان ماكان يديه ورجليه وقدم له الحصان هدية فرحب به وقال له اهلا وسهلا بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الدنيا لغيابك والحمد لله على سلامتك فدعا له كان ما كان ثم نظر الملك الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف انه الحصان الذي كان رآه من سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع ابيه ضوء المكان حين قتل عمه شركان وقال له لوقدر عليه ابوك لاشتراه بالف جواد ولكن الآن عاد العزّ الي اهله وقد قبلناه ومنا لك وهبناه وانت احق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم امر الملك ساسان ان يحضروا لكان ماكان الخلع وقاد له الخيول وافرد له في القصر اكبر الدور واقبل عليه العز والسرور واعطاه مالا جزيلا واكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة امر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وزال عنه الذل والهوان ودخل بيته واقبل على امه وقال يا امي كيف حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي ان شغلي بغيبتك شغلني عن كل احد حتى محبوبتك سيما هي كانت سببا لغيبتك وفرقتك فشكى اليها حاله وقال يا امي امضي اليها واقبلي عليها لعلّها تجود عليّ بنظرة وتزيل عني هذه الحسرة فقالت له ان المطامع تذل رقاب الرجال فدع عنك ما يفضي الى الوبال

قالي لا امضي اليهـــا ولا ادخل بهذا الكلام عليها فلمــا سمع من امه ذلك اخبرها بما قاله السلال من ان العجوز ذات الدواهي طرقت بلادهم و قصدها ان تدخل بغداد و هي التي قتلت عمي وجلس ولا بد اني آخذ الثار و اكشف عنا العــار ثم ترك امه و اقبل على عجوز نحس عاهرة ماكرة محتــالة اسمهــا سعدانة و شكى اليها حاله وما يجده من حب بنت عمه قضى فكان و سألها ان تمضي اليها و تستعطفها عليه فقالت له العجوز السمع والطاعة ثم انها فارقته و ذهبت الى قصر قضى فكان و استعطفت قلبها عليه ثم عادت اليه و اعلمته بان قضى فكان تسلم عليك ووعدتها لك انها في نصف الليل تأتي اليك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــــبـــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما اتت الى كان ما كان واخبرته ان بنت عمك تسلم عليك وهي تاتي اليك هذه الليلة في نصف الليل ففرح كان ماكان وجلس ينتظر انجــاز وعد بنت عمه قضى فكان فمــا كان نصف الليل الا وهي اتته بملاءة سوداء من الحرير و دخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي انك تحبني وانت خلي البال نائم على احسن الحال فانتبه وقال والله يا منية القلب اني ما نمت الا طمعا في خيال منك يطرقني فعند ذلك عاتبته بلطيف الكلمــات وانشدت تقول هذه الابيــــــــــات

لَوْ كُنْتَ تَصْدُقُ فِي الْمَحَبَّـــــةِ * مَا جَنَحْتَ إِلَى الْمَنَـام

يا من هي طرق المحبة في المودة والغسق
والله يا ابن العم منا رقدت عيون المستهام

فلما سمع كان ماكان ذلك من بنت عمه استحى منها وقام واعتذر اليها وتعانقا وتشاكيا الم الفراق ولم يزالا كذلك الى ان طلع الفجر وانتشر في الآفاق فعزمت قضى فكان على الذهاب فعند ذلك بكى كان ماكان وصعد الزفرات وانشد يقول هذه الابيات

فيا زائري من بعد فرط صدوده وفي الثغر منه الدر في نظم عقده
فقبلته الفا وعانقت قده وبت وخدي لاصق تحت خده
الى ان اتى الصبح المفرق بيننا كحد حسام لاح من جوف غمده

فلما فرغ من شعره ودعته قضى فكان ورجعت الى خدرها فاطلعت على سرها بعض الجواري فذهبت جارية منهن الى الملك فاعلمت الملك ساسان فتوجه اليها ودخل عليها وجرد عليها الحسام واراد ان يقتلها فدخلت عليه امها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان واعلم ان كان ماكان ما هو ولد زنا وانها تربت معه وانه صاحب عرض ومروة ولا يفعل امرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان اهل القصر وجميع اهل بغداد قد شاع عندهم خبر الوزير دندان انه قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ماكان فقال لها والله لا بد اني ارميه في بلية بحيث لا ارض تقله ولا سماء تظله واني ما انعمت عليه وطيبت خاطره الا لاجل اهل مملكتي ودولتي

لئلا يميلوا اليه وسوف ترين ما يكون ثم تركها وخرج يدبر امر ملكه هذا ما كان من امر الملك ساسان واما ما كان من امر كان ماكان فانه اقبل على امه في ثاني يوم وقال لها يا امي اني عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالي وحسن حالي خطبت بنت عمي قضى فكان من عمي الملك ساسان فقالت له يا ولدي ان اموال الناس غير سائبة لك لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجال تاكل السباع وتوحش البقاع وتقتنص الاسود وتصيد الفهود فقال لها كان ماكان هيهات ان ارجع عن عزيمتي الّا اذا بلغت منيتي ثم ارسل العجوز الى قضى فكان يعلمها انه سائر يتسبب لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لابد ان تسألها حتى تاتيني منها بجواب فقالت له سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت اليه بالجواب وقالت له انها تأتي اليك في نصف الليل فاقام سهرانا الى نصف الليل فاخذه القلق فلم يشعر الا وهي داخلة عليه وهي تقول روحي لك الفداء من السهر فنهض لها قائما وقال يا منية القلب روحي لك الفداء من جميع الاسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لاتبكي يا بنت العم فانا اسأل الذي حكم علينا بالفراق ان يمنّ علينا بالتلاقي والوفاق ثم عوّل كان ما كان على السفر ودخل على امه وودّعها ونزل من القصر وتقلّد بسيفه وتعمّم وتلثّم وركب جواده القاتول وشق المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رماح خارج من المدينة فلما رآه جرى في ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال له صباح يا اخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا السيف والثياب وانا الى الآن لا املك غير سيفي وترسي فقال له كان ما كان ما يزجع الصياد بصيد

الاّ على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك
ان تاُتي معي وتخلص النية في صحبتي وتسافر معي في هذه البرية
فقال ورب الكعبة مابقيت اناديك الاّ مولاي ثم جرى قدام الجواد
وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه وكان ماكان وراءه واستغرقوا
فى البر اربعة ايام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من
ماء العيون وفى اليوم الخامس اشرفا على تلّ عال تحتـــه مرابع
وغدير سياح فيها ابل وبقروغنم وخيول ملأت الروابي والبطاح
واولادها الصغـــار تلعب حول المراح فلما راى ذلك كان ماكان
زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشـــراح وعوّل على القتـــال
ليأخذ النياق والجمال فقال لصبـــاح انزل بنا على هذا المـــال
الذي عن اهله وحيد وقاتل معى القريب والبعيد حتى يكون لنا
مي اخذ المال نصيب فقال صباح يا مولاي ان اصحـــاب هؤلاء
خلق كثيرون وفيهم ابطال من فرسان ورجال وان رمينا ارواحنا
في هذا الخطب الجسيم فاننا تكـــون من هوله على خطـــر عظيم
وما يرجع احد منالاهله سليما وينخرم من ابنة عمه يتيما فضحك
كان ماكان وعلم انه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شنّ
الغارات وصـــاح وترنّم وانشد بهذه الابيـــــــــات

وَآلِ نُعْمَانَ نَحْنُ ذُو الْهِمَمِ ... وَالسَّادَةُ الضَّارِبُونَ فِى الْقِمَمِ
قَوْمٌ اِذَا مَا الْهِيَـــاجُ قَامَ لَهُمْ ... قَامُوا بِأَسْوَاقِـــهِ عَلَى قَدَمِ
تَنَامُ عَيْنُ الْفَقِيـــرِ بَيْنَـــهُمْ ... وَلَا يَرَى قُبْحَ صُورَةِ الْعَـــدَمِ
وَاِنَّنِي اَرْتَجِي مُعَـــاوَنَةً ... مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ بَارِئِ النَّسَمِ

ثم انه حمل على تلك النوق مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل

والبقر والغنم والخيل بايامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال والرماح الطوال وفي اوائلهم فارس تركي الّا انه شديد الحرب والكفاح عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل عليه كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال اعلم ان هذه الاموال للعصابة الرومية والابطال البحرية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم الّا كل بطل عابس وهم مائة فارس الذين خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا ان لا يرجعوا من هنا الّا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلا يا لئام هذا هو الحصان الذي تعنون وانتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم اجمعون وشانكم وما تريدون ثم صرخ بين اذني القانوس فخرج عليهم مثل الغول وصار كان ماكان عطف على الفارس فطعنه ورماه واخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع اعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فصاح عليهم يا اولاد الزواني سوقوا المال والخيول والاخضبت من دمائكم سناني فساقوا المال واخذوا في الانطلاق فانحدر اليه صباح واعلن بالصياح وزادت به الافراح واذا بغبار طلع وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فهرب صباح وطلع على اعلى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما انا فارس الّا في اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس احاطوا بكان ماكان وداروا به من كل جانب ومكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له الى اين تمضي بهذا المال فقال له كان ما كان آخذه واذهب به واحرمك منه فدونك والقتال واعلم ان من دونه اسد اروع وبطل سميدع وسيف اينما مال قطع فلما

سمع الفارس ذلك الكلام نظر اليه فوجده فارسا كالاسد الضرغام الّا ان وجهه كالقمر الطالع ليلة اربعة عشر والشجاعة تلوح من عينيه وكان ذلك الفارس هوا لمقدم على المائة فارس واسمه كهرداش فلما راى الى كان ماكان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من اجمل النساء وجها قد اعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ومن كل معنى لطيف ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تخشي سطوتها وابطال ذاك القطر تخاف من هيبتها وحلفت انها لاتتزوج ولا تملك نفسها الّا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطّابها فقالت لابيها ما يقربني الّا من يقهرني فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى ان يقاتل جارية وخاف من العار فقال له بعض خواصه انت كامل الخصال فى الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت اقوى منك فانك تغلبها لانها اذارأت حسنك وجمالك تنهزم قدامك حتى تملكها لان النساء لهن غرض فى الرجال ولا يخفى عنك هذه الاحوال فابي كهرداش وامتنع من قتالها واستمرّعلى امتناعه من القتال الى ان جرت له مع كان ماكان هذه الافعال فظن انه محبوبته فاتن فهاب وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد اتيتني لتريني شجاعتك فانزلي عن جوادك حتى اتحدث معك فاني قد سقت هذه الاموال وخنت الرفيق وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذي ماله مثيل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيري ملكة هذه الاقطار فلما سمع

كان ماكان هذا الكلام صارت نيران غيظه في اضطرام ونادى ويلك يا كلب الا عجام دع عنك فاتنا وما به تر تاب و تقدم الى الطعن والضراب فعن قريب تبقى على التراب ثم انه جال وصال ومدّ واستطال فلما نظره كهرداش علم انه فارس همام وبطل ضرغام وتبين له خطأ ظنه حيث لاح له عذار اخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد احمر فهاب من كرّته و قال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار و الرمح الخطار واعلموا ان قتال الجماعة للواحد عار ولوكان فارسا شجاعا وقرما مناعا فعند ذلك حمل عليه فارس ضيغم وتحته جواد ادهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحيّر العقل والناظر كانه الابجر الذي كان لعنتر كما قال فيه الشاعر

قد جاءك المهر الذي نزل الوغى ... جزلان يخلط ارضه بسمائه
وكانما لطم الصباح جبينه ... واقتص منه فخاض في احشائه

فحمل على كان ماكان و ابتدر وتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربا يحيّر الافكار و يعشي الابصار فسبقه كان ماكان بضربة بطل شجاع فقطت منه العمامة والمغفر والى راسه وصلت فمال عن الجواد كانه البعير اذا انحدر ثم تقدم اليه الثاني وحمل عليه وكذا الثالث و الرابع والخامس ففعل بهم كالاول ثم حملت عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت بهم الحرق فما كان الّا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فلما نظر كهرداش الى هذه الفعال خاف من الارتحال وعرف ان عنده ثبات الجنان واعتقد انه اوحد الابطال والفرسان

فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم اصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن شبابك والحيوة اولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروة الكرام ولكن اترك عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من انا ما نطقت بهذا الكلام في حومة الزحام فاسأل عني فانا الاسد البطاش المعروف بكهرداش الذي نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفّار واخذ اموال التجار وهذا الحصان الذي تحتك طلبتي واريد ان تعرفني كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم ان هذا الجواد كان سائرا الى عمي الملك ساسان وقائدته عجوز كبيرة ومعها عشرة عبيد يخدمونها وانت تعديت عليها واخذته منها ولنا عندها ثار من جهة جدي الملك عمر بن النعمان وعمي الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن ابوك لا ام لك فقال اعلم اني كان ما كان ابن ضوء المكان ابن عمر بن النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجّه بامان فان اباك كان صاحب فضل علينا واحسان فقال له كان ماكان انا والله ما اوقّرك يا مهان حتى اقهرك في حومة الميدان فاغتاظ البدوي ثم حمل كل منهما على صاحبه وتصايحا فسدت لهما الخيل آذانها ورفعت اذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما ان السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كرّ

صلبه وطعنه في صدره فاطلع السنان من ظهره و جمع الخيل و الاسلاب و صاح في العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح و جاء الى كان ما كان و قال له احسنت يا فارس الزمان اني دعوت لك و قد استجاب ربي دعائي ثم ان صباحا قطع راس كهرداش فضحك كان ما كان و قال له ويلك يا صباح كنت اظن انك فارس الحرب والكفاح فقال له لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلي اصل بسببها الى زواج بنت عمي نجمة فقال له لابد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة بغداد و علمت به جميع الاجناد و روا ما معه من الغنيمة والاموال و راس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار راس كهرداش ففرحوا و قالوا لقد اراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله واتت اهل بغداد الى كان ما كان يسألون بماجرى له من الاخبار فاخبرهم بماجرى فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال وساق ما معه الى ان اوصله تحت القصر وركز الرمح الذي عليه راس كهرداش الى باب القصر و وهب للناس و اعطاهم الخيل والجمال فاحبّه اهل بغداد و مالت اليه القلوب ثم اقبل على صباح و انزله في بعض الاماكن الفساح و اعطاه شيأً من الغنيمة ثم دخل على امه و اخبرها بما جرى له في سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه و اختلى بخواصه وقال لهم اعلموا اني اريد ان ابوح لكم بسرّي و ابدي لكم مكنون اميري اعلموا ان كان ما كان هو الذي يكون سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع ان له قبائل من الاكراد و الاتراك وامرنا معه آيل الى الهلاك و اكثر جيشنا من

اقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جحد معروفي بعد الاحسان وخانني في الايمان و بلغني انه جمع عساكر البلدان وقصد ان يسلطن كان ما كان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولا شك انه قاتلي بلا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له ايها الملك انه اقل من ذلك ولولا اننا علمنا بانه تربيتك لم يقبل عليه منا احد و اعلم اننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه و ان شئت بعده ابعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب و لكن لابد من اخذ الميثاق فتحالفوا على انهم لا بد ان يقتلوا كان ماكان فاذا اتى الوزير دندان سمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما اعطوه العهد والميثاق على ذلك اكرمهم غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء و امتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذلك الخبر وصل الى قضى فكان فحصل عندها هم زائد و ارسلت الى العجوز التي عادتها ان تاتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها امرتها ان تذهب اليه و تخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها و اخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغي بنت عمي سلامي و قولي لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما احسن قول القائل

أَلْمُلْكُ لِلّٰهِ مَنْ يَظْفَرْ بِنَيْلِ مُنًى ... يَرْدُدْهُ قَهْرًا وَتَضْمَنْ نَفْسُهُ الدَّرَكَا
لَوْ كَانَ لِي أَوْ لِغَيْرِي قَدْرُ أَنْمِلَةٍ ... مِنَ الْبَسِيطَةِ كَانَ الْأَمْرُ مُشْتَرَكَا

فرجعت العجوز الى بنت عمه و اخبرتها بما قاله واعلمتها بان كان ماكان اقام في المدينة ثم ان الملك ساسان صار ينتظـ ـان فجلسوا

من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق انه خرج الى الصيد والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشمالا فاطلقها فقال له صباح لاي شيء اطلقت هذه الغزالة فضحك كان ماكان واطلق الباقي وقال له ان من المروة اطلاق الغزالات التي لها اولاد وما تلفتت تلك الغزالة الّا لان لها اولادا فاطلقتها واطلقت الباقي في كرامتها فقال له صباح اطلقني حتى اروح الى اهلي فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوي كالثعبان فبينما هما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك ان الملك ساسان اخبره جماعة ان كان ماكان خرج الى الصيد والقنص فارسل اميرا من الديلم يقال له جامع ومعه عشرون فارسا ودفع لهم المال ثم امرهم ان يقتلوا كان ماكان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع واذا باهاليها قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ماكان توجه بعد ذلك من ذلك المكان وتوجه معه صباح البدوي فبينما هو سائر اذ رأى في طريقه شابا على باب دار فالقى كان ماكان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان احداهما فيها لبن والثانية فيها ثريد والسمن في جوانبها يموج ووضع القصعتين قدام كان ماكان وقال له تفضل علينا بالاكل من زادنا فامتنع كان ماكان من الاكل فقال له الشاب مالك سببا الانسان لا تاكل فقال له كان ماكان انه عليّ نذر فقال له الشاب من الاكراد ، وندرك فقال له كان ماكان اعلم ان الملك ساسان

غصب ملكي ظالما وعدوانا مع ان ذلك الملك كان لابي وجدي من قبلي فاستولى عليه قهرا بعد موت ابي ولم يرحمني لصغر سني فنذرت انني لا آكل لاحد زادا حتى اشفي فؤادي من عدوي فقال له الشاب ابشر فقد وفى الله نذرك واعلم انه مسجون في مكان واظنه ان يموت قريبا فقال له كان ماكان في اي بيت هو معتقل فقال له في تلك القبة العالية فنظر كان ماكان الى قبة عالية ورأى الناس في تلك القبة يدخلون وعلى ساسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ماكان ومشى حتى وصل الى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل واكل ما تيسر ووضع ما بقي من اللحم في مزوده ثم جلس في مكانه ولم يزل جالسا الى ان اظلم الليل ونام الشاب الذي ضيفه ثم ذهب كان ماكان الى القبة التي فيها ساسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذي في مزوده وما زال يرمي للكلاب لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى ان صار عند الملك ساسان ووضع يده على راسه فقال له بصوت عال من انت فقال انا كان ماكان الذي سعيت في قتله فاوقعك الله في سوء تدبيرك أمّا يكفيك اخذ ملكي وملك ابي وجدي حتى تسعى في قتلي فحلف ساسان الايمان الباطلة انه لم يسع في قتله وان هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ماكان وقال له اتبعني فقال لا اقدر ان اخطو خطوة واحدة لضعف قوتي فقال كان ماكان اذا كان الامر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب انا وانت ونطلب البر ثم فعل كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح ثم صلوا الصبح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا

فيه يتحدثون ثم قام كان ما كان الى ساسان و قال له هل بقي في قلبك مني امر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على انهم يرجعون الى بغداد فقال صباح البدوي انا اسبقكما لا بشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهي مثل البدر بهيّ الانوار في دياجي الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح ولم يبق لاهل العصر حديث الا في كان ماكان و شهد له الفرسان انه اشجع اهل الزمان و قالوا لا يصح ان يكون سلطانا علينا الا كان ماكان ويعود اليه ملك جده كما كان واما ساسان فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له اني ارى الناس ليس لهم حديث الّا في كان ماكان و يصفونه باوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فاني رايته ولم ار فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلّد بعضهم بعضا في مدحه ومحبته واجرى الله على السنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب اهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوّان وقد جمع له عساكر من سائر البلدان ومَن الذي يكون مالك الاقطار و يرضى ان يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ما ذا عوّلت فقال لها عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا في قصده ويدخل تحت امري وطاعتي ولا يبقى له الّا خدمتي فقالت له نزهة الزمان ان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب ان تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان

إذا رَفَعَ الزَّمَانُ عَلَيْكَ شَخْصًا ... وَكُنْتَ أَحَقَّ مِنْهُ وَلَوْ تَصَاعَدْ

اَلله مُحِقّ رُتْبَتِهِ تَجِدْهُ يَنِيلُكَ إِنْ دَنَوْتَ وَإِنْ تُبَاعِدْ
وَلَا تَقُلِ الَّذِي تَدْرِيهِ فِيهِ تَكُنْ مِمَّنْ عَنِ الحُسْنَى تَقَاعَدْ
فَكَمْ فِي الخِدْرِ اَبْهَى مِنْ عَرُوسٍ وَلٰكِنْ لِلْعَرُوسِ الدَّهْرُ سَاعَدْ

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا
من عندها وقال لولا ان قتلك عار وشنار لعلوتك بالسيف
راسك واخمدت انفاسك فقالت حيث غضبت مني فانا امزح معك
ثم وثبت اليه وقبّلت راسه ويديه وقالت له الصواب ما تراه وسوف
اتدبر انا وانت في حيلة نقتله بها فلما سمع منهـا هذا الكلام
فرح وقال لها عجّلي بالحيلة وفرّجي كربتي فلقد ضاق عليّ باب
الحيل فقالت له سوف اتحيّل لك على اتلاف مهجته فقال لهـا بايّ
شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها باكون فانها في المكر ذات فنون
وكانت هذه الجارية من انحس العجائز وعدم الخبث في مذهبها
غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان ونضى فكان غيران كان ماكان
يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها فلما
سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الراى هو
الصواب ثم احضر الجارية باكون وحدّثها بما جرى وامرها ان تسعى
في قتله ووعدها بكل جميل فقالت له امرك مطـاع ولكن اريد
يامولاي ان تعطيني خنجرا قد سقي بماء الهلاك لاعجّل لك باتلافه
فقال لها ساسان مرحبـا بك ثم احضر لهـا خنجرا يكاد ان يسبق
القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعـار وتحفظ
النوادر والاخبار فاخذت الخنجر وخرجت من الدار مفكرة فيمـا
يكون به الدمار واتت الى كان ماكان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة

قضى فكان وكان في تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضى فكان فالتهبت من حبها في قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية باكون داخلة عليه وهي تقول آن اوان الوصال ومضت ايام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له باكون اعلم انها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان اليها وخلع اثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم اني انام عندك الليلة واحدّثك بما سمعت من الكلام واسليك بحديث كل متيم امرضه الغرام فقال لها كان ماكان حدثيني بحديث يفرح به قلبي ويزول به كربي فقالت له باكون حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل اثوابها فقالت له اعلم ان اعذب ما سمعت اذني ان رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الاسواق ويفتش على شيء يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شكّته في اصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب اصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية وما زال ينزح الماء على راسه الى ان تعب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه جلس على الفسقية وما زال ينزح الماء على راسه الى ان تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد احدا فاختلى بنفسه وطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت

في معه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش ان مهتارا كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على راسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما راى ذلك قال في نفسه كان هؤلاء غلطوا فيّ او من طائفتنا الحشاشين ثم انه مدّ رجليه فتخيل له ان البلان قال له يا سيدي قد ازف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال في نفسه ما شاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان واخذ بيده وادار على وسطه ميزرا من الحرير الاسود ومشى العبدان وراءه بالطاسات والحوائج ولم يزالوا به حتى ادخلوه الخلوة واطلقوا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطّيخة واجلسوه على كرسي من الابنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع المبزر من وسطه وصار يضحك الى ان غشي عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال في نفسه ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولون يامولانا الصاحب ولعل الامر التبس عليهم في هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونني ويقولون هذا زليط ويشبعون صكّا في رقبتي ثم انه استحمى وفتح الباب فتخيل ان مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها واخرج منها ثلث فوط من الحرير فرمى الاولى على راسه والاخرى على اكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشي قبقابا فلبسه واقبلت عليه مماليك وطواشية وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى ان خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه

الغلمان واجلسوه علي المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم
فلما نام راى في حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس
منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها عنده وعصرها
تحته واذا بواحد يقول له انتبه يا زليط قد جاء الظهر وانت نائم
ففتح عينه فوجد روحه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون
عليه وايره قائم والفوطة انحلت من وسطه وتبين له ان كل هذه
اضغاث احلام وتخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذي نبّهه وقال
كنت اصبر حتى احطه فقال له الناس اما تستحي يا حشاش وانت نائم
وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم
السعادة وهو فى المنام فلما سمع كان ماكان من الجارية هذا
الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يا دادتي ان هذا
حديث عجيب فاني ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها
فقالت له نعم ثم ان الجارية باكون لم تزل تحدث كان ماكان
بمخارف حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل
تلك الجارية جالسة عند راسه حتى مضى غالب الليل فقالت في
نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلّت الخنجر ووثبت
على كان ما كان وارادت ذبحه واذا بام كان ماكان دخلت عليهما
فلما راتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت
تنتفض كانها اخذتها الحمى فلما راتها ام كان ماكان تعجبت ونبّهت
ولدها من النوم فلما استيقظ وجد امه جالسة فوق راسه وكان
السبب في حياته مجيئها وسبب مجيء امه اليه ان قضى فكان سمعت
الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمي الحقي ولدك
قبل ان تقتله العاهرة باكون واخبرتها بما جرى من اوله الى آخره

فخرجت وهي لاتعقل ولاتنتظر شيأ حتى دخلت في الساعة التي نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظه قال لامه انك بخيت يا امي في وقت طيب وداد تي باكون حاضرة عندي في تلك الليلة ثم انه التفت الى باكون وقال لها بحياتي عليك هل تعرفين حكاية احسن من الحكايات التي حدثتني بها فقالت له الجارية واين ماحدثتك به سابقا مما احدثك به الآن فانه اعذب ولكن احكيه لك في غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهي لاتصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولمحت بمكرها ان امه عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدي هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك فاخبرته بالامر من اوله الى آخره فقال لها يا والدتي ان الحي ماله قاتل وان قتل لايموت ولكن الاحوط لنا اننا نرحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما اصبح الصباح خرج كان ماكان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت امور بين الملك ساسان ونزهة الزمان اوجبت خروج نزهة الزمان ايضا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع ارباب دولة الملك ساسان الذين يميلون اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجمع رأيهم على غزو ملك الروم واخذ الثار ثم توجهوا الى غزو الروم ووقعوا في اسر الملك رومزان ملك الروم بعد امور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما اصبح الصباح امر الملك رومزان ان يحضر كان ماكان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه واجلسهم بجانبه وامر باحضار الموائد فاحضرت فاكلوا وشربوا واطمأنوا بعد ان ايقنوا

بالموت لما امر باحضارهم و قالوا لبعضهم انه ما ارسل الينا الّا لانه
يريد قتلنا و بعد ان اطمانوا قال لهم الملك اني رايت منا ما
و قصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الاالوزير دندان فقال له
الوزير خيــرا رأيت يا ملك الزمان فقال له ايها الوزير رأيت اني
في حفرة على صفة بئر اسود وكان اقواما يعذبونني فاردت القيام
فلما نهضت وقعت على اقدامي و ما قدرت على الخروج من تلك
الحفــرة ثم التفت فرأيت فيهـــا منطقــة من ذهب فمددت يدي
لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطي بهما
فاذا هما قد صارتا منطقة واحدة و هذا ايها الوزير منامي والذ .
رايته في لذيذ احلامي فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلـ ـر
ان رؤياك تدل على ان لك اخا او ابن اخ اوابن عم اواحدا يكون ،
اهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملـ
هذا الكلام نظر الى كان ماكان ونزهة الزمان وقضي فكان والوزير
دندان و من معهم من الاسارى و قال في نفسه اذا رميت رقاب
هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك اصحابهم و رجعت الى بلادي
عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي ولما صمم على ذلك استدعى
بالسياف و امره ان يضرب رقبة كان ماكان من وقته و ساعته و اذا
بداية الملك قدا قبلت في تلك الساعة فقالت له ايها الملك السعيد
على ماذا عولت فقال لهـــا عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين
في قبضتي وبعد ذلك ارمي رؤسهم الى اصحابهم ثم احمل انا واصحابي
عليهم جملة واحدة فنقتل الذي نقتله و نهزم الباقي و تكون هذه
وقعة الانفصال و ارجع الى بلادي عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور
امور في مملكتي فعند ما سمعت منـــه دايته هذا الكلام اقبلت

عليه و قالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك ان تقتل اَبيِ اُخيك
و اختك و ابنة اختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اشتاط
غيظا شديدا و قال لها يا ملعـــونة الم تعلمي ان امي قد قتلت
و ان ابي قدمات مسمــوما و اعطيتني خرزة و قلت لي ان هذه
الخرزة كانت لابيك فلم لاتصدقيني في الحديث فقالت له كل ما اخبرتك
به صدق ولكن شاني وشانك عجيب وامري وامرك غريب فانني انا
اسمي مرجانة و اسم امك ابريزة وكانت ذات حسن و جمـال
وشجاعتها تضرب بهـــا الامثال واشتهرت بالشجاعة بين الابطال واما
ابوك فانه الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك
ولاريب ولارجـــم غيب وكان قدارسل ولده شركان الى بعض
غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهـــم الذي قدكان وكان
اخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره
فوقع عند امك الملكة ابريزة في قصرها ونزلنا واياها في خلوة
للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة نتصارع مع امك وغلبته
لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته امك مدة خمسة ايام في قصرها
فبلغ ابوها ذلك الخبر من امه العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي
وكانت امك قداسلمت على يد شركان اخيك فاخذها وتوجه بها
الى مدينة بغداد سرّا وكنت انا وريحانة وعشرون جارية معهـــا
وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلمـــا دخلنا على ابيك
الملك عمر بن النعمان ورأى امك الملكة ابريزة وقع في قلبه محبتها
فدخل عليها ليلة واختلى بهـــا فحملت بك وكان مع امك ثلث
خرزات فاعطتهم لابيك فاعطى خرزة لابنته نزهة الزمان واعطى

الثانية لاخيك ضوء المكان واعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فاخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت امك الى اهلها واطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد اسود يقال له الغضبان واخبرته بالخبر سرا ورغبته في ان يسافر معنا فاخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت امك قد قربت ولادتها فلما دخلنا على اوائل بلادنا في مكان منقطع اخذ امك الطلق بولادتك فحدث العبد نفسه بالخنا فاتى فلما قرب منها راودها عن الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان في تلك الساعة قد طلع في البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشي العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ماراح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فراى امك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد ابيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين اهل بلاد الروم وبين اهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا امك وهي قتيلة ودفناها وقد احتملتك انا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانت مع الملكة ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنني ان اخبرك بحقيقة الامر لانني لو اخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد امرني جدك بالكتمان ولاقدرة لي على مخالفة امر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بان اباك الملك عمر بن النعمان فلما

استقليت بالمملكة اخبرتك وما امكنني ان اعلمك الا في هذا
الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت لك السر والبرهان وهذا ما عندي
من الخبر وانت برأيك اخبر وكان الاسارى قد سمعوا من الجارية
مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها
وساعتها صيحة وقالت هذا الملك رومزان اخي من ابي عمر بن النعمان
وامه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وانا اعرف
هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا
اخذته الحدة وصار متحيرا في امره واحضر في وقته وساعته
نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حنّ الدم للدم واستخبرها عن قصته
فحكت له القصة فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك انه
من اهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان اباه الملك عمر بن
النعمان فقام من تلك الساعة وحلّ كتاف اخته نزهة الزمان
فتقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها
واخذته حنية الاخوّة ومال قلبه الى ابن اخته السلطان كان ما كان
وقام ناهضا على قدميه واخذ السيف من يد السياف فايقن
الاسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فامر باحضارهم بين
يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة اشرحي حديثك الذي
شرحته لي لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم ايها الملك
ان هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لي اكبر شاهد لانه
يعرف حقيقة الامر ثم انها اقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى
من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم
بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما
من الاسارى يصدقونها على ذلك وفي آخر الحديث لاحت من

الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين
اللتين كانتا مع الملكة ابريزة في رقبة السلطان كان ماكان
فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدي
اعلم انه قد زاد في تلك الساعة صدق يقيني لان هذه الخرزة التي
في رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التي وضعتها في عنقك وهي
رفيقتها وهذا الاسير هو ابن اخيك وهو كان ماكان ثم ان الجارية
مرجانة التفتت الى كان ماكان وقالت له ارني هذه الخرزة يا ملك
الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان
فاخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها لها
فلما صار الخرزتان في يد الجارية ناولتها للملك رومزان فظهر له
الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ماكان وان اباه الملك
عمر بن النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه
ثم عانق الملك كان ماكان وعلا الصياح بكثرة الافراح وفي تلك
الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور
وزادت الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح
فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال في نفسه يا ترى
ما سبب هذا الصياح والسرور الذي في عسكر الافرنج والروم واما
عسكر العراق فانهم قد اقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا في الميدان
ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر
مقبلين وللحرب متهيّئين فسأل عن سبب ذلك فاخبروه بالخبر
فامر قضى فكان ابنة اخيه شركان ان تسير من وقتها وساعتها
الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وان الملك
رومزان ظهر انه عم السلطان كان ماكان فسارت قضى فكان بنفسها

ونفث عنها الشرور والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان
وسلمت عليه واعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك رومزان
ظهر انه عمها وعم كان ماكان وحين اقبلت عليه وجدته باكى
العين خائفا على الامراء والاعيان فشرحت له القصة من اولها
الى آخرها فزادت افراحهم وزالت اتراحهم وركب الملك الزبلكان
هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة قضى فكان
حتى اوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه
جالسا مع ابن اخيه السلطان كان ماكان وقد استشاره هو والوزير
دندان في امر الملك الزبلكان فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة
دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم
يدخلون الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام
ثم امروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره اليها ومشوا معه ساعة
لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا فى العسكر
بالرحيل الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان
الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا
الا باخذ الثأر وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهي الملقبة بذات
الدواهي فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وارباب دولته
وفرح السلطان كان ماكان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية
مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى
وصلوا الى ارضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل
يد الملك رومزان فخلع عليه ثم ان الملك رومزان جلس واجلس
ابن اخيه السلطان كان ما كان الى جانبه فقال كان ماكان الى عمه
الملك رومزان يا عم ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله

ان اعارضك في ملكك فعند ذلك اشـار عليهمـا الوزير دندان
ان يكون الاثنان فى الملك سواء وكلواحد يحكم يوما فارتضيا بذلك
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهما اتفقـا على ان كلواحد يحكم
يوما ثم اولموا الولائم و ذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح و اقاموا
على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله
مع بنت عمه قضى فـكان و بعد تلك المدة بينمـــاهم قاعدون
فرحانون بهذا الامر واصلاح الشأن اذ ظهر لهم غبار قد علا وطار
حتى سد الاقطـار وقد اتى اليهم من التجار صارخ يستغيث و هو
يصيح و يقول يا ملوك الزمان كيف اسلم في بلاد الكفر و أنهب
في بلادكم و هي بلاد العدل والامان فاقبـل عليه الملك رومزان
و سأله عن حاله فقال له انا تاجر من التجار ولي غائب عن الاوطان
مدة مديدة من الزمان و استغــرقت فى البلاد نحـــو عشرين سنة
من الاعـــوام و ان معي كتـــابا من مدينة دمشق كان قد كتبـه
لي المرحوم الملك شركان و سبب ذلك اني كنت قد اهديت اليه
جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف
الهند واتيت بها الى بغداد التي هي حرمكم و محل امنكم وعدلكم
فخرجت علينا عربان ومعهم اكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا
رجالي و نهبوا اموالي و هذا شرح حالي ثم ان التـــاجر بكى بين
يدي الملك رومزان و حوقل و اشتكى فرحمه الملك ورق اليـــه
وكذلك رحمه ابن اخيه الملك كان ما كان و حلفوا انهم يخرجون

اليهم فخرجوا اليهم في مائة فارس كل فارس منهم يعدّ بين الرجال بالوف و ذلك التاجر سار امامهم يدلّهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار و طول الليل الى السحر حتى اشرفوا على وادٍ غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي و قسموا بينهم احمال ذلك التاجر و بقي البعض فاطبق عليهم المائة فارس واحاطوا بهم من كل مكان و صاح عليهم الملك رومزان هو و ابن اخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى اسروا الجميع وكانوا نحو ثلثمائة فارس مجتمعين من اوباش العربان فلما اسروهم اخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم و طلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن اخيه الملك كان ماكان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين ايديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلثة اشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والاقطار فقالا لهم ميّزوهم لنا باعيانهم فميزوهم لهما فامرا بالقبض عليهم واطلاق بقية اصحابهم بعد اخذ جميع ما معهم من الاموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله فوجده قد هلك ربعه فوعدوه انهم يعوضون له جميع ماضاع منه فعند ذلك اخرج التاجر كتابين احدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان هذا التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر و قدمها لاخيها شركان وجرى بينها وبين اخيها ماجرى ثم ان الملك كان ماكان وقف على الكتابين و عرف خط عمه شركان و سمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضاع منها المال واخبرها كان ما كان بقصة التاجر من اولها الى آخرها فعرفته نزهة الزمان و عرفت خطها واخرجت للتاجر الضيافات ووصت

عليه اخاها الملك رومزان و ابن اخيها الملك كان ماكان فامر له باموال و عبيد و غلمان من اجل خدمته و ارسلت اليه نزهة الزمان مائة الف درهم من المال وخمسين حملا من البضائع و قدا تحفته بهدايا وارسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت له و سلمت عليه و اعلمته انها بنت الملك عمر بن النعمان و ان اخاها الملك رومزان و ان ابن اخيها الملك كان ماكان ففرح التاجر بذلك فرحا شديدا وهناها بسلامتها و اجتماعها باخيها و قبل يديها و شكرها على فعلها و قال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت الى خدرها واقام التاجر عندهم ثلثة ايام ثم ودعهم و رحل الى بلاد الشام و بعد ذلك احضر الملوك الثلثة اشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق و سألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم و قال اعلموا اني رجل بدوي اقف في الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار و ابيعهم للتجار و دمت على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام واغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على اعجب ما رأيت في خطفك الصغار والبنات فقال لهم اعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان انني من مدة اثنتين و عشرين سنة خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير انها كانت خدامة وعليها اثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل وسبقت بها وكان في املي انني اذهب بها الى اهلي في البرية واجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي

حكاية حماد البدوي مع عباد بن ثعلبة قدام الملك رومزان وكان ما كان

فبكت بكاء شديدا فدنوت منهـا وضربتها ضربا وجيعا واخذتهـا

وسرت بها الى مدينة دمشق فرآها معي تاجر فتحير عقله لما رآها

واعجبته فصاحتها واراد اشتراؤها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها

حتى بعتها له بمائة الف درهم فعند ما اعطيتها له رأيت منهـا

فصاحة عظيمة وبلغنى ان التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها الى

الملك صاحب دمشق فاعطاه قدر المبلغ الذي دفعه الي مرتين وهذا

يا ملـوك الزمان اعجب ماجرى لي ولعمري ان ذلك الثمن قليل

في تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت

نزهة الزمان من البدوي ماحكاه صار الضياء في وجهها ظلاما وصاحت

وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت

المقدس بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع

ماجرى لها معه في غربتهـا من الشدائد والضرب والجـوع

والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف

وقامت الى البدوي لتقتله واذا هو صاح وقال ياملوك الزمان لاتدعوها

تقتلني حتى احكي لكم ماجرى لي من العجائب فقال لها ابن اخيها

كان ما كان يا عمتي دعيه يحكي لنـا حكاية وبعد ذلك فافعلي

ماتريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن احك لنا حكايـة

فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا

نعم فابتدأ البدوي يحدثهم باعجب ما وقع له وقال اعلموا اني

من مدة يسيرة ارقت ليلة ارقا شديدا وما صدقت ان الصبـاح

يصبح فلما اصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي

وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت اريد الصيـد والقنص

فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فاخبرتهم به فقالوا

ونحن رنقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون و اذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها فنفرت من بين ايدينا وهي فاتحة اجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لانبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفي السماء طارت ام فى الارض غارت فرددنا روس الخيل واردنا الرواح ثم رأينا ان الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لاخير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا افيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانعشت نفوسنا من بعد الياس ورددنا روس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع اصحابي وانا في اولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيولنا فاخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لانبات بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها في قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد عليّ السلام فقلت يا اخا العرب اخبرني من انت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فاطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال اخبرني من انت وما الخيل التي معك فقلت انا حماد بن الفزاري الفارسي الموصوف الذي اعدّ بين العرب بخمس مائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فادركنا العطش فقصدت انا باب تلك الخيمة لعلي اجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذلك الكلام

التفت الى الجارية المليحة وقال ائتي الى هذا الرجل بالماء وماحضر من الطعـــام فقامت الجارية تسحب اذيالها والحجول الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلا ثم اقبلت وفي يدها اليمنى اناء من فضـــة مملـــوء ماء باردا وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمرا ولبنا وماحضـر من لحوم الوحوش فمـــا استطعت ان آخذ من الجارية طعاما ولاشرابا من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلـــــــــــــــت

كَأَنَّ ٱلْخِضَابَ عَلَى كَفِّهَـــا   غُرَابٌ عَلَـــى ثَلْجَةٍ وَاقِفُ
تَرَى الشَّمْسَ وَٱلْبَدْرَ مِنْ وَجْهِهَا   قَرِيبَيْنِ خَافٍ وَذَا خَائِفُ

ثم قلت للشـــاب بعدان اكلت وشربت يا وجه العـــرب اعلم اني اوقفتك على حقيقة خبري واريدان تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب اما هذه الجارية فهي اختي فقلت اريدان تزوجني بها طوعا والا اقتلك وآخذها غصبـــا فعند ذلك اطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره اليّ وقال لي لقد صدقت في دعواك انك فارس معروف وبطل موصوف وانك اسد البيداء ولكن ان هجمتم عليّ غدرا وقتلتمـــوني قهرا واخذتم اختي فان هذا يكون عارا عليكم وان كنـــتم على ما ذكرتم من انـــكم فرسان تعدون من الابطـــال ولاتبالون بالحرب والنزال فامهلوني قليلا حتى البس آلة حربي واتقلـــد بسيفي واعتقـــل رمحي واركب فرسي واصير انا واياكم في ميدان الحرب فان ظفرت بكم اقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بي وقتلتموني فهذه الجـــارية اختي لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له ان هذا هوالانصاف وما عندنا

خـلاف ثم رددت رأس جوادي الى خلفي وقد زاد بي الجنون في محبة تلك الجـارية ورجعت الى اصحابي ووصفت لهم حسنهـا وجمالها وحسن الشاب الذي عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكرانه يصادم الف فارس ثم اعلمت اصحابي بجميع ما في الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع في تلك الارض الا لكونه ذا شجاعة عظيمة وانا اوصيكم ان كل من قتل هذا الغلام يأخذ اخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان اصحـابي لبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت اليه اختـه وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهي تنادي بالويل والثبور من خوفها على اخيها وتنشد هذه الابيـــــات

إِلَى اللّٰهِ أَشْكُو مِحْنَةً وَكَآبَةً ... لَعَلَّ إِلٰهَ الْعَرْشِ يُرْهِقُهُمْ رُعْبَا
يُرِيدُونَ قَتْلَكَ يَا أُخَيَّ تَعَمُّدًا ... وَلَا شَيْءَ مِنْ قِبَلِ الْعِنَادِ وَلَا ذَنْبَا
وَقَدْ عَرَفَتْ ذَا الْخَيْلِ أَنَّكَ فَارِسٌ ... وَأَشْجَعُ مَنْ حَلَّ الْمَشَارِقَ وَالْغَرْبَا
تُحَامِي عَنِ الْأُخْتِ الَّتِي قَلَّ عَزْمُهَا ... فَأَنْتَ أَخُوهَا وَهِيَ تَدْعُولَكَ الرَّبَّا
فَلَا تَتْرُكِ الْأَعْدَاءَ تَمْلِكُ مُهْجَتِي ... وَتَأْخُذُنِي قَهْرًا وَتَأْسِرُنِي غَصْبَا
وَلَسْتُ وَحَقِّ اللّٰهِ أَبْقَى بِبَلْدَةٍ ... إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهَا وَإِنْ مُلِئَتْ خِصْبَا
وَأَقْتُلُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً ... وَأَسْكُنُ لَحْدًا فِيهِ أَفْتَرِشُ التُّرْبَا

فلمـا سمع اخوها شعرها بكى بكاء شديدا وردّ رأس جواده الى اخته واجابها على شعرها بقـــــــــوله

قِفِي وَانْظُرِي مِنِّي وُقُوعَ عَجَائِبٍ ... إِذَا مَا الْتَقَيْنَا حِينَ أُشْبِعُهُمْ ضَرْبَا

وَإِنْ بَرَزَ اللَّيْثُ الْمُقَدَّمُ فِيهِمُ … وَأَشْجَعَهُمْ قَلْبًا وَأَثْبَتَهُمْ لُبَّا
سَأَسْقِيهِ مِنِّي ضَرْبَةً ثَعْلَبِيَّةً … وَأَتْرُكُ فِيهِ الرُّمْحَ يَسْتَغْرِقُ الْكَعْبَا
وَإِنْ لَمْ أُقَاتِلْ عَنْكِ أُخْتِي فَلَامَنِي … قَتِيلٌ وَلَيْتَ الطَّيْرَ تَنْهَبُنِي نَهْبَا
أُقَاتِلُ عَنْكِ مَا اسْتَطَعْتُ تَكَرُّمًا … وَهَذَا حَدِيثٌ بَعْدَنَا يَمْلَأُ الْكُتْبَا

فلما فرغ من شعره قال يا اختي اسمعي ما اقوله لك وما اوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكّني احدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا اخي ان اراك صريعا وامكّن الاعداء مني فعند ذلك مدّ الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودّعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يافرسان هل انتم ضيفان اوتريدون الضرب والطعان فان كنتم ضيفانا فابشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد فارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه فارس شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم ابيك فاني حالف اني ما اقتل من اسمه موافق لاسمي واسم ابيه موافق لاسم ابي فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمي بلال فاجابه الشاب بقوله

كَذَبْتَ فِي قَوْلِكَ مِنْ بِلَالِ … وَجِئْتَ بِالزُّورِ وَبِالْمُحَالِ
إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاسْتَمِعْ مَقَالِي … أَنَا مُجَنْدِلُ الْأَبْطَالِ فِي الْمَجَالِ
بِصَارِمٍ مَاضٍ كَمَا الْهِلَالِ … فَاصْبِرْ لِطَعْنٍ مُرْجِفِ الْجِبَالِ

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يَا أَيُّهَا الْكَلْبُ رَجِيمُ الرِّجْسِ ... فَأَيْنَ حَالٌ سِعْرُهُ مِنْ بَخْسِ
وَإِنَّمَا اللَّيْثُ الْكَرِيمُ الْجِنْسُ ... مَنْ لَمْ يُبَالِ فِي الْوَغَى بِنَفْسِ

ثم لم يمهله الشاب دون ان تركه غريقا في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول

إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ وَفِي قَلْبِي لَهَبْ ... مِنْهُ أُنَادِي عِنْدَ صَحْبِي فِي الْعَرَبْ
لَمَّا قَتَلْتَ الْيَوْمَ سَادَاتِ الْعَرَبْ ... فَالْيَوْمَ لَا تُلْقِي فِكَاكاً مِنْ طَلَبْ

فلما سمع الشاب كلامه اجابه بقوله

كَذَبْتَ بِئْسَ أَنْتَ مِنْ شَيْطَانِ ... قَدْ جِئْتَ بِالزُّورِ وَبِالْبُهْتَانِ
اَلْيَوْمَ تُلْقِي فَاتِكَ السِّنَانِ ... فِي مَوْقِفِ الْحَرْبِ وَالطِّعَانِ

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمي هلال فانشد يقول

أَخْطَأْتَ إِذْ أَرَدْتَ خَوْضَ بَحْرِي ... وَجِئْتَ بِالزُّورِ وَكُلِّ الْأَمْرِ
أَنَا الَّذِي تَسْمَعُ مِنِّي شِعْرِي ... أَخْتَلِسُ النَّفْسَ وَلَسْتَ تَدْرِي

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرتُ اصحابي قد قُتلوا قلت في نفسي ان نزلت اليه في الحرب لم اطقه وان هربت ابقى معيرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون ان انقضّ عليّ وجذبني بيده فاطاحني من سرجي فوقعت مغشيا عليّ ورفع سيفه واراد ان يضرب عنقي فتعلقت باذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصفور

فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل اخيها و اقبلت عليه و قبلته بين عينيه ثم انه سلمني الى اخته و قال لها دونكِ واياه و احسني مثواه لانه دخل في زمامنا فقبضت الجارية على اطواق درعي وصارت تقودني كما تقود الكلب وفكت عن اخيها لامة الحرب والبسته بدلة و نصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه و قالت له بيّض الله عرضك و جعلك عدة للنائبات فاجابها بهذه الابيات

تَقُولُ وَقَدْ رَأَتْ فِي الحَرْبِ أُخْتِي ... لَوَامِعَ غُرَّتِي مِثْلَ الشُّعَاعِ
أَلَا لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ شُجَاعٍ ... تَذِلُّ لِحَرْبِهِ أُسْدُ البِقَاعِ
فَقُلْتُ لَهَا سَلِي الأَبْطَالَ عَنِّي ... إِذَا مَا فَرَّ أَرْبَابُ القِرَاعِ
أَنَا المَعْرُوفُ فِي سَعْدِي وَجَدِّي ... وَعَزْمِي قَدْ عَلَا أَيَّ ارْتِفَاعِ
أَيَا حَمَّادُ قَدْ نَازَلْتَ لَيْثًا ... يُرِيكَ المَوْتَ يَسْعَى كَالأَفَاعِي

فلما سمعت شعره حرت في امري ونظرت الى حالتي و ما صرت اليه من الاسر و تصاغرت اليّ نفسي ثم نظرت الى الجارية اخت الشاب و الى حسنها فقلت في نفسي هذه سبب الفتنة و صرت اتعجب من جمالها و اجريت العبرات و انشدت هذه الابيات

خَلِيلِي كُفَّ عَنْ لَوْمِي وَعَذْلِي ... فَإِنِّي لِلْمَلَامَةِ غَيْرُ وَاعِ
كَلِفْتُ بِغَادَةٍ لَمْ تَبْدُ إِلَّا ... دَعَتْنِي فِي مَحَبَّتِهَا الدَّوَاعِي
أَخُوهَا فِي الهَوَى أَمْسَى رَقِيبِي ... وَصَاحِبُ هِمَّةٍ وَطَوِيلُ بَاعِ

ثم ان الجارية احضرت لاخيها الطعام فدعاني الى الاكل معه ففرحت و امنت على نفسي من القتل ولما فرغ اخوها من الاكل احضرت له آنية المدام ثم ان الشاب اقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب

في رأسه واحمرّ وجهه فالتفت اليّ وقال لي ويلك يا حماد هل تعرفني ام لا فقلت وعيشك ما ازددت الّا جهلا فقال يا حماد انا عباد بن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك ثم حيّاني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفني اني لا اخونه فحلفت له الفا وخمسمائة يمين اني لا اخونه قط بل أكون له معينا فعند ذلك امر اخته ان تاتيني بعشر خلع من الحرير فاتت بها وافرغتها على بدني وهذه بدلة منها على جسدي وامرها ان تاتيني بناقة من احسن النياق فاتتني بناقة محملة من التحف والزاد وامرها ايضا ان تحضر لي الحصان الاشقر فاحضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك واقمت عندهم ثلثة ايام في اكل وشرب والذي قد اعطاه لي موجود عندي الى الآن وبعد الثلثة ايام قال لي يا اخي ياحماد اريد ان انام قليلا لاريح نفسي وقد استأمنتك على نفسي فان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بني ثعلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس اليّ ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة اطاحت رأسه من جثته فعلمت بي اخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على اخيها وشقت ما عليها من الثياب وانشدت هذه الابيات

اِلَى ٱلْأَهْلِ بَلِّغْ اِنَّ ذَا اَشْأَمُ ٱلْخَبَرْ	وَمَا لِامْرِئٍ مِمَّا ٱلْحَكِيمُ قَضَى مَفَرْ
وَأَنْتَ صَرِيعٌ يَا اَخِي مُتَجَنْدِلٌ	وَوَجْهُكَ يَحْكِي حُسْنُهُ دَوْرَةَ ٱلْقَمَرْ
لَقَدْ كَانَ يَوْمُ ٱلشُّومِ يَوْمَ لَقِينَهُمْ	وَرُمْحُكَ مِنْ بَعْدِ اطِّرَادٍ قَدِ ٱنْكَسَرْ
وَبَعْدَكَ لَا يَرْتَاحُ لِلْخَيْلِ رَاكِبٌ	وَلَا تَلِدُ ٱلْأُنْثَى نَظِيرَكَ مِنْ ذَكَرْ
وَاَصْبَحَ حَمَّادٌ لَكَ ٱلْيَوْمَ قَاتِلًا	وَقَدْ خَانَ اَيْمَانًا وَبِٱلْعَهْدِ قَدْ غَدَرْ

يُرِيْدُ بِهَذَا اَنْ يَنَـــالَ مُرَادَهُ لَقَدْ كَذَبَ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ مَا اَمَرْ

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ملعون الجدين لما ذا قتلت اخي وخنته وكان مراده ان يردك الى بلادك بالزاد و الهدايا وكان مراده ايضا ان يزوجني لك فى اول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه فى الارض وطرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرّت على الارض ميتة فحـــزنت عليها وندمت حيث لاينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء واخذت ماخف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلي ومن خوفي وعجلتي لم التفت الى احد من اصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية اعجب من حكايتي الاولى مع البنت الخدامة التي خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينها بالظلام وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة

قالتّ بلغني ايها الملك السعيدان نزهة الزمان لما سمعت من البدوى هذا الكلام تبدل الضياء في عينها بالظلام وقامت جردت السيف وضربت به البدوى حمادا على عاتقه فاطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لايّ شيء استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذي فسح في اجلي حتى اخذت ثاري بيدى ثم انها امرت العبيدان يجرّوه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك اقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلثة وكان احدهما عبدا اسود فقالوا له ما اسمك انت فاصدقنا في حديثك قال انا اسمي الغضبان واخبرهم بما وقع له مع الملكة

ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذي احياني واخذت ثاري بيدي واخبرهم ان دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذي اسمه الغضبان وبعد ذلك اقبلوا على الثالث وكان هو الجمّال الذي اكتروه اهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذي في دمشق الشام فذهب به والقاه في المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له اخبرنا انت بخبرك واصدق في حديثك فحكى له جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهو ضعيف على ان يوصله الى الشام ويرميه في المارستان وكيف جاء له اهل بيت المقدس بالدراهم فاخذها وهرب بعد ان رماه على المزبلة التي بجانب مستوقد الحمام فلما تم كلامه اخذ السلطان كان ماكان السيف وضربه فرمى عنقه وقال الحمد لله الذي احياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع ابي فانني سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقي علينا الا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فانها سبب هذه البلايا حيث اوقعتنا في الرزايا ومن لنا بها حتى ناخذ منها الثار ونكشف العار فقال له الملك رومزان عم الملك كان ماكان لابد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وارسله الى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين واسر ملوكهم وقال اريد ان تحضري عندي من كل بد انت والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من اكابر النصارى

من غير عسكر فان البلاد امان لانها صارت تحت ايدينا فلما وصل الكتاب اليها و قرأته و عرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا شديدا وتجهزت من وقتها و ساعتها للسفر هي و الملكة صفية ام نزهة الزمان ومن صحبهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول و اخبرهم بحضورها فقال رومزان المصلحة تقتضي اننا نلبس لبس الافرنج و نقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم لبسوا لباس الافرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا اني اعرفكم لقلت انكم افرنج ثم ان رومزان تقدم امامهم وخرجوا يقابلون العجوز في الف فارس فلما وقعت العين في العين ترجّل رومزان عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه و عانقته فقرط بيده على اضلاعها حتى كاد ان يقصفها فقالت ما هذا يا ولدي فلم تتم كلامها حتى نزل اليهما كان ماكان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجواري والغلمان واخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وامرهم رومزان ان يزينوا بغداد فزينوها ثلثة ايام ثم اخرجوا بالعجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى رأسها طرطور احمر من الخوص مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادي هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى اولاد الملوك ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى اصحابها ما جرى لها اسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ماكان وعمه رومزان و نزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة و امروا الكتّاب ان يؤرخوها في الكتب حتى تقرأ من بعدهم واقاموا بقية الزمان في الّذعيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات و مفرق الجماعات و هذا آخر ما انتهى الينا

من تصاريف الزمان بالملك عمر بن النعمان و ولده شركان و ولده ضوء المكان وولد ولده كان ما كان وبنته نزهة الزمان و بنتها قضى فكان ثم ان الملك قال لشهرزاد اشتهي ان تحكي لي شيأ من حكاية الطيور فقالت لها اخيها لم ار الملك في طول هذه المدة انشرح صدره غير هذه الليلة و ارجو ان تكون عاقبتك معه محمودة و كان الملك ادركه النوم فنام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان و سالف العصر والاوان طاؤوس يأوي الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع و فيه من سائر الوحوش غير انه كثير الاشجار والانهار و ذلك الطاؤوس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش و يغدوان في طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا في تلك الجزيرة و اكلا من اثمارها و شربا من انهارها فبينما هما كذلك و اذا ببطة اقبلت عليهما وهي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى اتت الى الشجرة التي عليها الطاؤوس هو و زوجته فاطمأنت فلم يشك الطاؤوس في ان تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها و عن سبب خوفها فقالت اني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بني آدم فقال لها الطاؤوس لاتخافي حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذي فرج عني همي و غمي بقربكما وقد اتيت

واهبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاؤوس وقالت لها اهلا وسهلا ومرحبا لاباس عليك ومن ابن يصل الينا ابن آدم ونحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر فمن البر لا يقدر ان يصل الينا ومن البحر لا يمكن ان يطلع علينا فابشري وحدثينا بالذى نزل بك واعتراك من ابن آدم فقالت البطة اعلمي ايتها الطاؤوسة انني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لاارى مكروها فنمت ليلة من الليالي فرأيت في منامي صورة ابن آدم وهو يخاطبني واخاطبه وسمعت قائلا يقول لي ايتها البطة احذري من ابن آدم ولا تغترّي بكلامه ولابما يدخله عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً ... وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ

واعلمي ان ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمي الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم احد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة وانا الى الآن لا ينشرح صدري خوفا على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله ولم يات عليّ آخر النهار الاوقد ضعفت قوتي وبطلت همتي ثم اني اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت اتمشى وخاطري مكدر وقلبي مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا اصفر اللون فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحا شديدا واعجبه لوني وكوني لطيفة الذات فصاح عليّ وقال لي

اقربي مني فاما قربت منه قال لي ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمي بطة وانا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك ان والدي الاسد له ايام وهو يحذرني من ابن آدم فاتفق انني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم ثم ان الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا اسد اني قد لجأت اليك في ان تقتل ابن آدم وتحزم رأيك في قتله فاني اخاف على نفسي منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفي من خوفك من ابن آدم مع انك سلطان الوحوش وما زلت يا اختي احذر الشبل من ابن آدم واوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه فرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وانا امشي وراءه الى مفرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجري وتارة يتمرّغ فلما رآه الاسد صاح عليه فاتى اليه خاضعا فقال له ايها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان فقال له يا ابن السلطان انا جنسي حمار وسبب قدومي الى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل انت خائف من ابن آدم ان يقتلك فقال له الحمار لا يا ابن السلطان وانما خوفي ان يعمل حيلة عليّ ويركبني لان عنده شيأ يسميه البردعة فيجعلها على ظهري وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطني وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبي وشيأ يسميه اللجام فيجعله في فمي ويعمل لي منخاسا ينخسني به ويكلفني ما لا اطيق من الجري واذا عثرت لعنني وان نهقت شتمني وبعد ذلك اذا كبرت و

لم اقدر على الجري يجعل لي رحلا من الخشب ويسلمني الى السقايين فيحملون الماء على ظهري من البحر في القِرَب ونحوها كالجِرار ولا ازال في ذل وهوان وتعب حتى اموت فيرمونني فوق التلال للكلاب فايّ شيء اكبر من هذا الهم وايّ مصيبة أكبر من هذه المصائب فلما سمعتُ ايها الطاؤوسة كلام الحمار اقشعرّ جسدي من ابن آدم وقلت للشبل ياسيدي ان الحمار معذور وقد زادني كلامه رعبا على رعبي فقال الشبل للحمار الى اين انت سائر فقال له الحمار اني نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها انا اريد ان انطلق ولم ازل اجري من شدة خوفي منه فعسى اجد لي موضعا يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل في ذلك الكلام وهو يريد ان يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس ادهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الاسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك ايها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل فقال له ياسيد الوحوش انا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال له لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وانت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك وانا مع صغر جسمي قد عزمت على ان التقي مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه واسكن روع هذه البطة المسكينة واقرها في وطنها وها انت لما اتيت في هذه الساعة

قطعت قلبي بكلامك وارجعتني عما اردت ان افعله فاذا كنت انت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع انك لو رفصته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كاس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات ان اغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لانه من شدة حيله ومكره يصنع لى شيأ يقـــال له الشكال ويضع في اربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبني من رأسي في وتد عال وابقى واقفا وانا مصلوب لا اقدر اقعد ولا انام واذا اراد ان يركبني يعمل لي شيأ في رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهري شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطي ويضع في فمي شيأ من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك الصرع بيده ويقودني به ويهمزني بالركاب في خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عن ما اقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانتحل ظهري ولم اقدر على سرعة الجـــري يبيعني للطحّان ليدورني فى الطاحون فلا ازال دائرا فيها ليلا ونهارا الى ان اهرم فيبيعني المجزار فيذبحني ويسلخ جلدى وينتف ذنبي ويبيعهما للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو في اثري فبينمـــا الشبل يتحدث مع الفـــرس في هذا الكلام واذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليه فى الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا فلما رأه الشبل كبيرا غليظـــا ظن انه ابن آدم

فاراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما انا يا اختي مع الشبل في هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين ايادي الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك في هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وانت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفصته برجلك رفصة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم ان ابن آدم له دواهي لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع في انفي خيطا ويسميه خزامة ويجعل في رأسي مقودا ويسلمني الى اصغر اولاده فيجرّني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملونني اثقل الاحمال ويسافرون بي الاسفار الطوال ويستعملونني في الاشغال الشاقة آناء الليل والنهار واذا كبرت وشخت اوانكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عن ما اقاسي من ابن آدم فقال له الشبل أيّ وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب واظنه يأتي عند انصرافي فلم يجدني فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى اهج في البراري والقفار فقال الشبل تمهّل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف افترسه واطعمك من لحمه واهشم عظمه واشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان انا خائف عليك من ابن آدم فانه مخادع ماكر ثم انشد قول الشاعر

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام واذا بغبرة طلعت

وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدّة نجّار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده اطفال صغار وهو يهرول في مشيه ومازال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا اختي وقعت من شدة الخوف واما الشبل فانه قام وتمشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجّار في وجهه وقال له بلسان فصيح ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اسعد الله مساك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك اجرني مما دهاني وبشرّه رماني لانني ما وجدت لي نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدي الاسد وبكى وانّ واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له اجرتك مما تخشاه فمَن الذي قد ظلمك وما انت تكون ايها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلك ولا احسن صورة ولا افصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار يا سيد الوحوش اما انا فنجّار واما الذي ظلمني فانه ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وشخر ونخر وارتمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لاسهرنّ في هذه الليلة الى الصباح ولا ارجع الى والدي حتى ابلغ مقصدي ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له انّي ارى خطواتك قصيرة ولا اقدر ان اكسر بخاطرك لانني ذو مروّة واظن انك لا تقدر ان تماشي الوحوش فاخبرني الى اين تذهب فقال له النجار اعلم انني رائح الى وزير والدك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفا عظيما فجعل اليّ رسولا من الوحوش لاصنع له بيتا يسكن فيه ويأوي له كذلك عنه عدوّه حتى لا يصل اليه احد من بني آدم فلما جاءه ابن آدم

اخذت هذه الالواح و توجّهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجّار
اخذه الحسد للفهد فقال له بحياتي لا بد ان تصنع لي هذه الالواح
بيتا قبل ان تصنع للفهد بيته و اذا فرغتَ من شغلي فامض الى الفهد
واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له
ياسيد الوحوش ما اقدر ان اصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد
ثم اجيء الى خدمتك واصنع لك بيتا يحصنك من عدوّك فقال له
الشبل والله ما اخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لي هذه
الالواح بيتا ثم ان الشبل همّ على النجار ووثب عليه واراد ان يمزح
معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا
عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يا نجار انك ضعيف وما لك
قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم فاما وقع النجار على ظهره
اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه فقعد
النجار على حيله وضحك في وجهه وقال له ها انا اصنع لك البيت ثم ان
النجار تناول الالواح التي كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على
قياس الشبل وخلّى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة الصندوق
وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء كبيرا وثقب فيه ثقبا كثيرة واخرج
منها مسامير مطرفة وقال للشبل ادخل في هذا البيت من هذه الطاقة
حتى انيسه عليك ففرح الشبل بذلك واتى الى تلك الطاقة فرآها ضيقة
فقال له النجار ادخل وابرِك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك
[illegible] الصندوق فبقي ذنبه خارجا في آخره فاراد الشبل ان يتأخر الى
[illegible] يخرج فقال له النجار امهل واصبر حتى انظر هل يسع ذنبك
[illegible] الشبل امره ثم ان النجار لفّ ذنب الشبل وحشاه
[illegible] ورد اللوح على الطاقة سريعا و سمره فصاح الشبل

قائلا يا نجـارما هذا البيت الضيق الذى صنعته لي دعني اخـرج منه فقال له النجـار هيهـات هيهات لا ينفع الندم على مافات انك لا تخـرج من هذا المكان ثم ضحك النجـار و قال للشبل انك وقعت فى القفص و ما بقي لك خلاص من ضيق الاقفـاص يا اخبث الوحوش فقال يا اخي ما هذا الخطاب الذي تخاطبني به فقال له النجار اعلم يا كلب البرّ انك قد وقعت فيما كنت تخاف منه و قدرماك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا اختي علم انه ابن آدم الذي حذره منه ابوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وانا ايضا تحققت انه هو بلاشك فيه ولاريب فخفت منه على نفسي خوفا عظيما و بعدت عنه قليلا و صرت انتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا اختي ابن آدم حفر حفرة في ذلك المـكان بالقرب من الصندوق الذي فيه الشبل و رماه في تلك الحفرة والقى عليه الحطب واحرقه بالنـار فكبريا اختي خوفي ولي يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاؤوسة من البطة هذا الكلام و ادرك شهرزاد الصبـاح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الطاؤوسة لمـا سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غـاية العجب و قلت يا اختى انك امنت من ابن آدم لاننّا في جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختاري المقام عندنا الى ان يسهل الله امرك و امرنا قالت اني اخاف ان يطرقني طارق والقضاء لا ينفك عنه آبق فقالت اقعدى عندنا و انت مثلنا ولا زالت بهـا حتى قعدت و قالت يا اختي

انت تعلمين قلة صبري ولولا اني رأيتك هنا ما كنت تعديت فقالت الطاؤوسة ان كان على جبيننا شيء نستوفاه وان كان دنا اجلنا فمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها واجلها فبينماهما في هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القضاء والقدر فبعد ساعة انكشفت الغبرة وبان من تحتها ظبي فاطمأنت البطة والطاؤوسة ثم قالت للبطة يا اختي ان الذي نظرت وحذرت منه ظبي وها هو قد اقبل نحونا فليس علينا منه بأس لان الظبي انما ياكل الحشايش من نبات الارض وكما انت من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش فاطمئني ولا تهتمي فان الهمّ ينحل البدن فلم تتم الطاؤوسة كلامها حتى وصل الظبي اليهما يستظل تحت ظل الشجرة فلما رأى الطاؤوسة والبطة سلم عليهما وقال لهما اني دخلت الى هذه الجزيرة اليوم فلم ار اكثر منها خصبا ولا احسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاؤوسة تودده اليهما اقبلتا عليه ورغبتا في عشرته فتصادقوا وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم ومشربهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرّت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فارست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة فرأوا اجتماع الظبي والطاؤوسة والبطة فاقبلوا عليهم فلما رأتهم الطاؤوسة صعدت الى الشجرة ثم طارت في الجوّ وشرد الظبي في البرية فبقيت البطة محبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاؤوسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا ارى الآفات الا مراصدة لكل احد ولولا هذه السفينة

ما حصل بيني و بين هذه البطة افتراق و لقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت الطاوُوسة و اجتمعت بالظبي فسلم عليها و هنّاها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد اخذها العدوّ وكرهت المقام في تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة و انشدت تقول

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ قَطَّعَ قَلْبِي قَطَّعَ اللّٰهُ قَلْبَ يَوْمِ الْفِرَاقِ

ثم قالت ايضا هذا البيت

تَمَنَّيْتُ الْوِصَالَ يَعُودُ يَوْمًا لِأُخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ الْفِرَاقُ

فاهتم الظبي همّا شديدا ثم رد عزم الطاوُوسة عن الرحيل فاقامت مع الظبي آمنين آكلين شاربين غير انهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاوُوسة يا اختي قد علمت ان الناس الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببا لفراقنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسي منهم ومن مكر بني آدم و خداعه قالت قد علمت يقينا ان ماقتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها اني اخاف عليك من تركك التسبيح لان كل شيء خلقه الله يسبّحه فان غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاوُوسة قال احسن الله صورتك واقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل ان تسبيح الظبي سبحان الديّان ذى الجبروت و السلطان

وورد

ان بعض العبّاد كان يتعبد في بعض الجبال وكان يأوي الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي سوى الجبل الذي فيه العابد وكان السبب في اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول في تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في ارغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتّت شمل الحمام وتفرّق في المدن والقرى والجبال وقيل انه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة وكان صاحب دين وعقل وعفة وكان له اغناما يرعاها وينتفع بالبانها واصوافها وكان ذلك الجبل الذي يأوي اليه الراعي كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيما في الجبل مطمئنا لا يهمه شيء من امر الدنيا لسعادته واقباله على صلوته وعبادته فقدر الله انه مرض مرضا شديدا فدخل العابد في كهف الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوي بالليل الى الكهف فاراد الله تعالى ان يختبر ذلك الراعي ويمتحنه في طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك في صورة امرأة حسناء فجلس بين يديه فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده اقشعرّ بدنه منها فقال لها ايّتها المرأة ما الذي دعاك الى المجيء هنا وليس لي حاجة بك ولا بيني وبينك ما يوجب لدخولك عندي فقالت له ايها الانسان اما ترى حسني وجمالي وطيب رائحتي اما تعلم حاجة النساء من الرجال

والرجال من النساء فما الذي يمنعك منّي وقد اخترت قربك واحببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا احد نخشاه واريد ان اقيم معك طول مقامك في هذا الجبل واكون انيسة لك فقد عرضت نفسي عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وانت ان باشرتني زال عنك مرضك وعادت اليك صحتك وندمت على مافاتك من قرب النساء في سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصحي وادن منّي فقال لها الراعي اخرجي عني ايتها المرأة الخداعة الغدارة فلا اركن اليك ولا ادنو منك ولاحاجة لي بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد في الآخرة ومن رغب في الآخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلى بصحبتك فقالت له ايها التايه عن السداد والضالّ عن طريق الرشاد اقبل بوجهك اليّ وانظر الى محاسني واغتنم قربي كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا اكثر منك تجربة واصوب منك رأيا ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء وقربهن فما اساءهم ذلك في دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة امرك فقال لها الراعي ان كلما تقولينه نكرته وكرهته وجميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة غدّارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك اخفيته وكم من صالح فتنته وكانت عاقبته الى الندامة والخسران فارجعي عني ايتها المصلحة نفسها لفساد غيرها ثم القى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج عنه وصعد الى السماء وكان قريبا من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى

في منامه كأن قائلا يقول له ان بالقرب منك في مكان كذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة امره فلما اصبح الصباح توجّه نحوه سائرا فلما اشتدّ عليه الحرّ انتهى الى شجرة عندها عين ماء تجري فاستراح هناك وجلس في ظل تلك الشجرة فاذا هو بوحوش وطيور اتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا منه ورجعوا وشردوا فقال العابد لاحول ولا قوة الا بالله اني لم استرح هنا الّا ضررا على هذه الوحوش والطيور فقام وقال معاتبا لنفسه لقد اضرّ بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما العذر بيني وبين خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فاني كنت سببا لشرودهم عن شربهم وعن رزقهم ومرعاهم فوا خجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجمّاء من الشاة القرناء ثم بكى وانشد يقول هذه الابيات

أَمَا وَاللّٰهِ لَوْ عَلِمَ ٱلأَنَامُ ... لِمَا خُلِقُوا لَمَا غَفَلُوا وَنَامُوا

فَمَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ ثُمَّ حَشْرٌ ... وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ

وَنَحْنُ إِذَا ٱنْتَهَيْنَا أَوْ أَمَرْنَا ... كَأَهْلِ ٱلْكَهْفِ أَيْقَاظٌ نِيَامُ

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولّى سائحا على وجهه حتى اتى الى الراعي فدخل اليه وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى فقال له الراعي ماالذي اتى بك الى هذا المكان الذي لم يدخله احد من الناس عليّ فقال له العابد اني رأيت في منامي من يصف لي مكانك ويامرني ان اسير اليك واسلم عليك فاتيتك ممتثلا لما أُمِرتُ به فقبله الراعي وطابت نفسه بصحبته وجلس معه في الجبل يعبدان الله في ذلك الغار فحسنت عبادتهما ولم يزالا في ذلك المكان يعبدان

ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم والبانها متجردين عن المال والبنين الى ان اتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما فقال الملك يا شهرزاد لقد زهدتني في ملكي وندمتني على ما فرط مني في قتل النساء والبنات فهل عندك شيء من حديث الطيور قالت نعم

زعموا ايها الملك ان طيرا من الطيور طار وعلا الى الجو ثم انقض على صخرة في وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف واذا هو برمة انسان جرها الماء حتى اسندها الى تلك الصخرة وقد انتفخت وارتفعت فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم فوجد فيها ضرب سيوف وطعن رماح فقال طير الماء في نفسه اظن ان هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة فقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء حائرا وهو يتعجب فبينما هو كذلك واذا بنسور وعقبان احاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما راى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لاصبر لي على الاقامة في هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه الى حين تنفد تلك الجيفة وتروح سباع الطيور عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا في وسطه شجرة فنزل عليها متغيرا كئيبا حزينا على فراق وطنه وقال في نفسه ما زالت الاحزان تتبعني وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق ساقه الله الي فصار فرحي غما وسروري حزنا وهما فاخذتها وافترستها سباع الطيور مني وحالوا بيني وبينها فكيف ارجوان اكون سالما في هذه الدنيا من الكدر واطمئن اليها وقد قيل في المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق

الارض حتى يصير تحتها و يحثو عليه التراب اعز الناس اليه و اقربهم لديه وما للفتى خير من الصبر على همومها ومكارهها وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارهًا لفرقة اخواني و احبابي وخلّاني فبينما هو في فكرته واذا بذكر من السلاحف اقبل منحدرا في الماء ودنا من طير الماء و سلّم عليه و قال يا سيدي ما الذي حجبك و ابعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوّه وما احسن قول بعض الشعراء

إِذَا حَلَّ الثَّقِيْلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ   فَمَا لِلسَّاكِنِيْنَ سِوَى الرَّحِيْلِ

فقال له السلحف ان كان الامر كما وصفته والحال مثل ذكرته فانا لا ازال بين يديك ولا افارقك لاقضي لك حاجتك وَاني بخدمتك فانه قيل لا وحشة اشدّ من وحشة الغريب المنقطع عن اهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعدل لها شيٌ من المصائب واحسن ما يسلّي به العاقلُ نفسَه الاستيناس في الغربة والصبر على الرزية والكربة وارجوان تحمد صحبتي معك واكون لك خادما ومعينا فلمّا سمع طيرالماء مقالة السحلف قال له لقد صدقت في قولك ولعمري اني وجدت للفراق الما وغما مدةً بُعدي عن مكاني وفراقي لاخواني وخلّاني لان في الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكّر واذا لم يجد الفتى من يسلّيه من الاصحاب ينقطع عنه الخير ابدا ويثبت الشر سرمدا وليس للعاقل الاّ التسلي بالاخوان عن الهموم في جميع الاحوال وملازمة الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على المصيبة ونوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع في كل امر فقال له السحلف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب

مروّتك وما زالا يتحدّثان مع بعضهما الى ان قال طيرالماء للسلحف انا لم ازل اخشى نوائب الزمان و طوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طيرالماء اقبل عليه و قبّله بين عينيه و قال له لم تزل جماعة الطير تتبرك بك وتعرف في مشورتك الخير فكيف تحمل الهمّ والضير ولم يزل يسكّن روع طيرالماء حتى اطمأنّ ثم ان طيرالماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الّا عظاما فرجع و اخبر السلحف بزوال العدوّ من مكانه وقال له اعلم انّي احبّ الرجوع الى مكاني لاتملّى بخلّاني فانه لا صبر للعاقل على فراق وطنه فاتيا الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافا منه فانشد طيرالماء يقول

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللّٰهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثم انهما سكنا في تلك الجزيرة فبينما طيرالماء مسرورا آمنا اذ ساق القضاء اليه بازيا جائعا فضربه بمخلبه في بطنه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل و سبب قتله غفلته عن التسبيح قيل ان تسبيحه سبحان ربنا فيما قدّر و دبّر سبحان ربنا فيما اغنى و افقر هذا ما كان من حديث طيرالماء و جوارح الطيور فقال الملك يا شهرزاد لقد زدتني بحكاياتك مواعظ و اعتبارا فهل عندك شيء من حكايات الوحوش قالت نعم

اعلم

ايها الملك ان ثعلبا وذئبا الفا وكرًا فكانا يأويان اليه مع بعضهما ويبيتان فيه وكان الذئب قاهرا للثعلب فلبثا على ذلك مدّة من الزمان

فاتفق ان الثعلب اشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له اعلم ان دمت على عتوّك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجوّ والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها من مكان الى مكان وكل ذلك من حيله ومكره فعليك بالرفق والانصاف وترك الشر والاعتساف فانه اهنى لعيشك فلم يقبل الذئب قوله واغلظ له الردّ وقال له مالك والكلام في عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخرّ منها مغشيا عليه فلما افاق ضحك في وجه الذئب واقبل معتذرا اليه من الكلام الشين قائلا له هذين البيتين شعر

إنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا سَالِفًا ... فِي حُبِّكُمْ وَأَتَيْتُ شَيْئًا مُنْكَرَا
أَنَا تَائِبٌ عَمَّا جَنَيْتُ وَعَفْوُكُمْ ... يَسَعُ المُسِيءَ إذَا أَتَى مُسْتَغْفِرَا

فقبل الذئب عذره وكفّ عنه اشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فانا بمعزل عن ما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تقولن عن ما لا تسأل عنه ولا تُجِب ما لا تدعى اليه وذَرِ الذي لا يعنيك الى ما يعنيك ولا تبذلن النصيحة للاشرار فانهم يجازونك عليها شرّا فلما سمع الثعلب كلام الذئب تبسم في وجهه ولكنه اضمر له مكرا وقال

لابد ان اسعى و اكون سببــا لهلاك هذا الذئب وصبر على اذى الذئب وقال في نفســه ان البطر و الافتراء يكونان سببا للهلاك ويوقعان فى الارتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف والاداب اشرف الاكتساب ومن الرأي مداراة هذا الباغي ولابد له من مصرع ثم ان الثعلب قال له ان الرب يغفــر للعبد المذنب و يتوب على عبده إنْ اقتــرف الذنوب وانا عبد ضعيف و قد ارتكبت في نصحــك التعسيف ولو علمتَ بما حصــل لي من الم لطمتك لعلمت ان الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكنني لا اشتكي من الم هذه اللطمة بسبب ماحصل لى بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت منى مبلغا عظيمــا عاقبتهــا سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب اوله صعب شديد وآخره احلى من العســل المصفى فقال الذئب قد غفرت ذنبك واقلت عثرتك فكن من قوتي على حذر واعترف لي بالعبــودية فقد علمت قهري لمن عاداني فسجد له الثعلب وقال له اطال الله عمرك ولازلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب مداريا مصانعا له ثم ان الثعلب اتى الى الكرم يوما فرأى في حائطه ثلمة فانكرها وقال في نفسه ان هذه الثلمة لا بد لها من سبب وقد قيل فى المثــل من رأى خرقا فى الارض فلم يجتنبه و يتوقى عن الاقدام عليه كان بنفسه مغرورا و للهلاك متعرضا و قد اشتهر ان بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم حتى يقدم اليه العنب فى الاطباق لاجل ان يرى ذلك ثعلب فيتقدم اليه فيقع فى الهلاك واني ارى هذه الثلمة مكيدة و قد قيل فى المثل الحــذر نصف الشطارة ومن الحذر ان ابحث هذه الثلمة وانظر لعلّي اجد عندها

مكيدة تؤدي الى التلف ولا يحملني الطمع على ان القي نفسي في الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر وتأملها فاذا هي حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم فقال لنفسه انك نلته ما املّته ورأى عليها غطاء ضعيفا رقيقا فتأخّر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وارجوان يقع فيها عدوي الذئب الذي نغص عيشي فيخلولي الكرم واستقلّ به وحدى واعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا وانشد يقول

لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ هَذَا الْوَقْتَ فِي ذِي الْبِئْرِ ذِئْبَا
طَالَ مَا قَدْ سَاءَ قَلْبِي وَسَقَانِي الْمُرَّ غَصْبَا
لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ هَذَا أَبْقَى وَيَقْضِي الذِّئْبُ نَحْبَا
ثُمَّ يَخْلُو الْكَرْمُ مِنْهُ وَأَرَى لِي فِيهِ نَهْبَا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى انى الى الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلاتعب وهذا من سعادتك فهنيأً لك بمافتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة السائغة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال انّي انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قدمات وافترسه الذئب ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب في قول الثعلب وادركه الشَرَهُ فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غرّه الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت

شعر

أَتَطْمَعُ مِنْ لَيْلَى بِوَصْلٍ وَإِنَّمَا تُضَرُّ بِأَعْنَاقِ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة التسليق و هدم حائط البستان و على الله تمام الاحسان فاقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة هوى فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح وزال عنه الهم والترح و اطرب بالنغمات و انشد هذه الابيات

رَقَّ الزَّمَانُ لِحَالَتِي ... وَرَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي
وَ أَنَالَنِي مَا اَشْتَهِي ... وَ أَزَالَ مِمَّا أَتَّقِي
فَلَأَصْفَحَنَّ عَمَّا جَنَا ... هُ مِنَ الذُّنُوبِ السُّبَّقِ
فَالذِّئْبُ لَيْسَ لَهُ خَلَا ... صٌ مِنْ هَلَاكٍ مُوبِقِ
وَالْكَرْمُ لِي وَحْدِي وَمَا ... لِي مِنْ شَرِيكٍ أَحْمَقِ

ثم انه نظر في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندما و حزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له أمن رحمتك لى بكيت يا ابا الحصين قال لا والذي قذفك في هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضي واسفا على كونك لم تقع في هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعي بك لكنت ارحت واسترحت و لكن ابقيت الى اجلك المحتوم و وقتك المعلوم فقال له الذئب كالمازح ايها المسيء في فعله رح لوالدتي واخبرها بما حصل لي لعلها تحتال على خلاصي فقال له الثعلب لقد اوقعك في الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم الم تعلم ايها الذئب الجاهل ان صاحب المثل السائر يقول من لم يفكر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا ابا الحصين انما كنت تظهر محبتي

وترغب في مودتي وتخاف من شدة قوتي فلا تحقد عليّ بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان اجره على الله وقد قال الشاعر

ازْرَعْ جَمِيلاً وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ... مَا خَابَ قَطُّ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلاَّ الَّذِي زَرَعَا

فقال له الثعلب يا اجهل السباع واحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبّرك وعتوّك و تكبرك و انت لم ترع حق المعاشرة و لم تنتصح بقول الشاعر

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... إِنَّ الظَّلُومَ عَلَى حَدٍّ مِنَ النِّقَمِ
تَنَامُ عَيْنَيْكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

فقال له الذئب يا ابا الحصين لاتؤاخذني بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من احسن الذخائر و ما احسن قول الشاعر

بَادِرْ بِخَيْرٍ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ أَنْتَ مُقْتَدِرًا

و لم يزل الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شيء تخلصني به من الهلاك فقال له الثعلب ايها الذئب الجاهل المغرور الماكر الغادر لاتطمع فى الخلاص فان هذا جزاء لقبيح فعلك وقصاص ثم ضحك بالشدقين وانشد هذين البيتين

لَا تُكْثِرَنَّ خِدَاعِي ... فَلَنْ تَنَالَ مَنَالَا
مَا رُمْتَ مِنِّي مُحَالٌ ... زَرَعْتَ فَاحْصُدْ وَبَالَا

فقال له الذئب يا حليم السباع انت عندي اوثق من ان تسلمني في هذه

الحفرة ثم بكى واشتكى وافاض دمع العينين وانشد هذين البيتين

يَامَنْ اَيَادِيهِ عِنْدِي غَيْرُ وَاحِدَةٍ ... وَمَنْ مَوَاهِبُهُ تَنْمُو عَنِ الْعَدَدِ
مَا نَابَنِي مِنْ زَمَانِي قَطُّ نَائِبَةٌ ... اِلَّا وَجَدْتُكَ فِيهَا آخِذًا بِيَدِي

فقال له الثعلب ايها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وتملقت لك لارغبة في احسانك والآن نزلت بك الرجفة وحلت بك النقمة وانشد هذين البيتين

يَا اَيُّهَا الْمُلْتَمِسُ الْخَدِيعَة ... وَقَعْتَ فِي ذَمِّيكَ الشَّنِيعَة
فَذُقْ وَبَالَ الْمِحْنَةِ الْفَظِيعَةْ ... وَكُنْ مَعَ النَّاسِ فِي قَطِيعَةْ

فقال له الذئب ايها الحليم لاتكن بلسان اهل العداوة ناطقا وبعينهم صادقا وكن وافيا بعهد ائتلافي قبل ان يفوت وقت انتلافي وقم وتسبب لي في حبل تشدّ طرفه في شجرة وتدلي طرفه الآخر اليّ حتى اتعلّق به لعلّي انجو مما انا فيه وادفع لك جميع ماحوته يدي من الذخائر فقال له الثعلب لقد اكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا تطمع في ذلك فلن تنال مني ما تمسك به نفسك واذكر ما سلف من سوء فعلك وما تضمره لي من الغدر والمكر واين انت من الرجم بالحجارة واعلم بان ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فبئس القرار فقال له الذئب يا ابا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم ان من خلص نفسا من الهلاك فقد احياها ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء نهوا عنه

ولافساد اظهر من كوني في تلك الحفرة اتجرع غصص الموت و انظر الى الهلاك وانت قادر على خلاصي من الارتباك فجد عليّ بالخلاص وافعل معي جميلا فقال له الثعلب ايّها الغظّ الغليظ انّي اشبهك في حسن علانيتك وقولك واقيس قبح نيتك وفعلك بالبازي مع الحجل فقال الذئب وكيف ذلك فقال الثعلب دخلت يوما كرما لاّكل من عنبه فبينما انا فيه اذ رأيت بازيا انقضّ على حجل فلما علقه واقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وَكْره واختفى فيه فتبعه البازي وناداه ايها الجاهل اني رأيتك في البرية جائعا فرحمتك والتقطتُ لك حبّا وامسكتك لتأكل فهربت مني و لم اعرف لهروبك وجها الاّ الحرمان فاظهر وخذ ما آتيتك به من الحب فكله هنيأ مريأ فلما سمع الحجل قول البازي صدّقه وخرج اليه فانشب مخالبه فيه ومكّنها منه فقال له الحجل اهذا الذى ذكرتَ انك اتيت لي به من البرية وقلتَ لي كله هنيأ مريأ فكذبت عليّ جعل الله ما تأكله من لحمي في جوفك سما قاتلا فلما اكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم ايها الذئب ان من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريبا وانت غدرت بي اوّلا فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الامثال ولا تذكرلي ماسلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما انا فيه من سوء الحال لاني قد حصلت في موضع يرثي لي منها العدو فضلا عن الصديق واصنع لي حيلة اتخلّص بها وكن فيها غياثي وان كان عليك في ذلك مشقة فقد يتحمّل الصديق لصديقه اشد النصب ويخاطر بنفسه فيما فيه نجاته من العطب فقد قيل ان الصديق الشفيق خير من الاخ الشقيق فان تسببتَ في نجاتي ولجوتُ لاجمعن لك

من الآلة مايكون لك عدّة ثم لا علمنك من الحيل الغريبه مانفتح به الكروم الخصبة وتجني الا شجار المثمرة فطب نفسا وقرّ عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما احسن ما قالته العلماء في كثير الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء ان الغليظ الجثة الغليظ الطبع يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل و اما قولك ايها المغرور الماكر الاحمق قد يتحمل الصديق المشقة في تخليص صديقه صحيح كما ذكرت و لكن عرفني بجهلك و قلة عقلك كيف اصادقك مع خيانتك احسبتني لك صديقا و انا لك عدو شامت و هذا الكلام اشد من القتل و رشق السهام ان كنت تعقل و اما قولك تدفع لي من الآلة ما يكون عدة لي و تعلمني من الحيل ما اصل به الى الكروم المخصبة و اجتني به الاشجار المثمرة فمالك ايها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما ابعدك من المنفعة لنفسك وما ابعدني من القبول لنصيحتك فان كان عندك حيلة فتحيل لنفسك في الخلاص من هذا الامر الذي اسأل الله ان يبعد خلاصك منه فانظر ايها الجاهل ان كان عندك حيلة فخلّص نفسك بها من القتل قبل ان تبذل التعليم لغيرك و لكنك مثل انسان نابه مرض فاتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك ان اداويك من مرضك فقال له الرجل هل لابدأت بنفسك بالمداواة فخلاه وانصرف وانت ايها الذئب الجاهل كذلك فالزم مكانك و اصبر على ما اصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انـه لاخير له عنده فبكى على نفسه و قال قد كنتُ في غفلـة من امري فان خلصني الله من هذه الكـربة لأتوبنّ من تجبّري على من هو اضعف مني ولالبسنّ الصوف ولا صعدنّ

على الجبل ذاكرًا لله تعالى خائفـــا من عقابه و اعتزل سائر الوحوش ولا طعمون المجاهدين والفقراء ثم بكى و انتحب فرقّ له قلب الثعلب وكانه لمـــا سمع تضرعه والكلام الذي يدل على توبته من العتو والتكبر اخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفرة ثم جلس على رجليـــه و ادلى ذنبـــه في الحفـــرة فقام الذئب و مدّ يده الى ذنب الثعلب و جذبه اليه فصار في الحفرة معه فقال له الذئب ايهـــا الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بي وقد كنت صاحبي و تحت قهري وقد وقعت معي في الحفرة وتعجّلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير احدكم اخاه برضاع كلبة لارتضعها وما احسن قول الشاعـــر

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَـــرَّ عَلَى أُنَاسٍ كَلَاكِلَـــهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَـــا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَـــا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَـــا

و الموت في جمع احسن الاشياء فلا عجّلنّ قتلك قبل ان ترى قتلي فقال الثعلب في نفسه آه آه اني وقعت مع هذا الجبار و هذا الحال يحتاج الى المكر والخداع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة و في المثل ما ادخرتك يا دمعتي الا لشدتي وان لم احتل في امر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة وما احسن قول الشاعر

عِشْ بِالْخِـــدَاعِ فَأَنْتَ فِي زَمَنٍ بَنُـــوهُ كَأُسْدِ بِيشَهْ

وَ أَدِرْ قَنَـــاةَ الْمَكْرِ حَتَّـــى تَسْتَدِيرَ رَحَى الْمَعِيشَهْ

وَ اجْنِ الثِّمَـــارَ فَإِنْ تَفُتْـــكَ فَرَضِّ نَفْسَكَ بِالْحَشِيشَهْ

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل عليّ بالقتل فليس هذا جزائي بتقدّم ايّها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان تمهلت و امعنت النظر فيما احكيه لك عرفت قصدي الذي قصدته وان عجلت بقتلي فلا يحصل في يدك شيءٌ و نموت جميعا هٰهنا فقال له الذئب ايها الخادع الماكر وما الذي ترجوه من سلامتي و سلامتك حتى تسألني التمهل عليك فاعلمني و اخبرني بقصدك الذي قصدته فقال له الثعلب امّا قصدي الذي قصدته فما ينبغي ان تحسن عليه مجازاتي لانّي لما سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك و تلهفك على مافاتك من التوبة و فعل الخير و سمعتُ ما نذرته على نفسك ان نجوت مما انت فيه من كف الاذى عن الاصحاب و غيرهم و تركك اكل العنب و سائر الفواكه و لزومك الخشوع و تقليم اظفارك و تكسير انيابك و لبس الصوف و تقريبك القربان لله تعالى اخذتني الشفقة عليك فان خير القول اصدقه مع انّي كنتُ على هلاكك حريصا فلما سمعتُ منك توبتك وما نذرته على نفسك ان نجاك الله لزمني لك الخلاص مما انت فيه فادليت اليك ذنبي لكيما تتعلق به و تنجو فلم تترك الحالة التي انت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتني جذبة ظننت منها ان روحي قد خرجت فصرت انا و انت في منزلة الهلاك و الموت و ما ينجيني وانت الاشيءٌ ان قبلته مني خلصت انا وانت وبعد ذلك يجب عليك ان تفي بمانذرته و اكون رفيقك فقال له الذئب و ما الذي اقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم اَعْلُو انا فوق رأسك حتىّ اساوي قريب ظهر الارض فاهمز فاصير فوقها واخرج انا و آتيك بما

تتعلق به وتخلص انت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لان الحكماء قالوا من استعمل الثقة في موضع الحقد كان مخطئا ومن وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة وذهبت ايامه ضياعا ومن لم يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما احسن قول الشاعر

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ اِلَّا سَيِّئاً ... اِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ اَقْوَى الفِطَنْ
مَارَمِي الْاِنْسَانُ فِي مَهْلَكَةٍ ... مِثْلُ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالظَّنِّ الحَسَنْ

وقول الآخر

اِلْزَمْ يَقِينَكَ سُوءَ الظَّنِّ تَنْجُ بِهِ ... مَنْ عَاشَ مُسْتَيْقِظًا قَلَّتْ مَصَائِبُهُ
وَالْقَ العَدُوَّ بِوَجْهٍ بَاسِمٍ طَلِقٍ ... وَانْصِبْ لَهُ فِي الحَشَى جَيْشًا يُحَارِبُهُ

وقول الآخر

اَعْدَى عَدُوِّكَ اَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ ... فَحَاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالاَيَّامِ مُعْجِزَةٌ ... فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

فقال له الثعلب ان سوء الظن ليس بمحمود في كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغي لك ايها الذئب ان تعمل حيلة على النجاة مما انت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان احسنت الظن فالامر على وجهين اما ان آتيك بما تتعلق به وتنجو مما انت فيه واما ان اغدر بك فاخلص وادعك وهذا مما لا يمكن فاني لا آمن ان ابتلي بشيء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل في الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغي ان تثق بي فاني

لم أكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر
اضيق من ان تطيل فيه الكلام فقال الذئب ان مع قلة ثقتي بوفائك
قد عرفت ما في خاطرك من انك اردت خلاصي لما سمعت من
توبتي فقلت في نفسي ان كان محقا فيما زعم فانه استدرك ما افسد
وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها انا اقبل منك ما اشرت به عليّ
فان غدرت بي كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما
في الحفرة واخذ الثعلب على اكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فقفز
الثعلب عن اكتاف الذئب فصار على وجه الارض فلما صار
خارج الحفرة وقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلي لا تغفل عن
امري ولا تؤخر خلاصي فضحك الثعلب وقهقه وقال ايها المغرور
لم يوقعني في يديك الا عقوبة المزح معك والسخرية بك وذلك اني
لمّا سمعتُ توبتك استخفّني الطرب والفرح فتطيت وطربت ورقصت
فتدلى ذنبي في الحفرة فجذبتني فوقعت عندك ثم انقذني الله تعالى
منك فما لي لا اكون عونا على هلاكك لانك من حزب الشيطان
واني رأيت البارحة في منامي اني ارقص في عرسك فقصصت الرؤيا على
معبّر فقال لي انك تقع في ورطة وتنجو منها فعلمت ان وقوعي في
يدك ونجاتي هو تأويل رؤياي وانت تعلم ايها المغرور الجاهل
انني عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك في انقاذي اياك
مع ما سمعت من غلظ كلامي وكيف اسعى في نجاتك وقد قالت
العلماء ان في موت الفاجر راحة للناس وتطهيرا للارض ولولا مخافة
ان احتمل من الالم في الوفاء لك ما هو اعظم من الم الغدر لتدبرت
في خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عضّ على كفه ندما وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك فلم ينفع عنده شيأ فقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من احلى القوم لسانا والطفهـــا مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمـــزاح فقال الثعلب ايها الجـــاهل ان للمـــزاح حدا لايجاوزه صاحبه فلاتظن ان الله يمكنك مني بعد ان انقذني من يديك فقال له الذئب انك لجدير ان ترغب في خلاصي لمـــا بيننا من سابق المواخاة والصحبة وان خلصتني لابد ان احسن مكافأتك فقال الثعلب ان الحكمـــاء قالوا لاتواخ الجـــاهل الفاجر فانه يشينك ولايزينك ولاتواخ الكـــذاب فانه ان بدا منك خير اخفـــاه وان بدا منك شر افشاه وقالت الحكماء لكل شيء حيلة الا الموت ويصلح كل شيء الافســـاد الجـــوهر وقد يدفع كل شيء الا القـــدر واما من جهة المكافأة التي زعمت اني استحقها منك فاني شبهتك في مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوي اذ رآها رجل وهي مرعوبة فقال لها ما شانك ايتها الحية فقالت هربت من الحاوي فانه يطلبني ولئن انجيتني منـــه واخفيتني عندك لاحسنن مكافأتك واصنع معك كل جميل فاخذها اغتناما للاجر وطمعا في المكافأة فادخلها في جيبه فلما فات الحـــاوي ومضى الى حال سبيله وزال عن الحية ماكانت تخافه قال لها الرجل اين المكافأة فقد انجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية اخبرني في اي عضو وفي اي موضع انهشك فقد علمت اننا لانتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منهـــا

وانت ايها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل اما سمعت قول الشاعر

لَا تَأْمَنَنَّ فَتًى اَسْكَنْتَ مُهْجَتَهُ غَيْظًا وَتَحْسِبُ اَنَّ الْغَيْظَ قَدْزَالَا
اِنَّ الْاَفَاعِي وَاِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا تُبْدِي الْعِطَافَا وَتُخْفِي السَّمَّ قَتَّالَا

فقال له الذئب ايها الفصيح صاحب الوجه المليح لاتجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت اني اهجم على الحصون واقلع الكروم فافعل ما امرتك به وقم بي قيام العبد بسيّده فقال له الثعلب ايها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل اني تعجّبت من حمقك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كانني عبدك اشتريتني بمالك فسوف ترى ما يحل بك من شدخ رأسك بالحجارة وكسر انيابك الغدارة ثم وقف الثعلب فوق تلّ يشرف على الكرم فصاح الثعلب على اهل الكرم ولم يزل يصيح حتى نبّههم وبصروا به واقبلوا عليه بجمعهم مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفيرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر اصحاب الكرم في الحفيرة فرأوا الذئب فيها فمالوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه باسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وجعل ينشد هذه الابيات

اَوْدَى الزَّمَانُ بِنَفْسِ الذِّئْبِ فَاخْتَطَفَتْ بُعْدًا وَسُحْقًا لَهَا مِنْ مُهْجَةٍ تَلِفَتْ
فَكَمْ سَعَيْتَ اَبَا سَرْحَانَ فِي تَلَفِي فَالْيَوْمَ حَلَّتْ بِكَ الْآفَاتُ وَالْتَصَقَتْ
وَقَعْتَ فِي حُفْرَةٍ مَا حَلَّهَا اَحَدٌ اِلَّا وَفِيهَا رِيَاحُ الْمَوْتِ قَدْ عَصَفَتْ

ثم ان الثعلب اقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا الى ان اتاه الموت و هذا ماكان من حديث الذئب والثعلب.

ومما يحكى

ان فأرة و بنت عرس كانا ينزلان منزلا لدهقان وكان ذلك الدهقان فقيرا وقد مرض بعض اصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فطلب من بعض اصحابه سمسما يقشره لمرض اصابه فاعطا قدرا من السمسم لذلك الدهقان الفقير ليقشره له فاتى به الى زوجته وامرها باصلاحه فبلّته ونشرته وخففته واصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم اتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت اكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحا فوقفت تتعجب فجلست ترصد من يأتي اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت في نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة واني اخشى من تلك المرأة ان تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولا بدّلي ان اعمل عملا حسنا اظهر به براءتي واغسل به جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في بيتها وتخرجه وتجيء به وتضعه على السمسم فوافتها المرأة ورأتها وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ماهذه سبب نقصه لانها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد احسنت الينا في رد السمسم وما جزاء من احسن الا ان يحسن اليه وليست هذه آفة في السمسم ولكن لا ازال ارصده حتى يقع واعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة وقالت لها يا اختي انه لا خير فيمن لا يراعي المجاورة

ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وانعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت اتى بسمسم فاكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه كثيرا وقد اخذ منه كل ذي روح فلو اخذت انت الاخرى كنت احق به ممن اخذ منه فاعجب الفأرة ذلك وزفزفت ورقصت ولعبت آذانها وذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مجففا مقشورا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر الفأرة في عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها الى ان دخلت في السمسم وخالطته وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان سبب هلاكها الطمع وغفلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه احدوثة مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة وحفظها عند الشدة في التخلص من الهلكة قالت نعم

بلغني

ان غرابا وسنورا كانا متآخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأيا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى اعلى الشجرة وبقي السنور متحيرا فقال للغراب ياخليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوان عند الحاجة اليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما احسن قول الشاعر

إِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكْ   وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكَ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ

وكان قريبا من الشجرة رُعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا وتبعته الكلاب وصارت في اثره فرفع الراعي رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لايطير الا بقدر النجاة والخلاص من الكلاب ويطمعها في ان تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن انه يأكل القط فنجي منه ذلك القط بحيلة صاحبه الغراب فهذه الحكاية ايها الملك تدل على ان مودة اخوان الصفا تخلص وتنجي من الهلكات والوقوع في المعاطب

وحكي

ان ثعلبا سكن في بيت من الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده اكله من الجوع وان لم ياكل ولده وخلاه وبقعد عنده ويحفظه ويحرسه مات من الجوع واضربه ذلك وكان يأوي الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه اريد ان اعقد بيني وبين هذا الغراب مودة واجعله لي مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على مالا اقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له ياجاري ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم يا خليلي بانك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على ان في صدري وديعة من محبتك دعتني الى

ملا طفتك وبعثتني على التماس اخوتك فما عندك من الجواب فقال له الغراب للثعلب ان خير القول اصدقه وربّما تتحدّث بلسانك ماليس في قلبك واخشى ان تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعدا وتك فى القلب باطنا لانك آكل وانا مأكول فوجب لنا التباين فى المحبة والموا صلة فما الذى دعاك الى طلب مالاتدرك وارادة مالا يكون وانت من جنس الوحش وانا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تتم ولاتصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاجلاء فاحسن الاختيار فيما يختاره منها ربما يصل الى منافع الاخوان وقد احببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا لبعض على اغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندى حكايات في حسن الصداقة ان اردت ان احكيها حكيتها لك فقال الغراب قد اذنت لك في ان تبنّها فقل وحدثني بها حتي اسمعها واعيها واعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلي يحكي عن برغوث وفأرة ما يستدلّ به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب

زعموا

ان فارة كانت في بيت رجل من التجار عظيم التجارة كثير المال فأوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك التاجر فوجد له بدنا ناعما وكان البرغوث عطشانا فشرب من دمه فوجد التاجر من البرغوث ألما فاستيقظ من النوم فجلس قاعدا ونادى لجواريه وبعض اتباعه فاسرعوا اليه وشمّروا عن ايديهم يطوفون على البرغوث فلما احس البرغوث بالطلب ولّى هاربا فصادف جحر الفأرة فدخله فلما رأته الفأرة قالت له ما الذي ادخلك عليّ ولسعه من جوهري ولا من جنسي ولست بآمن من الغلظة عليك ولاالمنازعة اليك

ولا مضاررتك فقال لها البرغوث اني هربت في منزلك و فزت
بنفسي من القتل و اتيتك مستجيرا بك ولا طمع لي في بيتك
ولا يلحقك مني شرّ يدعوك الى الخروج من منزلك و اني ارجوان
اكافئك على احسانك اليّ بكل جميل و سوف تجدين و تحمدين
عاقبة ما اقول لك فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث و ادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفأرة لما سمعت كلام البرغوث
قالت اذا كان الكلام على ما رسمت واخبرت فاطمئنّ هنا وما عليك
الاّ مطر السلامة ولاتجد الاّ ما يسرّك ولا يصيبك الا ما يصيبني و قد
بذلت لك مودتي ولا تندم على مافاتك من دم التاجر ولا تأسف على
قوتك منه و ارض بما تيسر لك ببلغة من العيش فان ذلك اسلم لك وقد
سمعت ايها البرغوث بعض الشعراء من الوعاظ يقول هذه الابيات شعر

سَلَكْتُ الْقَنَاعَةَ وَالْإِنْفِرَادَ وَقَضَّيْتُ دَهْرِي بِمَاذَا اتَّفَقْ
بِكِسْرَةِ خُبْزٍ وَشِرْبَةِ مَاءِ وَمِلْحٍ جَرِيشٍ وَثَوْبٍ خَلِقْ
فَإِنْ يَسَّرَ اللّٰهُ فِي عِيشَتِي وَإِلَّا قَنَعْتُ بِمَا قَدْ رُزِقْ

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال يا اختي قد سمعت وصيتك و انا
منقاد الى طاعتك ولا قوة لي على مخالفتك الى ان ينقضي
العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفأرة كفى بصدق المودة صلاح
النية فاتصل الودّ و انعقد بينهما و كان البرغوث بعد ذلك يأوي
الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوي بالنهار مع الفأرة في مسكنها

فاتفق ان التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما
سمعت الفأرة صوت الدنانير اطلعت رأسها من جحرها و جعلت تنظر اليها
حتى وضعها التاجر تحت وسادة و نام فقالت الفأرة للبرغوث اما ترى
الفرصة الممكّنة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ
الغرض من تلك الدنانير فقال البرغوث انه لا يحسن لمن طلب
الغرض الا ان يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره
ولم يدرك مراده مع الضعف و ان استحكمت قوة المحتال كالعصفور
الذي يلتقط الحب فيقع في الشبكة فيقتنصه صائده و ليس لك قوة
على اخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت و انا لاطاقة لي على ذلك
بل ولا اقدر على حمل دينار واحد منها فانت و شأنك بالدنانير
فقالت له الفأرة اني اعددت في جحري هذا سبعين . منفذا اخرج
منه اذا طلبت الخروج واعددت للذخائر موضعا حريزا و ان تحيلت
انت و اخرجته من البيت فلست اشك في الظفر ان ساعدني القدر
فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق
البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة مفزعة لم يكن تقدّم منه للتاجر
مثلها و تنحى البرغوث الى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر فانتبه
التاجر يطلبه فلم يجده فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة
اشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب
داره فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفأرة اقبلت على نقل
الدنانير حتى لم تترك منها شيأ فلمّا اصبح الصباح صار التاجر يتهّم
النّاس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم اني لم اقل لك
هذا الكلام ايها الغراب البصير العاقل الخبير الا لاجل ان يصل اليك
جزاء احسانك اليّ كما وصل للفأرة جزاء احسانها الى البرغوث

فانظر كيف جازاها وكافأها باحسن المكافأة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن اولا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان احسنتُ اليك مع كونك عدوي اكون قد تسببت في قطيعة نفسي وانت ايها الثعلب ذومكر وخداع ومَنْ شيمته المكر والخديعة لايؤمن على عهد ومن لايؤمن على عهد لا امان له وقد بلغني عنك من قريب انك غدرت بصاحب لك وهو الذئب ومكرت به حتى اهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع انه من جنسك وقد صحبتَه مدة مديدة فما ابقيت عليه فكيف اثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذي من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوّك الذي من غير جنسك وما مثالك معي الا مثال الصقر مع ضوارى الطير فقال الثعلب وكيف ذلك فقال الغراب

زعموا

ان صقرا كان جبّارا عنيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغراب قال زعموا ان صقرا كان جبّارا عنيدا في ايام شبيبته وكانت تفزع منه سباع الطير وسباع البر ولايسلم من شره احد وله وقائع كثيرة في ظلمه وتجبّره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مرّت عليه السنون ضعفت قوته والهد حيله وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فاجمع رأيه على ان يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قُوّته بالحيلة بعد القوة

والشدة وانت كذلك ايها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولستُ اشكُّ في ان ما تطلبه من صحبتي حيلة على قُوتك فلا كنت ممن يطرح ويضع يده في يدك لان الله اعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي وبصرا في عيني واعلم ان من تشبّه باقوى منه تعب وربما هلك وانا اخاف عليك ان تشبهت بمن هو اقوى منك ان يجري لك ما جرى للعصفور فقال له الثعلب واي شيء جرى للعصفور فبالله عليك ان تحدثني بحديثه فقال الغراب

بلغني

ان عصفورا كان طائرا بمراح غنم فنظر الى هذا المراح ووقف يتأمل فيه واذا بعقاب كبير انقضّ على رميس من صغار اولاد الغنم فاختطفه بين مخالبه وطار فلما رأه العصفور رفرف بجناحه وقال انا افعل مثل ما فعل هذا واعجبته نفسه وتشبه بمن هو اكبر منه فطار لوقته وانقضّ على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصار صوفه مثل البزاق فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه في الصوف فاراد ان يطير فلم يستطع ان يخلص نفسه وقد حصل كل هذا والراعي ينظر ماجري من العقاب اولًا وماجرى للعصفور ثانيا فجاء الراعي الى العصفور غضبانا فقبضه ونتف ريش اجنحته وربط في رجليه خيطا واتى به الى اولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ما هذا فقال هذا تشبّه بمن هو اعلى منه فهلك وانت كذلك ايها الثعلب احذرك ان تتشبّه بمن هو اقوي منك فتهلك هذا ما عندي من الكلام فاذهب عني بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئنّ وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب

بكاءه وأنّه ورأى كآبته وحزنه قال ايّها الثعلب ما نابك حتى قرعت
نابك قال له الثعلب انّما قرعت سنّي لاني رأيتك اخدع منّي ثم
انه ولّى هاربا ورد راجعا ولجحره طالبا وهذا ما كان من حديثهما
ايها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما احسن هذه الحكايات واطيبها
هل عندك شيء مثلها من الموعظات قالت

و يحكى

انّ قنفذا اتّخذ مسكنا بجانب نخلة وكان قد الفها الورشان وزوجته
وعشّشا فيها وسكنا بها في عيش رغيد فقال القنفذ في نفسه ان
الورشان وزوجته يأكلان من ثمر النخلة وانا لا اجد الى ذلك سبيلا
ولكن لابد من استعمال الحيلة عليهما ثم حفر في اسفل النخلة بيتا
واتخذه مسكنا له ولزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه واظهر
النسك والعبادة وترك الدنيا فكان الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له
من شدة زهده وقال له كم سنة وانت هكذا فقال من مدة
ثلثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال
ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا
على غيره قال اخترته على غير طريق لاجل ان ارشد الضال واعلم
الجاهل قال له الورشان كنت اظن انك على غير هذه الحالة
ولكني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ اني اخشى ان يكون
قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذي لما جاء وقت الزرع
قصر في بذره وقال اني اخشى ان لا تبلغني الايام امنيتي فاكون
قد بدأت باضاعة المال وسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى
الناس وهم يحصدون ندم على مافاته من تخلفه ومات اسفا وحزنا فقال
الورشان للقنفذ وماذا اصنع حتى اتخلص من علائق الدنيا وانقطع

الى عبادة ربي فقال له القنفذ خذ فى الاستعداد للمعاد والقناعة بالكفاف من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وانا طائر لا استطيع ان اتجاوز النخلة التي فيها قوتي ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا استقر فيه فقال القنفذ يمكنك ان تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام انت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك ثم مِلْ الى ما نثرته من الثمر فانقله جميعه وادخره قوتا للعدم واذا فرغت الثمار وطال عليك المطال صر الى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيرا بحسن النية حيث ذكرتني بالمعاد وهديتني الى الرشاد ثم تعب الورشان وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبق فى النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وادخره لقوته وقال في نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا الى تزهدي وورعي فاذا سمعا نصيحتي ووعظي دنيا مني فاقتنصهما وآكلهما ويخلو لي هذا المكان وكلما تساقط من ثمر النخلة يكفيني ثم ان الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد ان نثرا ما عليها من الثمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك الى جحره فقال له الورشان ايها القنفذ الصالح والواعظ الناصح انا لم نجد للثمر اثرا ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا فقال لعله طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى الرازق عين الفلاح فالذي شق الاشداق لا يتركها بلا ارزاق وما زال يعظهما بتلك المواعظ ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا اليه واقبلا عليه ودخلا باب وكره وامنا من مكره فوثب الى الباب وقرع الانياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له اين الليلة من البارحة اما تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة

لئلا يصيبك ما اصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال الملك
وكيف ذلك قـــــــــــــــــــــــــــالت

بلغني

ان تاجرا من مدينة يقال لها سندة كان ذا مال واسع فشد احمالا
و جهز متاعا و خرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان
من المكرة فحملا ما حضرهما من مال و متاع و اظهرا للتاجر انهما
من التجار و سارا معه فلمـــا نزلا اول منزل اتفقـــا على المكر به
و اخذ مامعه ثم ان كلواحد منهما اضمر المكر لصاحبه والغدر به
و قال كل واحد منهما في نفسه لو غدرتُ بصاحبي لصفى لي الوقت
و اخذت جميع هذا المال ثم اضمرا لبعضهما على نية فاسدة واخذ
كل منهما طعاما و جعل فيه سما و فعل الآخر مثله في طعامه
و قدم كل واحد منهما طعامه لصاحبه فأكلا من ذلك فماتا جميعا
و كانا يجلسان مع التاجر و يحدثانه فلما غابا عنه وابطأا عليه فتش
عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم انهما كانا محتالين
و اراد المكر به فعاد مكرهما عليهما و سلم التاجر واخذ ما كان معهما
فقال الملك لقد نبهتني يا شهـــر زاد على كل شيء كنتُ غافلا عنه
فتزيديني من هذه الامثال قـــــــــــــــــــــــــــالت

بلغني

ايهـــا الملك ان رجلا كان عنده قرد و كان ذلك الـــرجل سارقا
لا يدخل الى سوق من اسواق المدينة التي هو فيها الا و ينصرف
منه بكسب عظيم فـــاتفق انه رأى يوما رجلا يحمل اثوابا مقطعة
ليبيعها و صار ينادي عليها فى السوق فلا يسومها احد وكان لايعرضها
على احـــد الّا و يمتنع من شرائها فاتفق ان الســـارق الذي معه

القرد رأى الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجة و جلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى اشغله بالفرجة عليه و اختلس منه تلك البقجة ثم اخذ القرد و ذهب الى مكان خال و فتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة و ذهب بها الى سوق آخر و عرض البقجة للبيع بما فيها و اشترط ان لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل و اعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط فانصرف بها الى منزله وظن انه اصاب فلما رأت زوجته ذلك قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لابيعه فآخذ فائدته فقالت له ايها المغبون أيباع هذا المتاع باقل من قيمته الا اذا كان مسروقا اماتعلم ان من اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا وكان مثله كمثل الحائك فقال لها وما قصة الحائك قالت

بلغني

ان حائكا كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتّفق انّ رجلا من الاغنياء بالقرب من قريته صنع وليمة فدعا الناس اليها وحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الاطعمة الفاخرة و صاحب المنزل يعظّمهم لمارأى من حسن زيهم فقال الحائك في نفسه لوبدلت هذه الصنعة بصناعة اخف مؤنة منها وارفع رتبة وأكثراجرة لجمعتُ مالًا كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة لارتفع شأني وعظمت في اعين الناس وصرت مثل هؤلاء القوم ثم انه نظرالى بعض اهل الملاعب الحاضرين فيالوليمة قامْ وصعد على سور عال مرتفع شاهق ثم رمى بنفسه منه الى الارض و قام قائما فقال الحائك في نفسه لا بد ان اعمل مثل ماعمل هذا ولا اعجز عنه ثم

قام وصعد على السور ورمى نفسه فلما وصل الى الارض اندقت عنقه فمات من ساعته وانما اخبرتك بذلك لتجعل اكلك من الوجه الذي تعلم به وتحيط به علما ولئلا يدخلك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ماكل عالم يسلم بعلمه ولاكل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوي الخبير بالحيات العالم بهاوربما نهشته الحية فتقتله وقد يظفر بها الذي لامعرفة له بهاولا عِلْمَ عنده باحوالها ثم انه قد خالف زوجته واشترى المتاع واخذ في تلك العادة فصار يشتري من السارقين بدون القيمة الى ان وقع في تهمة فهلك فيها وكان في زمنه عصفور يأتي كل يوم الى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غاديا ورائحا عنده بحيث كان اول داخل عليه وآخر خارج من عنده فاتفق ان جماعة من الطيور اجتمعوا في جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولابدّ لنا من ملك ينظر في امورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمرّ بهم ذلك العصفور فأشار عليهم بتمليك الطاؤوس وهو الملك الذي يتردد اليه فاختاروا الطاؤوس وجعلوه عليهم ملكا فاحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الامور ثم ان العصفور غاب يوما عن الطاؤوس فقلق قلقا عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذي اخرك وانت اقرب الاتباع الينا واعزّهم علينا فقال العصفور رأيت امرا واشتبه عليّ فتخوفت منه فقال له الطاؤوس ما الذي رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكري وثبت اوتادها وبذر في وسطها حبّا وقعد بعيدا عنها فجلست انظر ما يفعل فبينما انا كذلك واذا بكركي هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر

حتى سقطا في وسط الشبكة وصارا يصرخان فقام الصياد واخذهما فازعجني ذلك وهذا سبب غيابي عنك يا ملك الزمان وما بقيت اسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاؤوس لا ترحل من مكانك فلا ينفعك الحذر من القدر فامتثل امره وقال ساصبر ولا ارحل طاعة للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه واخذ الطعام الى الطاؤوس فاكل حتى اكتفى وتناول على الطعام الماء وذهب العصفور فبينما هو في بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان فى الارض فقال في نفسه كيف اكون وزير الملك وأرى العصافير تقتتل في جواري والله لاصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور في وسطها فقام اليه الصياد واخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم ارا احسن منه فقال العصفور في نفسه قد وقعت فيما كنت اخاف منه وما كان امني الا الطاؤوس ولم ينفعنى الحذر من نزول القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر وما احسن قول الشاعر

مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ ... أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ دَائِمًا مَغْبُونُ

فقال الملك يا شهرزاد زيديني من هذا الحديث فقالت فى الليلة القابلة ان ابقاني الملك اعزه الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في خلافة الملك هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى

ابا الحسن عليا بن طاهر وكان ذلك الرجل كثير المال عزيز النوال وكان ولده حسن الصورة محبوب السيرة عند جميع الناس وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سراري الخليفة وجواريه وكان ينادم الملك وينشد له الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الا انه كان يبيع ويشتري في سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من اولاد ملوك العجم يقال له علي بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورّد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق انهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كانهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفي وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب وهي كما قال فيها الشاعر

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ ... رَخِيمُ الْحَوَاشِي لَاهُرَاءُ وَلَا نَنْدُرُ
وَعَيْنَانِ قَالَ اللّٰهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَانِ بِالْاَلْبَابِ مَاتَفْعَلُ الْخَمْرُ
فَيَاحُبَّهَا زِدْنِي جَوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَيَاسَلْوَةَ الْاَحْبَابِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

فلما وصلن الى دكان ابي الحسن نزلت تلك الجارية عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها علي ابن بكار سلبت عقله واراد القيام فقالت له اجلس مكانك نحن جئنا عندك وانت تروح هذا ماهو انصاف فقال والله ياستي اني هارب مما رأيتُ ولسان الحال يقول

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ ... فَعَزِّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ اِلَيْهَا الصُّعُو ۝ دَوَلَنْ تَسْتَطِيعَ اِلَيْكَ النُّزُولَا

فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت لابي الحسن ما اسم هذا الشاب ومن اين هو فقال لها هذا غريب فقالت من ايّ البلاد فقال انه ابن ملك العجم واسمه علي بن بكار والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جاريتي تأتني به عندي فقال ابو الحسن على الرأس والعين ثم قامت وتوجّهت الى حال سبيلها هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر علي ابن بكار فانه صار لايعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى ابي الحسن وقالت له ان ستي تطلبك انت ورفيقك فنهض ابو الحسن واخذ معه عليا بن بكار وسارا الى دار هارون الرشيد فادخلتهما في مقصورة واجلستهما فتحدّثا ساعة واذا بالموائد وضعت قدّامهما فاكلا وغسلا ايديهما ثم احضرت لهما الشراب فسكرا ثم امرتهما بالقيام فقاما معها فادخلتهما مقصورة اخرى مركبة على اربعة اعمدة وهي مفروشة بانواع الفرش مزينة بانواع الزينة كانها من مقاصير الجنان فاندهشا مما راينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب واذا بعشر جوار اقبلن كانهن الاقمار يتمايلن عجبا يدهشن الابصار ويحيّرن الافكار واصطففن كانهن من حور الجنان وبعد برهة واذا بعشر جوار اخرى اقبلن فسلمن عليهما وبايديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فجلسن كلهن واصلحن الاوتار وقمن بين ايديهما يضربن بالعيدان ويغنّين وينشدن الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد فبينماهما كذلك واذا بعشر جوار مثلهن كواعب اتراب سود العيون مورّدات الخدود مقرونات الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من انواع الحرير الملوّن والحلل ما يدهش

العقل ويحيره فوقفن بالبـاب وجاء من بعد هن عشر جوار اخرى احسن منهن وعليهن من المـلابس الفـاخرة مالا يدخل تحت وصف فوقفن ايضـا بالباب ثم خرج من البـاب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهـار كانها القمر بين النجوم وهي تتمايل عجبا ودلالا وهي متوشحة بفاضل شعرها وعليها ثوب ازرق وازار من الحرير بطرازات من الذهب والجوهر وفي وسطها حياصة مرصعـة بانواع الجـواهر ولم تزل تتبختر وتتمـايل حتى جلست على السرير فلما رأها علي بن بكار انشد هذه الاشعـــار

إِنَّ هُلْكِيْ هِيَ ابْتِدَاءُ سَقَامِيْ ... وَتَمَادِي وَجْدِيْ وَطُوْلُ غَرَامِيْ
عِنْدَهَا قَدْ رَأَيْتُ نَفْسِي ذَابَتْ ... مِنْ وُلُوْعِيْ بِهَا وَبَرَى عِظَامِيْ

فلمـا فرغ من شعـره قال لابي الحسن لوعملت معي خيرا كنت اخبرتني بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل ان اوطن نفسي واصبرها على ما اصابها ثم بكى وانّ واشتكى فقال له ابو الحسن يا اخي انا ما اردت لك الا الخيـر ولكـن خشيت ان اعلمك بـذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبينها فطب نفسا وقرّ عينا فهي لك مقبلة وللقـائك متوصلة فقال علي بن بكار ١٥ ما اسـم هذه الصبية فقال له ابو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محـاظي امير المؤمنين هارون الرشيد وهذا المكان قصر الخـلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتامل هوايضا حسنها فاشتغـلا بحب بعضهما فامرت الجواري ان تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وامرتهن بالغناء فاخذت واحدة منهن العود وانشدت تقـول

أَعِيدِ الرِّسَالَةَ ثَانِيَهْ وَخُذِ الْجَوَابَ عَلَانِيَهْ
وَ إِلَيْكَ يَا مَلِكَ الْمِلَا حِ وَقَفْتُ أَشْكُوحَالِيَهْ
مَوْلَايَ يَاقَلْبِي الْعَزِيزُ وَيَا حَيَاتِي الْغَالِيَهْ
اِنْعَمْ عَلَيَّ بِقُبْلَةٍ هِبَةً وَإِلَّا عَارِيَهْ
وَأَرُدُّهَا لَكَ لَاعَدِمْتَ بِعَيْنِهَا وَكَمَا هِيَهْ
وَإِذَا أَرَدْتَ زِيَادَةً خُذْهَا وَنَفْسُكَ رَاضِيَهْ
يَا مُلْبِسِي ثَوْبَ الضَّنَى يُهْنِيكَ ثَوْبُ الْعَافِيَهْ

فطرب علي بن بكار وقال لها زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وانشدت تقول هذه الاشعار

مِنْ كَثْرَةِ الْبُعْدِ يَاحَبِيبِي عَلَّمْتَ طُولَ الْبُكَا عُيُونِي
يَالَحْظَ عَيْنِي وَيَامُنَاهَا وَمُنْتَهَى غَايَتِي وَدِينِي
اِرْثِ لِمَنْ طَرْفُهُ غَرِيقٌ فِي عَبْرَةِ الْوَالِهِ الْحَزِينِ

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها اسمعينا شيأ فاطربت بالنغمات وانشدت تقول هذه الابيات

سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَامِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَايُلُهُ
فَمَا السُّلَافُ سَلَتْنِي بَلْ سَوَالِفُهُ وَمَا الشَّمُولُ شَلَتْنِي بَلْ شَمَائِلُهُ
لَوَى بِعَزْمِيَ أَصْدَاغٌ لَوَيْنَ لَهُ وَغَالَ عَقْلِي بِمَا تَحْوِي غَلَائِلُهُ

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت مليًّا واعجبها الشعر ثم امرت جارية اخرى ان تغني فاخذت العود و انشدت تقول

وَجْهٌ لِمِصْبَاحِ السَّمَاءِ مُبَاهٍ يَبْدُو الشَّبَابُ عَلَيْهِ رَشْحَ مِيَاهِ

رَقَمَ الْعِذَارُ غِلَالَتَيْهِ بِأَحْرُفٍ مَعْنَى الْهَوَى فِي طَيِّهَا مُتَنَاهِ
نَادَى عَلَيْهِ الْحُسْنُ حِينَ لَقِيتُهُ هَذَا الْمُنَمْنَمُ فِي طِرَازِ اللّٰهِ

فلما فرغت من شعرها قال علي بن بكار لجارية قريبة منه انشدي انت ايتها الجارية واسمعينا شيأً فاخذت العود وانشدت تقول

زَمَنُ الْوِصَالِ يَضِيقُ عَنْ هَذَا التَّمَادِي وَالدَّلَالِ
كَمْ مِنْ صُدُودٍ مُتْلِفٍ مَا هَكَذَا أَهْلُ الْجَمَالِ
فَاسْتَغْنِمُوا وَقْتَ السُّعُو دِ بِطِيبِ سَاعَاتِ الْوِصَالِ

فلما فرغت من شعرها اتبعها علي بن بكار بدموع غزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وانّ واشتكى احرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام علي بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما في باب القبة فقام الجواري اليهما وحملنهما وادخلنهما باب القبة ورشّن عليهما ماء الورد فلما افاقا لم يجدا ابا الحسن وكان قد اختفى في جانب سرير فقالت الصبية اين ابو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله ان يقدرني على مكافأتك ياصاحب المعروف ثم اقبلت على علي بن بكار وقالت له ياسيدي مابلغ بك الهوى الى غاية الا وعندي ضعفها ولكن لم يكن لنا غير الصبر على ما اصابنا فقال علي بن بكار والله ياسيدتي ليس جمع شملي بك يطيب ولا نظري اليك يطفئ ماعندي من اللهيب ولا يذهب ماتمكن من حبك في قلبي ألا بذهاب روحي ثم بكى ونزلت دموعه على خده كانها اللؤلؤ المنثور فلما رأته شمس النهار يبكي بكت لبكائه فقال ابو الحسن والله اني عجبت من امركما واحترت

في شانكما فان حالكما عجيب وامركما غريب هذا البكاء وانتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما وتفرقكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت اجتماع ومسرة فانشرحا وانبسطا ولا تبكيا ثم ان شمس النهار اشارت الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة من صحون الفضة وفيها من انواع الطعام الفاخر فوضعن المائدة قدامهما فصارت شمس النهار تأكل وتطعم علي بن بكار ولم يزالوا يأكلون حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا ايديهم وجاءتهم المباخر بانواع البخور من العود والعنبر والند وجاءتهم القماقم بماء الورد فتطيبوا وتبخروا وقدمت لهم اطباق من الذهب المنقوش فيها من انواع الشراب والفواكه والنقل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام ثم اختارت شمس النهار عشرة وصائف اوقفتهم عندهم وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقي الجواري الى اماكنهن وامرت بعض الحاضرين من الجواري ان يضربن بالعيدان ففعلن ما امرت به وانشدت واحدة منهن تقول

بِنَفْسِيَ مَنْ رَدَّ التَّحِيَّةَ ضَاحِكًا فَجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
لَقَدْ أَبْرَزَتْ أَيْدِي الْغَرَامِ سَرَائِرِي وَأَظْهَرْنَ لِلْعُذَّالِ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعْشَقُهُ مَعِي

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكأس وشربته ثم ملأته واعطته لعلي بن بكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

—

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شمس النهار ملأت الكأس واعطته لعلي بن بكار ثم امرت جارية ان تغني فانشدت تقول هذه الابيات

تَشَاكَلَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي ... فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسَكَّبُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَبِالْخَمْرِ أَسْبَلَتْ ... جُفُونِي أَمْ مِنْ أَدْمُعِي كُنْتُ أَشْرَبُ

فلما فرغت من شعرها شرب علي بن بكار كأسه وردّه الى شمس النهار فملأته وناولته لابي الحسن فشربه ثم اخذت العود وقالت لا يغني على قدحي غيري ثم شدت الاوتار وانشدت تقول هذه الاشعار

غَرَائِبُ الدَّمْعِ فِي خَدَّيْهِ تَضْطَرِبُ ... وَلِلْهَوَى حُرَقٌ فِي صَدْرِهِ تَقِدُ

يَبْكِي مِنَ الْقُرْبِ خَوْفًا مِنْ تَبَاعُدِهِمْ ... فَالدَّمْعُ إِنْ قَرُبُوا جَارٍ وَإِنْ بَعُدُوا

وقول الآخر

نَتَفَدَّاكَ سَاقِيًا قَدْ كَسَاكَ الْحُسْنُ مِنْ فَرْقِكَ الْمُضِيءِ لِسَاقِكْ

تُشْرِقُ الشَّمْسُ مِنْ يَدَيْكَ وَمِنْ فِيكَ الثُّرَيَّا وَالْبَدْرُ مِنْ أَطْوَاقِكْ

إِنَّ أَقْدَاحَكَ الَّتِي تَرَكَتْنِي ... غَيْرَ صَاحٍ تُدَارُ مِنْ أَحْدَاقِكْ

أَوَلَيْسَ الْعَجِيبُ كَوْنُكَ بَدْرًا ... كَامِلًا وَالْمُحَاقُ مِنْ عُشَّاقِكْ

آلِهٌ أَنْتَ إِذْ تُمِيتُ وَتُحْيِي ... بِتَلَاقِيكَ مَنْ تَشَا وَفِرَاقِكْ

خَلَقَ اللهُ مِنْ خَلِيقَتِكَ الْحُسْنَ وَطِيبَ النَّسِيمِ مِنْ أَخْلَاقِكْ

مَا أَنْتَ مِنْ هَذِهِ الْبَرِيَّةِ بَلْ أَنْتَ مَلِيكٌ أُرْسِلْتَ مِنْ خَلَّاقِكْ

فلما سمع علي بن بكار و ابو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا ان يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينماهم على هذا الحال واذا بجارية اقبلت وهي ترتعد من الخوف و قالت ياسيدتي خدام اميرالمؤمنين بالباب وهم عفيف و مسرور ومرجان وغيرهم من الخدام لم اعرفهم فلما سمعوا كلام الجارية كادوا ان يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لاتخافوا ثم قالت للجارية ردّي عليهم الجواب بقدر ماانتحول من هذا المكان ثم انها امرت بغلق باب القبة وارخت على ابوابها الستائر وهم فيها واغلقت باب القاعة ثم خرجت من باب السرّ الى البستان وجلست على سريرها هناك وامرت جارية ان تكبس رجليها وامرت بقية الجواري ان يمضين الى اماكنهن وامرت الجارية ان تدعو من بالباب ليدخل فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبايديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لم جئتم فقالوا ان امير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك انه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد واحب ان يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده او يأتي عندك فقامت وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر اميرالمؤمنين ثم امرت باحضار القهرمانات والجواري فحضرن و اظهرت لهن انها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملا في جميع اموره ثم قالت للخدام امضوا الى امير المؤمنين و اخبروه انني فى انتظاره بعد قليل الى ان اهيّئ له مكانا بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى امير المؤمنين واما شمس النهار فانها خلعت ثيابها و دخلت الى معشوقها علي بن بكار وضمّته الى صدرها وودّعته فبكى بكاء شديدا

وقال ياسيّدتي ان هذا الوداع سببا لتلف نفسي وهلاك روحي ولكن اسأل الله ان يرزقني الصبر علي ما بلاني به من محبتي فقالت له شمس النهار والله مايصير في التلف الا انا فانك قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا واما انا فاني اقع في العناء والتعب ولا اجد من يسليني خصوصا وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يلحقني من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي اليك وحبي لك وتعشقي فيك وتأسفي على مفارقتك فبأيّ لسان اغنّي وبأيّ قلب احضر عند الخليفة وبأيّ كلام انادم امير المؤمنين وبأيّ نظر انظر الى مكان ما انت فيه وكيف اكون في حضرة لم تكن بها وبأيّ ذوق اشرب مداما ماانت حاضره فقال لها ابو الحسن لا تتحيري واصبري ولا تغفلي عن منادمة امير المؤمنين هذه الليلة ولا تظهري له التهاون وتجلّدي فبينماهم كذلك واذا بجارية جاءت وقالت ياسيدتي جاء غلمان امير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي ابا الحسن ورفيقه واقصدي بهما اعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى ان يدخل الظلام فتحيلي في خروجهما فاخذتهما الجارية واطلعتهما في الروشن واغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها فجلسا ينظران على البستان واذا بالخليفة قدم وبين يديه نحو مائة خادم بايديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كانهن الاقمار وعليهن افخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشي بينهن وهن محيطات به من كل ناحية وقدامه مسرور وعفيف ووصيف وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجواري فلاقينه

من باب البستان وقبّلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات امامه الى ان جلس على السرير والذين فى البستان من الجواري والخدم وقفوا جميعا بين يديه وجاءت الجواري الحسان والوصائف بايديهن الشموع الموقودة والطيب والبخور وآلات الطرب فامر الملك المغنّيات ان يجلسن فجلسن في اماكنهن وجاءت شمس النهار فجلست على كرسي بجانب سرير الخليفة وصارت تحدّثه كل ذلك وابوالحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم ان الخليفة صار يمازح ويلعب مع شمس النهار وهم في هنأ وسرور فامر الملك بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها واوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب قال ابوالحسن فرايت آلات المشروب ومن التحائف لم ترعيني مثلها واواني من الذهب والفضة وسائر اصناف المعادن والجواهر مما يقصر عنه الوصف حتى خيّل لي اني فى المنام لكثرة ما دهشت مما رأيت واما علي بن بكار فمن حين فارقته شمس النهار كان مطروحا فى الارض من شدة الوجد والغرام فلما افاق صار ينظر الى هذه الاشياء التي لايوجد مثلها فقال لابي الحسن يا اخي اني اخاف ان ينظرنا الخليفة او يعلم حالنا وما اكثر خوفي الاّ عليك واما انا فاني اعلم بنفسي اني هالك لامحالة وما هلاكي الا بسبب العشق والغرام وفرط الوجد والهيام وفراق الاحباب بعد الاقتراب وارجو من الله ان يخلصنا من هذه الورطة ولم يزل علي بن بكار وابو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه من السرور حتى تكاملت الحضرة بين يديه ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجواري وقال هاتي ما عندك ياغرام من السماع

المطرب فاخذت العود واصلحته وانشدت تقول

وَمَا وَجْدُ اَعْرَابِيَّةٍ بَانَ اَهْلُهَا فَحَنَّتْ اِلَى بَانِ الْحِجَازِ وَرَنْدِهِ
اِذَا اَنَسَتْ رَكْبًا تَكَفَّلَ شَوْقُهَا بِنَارِ قِرَاهُ وَالدُّمُوعُ بِوِرْدِهِ
بِاَعْظَمَ مِنْ وَجْدِي بِحِبِّي وَاِنَّمَا يَرَى اَنَّنِي اَذْنَبْتُ ذَنْبًا بِوُدِّهِ

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر مالت من على كرسيها الذي هي جالسة عليه وسقطت الى الارض مغشيا عليها وغابت عن الوجود فقام الجواري واحتملنها فلما نظر اليها علي بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال ابو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدّثان واذا بالجارية التي اطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا ابا الحسن انهض انت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وانا خائفة ان يظهر الامر او يعلم بكما الخليفة فان لم تنزلا في هذه الساعة متنا فقال ابو الحسن وكيف ينهض هذا الغلام معي ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش عليه ماء الورد حتى افاق من غشيته فحمله ابو الحسن واسندته الجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من الحديد واخرجت ابا الحسن وعلي بن بكار فرأيا مصطبة على شاطئ الدجلة فجلسا عليها فصفقت الجارية بيديها فاتاها رجل في زورق صغير فقالت له خذ هذين الشابين واطلعهما على البر الثاني فنزلا في الزورق فلما تذف بهما الرجل وفارقا البستان نظر علي بن بكار الى قصر الخلافة والقبة والبستان وودّعهم بهذين البيتين

مَدَدْتُ اِلَى التَّوْدِيعِ كَفًّا ضَعِيفَةً وَاُخْرَى عَلَى الرَّمْضَاءِ تَحْتَ فُؤَادِي
فَلَا كَانَ هٰذَا آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَنَا وَلَا كَانَ هٰذَا الزَّادُ آخِرُ زَادِي

ثم ان الجارية قالت للملاّح اسرع بهما فصار يقذف لاجل السرعة والجارية معهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملاّح قذف بهما الى البر والجارية معهما الى ان قطعوا ذلك الجانب وعدّوا الى البر الثاني فنزلا الى البر وطلعا وودعتهما الجارية وقالت لهما كان قصدي لا افارقكما لكنني لا اقدر ان اسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت واما علي بن بكار فانه وقع مطروحا بين يدي ابي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له ابو الحسن ان هذا المكان غير امين ونخشى على انفسنا من التلف في هذا المكان بسبب اللصوص والعيّارين واولاد الحرام فقام علي بن بكار ومشى قليلا وهو لا يستطيع المشي وكان ابو الحسن له في ذلك الجانب اصدقاء فقصد من يثق به منهم ومن يأنس اليه فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما الى منزله واجلسهما وتحدّث معهما وسألهما اين كانا فقال ابو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت واحوجنا الى هذا الامر انسان عاملته ولي عنده دراهم وبلغني انه يريد السفر بمالي فخرجت في هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا علي بن بكار وجئنا لعلّنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا صفر اليدين بلا شيء وشق علينا العود في هذا الوقت من الليل ولم ندر اين نسير فجئنا اليك لما نعلم من صداقتك وعوائدك الجميلة فقال لهما مرحبا واهلا واجتهد في اكرامهما فاقاما عنده بقية ليلتهما فلما اصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على

بيت ابي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار وادخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا فلما افاقا امر ابو الحسن غلمانه ان يفرشوا البيت بالفراشات الفاخرة ففعلوا ثم ان ابا الحسن قال في نفسه لابد ان اسلي هذا الغلام واؤانسه عما هو فيه فاني ادرى بحاله من غيري ثم ان ابا الحسن استدعى بماء لعلي بن بكار فحضروا له بالماء فقام وتوضأ وصلّى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وجلس يسلّي نفسه مع ابو الحسن بالكلام فلما رأى منه ابو الحسن ذلك تقدم اليه وقال له يا سيدي ان الاليق بما انت فيه ان تقيم عندي هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج مابك من كرب الشوق وتتلاهى معنا لعلّ ان يسكن ما بقلبك من الحرق فقال علي بن بكار افعل يا اخي ما بدا لك فاني على كل حال غير ناج مما اصابني فاصنع ما انت صانع فقام ابو الحسن واستدعى غلمانه واحضر بعض خواص اصحابه وارسل الى ارباب المغاني والآلات فحضروا وهيّأ لهم طعاما وشرابا وجلسوا على اكل وشرب وانشراح باقي يومهم الى المساء ثم اوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المصاحبة والمنادمة فطاب لهم الوقت فاخذت المغنّية العود وانشدت تقول

رُمِيتُ مِنَ الزَّمَانِ بِسَهْمِ لَحْظٍ فَأَضْمَانِي وَفَارَقْتُ الحَبَائِبْ
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي وَإِنِّي قَبْلَ هٰذَا كُنْتُ حَاسِبْ

فلمّا سمع علي بن بكار كلام المغنّية وقع على الارض مغشيّا عليه فلم يزل في غشيته حتى طلع الفجر ويئس ابو الحسن منه فلما طلع النهار افاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه ابو الحسن خوفا من عاقبة امره فاتاه غلمانه ببغلة واركبوه فركب وسار معه ابو الحسن وبعض

الغلمان الى ان ادخله ابو الحسن منزله فلمّا اطمأنّ في بيته حمد الله ابو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وجلس معه يسلّيه وهو لا يملك نفسه من شدة الوجد والغرام فقام ابو الحسن وودّعه وانصرف الى منزله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودّعه فقال له علي ابن بكار يا اخي لا تقطع عني الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان ابا الحسن قام من عنده واتى الى دكّانه ففتحها وصار يترقب خبرا من عند شمس النهار فلم يأته احد بخبر فبات تلك الليلة في داره فلما اصبح الصباح قام الى ان اتى الى دار علي بن بكار ودخل عليه فوجده ملقي على فراشه واصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيأ ويجسّون يده فلما دخل ابو الحسن ورآه تبسم فسلم ابو الحسن عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ابو الحسن ما هذا الحال فقال علي بن بكار قد شاع خبري اني مريض وتسامع بذلك اصحابي وليس لي قوة استعين بها على القيام والمشي حتى اكذّب من جعلني ضعيفا ولم ازل ملقى مكاني كما تراني وقد اتت اصحابي الى زيارتي لكن يا اخي هل رأيت الجارية او سمعت بخبر من عندها فقال لم ارها من يوم فارقتها على شاطئ الدجلة ثم قال له ابو الحسن يا اخي احذر الفضيحة واترك هذا البكاء فقال علي بن بكار يا اخي لا املك نفسي ثم انشد وجعل يقول

نَقْشٌ عَلَى مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَلَدِي ... قَامَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنَلْهُ يَدِي

فَأَلْبَسَتْ يَدَهَا دِرْعًا مِنَ الزَّرَدِ ... خَافَتْ عَلَى يَدِهَا مِنْ نَبْلِ مُقْلَتِهَا

جَسَّ الطَّبِيبُ يَدِي جَهْلًا فَقُلْتُ لَهُ ... إِنَّ التَّأَلُّمَ فِي قَلْبِي فَخَلِّ يَدِي
قَالَتْ لِطَيْفِ خَيَالٍ زَارَنِي وَمَضَى ... بِاللّٰهِ صِفْهُ وَلَا تَنْقُصْ وَلَا تَزِدِ
فَقَالَ خَلَّفْتُهُ لَوْمَاتَ مِنْ ظَمَــأٍ ... وَقُلْتُ قِفْ عَنْ وُرُودِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدِ
فَاسْتَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ... وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَّابِ بِالْبَرَدِ

فلما فرغ من شعره قال يا ابا الحسن قد بليتُ بمصيبة كنت في امن منها وليس لى اعظم راحة من الموت فقال له ابو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل ابو الحسن من عنده وجاء الى دكّانه وفتحها فما جلس غير قليل واذا بالجارية اقبلت اليه وسلمت عليه فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب مهمومة يظهر عليها اثر الكآبة فقال لها اهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف اخبرك عن حالها كيف حال علي بن بكار فاخبرها ابو الحسن بجميع ماكان وبما تمّ من امره فتأسفت وتوجّعت وتأوّهت وتعجبت من هذا الامر ثم قالت ان سيدتي حالها اعجب من ذلك فانكم لما مضيتم وتوجّهتم رجعت وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعتُ وجدتُ سيدتي مطروحة فى القبة لا تتكلّم ولا ترد جوابا على احد وامير المؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولا يعلم ما بها ولم تزل في غشيتها الى نصف الليل ثم افاقت فقال لها امير المؤمنين ما الذي اصابك يا شمس النهار وما الذي اعتراك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت اقدامه وقالت له يا امير المؤمنين جعلني الله فداك انه خامرني خلط فاضرم النار في جسدى وغشي عليّ من شدة مابي ولا اعلم كيف كان حالي فقال لها الخليفة ما الذي استعملته في نهارك فقالت افطرت

علي شيء لم آكله قط ثم انها اظهرت القوة واستدعت بشيء من الشراب فشربتـه ثم سألت الملك ان يعود الى انشراحه فجلس الملك على سريره في القبة والمجلس منتظم فلما جئت اليهـا سألتني عن حالكما فاخبرتها بما فعلت معكما و انشدتها ما قاله علي بن بكار في الوداع فبكت سرًّا ثم سكتت ثم ان امير المؤمنين جلس وامر جارية ان تغني فانشدت تقـول

لَعَمْرِي لَا يَحْلُو لِيَ الْعَيْشُ بَعْدَكُمْ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيفَ حَالُكُمْ بَعْدِي
يَحِقُّ لِدَمْعِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الدِّمَا إِذَا كُنتُم تَبْكُونَ دَمْعًا عَلَى بُعْدِي

فلما سمعت سيدتي هذا الشعر وقعت على الصفة مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لابي الحسن فلمـا سمعت سيدتي هذا الشعر وقعت على الصفة مغشيا عليها فامسكتُ يدها ورششت على وجهها ماء الورد فافاقت فقلت لها ياسيدتي لا تهتكي نفسك ومن يحويه قصرك فبحيات محبوبك ان تصبري فقالت هل في الامر اكثر من الموت فانا اطلبه والله ان فيه راحتي فبينما نحن في هـذا الكلام اذ غنت جارية بقول الشـاعر

وَقَالُوا لَعَلَّ الصَّبْرَ يَعْقِبُ رَاحَةً فَقُلْتُ وَأَيْنَ الصَّبْرُ بَعْدَ فِرَاقِهِ
وَقَدْ أَكَّدَ الْمِيثَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِقَطْعِ حِبَالِ الصَّبْرِ عِنْدَ عِنَاقِهِ

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فاتى مسرعا اليهـا وامر برفع الشراب وان تعود كل جارية الى مقصورتهـا

واقام عندها باقي ليلته الى ان اصبح الصباح فاستدعى امير المؤمنين بالحكماء والاطباء وامرهم بمعالجتها ولم يعلم بماهي فيه من العشق والغرام واقمت عندها حتى ظننت انه قد انصلح حالها وهذا هو الذي عاقني عن المجيء اليكما وقد تركت عندها جماعة من خواصها مشتغلين القلب عليها لمّا امرتني بالمسير اليكما لآخذ خبر علي بن بكار واعود اليها فلما سمع ابوالحسن كلامها تعجب وقال لها والله اني اخبرتك بجميع خبره فعودي الى سيدتك وسلّمي عليها وبالغي لها في الصبر وحثّيها عليه وقولي لها اكتمي السرّ واخبريها اني عرفت امرها وهو امر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية وودّعته وانصرفت الى سيدتها هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر ابي الحسن فانه لم يزل في دكانه الى آخر النهار فلما مضى النهار قام وعزل دكانه وقفل واتى الى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وادخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا ابا الحسن اوحشتني لتخلّفك عني في هذا اليوم وروحي مرتهنة بك باقي عمري فقال له ابوالحسن دع هذا الكلام فلوكان شفاؤك بيدي لجدت به قبل ان تسألني ولو امكن فداك كنت افديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار واخبرتني انه ما عاقها عن المجيء الّا جلوس الخليفة عند سيدتها واخبرتني بما كان من امر سيدتها وحكى له جميع ماسمعه من الجارية فتاسف علي بن بكار غاية الاسف وبكى ثم التفت الى ابي الحسن وقال له بالله عليك يا اخي ان تساعدني فيما بليت به وعلمني كيف تكون الحيلة واسألك من فضلك ان تبيت عندي هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل ابوالحسن امره واجابه على المبيت عنده فباتا يتحادثان في تلك

الليلة فلما جن الليل تأوه علي ابن بكار وبكى واشتكى ثم ارسل العبرات وانشد هذه الابيات

خَيالُكَ في عَيْني وَذِكْرُكَ في فَمي ... وَمَثْواكَ في قَلْبي فَكَيْفَ تَغيبُ
وَمَا اَسَفي اِلَّا عَلَى الْعُمْرِ يَنْقَضي ... وَلَيْسَ لَنَا فِي الْاِجْتِمَاعِ نَصِيبُ

وقول الآخر

خَفَرَتْ بِسَيْفِ اللَّحْظِ ذِمَّةَ مِغْفَري ... وَفَرَتْ بِرُمْحِ الْقَدِّ دِرْعَ تَصَبُّري
وَجَلَتْ لَنَا مِنْ تَحْتِ مِسْكَةِ خَالِهَا ... كَافُورَ فَجْرٍ شَقَّ لَيْلَ الْعَنْبَرِ
فَزِعَتْ فَضَرَّسَتِ الْعَقِيقَ بِلُؤْلُؤٍ ... سَكَنَتْ فَرَائِدُهُ غَدِيرَ السُّكَّرِ
وَتَنَهَّدَتْ جَزَعًا فَاَثَّرَ كَفُّهَا ... فِي صَدْرِهَا فَنَظَرْتُ مَا لَمْ اَنْظُرِ
اَقْلَامَ مَرْجَانٍ كَتَبْنَ بِعَنْبَرٍ ... بِصَحِيفَةِ الْبَلُّورِ خَمْسَةَ اَسْطُرِ
يَا حَامِلَ السَّيْفِ الصَّحِيحِ اِذَا رَنَتْ ... اِيَّاكَ ضَرْبَةَ جَفْنِهَا الْمُنْكَسِرِ
وَتَوَقَّ يَا رَبَّ الْقَنَاةِ الطَّعْنَ اِنْ ... حَمَلَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْقِوَامِ بِاَسْمَرِ

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن ابو الحسن ان روحه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فافاق وتحدث مع ابي الحسن ولم يزل ابو الحسن جالسا عنده الى ضحوة النهار فقام وانصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية قد جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها اومأت اليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال علي بن بكار فقال لها يا جارية الخير لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد انحله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتي

تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال اعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالت لا تاتيني الا بجوابها وافعلي ما امرتك به وها هي الورقة معي فهل لك ان تسير معي اليه ونأخذ منه الجواب فقال لها ابو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل الدكان واخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذي جاء منه ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى دار علي بن بكار ثم اوقفها على الباب ودخل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ذهب بالجارية الى دار علي بن بكار واوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه علي ابن بكار فرح به فقال له ابو الحسن سبب مجيئي ان فلانا ارسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها ان سبب تأخره عنك لعذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال علي ادخلوها فغمزه ابو الحسن انها جارية شمس النهار فعرف بالاشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم اخرجت الورقة ودفعتها له فاخذها وقبلها وفتحها وقرأها وناولها لابي الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

يُنْبِيكَ هٰذَا الرَّسُولُ عَنْ خَبَرِي ... فَاسْتَغْنِ فِي ذِكْرِهِ عَنِ النَّظَرِ
خَلَّفْتَ صَبًّا بِحُبِّكُمْ شَغِفًا ... وَطَرْفُهُ لَا يَزَالُ بِالسَّهَرِ
أُكَابِدُ الصَّبْرَ فِي الْبَلَاءِ فَمَا ... يَدْفَعُ خَلْقٌ مَوَاقِعَ الْقَدَرِ
وَقَرَّ عَيْنًا فَلَيْسَ تَغْفُلُ عَنْ ... قَلْبِي وَلَا يَوْمَ غِبْتَ عَنْ بَصَرِي

وَانْظُرْ اِلى جِسْمِكَ النَّحِيلِ وَمَا قَدْ حَلَّهُ وَاسْتَدِلَّ بِالْاَثَرِ

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان * و نطقت لك بغير لسان * وجملة شرح حالي ان لي عينا لايفارقها السهر * وقلبا لا تبرح منه الفكر * فكانني قطما عرفت صحة * ولا فارقت ترحة * ولارأيت منظرا بهيا * ولا قطعت عيشا هنيا * وكانني خلقت من الصبابة * ومن الم الوجد والكآبة * فعليّ السقام مترادف * و الغرام متضاعف * والشوق متكاثر * والوجد بقلبي ثاير * وصرت كما قال الشاعر *

اَلْقَلْبُ مُنْقَبِضٌ وَالْفِكْرُ مُنْبَسِطٌ وَالْعَيْنُ سَاهِرَةٌ وَالْجِسْمُ مَتْعُوبُ
والصَّبْرُ مُنْفَصِلٌ وَالْهَجْرُ مُتَّصِلٌ وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مَسْلُوبُ

واعلم ان الشكوى * لاتطفى نار البلوى * لكنها تعلّل من اعلّه الاشتياق * واتلفه الفراق * واتسلى بذكر لفظ الوصال * وما احسن قول من قال *

اِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى فَاَيْنَ حَلَاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتْبِ

قال ابوالحسن فلما قرأتُها هيجت الفاظها بلابلي واصابت معانيها مقاتلي ثم دفعتها الى الجارية فلما اخذتها قال لها علي بن بكار ابلغي سيدتك سلامي وعرفيها بوجدي وغرامي وامتزاج المحبة بلحمي وعظامي واخبريها انني محتاج الى من ينقذني من بحر الهلاك وينجيني من هذا الارتباك وقد تعدّى علي الزمان بنوائبه فهل من منجد يخلصني من شوائبه ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودّعته وخرجت من عنده وخرج ابوالحسن معها وودعها فانصرفت الى حالها وذهب ابوالحسن الى دكانه وفتحها وجلس مثل عادته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودع الجارية وذهب الى دكانه وفتحها وجلس مثل عادته فلما استقر في مكانه وجد قلبه قد انقبض وضاق صدره وحار في امره ولم يزل في فكر بقية يومه وليلته وفي اليوم الثاني ذهب الى علي بن بكار وجلس عنده حتى ذهب الناس وسأله عن حاله فاخذ في شكوى الغرام وما به من الوجد والهيام وانشد قول الشاعر

شَكَى أَلَمَ الْغَرَامِ النَّاسُ قَبْلِي ... وَرَوَّعَ بِالنَّوَى حَيٌّ وَمَيْتُ
وَأَمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي ... فَإِنِّي لَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

وقول الشاعر

وَلَقِيتُ مِنْ حُبِّيكَ مَا لَمْ يَلْقَهُ ... فِي حُبِّ لُبْنَى قَيْسُهَا الْمَجْنُونُ
لكِنَّنِي لَمْ أَتْبَعْ وَحْشَ الْفَلَا ... كَفِعَالِ قَيْسٍ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

فقال له ابو الحسن انا ما رايت ولا سمعت بمثلك في محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلّقتَ بحبيب موافق فكيف اذا احببت حبيبا مخالفا مخادعا فكان امرك ينكشف قال ابو الحسن فاعجب علي ابن بكار كلامي وركن اليه وشكرني على ذلك وكان لي صاحب يطلع على امري وامره ويعلم اننا متوافقان ولا يعلم احد ما بيننا غيره وكان يأتيني فيسألني عن حال علي ابن بكار وبعد قليل سألني عن الجارية فخادعته وقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من امرهما ولكني دبرت لنفسي امرا ورأيا اريد ان اعرضه عليك فقال له صاحبه

ما هو قال له ابو الحسن اعلم يا اخي ان رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء واخشى يا اخي ان ينكشف امرهما فيكون ذلك سببا لهلاكي واخذ مالي وهتك عرضي وعرض عيالي وقد اقتضى رأيي ان اجمع مالي واجهز حالي واتوجه الى مدينة البصرة واقيم بها حتى انظر ما يكون من امرهما بحيث لا يشعر بي احد فقد تمكنت المحبة منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشي بينهما جارية وهي كاتمة لاسرارهما واخشى ان يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لاحد فيشيع خبرهما ويؤدي ذلك الى هلاكي ويكون سببا لتلفي وليس لي عذر عند الناس فقال له صاحبه قد اخبرتني بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأي هو الصواب فانصرف ابو الحسن الى منزله وصار يقضي مصالحه ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فما مضى ثلثة ايام حتى قضى مصالحه وخرج مسافرا الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلثة ايام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه الى البصرة من مدة ثلثة ايام لان له معاملات عند تجارها فذهب ليطالب ارباب الديون وعن قريب يأتي فاحتار الرجل في امره وصار لا يدري اين يذهب وقال يا ليتني لم افارق ابا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى علي بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لي سيدك لادخل اسلم عليه فدخل الغلام واخبر سيده به ثم عاد اليه واذن له في الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم اعتذر له ذلك الشاب في تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدي ان بيني وبين ابي الحسن صداقة واني كنت اودعه اسراري ولا انقطع عنه ساعة فغبت في بعض المصالح مع جماعة من رفقائي مدة ثلثة ايام ثم جئت اليه

فوجدت دكانه مقفولة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم اعلم له صديقا اوفى منك فبالله عرفني خبره فلما سمع علي بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم اسمع قبل هذا اليوم خبر سفرة وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لي التعب وانشد يقول

قَدْ كُنْتُ اَبْكِي عَلَى مَا فَاتَ مِنْ فَرَحٍ ... وَاَهْلُ وُدِّي جَمِيعًا غَيْرُ اَشْتَاتِ
وَالْيَوْمَ فَرَّقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ... دَهْرِي فَاَبْكِي عَلَى اَهْلِ الْمَوَدَّاتِ

ثم ان عليا بن بكار اطرق رأسه الى الارض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار ابي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم او مسافر فان قالوا سافر فاسأل الى اي جهة توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم اقبل الى سيده وقال اني لما سألت عن ابي الحسن اخبرني اهله انه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتني عرفتني ولم اعرفها وقالت لي هل انت غلام علي بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معي رسالة اليه من عند اعز الناس عليه فجاءت معي وهي واقفة على الباب فقال علي بن بكار ادخلها فطلع الغلام اليها وادخلها فنظر الرجل الذي عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت عند ابن بكار وسلمت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للمتين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت على علي بن بكار تقدمت عنده وسلمت عليه وتحدثت معه سرا وهو يقسم في اثناء الكلام ويحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودعته ومضت وكان الرجل صاحب

ابي الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلي بن بكار لاشك ولاريب ان لدار الخلافة عليك مطالبة او بينك وبينها معاملة فقال ومن اعلمك بذلك فقال معرفتي بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهي عقد جوهر فارسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع علي بن بكار كلامه اضطرب حتى خشي عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا اخي سألتك بالله من اين تعرفها فقال له الجوهري دع الالحاح في السؤال فقال له علي بن بكار لا ارجع عنك الّا اذا اخبرتني بالصحيح فقال له الجوهري انا اخبرك بحيث لا يداخلك مني وهم ولا يعتريك من كلامي انقباض ولا اخفي عنك سرا وابين لك حقيقة الامر ولكن بشرط ان تخبرني بحقيقة حالك وسبب مرضك فاخبره بخبره ثم قال والله يا اخي ما حملني على كتمان امري عن غيرك الّا مخافة ان الناس تكشف استار بعضها فقال الجوهري لعلي بن بكار وانا ما اردت اجتماعي بك الا لشدة محبتي لك وغيرتي في كل حال عليك وشفقتي على قلبك من الم الفراق عسى اكون لك مؤنسا نيابة عن صديقي ابي الحسن في طول غيبته فطب نفسا وقرّ عينا فشكره علي بن بكار على ذلك وانشد هذين البيتين

وَلَوْ قُلْتُ اِنِّي صَابِرٌ بَعْدَ بُعْدِهِ لَكَذَّبَنِي دَمْعِي وَفَرْطُ نَحِيبِي
وَكَيْفَ أُدَارِي مَدْمَعًا جَرَيَانُهُ عَلَى صَحْنِ خَدِّي مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِي

ثم ان علي بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجوهري اتدري ما سرّتني به الجارية فقال له لا والله يا سيدي فقال انها زعمت اني اشرت على ابي الحسن بالمسير الى البصرة واني دبرت

بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفتُ لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقني ومضت الي سيدتها وهي على ما هي عليه من سوء الظنّ لانها كانت تميل وتصغي الى ابي الحسن فقال الشاب الجوهري يا اخي اني فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر واطلعت عليه ولكن ان شاء الله تعالى اكون عونا لك على مرادك فقال له علي بن بكار فمَن لي بذلك وكيف تعمل معها وهي تنفركوحش الفلاة فقال له والله لابذلنّ ابذل جهدي في مساعدتك واحتيالي في التوسّل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذنه في الانصراف فقال له علي ابن بكار يا اخي عليك بكتمان السرّ ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري ودّعه وانصرف وهو لا يدري كيف يعمل في اسعاف علي بن بكار وما زال ماشيا وهو متفكّر في امره اذ رأى ورقة مطروحة في الطريق فاخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو من المحب الاصغر الى الحبيب الاكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذان البيتان

جَاءَ الرَّسُولُ بِوَصْلٍ مِنْكَ يُطْمِعُنِي ... وَكَانَ اَكْثَرُ ظَنِّي اَنَّهُ وَهِمَا
فَمَا فَرِحْتُ وَلٰكِنْ زَادَنِي حُزُنًا ... عِلْمِي بِاَنَّ رَسُولِي لَمْ يَكُنْ فَهِمَا

وبعد فاعلم يا سيّدي انّني لم ادر سبب قطع المراسلة بيني وبينك فان يكن صدر منك الجفاء فانا اقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فانا احفظ الودّ على البعاد فانا معك كما قال الشاعر

تِهْ أَحْتَمِلْ وَاسْتَطِلْ أَصْبِرْ وَعِزَّ أَهُنْ ‏ ‏ ‏ وَوَلِّ أَقْبِلْ وَقُلْ أَسْمَعْ وَمُرْ أُطِعِ

فلما قرأها واذا بالجارية اقبلت وهي تلتفت يمينا وشمالا فرأت الورقة في يد الجوهري فقالت له يا سيدي ان هذه الورقة وقعت مني فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى ان اقبل على داره ودخل والجارية خلفه فقالت له يا سيدي اعطني هذه الورقة وردّ لي فانها سقطت مني فالتفت اليها وقال يا جارية الخير لا تخافي ولاتحزني فان الله ستّار يحبّ الستر فاخبريني بالخبر على وجه الصدق فاني كتوم للاسرار ولكن احلفك يمينا انك لاتخفي عني شيأ من امر سيدتك فعسى الله ان يعينني على قضاء اغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت له. يا سيدي ما ضاع سرّ انت حافظه ولاخاب امر انت تسعى في قضائه اعلم ان قلبي مال اليك واكشف خبري عليك واعطنى الورقة ثم اخبرته بجميع الخبر وقالت الله على ما اقول شهيد فقال لها صدقت فان عندى علما باصل الخبر ثم حدّثها بحديث علي بن بكار وكيف اخذ ضميره واخبرها بالخبر من اوله الى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على انها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وبجميع مايجري ترجع اليه وتخبره به فاعطاها الورقة فاخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتي شمس النهار اعطتها لي مختومة فاذا قرأها وردّ لي جوابها اتيتك به ثم ان الجارية ودعته ومضت الى علي بن بكار فوجدته فى الانتظار فاعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة ردّ الجواب واعطاها لها فاخذتها ورجعت بها الى الجوهري فاخذ منها وفض ختمها وقرأها فوجد الجوهري فيها مكتوبا هذين البيتين

إِنَّ الرَّسُولَ الَّذِي كَانَتْ رَسَائِلُنَا مَكْتُومَةً عِنْدَهُ ضَاعَتْ وَقَدْ غَضِبَا
فَاسْتَخْلِصُوا إِلَى رَسُولًا مِنْكُمْ ثِقَةً يَسْتَحْسِنُ الصِّدْقَ لَا يَسْتَحْسِنُ الكَذِبَا

وبعد فانني ما انيت بخيانة * ولا ضيّعت امانة * ولم يصدر مني جفاء * ولا تركت وفاء * ولا نقضت عهدا * ولا قطعت ودّا * ولا فارقت اسفا * ولالقيت بعد الفراق الّاتلفا * ولا علمت اصلا بما ذكرتم * ولا احب غير ما احببتم * وحق عالم السرّ والنجوى * ما قصدي الا ان اجتمع بمن اهوى * وشأني كتمان الغرام * وان امرضني السقام * وهذا شرح حالي والسلام * فلما قرأ الجوهري هذه الرقعة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لاتخرج عن هذا المكان حتى اعود اليك لانه قد اتهمني بامر من الامور وهو معذور وانا اريد ان اجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار باي حيلة كانت فاني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني ردّ الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهري مشوش الخاطر فلما اصبح الصباح صلّى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها اقبلت وهي فرحانة الى ان دخلت عليه فقال لها ما الخبر يا جارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتي ودفعت لها الرقعة التي كتبها علي بن بكار فلما قرأتها وفهمت معناها حارت في فكرها فقلت لها يا سيدتي لاتخشي من فساد الامر بينكما بسبب غياب ابي الحسن فاني وجدت من يقوم مقامه وهو احسن منه واعلى مقدارا واهلا لكتمان الاسرار وقد حدّثتها بما بينك وبين ابي الحسن وكيف توصلت اليه والى علي بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة مني وقد وقعتَ انت عليها واخبرتها بما استقرّ عليه الامر بيني وبينك فتعجب الجوهري غاية العجب ثم قالت له ان سيدتي تشتهي ان تسمع كلامك لاجل ان توكّل عليه

فيما بينك وبينه من العهود فاعزم على المسير معي اليها في هذا
الوقت فلما سمع الجوهري كلام الجارية رأه امرا عظيما وخطرا جسيما
لايمكن الدخول فيه ولاالتهجم عليه فقال الجوهري للجارية يا اختي
اني من اولاد العوام ولم اكن كابي الحسن لان ابا الحسن كان رفيع
المقدار معروفا بالاشتهار مترددا على دار الخلافة لاحتياجهم الى
بضاعته واما انا فان ابا الحسن كان يحدثني وانا ارتعد من حديثه
بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت في حديثي لها فينبغي ان يكون
ذلك في غير دار الخلافة بعيدا عن محل امير المؤمنين لانّ عقلي
ليس يطاوعني على ماتقولين ثم انه امتنع من المسير معها واما الجارية
فانها صارت تتضمن له السلامة وتقول له لاتخف ولاتخش من ضرر
وكرّرت عليه ذلك فهمّ ان يقوم معها فانثنت رجلاه وارتعشت يداه
فقال حاش الله ان اذهب معك وليس لي قدرة على ذلك فقالت له
الجاريه اطمئن قلبك ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة
ولايمكنك المسير معي فانا اجعلها تسير اليك فلاتبرح من
مكانك حتى ارجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الّا قليلا
وعادت الى الجوهري وقالت له احذر من ان يكون عندك احد غيرك
من غلام او جارية فقال لها ماعندي غير جارية سوداء كبيرة السن
تخدمني فقامت الجارية واغلقت الباب بين جارية الجوهري
وبينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت
ومعها جارية خلفها وُدخلت بها دار الجوهري فاعبقت الدار من
الطيب فلما رآها الجوهري نهض قائما ووضع لها مرتبة ومخدة
فجلست عليها وجلس هو بين يديها فمكثت ساعة لم تتكلم حتى
اخذت الراحة ثم كشفت وجهها فخيّل للجوهري ان الشمس اشرقت

في منزله ثم قالت لجاريتها اهذا الرجل الذي قلت لي عليه قالت
نعم فالتفتت الى الجوهري و قالت له كيف حالك قال بخير ودعاء في
حياتك و حياة امير المؤمنين فقالت انك حملتنا على المسير عندك
و ان نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن اهله و عياله
فكشف لها عن جميع احواله و ما هو فيه وقال لها ان لي دارغير
هذه الدار جعلتها للاجتمـاع بالاصحاب و الاخوان و ليس لي فيها
احد الا الجارية التي قلت عليها لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه
على اصل القصة وقصة ابي الحسن وسبب سفره فاخبرها بماخطر بباله
ودعاه على السفرفتاوّهت لفراق ابى الحسن وقالت يا فلان اعلم ان
ارواح الناس متلائمة فى الشهوات و الناس بالناس لايتم عمل الا
بقول و لا يتم غرض الا بسعي ولاتحصل راحة الا بعد تعب و ادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان شمس النهـــار قالت للجوهري
لا تحصـــل راحة الا بعد تعب و لا يظهر نجاح الا من ذى مروّة
و قد اطلعتك الآن على امرنا و صار بيدك هتكنا وسترنا ولا زيادة
لما انت عليه من المروة فانت قد علمت ان جاريتي هذه كاتمة
لسرّي وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندي وقد اختصصتها لمهمات
اموري فلا يكن عندك اعز منها و اطلعهـــا على امرك و طب نفسا
فانت آمن مما تخافه من جهتنا فما يسدّ عليك موضع الا وتفتحه
لك وهي تأتيك من عندي باخبار علي بن بكار وتكون انت الواسطة
في التبليغ بيننا ثم ان شمس النهار قامت وهي لا تستطيع القيام

و مشت فتمشى بين يديها الجوهري الى ان وصلت الى باب الدار ثم رجع و قعد في موضعه بعد ان نظر من حسنها ما بهره و سمع من مقالها ما حير عقله و شاهد من ظرفها و ادبها ما ادهشه ثم استمرّ يتفكر في شمائلها حتى سكنت نفسه و طلب الطعام فاكل ما يمسك رمقه ثم غيّر ثيابه و خرج من داره و توجه الى الفتى علي بن بكار فطرق بابه فما توانت غلمانه حتى لاقوه و مشوا امامه الى ان اوصلوه الى سيدهم فوجده ملقى على فراشه فلما رأى الجوهريَ قال له ابطأت علّي فزدتني همّا على همّي ثم صرف غلمانه و امر بغلق ابوابه و قال له والله يا اخي ما غمضت عيني من يوم فارقتني فان الجارية جاءتني بالامس و معها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار و حكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال و الله لقد تحيرت في امري و قلّ صبري و كان لي ابو الحسن انيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهري كلامه ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامي و قد استبشرت بك و اتخذتك عدّة للنائبات ثم تاوّه و بكى و انشد هذه الابيات

وَضَاحِكٍ مِنْ بُكَائِي حِينَ اَبْصَرَنِي ... لَوْكَانَ قَاسَى الَّذِي قَاسَيْتُ اَبْكَاهُ

لَمْ يَرْثِ لِلْمُبْتَلِي مِمَّا يُكَابِدُهُ ... اِلَّا شَجٍ مِثْلُهُ قَدْ طَالَ بَلْوَاهُ

وَجْدِي حَنِينِي اَنِينِي فِكْرَتِي وَلَهِي ... اِلَى حَبِيبٍ زَوَايَا الْقَلْبِ مَأْوَاهُ

حَلَّ الْفُؤَادَ مُقِيمًا لَا يُفَارِقُهُ ... وَقْتًا وَلَكِنَّهُ قَدْ عَزَّ لُقْيَاهُ

مَالِي سِوَاهُ خَلِيلٌ اَرْتَضِي بَدَلًا ... وَمَا اصْطَفَيْتُ حَبِيبًا قَطُّ اِلَّا هُوَ

فلما سمع الجوهري منه هذا الكلام وفهم الشعر و النظام بكى لبكائه واخبره بما جرى له مع الجارية وسيدتها من حين فارقه فصار ابن بكار

يصغي الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغيّر لون وجهه من صفرة الى احمرار ويقوي جسمه مرة و يضعف اخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار و قال له يا اخي انا على كل حال هالك فليت اجلي قريب كنت ارتاح من هذا ولكنني اسالك من فضلك ان تكون معاولي و ملاطفي في جميع اموري الى ان يريد اللـــه بما يريده و اني لااخالف لك قولا فقال له الجوهري لا يطفئ عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن يكون في غير هذا المكان الخطير بل يكون ذلك عندي في الموضع الذي جاءتني فيه الجارية و سيدتهـــا وهو الموضـــع الذي اختارته لنفسها و المقصود من ذلك اجتمـاعكما ببعضكما و شكوا كمـــا ما قاسيتما من الم الحب فقال علي بن بكار يا سيدي افعل ما تريد واجرك على الله فماترى فيه الصواب عليك به و لا تطول عليّ لئلا اموت بهذه الغصة قال الجوهري فاقمت عنده تلك الليلة اسامره الى ان اصبح الصباح وطلع النهار و ادرك شهرزاد الصبـاح فسكتت عـن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال فاقمت عنده تلك الليلـة اسامره الى ان طلـع النهار ثم صلّيت الصبح و خرجت من عنده وذهبت الى منزلي فما استقرّيت الّا قليلا حتى جاءت الجارية فسلمت عليّ فرددت عليها السلام و حدثتها بما كان بيني وبين علي بن بكار فقالت الجارية اعلم ان الخليفة توجّه من عندنا وان مجلسنا لا احد فيه و هو استرلنا و احسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلي هذا فانه اليق بنا واسترلنا فقالت الجارية الرأي كما تراه انت

و انا ذاهبة الى سيدتي لا خبرها بما ذكرت و اعرض عليها ما قلت
ثم قامت و مضت حتى دخلت على سيدتها و عرضت عليها الكلام
وعادت الى منزلي وقالت لي الامر صار على ما ذكرته فهيّئ لنا المحل و
انتظرنا ثم اخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت لي ان سيدتي تسلم
عليك وتقول لك خذ هذا وانفق منه ما يحتاج اليه الحال فاقسمت
اني لا آخذ منه شيأ فاخذته الجارية و عادت الى سيدتها فقالت
ياسيدتي انه لم يقبـــل الدراهم بل دفعهــا اليّ فقالت لا باس قال
الجوهري ثم اني قمت بعد رواح الجارية و ذهبت الى داري الثانية
و حوّلت اليها ما يحتاج اليه الحال من الآلات و الفرش الفاخرة و
نقلت اليها اواني الصيني و الزجاج والفضة و الذهب وهيّأت جميع
ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت
ما فعلته اعجبها وامرتني باحضار علي بن بكار فقلت ما يحضره الاّ
انت فذهبت اليه و احضرته على اتمّ حال و قد راقت محاسنه قال
الجوهري فتلقيته وترحبت به ثم اجلسته على مرتبة تصلح له و وضعت
بين يديه شيأ من المشموم المنزه في بعض الا واني الصيني والبلور
من سائر الالوان و وضعت سفرة فيها من سائرالالوان الملوّنة مما تشرح
رويته الصدر و جلست احدثه و اسليه ثم ان الجارية مضت وغابت
الى المساء وعادت بعد المغرب ومعها شمس النهار ووصيفتان لاغير
فلما رأت علي بن بكار و رآها قام قائما و اعتنقها فاعتنقته الاخرى
فسقطا على الارض مغشيا عليهما قدر ساعة زمانية فلما افاقا اقبلا
على بعضهما يتشاكيان الم الفراق ثم جلســـا يتحدّثان بكلام فصيح
عذب رقيق واستعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران من
صنعي معهما فقلت لهما هل لكما في شيء من الطعـــام فقالا نعم

فاحضرتُ شيأً من الطعام فاكلا حتى اكتفيا ثم غسلا ايديهما ثم نقلتُهما الى مجلس آخر واحضرتُ لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لي يا سيدي كمّل جميلك واحضر لنا عودا او شيأً من آلات الطرب لاجل ان يكمل سرورنا في هذه الساعة فقلت على الرأس والعين ثم اني قمت واحضرتُ عودا فاخذته واصلحته ثم انها وضعته في حجرها وضربت عليه ضربا بليغا هيجت الشجون واطربت المحزون ثم انشدت هذين البيتين

أَرِقْتُ حَتَّى كَأَنَّنِي أَعْشَقُ الأَرَقَا ... وَذُبْتُ حَتَّى كَأَنَّ السُّقْمَ لِي خُلِقَا
وَفَاضَ دَمْعِي عَلَى خَدِّي فَأَحْرَقَهُ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَعْدَ الفِرَاقِ لِقَا

ثم انها اخذت في غناء الاشعار حتى حيرت الافكار وهي تغنّي باصوات مختلفة واشعار رائقة حتى كاد المجلس ان يرقص من شدة الطرب بما اتت فيه من مغانيها بالعجب وما بقي لنا عقل ولافكر ولمّا استقرّ بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤس اطربت الجارية بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وَعَدَ الحَبِيبُ بِوَصْلِهِ وَوَفَى لِي ... فِي لَيْلَةٍ سَأَعُدُّهَا بِلَيَالِي
يَا لَيْلَةً سَمَحَ الزَّمَانُ لَنَا بِهَا ... فِي غَفْلَةِ الوَاشِينَ وَالعُذَّالِ
بَاتَ الحَبِيبُ يَضُمُّنِي بِيَمِينِهِ ... مِنْ فَرْحَتِي فَضَمَمْتُهُ بِشِمَالِي
عَانَقْتُهُ وَرَشَفْتُ خَمْرَةَ رِيقِهِ ... وَحَظِيتُ بِالمَعْسُولِ وَالعَسَّالِ

قال الجوهري فبينما نحن في بحر السرور غارقون واذا بوصيفة صغيرة دخلت علينا وهي ترتعد وقالت ياسيدتي انظري كيف تذهبين فان القوم احاطوا بكم وادركوكم ولم ندر سبب ذلك فلما سمعتُ كلامه قمت مرعوبا واذا بجارية تقول جاءكم البلاء فضاقت عليّ الارض

بما رحبت ونظرت الى الباب فلم اجد مسلكا فنطّيت الى دار بعض الجيران وتخبّيت فرجدت الناس قد دخلوا داري وصار لهم ضجّة عظيمة فاعتقدت ان خبرنا قد وصل الى الخليفة فارسل صاحب الشرطة ليكْبس علينا ويحضرنا اليه فبقيت متحيرا ولم ازل مقيما الى نصف الليل ولم اقدر على الخروج من المكان الذي انا فيه فقام صاحب الدار واحسّ بي ففزع وصار عنده فزع عظيم منّي فطلع من بيته وجاء اليّ وبيده سيف مسلول وقال من هذا الذي عندنا فقلت له انا جارك الجوهري فعرفني ورجع عني ثم جاء بضوء وتقدّم عندي وقال لي يا اخي ما هان عليّ الذي جرى لك الليلة فقلت له يا اخي عرّفني عن من كان في داري ومن دخلها وكسر بابي فاني هربت عندك ولم اعلم القصة فقال لي ان اللصوص الذين جاوًا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا واخذوا ماله قد رأوك بالامس وانت تنقل حوائجك وتاتي بها الى هذا المكان فجاوك واخذ واما عندك وقتلوا ضيوفك قال الجوهري فقمت انا وجاري وجئنا الى الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شيء فتحيرت في امري وقلت اما الامتعة فلا ابالي بضياعها وان كنت استعرت بعض الامتعة من اصحابي وضاعت فلا باس بذلك لانهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري واما علي بن بكار ومحظية امير المؤمنين فاخشى ان يشتهر الامر بينهما فيكــون ذلك سبب رواح روحي ثم التفت الى جاري وقلت له انت اخي وجاري وتستر عليّ عوراتي فمــا الذي تشير به عليّ من الامور فقال لي الرجل الذي اشير به عليك ان تتربص فان الذين دخلوا دارك واخذوا متاعك قد قتلوا احسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من عند صاحب الشرطة واعوانُ الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يصدفونهم

فيحصل مرادك بغير سعي منك فلما سمع الجوهري هذا الكلام رجع الى داره الثانية التي هو ساكن بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما سمع الكلام رجع الى داره الثانية التي هو ساكن بها و قال في نفسه ان الذي حصل لي هو الذى خاف منه ابوالحسن و ذهب الى البصرة و قد وقعتُ فيه انا ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فاقبل اليه الناس من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت به ومنهم من هو عاذر و حامل همّه فصار يشكولهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا مما به فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه قد دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعوك لم اعرفه فخرج الجوهري اليه و سلّم عليه ووجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لي حديثا بيني وبينك فادخله الدار وقال له ماعندك من الحديث فقال له الرجل امض معي الى دارك الثانية فقال الجوهري وهل تعرف داري الثانية فقال ان جميع خبرك عندي وان عندي ايضا مايفرج الله به همّك عنك فقلت في نفسي انا امضي معه حيث اراد ثم توجهت الى ان اتينا الدار فلما رأى الرجل الدار قال انها بغير باب ولا بواب ولا يمكن القعود فيها فامض بنا الى غيرها فلم يزل الرجل يدور من مكان الى مكان وانا معه حتى دخل علينا الليل ولم اسأله عن امر من الامور ثم انه لم يزل يمشي وانا امشي معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعني وصار يُهَرْوِل في مشيه وانا أُهَرْوِل وراءه والوي قلبي على المشي حتى اتينا البحر فطلع بنا في زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا الى البر الثاني فنزل من ذلك

الزورق ونزلت خلفه فاخذ الرجل بيدى ونزل بي في درب لم ادخله طول عمرى ولم اعلم هو في اىّ ناحية ثم ان الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل وادخلني معه واغلق بابها بقفل من حديد ثم مشي بي في دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كانهم رجل واحد وهم اخوان قال الجوهري فسلمنا عليهم فردّوا علينا السلام وامرونا بالجلوس فجلسنا وكنت قد هلكت من شدة التعب فجاؤا اليّ بماء ورد ورشّوه على وجهي وسقوني شرابا وقدموا اليّ طعاما واكل بعضهم معي فقلت لو كان فى الطعام شىء مضرّ لم يأكلوا منه معي فلما غسلنا ايدينا عادكل منا الى مكانه وقالواهل تعرفنا فقلت لاولا عمري رأيتكم بل ولارايت الذي احضرني اليكم ولارأيت هذا الموضع ابدا فقالوا اطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلت لهم اعلموا ان حالي عجيب وامري غريب فهل عندكم شيء من خبري قالوا نعم نحن الذي اخذنا امتعتك فى الليلة الماضية واخذنا صديقك والتي كانت تغنّي معه فقلت لهم اسبل الله عليكم ستره اين صديقي هووالتي كانت تغنّي معه فاشاروا اليّ بايديهم الى ناحية وقالوا هٰهنا ولكن والله يا اخي ما ظهر سرّهما على احد منا غيرك ومن حين انينا بهما لم نرهما الى هذا الوقت ولم نسألهما عن حالهما لمارأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هوالذي منعنا عن قتلهما فاخبرنا عن حقيقة امرهما وانت فى امان على نفسك وعليهما قال الجوهري فلما سمعت هذا الكلام كدت ان اهلك من الخوف والفزع وقلت لهم يا اخواني اعلموا ان المروة اذا ضاعت لم توجد الّا عندكم واذا كان عندي سرّاخاف انشاءه فلا يخفيه الا صدوركم وصرت ابالغ لهم في هذا المعنى ثم اني وجدت المبادرة لهم بالحديث

انفع واحسن من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت الى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه الجارية شمس النهار قلت نعم فصعب عليهم ذلك وقاموا واعتذروا لهما ثم قالوا لي ان الذي اخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا باقيه ثم ردّوا اليّ اكثر الامتعة والتزموا انهم يعيدونها الى محلها في داري ويردون لي الباقي فاطمأن قلبي ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي وقسم منهم عليّ ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من امري واما ما كان من امر علي بن بكار وشمس النهار فانهما قد اشرفا على الهلاك من شدة الخوف ثم اني تقدمت الى علي بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما ياترى كيف جرى بالجارية والوصيفتين واين ذهبن فقالا لاعلم لنا بهن ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المكان الذي فيه السُّمَيرية فاطلعونا فيها واذا هي التي عدينا فيها بالامس فجذف بنا الملاح حتى اوصلنا الى البر الثاني فانزلونا على جانب البر فما استقربنا الجلوس على جانب البر وما استرحنا الا والخيالة قد احاطوا بنا مثل العقبان من كل جانب ومكان فوثب الذين كانوا معنا عاجلا كالعقاب فرجعت لهم السُّمَيريّة فنزلوا فيها ودفع بهم الملاح فصاروا في وسط البحر وذهبوا وبقينا نحن على البر على شاطئ البحر لا نستطيع الحركة ولا السكون فقال لنا الخيالة من اين انتم فتحيرنا في الجواب قال الجوهري فقلت لهم ان هؤلاء الذين رأيتموهم معنا كانوا عيارين لانعرفهم واما نحن فمغنون وارادوا اخذنا لنغنّي لهم فما تخلصنا منهم الّا باللطافة ولين الكلام فافرجوا عنا في هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من امرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار وعلي

بن بكار وقالوا لي لست صادقا في كلامك فان كنت صادقا فاخبرنا من انتم و من اين انتم و ما موضعكم و في اي الحارت انتم ساكنون قال الجوهري فلم ادرما اقول لهم فوثبت شمس النهار و تقدمت الى مقدم الخيالة و تحدثت معه سرّا فنزل من فوق جواده و اركبها عليه واخذ بزما مها و سار يقودها و كذلك فعل آخر بالفتى علي بن بكار و فعل بي ايضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرابنا الى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فاقبل له جماعة من البرية معهم سميريتان فطلّعنا المقدم في واحدة وهو معنا وطلع اصحابه في الثانية وقذفوا بنا الى ان انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف و لم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المحل الذي نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا و معنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا الى ان دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة و مضوا الى حال سبيلهم واما نحن فقد دخلنا مكاننا و نحن لانقدر ان نتحرك من مكاننا و لاندري الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة الى ان اصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط علي بن بكار مغشيا عليه و بكى عليه النساء و الرجال و هو مطروح لم يتحرك فجاءوني بعض اهله و ايقظوني و قالوا حدثنا بماجرى على ولدنا وما هذا الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال لهم ياقوم اسمعوا كلامي و لاتفعلوا بي مكروها واصبروا و هو يفيق و يخبركم بقصته

بنفسه ثم شددت عليهم و خوفتهم من الفضيحة بيني و بينهم فبينما نحن كذلك و اذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح اهله وانصرف الناس عنه و منعني اهله من الخروج من عنده ثم رشّوا ماء الورد على وجهه فلما افاق وشمّ الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لايرد جوابا بسرعة ثم اشار اليهم ان يطلقوني لاذهب الى منزلي فاطلقوني فخرجت وانا لا اصدق بالخلاص واتيت الى داري و انا بين رجلين حتى وصلت الى اهلي فلما رأوني على تلك الحالة قاموا بالعياط ولطموا على وجوههم فاومأت اليهم بيدي ان اسكتوا فسكتوا وانصرف الرجلان الى حال سبيلهما وانقلبت على فراشي بقية ليلتي ولم افق الّا وقت الضحى فوجدت اهلي مجتمعين حولي فقالوا ما الذي دهاك وبشرّه رماك فقلت ائتوني بشيء من الشراب فجاؤوا لي شرابا فشربت منه حتى استكفيت ثم قلت لهم قد كان ماكان فانصرفوا الى حال سبيلهم ثم اعتذرت الى اصحابي وسألتهم عن الذي ذهب من داري هل عاد شيء منه فقالوا عاد البعض وسببه انه جاء انسان و رماه في باب الدار ولم ننظره فسليت نفسي واقمت في مكاني يومين وانا لااقدر على القيام من محلّي ثم قوّيت نفسي و مشيت حتى دخلت الحمام وانا عندي تعب شديد وقلبي مشغول من جهة علي بن بكار وشمس النهار ولم اسمع لهما خبرا في تلك المدة و لم استطع الوصول الى دار علي بن بكار ولم يستقرلي قرار في مكاني خوفا على نفسي ثم تبت الى الله تعالى مما صدر مني و حمدته على سلامتي و بعد مدة حدثتني نفسي ان اقصد تلك الناحية و ارجع في ساعة فلما اردت المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذاهي جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع و صرت كلما

انظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى احدثك بشيء وانا لم التفت اليهـــا ولم ازل سائرا الى مسجـــد في موضع خال من الناس فقالت لي ادخل في هذا المسجد لا قول لك كلمة ولا تخف من شيءٍ وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصلّيت ركعتين ثم تقدمتُ اليها وانا اتأوّه وقلت لها ما بالك فســـألتني عن حالي فحدثتها بمـــا وقع لي واخبرتها بمـــا جرى لعلي بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم اني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت ان يكونوا من عند الخليفـــة فيأخذ وني انا وسيدتي فنهلك في وقتنـــا فهـــربت من السطـــوح انا والوصيفتان ورمينا انفسنا من مكان عال ودخلنـــا على قوم فهربنا عندهم واوصلونا الى قصر الخلافة ونحن على اقبح صفة ثم اخفينا امرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى ان جنّ الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذي اخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتي لم نعلم لها خبرا فاحملني في الزورق حتى اذهبُ وافتّشُ عليها في البحر لعلّي اقع على خبرها فحملني في الزورق وسار بي ولم ازل سائرة في البحر حتى انتصف الليل فرأيت سُمَيريّة اقبلت الى جهة الباب وفيها رجل يقذف ومعه رجل آخر واقف وامرأة مطروحة بينهما وما زال يقذف الى ان وصلت الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هي شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة .

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري وقد اندهشت

من الفرح بعد ان قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها امرتني ان
ادفع الى الرجل الذي جاء بها الف دينار ثم حملتها انا والوصيفتان الى ان
القيناها على فراشها فاقامت تلك الليلة على حالة مكدّرة فلما اصبحت
الصباح منعت انا للجواري والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك
اليوم وفي ثاني يوم افاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة
فرشّشت على وجهها ماء الورد وغيّرت ثيابها وغسّلت يديها ورجليها
ولم ازل أُلَاطِفُها حتى اطعمتها شيأ من الطعام و اسقيتها شيأ من الشراب
وهي ليس لها قابلية في شيء من ذلك فلما شمّت الهواء وتوجّهت اليها
العافية صرت اعاتبهـــا وقلت لها يا سيدتي انظري وارفقي بنفسك فقد
رأيتِ ما جرى لنا وقد حصل لكِ من المشقة ما فيه الكفاية فانكِ قد
اشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية الخير ان الموت عندي
اهون مما جرى لي فاني كنت مقتولة لامحالة لان اللصوص لمّا خرجوا
بنا من بيت الجوهري سألوني وقالوا لي من تكونين انت فقلت انا
جارية من المغنّيات فصدّقوني ثم سألوا علي بن بكار عن نفسه وقالوا له
من تكون انت وما شأنك فقال انا من عوام الناس فاخذونا وسرنا
معهم الى ان انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسـرع معهم في السير
من شدة الخوف فلما استقرّوا بنا في اماكنهم تأملوني ونظروا ما عليّ
من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا امري وقالوا ان هذه العقود
لم تكن لواحدة من المغنيات فاصدقينا وقولي لنا الحق ما قضيتكِ
فلم اردّ عليهم جوابا بشيء وقلت في نفسي الآن يقتلـــونني لاجل
ما عليّ من الحلي والحلل فلم انطق بكلمة فالتفت العيّـــارون الى
علي بن بكار وقالوا له وانت من تكون ومن اين انت فان رؤيتك غير
رؤية العوام فسكَتَ وصرنا نكتم امرنا ونبكي فحنّن الله علينا قلوب

اللصوص فقالوا لنا من يكون صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهري فقال واحد منهم انا اعرفه حق المعرفة و اعرف مكانه انه ساكن في داره الثانية وعليّ ان آتيكم به في تلك الساعة واتفقوا علي ان يجعلوني ~~في موضع وحدي وعلي بن بكار~~ في موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولاتخافا ان ينكشف خبركما وانتما في امان منّا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهري واتى به وكشف امرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم احضرلنا سُمَيريّة فاطلعونا فيها وعدوابنا الى الجانب الثاني ورمونا الى البرّ وذهبوا فاتت خيالة من اصحاب العسس وقالوا لنا من تكونوا فتكلمتُ مع المقدم على العسس وقلت له انا شمس النهار محظية الخليفة فاني سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاء لي العيارون واخذوني فاوصلوني الى هذا المكان فلما رأوكم فرّوا هاربين وانا قادرة على مكافأتك فلما سمع مقدم الخيالة كلامي عرفني ونزل عن مركوبه واركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجوهري وفي كبدي الآن من اجلهما لهيب النار لا سيما الجوهري رفيق ابن بكار فامضي اليه وسلمي عليه واستخبري منه علي بن بكار فكلمتها ولمتها على ما وقع منها وحذرتها وقلت لها ياسيدتي خافي على نفسك فصاحت عليّ وغضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت اليك فلم اجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصرت واقفة ارتقبك حتى اسألك عنه واعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك ان تأخذ مني شيأ من المال فانك لابد استعرت امتعة من اصحابك وضاعت عليك فتحتاج ان تعوض على الناس ما ذهب لهم من الامتعة عندك قال الجوهري فقلت سمعا وطاعة سيري ومشيت معها الى ان اتينا الى قرب محلي فقالت

لي قف هنا حتى اعود اليک و ادرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملک السعيد ان الجوهري لما قالت له الجارية قف هنا حتى اعود اليک و مضت ثم عادت وهي حاملة المال ورفعته اليّ و قالت لي يا سيدي نجتمع بک في اي محل فقلت لها امضي و اتوجه الى داري في هذه الساعة و اتحمل الصعوبة لاجل خاطرک و اتدبر فيما يوصلک اليــه فانه يتعذر الوصول اليه في هذا الوقت قالت فاخبرني بمحل آتيک فيــه فقلت لها في داري ثم ودّعتني ومضت فحملت المــال واتيت به الى منزلي وعددت المــال فوجدته خمسة آلاف دينار فاعطيت اهلي منه شيأ ومن كان له عندي شيء اعطيتــه عوضاعنه ثم اني قمت و اخذت غلمــاني وذهبت الى الدار التي ضاعت منها الا متعة وجئت بالمعمارين والنجّارين و البنّــائين فاعادوها الى ما كانت عليه وجعلتُ جاريتي فيهــا ونسيتُ ماجرى لي ثم تمشيت واتيت الى دار علي بن بكار فلمــا وصلت اليهــا اقبل غلمــانه عليّ وقالوا لي ان سيدي في طلبک ليلا ونهارا ووعدَنا ان كل من اتى بک اليه يعتقه فهم يدورون ويفتّشون عليک ولا يعرفون لک موضعــا وقد رجعتْ الى سيدنا عافيته فهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرک ويقول لابدان تحضروه لي لحظة ويعود الى سكرته قال الجوهري فمضيت مع الغلام اليــه فوجدته لايستطيع الكلام فلمــا رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآني بكى وقال لي اهلا ومرحبــا ثم اسندته

واجلسته وضممته الى صدري فقال لي اعلم يا اخي اني من حين رقدتُ ما جلست الآن في هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهري فلم ازل اسنده حتى اوقفته على رجليه ومشّيته خطوات وغيّرت الرائحة فشرب شرابا وكل ذلك لاجل ان يطيب خاطره فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعني احد ثم قلت له شدّ نفسك وحيلك فانا اعرف مابك فتبسم فقلت له انك لا تجد الا مايسرّك ويدا ويك ثم ان علي بن بكار امر باحضار الطعام فاحضروه واومى الى غلمانه فتفرّقوا ثم قال لي يا اخي هل رأيت ما اصابني واعذرلي وسألني عن حالي في هذه المدة فاخبرته بجميع ماجرى لي من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال للخدم ائتوني بكذا وكذا فاتوه بفرش نفيس وبسط وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة اكثر من الذي ضاع لي واعطاني اياه جميعا فارسلته الى منزلي واقمت عنده ليلتي فلما اسفر الصبح قال لي اعلم ان لكل شيءٍ نهاية ونهاية الهوى الموت او الوصال وانا الى الموت اقرب فيا ليتني متُّ قبل الذي جرى ولولا ان الله لطف بنا لافتضحنا ولا ادري ما الذي يوصلني الى الخلاص مما انا فيه ولولا خوفي من الله لعجّلت على نفسي بالهلاك واعلم يا اخي انني كالطير في القفص وان نفسي هالكة لامحالة من الغصص ولكن لها وقت معلوم واجل محتوم ثم بكى واشتكى وانشد يقول شعر

لَقَدْ كَفَى مَاجَرَى لِلصَّبِّ مُذْ مَعَهْ ... أَمَّا الْأَسَى عَنْ جَمِيعِ الصَّبْرِ يَرْدَعُهُ

قَدْ كَانَ يَجْمَعُ لِلْأَسْرَارِ كَاتِمُهَا ... فَفَرَّقَتْ عَيْنُهُ مَا كَانَ يَجْمَعُهُ

فلما فرغ من شعره قال له الجوهري ياسيدي اعلم اني عولت على الذهاب

الى داري فلعل الجارية ترجع اليّ بخبر فقال علي بن بكار لا باس بذلك ولكن اذهب واسرع بالعود عندي لاجل ان تخبرني فانك ترى حالي فودّعته وانصرفت الى داري فلم استتم الجلوس الا والجارية اقبلت وهي مختنقة بالبكاء فقلت لها ما سبب ذلك فقالت ياسيدي اعلم انه حلّ بنا ما حلّ من امر نخافه فاني لما مضيت من عندك بالامس صادفت سيدتي وهي مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة فامرت بضربها فخافت وهربت من سيدتها فخرجت فلا قاها بعض الموكلين بالباب فاخذها واراد ردها الى سيدتها فلوّحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فاخبرته بما كنّا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فامر بنقل سيدتي شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكّل بها عشرين خادما ولم اجتمع بها الى الآن ولم اعلمها بالسبب وتوهمت انه بسبب ذلك فخشيت انا على نفسي واحترتُ ياسيدي ولم ادر كيف افعل وكيف احتال في امري وامرها فان ما عندها احفظ واقرب لكتمان السر غيري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري ان سيدتي لم يكن عندها اقرب واحفظ لكتمان السر مني فامض وتوجه ياسيدي الى علي بن بكار سريعا واخبره بذلك لاجل ان يكون على اهبة وحذر فاذا انكشف الامر نتدبر في امر نفعله لنجاة انفسنا قال الجوهري فاخذني من ذلك همّ عظيم وصار الكون في وجهي ظلاما من كلام الجارية وهمّت الجارية لتمضي فقلت لها وما الرأي وما بقي في الامر وقت فقالت لي

الرأي ان تبادر الى علي بن بكار ان كان صديقك و انت تريد له النجاة وانت عليك بتبليغ هذا الخبر له بسرعة ولا تطول عليه هذه المدة ولا تبعد المسافة وانا عليّ ان اتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتني وخرجت فلما خرجت الجارية نمت وخرجت في اثرها ومضيت الى علي بن بكار فوجدته يمنّي نفسه بالوصال و يعلّلها بالمحال فلما رآني رجعت اليه عاجلا قال لي اني اراك رجعت اليّ وجئت في الحال فقلت له اصبر اتصر من التعلق المطال ودع ما انت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث وامر فيه اتلاف نفسك و مالك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال لي يا اخي اخبرني بماوقع فقلت له ياسيدي اعلم انه قد جرى ماهو كذا وكذا وانك تالف لامحالة ان اقمت في دارك هذه الى آخر النهار فبهت علي بن بكار وكادت روحه ان تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال لي اي شيء افعل يا اخي وما عندك من الرأي فقلت له الرأي خذ معك من مالك ماتقدر عليه ومن غلمانك ماتثق به وامض بنا الى ديار غير هذه قبل ان ينقضي هذا النهار فقال لي سمعا وطاعة فوثب علي بن بكار وهو متخبل ومتحير في امره فتارة يمشي و تارة يقع فاخذ ما قدر عليه و اعتذر الى اهله واوصاهم بمقصوده واخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابته وقد فعلت انا كما فعل ثم خرجنا خفية ونحن متنكّرون وسرنا ولم نزل مسافرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا ونمنا فحلّ علينا التعب وغفلنا عن انفسنا واذا باللصوص احاطوا بنا واخذوا جميع ماكان معنا وقتلوا الغلمان لما ارادوا ان يمنعوا عنّا ثم تركونا مكاننا ونحن في اقبح حال بعد ان اخذوا المال وساقوا الجميع وساروا فلما قمنا

مشينا الى ان اصبح الصباح فوصلنا الى بلد فدخلناها وقصدنا مسجدها فدخلنا اليه ونحن عريانون فجلسنا في جانب المسجد باقي يومنا كله فلما جاء الليل بتنا فيه تلك الليلة ونحن بغير اكل وشرب فلما اصبح الصباح صلّينا الصبح وجلسنا واذا برجل دخل وسلم علينا وصلّى ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل انتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرّونا ودخلنا هذه البلدة ولم نعرف فيها احدا نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم ان تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي بن بكار قم بنا معه فننجو من امرين الاول اننا نخشى ان يدخل علينا احد الى هذا المسجد فيعرفنا فنفتضح والثاني اننا ناس غرباء وليس لنا محل نأوي اليه فقال علي بن بكار افعل ماتريد ثم ان الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء اطيعوني وسيروا معي الى مكاني قال الجوهري فقلت له السمع والطاعة ثم ان الرجل خلع علينا شيأ من ثوابه والبسنا واعتذر لنا ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج اليه خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل امر باحضار بقجة فيها ثياب وشاشات فالبسنا حلتين واعطانا شاشين فتعمّمنا وجلسنا واذا بجارية اقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين ايدينا وقالت كلوا فاكلنا شيأ يسيرا ورفعت المائدة ثم اقمنا عنده الى ان دخل الليل فتأوّه علي بن بكار وقال للجوهري اعلم يا اخي انني هالك لامحالة واريد ان اوصيك بوصيّة وهو انني اذا رأيتني مت اذهب الى والدتي واخبرها واوصها ان تأتي الى هذا المكان لاجل ان تأخذ عزائي وتحضر غسلي واوصها ان تكون صابرة على فراقي ثم خرّ مغشيا عليه فلما افاق سمع جارية تغنّي من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغي

اليها ويسمع صوتها وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكي. وجدا وحزنا مما اصابه فسمع الجارية التي تغني تنشد هذه الابيات

عَجَّلَ ٱلْبَيْنُ بَيْنَنَا بِٱلْفِرَاقِ بَعْدَ إِلْفٍ وَجِيرَةٍ وَٱتِّفَاقِ
فَرَّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ ٱللَّيَالِي لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ ٱلتَّلَاقِي
مَا أَمَرَّ ٱلْفِرَاقَ بَعْدَ ٱجْتِمَاعٍ لَيْتَهُ مَا أَضَرَّ بِٱلْعُشَّاقِ
غُصَّةُ ٱلْمَوْتِ سَاعَةً ثُمَّ تَقْضِي وَفِرَاقُ ٱلْحَبِيبِ فِي ٱلْقَلْبِ بَاقِي
لَوْ وَجَدْنَا إِلَى ٱلْفِرَاقِ سَبِيلًا لَأَذَقْنَا ٱلْفِرَاقَ طَعْمَ ٱلْفِرَاقِ

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة فارقت روحه جسده قال الجوهري فلما رأيته مات اوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم انني ذاهب الى بغداد لاخبر امّه واقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم اني اتيت الى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيابي وبعد ذلك جئت الى دار علي بن بكار فلما رآني غلمانه اتوا اليّ وسألوني عنه وسألتهم ان يستأذنوا لي بالدخول على والدته فاذنت لي بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله مدبر الانفاس بامره واذا قضى امرا لا مفرّ من قضائه وماكان لنفس ان تموتَ الا باذن الله كتابا مؤجّلا فتوهمت ام علي بن بكار من هذا الكلام ان ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك ان تخبرني هل توفي ولدي فلم اقدر ان اردّ عليها جوابا من البكاء وكثرة الجزع فلما رأتني على تلك الحالة اختنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت ما كان من امر ولدي فقلت لها اعظم الله اجركِ فيه ثم اني حدثتها بما كان من امره من الابتداء الى الانتهاء فقالت هل اوصاك بشيء فقلت لها نعم وحكيت لها علي ما اوصاني به وقلت لها اسرعي في تجهيزه

فلما سمعت ام علي بن بكار كلامي سقطت مغشيا عليها. فلما افاقت عزمت على ما اوصيتها به ثم انّي ذهبت الى داري وصرت في الطريق اتفكر في حسن شبابه فبينما انا كذلك واذا بامرأة قد قبضت على يدي
و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال و اذا بامرأة قبضت على يدي فتأملتها واذا هي الجارية التي تأتي من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا حتى اتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر الفتى علي بن بكار فقالت لا والله فاخبرتها بخبره وما كان من امره ونحن نبكي ثم اني قلت لها وكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل امير المؤمنين فيها قول احد لشدة محبته لها وقد حمل جميع امورها على المحامل الحسنة وقال الخليفة لها يا شمس النهار انت عندي عزيزة وانا اتحملك على رغم اعدائك ثم امر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك في عيش رغيد وقبول عظيم فاتفق انه جلس يوما من الايام على جري عادته للشرب وحضرت المحاظي بين يديه فاجلسهن في مراتبهن واجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها و زاد امرها فعند ذلك امر جارية من الجواري ان تغنى فاخذت العود واصلحته و جسّته و ضربت به ثم انشدت تقول شعر

وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْهَوَى فَأَجَبْتُهُ وَدَمْعِي يَخُطُّ الْوَجْدَ خَطًّا عَلَى خَدِّي
كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تُخْبِرُ حَالَنَا فَتُبْدِي الَّذِي أُخْفِي وَتُخْفِي الَّذِي أُبْدِي

فَكَيْفَ أَرُومُ السِّرَّ أَوْ أَكْتُمُ الْهَوَى   وَفَرْطُ غَرَامِي فِيكَ يُظْهِرُ مَا عِنْدِي
وَقَدْ طَابَ مَوْتِي عِنْدَ فَقْدِ أَحِبَّتِي   فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَطِيبُ لَهُمْ بَعْدِي

فلما سمعت شمس النهار انشاد الشعر من الجارية لم تستطع الجلوس وسقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجّت الجواري وقلّبها امير المؤمنين وحرّكها فاذا هي ميتة فحزن امير المؤمنين لموتها حزنا شديدا وامر بتكسير كل ما كان في المجلس من الاواني والعيدان وآلات الملاهي والطرب وحملها في حجرة بعد موتها ومكث عندها باقي ليلته فلما طلع النهار جهزها وامر بغسلها وتكفينها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذي كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهري سألتك بالله الا ما اعلمتني يوم وصول جنازة علي بن بكار لاجل ان احضر دفنه فقال لها امّا انا ففي ايّ محل شئت تجديني واما انت ففي ايّ محل اجدك ومن يستطيع الوصول اليك في المحل الذي انت فيه فقالت له ان امير المؤمنين لما ماتت شمس النهار اعتق جواريها من يوم موتها وانا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها في المحل الفلاني فقمت معها واتيت الى قبرها وزرت شمس النهار ومضيت الى حالي ولم ازل انتظر جنازة علي بن بكار الى ان جاءت فخرجت له اهل بغداد وخرجتُ معهم فوجدت الجارية بين النساء وهي اشدهن حزنا ولم يتفق في بغداد جنازة اعظم منها ولم نزل في ازدحام عظيم حتى انتهينا الى المقبرة ودفناه الى رحمة الله تعالى وصرت لا انقطع عن زيارة قبره وقبر شمس النهار فهذا ما كان من حديثهما رحمهما الله تعالى   وليس هذا باعجب من حديث الملك شهرمان

قال لها الملك وكيف كان ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك يسمّى الملك شهرمان وكان صاحب عسكر عظيم وخدم واعوان الا انه كان قد كبر سنه ورقّ عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكى ذلك لبعض وزرائه وقال اني اخاف اذا مت ضاع الملك لانّي لم اجد من يتولّاه بعدي من ولدي فقال له ذلك الوزير لعلّ الله يحدث بعد ذلك امرا فتوكل على الله ايها الملك وابتهل اليه فقام الملك وتوضأ وصلى ركعتين ودعى الله تعالى بنية صادقة ودعا زوجته للفراش وجامعها في ذلك الوقت فعلقت منه بقدرة الله تعالى فلمّا كملت اشهرها وضعت ولدا ذكرا كانه البدر ليلة تمامه فسمّاه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح ونادى بالزيّنة فزينت المدينة سبعة ايام ودقت الطبول واقبلت البشائر ورتّبت له المراضع والدايات وتربّى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا فى الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان ابوه يحبّه ولا يقدر ان يفارقه ليلا ولا نهارا فشكى ابوه لبعض وزرائه زيادة حبّه له وقال ايها الوزير اني خائف على ولدي قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان واريد ان ازوّجه في حيوتي فقال له الوزير اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق والصواب ان تزوج ولدك في حيوتك قبل ان تسلطنه فعند ذلك قال الملك شهرمان عليّ بولدي قمر الزمان فحضر واطرق برأسه الى

الارض حياء من ابيه فقال له ابوه يا قمر الزمان اني اريد ان ازوجك وافرح بك في حيوتي فقال له يا ابي اعلم ان مالي في الزواج رغبة ونفسي لاتميل الى النساء لاني وجدت في مكرهن وغدرهن كتبا وكلاما كثيرا كما قال الشاعر

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْقَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

وقال الآخر

إِعْصِ النِّسَاءَ فَتِلْكَ الطَّاعَةُ الْحَسَنَهْ فَلَنْ يَفُوزَ فَتًى يُعْطِي النِّسَا رَسَنَهْ
يَعُقْنَهُ عَنْ كَمَالٍ فِي فَضَائِلِهِ وَلَوْ سَعَى طَالِبًا لِلْعِلْمِ أَلْفَ سَنَهْ

ولما فرغ من شعره قال يا ابي ان الزواج شي لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتم لذلك غمّا شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتمّ على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له فيما اشار عليه به من امر الزواج ومن شدة محبّته له لم يرض ان يكرر عليه هذا الكلام ولم يغضبه بل اقبل عليه واكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان كل يوم يزداد حسنا وجمالا وظرفا ودلا فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة فوجده قد كمل بالفصاحة

و الملاحة و تهتكت في حسنه الورى و يروى لطفه كل نسيم سبوي
و صار فتنة في الجمال للعشاق و روضة في الكمال للمشتاق عذب
الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف و دلال
كانه غصن بان او قضيب خيزران ينوب خده عن الورد و شقائق
النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

بَدَا فَقَالُوا تَبَارَكَ اللّٰهُ ... جَلَّ الَّذِي صَاغَهُ وَسَوَّاهُ
مَلِيكُ كُلِّ المِلَاحِ قَاطِبَةً ... فَكُلُّهُمْ أَصْبَحُوا رَعَايَاهُ
فِي رِيقِهِ شَهْدَةٌ مُذَوَّبَةٌ ... وَالعَقَدُ الدُّرُّ فِي ثَنَايَاهُ
مُكَمَّلًا بِالجَمَالِ مُنْفَرِدًا ... كُلُّ الوَرَى فِي جَمَالِهِ تَاهُوا
قَدْ كَتَبَ الحُسْنُ فَوْقَ وَجْنَتِهِ ... أَشْهَدُ أَنْ لَا مَلِيحَ إِلَّا هُوْ

فلمّا تكاملت سنة اخرى لقمر الزمان دعاه والده اليه و قال له يا ولدي
اما تسمع مني فوقع قمر الزمان على الارض بين يدي والده هيبة
واستحى منه و قال له يا ابت كيف لا اسمع منك وقد امرني الله بطاعتك
و ان لا اعصيك فقال له الملك شهرمان يا ولدي اعلم اني اريد ان
ازوجك وافرح بك في حيوتي واسلطنك في مملكتي قبل مماتي فلما
سمع من ابيه ذلك اطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ابت هذا
شيء لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى وانا اعلم يقينا ان الله تعالى
فرض عليّ طاعتك فبالله عليك لا تكلفني في امر الزواج و لا تظن اني
انزوج طول عمري لانني قرأت كتبا للمتقدّمين و المتأخرين واطّلعت
على ما وقع لهم من النساء من الفتن والآفات و مكرهن غير المتناهي
وما يحدث عنهن من الدواهي و ما احسن قول الشاعر

مَنْ كَادَهُ العَاهِرَاتُ ... فَلَا يَرَى مِنْ خَلَاصِ

وَلَو بَنَى أَلْفَ حِصْنٍ مُشَيَّدَةً بِالرَّصَاصِ
فَلَيْسَ يُجْدِي بِنَاهَا وَلَا تُفِيدُ الصَّيَاصِي
إِنَّ النِّسَاءَ خَائِنَاتٌ لِكُلِّ دَانٍ وَقَاصِ
مُخَضَّبَاتٌ بَنَانٍ مُظَفَّرَاتٌ عِقَاصِ
مُكَحَّلَاتٌ جُفُونٍ مُجَرِّعَاتٌ غُصَاصِ

و ما احسن قول الآخر

إِنَّ النِّسَاءَ وَإِنْ دُعِينَ لِعِفَّةٍ رِمَمٌ تُقَلِّبُهَا النُّسُورُ الْحُوَّمُ
فِي اللَّيْلِ عِنْدَكَ سِرُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لِغَيْرِكَ سَاقُهَا وَالْمِعْصَمُ
كَالْخَانِ تَسْكُنُهُ وَتُصْبِحُ رَاحِلًا فَيَحِلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام و فهم الشعر والنظام لم يردّ عليه جوابا من فرط محبته له و زاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض المجلس دعا الملك بوزيره واختلي به وقال له ايها الوزير اخبرني ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك طلب وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير قل لي ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج فاني استشرتك في زواجه فانت الذي اشرت عليّ بزواجه قبل ان اسلطنه فذكرت له الزواج مرارا فخالفني فاشر عليّ الانَ ايها الوزير ما الذي افعله فقال له الوزير ايها الملك اصبر عليه سنة اخرى فاذا اردت ان تكلمه بعدها في هذا الامر فلا تكلمه سرّا وانما كلّمه في يوم

حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفون فاذا اجتمع هؤلاء فارسل حينئذ خلف ولدك قمر الزمان في تلك الساعة واحضره فاذا حضر فقل له على امر الزواج بحضرة الوزراء وارباب الدولة واصحاب الصولة فانه لابد يستحي منهم ولا يقدر ان يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأيه في ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مرت عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين سنة والبسه الله حلة الجمال وتوجه بتاج الكمال فصار طرفه اسحر من هاروت وغنج الحاظه اضل من الطاغوت واشرقت خدوده بالاحمرار وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كانه الليل العاكر وخصره ارق من خيط هميان وردفه اثقل من الكثبان تهيج البلابل على اعطافه ويشتكي خصره من ثقل اردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء هذه الابيات

قَسَمًا بِوَجْنَتِهِ وَبَاسِمِ ثَغْرِهِ ... وَبِأَسْهُمٍ قَدْ رَاشَهَا مِنْ سِحْرِهِ
وَبِلِينِ عِطْفِهِ وَمُرْهِفِ لَحْظِهِ ... وَبِيَاضِ غُرَّتِهِ وَأَسْوَدِ شَعْرِهِ
وَبِحَاجِبٍ حَجَبَ الكَرَى عَنْ نَاظِرِي ... وَسَطَا عَلَيَّ بِنَهْيِهِ وَبِأَمْرِهِ
وَعَقَارِبٍ قَدْ أَرْسَلَتْ مِنْ صُدْغِهِ ... وَسَعَتْ لِقَتْلِ العَاشِقِينَ بِهَجْرِهِ
وَبِوَرْدِ خَدَّيْهِ وَآسِ عِذَارِهِ ... وَعَقِيقِ مَبْسَمِهِ وَلُؤْلُؤِ ثَغْرِهِ
وَبِطِيبِ نَكْهَتِهِ وَسَلْسَالٍ جَرَى ... فِي فِيهِ يَزْرِي بِالرَّحِيقِ وَخَمْرِهِ
وَبِرِدْفِهِ المُرْتَجِّ فِي حَرَكَاتِهِ ... وَسُكُونِهِ وَبِرِقَّةٍ فِي خَصْرِهِ
وَبِجُودِ رَاحَتِهِ وَصِدْقِ لِسَانِهِ ... وَبِطِيبِ عُنْصُرِهِ وَعَالِي قَدْرِهِ

مَا الْمِسْكُ إِلَّا مِنْ فُضَالَةِ خَالِهِ ۞ وَالطِّيبُ يَرْوِي رِيحَهُ عَنْ نَشْرِهِ
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ دُونَهُ ۞ وَارَى الْهِلَالَ قُلَامَةً مِنْ ظُفْرِهِ

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وجاء يوم حكومة وتكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصولة ثم انه ارسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبّل الارض بين يدي ابيه ثلث مرات ووقف مكتّفا يديه وراء ظهره قدام ابيه فقال له ابوه اعلم يا ولدي اني ما ارسلت اليك وما احضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع اهل الدولة حاضرون بين ايدينا الّا لاجل ان آمرك بامر فلا تخالفني فيه وذلك ان تتزوج لاني اشتهي ان ازوجك بابنة ملك من الملوك وافرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من ابيه ذلك اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى ابيه وقد لحقه في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له اما انا فلا اتزوج ابدا ولو سقيت كؤس الردى واما انت فرجل كبير السنّ صغير العقل أليس انك سألتني قبل هذا اليوم مرّتين غير هذه المرة في شان الزواج وانا لا اجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فكّ كتاف يديه وشمّر عن ذراعيه قدام ابيه وهو في غيظه وتكلم مع ابيه بكلام كثير وانزعج خاطره فخجل ابوه و استحى

لانه حصل ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين في الموسم ثم ان
الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فارعبه وصرخ
على المماليك الذين قدّامه وقال لهم امسكوه فتسابقت اليه المماليك
فمسكوه واحضروه قدامه فامرهم ان يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدى الملك
وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلّل جبينه ووجهه بالعرق
واشتدّ به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه ابوه وسبّه وقال له ويلك
ياولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري
وجيوشي ولكن انت الى الآن ما ادّبك احد وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر
الزمان كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن انت
الى الآن ما ادّبك احد اما تعلم ان هذا الامر الذي صدر منك
لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك
امر المماليك ان يحلّوا كتافه ويحبسوه في برج من ابراج القلعة فعند
ذلك اخذوه ودخلوا به الى برج عتيق فيه قاعة خربة وفي وسط
القاعة بئر خربة عتيقة فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا لقمر الزمان
فيها سريرا وفرشوا له على السرير طرّاحة ونطعا ووضعوا له مخدّة واتوا له
بفانوس كبير وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما في النهار ثم ان
المماليك ادخلوا قمر الزمان في ذلك المكان وجعلوا على باب القاعة
خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر
الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ماجرى منه في حق

والده حيث لا ينفعه الندم وقال لعن الله الزواج و البنات و النساء الخائنات فيا ليتني سمعت من والدي وتزوجت فلو فعلت ذلك كان احسن لي من هذا السجن هذا ما كان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر ابيه فانه اقام على كرسيّ مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير فقال له اعلم ايها الوزير انك كنت السبب في هذا الذي جرى بيني وبين ولدي كله حيث اشرت عليّ بما اشرت فما الذي تشير به عليّ ان افعله الآن فقال له الوزير ايها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضرهُ بين يديك وأمرهُ بالزواج فانه لا يخالفك ابدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا فقبل الملك رأي الوزير في ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبّه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئ له نوم الا اذا وضع ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك الليلة متشوش الخاطر من اجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كانّه نائم على جمر الغضاة ولحقه الوسواس ولم ياخذه نوم في تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وانشد يقول شعر

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالْوُشَاةُ هُجُوعُ ... وَنَاهِيكَ قَلْبًا بِالْفِرَاقِ مَرُوعُ
أَقُولُ وَلَيْلِي زَادَ بِالْهَمِّ طُولُهُ ... أَمَا لَكَ يَا ضَوْءَ الصَّبَاحِ رُجُوعُ

و قول الآخر

لَمَّا رَأَيْتُ النَّجْمَ سَاهٍ طَرْفُهُ ... وَالقُطْبَ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ سُبَاتَا
وَبَنَاتَ نَعْشٍ فِي الحِدَادِ سَوَافِرًا ... أَيْقَنْتُ أَنَّ صَبَاحَهُمْ قَدْ مَاتَا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر قمر الزمان فانه لما دخل عليه الليل قدم له الخادم الفانوس واوقد له شمعة وجعلها في شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فاكل قليلا وصار قمر الزمان يعاتب نفسه على الذي اساء الادب في حق ابيه وقال لنفسه يا نفسي الم تعلمي ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمي هو الذي يوقعه في المهالك ثم ذرفت عيناه بالدموع وبكى على ما كان صدر منه من فؤاد موجوع وقلب مصدوع وندم على ما وقع منه في حق ابيه غاية الندم وانشد يقول

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ ... وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ ... وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرِي عَلَى مَهْلِ

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب ان يغسل يديه فغسل له المملوك يديه من الطعام ثم قام وتوضأ وصلّى المغرب والعشاء وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما صلّى المغرب والعشاء جلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويا سين والرحمن وتبارك الملك والاخلاص والمعوّذتين وختم بالدعاء وتحصّن واستعاذ بالله ونام على السرير

فوق طرّاحة من الاطلس المعدني لهـــا وجهان و هي محشوّة بالعزّ
العرا قي و تحت رأسه مخـــدّة محشـــوة بريش النعام وحين اراد
النوم تجرّد من ثيـــابه وخلع لباسه ونام في قميص مشمـــع رفيع
وكان على رأسه مقنع مروزي ازرق فصار قمر الزمان تلك الساعة
في هذه الليلة كانه البدر اذا بدر ليلة اربعة عشر ثم تغطّى بملاءة
من حرير ونام والفانوس موقود تحت رجليه والشمعة موقودة فوق
رأســه ولم يزل نائما الى ثلث الليـــل الاول ولم يعلم ماخبئ له
في الغيب و ما قدّره عليه علّام الغيب وكان بالامر المقدّر و القضاء
المحتم ان هذا البرج و هذه القاعة كانا عتيقين مهجورين من مدة
سنين وكانت في تلك القاعة بئر روماني معمورة بجنيّة ساكنة فيها
وهي من ذريّة ابليس اللعين واسمها ميمونة ابنة الدمرياط احد
ملوك الجان المشهـــورين وادرك شهرزاد الصبـــــاح فسكتت
عن الكلام المـــــــــبــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسم تلك الجنيّة ميمونة ابنة الدمرياط
احد ملوك الجان المشهورين فلما استمرّ قمر الزمان نائما الى ثلث الليل
الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق
السمع فلما صارت في اعلى البئر رأت نورا يشتعل في البرج على خلاف
العادة وكانت تلك العفريتة مقيمـــة في ذلك المكان مدة مديدة من
السنين فقالت في نفسها انا ما عهدت هنا شيأ من ذلك فلما رأت النور
تعجبت من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها انه لابدّ لذلك من سبب
ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلت اليها فوجدت

الخادم نائما على باب القاعة ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة موقودة عند رأسه وفانوس موقود عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدّمت اليه قليلا قليلا وارخت اجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان ونظرت اليه فبهتت في حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة فصار وجهه يتلألأ نورا وتغازلت من النوم عيناه واسودّت مقلتاه واحمرّ خدّاه وفترجفناه وتقوّس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قَبَّلْتُهُ فَاسْوَدَّتِ الْمُقَلُ الَّتِي ... هِيَ فِتْنَتِي وَاحْمَرَّتِ الْوَجَنَاتُ
يَا قَلْبُ إِنْ زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّهُ ... فِي الْحُسْنِ يُوجَدُ مِثْلُهُ قُلْ هَاتُوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبّحت اللّه وقالت تبارك الله احسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرّت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتُوحّد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت في نفسها والله اني لم اضرّه ولم اترك احدا يؤذيه ومن كل سوء افديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الّا النظر اليه والتسبيح عليه ولكن كيف هان على اهله حتى انهم حطّوه فى هذا المكان الخراب فلو طلع له احد من مَرَدَتِنا في هذه الساعة لعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبّلته بين عينيه وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطّته بها وفتحت اجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة ولم تزل طائرة فى الهواء وصاعدة فى الجوّ الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة فى الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فدنت منها فوجدته عفريتا يقال له

دهنش فانقضّت عليه انقضاض الباشق فلما احسّ بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه فاستجار بها وقال لها اقسم عليك بالاسم الاعظم المكرم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان ان ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حنّ قلبها عليه وقالت له لقد اقسمت عليّ يا ملعون بقسم عظيم ولكن لا اعتقك حتى تخبرني من اين مجيئك في هذه الساعة فقال لها ايها السيدة اعلمي ان مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر واخبرك باعجوبة رأيتها في هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني اروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك وثيقة اني عتيقك حتى لا يعارضني احد من ارهاط الجن الطيّارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذي رأيته في هذه الليلة يا كذّاب يا ملعون فاخبرني ولا تكذب عليّ وتريد ان تنفلت مني بكذبك وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فصّ خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا لنتفت ريشك بيدي ومزّقت جلدك وكسّرت عظمك فقال لها العفريت دهنش ابن شمهورش الطيّار رضيت يا سيدتي بهذا الشرط وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان دهنشا قال لميمونة رضيت يا سيدتي بهذا الشرط ثم قال اعلمي يا سيدتي اني قد خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق

الله في زمانها احسن منها واني لم اقدر اصفها لك فان لساني يعجز من وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيأً من صفاتها على سبيل التقريب اما شعرها فكليالي الهجر والانفصال واما وجهها فكايام الوصال وقد احسن في وصفها من قال

نَشَرَتْ ثَلٰثَ ذَوائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

ولها انف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خدّ كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها اشهى من الرحيق يطفئ ملاته عذاب الحريق ولسانها يحرّكه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسوّاه ومتصل به عضدان مدملجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وَزَنْدَانِ لَوْ لَا أَمْسَكَا بِأَسَاوِرٍ لَسَالَ مِنَ الْأَكْمَامِ سَيْلَ الْجَدَاوِلِ

ولها نهدان كانهما من العاج حقّان يستمدّ من اشراقهما القمران ولها بطن باعكان مطويّة كطيّ القباطي المصرية المدبجة بطيّات كالقراطيس المدرجة وينتهي ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا ارادت القيام ويوقظها اذا ارادت المنام كما قال فيها الشاعر واجاد

لَهَا كَفَلٌ تَعَلَّقَ فِي ضَعِيفٍ وَذَاكَ الرِّدْفُ لِي وَلَهَا ظَلُومُ
فَيُوقِفُنِي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ وَيُقْعِدُهَا إِذَا هَمَّتْ تَقُومُ

ويحمل ذلك الكفل فخذان مدملجان وساقان كانهما من الدرّ عمودان ويحمل ذلك كله قدمان لطيفان محدّدان مثل حدّ السنان صنعة

السهيمي الدرّاني فعجبت لصغرهما كيف يحملان ما فوقهما وقد اختصرت في وصفها خوف الاطالة فتركته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنشا بن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وقد اختصرت في وصفها خوف الاطالة فلما سمعت ميمونة وصف تلك الصبية وحسنها وجمالها تعجّبت فقال لها دهنش وان ابا تلك الصبية ملك جبّار فارس كرّار خوّاض المَعامع في الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر واقاليم وجزائر ومُدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه الصبية التي وصفتها لك حبّاً شديدا ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلّور والثاني من الرخام والثالث من الحديد الصيني والقصر الرابع من المعادن والجواهر والقصر الخامس من الخزف والجزع الملوّن والفصوص والقصر السادس من الفضة والقصر السابع من الذهب وملأ السبعة قصور من انواع الفرش الفاخر من الحرير واواني الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ما تحتاج اليه الملوك وامر ابنته ان تسكن في كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع في البلاد ذكرها ارسل سائر الملوك الى ابيها يخطبونها منه فشاورها وراودها في امر الزواج فكرهت ذلك

و قالت لابيها يا والدي ليس لي غرض في الزواج ابدا فاني سيدة وحاكمة وملكة احكم على الناس ولا اريد رجلا يحكم عليّ وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطّاب فيها فعند ذلك ارسلت جميع ملوك جزائر الصين الجوّانية لابيها الهدايا والتحف وكاتبوه في امر زواجها فكرر عليها ابوها المشاورة في امر الزواج مرارا عديدة فخالفته وسفهت عليه وغضبت منه وقالت له يا ابي ان ذكرت لي الزواج مرة اخرى دخلت البيت واخذت السيف وغرزت قائمه في الارض وادخلت ذبابته في بطني واتكئ عليه حتى يطلع من ظهري و اقتل نفسي فلما سمع ابوها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشي ان تقتل نفسها وحار في امرها وفي امر الملوك الذين خطبوها فقال لها ان كان ولا بد من عدم زواجك فامتنعي من الدخول والخروج ثم ان اباها ادخلها البيت وحجبها فيه و رسم عليها عشرة عجائز قهرمانات ومنعها من ان تظهر الى السبع قصور واظهر انه غضبان عليها وارسل كاتب الملوك جميعهم واعلمهم انها اصيبت بجنون في عقلها ولها الآن سنة وهي محجوبة ثم ان العفريت دهنش قال للعفريتة ميمونة وانا اروح اليها يا سيدتي في كل ليلة فانظرها وانملّى بوجهها واقبّلها وهي نائمة بين عينيها ومن محبتي فيها لا اضرّها ولا اوذيها ولا اركبها لان شبابها مليح وجمالها بارع كل من رآها يغار عليها من نفسه واقسمت عليك يا سيدتي ان ترجعي معي و تنظري حسنها وجمالها وقدّها واعتدالها وبعد هذا ان شئت ان تعاقبيني اوتأسريني فافعلي فان الامر امرك والنهي نهيك ثم ان العفريت دهنشا اطرق برأسه الى الارض وخفض اجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه

وبصقت في وجهه ايش هذه البنت التي تقول عنها فما هي الا قوارة البول انوه انوه والله اني حسبت ان معك امرا عجيبا اوخبرا غريبا يا ملعون فكيف لو رأيت معشوقي الي رأيت انسانا في هذه الليلة لورأيته ولو في المنام لا نفلجت عليه وسالت ريالنك فقال لها دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التي ذكرتها وامره ابوه بالزواج مرارا عديدة فلبى فلما خالف اباه غضب عليه وسجنه في البرج الذي انا ساكنة فيه فطلعت في هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتي اريني هذا الغلام لانظر هل هو احسن من معشوقتي الملكة بدور ام لا لاني ما اظن ان يوجد في هذا الزمان مثل معشوقتي فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون يا انحس المردة واحقر الشياطين فانا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش انا اتحقق انه لايوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار فهل انت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقي فقال لها بالله عليك يا سيدتي امضي معي وانظري معشوقتي وارجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لانك شيطان مكّار ولكن لا اجيء معك ولا تجيء انت معي الّا ان يكون برهن وشرط وهو انه ان طلعت معشوقتك التي انت تحبها وتتغالى فيها احسن من معشوقي الذي ذكرته واحبه واتغالى فيه فان ذلك الرهن والشرط

يكون لك عليّ وان طلع معشوقي احسن فان ذلك الرهن يكون لي عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتي قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالي معي الى الجزائر فقالت له ميمونة لا لانّ موضع معشوقي اقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانحدر معي لتنظر معشوقي ونروح بعد ذلك الى معشوقتك فقال لها دهنش السمع والطاعة ثم انحدرا الى اسفل فنزلا في دور القاعة التي في البرج واوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدّت يدها وشالت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجهه ولمع واشرق وزهى فنظرت ميمونة اليه والتفتت من وقتها وساعتها الى دهنش وقالت له انظر يا ملعون ولا تكن اقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك نظر اليه دهنش واستمرّ بتأمّل فيه ساعة ثم حرّك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتي انك معذورة ولكن بقي عليك شيءٌ آخر وهو ان حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقك هذا اشبه الخلق بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كانهما قد افرغا في قالب الجمال سواء فلمـــا سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت ان تقضي عليه من شدّتها وقالت له قسما بنور وجه جلاله ان تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبّها وتأتي بها مسرعا الى هذا المكان حتى نجمع بين الاثنين ونظر فيهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما سواء فيظهر لنا ايّهما املح واحسن من صاحبه وان لم تفعل ما امرتك به في هذه الساعة يا ملعون احرقتك بناري ورميت عليك شراري ومزّقتك قطعا قطعا وارميك في البراري واجعلك عبرة للمقيم والساري فقال لهـــا دهنش ياسيدتي لكِ

علي ذلك و انا اعرف ان محبوبتي املح واحلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من اجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم اقبل الاثنان بعد ذلك و هما حاملان تلك الصبية و عليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ورأس الكمين مكتوب عليه هذه الابيات شعر

ثَلَاثَةٌ مَنَعَتْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا ... خَوْفُ الرَّقِيبِ وَخَوْفُ الحَاسِدِ الْحَنِقِ
ضَوْءُ الجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الحُلِيِّ وَمَا ... حَوَتْ مَعَا طِفُهَا مِنْ عَنْبَرٍ عَبِقِ
هَبِ الْجَبِينَ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتُرُهُ ... وَالْحَلْيُ تَنْزِعُهُ مَا حِيلَةُ الْعَرَقِ

ولم يزل دهنش وميمونة حاملين تلك الصبية حتى وضعاها و مدداها بجانب الغلام قمرالزمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة

قلت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش والعفريتة ميمونة لم يزالا حاملين الملكة بدور حتى نزلا و مدداها بجانب قمر الزمان على السرير وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا اشبه الناس ببعضهما فكانهما توأمان اواخوان منفردان و هما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

يَا قَلْبُ لَا تَعْشَقْ مَلِيحًا وَاحِدًا ... تَخْتَارُ فِيهِ تَذَلُّلًا وَ تَذَلُّلَا
وَاهْوِ الْمِلَاحَ جَمِيعَهُمْ تَلْقَاهُمُ ... إِنْ صَدَّ هٰذَا كَانَ هٰذَا مُقْبِلَا

وقال الآخر

رَأَيْتُ بِعَيْنِي نَائِمَيْنِ عَلَى الثَّرَى ... وَدِدْتُهُمَا لَوْ يَرْقُدَانِ عَلَى جَفْنِي

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش والله طيب يا سيدتي ان محبوبتي احسن فقالت له ميمونة بل معشوقي احسن [illegible] دهنش انت اعمى العين والقلب ما تفرق بين الغث والسمين هل تخفي الحق اما تنظر الى حسنه وجماله وقده واعتداله ويلك اسمع ما اقوله في محبوبي وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما اقول في معشوقي ثم ان ميمونة قبلت قمر الزمان بين عينيه قبلاً عديدة وانشدت تقول هذه القصيـــــــــــــــــــــدة

مَالِيْ وَلِلاَّحِي عَلَيْكَ يُعَنِّفُ … كَيْفَ السُّلُوُّ وَاَنْتَ غُصْنٌ اَهْيَفُ
لَكَ مُقْلَةٌ كَحْلَاءُ تَنْفُثُ سِحْرَهَا … مَا لِلْهَوَى الْعُذْرِيِّ مِنْهَا مَصْرِف
تُرْكِيَّةُ الْاَلْحَاظِ تَفْعَلُ بِالْحَشَا … مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ الصَّقِيلُ الْمُرْهَفُ
حَمَّلْتَنِي ثِقْلَ الْغَرَامِ وَاِنَّنِي … بِالْعَجْزِ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَاَضْعَفُ
وَجْدِي عَلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ وَلَوْعَتِي … طَبْعٌ وَعِشْقِي فِي سِوَاكَ تَكَلُّفُ
لَوْاَنَّ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِكَ لَمْ اَبِتْ … وَالْجِسْمُ مِنِّي مِثْلَ خَصْرِكَ مُنْحَفُ
وَيْلَاهُ مِنْ قَمَرٍ بِكُلِّ مَلَاحَةٍ … بَيْنَ الْاَنَامِ وَكُلِّ حُسْنٍ يُوصَفُ
قَالَ الْعَوَاذِلُ فِي الْهَوَى مَنْ ذَا الَّذِي … اَنْتَ الْكَئِيبُ بِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ صِفُوا
يَا قَلْبَهُ الْقَاسِي تَعَلَّمْ عِطْفَةً … مِنْ قَدِّهِ فَعَسَى يَرِقُّ وَيَعْطِفُ
لَكَ يَا اَمِيرِي فِي الْمَلَاحَةِ نَاظِرٌ … يَسْطُو عَلَيَّ وَحَاجِبٌ لَا يَنْصِفُ
كَذَبَ الَّذِي ظَنَّ الْمَلَاحَةَ كُلَّهَا … فِي يُوسُفٍ كَمْ فِي جَمَالِكَ يُوسُفُ
اَلْجِنُّ يَخْشَانِي اِذَا قَابَلْتُهَا … وَاَنَا اِذَا اَلْقَاكَ قَلْبِي يَرْجُفُ
اَتَكَلَّفُ الْاِعْرَاضَ عَنْكَ مَهَابَةً … وَاِلَيْكَ اَصْبُو جَهْدَ مَا اَتَكَلَّفُ
وَالشَّعْرُ اَسْوَدُ وَالْجَبِينُ مُشَعْشَعٌ … وَالطَّرْفُ اَحْوَرُ وَالْقَوَامُ مُهَفْهَفُ

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش لما سمع شعر ميمونة اهتزّ من شدة الطرب وقال انك انشدت فيمن تعشقينه واحسنت في وصفه وانا الآخر لابد لي ابذل الجهدَ على قدر طاقتي واقول في محبوبتي شيأً ثم ان دهنش قام الى الصبية بدور وقبّلها بين عينيها ونظر الى ميمونة والى معشوقته بدور وانشد يقول هذه القصيدة وهو بلا شعور

لَامُوا عَلَى حُبِّ الْمَلِيحِ وَعَنَّفُوا ... مَا انْصَفُوا مِنْ جَهْلِهِمْ مَا انْصَفُوا
تَجُودِي بِوَصْلِكِ لِلْمُتَيَّمِ انَّهُ ... اِنْ ذَاقَ هَجْرَكِ بِالتَّخَلُّفِ يَتْلَفُ
وَلَقَدْ بُلِيتُ صَبَابَةً بِمَدَامِعِي ... تَحْكِي الدِّمَا مِنْ جَفْنِ عَيْنِي تَذْرِفُ
لَيْسَ الْعَجِيبُ بِمَا الَاقِي فِي الْهَوَى ... وَعَجِبْتُ جِسْمِي بَعْدَ بُعْدِكِ يَعْرِفُ
حَرُمَتْ وَصْلُكِ اِنْ هَمَمْتُ بِرِيبَةٍ ... اَوْ مَلَّ قَلْبِي الْحُبَّ اَوْ يَتَكَلَّفُ

وقول الآخر

اَقْوَتْ مَعَاهِدُهُمْ بِشَطِّ الْوَادِي ... فَبَقِيتُ مَقْتُولًا وَشَطَّ الْوَادِي
وَسَكِرْتُ مِنْ خَمْرِ الْغَرَامِ وَرَقَصَتْ ... عَيْنُ الدُّمُوعِ عَلَى غِنَاءِ الْحَادِي
اَسْعَى لِاَسْعَدَ بِالْوِصَالِ وَحَقَّ لِي ... اِنَّ السَّعَادَةَ فِي بُدُورِ سُعَادِ
لَمْ اَدْرِ مِنْ اَيِّ الثَّلَاثَةِ اَشْتَكِي ... وَلَقَدْ عَدَدْتُ فَاَصْغِ لِلْاِعْدَادِ
مِنْ لَحْظِهَا السَّيَّافِ اَمْ مِنْ قَدِّهَا الرَّمَّاحِ اَمْ مِنْ صُدْغِهَا الزَّرَّادِ

قَالَتْ وَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْهَا كُلَّ مَنْ لَاقَيْتُهُ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي
أَيْنَ الَّذِي فُؤَادِكَ فَارْمِ طَرْفَكَ نَحْوَهُ تَرَنِي فَقُلْتُ لَهَا وَأَيْنَ فُؤَادِي

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الشعر قالت له احسنت يادهنش ولكن اي هذين الاثنين احسن فقال لها محبوبتي بدور احسن من محبوبك فقالت له ميمونة كذبت يا ملعون بل محبوبي احسن من معشوقتك فقال دهنش معشوقتي احسن ثم انهما لم يزالا يعارضان مع بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وارادت ان تبطش به فذل لها ورقق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فابطلي قولك و قولي فان كلاً منا يشهد لمعشوقه انه احسن فيعرض كل واحد منا عن كلامه و نطلب من يفصل الحكم بيننا و نعتمد على ما يقوله فقالت له ميمونة رضيت بذلك ثم دقت بكفها الارض فطلع منها عفريت اعور احدب اجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله اربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى كعبيه ويداه مثل المداري ورجلاه مثل الصواري وله اظفار مثل اظفار الاسد وحوافر مثل حوافر الحمار الوحشي فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الارض بين يديها و وقف مكتفا وقال لها ما حاجتك ايها السيدة يا بنت الملك فقالت له ياقشقش اني اريد ان تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش ثم انها حكت له على القصة من اولها الى آخرها فعند ذلك نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبي و وجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان و معصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما في الحسن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان فنظر المارد قشقش اليهما و تعجب من حسنهما

و جما لهما و التفت الى ميمونة و دهنش بعد ان اطال الى الصبي والصبية الالتفات وانشد يقول هذه الابيات

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ مَقَالَةَ حَاسِدٍ ... لَيْسَ الْحَسُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَنْ يَخْلُقَ الرَّحْمٰنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَى ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... فَهُوَ الْمُرَادُ وَعِشْ بِذَاكَ الْوَاحِدِ
وَإِذَا تَأَلَّفَتِ الْقُلُوبُ عَلَى الْهَوَى ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى ... هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ
يَا رَبِّ يَا رَحْمٰنُ تَجْمَعُ بَيْنَنَا ... قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ

ثم ان العفريت قشقش التفت الى ميمونة و دهنش وقال لهما والله ان اردتما الحق فاني اقول ان الاثنين سواء في الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما بالتذكير والتانيث وعندي رأي آخرُ وهو اننا ننبّه احد هما من غير عِلْم الثاني فكل من التهب على رفيقه فهو دونه في الحسن و الجمال فقالت ميمونة هذا الرأي هو الصواب وقال دهنش رضيت بذلك فعند ذلك انقلب دهنش في صورة برغوث وقرص قمر الزمان فوثب من منامه مرعوبا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان دهنشا انقلب في صورة برغوث و قرص قمر الزمان فوثب من منامه مرعوبا و هرش موضع القرصة في رقبته من شدة ما احرقته فتحرك بجنبه فوجد شيأً نائما

بجنبه ونفسه ازكى من المسك الاذفر وجسمه الين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب وقام وجلس على حيله ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة السنية او القبة المبنية بقامة الفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها الشاعر

أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعْنَ قَطُّ سِوَى ... عَلَى أَذَى مُهْجَتِي وَسَفْكِ دَمِي
ضَوْءُ جَبِينٍ وَلَيْلُ سَالِفَةٍ ... وَوَرْدُ خَدٍّ وَضَوْءُ مُبْتَسَمٍ

وقول الآخر

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ غُصْنَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالَا
كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ... فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالَا

فلما راى قمر الزمان الست بدور بنت الملك الغيور و رأى حسنها وجما لها وهي نائمه بجانبه ورأى عليها قميصا بندقيا وهي بلا سروال وفوق راسها كوفية مطرزة بالذهب مرصعة بالجواهر وفي اذنيها زوج حلق يضيء مثل الكوكب وفي عنقها عقد من الدر اليتيم لايقدر عليه احد من الملوك فنظر اليها بعينه فصار من هوش العقل فتحركت فيه الحرارة الغريزية والقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم انه مدّ يده اليها وقلّبها وفتح طوق قميصها فبان له صدرها ورأى نهودها مثل حقين من العاج فازداد فيها محبة ورغب فيها رغبة عظيمة فصار ينبّهها وهي لا تنتبه لان دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزّها ويحرّكها ويقول يا حبيبتي استيقظي وانظري مَن انا فانا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر في امرها ساعة زمانية وقال في نفسه

ان صدق حذري فهذه الصبيـــة هي التي يريد والدي زواجي بها
ومضى لي ثلث سنين وانا امتنع من ذلك فانا ان شاء الله اذا جاء الصبح
اقول لابي زوّجني بها لا تملّى بها والسلام وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المـــــــــــــبـــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال في نفسه والله اني
اصبح واقول لابي زوّجني بها لا تملّى بها ولا اترك نصف النهار
يفوت حتى افوز بوصالها وانملى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان
مال الى بدور ليقبّلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت واما العفريت
دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما اراد ان يقبّلها في فمها
استحى من الله تعالى ودار برأسه والفت وجهه وقال لقلبه اصبر فتفكر في نفسه
وقال انا اصبر لئلا يكون والدي لما غضب عليّ وحبسني في هذا الموضع
جاء لي بهذه الصبيّة وامرها بالنيام بجانبي ليمتحنني بها واوصاها
اني اذا نبّهتها لا تستيقظ سريعا وقال لها ايّ شيءٍ فعل بك قمر الزمان
فاعلميني به اويكون والدي واقفا مستخفيا في مكان بحيث يطلع عليّ
وانا لا انظره وهو ينظر جميع ما افعله بهذه الصبيّة فيصبح يوبّخني
ويقول لي كيف تقول مالي ارب في الزواج وانت قبلت تلك الصبيّة
وعانقتها فانا اكفّ نفسي عنها لئلا ينكشف امري مع والدي والصواب
اني لا المس هذه الصبيّة في تلك الساعة ولا انظر اليها غير اني آخذ لي
منها شيأً يكون امارة عندي وتذكرة لها حتى يبقى بيني وبينهـــا
اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبيّة واخذ من خنصرها خاتمـــا
يساوي جملة من المال لان فصه كان من نفيس الجـــواهر ومنقوش

في دائرته هذه الا بيات

لَا تَحْسِبُوا اِنِّي نَسِيتُ عُهُودَكُم ... مَهْمَا اَطَلْتُم فِي الزَّمَانِ صُدُودَكُم
يَا سَادَتِي جُودُوا عَلَيَّ وَاَعْطِفُوا ... فَعَسَى اُقَبِّلُ ثَغْرَكُم وَخُدُودَكُم
وَاللّٰهِ اِنِّي لَسْتُ اَبْرَحُ عَنْكُم ... وَلَوِاعْتَدَيْتُم فِي الغَرَامِ حُدُودَكُم

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره واذا ظهره اليها ونام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فا نظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يقبلها ولا مد يده اليها بل ادار ظهره اليها ونام فقالا لها نعم قد رأينا ماصنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار اربعة قراريط وقرصتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة على حيلها فرأت شابا نائما بجانبها وهو يغط في نومه وهو من اجمل خلق الله تعالى وله لواحظ تخجل الحور الحسان وريقه حلو المذاق وانفع من الترياق وفم كانه خاتم سليمان وشفتان مثل لون المرجان وخدود كشقائق النعمان كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

سَلَى خَاطِرِي عَنْ زَيْنَبٍ وَنَوَارِ ... بِوَرْدَةِ خَدٍّ فَوْقَ آسِ عِذَارِ
وَاَصْبَحْتُ بِالظَّبْيِ المُقَرْطَقِ مُغْرَمًا ... وَلَا رَأْيَ لِي فِي عِشْقِ ذَاتِ سِوَارِ
اَنِيسِي فِي النَّادِي وَفِي خَلْوَتِي مَعًا ... خِلَافَ اَنِيسِي فِي قَرَارَةِ دَارِي
فَيَا لَائِمِي فِي هَجْرِ هِنْدٍ وَزَيْنَبٍ ... وَقَدْ لَاحَ عُذْرِي كَالصَّبَاحِ لِسَارِ

أَتَرْضَى بِأَنْ أَمْسَى أَسِيرَ أَسِيرَةٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْمِنْ وَرَاءِ جِدَارِ

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا اعرفه ما باله راقدا بجنبي في فراش واحد ثم نظرت اليه ثاني مرة وتأمّلت حسنه وجماله فقالت والله انه شاب مليح الا ان كبدي تكاد ان تتمزق وجدا عليه فيا فضيحتي منه والله لو علمت ان هذا الشاب هو الذي خطبني من ابي ما رددته بل كنت انزوّجه واتملّى بجماله ثم نظرت الى وجهه وقالت يا سيدي ونور عيني انتبه من النوم وتمتّع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فارخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فصارت الملكة بدور تهزّه بيدها وتقول له بحيوتي عليك ان تطيعني فا نتبه من منامك وانظر الى النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني وناغشني من هذا الوقت الى بكرة بالله عليك قم يا سيدي واتكئ على المخدّة ولا تنم فلم يرد عليها قمر الزمان جوابا بل غط فى النوم فقالت يوه يوه انت تغترّ بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما انت مليح انا الاخرى ايضا مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علّموك الصدّ عنّى او ابي الشيخ النحس علّمك ومنعك وحلّفك انك لاتكلمنى هذه الليلة فما فتح قمر الزمان فم ولا انتبه فازدادت فيه محبة والقى الله محبته في قلبها ونظرته نظرة اعقبتها الف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت احشاؤها واضطربت

جوارها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلّمني يا حبيبي حدّثني يا معشوقي ردّ عليّ الجواب وقل لي ما اسمك فانك قد سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان مستغرق في النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت له يوه يوه مالك معجبا بنفسك ثم هزّته وقلّبت يده فرأت خاتمها في اصبعه الخنصر فشهقت شهقة واتبعتها بغنجة وقالت أوّاه أوّاه والله انت حبيبي وتحبني ولكن كأنك تعرض عنّي دلالا مع انك يا حبيبي جئتني وانا نائمة وما اعرف ما فعلت معي واخذت خاتمي ولكن ما انا قالعة خاتمي من اصبعك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه فقبلته ومدت يدها اليه تفتّشه لاجل ان ترى معه شيئاً تاخذه فلم تجد شيئاً فنزلت بيدها الى صدرها فزلقت يدها من نعومة جسمه الى بطنه فنزلت الى سرته فسقطت يدها على ايره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها وهاجت عليها الشهوة لان شهوة النساء اقوى من شهوة الرجال فخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته في اصبعها عوضا عن خاتمها وقبّلته في ثغره وقبلت كفّيه ولم تترك فيه موضعا الا قبّلته ثم بعد ذلك تقدّمت اليه واخذته في حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه واعتنقته ونامت بجانبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى قالت ميمونة للدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعل معشوقي من التيه والدلال وكيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقي ولا شك ان معشوقي احسن من معشوقتك

ولكنني عفوت عنك ثم كتبت له وثيقة انه اعتقها والتفتت الى ققشش وقالت له ادخل مع دهنش واحمل معشوقته وساعده على وصولها الى مكانها لان الليل قد مضي ولم يبق منه الا قليلا فقال سمعا وطاعة ثم تقدم ققشش ودهنش الى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارابها واوصلاها الى مكانها وارقداها في فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه فالتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال في نفسه ماهذا الامر كأنّ ابي يرغبني في الزواج بالصبية التي كانت عندي ثم اخذها سرّاً لاجل ان تزداد رغبتي في الزواج ثم انه صرخ على الخادم الذي هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم على حيلك فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم وقدم الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضّأ وصلّى الصبح وجلس يسبّح الله تعالى ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا في خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا واخذ الصبيّة من جنبي وانا نائم فقال له الخادم ياسيدي اي شيء الصبيّة فقال قمر الزمان الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فانزعج الخادم من كلامه وقال له والله ماكان عندك صبية ولا غيرها ومن اين دخلت الصبية وانا نائم على الباب وهو مقفول والله ياسيدي مادخل عليك ذكر ولا انثى فقال له قمر الزمان تكذب ياعبد النحس وهل وصل من قدرك انت الآخر انك تخادعني ولاتخبرني اين ذهبت الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة ولم تخبرني بالذي اخذها من عندي فقال الطواشي وقد انزعج منه والله ياسيدي

ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم و قال له
يا ملعون ان ابي علّمك المكر فتعال عندي فتقدم الخادم الى
قمر الزمان فمسك قمر الزمان باطواقه وضرب به الارض فضرطة ثم برك
عليه قمر الزمان ورفصه برجله وخنقه حتى غشي عليه وشاله بعد
ذلك وربطه في سلبة البئر وادلاه الى ان وصل الى الماء وارخاه
وكانت تلك الايام ايام بردوشتاء قاطع فغطس الخادم في الماء
ثم نشله قمر الزمان وارخاه ثانيا ولازال يغطس ذلك الخادم في الماء
وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له
والله يا ملعون ما اطلعك من هذه البئر حتى تعلمني وتخبرني
بخبر هذه الصبية وقصتها ومن الذي اخذها وانا نائم وادرك شهر
زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال للخادم والله ما
اطلعك من هذه البئر حتى تخبرني بخبر هذه الصبية ومن الذي
اخذها وانا نائم فقال له بعد ماعاين الموت ياسيدي اطلقني وانا
احكي لك على الصحيح واخبرك بالخبر فعند ذلك جذبه من البئر
واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من البرد والعذاب
والعطاس والخوف من الغرق والضرب وصار يرتعد مثل القصبة
في الريح العاصف واشتبكت اسنانه في بعضها وابتلت ثيابه وتلوث
بدنه وتشطب من حيطان البئر وصار في حالة شنيعة فعند ذلك
صعب على قمر الزمان لمارآه في تلك الحالة فلما راى الخادم نفسه
على وجه الارض قال له ياسيدي دعني اروح و انلع ثيابي واعصرها

والشرها في الشمس والبس غيرها ثم احضر اليك سريعا واخبرك
بالخبر الصحيح فقال له قمر الزمان ياعبد السوء لولا انك عاينت
الموت ما اقررت بالحق وما قلت ذلك فاخرج لقضاء اغراضك
وعد اليّ سريعا واخبرني على الصحيح فعند ذلك خرج العبد وهو
لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجري ويقع ويقوم الى ان دخل على
الملك شهرمان ابي قمر الزمان فرآه جالسا والوزير بجانبه وهما
يتحدّثان في امر قمر الزمان والملك يقول للوزير اني لم انم هذه
الليلة من اشتغال قلبي على ولدي قمر الزمان واني اخاف ان يحصل
له ضرر في هذا البرج العتيق واي شيء كان في سجنه من المصلحة
فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شيء ابدا فاتركه مسجونا
شهرزمان حتى تلين عريكته وتنكسر نفسه ويهدي خلقه فبينما هما
في الكلام واذا بالخادم دخل عليهما وهو في تلك الحالة
فانزعج الملك منه فقال له الخادم يا مولانا السلطان ان ولدك
طار عقله وصار مجنونا وقد فعل بي كذا وكذا حتى صرت
كما تراني وهو يقول لي ان صبية باتت عندي في هذه الليلة وذهبت
بخفية فاين هي ويكلفني الى اخبره لها وبمن اخذها وانا لا رأيت
صبية ولا صبيا والباب طول الليل مغلوق وانا نائم على بابه والمفتاح
تحت رأسي وفتحت له في الصبح بيدي فلما سمع الملك شهرمان
هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلا واولداه وغضب
على الوزير الذي كان سببا في هذه الامور غضبا شديدا وقال له
قم اكشف لي خبر ولدي وانظر ما جرى في عقله فقام الوزير
وخرج وهو يتعثر في اذ ياله من خوفه من سطوة الملك وراح
مع الخادم الى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على

قمر الزمان فوجده جالسا على السرير يقرأ القرآن فسلّم عليه الوزير
و جلس الى جانبه و قال له ياسيّدي ان هذا الخادم السوء اخبرنا بخبر
شوّش علينـــا وازعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان
وما الذي قال لكم عنّي حتى شوّش علي ابي وفي الحقيقة هو ما شوّش الّا علي
فقال له الوزير انه جاء الينا بحالة منكرة وقال لوالدك قولا حاشاك
منه وكذب علينا هذا العبد بما لاينبغي ان يذكر في شأنك فسلامة
شبابك وسلامة عقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشا ان يظهر
منك قبيح فقال له قمر الزمان ايّها الوزير فايّ شيء قال هذا العبد
النحس عنّي فقال له الوزير انه اخبرنا انّ عقلك ذهب وقلت له انه
كان عندك صبيّة في الليلة الماضية وكلّفته انه يخبرك اين ذهبت
وعذّبته على ذلك فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا
وقال للوزير تبيّن لي انكم علّمتم الخـــادم الفعل الذي صدر منه
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سمع كلام الوزير
اغتـــاظ غيظا شديدا ثم قال للوزير تبيّن لي انكم علّمتم الخـــادم
الفعل الذي صدر منـــه و منعتموه من ان يخبرني بامر الصبيّة التي
كانت نائمة عندي في هذه الليلة وانت ايّها الوزير اعقل من الخادم
فاخبرني في هذه الساعة اين ذهبت الصبيّة التي كانت نائمة في حضني
تلك الليلة فانتم الذين ارسلتموها عندي وامرتموها ان تنام في حضني
ونمت وايا ها الى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فاين هي الآن
فقال له الوزير ياسيدي قمر الزمان اسم الله حواليك والله ما ارسلنالك

في هذه الليلة احدا وقد نمتَ وحدك والباب مقفول عليك والخادم نائم من خلف الباب وما اتى اليك صبيّة ولا غيرها فثبّت عقلك وارجع اليه ياسيدي ولاتشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه ايها الوزير ان تلك الصبيّة معشوقتي وهي المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التي عانقتها في هذه الليلة بطولها فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل انت رأيت تلك الصبية في هذه الليلة بعينك في اليقظة ام في المنام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس اتظنّ اني رأيتها باذني انما رأيتها بعيوني في اليقظة وقلبتها بيدي وسهرت معها نصف ليلة كاملة وانا انفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وانما انتم قد علّمتموها واوصيتموها انها لا تكلمني فجعلت روحها نائمة فنمت بجانبها الى الصباح فتنبّهت من منامي فلم اجدها فقال له الوزير ياسيدي قمر الزمان ربما تكون انت رأيت هذا الامر في المنام فيكون اضغاث احلام اوتخيلات من اكل مختلف الطعام او وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس كيف تهزأبي انت الآخر وتقول لي لعلّ هذا اضغاث احلام مع ان هذا الخادم كان قد اقرّ لي بتلك الصبيّة وقال لي في هذه الساعة اعود اليك واخبرك بقصّتها ثم ان قمر الزمان قام من وقته وساعته وتقدّم الى الوزير وقبض لحيته في يده وكانت لحيته طويلة فاخذها قمر الزمان ولفّها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير والقاه على الارض فحسّ الوزيران روحه طلعت من شدة نتف لحيته ولا زال قمر الزمان يرفص الوزير برجليه ويلكمه في صدره وعلى اضلاعه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد ان يهلكه فقال الوزير في نفسه اذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبي المجنون بكذبه فانا اولى بذلك منه

واخلص نفسي انا الآخر بكذبة والّا يهلكني فها انا اكذب واخلص نفسي منه فانه مجنون لاشكّ في جنونه ثم ان الوزير التفت الى قمر الزمان وقال له يا سيدي لا تؤاخذني فان والدك قد اوصاني بانني اكتم عنك خبر هذه الصبيّة وانا الآن عجزت وكليت وتالّمت من الضرب لاني رجل كبير وليس لي جلد ولاقوة على تحمل الضرب فتمهّل عليّ قليلا حتى احدثك واخبرك بقصة الصبية فعند ماسمع منه ذلك بطل عنه الضرب وقال له لايّ شيءٍ لم تخبرني بخبر تلك الصبيّة الّا بعد الاهانة والضرب فقم يا ايها الشيخ النحس واحكِ لي عن خبرها فقال له الوزير هل انت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح فقال له قمر الزمان نعم اخبرني ايها الوزير من الذي اتى بها اليّ وانا معها بجانبي ومن الذي اخذها من جانبي في الليل واين ذهبت هي في هذه الساعة حتى اروح انا اليها بنفسي فان كان ابي الملك شهرمان فعل معي هذه الفعال وامتحنني بتلك الصبيّة المليحة من اجل زواجها فانا رضيت ان اتزوج بها واريح نفسي من هذا فانه مافعل معي هذا الامر كلّه الّا من اجل امتناعي من الزواج فها انا رضيت بالزواج ثم رضيت بالزواج فاعلم والدي بذلك ايها الوزير وامره ان يزوجني بتلك الصبيّة فاني لااريد سواها وقلبي لايحبّ الّا اياها فقم واسرع الى ابي وامره بتعجيل زواجي ثم عد اليّ بالجواب في هذه الساعة فقال له الوزير نعم وما صدق انه يخلص من يديه ثم قام من عنده وخرج من البرج هو يمشي و يعثر من شدة الخوف والفزع ولم يزل يجري الى ان دخل على الملك شهرمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير خرج من البرج ولم يزل يجري الى ان دخل على الملك شهرمان فلما وصل اليه قال له الملك ايها الوزير ما الذي دهاك ومن الذي بشره رماك ومالي اراك في ارتباك حتى جئت مرعوبا فقال له ايها الملك اني قد جئتك ببشارة فقال له الملك وما هي قال له اعلم ان ولدك قمرالزمان ذهب عقله وحصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاما وقال له ايها الوزير اوضح لي صفة جنونه قال له ياسيدي سمعا وطاعة ثم اعلمه انه قد جرى منه كذا وكذا واخبره بما تم له معه فقال له الملك ابشر ايها الوزير فاني اعطيك في نظير بشارتك اياي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعمة عنك يا انحس الوزراء وانجس الامراء لاني اعلم انك سبب جنون ولدي بمشورتك ورأيك الفاسد التعيس الذي اشرت به علي في الاول والآخر والله ان كان ياتي على ولدي شيء من الضرر او الجنون لاسمرنك على القبة واذيقك النكبة ثم ان الملك نهض قائما على اقدامه واتى به الى البرج ودخل فيه على قمرالزمان فلما وصلا اليه وثب قمرالزمان على الاقدام ونزل سريعا من فوق السرير الذي هو جالس عليه وقبل يدي والده وتأخر وراءه واطرق برأسه الى الارض وهو مكتف اليدين الى ورائه قدام ابيه ولم يزل كذلك ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه الى والده وفرت الدموع من عينيه وسالت على خديه وانشد يقول

إِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْباً سَالِفَاً ... فِيْ حَقِّكُمْ وَأَتَيْتُ شَيْأً مُنْكَرَا

أَنَا تَائِبٌ عَمَّا جَنَيْتُ وَعَفْوُكُمْ   يَسَعُ الْمُسِيءَ إِذَا أَتَى مُسْتَغْفِرَا

فعند ذلك قام الملك و عانق ولده قمر الزمان و قبّله بين عينيه واجلسه الى جانبه فوق السرير و التفت الى الوزير و نظر اليه بعين الغضب وقال له يا كلب الوزرا كيف تقول على ولدي قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبي عليه ثم التفت الملك الى ولده وقال له يا ولدي ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدي هذا يوم السبت و هذا يوم الاحد و بعده يوم الاثنين وبعده الثلثاء وبعده الاربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدي يا قمر الزمان الحمد لله على سلامة عقلك ما اسم هذا الشهر الذي علينا بالعربي فقال اسمه ذوالقعدة ويليه ذوالحجة وبعده المحرّم وبعده صفر وبعده شهر ربيع الاول و بعده شهر ربيع الآخر و بعده جمادي الاولى وبعده جمادي الاخرى و بعده رجب و بعده شعبان و بعده رمضان و بعده شوال ففرح بذلك الملك فرحا شديدا وبصق في وجه الوزير وقال له يا شيخ السوء كيف تزعم ان ولدي قد جنّ والحال انه ما جنّ الا انت فعند ذلك حرّك الوزير برأسه واراد ان يتكلم ثم خطر بباله ان يتمهّل قليلا لينظر ما ذا يكون ثم ان الملك قال لولده يا ولدي اي شيء هذا الكلام الذي تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما اني كنت نائما مع صبيّة مليحة في هذه الليلة فما شان هذه الصبيّة التي ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام ابيه و قال له يا ابي اعلم انه ما بقي لي قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا عليّ شيأ ولا بكلمة واحدة فقد ضاق خلقي مما تفعلونه معي واعلم يا ابي علما يقينا اني قد رضيت بالزواج و لكن بشرط ان تزوّجني تلك الصبية

التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فاني اتحقق انك انت الذي ارسلتها الي وشوقتني اليها وبعد ذلك ارسلت اليها قبل الصبح واخذتها من عندي فقال الملك اسم الله حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان اسم الله حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون فاي شيء هذه الصبية التي تزعم اني ارسلتها اليك في هذه الليلة ثم ارسلت آخذها من عندك قبل الصباح فوالله يا ولدي ليس لي علم بهذا الامر فبالله عليك ان تخبرني هل ذلك اضغاث احلام او تخيلات طعام فانك بت في هذه الليلة وانت مشغول الخاطر بالزواج ووسوس بذكره فلعن الله الزواج وساعته ولعن من اشاربه ولا شك ولا ريب انك منكدر المزاج من جهة الزواج فرأيتَ في المنام ان صبية مليحة تعانقك وانت تعتقد في نفسك انك رأيتها في اليقظة وهذا كله يا ولدي اضغاث احلام فقال له قمر الزمان دع عنك هذا الكلام واحلف لي بالله الخالق العلام قاصم الجبابرة ومبيد الاكاسرة انه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها فقال له الملك وحق الله العظيم اله موسى وابراهيم انه لم يكن لي علم بذلك ولا عندي منه خبر وانما ذلك اضغاث احلام رأيته انت في المنام فقال قمر الزمان لوالده انا اضرب لك مثلا يبين لك ان هذا كان في اليقظة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال لوالده انا اضرب لك مثلا يبيّن لك ان هذا كان في اليقظة وهو اني اسألك هل اتفق لاحد انه رأى نفسه في المنام يقاتل وقد قاتل قتالا شديدا وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد في يده سيفا ملوّثا بالدم فقال له والده لا والله يا ولدي لم يتفق هذا فقال قمر الزمان لوالده انا اخبرك بما حصل لي وهو اني رأيت في هذه الليلة كأني استيقظت من منامي نصف الليل فوجدت بنتا نائمة بجانبي قدها كقدّي وشكلها كشكلي فعانقتها وقلبتها بيدي واخذتُ خاتمها ولبسته في اصبعي وقلعت خاتمي والبسته في اصبعها ونمت بجنبها وامتنعت عنها حياء منك وخوفا ان تكون انت ارسلتها تمتحنني بها وظننت انك مختفي في مكان لتنظر ما افعل بها واستحييت من اجل ذلك ان اقبّلها في فمها حياء منك وظننتُ انك ترغبني في الزواج وبعد ذلك انتبهتُ من منامي في وجه الصبح فلم اجد للصبيّة اثرا ولا وقفت لها على خبر وجرى لي مع الخادم والوزير ما جرى فكيف يكون هذا الامر مناما وكذبا وامر الخاتم صحيح ولولا الخاتم كنت اظن انه منام وهذا خاتمها في خنصري فانظر ايها الملك الى الخاتم كم يساوي ثم ان قمر الزمان ناول الخاتم لابيه فاخذه وتأمّله وقلّبه ثم التفت الى ولده وقال له ان لهذا الخاتم نبأ عظيما وخبرا جسيما وان الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبيّة امر مشكل ولا اعلم من اين دخل علينا هذا الدخيل وما سبب هذه الفتنة كلها الا الوزير فبالله عليك يا ولدي اصبر حتى يفرج الله عنك هذه الكربة

و يأتيك بالفرج العظيم فان بعض الشعراء قال

عَسَى وَلَعَلَّ الدَّهْرُ يَلْوِي عِنَانَهُ وَيَأْتِي بِخَيْرٍ فَالزَّمَانُ غَيُورُ
وَتُسْعِدُ آمَالِي وَتَقْضِي حَوَائِجِي وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الأُمُورِ أُمُورُ

فيا ولدي اني تحققت في هذه الساعة ان مابك جنون ولكن قصتك عريبة لا يجليها عنك الا الله تعالى فقال له قمر الزمان بالله يا والدي انك تفعل معي جميلا وتفحص لي عن هذه الصبيّة وتعجّل بقدومها والامتُّ كمدا لم يدر بموتي احد ثم ان قمر الزمان اظهر الوجد والتفت الى ابيه وانشد هذين البيتين

إِنْ كَانَ وَعْدُكُمْ بِالوَصْلِ تَزْوِيرُ فَفِي الكَرَى وَاصِلُوا المُشْتَاقَ أَوْزُورُوا
قَالُوا وَكَيْفَ يَزُورُ الطَّيْفُ جَفْنَ فَتًى مَنَامُهُ عَنْهُ مَمْنُوعٌ وَمَهْجُورُ

ثم ان قمرالزمان بعد انشاد هذه الاشعار التفت الى ابيه بخضوع وانكسار وافاض العبرات وانشد هذه الابيات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما انشد لابيه هذه الابيات بكى واشتكى وتأوه من كبد مجروح وانشد ايضا هذه الابيات

خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ طَرْفِهَا فَهُوَ سَاحِرٌ وَلَيْسَ بِنَاجٍ مَنْ رَمَتْهُ المَحَاجِرُ
وَلَا تَخْدَعُوا مِنْ رِقَّةٍ فِي كَلَامِهَا فَإِنَّ الحُمَيَّا لِلْعُقُولِ تُخَامِرُ
مُنَعَّمَةٌ لَوْ لَامَسَ الوَرْدُ خَدَّهَا بَكَتْ وَجَرَتْ مِنْ مُقْلَتَيْهِ المَوَاطِرُ
فَلَوْ فِي الكَرَى مَرَّ النَّسِيمُ بِأَرْضِهَا سَرَى أَبَدًا مِنْ أَرْضِهَا وَهُوَ عَاطِرُ
قَلَائِدُهَا تَشْكُو رَنِينَ وِشَاحِهَا وَقَدْ خَرِسَتْ مِنْ مِعْصَمَيْهَا الأَسَاوِرُ

إِذَا مَا اشْتَهَى الْخَلْخَالُ تَقْبِيلَ قُرْطِهَا · بَدَتْ لِعُيُونِ الْوَصْلِ مِنْهَا الضَّمَائِرُ
وَلِي عَاذِلٌ فِي حُبِّهَا غَيْرُ عَاذِرٍ · وَمَا تَنْفَعُ الْأَبْصَارُ لَوْلَا الْبَصَائِرُ
عَذُولِي لَحَاكَ اللّٰهُ مَا اَنْتَ مُنْصِفٌ · فَعَنْ حُسْنِ هٰذَا الظَّبْيِ تَكْلُّ النَّوَاظِرُ

فلما فرغ من شعره قال الوزير للملك يا ملك العصر والا وان الى متى انت تقعد عند ولدك وانت محجوب عن العساكر فربما ينفسد عليك نظام مملكتك بسبب بعدك من ارباب دولتك والعاقل اذا كان بجسمه جراحات مختلفات فليداوي الاخطر منها والرأي عندي ان تنتقل وولدك من هذا المكان الى القصر الذي في السراية المطل على البحر وتنقطع عند ولدك فيه وتجعل للديوان والموكب في كل جمعة يومين يوم الخميس ويوم الاثنين فيدخل عليك فيهما الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة وخواص المملكة وبقية العسكر والرعية ويعرضون عليك احوالهم فتقضي لهم حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانه بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولم تزل على تلك الحالة حتى يفرج الله عنك وعنه ولا تأمن ايها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فان العاقل دائما محاذر وما احسن قول الشاعر

حَسَّنْتَ ظَنَّكَ بِالْاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ · وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا · وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مَنْ كَانَ الزَّمَانُ لَهُ · مُسَاعِدًا فَلْيَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ الْحَذَرُ

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابا ونصيحة له في مصلحته فاثر عنده وخاف ان ينفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته

وساعته وامر بتحويل ولده من ذلك المكان الى القصر الذي في السراية
المطل على البحر وهذا القصر كان في وسط البحر يمشون اليه على
ممشاة عرضها عشرون ذراعا وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر
وارضه مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بانواع الدهانات
والفخرها ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمر الزمان فيه الفراش
الحرير الفاخر والبسط المطرز والبسوا حيطانه خاص الديباج وارخوا
عليه الستارات المكللة بالجواهر واجلسوا فيه قمر الزمان على سرير
من العرعر مكلل بالدّر والجوهر فجلس قمر الزمان عليه الّا انه من
شدة اشتغاله بالصبيّة وعشقه لها تغير لونه ونحل جسمه وصار لا يأكل
ولا يشرب ولا ينام وصار كالمريض الذي له عشرون سنة مريضا
فجلس والده عند رأسه وحزن عليه حزنا عظيما وصار الملك في
كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن بدخول الامراء والحجّاب والنوّاب
وارباب الدولة والعساكر والرعية في ذلك القصر فيدخلون عليه ويؤدّون
وظائف الخدمة ويقيمون عنده الى آخر النهار ثم ينصرفون الى حال
سبيلهم ثم يدخل الملك عند ولده في ذلك المكان ولا يفارقه ليلا
ولا نهارا ولم يزل على تلك الحالة مدة ايام وليالي من الزمان هذا
ما كان من امر قمر الزمان بن الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة
بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فان الجن
لما حملوها ووضعوها في فراشها لم تزل نائمة الى ان طلع الفجر
فانتبهت من منامها وجلست على حيلها والتفتت يمينا وشمالا
فلم ترالشابّ الذي كان في حضنها فرجف فؤادها وزال عقلها وصرخت
صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن
عليها فتقدمت البها كبيرتهن وقالت لها ياسيدتي ما الذي اصابك

فقالت لها ايتها العجوز النحس اين معشوقي الشاب المليح الذي كان نائما هذه الليلة في حضني فاخبريني اين راح فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما وخافت خوفا شديدا عليها وقالت ياستي بدور اي شيء هذا الكلام القبيح فقالت الست بدور ويلك يا عجوز النحس اين معشوقي الشاب المليح صاحب الوجه الصبيح والقد الرجيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذي كان بائتا عندي في هذه الليلة من العشاء الى قرب طلوع الفجر فقالت والله ما رأيت شابا ولا غيره فبالله ياسيدتي لا تمزحي هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح ارواحنا وربما يبلغ اباك هذا المزاح فمن كان يخلصنا من يده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القهرمانة قالت للسيدة بدور بالله عليك ياسيدتي لاتمزحي هذا المزاح الخارج عن الحد فانه ربما يبلغ اباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده فقالت لها الملكة بدور انه كان غلام بائتا عندي في هذه الليلة وهو من احسن الناس وجها فقالت لها القهرمانة سلامة عقلك ما كان احد بائتا عندك في هذه الليلة فعند ذلك نظرت بدور الى يدها فوجدت خاتم قمرالزمان في اصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانة ويلك يا ملعونة يا خائنة انكذبين عليّ وتقولين ما كان احد بائتا عندي وتحلفين لي بالله باطلا فقالت القهرمانة والله ماكذبت عليك ولا حلفت باطلا فاغتاظت منها الست بدور وسحبت سيفا كان عندها وضربت به القهرمانة فقتلتها فعند ذلك صاح الخادم والجواري والسراري عليها

وراحوا الى ابيها واعلموه بحالها فاتى الملك الى ابنته الست بدور من وقتـه وساعـته وقال لها يا بنتي ما خبرك فقالت يا ابي اين الشابّ الذي كان نائماً بجانبي في هذه الليلة وطار عقلها من دماغها وصارت تلتفت بعينها يميناً وشمالاً ثم شقت ثوبها الى ذيلها فلما رأى ابوها تلك الفعـال امر الجواري ان يمسكوها فمسكـوها وقيّدوها وجعلوا في رقبتها سلسلة من حديد وربطوها في الشباك الذي في القصر وتركوها هذا ماكان من امر الملكة بدور واما ماكان من امر ابيها الملك الغيور فانه لما رأى ماجرى على ابنته الست بدور ضاقت عليه الدنيا لانه كان يحبّها وماهان عليه امرها فعند ذلك احضر الحكماء والمنجمين واصحاب الاقلام وقال لهم كل من ابرأ بنتي مماهي فيه زوجته بها واعطيته نصف مملكتي ومن تقدم اليها ولم يبرئهـا اضرب عنقه واعلق رأسه على باب قصرها فصار كل من دخل عليها ولم يبرئها يضرب عنقـه ويعلق رأسه على باب القصر الى ان قطع من اجلهـا اربعين راس رجل من الحكماء وصلب اربعين رجلا من المنجّمين فتوقفت جميع الناس عنهـا وعجزت جميع الحكماء عن دوائها واشكلت حكايتهـا على اهل العلوم وارباب الاقلام ثم ان الست بدور لما زاد بها الوجد والغرام واضرّ بها العشق والهيام اجرت العبرات وانشدت هذه الابـيـات

غَرَامِي فِيكَ يَا قَمَرِي غَرِيمِي ... وَذِكْرُكَ فِي دُجَى لَيْلِي نَدِيمِي

أَبِيتُ وَأَضْلُعِي فِيهَا لَهِيبٌ ... يُحَاكِي حَرُّهُ نَارَ الْجَحِيمِ

بُلِيتُ بِفَرْطِ وَجْدٍ وَاحْتِرَاقٍ ... عَذَابِي مِنْهُمَا أَضْحَى أَلِيمِي

ثم انها تأوّهت وانشدت ايضا تقـول

سَلَامِي عَلَى الْاحْبَابِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... فَإِنِّي إِلَى نَحْوِ الْحَبِيبِ أُرِيدُ
سَلَامِي عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ ... سَلَامٌ كَثِيرٌ لَا يَزَالُ يَزِيدُ
وَإِنِّي لَأَهْوَاكُمْ وَأَهْوَى دِيَارَكُمْ ... وَلَكِنَّنِي [illegible]

فلما فرغت الست بدور من انشاد هذه الاشعار بكت حتى مرضت عيناها وتغيرت وجناتها ثم انها استمرت على هذا الحال ثلث سنين وكان لها اخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر الى اقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبّها محبة زيادة على محبة الاخوة فلما حضر دخل على والدته وسألها عن اخته الست بدور فقالت له يا ولدي ان اختك حصل لها جنون ومضى لها ثلث سنين وفي رقبتها سلسلة من حديد وعجزت جميع اهل الطب واهل الحكمة عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولي عليها لعلي اعرف ما بها واقدر على دوائها فلما سمعت امه كلامه قالت لابد من دخولك عليها ولكن تمهّل الى غد حتى اتحيّل في امرك ثم ان امه ترجّلت الى قصر الست بدور واجتمعت بالخادم الموكّل بالباب واهدت له هدية وقالت له ان لي بنتا وقد تربت مع الست بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ما جرى صار خاطرها متعلقا بها وانا اقصد من فضلك في ان بنتي تأتي عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها احد فقال الخادم لا يمكن ذلك الا في الليل فبعد ان يأتي السلطان ينظر ابنته ويخرج فادخلي انت وابنتك فقبّلت العجوز يد الخادم وخرجت الى بيتها فصبرت الى ثاني يوم العشاء فلما جاء وقته قامت من وقتها وساعتها واخذت ولدها مرزوان والبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده في يدها وادخلته القصر

ولا زالت تمشي به حتى اوصلته الى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رآها الخادم قام واقفا وقال لها ادخلي ولا تطيلي القعود فلما دخلت العجوز بولدها راى مرزوان الست بدور في تلك الحالة فسلم عليها بعد ان كشفت عنه امه ثياب النساء فاخرج مرزوان الكتب التي معه واوقد شمعته وقرأ بعض اقسام فنظرت اليه الست بدور فعرفته وقالت له يا اخي انت كنت سافرت وانقطعت اخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردّني الله بالسلامة واردت السفر ثانيا فما ردّني عنه الا هذا الخبر الذي سمعته عنك فاحترق قلبي عليك وجئت اليك لعلي ان اخلصك مما انت فيه فقالت له يا اخي هل انت تظن ان الذي اعتراني جنون قال نعم قالت لا والله وانما هو كما قال الشاعر

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوىٰ فَقُلْتُ لَهُمْ ... مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ اِلَّا لِلْمَجَانِينِ
اَلْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ ... وَاِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ
نَعَمْ جُنِنْتُ فَهَاتُوا مَنْ جُنِنْتُ بِهِ ... اِنْ كَانَ يَشْفِي جُنُونِي لَا تَلُومُونِي

فعند ذلك علم مرزوان انها عاشقة فقال لها احكي لي على قصتك وما اصابك لعل ان يكون بيدي شيء افعله ويكون فيه خلاصك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان قال للسيدة بدور اخبريني بقصتك وما اتفق لك لعل الله ان يطلعني على ما فيه خلاصك فقالت له الست بدور يا اخي اسمع قصّتي وذلك اني استيقظت من

منامي ليلة في الثلث الاخير من الليل وجلست على حيلي فنظرت الى جانبي شابّاً احسن ما يكون من الشباب يكلّ عن وصفه اللسان كانه غصن بان اوقضيب خيزران فظننتني لمن ابي امر ليمتحنني به لانه راودني عن الزواج لما خطبني منه الملوك فابيت فهذا الظن هو الذي منعني من ان انبهه وخشيت اني اذا عملت شيأ اواعانقه ربما يخبر لابي بذلك فلما اصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضا عن خاتمي الذي اخذه مني فهذه حكايتي وسبب جنوني وانا يا اخي قد تعلق قلبي به من حين رؤيته ومن كثرة عشقي والغرام لم اذق طعم المنام ومالي شغل غير الدموع والبكاء وانشاد الاشعار بالليل والنهار ثم افاضت العبرات وانشدت هذه الابيات

أَبَعْدَ الْحِبِّ لَذَّاتِي تَطِيبُ · وَذَاكَ الظَّبْيُ مَرْتَعُهُ الْقُلُوبُ
دَمُ الْعُشَّاقِ أَهْوَنُ مَا عَلَيْهِ · وَفِيهِ مُهْجَةُ الْمُضْنَى تَذُوبُ
أَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ نَظَرِي وَفِكْرِي · فَمِنْ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي رَقِيبُ
وَأَجْفَانٌ لَهُ تَرْمِي سِهَامًا · فَوَاتِكَ فِي الْقُلُوبِ لَنَا تُصِيبُ
فَهَلْ لِي أَنْ أَرَاهُ قُبَيْلَ مَوْتِي · إِذَا مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا نَصِيبُ
وَأَكْتُمُ سِرَّهُ فَيَنُمُّ دَمْعِي · بِمَا عِنْدِي وَيَعْلَمُهُ الرَّقِيبُ
قَرِيبٌ وَصْلُهُ مِنِّي بَعِيدٌ · بَعِيدٌ ذِكْرُهُ مِنِّي قَرِيبُ

ثم ان الست بدور قالت لمرزوان انظر يا اخي ما الذي تعمل معي في الذي اعتراني فاطرق مرزوان رأسه الى الارض ساعة وهو يتعجب وما يدري مايفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ماجرى لك صحيح وان حكاية هذا الشاب اعيت فكري ولكن اني ادور في جميع البلاد وافتش على دوائك لعل الله يجعله على يدي ولكن اصبري ولاتجزعي

ثم ان مرزوان ودّعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها وهي تنشد هذه الابيـــــــــــــــــــــات

وَيَخْطُو لِي خَيَالُكَ فِي ضَمِيرِي عَلَى بُعْدِ الْمَكَانِ خُطَى مَزُورِ
وَتُدْنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ فُؤَادِي وَأَيْنَ الْبَرْقُ مِنْ لَمْحِ الْبَصِيرِ
فَلَا تَبْعُــدْ لِأَنَّــكَ نُورُ عَيْنِي إِذَا مَـا غِبْتَ لَمْ تَكْحَـلْ بِنُورِ

ثم ان مرزوان تمشي الى بيت والدته فنام تلك الليلـة فلما اصبح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافرا من مدينـــة الى مدينة ومن جزيرة الى جزيرة مدة شهر كامل فدخـل مدينة يقال لها الطيرب ومشى يستنشق الاخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كلما يدخل مدينة او يمرّ بها يسمع ان الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون الى ان وصل الى مدينة الطيرب فسمع خبر قمر الزمان ابن الملك شهرمان بانه مريض وانه اعتراه وسواس وجنون فسأل مرزوان عن اسم مدينته فقالوا له انه في جزائر خالدان وهي من مدينتنا هذه مسيرة شهر كامل في البحر واما في البر فستة اشهر فنزل مرزوان في مركب كانت متوجهة الى جزائر خالدان فطاب لهـــا الريح مدة شهر فاشرفوا على جزائر خالدان ولمـــا اشرفوا عليها ولم يبق لهم الا الوصول الى الساحل واذا بريح عاصف خرج عليهم ورمى الصواري ومزق القماش ووقعت القلوع في البحر وانقلبت المركب بجميع ما فيها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المركب لما انقلبت بجميع ما فيها

اشتغل كل واحد بنفسه واما مرزوان فان الموج قذفه حتى اوصله
الى تحت قصر الملك الذي فيه قمر الزمان وكان بالامر المقدر كان
هذا اليوم الذي يجتمع فيه على الملك شهرمان اهل دولته وارباب
مملكته للخدمة والملك شهرمان جالس وراس ولده قمر الزمان
في حجره وخادم ينشّ عليه وكان قمر الزمان مضى له يومان
ما تكلّم ولا اكل ولا شرب وصار انحف من المغزل والوزير واقف عند
رجليه قريب الشباك المطلّ على البحر فرفع الوزير بصره فرأى
مرزوان قد اشرف على الهلاك من التيّار وبقي على آخر نفس فرقّ
عليه قلب الوزير فتقرب الى الملك ومدّ رأسه اليه وقال له استأذنك
ايها الملك في ان انزل الى ساحة القصر وافتح بابها لا نقذ انسانا قد
اشرف على الغرق في البحر واطلعه من الضيق الى الفرج لعلّ الله بسبب
ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال له الملك ايها الوزير يكفي
ماجرى على ولدي منك وبسببك وربما انك اذا اطلعت هذا الغريق
يطّلع على احوالنا وينظر الى ولدي وهو في هذه الحالة فيشمت بي
ولكن اقسم بالله ان طلع هذا الغريق ونظر الى ولدي وخرج يتحدّث مع
احد با سرارنا لاضربنّ رقبتك قبله لانك ايّها الوزير سبب ما جرى لنا
اوّلا وآخرا فافعل ما بدالك فنهض الوزير وفتح باب سر القصر النافذ
الى البحر ونزل في الممشاة عشرين خطوة ثم خرج الى البحر فرأى
مرزوان مشرفا على الموت فمدّ الوزير يده اليه ومسكه من شعر رأسه
وجذبه منه فخرج من البحر وهو في حال العدم وقد امتلأ بطنه ماء
وبرزت عيناه فصبر الوزير عليه حتى ردّت روحه اليه ثم نزع عنه
ثيابه والبسه ثيابا غيرها وعمّمه بعمامة من عمائم غلمانه وقال له
اعلم اني كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت سببا لموتي

و موتك و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل قال له اعلم اني كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت سببا لموتي وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لانك في هذه الساعة تطلع وتشق بين امراء و وزراء و الكل ساكتون لايتكلمون لاجل قمر الزمان ابن السلطان فلما سمع مرزوان ذِكر قمر الزمان عرفه لانه كان يسمع بحديثه فى البلاد و اتى في طلبه ولكنه تجاهل وقال للوزير و مَن قمر الزمان فقال الوزير هو ابن السلطان شهرمان و هو ضعيف ملقى على الفراش ليس له قرار ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد اشرف على الموت ويئسنا من حيوته وايقنّا بوفاته واياك ان تطيل النظر اليه او تنظر الى غير الموضع الذي تحطّ فيه رجلك و الّا تروح روحك وروحي فقال له بالله عليك ايها الوزير ارجو من تفضلاتك ان تخبرني عن هذا الشاب الذي وصفته لي ما سبب هذا الامر الذي هو فيه فقال له الوزير لا اعلم له سببا. الّا ان والده من منذ ثلث سنين سأله ان يتزوج فابي فغضب عليه وسجنه فاصبح وهو يزعم انه كان نائما فرأى بجنبه صبيّة بارعة الجمال يعجز عن وصف حسنها اللسان وذكر لنا انه نزع خاتمها من اصبعها و لبسه والبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدي اذا طلعت معي الى القصر لا تنظر الى ابن الملك ورح الى حال سبيلك فان السلطان قلبه ملآن عليّ غيظا فقال مرزوان في نفسه والله ان هذا هو المطلوب ثم طلع

مرزوان خلف الوزير الى ان وصل الى القصر فجلس الوزير تحت رجلي قمر الزمان واما مرزوان فانه لم يكن له دأب الا انه مشي حتى وقف قدام قمر الزمان و نظر اليه فمات الوزير في جلدة من الخوف وصار ينظر الى مرزوان و يغمزه ليروح الى حال سبيله و مرزوان يتغافل وينظر الى قمر الزمان فتحقق وعلم انه هو المطلوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان لما نظر الى قمر الزمان وعلم انه هو المطلوب قال سبحان الله الذي جعل قدّه مثل قدّها وخدّه كخدّها ولونه كلونها ففتح قمر الزمان عينيه وصغى باذنيه الى كلامه فلما رآه مرزوان صاغيا الى ما يلقيه من الكلمات انشد يقول هذه الابيات

أَرَاكَ طَرُوبًا ذَا شَجِي وَتَرَنُّمِ ... تَمِيلُ اِلَى ذِكْرِ المَحَاسِنِ بِالفَمِ
أَصَابَكَ عِشْقٌ أَمْ رُمِيتَ بِأَسْهُمِ ... فَمَا هَذِهِ اِلَّا سَجِيَّةُ مَنْ رُمِي
ألَا فَاسْقِنِي كَاسَاتِ خَمْرٍ وَغَنِّ لِي ... بِذِكْرِ سُلَيْمَى وَالرَّبَابِ وَتَنْعِمِ
وَشَمْسَةُ كَرْمٍ بُرْجُهَا قَاعُ دَنِّهَا ... وَمَشْرِقُهَا السَّاقِي وَمَغْرِبُهَا فَمِي
أَغَارُ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... إِذَا لَبِسَتْهَا فَوْقَ جِسْمٍ مُنَعَّمِ
وَأَحْسُدُ كَاسَاتٍ تُقَبِّلُ ثَغْرَهَا ... إِذَا وَضَعَتْهَا مَوْضِعَ اللَّثْمِ فِي الفَمِ
فَلَا تَحْسَبُوا إِنِّي قُتِلْتُ بِصَارِمٍ ... وَلَكِنْ لِحَاظٌ قَدْ رَمَتْنِي بِأَسْهُمِ
وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَجَدْتُ بَنَانَهَا ... مُخَضَّبَةً تَحْكِي عُصَارَةَ عَنْدَمِ
فَقُلْتُ خَضَبْتِ الكَفَّ بَعْدِي هَكَذَا ... يَكُونُ جَزَاءُ المُسْتَهَامِ المُتَيَّمِ

فَقَالَتْ وَأَلْقَتْ فِي الحَشَا لاعِجَ الجَوَى ... مَقَالَةَ مَنْ لِلْحُبِّ لَمْ يَتَكَتَّمِ
وَعَيْشِكَ مَا هَذَا خِضَابُ خَضَبْتُهُ ... فَلَا تَكُ بِالبُهْتَانِ وَالزُّورِ مُتَّهِمِي
وَلَكِنَّنِي لَمَّا رَأَيْتُكَ رَاحِلاً ... وَقَدْ كُنْتَ لِي زَنْدِي وَكَفِّي وَمِعْصَمِي
بَكَيْتُ دَمًا يَوْمَ النَّوَى فَمَسَحْتُهُ ... بِكَفِّي فَاحْمَرَّتْ بَنَانِي مِنْ دَمِي
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً ... لَكُنْتُ شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَنِي البُكَا ... بُكَاهَا فَقُلْتُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
فَلَا تَعْذُلُونِي فِي هَوَاهَا لِأَنَّنِي ... وَحَقِّ الهَوَى فِيهَا كَثِيرُ التَّأَلُّمِ
بَكَيْتُ عَلَى مَنْ زَيَّنَ الحُسْنُ وَجْهَهَا ... وَلَيْسَ لَهَا مِثْلٌ بِعُرْبٍ وَأَعْجَمِ
لَهَا عِلْمُ لُقْمَانٍ وَصُورَةُ يُوسُفٍ ... وَنَغْمَةُ دَاوُدٍ وَعِفَّةُ مَرْيَمِ
وَلِي حُزْنُ يَعْقُوبٍ وَحَسْرَةُ يُونُسٍ ... وَبَلْوَةُ أَيُّوبٍ وَقِصَّةُ آدَمِ
فَلَا تَقْتُلُوهَا إِنْ قُتِلْتُ بِهَا جَوًى ... بَلَى فَاسْأَلُوهَا كَيْفَ حَلَّ لَهَا دَمِي

فلما انشد مرزوان هذه القصيدة نزل على قلب قمرالزمان بردا وسلاما وتنهّد ودار لسانه في فمه وقال لوالده يا ابي دع هذا الشاب يأتي ويجلس الى جانبي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان قال لوالده يا ابي خل هذا الشاب يأتي و يجلس في جانبي فلما سمع السلطان من ولده قمرالزمان ذلك فرح فرحا شديدا بعد ان كان قلبه تغير من جهة مرزوان و اضمر في نفسه انه لا بد ان يرمي رقبته فلما سمع ولده تكلم زال ما به ونهض قائما وجذب الغلام مرزوان واجلسه بجانب

قمرالزمان واقبل الملك على مرزوان وقال له الحمد لله على سلامتك فقال له سلم الله لك ولدك ودعا للملك فقال له الملك من ايّ البلاد انت قال من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملك شهرمان عسى ان يكون قدومك مباركا على ولدي وينجيه الله مما هو فيه فقال ان شاء الله تعالى ما يكون الا الخير ثم ان مرزوان اقبل على قمرالزمان وقال له في اذنه في غفلة الملك واهل الدولة يا سيّدي شدّ روحك وقوّ قلبك وقرّ عينك فان التي صرت من اجلها هكذا لا تسأل عما هي فيه من اجلك ولكنك كتمت امرك فضعفت واما هي فانها اظهرت امرها فقالوا انها جنّت وهي الآن مسجونة وفي رقبتها سلسلة من الحديد وهي في اسوء حال وان شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدي فلما سمع قمرالزمان هذا الكلام ردت روحه اليه واشتد قلبه وحصل عنده نشاط واشار الى ابيه ان يجلسه فكاد الملك ان يطير من الفرح ونهض الى ولده واجلسه فجلس قمرالزمان فنفض الملك المنديل من خوفه على ولده فانصرفت جميع الامراء والوزراء ووضع له مخدتين فجلس متكئا وامر الملك ان يطيب القصر بالزعفران ثم امر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله يا ولدي ان طلعتك سعيدة مباركة ثم اكرمه غاية الاكرام وطلب له الملك الطعام فقدموه له فتقدم مرزوان وقال لقمرالزمان تقدّم كل معي فطاوعه وتقدّم واكل معه كل هذا والملك يدعو لمرزوان ويقول ما احسن قدومك يا ولدي فلما رأى والده اكل ولده زاد به الفرح والسرور وخرج من وقته واخبر امه واهل القصر فضربت البشائر في القصر لسلامة قمرالزمان ونادى الملك بالزينة .

فزيّنت المدينة و فرحت الناس وكان يوما عظيمــا ثم ان مرزوان بات تلك الليلة عند قمر الزمــان و بات الملك عندهما من فرحته وهو مسرور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولده فلما اصبح الصبـــاح وانصرف الملك شهرمان وخلا مرزوان بقمر الزمان حدّثه بالقصة من اولها الى آخرها وقال له اعلم انّني اعرف التي اجتمعت بها واسمها الست بدور بنت الملك الغيور ثم حدثه بماجري للسيدة بدور من الاول الى الآخر واخبره بفرط محبتها له وقال له جميع ما جرى لك مع ابيك جرى لها مع ابيها وانت من غير شك حبيبها وهي حبيبتك فشدّ عزمـــك وقوّ قلبك فها انا اوصلك اليهـــا واجمع بينـــك و بينها قريبا واعمل معكما كما قال الشـــــــــــــــاعر

إِذَا صَـدِيقٌ صَدَّ عَنْ إِلْفِهِ وَلَـمْ يَزَلْ فِي فَرْطِ إِعْـرَاضِ
أَلَّفْتُ وَصْلًا بَيْنَ شَخْصَيْهِمَـــا كَأَنَّنِي مِسْمَـــارُ مِقْرَاضِ

ولم يزل مرزوان يقوّي قمر الزمان ويشجّعه و يسلّيه و يحثّه على الاكل والشرب حتى اكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه اليه وعادت اليـــه قوّته ونجا ممـــا كان فيه كل ذلك ومرزوان يسلّيه بالاشعار والحكايات حتى ان قمرالزمان وقف على حيله وطلب ان يروح الى الحمام فاخذه مرزوان بيده ودخلا الى الحمام فغسلا ابدانهما وتنظّفا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للمائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما ذهب الى الحمّام امر والده باطلاق المحابيس فرحا بذلك وخلع الخلع السنيّة على ارباب دولته وتصدق على الفقراء وامر بزينة البلد فزيّنت المدينة سبعة ايام ثم ان مرزوان قال لقمر الزمان اعلم ياسيدي اني ما جئت من عند الست بدور الا لهذا الامر وهو سبب سفري لاجل ان اخلصها مما هي فيه وما بقي لنا الا اننا ندبر حيلة في ذهابنا اليها لان والدك لايقدر على فراقك والرأي عندي انك في غد استأذن والدك في انك تخرج الى الصيد في البرية وخذ معك خرجا ملآنا من المال واركب الجواد وخذ معك جنيبا وانا الآخر مثلك اركب معك وقل لوالدك اني اريد ان اتفرج في البرية واتصيد وانظر الفضاء وابيت هناك ليلة واحدة فاذا خرجنا ذهبنا الى حالنا ولا تخلي احدا يتبعنا من الخدم فقال قمر الزمان نعم هذا الرأي وفرح بذلك فرحا شديدا واشتد ظهره ودخل على والده فاخبره بذلك فاذن له والده في الخروج الى الصيد وقال له يا ولدي الف يوم مبارك الذي قواك وانا لا اكره ذلك ولكن لاتبت الا ليلة واحدة وفي غد تأتي وتحضر عندي فانك تعلم انه ما يطيب لي عيش الا بك واني ما صدقت انك شفيت مما كنت فيه وانت عندي كما قال فيه الشاعر

وَلَوْ اَنَّ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... بِسَاطُ سُلَيْمَانٍ وَمُلْكُ الْاَكَاسِرَةْ
لَمَا سَرِّ يَا عِنْدِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ... اِذَا لَمْ تَكُنْ عَيْنِي لِشَخْصِكَ نَاظِرَةْ

ثم ان الملك جهّز ولده قمر الزمان وجهّز معه مرزوان وامران يهيّء لهما اربعة من الخيل وهجينا برسم المال وجملا يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان ان يخرج معه احد في خدمته فودّعه ابوه وضمّه الى صدره وقبّله وقال له سألتك بالله لا تغب عني غير ليلة واحدة وحرام عليّ المنام فيها فانّي كما قال الشاعر

وِصَالُكَ عِنْدِي نَعِيمٌ نَعِيمْ ... وَصَبْرِي مِنْكَ اَلِيمٌ اَلِيمْ
فَدَيْتُكَ اِنْ كَانَ ذَنْبِي الْهَوَى ... اِلَيْكَ فَذَنْبِي عَظِيمٌ عَظِيمْ
اَعِنْدَكَ مِثْلِي نَارُ الْجَوَى ... فَاَصْلَى بِذَاكَ عَذَابَ الْجَحِيمْ

فقال يا ابي ان شاء الله لا ابيت غير ليلة ثم ودّعه وانصرف وخرج قمرالزمان ومرزوان وركبا الخيل ومعهما الهجين عليه المال والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمرالزمان ومرزوان سارا واستقبلا البر وسافرا من اول النهار الى المساء ونزلا واكلا وشربا واطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا ومازالا سائرين الى ثلثة ايام وفي رابع يوم بان لهما مكان متّسع فيه غاب فنزلا فيه فاخذ مرزوان جملا وفرسا وذبحهما وقطع لحمهما قطعا وكسر عظمهما واخذ من قمرالزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعا ولوّثهما بدم الفرس واخذ جبّة قمرالزمان ومزّقها ولوّثها بالدم ورماها في مفرق الطريق ثم اكلا وشربا وركبا وسافرا فسأله قمر الزمان عما فعله

فقال له ما هذا يا اخي الذي فعلتــه وما ذا يفيد ذلك فقال له اعلم انّ والدك الملك شهرمان اذا غبنا عنه ليلة بعد الليلة التي اخذنا بها منه الاذن ولم نحضرله فيها يركب ويسافر في اثرنا فاذا وصل الى هذا الدم الذي فعلته ورأى قميصك ولباسك مقطّعا وعليه الدم فيظنّ في نفسه انه جرى لك امر من قطاع الطريق او وحوش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع الى المدينة ونبلغ بهذه الحيلــة ما نريد فقال قمرالزمان والله ان هذه حيلة مليحة نعم ما فعلت ثم انهما سارا اياما وليالي كل ذلك وقمرالزمان يشتكي اذا انفرد بنفسه ويبكي الى ان استبشر بقرب الديار فانشد يقول هذه الاشعـــــــــار

أَتَجْفُو مُحِبًّا مَاسَلَا عَنْكَ سَاعَةً ... وَتَزْهَدُ فِيهِ بَعْدَمَا كُنْتَ رَاغِبَا
حُرِمْتُ الرِّضَى إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي الْهَوَى ... وَعُوقِبْتُ بِالْهِجْرَانِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا
وَمَا كَانَ لِي ذَنْبٌ فَاسْتَوْجِبُ الْجَفَا ... وَإِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَقَدْ جِئْتُ تَائِبَا
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنَّكَ هَاجِرِي ... وَمَازَالَتِ الْأَيَّامُ تُبْدِي الْعَجَائِبَا

فلما فرغ قمرالزمان من شعــره قال له مرزوان انظر هذه جزائر الملك الغيــور قد لاحت ففرح قمرالزمان فرحا شديدا وشكــر مرزوان على فعله وقبّله بين عينيه وضمّه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمــرالزمان لمــا قال له مرزوان انظر هذه جزائر الملك الغيور فرح وشكر على فعله وقبّله وضمّه الى صدره فلما وصلا الى الجزائر دخلا المدينة وانزله مرزوان

في خان و استراحا ثلثة ايام من السفر و بعد ذلك اخذ مرزوان قمر الزمان و دخل به الحمام و البسه لبس التجّار وعمل له تخت رمل من ذهب و عمل له عدّة وعمل له اسطرلابا من فضة مطلي بالذهب و قال له قم يا مولاي وقِف تحت قصر الملك و نادِ انا الحاسب انا الكاتب انا الذي اعرف المطلوب و الطالب انا الحكيم الماهر انا المنجم الباهر فاين الطالب فان الملك اذا سمعك يرسل خلفك ويدخل بك على ابنته الملكة بدور محبوبتك فاذا دخلت عليها قل له اعطني مهلة ثلثة ايام فان طابت زوّجني بها وان لم تطب افعل بي كما فعلت بالذين قبلي فانه يقبل منك ذلك فاذا صرت عندها عرّفها بنفسك فانّها تشتدّ لما تراك ويزول ما بها من الجنون وهي تطيب في ليلة فاطعمها و اسقها ويفرح ابوها بسلامتها و يزوّجك بها و يقاسمك في ملكه لانه شرط على نفسه هذا الشرط والسلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام قال له لا عدمت فضلك واخذ منه العدّة وخرج من الخان وهو لابس البدلة واخذ معه العدة التي ذكرناها وسار الى ان وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى انا الكاتب الحاسب انا الذي اعرف المطلوب و الطالب انا الذي افتح الكتاب و احسب الحساب وافسّر الاحلام و اخطّ با قلام المطالب فاين الطالب فلما سمع اهل المدينة هذا الكلام جاؤا اليه لان لهم مدة ماراُوا كاتبا ولا منجّما فوقفوا حوله و صاروا يتأمّلونه فرأوه على غاية من الجمال و اللطف والظرف والكمال فوقفوا يتعجّبون من حسنه وجماله وقدّه واعتداله فتقدم اليه واحد وقال له بالله عليك ايها الشاب المليح صاحب اللسان الفصيح لا تخاطر بنفسك وترمي روحك في الهلاك طمعا في زواج الملكة بدور بنت الملك

الغيور وانظر بعينك الى هذه الروس المعلقة فان اصحابها كلهم قُتلوا بسبب ذلك فلم يلتفت قمر الزمان الى كلامه ونادى باعلى صوته انا الحكيم الكاتب انا المنجم الحاسب فصار كل من اهل البلد ينهاه عن هذا الفعل فلم يلتفت اليهم ابدا وقال في نفسه ما يعلم الشوق الّا من يكابده وصار ينادي باعلى صوته انا الحكيم انا المنجم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لم يلتفت الى كلام اهل المدينة وصار ينادي انا الكاتب انا الحاسب انا المنجم فاغتاظ جميع اهل المدينة منه وقالوا له ما انت الاشاب بليد مكابر احمق ارحم شبابك وصغر سنّك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال انا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما قمر الزمان ينادي والناس ينهونه اذ سمع صوته الملك الغيور وسمع ضجّة الناس فقال الملك للوزير انزل أتنا بهذا المنجم فنزل الوزير سريعا واخذ قمر الزمان من وسط الناس واطلعه الى الملك فلما صار بين يدى الملك الغيور قبّل الارض وانشد يقول

ثَمَانِيَةٌ فِي الْمَجْدِ حُزْتَ جَمِيعَهَا فَلَا زَالَ خُدَّامًا بِهِنَّ لَكَ الدَّهْرُ
يَقِينُكَ وَالتَّقْوَى وَمَجْدُكَ وَالنَّدَى وَلَفْظُكَ وَالْمَعْنَى وَعِزُّكَ وَالنَّصْرُ

فلما نظر الملك الغيور اليه اجلسه الى جانبه واقبل عليه وقال له بالله يا والدي ان لم تكن منجّما فلا تخاطر بنفسك ولا تدخل على شرطي فاني شرطت على نفسي ان كل من دخل على بنتي ولم يبرئها مما اصابها

ضربت عنقه وكل من ابرأها زوّجته بها فلا يغرّنك حسنك وجمالك
والله والله ان لم تبرئها لاضربنّ عنقك فقال قمر الزمان لك ذلك وانا راض
وعندي علمٌ هذا قبل ان آتيك فاشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلّمه
الى الخادم وقال له اوصل هذا الى الست بدور فمسكه الخادم
من يده ومشى به في الدهليز فسابقه قمر الزمان فصار الخادم يجري
ويقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فاني ما رأيت
منجما يستعجل على هلاك نفسه غيرك ولكنّك لم تعرف ايّ شيٍّ قدّامك
من الدواهي فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لقمر الزمان اصبر ولا
تستعجل فاعرض بوجهه عنه وانشد يقول هذه الابيات

أَنَا عَارِفٌ بِصِفَاتِ حُسْنِكَ جَاهِلُ ... مُتَحَيِّرٌ لَمْ أَدْرِ مَا أَنَا قَائِلُ
لَوْ قُلْتُ شَمْسًا كَانَ حُسْنُكَ لَمْ يَغِبْ ... عَنْ نَاظِرِي إِنَّ الشُّمُوسَ أَوَافِلُ
كَمُلَتْ مَحَاسِنُكَ الَّتِي فِي وَصْفِهَا ... عَجَزَ الْبَلِيغُ وَحَارَ فِيهَا الْقَائِلُ

ثم ان الخادم اوقف قمر الزمان خلف الستارة التي على الباب
فقال له قمر الزمان ايّ الحالتين احب اليك اكون اداوي سيّدتك وابرؤها
من هنا او ادخل اليها فابرؤها من داخل الستارة فتعجب الخادم
من كلامه وقال له ان ابرأتها من هنا كان ذلك زيادة في فضلك
فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة واخرج الدواة والقلم
واخذ ورقة وكتب فيها هذه الكلمات هذا كتابُ مَن برح به الجوى *

واتلفه الهوى * واهلكه الاسى * و البلاء لمن يئس من الحياة * وايقن بحلول الوفاة * وما لقلبه الحزين * من مسعف و لا معين * وما لطرفه الساهر * على الهم ناصر * فنهاره في لهيب * وليله في تعذيب * وقد انبرى جسمه من كثرة النحول * ولم يأته من حبيبه رسول * ثم كتب هذه الابيات

كَتَبْتُ وَلِي قَلْبٌ بِذِكْرِكِ مُوْلَعُ ... وَجَفْنٌ قَرِيحٌ مِنْ دِمَائِي يَدْمَعُ
وَجِسْمٌ كَسَاهُ لَاعِجُ الشَّوْقِ وَالْاَسَى ... قَمِيصَ نُحُولٍ فَهْوَ فِيهِ مُضَعْضَعُ
شَكَوْتُ الهَوَى لَمَّا اَضَرَّ بِيَ الهَوَى ... وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي لِلتَّصَبُّرِ مَوْضِعُ
اِلَيْكِ فَجُودِي وَارْحَمِي وَتَعَطَّفِي ... فَاِنَّ فُؤَادِي بِالهَوَى يَتَقَطَّعُ

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات شفاء القلوب * لقاء المحبوب * من جفاه حبيبه * فالله طبيبه * من خان منكم ومنّا * لا نال ما يتمنّى * ولا اظرف من المحب الوافي * الى الحبيب الجافي * ثم كتب في الامضاء من الهائم الولهان * العاشق الحيران * مَن اتلفه العشق و الغرام * اسير الوجد و الهيام * قمر الزمان * ابن شهرمان * الى فريدة الزمان * ونخبة الحور الحسان * السيدة بدور * بنت الملك الغيور * اعلمي انّني في ليلي سهران * وفي نهاري حيران * زائد النحول والاسقام * والعشق و الغرام * كثير الزفرات * غزير العبرات * اسير الهوى * قتيل الجوى * والهجر لقلبه كوى * غريم الغرام * نديم السقام * فانا السهران الذي لا تهجع مقلته * والمتيّم الذي لا ترقأ عبرته * فنار قلبي لا تنطفي * ولهيب شوقي لا يختفي * ثم ان قمر الزمان كتب في حاشية الكتاب هذا البيت المستطاب شعر

سَلَامٌ مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِ رَبِّي ... عَلَى مَنْ عِنْدَهَا رُوحِي وَقَلْبِي

وكتب ايضا

هَبُوا لِي حَلْ بِغَامِن حُبّ بِكُم عسى بِهِ تَرْحَمُونِي أَوْ يَقِرُّ جَنَا بِي
وَمِن شغفي فِيكُم وَوَجْدِي انّنِي أَهُونُ مَا أَلْقَاهُ وَهُوَ هُوَانِي
رَعَى اللَّهُ قَوماً شَطّ عَنِّي مَزَارُهُم كَنَمتُ هَوَاهُم فِي أَعَزِّ مَكَانِ
وَهَا أَنَا قَدْ جَادَ الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ وَفِي تُرْبِ أَعْتَابِ الحَبِيبِ رَمَانِي
رَأَيْتُ بُدُوراً فِي الفِرَاشِ بِجَانِبِي زَهَا قَمَرِي مِنْ شَمْسِهَا بِزَمَانِي

ثم ان قمر الزمان بعد ان ختم الكتاب كتب في عنوانه هذه الابيات

سَلِي كُتُبِي عَمَّا خَطَّهُ قَلَمِي فَالرَّسْمُ يُخْبِرُ عَنْ وَجْدِي وَعَنْ أَلَمِي
يَدِي تَخُطُّ وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلٌ وَقَدْ شَكَى الشَّوْقَ لِلقِرْطَاسِ مِنْ قَلَمِي
مَا زَالَ دَمْعِي عَلَى القِرْطَاسِ مُنْسَكِبًا إِنِ انْقَضَتْ أَدْمُعِي أَتْبَعْتُهَا بِدَمِي

ثم كتب ايضا في آخر الكتاب

أَرْسَلْتُ خَاتَمَكَ الَّذِي اسْتَبْدَلْتُهُ يَوْمَ التَّوَاصُلِ فَأَرْسِلِي لِي خَاتَمِي

ثم ان قمر الزمان جعل خاتم الست بدور فى طيّ الورقة وناولها للخادم فاخذها منه وادخل بها على سيدته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما وضع الخاتم فى الورقة وناولها للخادم فاخذها ودخل بها الى الست بدور فاخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها فيها بعينه فقرأت

الورقة فلما عرفت المقصود علمت انه معشوقها وانه هو واقف خلف الستارة فطار عقلها من الفرح وانشرح صدرها واتسع ومن فرط المسرات انشدت هذه الابيات

وَلَقَدْ نَدِمتُ عَلى تَفرُّقِ شَمْلِنَا	نَدَماً وَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ اَجْفَانِي
وَنَذَرتُ اِن عَادَ الزَّمَانُ يَلُمُّنَا	مَا عُدتُ اَذْكُرُ فُرقَةً بِلِسَانِي
هَجَمَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى اَنَّهُ	مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ سَرَّنِي اَبْكَانِي
يَاعَيْنُ صَارَ الدَّمْعُ مِنكِ سَجِيَّةً	تَبْكِينَ مِنْ فَرَحٍ وَمِنْ اَحْزَانِي

فلما فرغت الست بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها في الحائط واتكأت بقوتها على الغلّ الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت نفسها على قمرالزمان وقبّلته في فمه مثل زقّ الحمام وعانقته من شدّة مابها من الوجد والغرام وقالت له يا سيدي هل هذا يقظة ام منام وهل قد منّ الله علينا بالقرب بعد البعاد فالحمد لله على جمع شملنا بعد اليأس فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجري حتى وصل الى الملك الغيور فقبّل الارض بين يديه وقال له يا مولاي اعلم ان هذا المنجم شيخ المنجمين واعلمهم كلهم فانه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال له الملك انظر جيدا اصحيح هذا الخبر فقال له الخادم ياسيدي قم وانظر اليها كيف وجدت فيها قوة حتى قطعت السلاسل من الحديد وخرجت الى المنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على بنته فلما رأته نهضت قائمة وغطّت رأسها وانشدت هذين البيتين

لَا اُحِبُّ السِّوَاكَ مِنْ اَجْلِ اَنّي	اِنْ ذَكَرْتُ السِّوَاكَ قُلْتُ سِوَاكَا.

وَاُحِبُّ الْاَرَاكَ مِنْ اَجْلِ اَنّي   اِنْ ذَكَرْتُ الْاَرَاكَ قُلْتُ اَرَاكَا

فعند ذلك فرح ابوها بسلامتها حتى كاد ان يطير وقبّلها بين عينيها لانه كان يحبّها محبّة عظيمة واقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من ايّ البلاد انت فاخبره قمر الزمان بنسبه وشانه واعلمه ان والده الملك شهرمان ثم ان قمر الزمان قصّ عليه القصة من اولها الى آخرها واخبره بجميع ما اتفق له مع الست بدور وكيف اخذ الخاتم من اصبعها والبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال له ان حكايتكما ينبغي ان تؤرخ فى الكتب وتقرأ بعد كما جيلاً بعد جيل ثم ان الملك الغيور احضر من وقته القضاة والشهود وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وامر بتزيين المدينة سبعة ايام ثم مدوا السماط والاطعمة وعملت الافراح وتزيّنتِ المدينة وجميع العساكر بافخر الثياب واقبلت البشائر ودقّت الطبول ودخل قمر الزمان على الست بدور وفرح ابوها بعافيتها وزواجها وحمد الله الذي رماها في حب شاب مليح من ابناء الملوك فجلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما فى الحسن والجمال والظرف والدلال فنام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ اربه منها وهي بلّت شوقها منه وتمتّعت بحسنه وجماله وتعانقا الى الصباح وفى اليوم الثاني عمل الملك وليمة وجمع فيها جميع اهل الجزائر الجوانيه والبرانية وقدّم لهم الاسمطة والطعام الفاخر وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ان استهدى سرّ قمر الزمان وبلغ اربه ومكث في هذا الحال مع الست بدور مدة تفكر والده الملك شهرمان فرآه فى المنام وهو يقول له يا ولدي اهكذا تفعل معي هذه الفعال وانشده فى النوم هذين البيتين

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُ الدُّجَى بِصُدُودِهِ ... وَوَكَّلَ اَجْفَانِي بِرَعْيِ كَوَاكِبِهْ
فَيَا كَبِدِي مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي ... وَيَا مُهْجَتِي صَبْرًا عَلَى مَا كَوَاكِ بِهِ

ثم ان قمرالزمان لما رأى والده في المنام وهو يعاتبه اصبح مغموما حزينا فسألته الست بدور فاخبرها بما رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمرالزمان لما اخبر الست بدور بما رآه في النوم دخلت هي واياه على والدها واعلماه بذلك واستأذناه في السفر فاذن له بالسفر فقالت له الست بدور يا والدي انا لا اصبر على فراقه فقال لها والدها سافري معه واذن لها بالاقامة معه سنة كاملة وبعدها تأتي لتزور والدها في كل عام مرة فقبّلت يد ابيها وكذلك قمرالزمان ثم شرع الملك الغيور في تجهيز ابنته وزوجها وهيّأ لهما المؤنة وادوات السفر واخرج لهما الخيول المسوّمة والهجن العشاري واخرج لابنته محفّة وحمل لهما البغال والهجن واستخدم لهما العبيد والرجال واخرج لهما كلما يحتاجان اليه في السفر وفي يوم المسير ودّع الملك الغيور قمرالزمان وخلع عليه عشر خلع سنيّة من الذهب مرصّعة بالجواهر وقدّم له عشرة خيول وعشر نياق وخزنة مال واوصاه على بنته الست بدور وخرج معهما الى اقصى الجزائر ثم ودّع قمرالزمان ودخل على ابنته الست بدور وهي في المحفة وضمها وقبلها وصار يبكي ويقول

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلاً فَمُتْعَةُ الْعَاشِقِ الْعِنَاقُ
مَهْلاً فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ وَآخِرُ الْعِشْرَةِ الْفِرَاقُ

ثم خرج من عند ابنته واتى الى زوجها قمر الزمان فصار يودّعه ويقبّله ثم فارقهما ورجع الى مملكته بعسكره بعد ان امرهما بالرحيل فسار قمر الزمان وزوجته الست بدور ومن معهم من الاتباع اول يوم والثاني والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر كامل فنزلوا في مرج واسع الفلا كثير الكلاء وضربوا خيامهم فيه واكلوا وشربوا واستراحوا ونامت الست بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بدنها قميص مشمشي من الحرير يبين منه كل شيء وفوق رأسها كوفية من الذهب مرصعة بالدر والجواهر وقد رفع الهواء قميصها فطلع فوق سرتها وبانت نهودها وظهر لها بطن ابيض من الثلج وكل عكنة من عكن طياته تسع اوقية من دهن البان فزاد محبة وهياما وانشد يقول

لَوْ قِيلَ لِي وَزَفِيرُ الْحَرِّ يَتَّقِدُ وَالنَّارُ فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ تَضْطَرِمُ
أَهُمْ تُرِيدُ وَتَهْوَى أَنْ تُشَاهِدَهُمْ أَوْ شَرْبَةً مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ قُلْتُ هُمُ

فحطّ قمر الزمان يده في دكة لباسها فجذبها وحلّها لما اشتهاها خاطره فرأى فيها فصّا احمر مثل العندم مربوطا على دكتها فحلّه ونظر فيه فرأى عليه اسماء منقوشة سطرين بكتابة لا تقرأ فتعجّب قمر الزمان وقال في نفسه لولا ان هذا الفص امر عظيم عندها ماربطته هذه الربطة على دكة لباسها وما خبأته في اعز مكان عندها حتى لا تفارقه فيا ترى ما ذا تصنع بهذا وما السرّ الذي هو فيه ثم اخذه وخرج من الخيمة ليبصره في النور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اخذ الفص ليبصرة فى النور
صار يتأمل فيــه وهو في يده واذا بطائر انقض على قمر الزمان
و خطف الفص من يده و طاربه وحط به على الارض فخاف قمر الزمان
على الفص وجرى خلف الطائر فصار الطائر يجري على قدر جري قمر الزمان
فلم يزل قمر الزمان يتبعه من محل الى محل ومن تل الى تل الى ان دخل
الليل واظلم الجو فنام الطــائر على شجرة عاليــة فوقف قمر الزمان
تحتهـــا و صار متحيــرا و قد ساخت روحه من الجـــوع والتعب
وحسّ انه هالك واراد ان يرجع فمـــا عرف الموضع الذي جاء منه
وهجم عليه الظلام فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ثم نام
تحت الشجرة التي فوقها الطائــر الى الصباح و انتبــه قمر الزمان من
نومه فرأى الطائر قد انتبه و طار من فوق الشجرة فمشى قمر الزمان
خلفــه و صار ذلك الطائر يطير قليلا بقدر مشي قمر الزمان فتبسم
قمر الزمان وقال ياللّــه العجب ان هذا الطائر كان بالامس يطير
بقدر جريتي و في هذا اليوم علم اني اصبحت تعبانا لا اقدر اجري
فصار يطير على قدر مشيتي والله ان هذا عجيب ولكن لابد ان اتبع
هذا الطائر فاما ان يكون هذا الطائر يقودني لحيــوتي او لمماتي
فانا اتبعه اينمـــا يتوجه لانه على كل حال لايقيم الا فى البلاد
العمار ثم ان قمر الزمان جعل يمشي تحت الطائر والطائر يبيت
في كل ليلة على شجرة ولم يزل تابعه مدة عشرة ايام وقمر الزمان
يتقوّت من نبــات الارض ويشرب من انهارها و بعد عشرة ايام
اشرف على مدينــة عامرة فمرق الطائر مثل لمح البصر ودخل تلك

المدينة وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف خبره ولا يعلم اين ذهب فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله الذي سلمني حتى وصلت الى هذه المدينة ثم جلس على نهر وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة فتذكر ما كان فيه من الراحة والهنا واجتماع الشمل ونظر الى ما هو فيه من التعب والهمّ والغربة والجوع والفرقة ففاضت دموعه وانشد يقول

أَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْكَ وَقَدْ ظَهَرَ ... وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَرِ
نَادَيْتُ لَمَّا أَوْهَنَتْ قَلْبِي الْفِكَر ... يَا دَهْرُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَرِ
هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَرِ
لَوْ كَانَ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ مُنْصِفِي ... مَا كَانَ نَوْمِي مِنْ عُيُونِي قَدْ نُفِي
يَا سَادَتِي رِفْقًا لِصَبٍّ مُدْنِفِ ... وَتَعَطَّفُوا لِعَزِيزِ قَوْمٍ ذَلَّ فِي
شَرْعِ الْهَوَى وَغَنِيِّ قَوْمٍ افْتَقَرْ
لَمْ الْعَوَاذِلُ فِيكَ مَا طَاوَعْتُهُمْ ... وَسَدَدْتُ كُلَّ مَسَامِعِي وَصَمَمْتُهُمْ
قَالُوا عَشِقْتَ مُهَفْهَفًا فَأَجَبْتُهُمْ ... اخْتَرْتُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَتَرَكْتُهُمْ
كُفُّوا إِذَا وَقَعَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح قام يمشي قليلا قليلا حتى دخل المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة وهو لا يعلم اين يتوجّه فشق المدينة من اولها الى آخرها وكان قد دخل من باب البر ولم يزل يمشي

حتى خرج من باب البحر فلم يقابله احد من اهلها وكانت مدينة على شاطئ البحر ثم انه بعد ان خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشيا حتى وصل الى بساتين المدينة واشجارها فدخل بين الاشجار ومشى فاتى الى بستان فوقف على بابه فخرج اليه الخولي فسلّم عليه فرد عليه السلام فرحّب به الخولي وقال له الحمد لله الذي اتيت سالما من اهل هذه المدينة فادخُل الى هذا البستان سريعا قبل ان يراك احد من اهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان الى ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولي ما حكاية اهل هذه المدينة وما خبرهم فقال له اعلم ان اهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله عليك اخبرني كيف اتيت الى هذا المكان وما سبب مجيئك الى بلادنا فاخبر قمر الزمان الخولي بجميع ما جرى له من اوله الى آخره فتعجب الخولي غاية العجب وقال له اعلم يا ولدي ان بلاد الاسلام بعيدة من هنا وبينها وبيننا اربعة اشهر في البحر واما في البر فسنة كاملة وان عندنا مركبا تقلع وتسافر كل سنة ببضائع الى اول بلاد الاسلام وتسير من هنا الى بحر جزائر الآبنوس ومنها الى جزائر خالدان التي ملكها الملك شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان في نفسه ساعة وعلم انه لا اوفق له من قعوده في البستان عند الخولي ويعمل عنده مرابعا فقال للخولي هل تقبلني عندك لاجل المرابع في هذا البستان فقال له سمعا وطاعة فعلّمه الخولي تحويل الماء على بيوت الاشجار فصار قمر الزمان يحوّل الماء ويقطع الحشيش بالفاس والبسه الخولي بشتا قصيرا ازرق الى ركبتيه وصار عنده يسقي الاشجار ويبكي بدموع غزار ولا يقر له قرار بالليل ولا بالنهار من اجل غربته وفي محبوبته ينشد الاشعار فمن جملة ذلك هذه الابيات

لَنَا عِنْدَكُمْ وَعْدٌ فَهَلَّا وَفَيْتُمُ ... وَقُلْتُمْ لَنَا قَوْلاً فَهَلَّا فَعَلْتُمُ
سَهِرْنَا عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ وَنِمْتُمُ ... وَلَيْسَ سَوَاءٌ سَاهِرُونَ وَنُوَّمُ
وَكُنَّا عَهِدْنَا أَنَّنَا نَكْتُمُ الْهَوَى ... فَأَغْرَاكُمُ الْوَاشِي وَقَالَ وَقُلْتُمُ
فَيَا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَى ... عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْتُمُ الْقَصْدُ أَنْتُمُ
وَلِي عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ قَلْبٌ مُعَذَّبٌ ... فَيَا لَيْتَهُ يَرْثِي لِحَالِي وَيَرْحَمُ
وَمَا كُلُّ عَيْنٍ مِثْلُ عَيْنِي قَرِيحَةٌ ... وَلَا كُلُّ قَلْبٍ مِثْلُ قَلْبِي مُتَيَّمُ
ظَلَمْتُمْ وَقُلْتُمْ إِنَّمَا الْحُبُّ ظَالِمٌ ... صَدَقْتُمْ كَذَا كَانَ الْحَدِيثُ صَدَقْتُمُ
سَلُوا مُغْرَمًا لَا يَنْقُضُ الدَّهْرَ عَهْدَهُ ... وَلَوْ كَانَ فِي أَحْشَائِهِ النَّارُ تُضْرَمُ
إِذَا كَانَ خَصْمِي فِي الصَّبَابَةِ حَاكِمِي ... لِمَنْ أَشْتَكِي حَالِي لِمَنْ أَتَظَلَّمُ
وَلَوْلَا افْتِقَارِي فِي الْهَوَى وَصَبَابَتِي ... لَمَا كَانَ لِي فِي الْعِشْقِ قَلْبٌ مُتَيَّمُ

هذا ما كان وما جرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان واما ما كان من امر زوجته الست بدور بنت الملك الغيور فانها لما انتبهت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولا فانقدت العقدة التي عليها الفص فوجدتها محلولة والفص معدوما فقالت في نفسها يا لله العجب اين زوجي كأنه اخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذي هو فيه فيا ترى اين ذهب ولكن لابد له من امر عجيب اقتضى رواحه والا ما كان يقدر ان يفارقني ساعة فلعن الله الفص ولعن ساعته ثم ان الست بدور تفكرت وقالت في نفسها ان خرجت الى الحاشية واعلمتهم بفقد زوجي يطمعوا فيّ ولكن لابدّ من الحيلة فقامت ولبست ثيابا من ثياب زوجها قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته ولبست الخف وضربت لها لثاما وحطت في محفتها جارية وخرجت من خيمتها ونادت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وامرت

بشدّ الاحمال فشدّت وامرت بالرحيل فسافروا واخفت امرها فلم يشك احد انها قمر الزمان لانها كانت تشبهه في قوامه ووجهه ومازالت مسافرة هي واتباعها اياما وليالي حتى اشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لاجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها هذه مدينة الآبنوس وملكها الملك ارمانوس وله بنت اسمها حيوة النفوس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الست بدور لما نزلت على ظاهر مدينة الآبنوس لاجل الاستراحة ارسل الملك ارمانوس رسولا من عنده يكشف له خبر هذا الملك النازل على ظاهر مدينته فلما وصل اليهم الرسول سألهم فاخبروه انه ابن ملك تايه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالدان للملك شهرمان فعاد الرسول الى الملك ارمانوس واخبره بالخبر فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام نزل في خواص دولته الى مقابلته فلما قدم على الخيّام ترجلت الست بدور وترجّل الملك ارمانوس وسلما على بعضهما واخذها ودخل بها الى مدينته وطلع بها الى قصره وامر بمد السماطات وموائد الاطعمة والمآكل وامر بنقل جيش الست بدور الى دار الضيافة فمكثوا هناك ثلثة ايام وبعد ذلك اقبل الملك على الست بدور وكانت دخلت في ذلك اليوم الحمام واسفرت عن وجه كانه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الناس عند رؤيتها فعند ذلك اقبل الملك ارمانوس عليها وهي لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها

يا ولدي اعلم اني صرت شيخا كبيرا هرما وعمري ما رزقت ولدا غير بنت وهي تشبهك في الحسن والجمال وانا الآن عجزت عن تدبير المملكة فهي لك يا ولدي فان كانت ارضي هذه تعجبك وتقيم بها وتسكن بلادي فانا ازوّجك بها واعطيك مملكتي واستريح انا فاطرقت الست بدور برأسها وعرق جبينها من الحياء وقالت في نفسها كيف يكون العمل وانا امرأة وان لم ارض وسرت من عنده لم آمن فربما يرسل خلفي جيشا يقتلني وان اطعته ربما افتضح وايضا فقدت محبوبي قمر الزمان ولم اعرف له خبرا ومالي خلاص الآن اسكت وارضى واقيم عنده حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ثم ان الست بدور رفعت رأسها واذعنت للملك ارمانوس بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وامر المنادي ان ينادي في جزائر الآبنوس بالفرح والزينة وجمع الحجّاب والنوّاب والامراء والوزراء وارباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وسلطن الست بدور والبسها بدلة الملك ودخلت الامراء جميعا على الست بدور وهم لا يشكّون في انها شاب ذكر وصار كل من نظر اليها منهم جميعا يبلّ سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملك بدور ودقت لها البشائر بالسّرور وجلست على كرسيها شرع الملك ارمانوس في تجهيز ابنته حيوة النفوس وبعد ايام قلائل ادخلوا الست بدور على حيوة النفوس فكانتا كانهما قمران في وقت طلعا او شمسان قد اجتمعا فردّوا عليهما الابواب وارخوا الستائر بعد ان اوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حيوة النفوس فتذكرت محبوبها قمر الزمان واشتدت بها الاحزان فبكت على فراقه وغيابه وانشدت تقول

يَا غَائِبِينَ وَقَلْبِي زَائِدُ الْقَلَقِ
لَمْ يَبْقَ مِن بَيْنِكُم فِي الْجِسْمِ مِن رَمَقِ

وَكَانَ لِي مُقْلَةٌ تَشْكُو السُّهَادَ وَقَدْ
اَذَابَهَا الدَّمْعُ يَا لَيْتَ السُّهَادَ بَقِي

لَمَّا رَحَلْتُم اَقَامَ الصَّبُّ بَعْدَكُمُ
لَكِن سَلُوا عَنْهُ مَاذَا فِي الْبِعَادِ لَقِي

لَوْلَا جُفُونِي وَقَدْ فَاضَتْ مَدَامِعُهَا
تَوَقَّدَتْ عَرَصَاتُ الْاَرْضِ مِن حُرَقِي

اَشْكُو اِلَى اللّٰهِ اَحْبَابًا عَلَى مُتَيَّمِهِمْ
لَمْ يَرْحَمُوا صَبْوَتِي فِيهِم وَلَا قَلَقِي

لَا ذَنْبَ لِي عِنْدَهُمْ اِلَّا الْغَرَامُ بِهِم
وَالنَّاسُ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي الْهَوَى وَشَقِي

ثم ان الست بدور لما فرغت من انشادها جلست الى جانب السيدة حياة النفوس وقبّلتها في فمها ونهضت من وقتها وساعتها توضّأت ولم تزل تصلّي حتى نامت الست حياة النفوس فدخلت الست بدور معها في الفراش وادارت ظهرها لها الى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك وزوجته الى ابنتهما وسألاها عن حالها فاخبرتهما بما رأت وما سمعته من الشعر هذا ما كان من امر حياة النفوس وابويها واما ما كان من امر الملكة بدور فانها خرجت وجلست على كرسي المملكة وطلعت اليها الامراء وجميع الرؤساء وارباب الدولة وهنّوها بالملك وقبّلوا الارض بين يديها ودعوا لها فتبسمت واقبلت عليهم وخلعت عليهم وزادت في اكرام الامراء وارباب الدولة واطاعهم والجيوش فاحبّوها ودعوا لها جميع الخلق بدوام الملك وهم يعتقدون انها ذكر فامرت ونهت وحكمت واطلقت من في الحبوس وابطلت المكوس ولم تزل قاعدة في مجلس الحكومة الى ان دخل الليل فدخلت الى المكان الذي اعدّ لها فوجدت الست حياة النفوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولاطفتها وقبّلتها بين عينيها وانشدت تقول هذه الابيات شعر

قد صار سرّي بالدموع علانيه ... ونحول جسمي في الغرام علانيه

اخفي الهوى ويذيعه يوم النوى ... حالي على الواشين ليست خافيه

يا راحلين عن الحمى خلّفتم ... جسمي بكم مضنى ونفسي باليه

وسكنتم غور الحشى فنواظري ... تجري مدامعها وعيني داميه

وانا فداء الغائبين بمهجتي ... ابدا واشواقي اليهم باديه

لي مقلة انسانها في حبّهم ... رفض الكرى ودموعها متواليه

ظنّ العدى منّي عليه تجلّدا ... هيهات ما اذني اليهم واعيه

خابت ظنونهم عليّ وانّما ... قمر الزمان به انال امانيه

جمع الفضائل ما حواها قبله ... احد سواه من الملوك الخاليه

انسى الانام بجوده وبعفوه ... كرم ابن زائدة وحلم معاويه

لولا الاطالة والقريض مقصّر ... عن وصف حسنك لم ادع من قافيه

ثم ان الملكة بدور نهضت قائمة على اقدامها ومسحت دموعها و توضأت وصلت ولم تزل تصلّي الى ان غلب النوم على الست حياة النفوس فنامت فجاءت الست بدور ورقدت بجانبها الى الصباح ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسي المملكة وامرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر الملك ارمانوس فانه دخل على ابنته وسألها عن حالها فاخبرته بجميع ماجرى لها وانشدت له الشعر الذي قالته الملكة بدور ثم قالت يا ابي مارأيت احدا اكثر عقلا وحياء من زوجي غير انه يبكي ويتنهّد فقال لها ابوها يا بنتي اصبري عليه فما بقي غير هذه الليلة الثالثة فان لم يدخل بك ويزيل بكارتك يكن لنا معه رأي وتدبير واخلعه من الملك وانفيه من بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا

الرأي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ارمانوس لما اتفق مع ابنته على هذا الكلام واصر على هذا الرأي واقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة الى القصر ودخلت المكان الذي هو معدّ لها فرأت الشمع موقودا و السيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى لهما من الفرقة بينهما في تلك المدة اليسيرة فبكت وتنهّدت ووالت الزفرات و انشدت تقول هذه الابيات

قَسَمًا لَقَدْ مَلَأَتْ أَحَادِيثِي الْفَضَا	كَالشَّمْسِ مُشْرِقَةً عَلَى ذَاتِ الْغَضَا
نَطَقَتْ إِشَارَتُهُ فَأَشْكَلَ فَهْمُهَا	فَلِذَاكَ شَوْقِي فِي الْمَزِيدِ وَمَا انْقَضَى
أَبْغَضْتُ حُسْنَ الصَّبْرِ مُذْ أَحْبَبْتُهُ	أَرَأَيْتَ صَبًّا فِي الصَّبَا بِهِ مُبْغِضَا
وَمُمَرِّضِ اللَّحَظَاتِ صَالَ بِفَتْكِهَا	وَاللَّحْظُ أَمْثَلُ مَا يَكُونُ مُمَرِّضَا
أَلْقَى ذَوَائِبَهُ وَحَطَّ لِثَامَهُ	فَرَأَيْتُ مِنْهُ الْحُسْنَ أَسْوَدَ أَبْيَضَا
سُقْمِي وَبُرْئِي فِي يَدَيْهِ وَإِنَّمَا	يَشْفِي سَقَامَ الْحُبِّ مَنْ قَدْ أَمْرَضَا
هَامَ الْوِشَاحُ بِرِقَّةٍ فِي خَصْرِهِ	وَالرِّدْفُ مِنْ حَسَدٍ أَبَى أَنْ يَنْهَضَا
وَكَأَنَّ طُرَّتَهُ وَضَوْءَ جَبِينِهِ	لَيْلُ دُجًى فَاعْتَاقَهُ صُبْحٌ أَضَا

فلما فرغت من انشادها ارادت ان تقوم الى الصلوة و اذا بحياة النفوس مسكتها من ذيلها وتعلقت وقالت لها ياسيدي اما تستحي من والدي و ما فعل معك من الجميل و انت تتركني الى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست على حيلها في مكانها وقالت ياحبيبتي ما الذي تقولينه قالت الذي اقوله اني ما رأيت احدا معجبا بنفسه

مثلك فهل كل من كان مليحا يعجب بنفسه هكذا ولكن انا ما قلت هذا الكلام لاجل ان ترغب فيّ وانما قلته خيفة عليك من الملك ارمانوس فانه اضمر ان لم تدخل عليّ في هذه الليلة وتزيل بكارتي فانه يصبح ينزعك من المملكة ويسفرك من بلاده وربما يزداد به الغيظ فيقتلك وانا يا سيدي رحمتك ونصحتك والرأي رأيك فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام اطرقت براسها الى الارض وحارت في امرها ثم قالت في نفسها ان خالفته هلكت وان اطعته افتضحت ولكن انا في هذه الساعة ملكة على جزائر الآبنوس كلها وهي تحت حكمي وما اجتمع انا وقمر الزمان الا في هذا الموضع لانه ليس له طريق الى بلاده الامن جزائر الآبنوس واني حرت في امري وفوضت امري الى الله فهو نعم المدبّر وما انا ذكر حتى اقوم افتح هذه البنت البكر ثم ان الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتي ان تركك وامتناعي عنك كله بالرغم عني وحكت لها على ما جرى لها من الابتداء الى الانتهاء وارت لها نفسها وقالت لها سألتك بالله الّا ما سترت عليّ واخفيت امري حتى يجمعني الله بمحبوبي قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما اعلمت حياة النفوس بقصتها وامرتها بالكتمان فسمعت حياة النفوس كلامها وتعجبت من قصتها غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لها يا اختي لا تخافي ولا تفزعي واصبري الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا ثم ان حياة النفوس انشدت تقول

اَلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ... قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالْبَيْتُ مَخْتُومُ
مَا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ ... وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ

فلما فرغت من شعرها قالت لها يا اختي ان صدور الاحرار قبور الاسرار وانا لا افشي لك سرا ثم لعبتا وتعانقتا وتباوستا ونامتا الي قريب الاذان ثم قامت حياة النفوس واخذت فرخ حمام وذبحته على قميصها و تلطخت بدمه وقلعت سروالها و صرخت فدخل لها اهلها و زغرتت الجواري و دخلت عليها امها وسألتها عن حالها ودارت حواليها و اقامت عندها الى المساء و اما الملكة بدور فانها لما اصبحت قامت وذهبت الي الحمام واغتسلت و صلت الصبح ثم توجهت الى دار الحكومة وجلست على كرسي المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك ارمانوس الزغاريت سأل عن الخبر فاخبروه بافتضاض بنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح واولم وليمة عظيمة ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ماكان من امرهما واما ماكان من امر الملك شهرمان فانه بعد خروج ولده للصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى اقبل الليل عليه بعد خروجهما فلم يجئ ولده فلم ينم تلك الليلة وطال عليه الليل وقلق غاية القلق و زاد وجده و ماصدق ان الفجر يطلع فلما اصبح انتظر ولده الى نصف النهار فلم يجئ فحسّ قلبه بالفراق والتهب على ولده بالاشفاق وقال واولداه ثم بكى حتى بلّ ثيابه بالدموع وانشد من قلب مصدوع

مَازِلْتُ مُعْتَرِضًا عَلَى أَهْلِ الْهَوَى ... حَتَّى بُلِيتُ بِحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ
وَشَرِبْتُ كَأسَ صُدُودِهِ مُتَجَرِّعًا ... وَذَلَلْتُ فِيهِ لِعَبْدِهِ وَلِحُرِّهِ
قَدَرَ الزَّمَانُ بِأَنْ يُفَرِّقَ شَمْلَنَا ... وَالْآنَ قَدْ أَوْفَى الزَّمَانُ بِنَذْرِهِ

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى في عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمرالزمان وقلبه بالحزن ملآن وجدّوا في سيرهم وفرّق الملك جيشه يمينا وشمالا واماماً وخلفاً ست فرق وقال لهم الاجتماع غدا عند مفرق الطريق فعند ذلك تفرقت الجيوش والعساكر وسافروا و لم يزالو مسافرين بقية النهار الى ان جن الليل فساروا جميع الليل الى نصف النهار حتى وصلوا الى مفرق اربع طرق فلم يعرفوا ايّ طريق سلكها ثم رأوا اثر اقمشة مقطعة و رأوا اللحم مقطعا ونظروا اثر الدم باقيا و شاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم في ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم قلبه وقال واولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزّق اثوابه وايقن بموت ولده وزاد فى البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم ايقنوا بهلاك قمر الزمان وحثّوا على رؤسهم التراب و دخل عليهم الليل وهم في بكاء ونحيب حتى اشرفوا على الهلاك و احترق قلب الملك بلهيب الزفرات وانشد هذه الابيات

لَاتَعْذُلُوا ٱلْمَحْزُونَ فِي أَحْزَانِهِ ... فَلَقَدْ كَفَاهُ ٱلْوَجْدُ مِنْ أَشْجَانِهِ
يَبْكِي لِفَرْطِ تَأَسُّفٍ وَتَوَجُّعٍ ... وَغَرَامُهُ يُنْبِيكَ عَنْ نِيرَانِهِ
يَا سَعْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ حِلْفِ الضَّنَى ... أَنْ لَايُزِيلَ الدَّمْعَ مِنْ أَجْفَانِهِ
يُبْدِي الْغَرَامَ لِفَقْدِ بَدْرٍ زَاهِرٍ ... بِضِيَائِهِ يَزْهُو عَلَى أَقْرَانِهِ
وَلَقَدْ سَقَاهُ ٱلْمَوْتُ كَأْسًا مُتْرَعًا ... يَوْمَ الرَّحِيلِ فَشَطَّ عَنْ أَوْطَانِهِ
تَرَكَ الدِّيَارَ وَسَارَعَنَّا لِلْبَلَا ... لَمْ يَحْظَ بِالتَّوْدِيعِ مِنْ إِخْوَانِهِ
وَلَقَدْ رَمَانِي بِالْبِعَادِ وَبِالْجَفَا ... وَالصَّدِّ وَالتَّبْرِيحِ مِنْ هِجْرَانِهِ

وَلَقَدْ مَضَى عنّا وَسَارَ مُوَدِّعاً لمّا حَبَاهُ رَبُّهُ بِجِنَـــانِهِ

فلما فرغ الملك شهرمان من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما فرغ من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وايقن بهلاك ولده وعلم انه عدى عليه وافترسه اما وحش واما قاطع طريق ثم نادى في جزائر خالدان ان يلبسوا السواد من الاحزان على ولده قمر الزمان وعمل له بيتا وسماه بيت الاحزان وصار كل يوم خميس واثنين يحكم في مملكته بين عسكره ورعيته وبقية الجمعة يدخل الى بيت الحزن وينعي على ولده ويرثيه بالاشعار فمن ذلك قـــــوله

فَيَوْمُ الْأَمَانِي يَوْمَ قُرْبِكُمْ مِنّي وَيَوْمُ الْمَنَا يَا يَوْمَ إِعْرَاضِكُمْ عَنّي
إِذَا بِتُّ مَرْعُوبًا أُهَدَّدُ بِالرَّدَى فَوَصْلُكُمُ عِنْدِي أَلَذُّ مِنَ الْأَمْنِ

ومن ذلك قوله

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِظَاعِنِينَ رَحِيلُهُمْ أَنْكَى وَأَفْسَدَ فِي الْقُلُوبِ وَعَاثَا
فَلْيَقْضِ عِدَّتَــهُ السُّرُورُ فَإِنَّنِـي طَلَّقْتُ بَعْدَهُمُ النَّعِيمَ ثَـلَاثَا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور فانها صارت ملكة في بلاد الآبنوس وصار الناس يشيرون اليها بالبنـــان ويقولون هذا صهر الملك ارمانوس وكل ليلة تنام مع الست حيوة النفوس وتشتكي وحشة زوجها قمر الزمان وهي تبكي وتصف لحيوة النفوس حسنه وجماله وتتمنى ولو في

المنام و صاله وتنشد وتقول

اَللّٰهُ اَعْلَمُ اِنَّنِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ بَكَيْتُ حَتَّى اِسْتَلَفْتُ الدَّمْعَ بِالدَّيْنِ
وَقَالَ لِي عَاذِلِي اِصْبِرْ تَنَالُهُمْ فَقُلْتُ يَا عَاذِلِي اَلصَّبْرُ مِنْ اَيْنِ

هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر قمر الزمان فانه اقام عند الخولي في البستان مدة من الزمان وهو يبكي بالليل والنهار و ينشد الاشعار و يتحسّر على اوقات الهنا و ليالي المنا و الخولي يقول له في آخر السنة تسير المركب الى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة الى ان رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولي و قال له يا ولدي بطّلِ الشغل في هذا اليوم ولا تحوّل الماء الى الاشجار لان هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضا فاسترح واجعل بالك الى الغيط فاني اريد ان ابصر لك مركبا فما بقي الا القليل و ارسلك الى بلاد المسلمين ثم ان الخولي خرج من البستان وبقي قمر الزمان وحده وتفكر في حاله فانكسر خاطره وجرت دموعه ثم ان قمر الزمان بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فلما افاق قام يتمشى في البستان و هو متفكّر فيما فعل فيه الزمان و طول البعد و الهجران غائب العقل و لهان فعثر فوقع على وجهه فجاءت جبهته على جذر شجرة فبطحته وجرى منه الدم و اختلط بدموعه فمسح دمه و نشف دموعه و شدّ جبهته بخرقة وقام يتمشى في ذلك البستان و هو في فكره ذاهل العقل فنظر بعينه الى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فقام احدهما الى الآخر و نقره في رقبته فخلصها من جثته و اخذ رأسه وطار به ووقع المقتول في الارض قدام قمر الزمان

فبينمـــا هو كذلك و اذا بطائرين كبيرين قد انقضّا عليه ووقف احدهما عند رأسه والآخر عند ذنبه وارخيا اجنحتهما ومنا تيرهما عليه ومدّا اعناقهما اليه وبكيا فبكى قمر الزمان على فراق زوجته وتذكّر والده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المــــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان بكى على فراق زوجته ووالده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما ثم ان قمر الزمان نظر الى الطائرين فرآهما قد حفرا حفرة و دفنا الطائر المقتول فيهـا وطارا الى الجوّ وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبر المقتول وبركا على القاتل حتى قتلاه و شقّاجوفه و اخرجا امعاءه واراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نشرا لحمه و مزّقا جلده واخرجا ما في جوفه وفرّقاه الى اماكن متفرّقة هذا كلـــه جرى وقمر الزمان ينظر و يتعجّب فلاحت منه التفاتة الى الموضع الذي قتلا فيه الطائر فوجد شيأ يلمع فدنى منه فوجده حوصلة الطائر فاخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذي كان سبب فراقه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع على الارض مغشيا عليه من فرحته فلما افاق قال الحمد للـــه هذه علامة الخير و بشارة الاجتماع بمحبوبتي ثم تأمّله ومرّبه على عينـه و ربطه على ذراعـــه و استبشر بالخير و قام يتمشّى ينتظر الخولي الى الليل فلم يأت فبات قمر الزمان في موضعه الى الصباح ثم قام الى شغله و شدّ وسطه بحبل من الليف واخذ الفاس والقفّة وشقّ في البستان فاتى الى شجرة خروب وضرب الفاس في جدرها فطنّت الضربة فكشف

التراب عن موضعها فوجد طابقا ففتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد بابا وسلّما فنزل فيه فوجد قاعة قديمة من عهد عاد وثمود وهذه القاعة منقورة من الحجر ولها دوائر سما ويات ووجدها مملوءة من الذهب الاحمر الوهاج فقال في نفسه لقد ذهب التعب وجاء الفرج والسرور ثم ان قمر الزمان طلع من المكان الى ظاهر البستان وردّ الطابق كما كان ورجع الى البستان وحوّل الماء على الاشجار الى آخر النهار فجاء الخولي وقال له يا ولدي ابشر برجوعك الى الاوطان فان التجار تجهّزوا للسفر والمركب بعد ثلثة ايام مسافرة الى مدينة الآبنوس وهي اول مدينة من مدائن المسلمين فاذا وصلت اليها تسافر في البرّ ستة اشهر حتى تصل الى جزائر خالدان التي فيها الملك شهرمان ففرح بذلك وانشد يقول

لَاتَهْجُرُوا مَنْ لَا تَعَوَّدَ هَجْرَكُمْ   وَتَعَلَّلُوا بِصُدُودِكُمْ مَنْ لَاجَنَا
غَيْرِي إِذَا طَالَ الْبِعَادُ سَلَاكُمُ   وَتَغَيَّرَتْ اَحْوَالُهُ اِلَّا اَنَا

ثم ان قمر الزمان قبّل يد الخولي وقال له يا والدي كما انك بشّرتني فانا الآخر ابشّرك ببشارة عظيمة ثم انه اخبره بخبر القاعة التي رآها ففرح الخولي وقال له يا ولدي اني في هذا البستان من ثمانين عاما ما وقفت على شيءٍ وانت لك عندي دون السنة وقد رأيت هذا الامر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك الى اهلك

وجمع شملك بمن تحبّ فقال قمر الزمان لا بد من القسمة بيني وبينك ثم اخذ الخولي ودخل به الى ذلك المكان واراه الذهب وكان في عشرين خابية فاخذ عشرة والخولي عشرة فقال له الخولي يا ولدي عبّ لك امطارا من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فانه معدوم في غير بلادنا وتجلبه التجار الى جميع البلدان واخلطه مع الذهب ولبّسهم واجعل الذهب في الامطار والزيت فوق الذهب ثم سدّها وخذها معك في المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبّى خمسين مطرا ووضع الذهب فيها وسدّ عليه ولبّس عليهم بعد ان جعل الزيتون فوق الذهب وحطّ الفص معه في مطر وجلس هو والخولي يتحدّثان وايقن بجمع شمله وقربه من اهله وقال في نفسه اذا وصلت الى جزيرة الآبنوس اسافر منها الى بلاد ابي واسأل عن محبوبتي بدور فياترى هل رجعت الى بلادها او سافرت الى بلاد ابي او حدث لها حادث في الطريق ثم انشد يقـــــول

أَقَامُوا الْوَجْدَ فِي قَلْبِي وَسَارُوا ... وَقَدْ شَطَّتْ بِمَنْ أَهْوَى الدِّيَارُ

نَأَتْ عَنِّي الرُّبُوعُ وَسَاكِنِيهَا ... وَقَدْ بَعُدَ الْمَـزَارُ فَلَا مَزَارُ

وَبَانَ تَجَلُّدِي مِنْ حَيْثُ بَانُوا ... وَفَارَقَنِي هُجُوعٌ وَاصْطِبَارُ

وَمُذْ سَارُوا سَرَى عَنِّي سُرُورِي ... وَقَدْ عُدِمَ الْقَرَارُ فَلَا قَرَارُ

وَأَجْرَوْا بِالْفِرَاقِ دُمُوعَ عَيْنِي ... فَأَدْمُعُهَا بِبَيْنِهِمُ غِزَارُ

إِذَا مَا اشْتَقْتُ يَوْمًا أَنْ أَرَاهُمْ ... وَزَادَ بِهِمْ حَنِينِي وَانْتِظَارُ

أُمَثِّلُ شَخْصَهُمْ فِي وَسْطِ قَلْبِي ... غَرَامٌ وَاشْتِيَاقٌ وَادِّكَارُ

ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الايام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجّب الخولي من ذلك ثم ناما الى الصباح فاصبح الخولي

فوجدتهـــا كلها ذهبا والزيتون كله لم يملأ مطرا واحدا وفتّشت في الذهب فوجدت الفصّ فيه فاخذته وتأملته واذا هو الفصّ الذي كان مربوطا على دكة لباسها واخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحت من فرحتها وخرّت مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت الفصّ صاحت من فرحتها وخرّت مغشيا عليها فلما افاقت قالت في نفسها ان هذا الفصّ كان سبب فراقي من محبوبي قمر الزمان ولكن هذا بشير الخير ثم اعلمت الست حيوة النفوس بان وجوده بشارة الاجتماع فلما اصبح الصباح جلست على كرسي المملكة واحضرت رئيس المركب فلما حضر قبّل الارض بين يديها فقالت اين تركت صاحب هذا الزيتون قال ياملك الزمان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان فقالت له ان لم تأت به فلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضـــرر ثم امرت بالختم على مخازن التجّار وقالت لهم ان صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وان لم تاتوا به لاقتلنّكم جميعا وانهب تجارتكم فاقبلوا على الرئيس ووعدوه باجرة مركبه ويرجع ثاني مرة وقالوا له خلّصنا من هذا الظالم الغاشم فنزل الرئيس في المركب وحلّ قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع الى البستان وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبـــته وجلس يبكي على ماجرى له وافتكر محبوبته وانشد يقـــــــــــــــــــــول

وَلَيْـــلٍ كَوَاكِبُـــهُ لَا تَسِيْـــر ... وَلَاهُوَ مِمَّـــنْ يُطِيْقُ بَـــرَاحَا

كَيَوْمِ الْقِيٰمَـــةِ فِيْ طُـــوْلِهِ   عَلٰى مَنْ يُرَاقِبُ فِيْهِ الصَّبَاحَا

ثم انّ الرئيس دقّ الباب على قمرالزمان ففتح الباب وخرج اليه فحمله البحرية ونزلوا به الى المركب وحلّوا القلوع وصاروا ولم يزالوا سافرين ايا ما وليالي وقمرالزمان لايعلم ما سبب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له انت غريم الملك صاحب جزائر الآبنوس صهر الملك ارمانوس وقد سرقت ماله يا منحوس فقال والله عمري ما دخلت هذه البلاد ولا اعرفها فساروا به حتى اشرفوا على جزائر الآبنوس وطلعوا به على الست بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمّام وافرجت عن التجّار وخلعت على الرئيس خلعة تساوي عشرة آلاف دينار ودخلت تلك الليلة فى القصر واعلمت حيوة النفوس بذلك وقالت لها اكتمي الخبر حتى ابلغ مرادي واعمل عملا يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين امرت ان يدخلوا بقمرالزمان الحمّام فدخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمرالزمان من الحمام صاركانه غصن بان اوكوكب يخجل بطلعته القمران وردّت روحه اليه ثم توجه اليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتمّ مرادها وانعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال واعطته خزانة مال ولم تزل ترقّي قمرالزمان من درجة الى درجة حتى جعلته خازندار وسلّمت اليه الاموال واقبلت عليه وقرّبته منها واعلمت الامراء بمنزلته فاحبّوه جميعهم وصارت الملكة بدوركل يوم تزيد له فى المرتبات وقمرالزمان لا يعرف ماسبب تعظيمها له ومن كثرة الاموال صاريهب ويتكرّم ويخدم الملك ارمانوس حتى احبّه وكذلك احبّته الامراء والخواص والعوام وصاروا يحلفون بحيوته كل ذلك

قمر الزمان يتعجّب من تعظيم الملكة بدور له و يقول في نفسه والله ان هذه المحبة لا بدّ لها من سبب وربما يكون هذا الملك انما يكرمني هذا الاكرام الزائد لاجل غرض فاسد فلا بد ان استأذنه واسافر من بلاده ثم انه توجّه الى الملكة بدور وقال لها ايها الملك انك اكرمتني اكراما زائدا ومن تمام الاكرام ان تأذن لي في السفر وتأخذ منّي جميع ما انعمت به عليّ فتبسمت الملكة بدور وقالت له ما حملك على طلب الاسفار واقتحام الاخطار وانت في غاية الاكرام وتزايد الانعام فقال لها قمر الزمان ايها الملك ان هذا الاكرام اذا لم يكن له سبب فانه من اعجب العجب خصوصا وقد اوليتني من المراتب ما حقّه ان يكون للاختيار مع انني من الاطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك اني احبك لفرط جمالك الفائق وبديع حسنك الرائق وان مكّنتني مما اريده منك ازدك اكراما وعطاء وانعاما واجعلك وزيرا على صغر سنّك كما جعلني الناس سلطانا عليهم وانا في هذا السنّ ولا عجب اليوم في رآسة الاطفال ولله در من قال

كَأَنَّ زَمَانَنَا مِنْ قَوْمِ لُوطٍ لَهُ شَغَفٌ بِتَقْدِيمِ الصِّغَارِ

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل واحمرّت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لي بهذا الاكرام المؤدّي الى ارتكاب الحرام بل اعيش فقيرا من المال غنيا بالمروة والكمال فقالت له الملكة بدور انا لا اغترّ بورعك الناشي عن التيه والدلال ولله در من قال

ذَاكَرْتُهُ عَهْدَ الْوِصَالِ فَقَالَ لِي كَمْ ذَا تُطِيلُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُؤْلِمِ
فَأَرَيْتُهُ الدِّينَارَ انْشَدَ قَائِلًا أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال ايها الملك انه لا عادة لي بهذه الفعال ولا طاقة لي على حمل هذه الاثقال التي يعجز عن حملها اكبر منّي فكيف بي على صغر سنّي فلما سمعت كلامه الملكة بدور تبسّمت وقالت ان هذا لشيء عجاب كيف يظهر الخطأ من خلال الصواب اذا كنت صغيرا فكيف تخشى من الحرام وارتكاب الآثام وانت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة في ذنب الصغير ولا تعنيف فقد الزمت نفسك الحجة بالجدال وحقّت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعا ولا نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا فانا احق منك بخشية الوقوع في الضلال وقد اجاد من قال

أَيْرِي كَبِيرٌ وَالصَّغِيرُ يَقُولُ لِي ... اِطْعَنْ بِهِ الْأَحْشَا وَكُنْ صِنْدِيدَا
فَأَجَبْتُهُ ذَا لَا يَجُوزُ فَقَالَ لِي ... عِنْدِي يَجُوزُ فَنِكْتُهُ تَقْلِيدَا

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدّل الضياء في وجهه بالظلام وقال ايها الملك انه يوجد عندك من النساء والجواري الحسان ما لا يوجد له نظير في هذا الزمان فهلّا استغنيت بذلك عنّي فمل الى ماشئت منهن ودعني فقالت ان كلامك صحيح ولكن لا يشتفي بهن من عشقك الم ولا تبريح واذا فسدت الامزجة والطبيعة فهي لغير النصح سميعة مطيعة فاترك الجدال واسمع قول من قال

أَمَا تَرَى السُّوقَ قَدْ صُفَّتْ فَوَاكِهُهُ ... لِلتِّينِ قَوْمٌ وَلِلْجُمَّيْزِ أَقْوَامُ

وقول الآخر

وَصَامِتَةِ الْخَلْخَالِ رَنَّ وُشَاحُهَا ... فَهَذَا قَدِ اسْتَغْنَى وَذَا يَشْتَكِي الْفَقْرَا
تُرِيدُ سُلُوِّي عَنْكَ جَهْلًا بِحُسْنِهَا ... وَمَا كُنْتُ أَرْضَى بَعْدَ إِيمَانِيَ الْكُفْرَا
وَحَقِّ عِذَارٍ يَزْدَرِي بِعِقَاصِهَا ... لَمَا خَدَعَتْنِي عَنْكَ غَانِيَةٌ عَذْرَا

وقول الآخر

يَا فَرِيدَ الْجَمَالِ حُبُّكَ دِينِي ... وَاخْتِيَارِي عَلَى جَمِيعِ الْمَذَاهِبْ
قَدْ تَرَكْتُ النِّسَا لِأَجْلِكَ حَتَّى ... زَعَمَ النَّاسُ أَنَّنِي الْيَوْمَ رَاهِبْ

وقول الآخر

لَا تَقِسْ أَمْرَدًا بِأُنْثَى وَلَا تُصْغِ ... لِوَاشٍ يَقُولُ ذٰلِكَ فِسْقُ
بَيْنَ أُنْثَى يُقَبِّلُ الْوَجْهَ رِجْلًا ... وَغَزَالٍ يُقَبِّلُ الْأَرْضَ فَرْقُ

وقول الآخر

فَدَيْتُكَ إِنَّمَا اخْتَرْنَاكَ عَمْدًا ... لِأَنَّكَ لَا تَحِيضُ وَلَا تَبِيضُ
وَلَوْ مِلْنَا إِلَى وَصْلِ الْغَوَانِي ... لَضَاقَ بِنَسْلِنَا الْبَلَدُ الْعَرِيضْ

وقول الآخر

تَقُولُ لِي وَهْيَ غَضْبَى مِنْ تَدَلُّلِهَا ... وَقَدْ دَعَتْنِي إِلَى شَيْءٍ فَمَا كَانَا
إِنْ لَمْ تَنِكْنِي نَيْكَ الْمَرْءِ زَوْجَتَهُ ... فَلَا تَلُمْنِي إِذَا أَصْبَحْتَ قَرْنَانَا
كَأَنَّ أَيْرَكَ مِنْ شَمْعٍ رَخَاوَتُهُ ... فَكُلَّمَا عَرَكَتْهُ رَاحَتِي لَانَا

وقول الآخر

قَالَتْ وَقَدْ أَعْرَضْتُ عَنْ غِشْيَانِهَا ... يَا أَحْمَقًا فِي جَهْلِهِ يَتَنَاهَى
لَمْ تَرْضَ مِنْ قُبُلِي لِوَجْهِكَ قِبْلَةً ... لَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا

وقول الآخر

* جَادَتْ بِكُسٍّ نَاعِمٍ * فَقُلْتُ إِنِّي لَمْ أَنِكْ *
* فَانْصَرَفَتْ قَائِلَةً * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكْ *
* أَلنَّيْكُ مِنْ قُدَّامُ فِي * هٰذَا الزَّمَانِ قَدْ تُرِكْ *
* وَدَوَّرَتْ لِي فِقْحَةً * مِثْلَ اللُّجَيْنِ الْمُنْسَبِكْ *
* أَحْسَنْتِ يَا سَيِّدَتِي * أَحْسَنْتِ لَا فُجِعْتُ بِكْ *

* أَحْسَنْتِ يَا أَوْسَعُ مِنْ * * فُتُوحِ مَوْلَانَا الْمَلِكْ *

وقول الآخر

يَسْتَغْفِرُ النَّاسُ بِأَيْدِيهِمْ وَهُنَّ يَسْتَغْفِرْنَ بِالْأَرْجُلِ
يَا لَهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرْفَعُهُ اللّٰهُ إِلَى أَسْفَلِ

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الاشعار وتحقق انه ليس له مما ارادته فرار قال يا ملك الزمان ان كان ولا بدّ فعاهدني على انك لاتفعل بي هذا الامر غير مرة واحدة وان كان ذلك لا يجدي في اصلاح الطبيعة الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الا بد لعلّ الله يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجيا ان الله علينا يتوب ويمحو بفضله عنّا عظيم الذنوب فان نطاق افلاك المغفرة لا يضيق عن ان يحيط بنا ويكفّر عنا ما عظم من سيّآتنا ويخرجنا الى نور الهدى من ظلام الضلال وقد اجادوا حسن من قال

تَوَهَّمَ فِينَا النَّاسُ شَيْأً وَصَمَّمَتْ عَلَيْهِ نُفُوسٌ مِنْهُمُ وَقُلُوبُ
تَعَالَيْ نُحَقِّقْ ظَنَّهُمْ لِنُرِيحَهُمْ مِنَ الْإِثْمِ فِينَا مَرَّةً وَنَتُوبُ

ثم اعطته المواثيق والعهود وحلفت له بواجب الوجود انه لا يقع بينهما وبينه هذا الفعل الّا مرّة في الزمان وان الجاها غرامه الى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط الى محل خلوتها لتطفئ نيران لوعتها وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حلّ سراويله وهو في غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسّمت واطلعته معها على السرير وقالت له لا ترى بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مدّ يدك بين فخذيّ الى المعهود

لعلّه ينتصب الى القيام من السجـود فبكي و قال انا لا احسن شيـــأ من ذلك فقالت بحياتي ان تفعل ما امرتك به مما هنالك فمدّ يده وفرأده في زفير فوجد فخـذها الين من الزبد وانعم من الحرير فاستلذّ بلمسهما وجال بيده في الجهات حتى وصلت الي قبّة كثيرة البركات والحركات فقال في نفسه لعلّ هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا انثى ثم قال ايها الملك اني لم اجد لك آلة مثل آلات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت له يا حبيبي ما اسرع ما نسيت ليالياً بتنــاها وعرّفته بنفسهـــا فعرف انها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبّلها وقبّلته ثم اضطجعا على فراش الوصال وتناشدا قول من قـــــــــال

لَمَّا دَعَتْهُ اِلَى وِصَالِي عِطْفَـهُ ... مِنْ مَعْطَفٍ بِتَعَطُّفٍ مُتَوَاصِ

وَسَقَتْهُ قَسَاوَةَ قَلْبِهِ مِنْ لِينِهَا ... فَاَجَابَ بَعْدَ تَمَنُّعٍ وَتَعَــاصِ

خَشِيَ الْعَوَاذِلَ اَنْ تَرَاهُ اِذَا بَدَا ... فَاَتَى بِعُدَّةِ آمِنِ الْاِرْهَــاصِ

شَكَتِ الْخُصُورُ رَوَادِفًا فَقَدْ حَمَلَتْ ... اَقْدَامَهُ فِي الْمَشْيِ حِمْلَ قِلَاصِ

مُتَقَلِّدُ الصَّمْصَامِ مِنْ اَلْحَاظِـهِ ... وَمِنَ الدُّجَى مُتَدَرِّعًا بِدِلَاصِ

وَشَذَاهُ بَشَّرَنِي بِسَعْدِ قُدُومِهِ ... فَفَرَرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ مِنْ اَقْفَاصِ

وَفَرَشْتُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لِنَعْلِهِ ... فَشَفَى بِاِثْمِــدِ تُرْبِهَا اَرْمَاصِي

وَعَقَدْتُ اَلْوِيَةَ الْوِصَالِ مُعَانِقًا ... وَفَكَكْتُ عُقْدَةَ حَظِّيَ الْمُتَعَاصِي

وَاَقَمْتُ اَفْرَاحًا اَجَابَ نِدَاءَهَــا ... طَرَبٌ صَفَا عَنْ شَائِبِ الْاَنْغَاصِ

وَالْبَدْرُ نَقَّطَ بِالنُّجُومِ الثَّغْرَ مِنْ ... حَبَبٍ عَلَى وَجْهِ الطِّلَا رَقَّاصِ

وَعَكَفْتُ فِي مِحْرَابِ لَذَّتِهَا عَلَى ... مَا مِنْ تَعَاطِيهِ يَتُوبُ الْعَاصِي

قَسَمًا بِآيَاتِ الضُّحَى مِنْ وَجْهِهِ ... لَمْ أَلْتَمِسْ فِيهِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ

ثم ان الملكة بدور اخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الاول الى الآخر وكذلك هو اخبرها بجميع ماجرى له وبعد ذلك انتقل معها الى العتاب وقال لها ما حملكِ على ما فعلتِه بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فان قصدي بذلك المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ارسلت الملكة بدور الى الملك ارمانوس والد الملكة حياة النفوس واخبرته بحقيقة امرها وانها زوجة قمر الزمان واخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما من بعضهما واعلمته ان ابنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك ارمانوس صاحب جزائر الآبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجّب منها غاية العجب وامر ان يكتبوها بماء الذهب ثم التفت الى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك ان تصاهرني وتتزوج بنتي حياة النفوس فقال له حتى اشاور الملكة بدور فان لها عليّ فضلا غير محصور فلما شاورها قالت له نعم هذا الرأي فتزوّجها واكون انا لها جارية لان لها عليّ معروفا واحسانا وخيرا وامتنانا وخصوصا نحن في محلّها وقد غمرنا احسان ابيها فلما رأى قمر الزمان ان الملكة بدور مائلة الى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتّفق معها على هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الامر واخبر الملك ارمانوس بما قالته الملكة بدور

من انها تحبّ ذلك وتكون جارية لحياة النفوس فلما سمع الملك
ارمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحا شديدا ثم خرج
وجلس على كرسيّ مملكته واحضر جميع الوزراء والامراء والحجّاب
وارباب الدولة واخبرهم بقصة قمر الزمان و زوجته الملكة بدور من
الاول الى الآخر وانه يريد ان يزوّج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان
ويجعله سلطانا عليهم عوضا عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعا حيث
كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطانا علينا قبله
ونحن نظن انها صهر ملكنا ارمانوس فكلّنا نرضاه سلطانا علينا و
نكون له خدما ولانخرج عن طاعته ففرح الملك ارمانوس بذلك فرحا
شديدا ثم احضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد
قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم انه اقام
الافراح واولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع
الامراء ورؤساء العساكر وتصدّق على الفقراء والمساكين واطلق
جميع المحابيس واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا
يدعون له بدوام العز والاقبال والسعادة والاجلال ثم ان قمر الزمان
لماصار سلطانا عليهم ازال المكوس واطلق من بقي في الحبوس
وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته على هناء وسرور ووفاء وحبور
يبيت عند كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان
وقد انجلت عنه الهموم والاحزان ونسي اباه الملك شهرمان و
ماكان له عنده من عزّ وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه
بولدين ذكرين مثل القمرين النيرّين اكبرهما من الملكة بدور و
كان اسمه الملك الامجد واصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمه
الملك الاسعد وكان الاسعد اجمل من اخيه الامجد ثم انهما تربّيا

في العزّ والدلال والادب والكمال وتعلّما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاما وهما متلازمان فيأكلان سواء ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتا من الاوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغا مبلغ الرجال واتّصفا بالكمال صار ابوهما اذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوما بين الناس واتفق بالقدر المبرم والقضاء المحتم ان محبة الاسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجة ابيه وان محبة الامجد الذى هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة ابيه فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرّتها وتقبّله وتضمه الى صدرها واذا رأت ذلك امّه تظنّ انه من الشفقة ومحبة الامّهات لاولادها وتمكّن العشق من قلوب المرأتين وافتتنتا بالولدين فصارت كل واحدة منهما اذا دخل عليها ابن ضرّتها تضمه الى صدرها وتودّ انه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم تجدا سبيلا الى الوصال امتنعتا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم ان الملك توجّه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا في موضعه للحكم كل واحد منهما يوما على عادتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك توجّه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا في موضعه للحكم كل واحد يوما على عادتهما

فجلس للحكم في اليوم الاول الامجد بن الملكة بدور فامر ونهى وولّى وعزل واعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس امّ الاسعد مكتوبا تستعطفه فيه وتوضح له انها متعلقة ومتعشقة فيه وتكشف له الغطاء وتعلمه انها تريد وصاله فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات

من المسكينة العاشقة * الحزينة المفارقة * التي ضاع بحبك شبابها وطال فيك عذابها * ولو وصفت لك طول الاسف * وما اقاسيه من اللهف * وما بقلبي من الشغف * وما انا فيه من البكاء والانين * وتقطّع القلب الحزين * وتوالي الغموم * وتتابع الهموم * وما اجده من الفراق * والكآبة والاحتراق * لطال شرحه في الكتاب * وعجزت عن حصره الحساب * وقد ضاقت عليّ الارض والسماء * ولالي في غيرك امل ولا رجاء * فقد اشرفت على الموت * وكابدت اهوال الفوت * وزاد بي الاحتراق * والم الهجر والفراق * ولو وصفت ما عندي من الاشواق * ما وسعتها الاوراق * ومن كثرة البلوى والنحول ها انا انشد واقول

لَوْ كُنْتُ أَشْرَحُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ حُرَقِ	وَمِنْ سَقَامٍ وَمِنْ وَجْدٍ وَمِنْ قَلَقِ
لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ قِرْطَاسٌ وَلَا قَلَمٌ	وَلَا مِدَادٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْوَرَقِ

ثم ان الملكة حياة النفوس لفّت تلك الورقة في رقعة من غالي الحرير مضمّخة بالمسك والعبير ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الاموال بسعرها ثم لفّتها بمنديل واعطتها لخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها اعطت ورقة المراسلة للخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفي له في الغيب وعلّام الغيوب يدبّر الامور كيف يشاء فلما دخل الخادم على الملك الامجد قبّل الارض بين يديه وناوله المنديل وبلّغه الرسالة فتناول الملك الامجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها فلما فهم معناها علم ان امرأة ابيه في عينها الخيانة وقد خانت اباه الملك قمر الزمان في نفسها فغضب غضبا شديدا وذمّ النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلا ودينا ثم انه جرّد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء أتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله انه لا خير فيك يا اسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف في عنقه فعزل رأسه عن جثّته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه في جيبه ثم دخل على امّه واعلمها بما جرى وسبّها وشتمها وقال كلكنّ اخس من بعضكنّ والله العظيم لولا انّي اخاف اساءة الادب في حق والدي قمر الزمان واخي الملك الاسعد لادخلن عليها واضربن عنقها كما ضربتُ عنق خادمها ثم انه خرج من عند امّه الملكة بدور وهو في غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة ابيه ما فعل بخادمها سبّته ودعت عليه واضمرت له المكر فبات الملك الامجد في تلك الليلة ضعيفا من الغيظ والقهر والفكر ولم يلذّ له اكل ولا شرب ولا منام فلما اصبح الصباح خرج اخوه الملك الاسعد وجلس في مجلس

ابيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وقد اصبحت امّه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته من الملك الامجد من قتله للخادم ثم ان الملك الاسعد لما جلس للحكم في ذلك اليوم حكم وعدل وولّى وعزل وامر ونهي واعطى ووهب ولم يزل جالسا في مجلس الحكم الى قرب العصر ثم ان الملكة بدور امّ الملك الامجد ارسلت الى عجوز من العجائز الماكرات واظهرتها على ما في قلبها واخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الاسعد بن زوجها وتشكو اليه كثرة محبتها له ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقا * الى احسن الناس خَلقا وخُلقا * المعجب بجماله * التائه بدلاله * المعرض عن طالب وصاله * الزاهد في القرب ممن خضع وذلّ * الى من جفا وملّ * من العاشق المكمد * الى الملك الاسعد * صاحب الحسن الفائق * والجمال الرائق * والوجه الاقمر * والجبين الازهر * والضياء الابهر * هذا كتابي الى من حُبّه اذاب جسمي * وفرّق جلدي وعظمي * اعلم انني قد عيل صبري * وتحيّرت في امري * واقلقني الشوق والسهاد * وجفاني الصبر والرقاد * ولازمني الحزن والسُهاد * وبرح بي الوجد والغرام * وحلول الضنى والسقام * فالروح تفديك * وان كان قتل الصب يرضيك * والله يبقيك * ومن كل سوء يقيك * ثم بعد تلك السجعات كتبت هذه الابيات

حَكَمَ الزَّمَانُ بِأَنَّنِي لَكَ عَاشِقُ ... يَا مَنْ مَحَاسِنُهُ كَبَدْرٍ يَشْرِقُ
حُزْتَ المَلَاحَةَ وَالفَصَاحَةَ كُلَّهَا ... وَعَلَيْكَ مِنْ دُونِ البَرِيَّةِ رَوْنَقُ
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِأَنْ تَكُونَ مُعَذِّبِي ... فَعَسَى عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ تَتَصَدَّقُ
مَنْ مَاتَ فِيكَ صَبَابَةً فَلَهُ الهَنَا ... لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ

ثم كتبت ايضا هذه الابيات

اَلَيكَ اَسعَدُ اَشكُو مِن لَهِيبِ جَوًى فَارحَم مُتَيَّمَةً بِالشَّوقِ تَلتَهِبُ

اِلى مَتَى وَاَيَادِي الوَجدِ تَلعَبُ بِي وَالعِشقُ وَالفِكرُ وَالتَّسهِيدُ وَالنَّصَبُ

طَورًا بِبَحرٍ وَطَورًا اَشتَكِي لَهَبًا فِي مُهجَتِي اِنَّ ذَا يَا مُنيَتِي عَجَبُ

يَا لَائِمِي خَلِّ لَومِي وَالتَمِس هَرَبًا مِنَ الهَوَى فَدُمُوعُ العَينِ تَنسَكِبُ

كَم صِحتُ وَجدًا مِنَ الهِجرَانِ وَاحَرَبَا فَلَم يُفِدنِي بِذَاكَ الوَيلُ وَالحَرَبُ

اَمرَضتَنِي بِصُدُودٍ لَستُ اَحمِلُهُ اَنتَ الطَّبِيبُ فَاَسعِفنِي بِمَا يَجِبُ

يَا عَاذِلِي كُفَّ عَن عَذلِي مُحَاذَرَةً كَيلَا يُصِيبكَ مِن دَاءِ الهَوَى عَطَبُ

ثمّ ان الملكة بدور ضمّخت ورقة الرسالة بالمسك الاذفر ولفّتها في جدائل شعرها وهي من الحرير العراقي وشراريبها من قضبان الزمرد الاخضر مرصّعة بالدر والجوهر ثم سلّمتها الى العجوز وامرتها ان تعطيها للملك الاسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من اجل خاطرها ودخلت على الملك الاسعد من وقتها وساعتها وكان في خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر ردّ الجواب فعند ذلك قرأ الملك الاسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لفّ الورقة في الجدائل ووضعها في جيبه وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم انه نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على امّه حياة النفوس فوجدها راقدة في الفرش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الامجد فشتمها الملك الاسعد ولعنها ثم خرج من عندها فاجتمع باخيه الملك الامجد وحكي له جميع ما جرى له مع امّه الملكة بدور

واخبره بانه قتل العجوز التي جاءت له بالرسالة ثم قال له والله يا اخي لولا حيائي منك لكنت دخلت في هذه الساعة اليها وقطعت رأسها من بين كتفيها فقال له اخوه الملك الامجد والله يا اخي انه قد جرى لي بالامس لما جلست على كرسيّ المملكة مثل ما جرى لك في هذا اليوم فان امّك ارسلت اليّ رسالة بمثل مضمون هذا الكلام ثم اخبره بجميع ماجرى له مع امه الملكة حياة النفوس وقال له والله يا اخي لولا حيائي منك لدخلت اليها وفعلتُ بها مثل ما فعلتَ بالخادم ثم انهما باتا يتحدّثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات ثم تواصيا بكتمان هذا الامر لئلا يسمع به ابوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا في هم تلك الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل الملك بجيشه من الصيد وجلس ساعة على كرسيّ المملكة ثم طلع الى قصره وصرف الامراء الى حال سبيلهم وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على الفراش وهما في غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقتا على تضييع ارواحهما لانهما قد فضحتا انفسهما معهما وقد خشينا ان يصيرتا تحت ذلّتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما ما لكما فقامتا اليه وقبّلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم ايها الملك ان ولديك اللذين قد تربّيا في نعمتك قد خاناك في زوجتيك واركباك العار فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتاظ غيظا شديدا حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه اوضحا لي هذه القضية فقالت له الملكة بدور اعلم يا ملك الزمان انّ ولدك الاسعد بن حياة النفوس له مدة من الايام وهو يراسلني ويكاتبني ويراودني على الزنا وانا انهاه عن ذلك ولم ينته فلما سافرتَ انت هجم عليّ وهو سكران والسيف في يده مسلول فضرب به خادمي فقتله وركب على

صدري والسيف في يده فخفتُ ان يقتلني اذا مانعته كما قتل خادمي فتفضل اربه منّي غصبا و ان لم نخلص حقي منه ايها الملك قتلت نفسي بيدي وليس لي حاجة بالحيوة فى الدنيا بعد هذا الفعل القبيح واخبرته حياة النفوس وهي مفجوعة با لبكاء ايضا بمثل ما اخبرته به ضرّتها بدور وادرك شهرزاد الصباحُ فسكتت عن الكلام المباح

وبقيّة حكاية الامجد والاسعد فى الربع الثاني

وهذا آخر الربع الاول من كتاب الف ليلة و ليلة قد استتبّ بعون الملك القدير طبعه بتصحيح الفقير الحقير * احمد بن محمد الشهير باحمد كبير * باعانة الفاضل البليغ الذي خطّ الطروس ووشّح برودها بالاقلام * وكتب الانشاء فاخذ من كلامه بين الجواهر والنظام * فلو رآه ابن بسّام عبس وقطّب * وجلس بين يديه و تأدّب * ولو عاينه البديع لفّ ما نشر من انشائه * ورمى قلم المكاتبة بدائه * العالم النبيه اللوذعي * المولوي صاحبعلي خان * حماه الله العلي المنان * بحكم النحرير الشهم النبيل * الامير الجهبذ الجليل * الذى كان يصحّح ويحكم بتصحيحي * ويصلح ويجبر ما يفرط مني في تصحيحي * قدوة رؤساء الانام * عمدة امراء الاعلام * الفائق فى العلوم العربية على الامثال والاقران * البارع فى الفنون الادبيه على الاقيال والاعيان * العارف بصنوف الالسنة و اللّغات * الواقف على فنون البراعات * جامع الكمالات الانسيّة * حاوي الفضائل القدسيّة * صاحب التحرير و البيان * والتقرير والتبيان * البالغ في اشاعة العلوم باقصى الغايات * الراغب في ترويج الفنون بمنتهى النهايات * ملجأ الافاضل و العالمين * ماوى الخلائق و العالمين * الرافع لاصحاب العلم مراتب الكمال * الناصب لارباب الفضل مناصب الاجلال *

المعروف في كل مواطن * مسطر ولم حي مكناطن * بهادر ادام الله ظلال رأفته على مفارق الانام * وزاد حشمته ما دامت الليالي والايام * ولازال اعلام العلوم بتهذيبه عاليه * وما برح اسعار الفنون بترتيبه غاليه * في اليوم المتمم للعشر الرابع من النصف الثاني من السدس الرابع * من العشر الرابع من النصف الثاني من الخمس الثالث من العشر الثالث من الالف الثاني من السنين الهجرية اي في اثنا عشر من شهر شعبان سنة اربع وخمسين بعد الالف والمائتين موافقا لمبدء الثلث الثاني من الربع الرابع * من العشر الثامن من الخمس الرابع من النصف الاول من العشر التاسع من الالف الثاني بعد الالف الاول من السنين العيسوية اي الاول من شهر نومبر سنة الف وثمان مائة وثمانية وثلثين * ثم اعلموا ارباب الفضل والعرفان * انه قد بولغ في تصحيحه غاية الجهد والامكان * ومع هذا لاندعي ان كله صحيح * ولم يبق فيه غلط وشيء قبيح * فانه لاغروان زل انظار الطابعين * او وقع سهو من المقابلين * فالمأمول منكم ان تنظروا عليه بناظر الانصاف * ولا تمعنوا بعين الاعتساف *

و اذا عثرتم على العثرات * او اطلعتم على الزلات *

فاسعوا في اصلاح ما فات عني * ولا تلوثوا السنتكم

بفرط ما صدر مني * بل المرجو من اخلاقكم

ان تسبلوا ذيل الستر و الاحسان

و لا تطعنوا على المعتنين

كما هو داب ابنا

هذا الزمان *

CALCUTTA:

PRINTED AT THE BAPTIST MISSION PRESS.

1839.

[illegible]LLA

BOOK OF TH[illegible] AND NIGHTS

AND

ONE NIGHT,

Commonly known as 'The Arabian Nights' Entertainments;'

NOW, FOR THE FIRST TIME, PUBLISHED COMPLETE IN

THE ORIGINAL ARABIC,

FROM AN EGYPTIAN MANUSCRIPT

BROUGHT TO INDIA BY THE LATE MAJOR TURNER MACAN, EDITOR OF

THE SHAH-NAMEH.

EDITED BY

W. H. MACNAGHTEN, Esq.

Bengal Civil Service.

IN FOUR VOLUMES.

VOL. I.

CALCUTTA:

W. THACKER AND Co. ST. ANDREW'S LIBRARY.

LONDON:

WM. H. ALLEN AND Co. 7, LEADENHALL ST.

Booksellers to the East-India Company.

1839.